عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

تحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

شبكة الفكر
alfeker.net

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلاميه

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢ ـ ٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧

◆ عقود المرجان في تفسير القرآن ج ١
◇ تأليف السيد نعمة الله الجزائري
◆ انتشارات نوروحى
◇ چاپخانه اميران
◆ چاپ اول ١٣٨٨ — ٢٠٠٠ عدد
◇ قيمت دوره — ٥٠٠٠٠ تومان
◆ شابك — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٦ـ٥
◇ شابك دوره — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٤ـ١

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين. و صلّى الله على سيّدنا و نبيّنا أبي القاسم محـمّد و أهـل بـيته الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين. و لعنة الله على أعدائهم أجمعين.

و بعد؛ فمن منن الله تعالى و نعمه العظيمة على هذه الأمّة المرحومة أن نزّل القرآن الكريم على نبيّه الأعظم صلى الله عليه و آله ليتلو عليهم آياته و يبيّن لهم الذي اختلفوا فيه و ما نزّل إليهم و أورثه الذين اصطفاهم من عباده و هم أهل البيت الذيـن أذهب الله عـنهم الرجس و طـهّرهم تطهيراً.

و على الأمّة المطيعة أن تحدّث بنعم ربّها و تشكر له على ذلك بالجمع لبـيان النـبيّ و الأئمّة عليهم السلام و أخذ التفسير منهم و الاقتفاء لآثارهم الإلهيّة. و بحمد الله سبحانه قد تصدّى علماء الأمّة الإسلاميّة لهذه المهمّة و بذلوا جهودهم في تأليف كتب مفردة ليكون التـعلّم أسهل للطالبين و أقرب للراغبين. و الواجب علينا أن لاننسى لهم ما قاموا به من الجـهود العظيمة في إحياء القرآن و آثار أهل البيت عليهم السلام.

و من تلكم العلماء الكرام سماحة السيّد نعمة الله الجزائريّ رحمه الله الذي برز في هذا الميدان و ألّف الكثير في شرح الأخبار و تأويلها و تفسيرها فكان خير حلقة وصل بين الأئمّة عليهم السلام و شيعتهم.

أحوال المؤلّف

قد كتب المؤلّف شطراً من أحواله في خاتمة كتابه الأنوار النعمانيّة. و إليك نصّ ما كتبه:

اعلم ـ أطال الله بقاك ـ أنّ مولد الفقير هو سنة خمسين بعد الألف، و سنة تأليف هذا الكتاب هي السنة التاسعة و الثمانون بعد الألف. فهذا العمر القليل قد مضى منه تسعة و ثلاثون سنة. فانظر إلى ما أصاب صاحبه من المصائب و الأهوال.

و مجمل الأحوال هو: انّه لمّا مضى من أيّام الولادة خمس سنين، و كنت مشعوفاً باللّهو و اللّعب الذي يتداوله الأطفال، فكنت جالساً يوماً مع صاحب لي و نحن في بعض لعب الصبيان، إذ أقبل إليّ المرحوم والدي فقال لي: يا بنيّ امض معي إلى المعلّم و تعلّم الخطّ و الكتابة حتّى تبلغ درجة الأعلام. فبكيت من هذا الكلام و قلت: هذا شيء لايكون. فقال لي: إنّ صاحبك هذا نأخذه معنا و يكون معك يقرأ عند المعلّم. فأتى بنا إلى المكتب و أجلسنا فيه. فقرأت أنا و صاحبي حروف الهجاء.

فأتيت اليوم الآخر إلى والدتي و قلت لها: ما أريد المكتب بل أريد اللّعب مع الصبيان. فحدّثت والدي فما قبل منها. فأيست من قبوله فقلت: ينبغي أن أجعل جدّي و جهدي في الفراغ من قراءة المكتب. فما مضت أيّام قلائل حتّى ختمت القرآن و قرأت كثيراً من القصائد و الأشعار في ذلك الوقت و قد بلغ العمر خمس سنين و ستّة أشهر.

فلمّا فرغت من قراءة القرآن، جئت إلى والدتي و طلبت منها اللّعب مع الصبيان. فأقبل إليّ والدي ـ تغمّده الله برحمته ـ و قال لي: يا ولدي، خذ كتاب الأمثلة و امض معي إلى رجل يدرّسك فيها. فبكيت. فأراد إهانتي و أخذني إلى رجل أعمى، لكنّه كان قد أحكم معرفة الأمثلة و البصرويّة و بعض الزنجانيّ. فكان يدرّسني، و كنت أقوده بالعصا و أخدمه. و بالغت في خدمته لأجل التدريس.

فلمّا قرأت الأمثلة و البصرويّة و أردت قراءة الزنجانيّ، انتقلت إلى رجل سيّد من أقاربنا كان يحسن الزنجانيّ و الكافية فقرأت عليه. و في مدّة قراءتي عنده، كان يأخذني معه

كلّ يوم إلى بستانه و يعطيني منجلاً و يقول لي: يا ولدي، حشّ هذا الحشيش لبهائمنا. فكنت أحشّ له و هو جالس يتلو عليّ صيغ الصرف و الإعلال و الإدغام. فإذا فرغت شددت الحشيش حزمة كبيرة و حملته على رأسي إلى بيته. و كان يقول لي: لاتخبر أهلك بهذا.

فلمّا مضى فصل الحشيش و أقبل فصل رود الإبريسم، فكنت كلّ يوم أحمل له حزمة من خشب التوت حتّى صار رأسي أقرع. فقال لي والديّ: ما لرأسك؟ فقلت: لاأعلم. فداواني حتّى رجع شعر رأسي إلى حالته.

فلمّا فرغت من قراءة الزنجانيّ و أردت قراءة الكافية، قصدت إلى قرية تسمّى كارون و نحن في قرية يقال لها الصباغيّة في شطّ المدك. فقرأت في تلك القرية عند رجل فاضل و أقمت عندهم. فكنت يوماً في المسجد فدخل علينا رجل أبيض الثياب عليه عمامة كبيرة كأنّها قبّة صغيرة، و هو يري الناس أنّه رجل عالم. فتقدّمت إليه و سألته بصيغة من صيغ الصرف، فلم يردّ الجواب و تلجلج. فقلت له: إذا كنت لاتعرف هذه الصيغة، فكيف وضعت على رأسك هذه العمامة الكبيرة؟ فضحك الحاضرون و قام الرجل من ساعته. و هذا هو الذي شجّعني على حفظ صيغ الصرف و قواعده. و أنا أستغفر الله من سؤال ذلك الرجل المؤمن، لكنّي أحمد الله على وقوع ذلك قبل البلوغ و التكاليف. فبقيت هناك كم من شهر و مضيت إلى شطّ يقال له نهر عنتر، لأنّي سمعت أنّ به رجلاً عالماً و قد كان أخي المرحوم المغفور الفاضل الصالح الورع السيّد نجم الدين يقرأ عنده. فلمّا وصلت إليه، لقيت أخي راجعاً من عنده فرجعت معه إلى قريتنا.

ثمّ قصدت قرية يقال لها شطّ بني أسد للقراءة على رجل عالم كان فيها. فبقيت هناك مدّة مديدة. ثمّ رجعت إلى قريتنا. فمضى أخي المرحوم، و كان أكبر منّي إلى الحويزة. فقلت لوالدي: إنّي أريد السفر إلى أخي إلى الحويزة لأجل طلب العلم. فأتى بي إلى شطّ سحاب و ركبنا في سفينة و أتينا من طريق ضيّق قد أحاط به القصب من الجانبين و ليس فيه متّسع إلّا للسفينة. و كان الوقت حارّاً. و هاج علينا من ذلك القصب بقّ كلّ واحدة منها مثل الزنبور

و أينما لدغ ورم موضعه. ذلك الطريق اسمه طريق الشريف.

و في ذلك الطريق الضيّق رأينا جماعة من أهل الجاموس. فقصدناهم و كنّا جياعاً. فخرجنا عليهم وقت العصر و فرش لنا صاحب البيت فراشاً. فصار وقت المغرب. فلمّا صلّينا، صرنا في انتظار العشاء. و ماجاء لنا بشيء حتّى أتى وقت النوم و اشتدّ جوعنا و أخذ النوم. فنمنا جياعاً. فلمّا بقي من اللّيل بقيّة قليلة، جاء صاحب البيت إلى قربنا و شرع ينادي جاموسه و يقول: يا صبغا و يا قرحاء هاي. فلمّا رفع صوته و سمعت الجاموس ذلك الصوت، أقبلن إليه من بين القصب. فلمّا خرجن إليه، سألت واحداً منهم: ما يريد هذا الرجل من هذا الجاموس؟ فقال: يريد أن يحلبهنّ و يبرّد الحليب و يطبخ لكم طعاماً من الحليب و الأرزّ. فقلت: إنّا لله و إنّا إليه راجعون. و أخذني النوم.

فلمّا قرب الصباح أتى بقصعة كبيرة و أيقظنا. فلم نر على وجه تلك القصعة شيئاً من الأرزّ. فمددنا أيدينا فيها إلى المرافق فوقعنا على حبّات منه في قعر تلك الجفنة و شربنا من ذلك الحليب. و يا لها من ليلة ما أطولها و ما كان أجوعنا فيها، خصوصاً لمّا شربنا من هذا الحليب!

فركبنا بعد طلوع الشمس و أتينا إلى الحويزة. و قد كان أخي قبلي ضيفاً عند رجل من أكابرها و يقرأ في شرح الجامي عند رجل من أفاضلها. فتشاركنا في الدرس و بقينا نقرأ عنده في شرح الجاربرديّ على الشافية. و هذا الأستاد أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ قد استخدم علينا كثيراً. و اسمه الشيخ حسن بن سبتي. و كان قد عيّن على كلّ واحد منّا، انّا إذا أردنا قضاء الحاجة أو البول و مضينا إلى جرف الشطّ، أن يأتي كلّ واحد منّا معه بصخرتين أو آجرتين من قرب قلعة الترك. فربّما تردّدنا في اليوم إلى الشطّ مراراً و هذا حالنا. فلمّا اجتمع عنده صخر كثير، أراد أن يبني منزله. فطلب و كنّا نحن العملة، فبنينا له ما أراد بناه من البيوت.

و إذا مضينا معه إلى الحويزة العتيقة و أردنا الرجوع قال: يا أولادي، تمضون و تمشون

من غير حمل؟ فكان يطلب سمكاً عتيقاً من أهلها و أشياء أخرى و يقول لنا: احملوه. فكنّا نحمله و ماؤه يجري على وجوهنا. و كنّا إذا أردنا كتابة حاشية من كتابه ما يأذن لنا، لكن ربما أخذنا الكتاب منه سرقة و كتبنا منه بعض الحواشي. و هكذا كان حاله ﷺ معنا. و كنّا راضين بخدمته غاية الرضا لبركات أنفاسه الشريفة في الدرس. و كان طاب ثراه حريصاً على الكتب و بقيت بعده عند أزواج بناته لا يعرف لها قيمة.

و هذا كان حالنا في الدرس. و أمّا بالنسبة إلى المآكل، فقد قلنا إنّنا كنّا في بيت رجل من أكابرها. و في أكثر الأوقات كنّا نبقى في المدرسة لأجل المباحثة إلى وقت الظهر، فإذا مضينا إلى منزل الرجل، وجدناهم فرغوا من الغذاء فنبقى إلى اللّيل. و قد كان صاحبي يلقط قشور البطّيخ و الرقي من الأرض و يأكلها بترابها. و كان يستتر عنّي بهذا حياء و خجلاً. و كنت أنا أفعل مثل فعله. فأتيت يوماً و طلبته فرأيته قد جمع القشور و جلس تحت الباب يأكلها بترابها. فلمّا رأيته ضحكت. فقال: و ما يضحكك؟ فقلت: لأنّ هذه حالتي أنا و كلّ منّا يكتم حاله عن الآخر. فقال: فإذا كان هذه حالنا فنجمع هذه القشور كلّ يوم و نغسلها بالماء و نأكلها.

فبقينا على هذا مدّة، و كنّا في تلك المدّة نطالع على نور القمر. و كنت تعمّدت حفظ متون الكتب مثل الكافية و الشافية و ألفيّة ابن مالك و نحوها، فإذا كانت اللّيالي مقمرة، كنت أطالع. و إذا جاءت اللّيالي السود، كنت أكرّر قراءة تلك المتون على ظاهر قلبي حتّى لا أنساها. و كان أهل المجلس يجلسون و أنا معهم، و كنت أظهر لهم صداع رأسي فأضع رأسي بين ركبتيّ و أقرأ تلك المتون.

و هكذا كان حالي. فبقيت على هذا مدّة. فأتى والدي من الجزائر و قال: إنّ أمّكما تريدكما. فأخذنا معه إلى الجزائر و بقينا فيها أيّاماً قلائل. فرجعنا أيضاً إلى الحويزة فرأينا رجلاً من أهل الجزائر يريد السفر إلى شيراز. فأخذ المرحوم أخي كتبه و أسبابه و مضى إلى البصرة، و أتيت أنا معه إلى الجزائر. و كان شهر رمضان. فبقيت عند أهلي أربعة أيّام. و

ركبت أنا و ذلك الرجل في سفينة و قصدنا البصرة. فلمّا ركبت السفينة من غير خبر من أهلي، ظننت أنّ والدي يطلبني، فقلت لأهل السفينة: أنا أخلع ثيابي و أنزل الماء و أقبض سكّان السفينة و السفينة تجري، فكنت في الماء و السفينة تسير حتّى لايراني أحد. فلمّا أيست من الطلب ركبت في السفينة.

و في أثناء الطريق رأينا جماعة على جرف الشطّ و نحن في وسطه. فصاح لهم ذلك الشيخ و قال: أنتم من الشيعة أم من السنّة؟ فقالوا: نحن من السنّة. فقال: لعن الله [فلان و أبا زينب و فلان. أتعرفون أنّ أبا زينب ـ خ ل] عمر و أبابكر و عثمان. أتعرفون أنّ عمر كان مخنّثاً؟ فصاحوا عليه بالشتم و اللّعن. فضجّوا أهل السفينة عليهم و السفينة تجري و تلك الجماعة على جرف الشطّ يمشون و يرموننا بالحجارة. فبقينا على هذا الحال معهم نصف نهار، فمضينا إلى البصرة. و كان سلطانها في ذلك الوقت حسين باشا. فبقينا فيها نقرأ عند رجل فاضل من أجلّاء السادة. فبقينا مدّة قليلة.

ثمّ إنّ والدي﵀ تبعنا فأتى ليأخذنا إلى الجزائر. فأظهرنا له الرغبة إلى ما أراد، فأتينا إلى سفينة و استأجرنا مكاناً فيها من غير خبر والدي فركبنا فيها و سافرنا إلى شيراز. فخرجنا من السفينة إلى بندر حماد. و استأجرت أنا و أخي دابّة واحدة لقلّة ما عندنا من الدراهم، و ذلك الطريق صعب جدّاً من جهة الجبال. فقطعت تلك الجبال كلّها و أنا حافي الأقدام. و كان عمري في ذلك اليوم يقارب الإحدى عشرة سنة.

فوصلنا إلى شيراز صلاة الصبح فمضينا إلى بيت ذلك الشيخ الذي كان معنا. و كان منزله بعيداً من مدرسة المنصوريّة و نحن كنّا نريد السكنى فيها لأنّ بعض أقاربنا كان فيها. فقال لنا ذلك الشيخ: خذوا الطريق و اسألوا و قولوا: مدرسة المنصوريّة «مى‌خواهيم». و معناه بالعربيّة: نريدها. فمضينا نمشي. فحفظت أنا كلمة و أخي كلمة أخرى. فكنّا إذا سألنا قال أحدنا: مدرسة المنصوريّة، قال الآخر: «مى‌خواهيم». فوصلنا إلى تلك المدرسة فجلست أنا في الباب و دخل أخي إليها. فكان كلّ من يخرج من طلبة العلم و يراني يرقّ

لحالي و ما أصابني من آثار التعب.

فلمّا وجدنا صديقنا، قعدنا معه في حجرته، و أخذنا في اليوم الآخر لزيارة رجل فاضل و هو الشيخ البحرانيّ، فكان يدرّس في شرح ألفيّة ابن مالك. فسلّمنا عليه و أمر لنا بالجلوس. فلمّا فرغ سألنا: من أين القدوم؟ فحكينا له الأحوال. فقام معنا فأخذني إلى وراء أسطوانة المسجد فلزم أذني و عركها عركاً شديداً و قال: أيّها الولد، إن لم تجعل نفسك شيخاً للعرب و تحبّ الرئاسة فيضيع به وقتك، تصير رجلاً فاضلاً. فلزمت كلامه و انزويت عن الأحباب و الأخلّاء في وقت قراءتي. فمضى معنا إلى متولّي المدرسة فعيّن لنا شيئاً قليلاً لا يفي بوجه من الوجوه.

ثمّ شرعنا قراءة الدرس عند ذلك الشيخ و عند غيره. فلمّا مضت لنا أيّام قلائل، قال لي أخي و صديقي: ينبغي أن نرجع إلى الجزائر. لأنّ المعاش قد ضاق علينا. فقلت لهم: أنا أكتب بالأجرة و أعبر أوقاتي. فكتبت بالأجرة لمعاشي و كاغذي و ما أحتاج إليه. و كنت أيضاً أكتب أربعة دروس للقراءة و أحشّيها و أصحّحها وحدي. و كان حالي في وقت الصيف الحارّ أنّ طلبة العلم يصعدون إلى سطح المدرسة و أنا أغلق باب الحجرة و أشرع في المطالعة و الحواشي و تصحيح الدرس إلى أن يناجي المؤذّن قريب وقت الصبح، ثمّ أضع وجهي على الكتاب و أنام لحظة. فإذا طلع الصبح شرعت في التدريس إلى وقت الظهر. فإذا أذّن المؤذّن قمت أسعى إلى درسي التي أقرؤها. فربّما أخذت قطعة خبز من دكّان الخبّاز في طريقي فآكلها و أنا أمشي. و في أغلب الأوقات ماكان يحصل فأبقى إلى اللّيل. و كنت في أكثر أحوالي إذا جاء اللّيل لم أعلم أنّي أكلت شيئاً في النهار أم لا، فإذا تفكّرت تحقّقته أنّي لم آكل شيئاً.

فأتى لي زمان ماكان عندي دهن سراج للمطالعة، فأخذت غرفة عالية و جلست بها و كان لها أبواب متعدّدة. فكنت إذا أضاء القمر فتحت كتابي للمطالعة. و كلّما دار القمر فتحت باباً من الأبواب. و بقيت على هذه الحالة مدّة سنتين، فضعف بصري فهو ضعيف إلى هذا الآن. و كان لي درس أكتب حواشيه بعد صلاة الصبح في وقت الشتاء. و كان الدم يجري من

يدي من شدّة البرد و كنت لا أشعر به.

و هكذا كانت الأحوال إلى ثلاث سنوات. فشرعت في تأليف مفتاح اللّبيب على شرح التهذيب في علم النحو، و متنه من مصنّفات شيخنا بهاء الدين محمّد تغمّده الله برحمته. و كتبت في ذلك الوقت شرحاً على الكافية.

فقرأت علوم العربيّة عند رجل فاضل من أهل البغداد، و الأصول عند رجل محقّق من أهل الأحساء، و المنطق و الحكمة عند المحقّقين المدقّقين شاه أبي‌الوليّ و ميرزا إبراهيم، و علم القراءة عند رجل فاضل من أهل البحرين. و كنّا جماعة نقرأ عند الشيخ الجليل الشيخ جعفر البحرانيّ. و كنت أنا أسمع ذلك الدرس بقراءة غيري. فإذا أتينا إلى ذلك الشيخ، فكلّ من يجلس قبل يقول له: اقرأ، حتّى يجلس القارئ. و كان يشجّعنا على الدرس و على فهم معناه من المطالعة و يقول لنا: إنّ الأستاد إنّما هو للتيمّن و التبرّك، و إلّا ففهم الدرس و تحقيق معناه إنّما هو من مطالعة التلميذ.

و قد اتّفق أنّه جاءنا خبر فوت جماعة من أعمامنا و أقاربنا، فجلسنا ذلك اليوم في عزائهم و ما رحنا إلى الدرس. فسأل عنّا و قيل له: إنّهم أهل مصيبة. فمضينا إلى الدرس اليوم الثاني، فلم يرض أن يدرّسنا و قال: لعن الله أبي و أمّي إن درّستكم! كيف ماجئتم أمس إلى الدرس؟ فحكينا له، فقال: كان ينبغي أن تجيئوا إلى الدرس فإذا أقرأتموه انصرفتم إلى عزائكم. هذا أبوكم يأتيكم أيضاً خبر فوته فتقطعون الدرس. فحلفنا له أنّا لا نقطع الدرس يوماً واحداً و لو أصابنا ما أصابنا، فقبل أن يدرّسنا بعد مدّة.

و اتّفق أنّا كنّا نقرأ عنده في أصول الفقه في شرح العميديّ، فاتّفقت فيه مسألة لا تخلو من إشكال، فقال لنا ـ و نحن جماعة ـ: طالعوها هذه اللّيلة. فإذا أتيتم غداً، فكلّ من عرفها يركب صاحبه و يحمله من هذا المكان إلى ذلك المكان. فلمّا أتينا إليه غداً و قرّر أصحابي تلك المسألة، قال لي: تكلّم أنت. فتكلّمت. فقال: هذا هو الصواب. و كلّ ما قاله الجماعة غلط. فقال لي: أمل عليّ ما خطر بخاطرك حتّى أكتبه حاشية على كتابي. فكنت أنا أملي عليه

و هو يكتب. فلمّا فرغ قال لي: اركب على ظهر واحد واحـد مـن أصـحابك إلى هـناك. فحملوني إلى ذلك المكان. و هذا كان حاله.

فأخذني ذلك اليوم معه إلى بيته و قال لي: هذه ابنتي أريد أن أزوّجك بها. فقلت: إن شاء الله تعالى إذا توسّعت في طلب العلم. فاتّفق أنّه سافر إلى الهند و صار مدار حيدر آباد عليه. و قد سألته يوماً عن تفسير شيخنا الشيخ عبدعليّ الحويزيّ الذي ألّفه من الأخبار، فقال لي: ما دام الشيخ عبدعليّ حيّاً فتفسيره لايساوي قيمة فلس. فإذا مات، فأوّل من يكتبه بماء الذهب أنا. ثمّ قرأ:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى	لوماً و بخـلاً فـإذا مـا ذهب
لجّ بـه الحـرص عـلى نكـتة	يكـتبها عـنه بمـاء الذهب

و نظير هذا أنّ رجلاً من فضلاء إصفهان صنّف كتاباً، فلم يشتهر و لم يكتبه أحد. فسأله رجل من العلماء: لم لايشتهر كتابك؟ فقال: إنّ له عدوّاً. فإذا مات اشتهر كتابي. فقال له: و ما هو؟ قال: أنا. و قد صدق في هذا الكلام.

و بقيت في شيراز تسع سنوات تقريباً، و قد أصابني فيها من الجوع و التعب ما لايعلم به إلّا الله. و في خاطري: انّي قد بقيت يوم الأربعاء و الخميس ماوقع في يدي إلّا الماء. فلمّا أتت ليلة الجمعة، رأيت الدنيا تدور بي و قد اسودّت كلّها في عيني. فمضيت إلى قبّة السيّد أحمد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام فأتيت إلى قبره و لزمته و قلت له: أنا ضيفك. فكـنت واقفاً، فإذا رجل سيّد قد أعطاني قوت تلك اللّيلة من غير طلب. فحمدت الله و شكرته.

و مع ما كنت فيه من الجدّ و الاجتهاد، كنت كثيراً ممّا أتنزّه في البساتين و الأمـاكـن الحسنة مع الأصحاب و الأعلام، و في وقت الورودات نمضي إلى البسـاتين و نـبقى فـيها أسبوعاً و أقلّ و أكثر، ولكنّ الاشتغال ما كنت أفوته من يدي. و قد منّ الله عليّ في شيراز بأصحاب صلحاء نجباء علماء و كانوا موافقين لي في السنّ.

و من جملة رياضاتي للدرس أنّ صاحباً لي كان منزله في طرف شيراز. و كنت أبات

عنده لأجل دهن السراج حتّى أطالع. و كان لي درس أقرؤه على ضوء السراج آخر اللّيل في مسجد الجامع، و هو في طرف آخر من البلاد، و أقوم من هناك ـ و قد بقي من اللّيل بقيّة كثيرة ـ و معي عصاً و بين ذلك المنزل و بين المسجد أسواق كثيرة، و في آخر اللّيل و ليس في شيء منها سراج بل كلّها مظلمة. و الداهية العظيمة أنّ عند كلّ دكّان بقّال كلب يقرب من العجل لحراسة ذلك الدكّان. و كنت أجيء وحدي من ذلك المكان البعيد. فإذا وصلت إلى السوق، لزمت جداره حتّى أهتدي إلى الطريق. و إذا وصلت إلى دكّان البقّال، شرعت في قراءة الأشعار جهراً حتّى لايظنّ الكلب أنّي سارق، بل كان يظنّ أنّنا جماعة عابرين الطريق. و كنت عند كلّ دكّان أحتال على الكلب بحيلة حتّى أخلص منه.

و بقيت على هذا برهة من الزمان. و كنت في مدرسة المنصوريّة و حجرتي فوق و لاكنت أحبّ أحداً يجيء إليّ و لايمشي إلى قريب منها، و كنت أحبّ الانفراد و الوحدة. و بقيت على هذه الأحوال تلك المدّة.

ثمّ كاتبني والدي و والدتي و ألحّوا عليّ في الوصول إلى الجزائر، فمضيت إليهم أنا و أخي سنة موج الجزائر الأخير. لأنّ الموج الأوّل موج عواد. فلمّا وصلنا إلى الأهل، فرحوا بنا لقدومنا و لأنّ كلّ من مضى من تلك البلاد رجع من غير علم. فقالت والدتي: ينبغي أن تتزوّجا حتّى أرضى عنكما. فقلت: إنّ علم الحديث و الفقه قد بقي علينا قراءته. فقالت: لابدّ أن تتزوّجا. و كان الحامل لها على هذا هو أنّا إذا تزوّجنا ألزمنا السكنى معها. فقبلنا كلامها و تزوّجنا.

و بقيت بعد التزويج قريباً من عشرين يوماً، فمضيت إلى زيارة رجل فاضل في قرية يقال لها نهر صالح. فلمّا اجتمعنا و تباحثنا في العلوم العقليّة فقال لي: وا أسفا عليك! كيف فاتك علم الحديث؟ فقلت: و كيف فاتني علم الحديث؟ قال: لقولهم: ذبح العلم في فروج النساء. فرماني في الغيرة فقلت له: و الله ـ يا شيخ ـ لاأرجع إلى أهلي. و ها أنا إذا قمت من مجلسك، توجّهت إلى شيراز. فاستبعد قولي. فقمت منه و ركبت في سفينة و أتيت إلى القرنة.

و كان فيها سلطان البصرة، فأخذني معه إلى الصحراء للتنزّه. فلمّا رجعنا أتيت إلى البصرة و لاحظت أنّ والدي يتبعني. فركبت في سفينة و قصدت شيراز فأتيت إلى تلك المدرسة و لحقني أخي فأقمنا فيها. و أتى إلينا خبر فوت الوالد ـ تغمّده الله برحمته ـ فبقينا بعده شهراً أو أقلّ.

ثمّ إنّ مدرسة المنصوريّة احترقت و احترق فيها واحد من طلبة العلم و احترق لي فيها بعض الكتب. و صارت بعض المقدّمات فسافرنا إلى إصفهان. و كنّا جماعات كثيرة. و أصابنا في الطريق برد تيقّنّا معه الهلاك. فمنّ الله علينا بالوصول فجلسنا في مدرسة ليس فيها إلّا أربع حجرات في «سرنيم آورد». و جلسنا في حجرة واحدة. و كنّا جماعة كثيرة. فكنّا إذا نمنا في تلك الحجرة و أراد واحد منّا الانتباه في اللّيل لحاجة، انتبهنا جميعاً.

ثمّ إنّه قد تضايقت علينا أمور المعاش و بعنا ما كان عندنا من ثياب و غيرها. و كنّا نتعمّد أكل الأطعمة المالحة لأجل أن نشرب ماء كثيراً و نأكل الأشياء الثقيلة لذلك أيضاً.

ثمّ بعد هذا منّ الله عليّ بالمعرفة مع أستادنا المجلسيّ ـ أدام الله أيّام سلامته ـ فأخذني إلى منزله و بقيت عندهم في ذلك المنزل أربع سنين تقريباً. و قد عرّفت أصحابي عنده فأيّدهم بأسباب المعاش و قرأنا عليه الحديث.

ثمّ إنّ رجلاً اسمه ميرزا تقيّ بنى مدرسة و أرسل إليّ و جعلني فيها مدرّساً، و المدرسة تقرب من حمّام الشيخ بهاء الدين محمّد تغمّده الله برحمته. فأقمت في إصفهان أقرأ و أدرّس ثمان سنوات تقريباً.

ثمّ أصابني ضعف في البصر بكثرة المطالعة، و كان في إصفهان جماعة كحّالون فداووا عيوني بكلّ ما عرفوا، فما رأيت من دوائهم إلّا زيادة الألم. فقلت في نفسي: أنا أعرف منهم بالدواء. فقلت لأخي ﷺ : إنّي أريد السفر إلى المشاهد العالية. فقال: أنا أكون معك.

فسافرنا من طريق إصفهان. و في أثناء الطريق وصلنا إلى كرمان شاه و تجاوزناها، و قمنا من منزل و نريد منزلاً آخر و هو الهارونيّة بناها هارون الرشيد لعنه الله تعالى. فلمّا

صعدنا الجبل، أصابنا فوقه مطر و هواء بارد، و صار الصخر تزلق فيه الأقدام و لا يـقدر يستمسك الراكب على الدابّة من الهواء البارد و شدّته و المطر. فشرعت أنا في قراءة آية الكرسيّ، فليس أحد من أهل القافلة إلّا و قد سقط من الدابّة و أنا ـ بحمد الله ـ وصلت إلى المنزل سالماً.

فلمّا وصلنا المنزل كان فيه خان صغير و له حوش و ليس فيه حجر. و إنّما فيه طوائل للدوابّ و مرابطها. فأدخلنا أعراضنا و الكتب إلى طويلة و وضعنا فوق صفّتها. فاتّفق أنّ تلك الطوائل كان فيه أسماد كثير و قد عمد إليه بعض المتردّدين و وضع فيه النار لأجل أن يحترق ذلك السماد، فما كان في تلك الطوائل إلّا الدخان الخانق و مطرت السماء فتحيّرنا بين المطر و الدخان، فكنّا نقبض على خياشمنا، فإذا ضاقت أنفاسنا خرجنا مـن الطـويلة إلى الحوش و تنفّسنا و رجعنا. فكنّا تلك اللّيلة وقوفاً ليس لنا حاجة إلّا الخروج للتنفّس. و يا إخوان ما كان أطول تلك اللّيلة! فلمّا أصبح الصباح و طلعت الشمس و خرجنا إلى الحوش و جاءنا أهل تلك القرية يبيعون علينا الخبز و غيره، فأتت إلينا امرأة منهم و كان لها لحية طويلة نصفها بيضاء و نصفها سوداء فتعجّبنا منها.

ثمّ إنّنا وصلنا إلى بعقوبا فأودعنا كتبنا و أعراضنا لأهل القافلة و مضينا نحن مع جماعة قليلة إلى سرّ من رأى. فلمّا عزلنا القافلة و سرنا فرسخاً تقريباً، لقينا رجل فقال لنا: إنّكم تمضون و اللّصوص أمامكم في نهر الباشا. فتردّدنا في الرجوع و المضيّ، فصار العزم عـلى المضيّ. فلمّا وصلنا إلى ذلك النهر، طلعت علينا خيولهم فعدوا علينا، فقرأت آية الكرسيّ و أمرت أصحابي بقراءتها. فلمّا وصلوا إلينا، انفردوا عنّا ناحية و كانوا يتفكّرون. فرأيـناهم جاؤوا إلينا و قالوا لنا: قد ضللتم عن الطريق. و كان الحال كما قالوا. فأرسلوا معنا رجلاً منهم و سار معنا إلى قرب المنزل و هو القازاني استقبلنا جماعة من سادات سرّ مـن رأى لأجل أن يأخذونا. و كان آخر اختيارنا من أرواحنا و أموالنا أوّل وقوعنا بأيديهم. و كانت عندنا دوابّ. فقالوا: ينبغي أن تركبوا دوابّنا لأجل الأجرة. فركبنا دوابّهم.

فوصلنا إلى المشهد المبارك في اللّيل فنزلنا في بيت ذلك السيّد. فأتت إلينا امرأة بقبضة حطب قيمتها أقلّ من الفلس. فلمّا صلّينا الصبح قلنا له: نروح إلى الزيارة. قال: لا حتّى تأكلوا الضيافة من عندي. فقلنا له: نحن معنا من الخبز و اللّحم ما يكفينا. فقال: لايكون هذا. فبعد ساعة قدّم إلينا جفنة من الخشب كبيرة و فيها ماء أسود لاندري ما يكون تحته و فيها خواشيق. فقلنا: هذا أيّ شيء؟ فقال: مدّوا أيديكم. فمددنا أيدينا. و كان ذلك الماء حارّاً، فمددنا الخواشيق فقصرت عن الوصول إلى قعر الجفنة. فمددنا بعض أيدينا و تناولنا بالخواشيق ما في قعر الجفنة. فكان حبّات أرزّة، و كان قد غلاها مع ذلك الماء. فشربنا كلّ واحد خاشوقة و قمنا للزيارة. فقال لنا ذلك السيّد المبارك: اعلموا ـ يا ضيفاني ـ أنّ سادة سامرّا ليس لهم خوف من الله و لا حياء، فإذا دخلتم قبّة الإمام عليه السلام أخذوا ثيابكم. ولكنّكم أكلتم ملحي، فأنا أنصحكم أن تجعلوا ما عندكم من الثياب الجديدة عندي في منزلي و خذوا خلقان ثيابكم حتّى لو أخذت منكم ترجعون إلى هذه الثياب. فاستعقل كلامه أصحابنا و وضعوا ثيابهم عنده. و أمّا أنا فقلت: قد أصابني البرد هذه البارحة. فلبست ثيابي واحداً فوق الآخر.

فلمّا مضينا إلى الزيارة، أخذوا منّا في الباب الأوّل من كلّ واحد أربع محمّديّات. فلمّا وصلنا الباب الثاني، أخذوا منّا أيضاً. فزرنا موالينا و أتينا إلى السرداب. فلمّا نزلنا إليه أحاطوا بنا تحت الأرض فأخذوا ما أرادوا. و كأنّي أرى طرف مئزر واحد من أصحابي في يده، و الطرف الآخر في يد رجل سيّد من السادة، فأخذه السيّد و بقي صاحبي مكشوف الرأس.

فأتينا إلى منزل صاحبنا فقلنا له: هات الثياب. فقال: أوّلاً حاسبوني على حقوقي و ادفعوها إليّ. فقلنا: هكذا يكون فاحسبها أنت. فقال: الأوّل حقّ الاستقبال. فقلنا له: هذا حقّ واضح. فقال: لخواطركم كلّ واحد محمّديّتين. فأخذ منّا. ثمّ قال: حقّ المنزل البارحة. فأخذ حقّه. ثمّ قال: حقّ الحطب. فأخذ من كلّ واحد نصف محمّديّة. ثمّ قال: حقّ المرأة التي

أتت به. فأخذ ما أراد ثمّ قال: و الحقّ الأعظم حقّ الضيافة و هو من كلّ واحد محـمّديّة. فأخذ ذلك الحقّ ثمّ قال: حقّ الحماية و هو أنّكم في منزلي. و لولاه كان السادة أخذوا ما معكم. فأخذ ذلك الحقّ فقال: حقّ المشايعة. فأخذه. فلمّا قبض الحقوق كلّها قلنا له: أعطنا الثياب. فقال: قولوا مع أنفسكم إنّنا أخذناها معنا لمّا دخلنا القبّة الشريفة، و أماكان السادة يأخذونها منكم؟ فها أنا من السادة و أخذتها منكم من غير إهانة بكم. فقلنا له: جزاك الله خيراً!

فرجعنا إلى بغداد و أتينا من بغداد إلى مشهد الكاظمين‌عليهماالسلام. ثمّ أتينا إلى زيارة مولانا أبي عبدالله الحسين‌عليه‌السلام و كنت قد أخذت تراباً من عند رأس كلّ إمام. فأخذت من تراب رجلي الحسين‌عليه‌السلام و وضعته فوق ذلك التراب و اكتحلت به. في ذلك اليوم قوي بصري على المطالعة و صار أقوى من الأوّل. و كنت قد ألّفت شرحاً عـلى الصـحيفة الشريـفة، فشرعت في إتمامه ذلك اليوم. و إلى الآن كلّما عرض لي رمد أو غيره، اكتحلت بشيء من ذلك التراب و يكون هو الدواء.

و لمّا قدمت إلى مشهد مولانا أميرالمؤمنين‌عليه‌السلام و زرته، مددت يدي إلى تحت الفراش من عند رأسه المبارك لأخذ شيء من التراب، فجاءت في يدي درّة بيضاء من درّ النجف فأخذتها. و لمّا خرجت قلت لإخواننا المؤمنين فتعجّبوا و قالوا: ما سمعنا بأنّ أحداً وجد درّة النجف في هذا المكان، بل هذا ملك أتى بها و وضعها في هذا المكان. و ذلك أنّه قبل ذلك التاريخ بأعوام كثيرة قد وجد واحد من الخدّام درّة في صحن الحوش فأخذها منه المتولّي و أرسلها إلى حضرة الشاه صفيّ لأنّها وجدت في ذلك المكان. و الحـاصل أنّ تـلك الدرّة صنعناها خاتماً و هي الآن عندنا نتبرّك بيامنها. و قد شاهدنا لتلك الدرّة أحوالات عجيبة:

منها أنّني كنت لابساً ذلك الخاتم، فمضيت إلى مسجد الجامع في شوشتر فصلّيت المغرب و العشاء و أتيت إلى المنزل. فلمّا جلست عند السراج و نظرت إلى فصّ الخاتم لم أره. و كان قد وقع في ذلك اللّيل. فضاق صدري و حزنت حزناً عظيماً. فقال لي بعض تلامذتي: نأخذ

سراجاً و نروح في طلبه. فقلت لهم: لعلّه أن يكون قد وقع منّي النهار و أنا اليوم مضيت إلى أماكن متعدّدة. فقلت لهم: توكّلوا على الله و اطلبوه. فأخذوا سراجاً و مضوا. فأوّل ما وضعوا السراج قرب الأرض لطلبه وجدوه، مع أنّه بمقدار الحمصة. فعجب الناس من هذا. فلمّا بشّروني، تخيّلت أنّ أموال الدنيا وهبت لي. و الحمد لله هو الآن موجود.

و لمّا فرغنا من الزيارة، شرعنا في زيارة الأفاضل و المجتهدين و المباحثة معهم و مصاحبتهم. ثمّ أتينا إلى الرماحية و كنت ضيفاً عند رجل من المجتهدين. و بقيت عنده أيّاماً قلائل. فاستأجرت سفينة و ركبت فيها قاصداً للجزائر. فسارت السفينة فرسخين تقريباً، ثمّ وقفت على الطين فبقيت واقفة يوماً و ليلة، ثمّ سارت فرسخاً أو أكثر، ثمّ وقفت كالأوّل، ثمّ سارت و هكذا. فتعجّب أهل السفينة و قالوا: ماجرى هذا قطّ على سفينتنا. فتفكّرت أنا و قلت في نفسي: هذا الشهر جمادى و صارت زيارة رجب قريبة و أنا تركتها و قصدت الجزائر. و لا يكون هذا التعويق إلّا لهذا.

فقلت لصاحب السفينة: إن أردت أن تسير سفينتك فأخرجني منها. و قلت له الكلام فتعجّب. فقلت له: إنّ قدّامنا في حقروص رجلاً من إخواننا. فأنا أخرج إلى منزله حتّى تصل السفينة إلى مقابل منزله فنخرج أثاثنا. فأخرج معي رجلاً ليدلّني على الطريق. فلمّا خرجنا و مشينا، جرت السفينة، و قد تقدّمتنا فوصلنا إلى منزل ذلك المؤمن و أرسل غلامه و تبع السفينة حتّى أتى بأسبابي منها. فبقيت عند ذلك المؤمن أيّاماً قلائل و سافرت أنا و هو إلى زيارة رجب، ثمّ زرنا مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام ثانياً.

فلمّا فرغنا من الزيارات، أتينا إلى منزل ذلك الرجل المؤمن في حقروص و كان على شاطئ الفرات. و كان له مجلس فوق غصن شجرة قويّ في وسط الماء، و السفن تجري من تحته. فمارأيت مكاناً أنزه و لا ألطف و لا آنس منه. و كانوا في النهار يصيدون الحجل و الدرّاج و نأكله في اللّيل و ماء الفرات. و لاتسأل عن عذوبته و لطافته و حلاوته و بركته؛ لأنّه ورد في الحديث أنّه يصبّ فيه ميزاب من ماء الجنّة كلّ يوم. و في الحديث أنّه كان

يبرئ الأكمه و الأبرص و ذوي العاهة، لكن باشره نجاسة أبدان المخالفين فأزال عظيم بركته و بقي القليل. و كان مولانا الصادق عليه السلام يقصده من المدينة ليشرب منه و يغتسل به و يرجع. و قد ورده يوماً فقال لرجل كان على الماء: ناولني بهذا القدح ماء. فناوله. ثمّ قال: ناولني أخرى. فناوله فشرب و أجرى الماء على لحيته الشريفة. فلمّا فرغ قال: الحمد لله ربّ العالمين. ما أعظم بركته!

ثمّ إنّي ركبت في السفينة و جئت إلى الجزائر. فلقيت جماعة من أهل السفينة الأولى فقالوا لي: إنّه من وقت خروجك منها ماوقفت ساعة واحدة إلّا بالمنزل. فلمّا وصلت إلى الجزائر إلى منزلنا في الصباغيّة في نهر المدك، فرحوا أهلي. و ذلك أنّ أخي تقدّمني بالمجيء من شطّ بغداد و لمّا رأته والدتي، خطر ببالها الخواطر من جانبي و أنّه ماتأخّر إلّا لقضيّة حادثته. فبقيت في الجزائر مع أخي في الصباغيّة ثلاثة أشهر و شرعت في شرح تهذيب الحديث هناك. ثمّ انتقلنا إلى نهر صالح فرأينا أهلها أخياراً صلحاء و علماؤها من أهل الإيمان منزّهين عن النفاق و الحسد. فأحسن كلّهم إلينا إحساناً كاملاً. فبقينا هناك ستّة أشهر أو أكثر. و بنوا لنا مسجداً جامعاً كان من الأوّل يصلّي فيه شيخنا الأجلّ خاتمة المجتهدين الشيخ عبد النبيّ الجزائريّ، و كنّا نصلّي فيه جماعة لا جمعة.

ثمّ إنّ السلطان محمّد بعث عساكره إلى سلطان البصرة للحرب معه و يأخذ منه الجزائر و البصرة. فذهب فكر سلطان البصرة إلى أنّه يخرّب الجزائر و البصرة و ينقل أهلهما إلى مكان اسمه سحاب قريب الحويزة. فانتقلنا كلّنا إليها و وضع عسكره في قلعة القرنة، و جلس هو مع أهل الجزائر في سحاب. و كان يجيء إلى عندنا، فإذا جاء وضعوا له في الصحراء عباءة، و إذا أتيت إليه قام و أجلسني معه على تلك العباءة. و كان يظهر المحبّة و الوداد لي كثيراً. فلمّا قرب إلينا عساكر السلطان محمّد و حصروا القلعة، كانوا يرمونها كلّ يوم ألف مدفع أو أقلّ، و كانت الأرض ترجف من تحتنا هذا و أنا مشغول في تأليف شرح التهذيب. فبعثت العيال و أكثر الكتب مع أخي إلى الحويزة و بقيت أنا و كتب التأليف.

ثمّ إنّي طلبت الإذن من السلطان في السفر إلى الحويزة. فلم يأذن لي و قال: إذا خرجت أنت من بيننا، ما يبقى معي أحد. فبقينا في الحصار أربعة أشهر تقريباً، فأتى شهر الله شهر رمضان فسافرت إلى الحويزة و كنت أنتظر الأخبار. فلمّا كان ليلة الحادية عشرة من ذلك الشهر و هي ليلة الجمعة، خاف سلطان البصرة من خيانة عسكره و فرّ هارباً إلى الدورق.

فبلغ الخبر إلى أهل الجزائر طلوع فجر يوم الجمعة، ففرّت النساء و الرجال و الأطفال و الشيوخ و العميان و كلّ من كان ذلك الإقليم طالبين الحويزة، و بينهم و بينها مسير ثلاثة أيّام، لكنّها مفازة لا فيها ماء و لا كلاء بل أرض يابسة. فمات من أهل الجزائر في تلك المفازة عطشاً و جوعاً و خوفاً ما لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى. و كذلك العسكر الذي في القرنة قتل منه أيضاً خلق كثير. و الحاصل أنّ من شاهد تلك الواقعة عرف أحوال يوم القيامة.

و أمّا سلطان الحويزة قدّس الله روحه و هو السيّد علي خان، فأرسل عساكر لاستقبال أهل الجزائر و أرسل لهم ماء و طعاماً. جزاه الله عنهم كلّ خير. ثمّ إنّنا أقمنا عنده في الحويزة شهرين تقريباً و سافرنا إلى إصفهان لكن من طريق شوشتر.

فلمّا وصلنا شوشتر، رأينا أهلها من أهل الصلاح و الفقر و يودّون العلماء. و كان فيهم رجل سيّد من أكابر السادة اسمه ميرزا عبدالله. فأخذنا إلى منزله و عيّن لنا كلّ ما نحتاج إليه. و الآن هو قد مضى إلى رحمة الله، لكنّه أعقب ولدين السيّد شاه مير و السيّد محمّد مؤمن و فيهما من صفات الكمال ما لا يحصى مع صغر سنّهما، و لا وجد في العرب و العجم أكرم منهما و لا يقارب أخلاقهما. وفّقهما الله تعالى لجميع مراضيه. ثمّ إنّ والدهما أرسل إلى أهلنا من الحويزة. و لمّا جاؤوا عيّن لهم منزلاً و كلّ ما يحتاجون إليه. فبقينا في شوشتر تقريباً من ثلاثة أشهر و سافرنا إلى إصفهان على طريق ديه‌دشت و بقي الأهل في شوشتر. فلمّا قدمنا ديه‌دشت، أخذنا حجرة في الخان و جلسنا بها. ثمّ بعد ساعة قلت لواحد من الرفقاء: اذهب و انظر لعلّ لنا فيها صديقاً يأخذ لنا منزلاً إلى كم يوم.

فلمّا خرج أتى برجل سيّد كان يقرأ عندي في إصفهان. فلمّا رآني فرح فرحاً شديداً و

قال: إنّ جماعة من تلاميذك من سكّان هذه البلاد فأخبرهم. و كانوا هم سادات ديه‌دشت فأخذوا لنا منزلاً. و كان الحاكم في تلك البلاد محمّد زمان خان، و كان عالماً كريماً سخيّاً لايقارب في الكرم. فلمّا سمع بنا، أرسل وزيره و عيّن لنا ما نحتاج إليه و ما لانحتاج إليه. فطلبنا الحاكم في يوم آخر. فلمّا وردنا عليه قال لي: سمعت أنّك شرحت الصحيفة. قلت: نعم. فقال: إنّ في دعاء عرفة فقرة كيف شرحتها؟ فقلت: ما هذه الفقرة؟ قال: هي قوله عليه السلام: «تغمّدني فيما اطّلعت عليه منّي بما يتغمّد به القادر على البطش لولا حلمه.» فذكرت له وجوهاً ثلاثة في حلّها. فقال لي: أحد هذه الوجوه خطر بخاطري. و الآخر خطر بخاطر الآقا حسين الخوانساريّ. فاستحسنها و شرعنا في المباحثة، و كنت أحترمه في الكلام. فجلس على ركبتيه و رمى حلّته من فوق ظهره و قال: تكلّم كما كنت تتكلّم في المدرسة مع طلبة العلم و لاتحترمني. فتباحثنا و كنت أنقله من علم إلى علم، و كان يسبقني في الكلام إلى ذلك العلم، حتّى جاء وقت صلاة الظهر فقطعنا الكلام. ثمّ عدنا إلى المباحثة يوماً آخر و كنت في بلاده ثلاثة أشهر تقريباً على هذا الحال. فمارأيت أحداً أفهم منه و لا أفصح منه لساناً. و أمّا في جانب الكرم و إمداد العلماء و الفقراء، فحاله فيه مشهور.

و لمّا استأذنّا منه على السفر إلى إصفهان، أحسن إلينا غاية الإحسان. فلمّا سافرنا إلى إصفهان، فانظر إلى ما جرى عليّ في الطريق، و هو: انّنا لمّا وصلنا إلى منزل قبل منزل كنار سقاوة، نزلنا في منزل و كان في غاية النزاهة من جهة الماء الجاري و الأشجار و الأنهار فحصل لنا نهاية الانتعاش. فقلت في خاطري: أعوذ بالله من فرح هذا اليوم. لأنّي عوّدت روحي إن أفرح اليوم، ألق بعده حزناً طويلاً. فلمّا جاء وقت الركوب، ركبنا فانتهينا إلى بقعة في كنار سقاوة، و كان معنا رفقاء يمشون و واحد منهم أطرش. فلمّا تقدّمنا، جلس في وسط الطريق تحت صخرة، فجئت أنا و أخي و نحن ركوب. فلمّا وصلت الخيل إليه، فاجأها بالقيام فنفرت و نحن لانعلم، فألقتني الدابّة على صخرة عظيمة. فلمّا أفقت، رأيت أنّ يدي اليسرى قد عرض لها الصدع العظيم. فأتاني الرفقاء و شدّوها. و بقيت إلى إصفهان كلّ يوم

يمرّ عليّ في تلك الحال يصلح أن يكون كفّارة لذنوب مائة سنة.

فوصلنا إلى إصفهان و جلست في حجرتي في مدرسة ميرزا تقيّ دولت آباديّ و بقيت أعالج يدي. فبقيت مدّة خمسة أشهر. فلمّا صارت طيّبة في الجملة، عرض لي ألم في بدني، فصرت لاأشعر و قد عاينت الموت، و في وقت معاينته كنت مسروراً به من توفيقات الله سبحانه. فبقيت على هذا مدّة.

و لمّا شافاني الله من ذلك الألم، عرض لأخي المرحوم ألم الحمّى، فبقي حتّى انجرّ إلى الإسهال فمضى إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة أوّل شهر شعبان غريباً. فبقي ألمه في قلبي إلى هذا اليوم و إلى الموت. و الله ما أسلوه حتّى أنطوي تحت التراب و يحتويني الجندل. و قد توفّي ـ تغمّده الله برحمته ـ سنة التاسعة و السبعين بعد الألف. و هذه السنة عام التاسع و الثمانين بعد الألف و مامضت ليلة إلّا رأيته في المنام على أحسن هيئة. و أمّا في النهار، فكتبه قدّامي أطالع بها و أنظرها. و كلّما رأيت كتاباً منها تجدّدت مصائبي عليه. فإنّا لله و إنّا إليه راجعون.

فبقيت بعده في إصفهان حيراناً تائهاً في بحار الهموم. فتفكّرت و قلت: ليس لمثل هذه المصائب دواء إلّا الوصول لزيارة مولاي الرضاعليه السلام. فسافرت. فلمّا وصلنا كاشان و خرجنا منها و توجّهنا إلى منزل الرمل، سرنا فيه ليلاً و ضللنا عن الطريق. فأضاء الصبح و علا النهار فبلغنا في الرمل أن لانقدر على المشي، و لكن نسبح به على بطوننا. و أمّا الدوابّ فكانت تمشي و الرمال تساوي ما هبط من السرج. فأشرفنا على الهلاك، ثمّ منّ الله علينا بالوصول إلى الطريق حتّى وصلنا إلى مشهد مولانا الرضاعليه السلام.

و لمّا أقمنا أيّاماً و رجعنا، كان رجوعنا على طريق إسفراين. فرأينا في ذلك الطريق منازل عجيبة و أحوالات غريبة. فلمّا أتيت سبزوار، حصل لي بعض الألم فأخذت محملاً على جمل. فلمّا وصلت إلى إصفهان، بقيت فيها مدّة قليلة، ثمّ سافرت إلى شوشتر فجعلتها دار وطن و اتّخذت فيها مساكن. و كان بيني و بين سلطان الحويزة ودادة و محبّة، و كان

يرسل لنا في كلّ سنة كتابات متعدّدة بالقدوم إليه، فإذا قدمنا عليه عمل معنا من الإحسان ما لانطيق شكره. و نحن الآن في شوشتر.

و في هذا العمر القليل قد رأينا من مصائب الزمان ما لانقدر على بيان شرحه. و الذي سهّله علينا الأخبار الواردة بابتلاء المؤمن و أنّه لو كان غريقاً في البحر و هو على لوح، لسلّط الله عليه من يؤذيه حتّى يتمّ ثوابه. و كان شيخنا المجلسيّ ـ أدام الله أيّام عزّه و مجده ـ لايقارب في العلم و العمل، و مع هذا كان هدفاً لسهام المصائب.

و أشدّ ما مرّ علينا من الأهوال أمور:

أوّلها: فراق الأحباب و الأصحاب.

الثاني: فراق أخي و موته. فإنّه جرح القلوب جرحاً لايندمل إلى الموت و العدم.

الثالث: موت الأولاد. و أصعب الأمور أوسطها.

الرابع: حسد العلماء و ابناء الجنس. فإنّهم حسدوني في كلّ بلاد أتيت إليها؛ حتّى انتهى حالهم معي في شيراز إلى أن سرقوا منّي كتباً مليحة بخطّ يدي و قراءتي و حواشيّ و رموها في البئر حتّى تلفت. ثمّ ظهر لي الذي رماها، فما كلّمته كلمة واحدة و لا واجهته بشيء حتّى أخلف الله تعالى عليّ تلك الكتب و غيرها و لم يملك ذلك الرجل ورقة واحدة و أحوجه إلى سؤال الكفّار. و أنا أحمد الله سبحانه على أنّي لم أزل محسوداً و لا حسدت أحداً. و ذلك أنّ الله ـ و له الفضل ـ لم يحوجني إلى الأقران و الأمثال و لم يحطّ مرتبتي عن مراتبهم. و هذا من باب إظهار فضل الله تعالى و كرمه، و إلّا فالعبد المذنب الجاني ليس له مرتبة و لا درجة.

الخامس: معاشرة الناس و السلوك معهم. و ذلك أنّ الطبائع مختلفة و الآراء متفرّقة و كلّ واحد يريد من الإنسان الذي يكون على طريقتنا موافقته في الطبيعة، و هذا في غاية الصعوبة. مع أنّه يؤدّي إلى المداهنة و التقرير على المنكر، و هما محرّمان إجماعاً. و مثل هذا ماتيسّر لأحد. كما روي أنّ موسى عليه السلام طلب من الله سبحانه أن يرضي عنه عامّة بني إسرائيل حتّى لاينالوا من عرضه و لايتكلّموا في غيبته، فقال سبحانه: يا موسى، هذه

خصلة لم توجد لي. فكيف توجد لك؟ و هذا الظاهر. فإنّ من تأمّل و راجع النظر و تصفّح أحوال الناس، يرى شكايتهم من الله تعالى أكثر من شكواهم من السلطان الجائر سفّاك الدماء، و لاترى أحداً إلّا و هو يتّهم الله تعالى في قضائه و قدره. و هذا يكون كثيراً في أحوال الفقر و المرض و زوال النعم و انتقالات الأحوال.

السادس: و هو الداء العضال و الذي نغّص علينا العيش و كدّر الصافي منه، مع أنّه لايوجد، و هو أنّه ابتلينا بالتوطّن في بلاد ليس فيها مجتهد و لا مفت حتّى نحيل الناس عليه، و إذا سألوا منّا ما يحتاجون إليه في أمور عباداتهم و معاملاتهم، فربّما أشكل الحال و احتاج المقام إلى معاونة الآراء. و إن قلت: إنّ هذه المسألة لاتخلو من إشكال، لايقبل منك و يقولون: كيف يشكل عليك شيء و أنت فلان الذي عندك من الكتب كذا و كذا و قرأت عند فلان و فلان؟ و هو المطّلع على الأسرار و الضمائر، انّي أنزوي عن الناس في أكثر الأوقات و أغلق الباب بيني و بينهم لهذا و أمثاله. و الهمّ الذي ينالنا من هذا أصعب من ما تقدّمه من كلّ الأمور. و نرجو من الله سبحانه العصمة من الخلل و الخطأ في القول و العمل.

السابع: عدم الأسباب التي نحتاج إليها في التأليف و التصنيف. و العلم لاينفعه إلّا الكتب. و الحمد لله عندنا أكثر الكتب، لكنّ الذي يقصد التأليف في العلوم الكثيرة، يحتاج إلى أسباب كثيرة، و نحن في بلد لايوجد فيها ما نحتاج إليه. و المأمول من الله تعالى جلّ شأنه أن يوفّقنا لتحصيلها. إنّه على ما يشاء قدير. و قد وفّق الله تعالى في هذه البلاد لتأليف كتاب نوادر الأخبار المشتمل على مجلّدين، و تمام شرح تهذيب الحديث المشتمل على ثمان مجلّدات، و كتاب الهديّة في علم الفقه مجلّد واحد، و كشف الأسرار لشرح الاستبصار المشتمل على مجلّدين، و هذا الكتاب الذي هو كتاب الأنوار المشتمل على مجلّدتين. و قد وفّق الله سبحانه أيضاً لشرح الصحيفة و هو مجلّد واحد. و في النحو ألّفنا شرحاً على مغني ابن هشام، و شرح تهذيب النحو مجلّد واحد، و شرحاً على الكافية و بعض الرسائل.

و أمّا الحواشي التي ألّفناها على متون كتب الأخبار الأصول الأربعة و غيرها، فهي

كثيرة جدّاً، نرجو من الله تعالى أن يجعلها عنده من الذخائر لنا إذا زلّت الأقدام و عميت الأفهام و وضعت الموازين و نشرت الدواوين.

هذا مجمل أحوال الفقير من سنة الخمسين بعد الألف إلى السنة التاسعة و الثمانين بعد الألف.[١]

كان مولد المؤلّف‌ قرية الصباغيّة من أرض الجزائر قرب البصرة. و توفّي ليلة ٢٣ شوّال سنة ١١١٢ هـ. و مدفنه في پل دختر من محافظة كرمانشاه معروف و مزار للناس يتبرّكون به.

مؤلّفاته النفيسة

قد عثر من آثاره القيّمة على ما يأتي أسماؤه و يحتمل أن تتجاوز مائة مجلّد. و على الباحثون الكرام أن تصفّحوا ما سقط من أرباب التراجم و المعاجم:

١ـ الإجازات، كتبها لتلاميذه و معاصريه.

٢ـ الأنوار النعمانيّة في بيان معرفة النشأة الإنسانيّة.

٣ـ أنيس الفريد ـ أو أنيس الوحيد ـ في شرح التوحيد، و اسمه الآخر نور البراهين.

٤ـ الأيّام النحسة و السعيدة.

٥ـ تحفة الأسرار في الجمع بين الأخبار.

٦ـ الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللآلي.

٧ـ حاشية الاستبصار.

٨ـ حاشية أمل الآمل.

٩ـ حاشية توحيد الصدوق‌.

١ـ الأنوار النعمانيّة ٤ / ٣٠٢ـ ٣٢٦.

١٠ـ حاشية زبدة البيان.

١١ـ حاشية شرح ابن أبي‌الحديد على نهج‌البلاغة.

١٢ـ حاشية شرح الجاميّ.

١٣ـ حاشية شرح اللّباب.

١٤ـ حاشية الصحيفة الكاملة.

١٥ـ حاشية مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب.

١٦ـ حاشية نقد الرجال.

١٧ـ الحواشي الضافية و الموازين الوافية، حواش على نهج‌البلاغة.

١٨ـ حلّ مشكلات العلوم.

١٩ـ رياض الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار.

٢٠ـ زهر الربيع.

٢١ـ شرح الصحيفة الكاملة.

٢٢ـ شرح عقائد الصدوق.

٢٣ـ شرح عينيّة ابن سينا.

٢٤ـ شرح الفوائد الضيائيّة.

٢٥ـ شرح ملحقات الصحيفة.

٢٦ـ شرح منهاج الصواب.

٢٧ـ شرح نهج الصواب إلى علم الإعراب في النحو.

٢٨ـ طريق السالك في توضيح المسالك في النحو.

٢٩ـ عقود المرجان في تفسير القرآن.

٣٠ـ الغاية القصوى في النحو.

٣١ـ غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام.

٣٢ـ الفوائد في النحو.

٣٣ـ الفوائد النعمانيّة في الحديث.

٣٤ـ الفوائد النعميّة في النحو.

٣٥ـ قاطع اللّجاج في شرح الاحتجاج للطبرسيّ.

٣٦ـ كشف الأسرار في شرح الاستبصار.

٣٧ـ لوامع الأنوار في شرح عيون الأخبار.

٣٨ـ مسكّن الشجون في وجوب الفرار من الطاعون.

٣٩ـ مشكلات المسائل في النحو.

٤٠ـ مفتاح اللّبيب في شرح التهذيب في النحو.

٤١ـ مقامات النجاة في شرح الأسماء الحسنى.

٤٢ـ مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام.

٤٣ـ مناهج المطالب في النحو.

٤٤ـ منبع الحياة في اعتبار قول المجتهدين من الأموات.

٤٥ـ منتهى المطلب في النحو.

٤٦ـ منهاج الصواب إلى علم الإعراب في النحو.

٤٧ـ منهاج المبتدي في النحو.

٤٨ـ نزهة الإخوان و تحفة الخلّان.

٤٩ـ نوادر الأخبار.

٥٠ـ نهج الصواب في علم الإعراب.

٥١ـ نهج اليقين في النحو.

٥٢ـ نور الأنوار في شرح كلام خير الأخيار.

٥٣ـ النور المبين في قصص الأنبياء و المرسلين.

٥٤ـ هديّة المؤمنين في الفقه.

تعريف هذا الكتاب

و أمّا هذا الكتاب فهو المسمّى بـ «عقود المرجان لحواشي القرآن». جمع فيه المؤلّف‏ تفسير القرآن و تأويله من كلام أهل البيت‏ و العلماء المفسّرين و مهمّات القراءة و نكت العربيّة و التراكيب النحويّة و أحبّ أن يكون بمنزلة الهامش على القرآن الكريم بحيث يغني حامله عن جملة التفاسير و كتب القراءة. و نحن قد تصفّحنا مطاوي هذا الأثر و رأينا موارد ينبغي أن نذكّرها للقارئ الكريم ـ فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين ـ:

١. يظهر من القرائن العديدة أنّ ما كتب في هذا التفسير يكون أكثرها للمؤلّف و الباقي للآخرين يحتمل أن يكون بأمر منه أو بعد وفاته، و هم: حسن الموسويّ، عصام، سعد الدين، محمّد علي و غيرهم و قد يعبّر عنهم برموز.

٢. إنّ المطالب و الروايات التي جاءت في هذا الأثر تارة لخّصوها و أخرى زادوا فيها كلمات و ثالثة كتبوا مضمونها و رابعة جمعوا مطالب شتّى في عبارة واحدة. فيظهر أنّ كثيراً من مطالب هذا التفسير و رواياته ليست مطابقة لمصادرها.

٣. إنّ التلخيصات و الزيادات في موارد أوجبت الإبهام و الغلط و السقط في المطالب و نحن صحّحناها عند اللّزوم.

٤. قد نقل المؤلّف‏ الروايات كثيراً من نور الثقلين و استفاد في تفسير آيات الأحكام من مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام و في بعض الموارد أورد عباراته و نصوصه.

منهجيّة التحقيق

اعتمدنا في تقويم نصّ هذا الأثر النفيس على نسخة وحيدة للسيّد العلّامة محمّد تقيّ بن أحمد الموسويّ الحكيم نزيل طهران و خرّجنا المصادر التي نقل منها المؤلّف‏ و صحّحنا ما عثرنا عليها في النسخة من التصحيف و التحريف و السقط.

و توجد موارد غير مقروءة في النسخة قد أشرنا إليها بالرمز هكذا (...) أو أوردنا كلمة

من المصادر بين المعقوفتين و إذا كانت هي غير مستقلّة مثل لا و لم، حذفنا المعقوفتين.

و في نهاية المطاف نتقدّم بوافر الشكر و التقدير لسماحة العلّامة السيّد محمّد تقيّ الحكيم ـ دام ظلّه ـ لتفضّله نسخته و للإخوة المساهمين في إنجاز تحقيق هذا الكتاب و إخراجه بهذه الصورة القشيبة. شكر الله مساعيهم الجميلة و وفّقهم لما يحبّ و يرضى و عجّل فرج مولاهم صاحب الزمان صلوات الله عليه و على آبائه الطاهرين. و الحمد لله ربّ العالمين.

مؤسّسة شمس الضحى الثقافيّة ـ طهران

۲۲ محرّم الحرام ۱٤۲٥ هـ

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله. و صلّى الله على محمّد و أهل بيته الطاهرين. و بعد؛ فإنّ المذنب الجاني، قليل البضاعة و كثير الإضاعة، نعمة الله الحسينيّ الجزائريّ ـ وفّقه الله تعالى لمراضيه و جعل مستقبل أحواله خيراً من ماضيه ـ يقول:

لمّا وفّقه الله سبحانه لما أردنا تأليفه من شرحي التهذيب و الاستبصار و شرح كتاب التوحيد للصدوق و كتاب الأنوار النعمانيّة، عطفت بنا العناية الإلهيّة إلى إرادة استكشاف ما في كتاب الله تعالى من التفسير و التأويل المأخوذين من كلام أهل الذكر عليهم السلام أو من كلام العلماء المفسّرين[1] و أن نذكر مهمّات القراءة و نكات العربيّة و التراكيب النحويّة على

١ـ اعلم أنّنا نذكر في حواشي هذا القرآن جملة من كلام المفسّرين. و لعلّك تظنّ أنّ هذا ينافي ما رواه أصحابنا رضوان الله عليهم من أنّه من فسّر القرآن برأيه و أصاب الحقّ فقد أخطأ (مجمع البيان ١ / ٨٠) حتّى أنّ أصحابنا الأخباريّين ذهبوا إلى أنّ القرآن كلّه متشابه لايجوز تفسير شيء منه إلّا بالحديث.

قلت: الحقّ في هذا المقام ما قاله شيخنا الطوسيّ طاب ثراه من أنّه لايجوز التناقض في كلام الله تعالى و لا أهل البيت عليهم السلام، لأنّه قال: «بلسان عربيّ» [الشعراء (٢٦) / ١٩٥] و ذمّ من لم يتدبّر القرآن، و قال: إذا جاءكم عنّي حديث، فاعرضوه على كتاب الله. فكيف لايفهم منه شيء؟ ثمّ إنّه طاب ثراه فسّر أربعة أقسام أحدها ما اختصّ الله تعالى بعلمه؛ كقوله تعالى: «إنّ الله عنده علم الساعة». [لقمان (٣١) / ٣٤] و ثانيها ما يعرفه كلّ من يعرف اللّغة؛ مثل: «قل هو الله أحد». و ثالثها: ما هو مجمل لاينبئ ظاهره عن معناه؛ مثل قوله تعالى: «و أقيموا الصلاة». فإنّه لايفهم تفاصيلها إلّا منه صلّى الله عليه و آله. و رابعها: ما كان اللّفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد فإنّه لايجوز أن يقطع على إرادة واحد منها إلّا بالنصّ. و حينئذ يكون النهي عن تفسير القرآن بالرأي متناولاً للقسم الأوّل مطلقاً، و للثالث و الرابع على إرادة التفصيل. [التبيان ١ / ٥ ـ ٦]

هامش القرآن ليقرب تناوله عن القارئ. و لأنّه نمط غريب و طرز عجيب لم ينسج عـلى منواله إلى الآن، فإن تمّ فهو من الخيرات الحسان. فنقول ـ و بالله التوفيق ـ:

١.
سورة الحمد

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ».

إنّ الأخبار الواردة في فضيلة البسملة و فيما اشتملت عليه من العلوم ممّا لايحصى.

روي عن مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: جميع العلوم في القرآن. و علوم القرآن في الفاتحة منه. و علوم الفاتحة في الباء من البسملة.(١)

قال الفاضل النيشابوريّ: و ذلك لأنّ المقصود من كلّ العلوم وصول العبد إلى الربّ، و هذه الباء للإلصاق فهو يوصل العبد إلى الربّ، و هو نهاية الطلب و أقصى الأمد.(٢)

و في أخبارنا عنهعليه السلام أنّه قال: و أنا النقطة تحت الباء.(٣) و يجوز أن يكون معناه أنّهعليه السلام يبيّن العلوم و يميّزها كما أنّ نقطة الباء يميّزه عمّا يشاركه في المركز كالتاء و الثاء و الياء.

و في الحديث: انّ الصبيّ إذا قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» غفر الله لوالديه و لمعلّمه.(٤) و انّها أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها.(٥)

و عن الصادقعليه السلام أنّه سئل أميرالمؤمنينعليه السلام عن «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: الباء بهاء الله. و السين سناء الله. و الميم ملك الله. قال: قلت: الله؟ قال: الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا. و اللّام إلزام الله خلقه ولايتنا. قلت: فالهاء؟ قال: هوان لمن خالف محمّداً

١ـ مشارق أنوار اليقين / ٢٣.
٢ـ تفسيرالنيسابوريّ ١ / ٦٨.
٣ـ مشارق أنوار اليقين / ٢١.
٤ـ جامع الأخبار ١ / ٢١٥.
٥ـ التهذيب ٢ / ٢٨٩، و عيون الأخبار ٢ / ٥.

و آل محمّد صلوات الله عليهم. قلت: الرحمن؟ قال: بجميع العالم. قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين خاصّة.[١]

و عن الصادقعليه السلام: إنّ آه اسم من أسماء الله عزّوجلّ. فمن قال: آه، فقد استغاث بالله تبارك وتعالى.[٢]

و سئل أميرالمؤمنينعليه السلام عن معنى الله، فقال: هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج و الشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء عن جميع من دونه.[٣]

أقول: فيه إشارة إلى أنّه من الألفاظ المشتقّة، كما هو أحد القولين، لا علم جامد، كما هو القول الآخر.

و عنهصلى الله عليه وآله: انّ عيسى بن مريمعليه السلام قال: الرحمن، رحمن الدنيا. و الرحيم رحيم الآخرة.[٤]

و قال الصادقعليه السلام: الرحمن اسم خاصّ بصفة عامّة. و الرحيم اسم عامّ بصفة خاصّة.[٥]

و عنهعليه السلام أنّه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم الله الأكبر. أو قال: الأعظم.[٦] و الأخبار في هذا الباب كثيرة.

قال الصادقعليه السلام: اكتب البسملة من أجود كتابتك. و لاتمدّ الباء حتّى ترفع السين.[٧]

روي عن الصادقعليه السلام عن النبيّصلى الله عليه وآله: لمّا أراد الله عزّوجلّ أن ينزّل فاتحة الكتاب و آية الكرسيّ و شهد الله[٨] و قل اللّهمّ مالك الملك[٩]، تعلّقن بالعرش و ليس بينهنّ و بين الله حجاب و قلن: يا ربّ تهبطنا دار الذنوب و نحن معلّقات بالطهور و القدس؟ فقال: و عزّتي و جلالي، ما من عبد قرأكنّ في دبر كلّ صلاة إلّا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه. و

١ـ التوحيد / ٢٣٠.
٢ـ التوحيد / ٢١٩.
٣ـ التوحيد / ٢٣١.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٩٣.
٥ـ الصافي ١ / ٥١.
٦ـ مهج الدعوات /٣١٧.
٧ـ الكافي ٢/٦٧٢.
٨ـ آل عمران (٣) / ١٨.
٩ـ آل عمران (٣) / ٢٦.

[إلّا] نظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يوم سبعين نظرة. و إلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة. و إلّا أجرته من كلّ عدوّ و نصرته عليه و لايمنعه دخول الجنّة إلّا الموت.(١)

[٢] «الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قال: خرج أبوعبدالله عليه السلام من المسجد و قد ضاعت دابّته. فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره. قال: فما لبث أن أتي بها فقال: الحمد لله. فقال قائل له: جعلت فداك؛ أليس قلت لأشكرنّ الله حقّ شكره؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟(٢)

[عن المفضّل قال: قلت لأبي‌عبدالله عليه السلام: جعلت فداك؛ علّمني دعاء جامعاً. فقال لي: احمد الله.] فإنّه ما من مصلّ إلّا و هو يدعو لك؛ يقول: سمع الله لمن حمده.(٣)

«العالمين». قال الصادق عليه السلام: إنّ لله اثني‌عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سموات و سبع أرضين. و أنا الحجّة عليهم.(٤)

[٣ ـ ٤] «الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ».

«مالك يوم الدين». قرأ عاصم و الكسائيّ و خلف و يعقوب: «مالك» بالألف، و الباقون: «ملك» بغير ألف.(٥) و ذكر المفسّرون في ترجيح كلّ من القراءتين وجوهاً كثيرة. و الظاهر أنّ ملكه سبحانه و مالكيّته متلازمان. و الوارد في الأخبار لفظ المالك و به ترجّح قراءة الألف.

«الدين»؛ أي: الحساب. عن الباقر عليه السلام.(٦)

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٥.
٢ـ الكافي ٢ / ٩٧، ح ١٨.
٣ـ الكافي ٢/٥٠٣، ح ١.
٤ـ الخصال ٢ / ٦٣٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨، و مجمع البيان ١ / ٩٧.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٩٨.

[٦] «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

«الصراط». بإشمام الصاد هاهنا و في جميع القرآن حمزة. و عن يعقوب بالسين كلّ القرآن. و عن الكسائيّ بإشمام السين كلّ القرآن.[١] و الباقون بالصاد. و الأصل في الصراط هو السين، مشتقّ من السرط ـ و هو البلع ـ لأنّ الطريق يسرط المارّة؛ أي: يبلعها. و الموجود في الأخبار هو الصاد، فيترجّح به قراءتها.

«الصراط المستقيم». قال الصادق عليه السلام: هما صراطان؛ صراط في الدنيا، و صراط في الآخرة. و أمّا الصراط في الدنيا، فهو الإمام المفترض الطاعة. من عرفه في الدنيا و اهتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة. و من لم يعرفه في الدنيا، زلّت قدمه في الآخرة في الصراط فتردّى في نار جهنّم.[٢]

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضَّالِّينَ».

قرأ حمزة: «عليهُم» بضمّ الهاء و إسكان الميم. و قرأ الباقون بالكسر. و في الشواذّ قراءات أخرى. و قرئ: «صراط من أنعمت عليهم». و هو المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام.[٣]

«صراط الذين أنعمت عليهم»؛ أي: أنعمت عليهم بولاية أميرالمؤمنين. و هم شيعته.[٤]

«غير المغضوب عليهم»؛ اي: النُّصّاب. «و لا الضالّين»؛ أي: اليهود و النصارى.[٥]

١ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٤٨.

٢ـ معاني الأخبار / ٢٨، ح ١.

٣ـ مجمع البيان ١ / ١٠٣.

٤ـ بحارالأنوار ٣٦ / ١٢٨.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٩.

٢.
سورة البقرة

قال الصادق عليه السلام: من قرأ سورة البقرة و آل عمران، جاء تا يوم القيامة تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الم».

ذكر المفسّرون من الخاصّة و العامّة في الحروف المقطّعة في أوائل السور وجوهاً:

منها أنّها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها و لايعلم تأويلها إلّا هو. قال شيخنا الطبرسيّ طاب ثراه: هذا هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.(٢)

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: لكلّ كتاب صفوة. و صفوة هذا الكتاب حروف التهجّي.(٣)

و منها أنّها أسماء السور و مفاتحها. و نقله الزمخشريّ عن أكثر المفسّرين.(٤)

و منها أنّ المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى. فقوله تعالى: «الم» معناه: أنا الله أعلم. و عن ابن عبّاس رضي الله عنه: انّ الألف يدلّ على اسم الله تعالى، و اللّام على جبرئيل، و الميم على اسم محمّد صلى الله عليه وآله.(٥) يعني أنّه سبحانه أنزل القرآن بتوسّط جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله.

و عن الصادق عليه السلام أنّه قال: في الألف ستّ صفات من صفات الله عزّوجلّ: ابتداء جميع

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.
٣ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.
٤ـ الكشّاف ١ /٢١.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.

الخلق، و الألف ابتداء الحروف. و الاستواء؛ فهو عادل غير جائر، و الألف مستوٍ في ذاته. و الانفراد؛ فالله فرد، و الألف فرد. و اتّصال الخلق بالله و الله لا يتّصل بالخلق و كلّهم يحتاجون إليه و الله غنيّ عنهم، و الألف كذلك لا يتّصل بالحروف و الحروف متّصلة به و هو منقطع عن غيره، و الله تعالى بائن بجميع صفاته من خلقه. و معناه من الألفة. فكما أنّ الله عزّوجلّ سبب ألفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألّفت الحروف و هو سبب ألفتها.(١)

و في كتاب معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام قال: «الم» هو [حرف من] حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الذي يؤلّفه النبيّ صلى الله عليه وآله و الإمام فإذا دعا به أجيب.(٢)

و منها قول الفاضل النيشابوريّ: سمعت بعض الشيعة يقول: هذه الفواتح إذا حذف منها المكرّرات، يبقى ما يمكن أن يركّب منه: صراط عليّ حقّ نمسكه.(٣)

و منها قول الأخفش: انّ الله تعالى أقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث أصول اللّغات [بها يتعارفون و] يذكرون الله و يوحّدونه فاقتصر على البعض و المراد الكلّ. كما تقول: قرأت الحمد، و تريد السورة [كلّها]. أقسم الله تعالى بها أنّ هذا الكتاب لا ريب فيه.(٤)

و منها أنّ ورود هذه الأسماء على نمط التعديد، كالإيقاظ لمن تحدّي بالقرآن، تنبيهاً لهم على أنّ هذا المتلوّ عليهم ـ وقد عجزوا عنه ـ كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم. قاله الزمخشريّ.(٥) و رواه شيخنا الصدوق رحمه الله عن الباقر عليه السلام.(٦)

و منها أنّها إشارة إلى أعمار قوم و مدّة ملكهم و آجال أخرى. كما روي أنّ «المص» إشارة إلى مدّة ملك بني أميّة ألف شهر(٧)، لكنّه بحسب أبجد على ما قاله المغاربة.

١ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.
٢ـ معاني الأخبار / ٢١، ح ٢.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ١٢٢.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ١٢٢.
٥ـ الكشّاف ١ / ٢٧.
٦ـ معاني الأخبار / ٢٤، عن الحسن العسكريّ عليه السلام.
٧ـ معاني الأخبار / ٢٨.

[٢] «ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ».

في كتاب معاني الأخبار عن العسكريّ عليه السلام أنّه قال: كذّبت قريش و اليهود بالقرآن و قالوا: سحر مبين تقوّله. فقال الله تعالى: «الم ذلك الكتاب»؛ أي: هو الذي أخبرت به موسى فمن بعده من الأنبياء فأخبروا بني إسرائيل أنّي سأنزله عليك ـ يا محمّد ـ كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. «لا ريب فيه»: لا شكّ فيه لظهوره عندهم، كما أخبرهم أنبياؤهم أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله يأتي بكتاب بالحروف المقطّعة افتتاح بعض سوره تحفظه أمّته فيقرؤونه على جميع الأحوال و يقرنون بمحمّد صلى الله عليه و آله وصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[١]

أقول: فعلى هذا يكون الإشارة إلى البعيد ظاهرة.

«ذلك الكتاب»؛ أي: القرآن. قال الأخفش: ذلك بمعنى هذا. لأنّ الكتاب كان حاضراً. و قال الطبرسيّ رحمه الله: يجوز الإشارة إليه بذلك لكونه ماضياً. و قيل: معناه: انّ هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب [السالفة].[٢]

«ذلك الكتاب». في تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام قال: «الكتاب» عليّ عليه السلام لا شكّ فيه. «هدًى»؛ أي: بيان و شفاء «للمتّقين» من شيعة محمّد صلى الله عليه و آله و عليّ عليه السلام. لأنّهم اتّقوا أنواع الكفر فتركوها و اتّقوا الذنوب الموبقات فرفضوها.[٣]

«لا ريب فيه». الوقف على «فيه» هو المشهور. و عن نافع و عاصم أنّهما وقفا على «لا ريب».[٤]

«لا ريب فيه»؛ أي: لا ترتابوا فيه. و ليس محلّاً للريب إذ لا سبب للريب فيه.[٥]

«فيه». قرأ ابن كثير بهاء موصولة بالياء في اللّفظ و الباقون لا يشبعون.[٦]

«هدًى». الهدى مصدر على فعل ـ كالبكى ـ و هو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل

١ـ معاني الأخبار / ٢٤.

٢ـ مجمع البيان ١ / ١١٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠. بزيادة و تنقيح من المؤلّف رحمه الله.

٤ـ الكشّاف ١ / ٣٣.

٥ـ مجمع البيان ١ / ١١٨.

٦ـ مجمع البيان ١ / ١١٥.

وقوع الضلالة في مقابلته. قال الله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى».[١] فإن قلت: فلم قيل: «هدًى للمتّقين» و المتّقون مهتدون؟ قلت: هو كقولك للعزيز: أعزّك الله، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه و استدامته. و وجه آخر و هو أنّه سمّاهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متّقين.[٢]

«للمتّقين». جمع متّق. أصله: موتقين، قلبت الواو تاءً. مأخوذ من الوقاية؛ لأنّه يقي نفسه من العذاب.

و عنه ﷺ قال: جمع التقوى في قوله تعالى: «إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان» ـ الآية.[٣] و قيل: المتّقي الذي اتّقى ما حرّم عليه و فعل ما أوجب عليه. و عن الصادق عليه السلام[٤]: التقوى أن لايراك الله حيث نهاك و لايفقدك حيث أمرك.[٥]

للتقوى ثلاث مراتب. الأولى: التوقّي من العذاب المخلّد بالتبرّي من الشرك. و عليه قوله تعالى: «و ألزمهم كلمة التقوى».[٦] و الثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك حتّى الصغائر عند قوم. و هو المتعارف باسم التقوى في الشرع. و هو المعنيّ بقوله: «و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا».[٧] و الثالثة: أن يتنزّه عمّا يشغل سرّه عن الحقّ و يتبتّل إليه بشراشره. و هو التقوى الحقيقيّ المطلوب بقوله: «اتّقوا الله حقّ تقاته».[٨] و قد فسّر قوله: «هدًى للمتّقين» على الأوجه الثلاثة.[٩]

[٣] «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

«يؤمنون». قرئ بالهمزة على الأصل و تركها للتخفيف.[١٠]

١ـ البقرة (٢) / ١٦.

٢ـ الكشّاف ١ / ٣٥.

٣ـ النحل (١٦) / ٩٠.

٤ـ في المصدر: «قال بعضهم» بدل «عن الصادق عليه السلام».

٥ـ مجمع البيان ١ / ١١٨.

٦ـ الفتح (٤٨) / ٢٦.

٧ـ الأعراف (٧) / ٩٦.

٨ـ آل عمران (٣) / ١٠٢.

٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦.

١٠ـ مجمع البيان ١ / ١١٩.

«يؤمنون بالغيب»؛ أي: يصدّقون بالبعث و النشور.[١]

و في كتاب كمال الدين عنه عليه السلام قال: من أقرّ بقيام القائم عليه السلام أنّه حقّ.[٢]

«يقيمون الصلاة». معنى إقامة الصلاة أحد ثلاثة أشياء: إمّا تعديل أركانها و حفظها عن أن يقع زيغ في فرائضها و سننها و آدابها. مِن أقام العود، إذا قوّمه. و إمّا الدوام عليها و المحافظة؛ كقوله تعالى: «و الذين هم على صلواتهم يحافظون».[٣] من قامت السوق، اذا نفقت. و إمّا التجلّد و التشمّر لأدائها و أن لايكون في تأديتها متوانياً و لا فاتراً عنها. من قولهم: قام في الأمر، خلاف تقاعد عنه.[٤]

«رزقناهم»؛ أي: ممّا علّمناهم يبثّون. عن الصادق عليه السلام.[٥]

«و ممّا رزقناهم ينفقون». استدلّ بها أصحابنا رضوان الله عليهم و المعتزلة على أنّ الحرام ليس برزق. لأنّه تعالى مدحهم على الإنفاق من الرزق و من أنفق من الحرام فهو مذموم عقلاً و شرعاً. و الأشاعرة جعلوه رزقاً و ليس لهم دليل يعتمد عليه سوى ما قالوه في حديث عمرو بن قرّة[٦]، و هو محمول على المشاكلة.

[٤] «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ».

«و الذين يؤمنون». هم مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام و أضرابه. معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتّقين، أو على المتّقين كأنّه قال: هدًى للمتّقين عن الشرك و الذين آمنوا من أهل الملل. «بما أنزل»: القرآن و الشرائع. «و ما أنزل من قبلك»؛ أي: الكتب السماويّة.[٧]

[٥] «أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠.

٢ـ كمال الدين / ٣٤٠، ح ١٩، عن الصادق عليه السلام.

٣ـ المؤمنون (٢٣) / ٩.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣١٤.

٥ـ مجمع البيان ١ / ١١٩.

٦ـ انظر: تفسير البيضاويّ ١ / ١٩.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩ ـ ٢٠.

«أولئك»؛ أي: من جمع كلّ الصفات السابقة. «من ربّهم»؛ أي: منحوه من ربّهم و أوتوه من قبله.[١]

معنى الاستعلاء في «على هدًى» تمثيل تمكّنهم من الهدى و استقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء و ركبه. و الفلاح: الفوز بالمطلوب.

وقد استدلّ بها المعتزلة القائلون بخلود أهل الكتاب في النار. و أجاب القاضي بأنّ المختصّ بالمتّقين إنّما هو الفلاح الكامل و هو لاينافي حصوله في الجملة لغيرهم. و أجيب أيضاً بأنّ المراد بالمتّقين من اجتنب الشرك و يجعل المشار إليه بأولئك الموصول الثاني. و هو بعيد.

[٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«إنّ الذين كفروا». قيل: إنّها نزلت في جماعة مخصوصين كأبي‌لهب و أحبار اليهود. و قيل: في جميع الكفّار.[٢]

قال القاضي: و الآية ممّا احتجّ به من يجوّز تكليف ما لايطاق. فإنّه سبحانه أخبر عنهم بأنّهم لايؤمنون، و أمرهم بالإيمان، فلو آمنوا، انقلب خبره كذباً و شمل إيمانهم الإيمان بأنّهم لايؤمنون، فيجتمع [الضدّان]. و أجاب عنه بأنّ الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه، لاينفي القدرة عليه كإخباره تعالى بما يفعله هو أو العبد باختياره. و فائدة الإنذار بعد العلم بإنّه لاينجع إلزام الحجّة و حيازة الرسول صلى الله عليه و آله فضل الإبلاغ. و لذلك قال: «سواء عليهم» و لم يقل: سواء عليك.[٣]

و قال شيخنا الطبرسيّ رحمه الله: الصحيح أن نقول: إنّ العلم يتناول الشيء على ما هو به و لايجعله على ما هو به. فلايمتنع أن يعلم حصول شيء بعينه و إن كان غيره مقدوراً.[٤]

[٧] «خَتَمَ اللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ

١ـ الكشّاف ١ / ٤٣ و ٤٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١٢٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢.
٤ـ مجمع البيان ١ / ١٢٨.

عَظِيمٌ».

عن أبي محمّد العسكريّ عليه السلام: أي: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الذين لايؤمنون. «و على سمعهم» كذلك بسمات. «و على أبصارهم غشاوة». و ذلك بأنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه و جهلوا ما لزمهم من الإيمان، فصاروا كمن على عينيه غشاوة لا يبصر.[١]

«ختم الله على قلوبهم»؛ أي: شهد عليها بأنّها لاتقبل الحقّ. كقولك: قد ختمت عليك بأنّك لاتعلم؛ أي: شهدت. و قال قوم: إنّ ذلك على وجه الدعاء عليهم لا الإخبار عنهم. و هو ممكن على نصب «غشاوة».[٢]

«غشاوة». بالرفع على الابتداء. و قرئ بالنصب. أي: وجعلنا.[٣]

عن الصادق عليه السلام: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود على وجهين، و الكفر بترك ما أمر الله، و كفر البراءة، و كفر النعم. فأمّا كفر الجحود، فهو الجحود بالربوبيّة. و هو قول من يقول: لا ربّ و لا جنّة و لا نار. و هو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهريّة و هم الذين يقولون: «و ما يهلكنا إلّا الدهر».[٤] و هو دين وضعوه لأنفسهم على غير تحقيق منهم لشيء ممّا يقولون. قال الله عزّوجلّ: «إن هم إلّا يظنّون».[٥] و قال: «إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون». يعني بتوحيد الله. فهذا أحد وجوه الكفر.[٦]

«ختم الله». الختم: الطبع بالخاتم. و فيه وجوه من التأويل. الأوّل: انّ القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ و تمكّن ذلك في قلوبهم حتّى صار كالطبيعة لهم، شبّه بالوصف الخلقيّ المجبول عليه. الثاني: انّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن. الثالث: انّ ذلك فعل الشيطان حقيقة أو الكافر، لكن لمّا كان صدوره عنه بإقداره تعالى إيّاه،

١ـ الاحتجاج ٢ / ٢٦٠.
٢ـ التبيان ١ / ٦٣ و ٦٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٣.
٤ـ الجاثية (٤٥) / ٢٤.
٥ـ البقرة (٢) / ٧٨.
٦ـ الكافي ٢ / ٣٩.

أسنده الله إليه إسناد الفعل إلى المسبّب.[١]

[٨] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ».

نزلت في المنافقين؛ و هم عبدالله بن أبيّ [بن] سلول و أحزابه.[٢]

[٩] «يُخَادِعُونَ اللهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ».

قرأ الحرميّان و أبوعمرو: «و مايخادعون» بالألف، و الباقون:«يخدعون».[٣]

«يخادعون الله»؛ أي: يعملون عمل المخادع؛ كالرياء في العبادة. و قيل: المعنى: يخادعون رسول الله. لأنّ معصيته معصية الله. و المفاعلة قد يكون من واحد. و خداعهم من جهة إظهارهم الإسلام و إبطانهم الكفر. و خداع الله لهم الإملاء في الدنيا و العذاب في الآخرة.[٤]

عن الرضا عليه السلام: خداع الله مجازاتهم.[٥]

[١٠] «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ».

«مرض». المرض هنا المراد منه الحسد و الشكّ و الحقد و النفاق. و قيل: المراد منه الفتور. فهو فتور في القلب عن الإيمان. و معنى «زادهم الله مرضاً» أنّهم ازدادوا شكّاً عند زيادة الآيات و الحجج، و لمّا حصل [ذلك] عند فعله تعالى، نسب إليه؛ كقوله تعالى: «لم يزدهم دعائي إلّا فراراً».[٦] أو إنّه حصل لهم غمّ بقوّة الإسلام فازدادوا غمّاً بزيادة قوّة الإسلام. أو يكون دعاء عليهم من باب: «ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم».[٧] فهو دعاء عليهم لمنع الإلطاف و التوفيق.[٨]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣.

٢ـ مجمع البيان ١ / ١٣٢.

٣ـ التيسير / ٦٢.

٤ـ مجمع البيان ١ / ١٣٤.

٥ـ عيون الأخبار ١ / ١٢٦.

٦ـ نوح (٧١) / ٦.

٧ـ التوبة (٩) / ١٢٧.

٨ـ مجمع البيان ١ / ١٣٤، و التبيان ١ / ٧٢.

«يكذبون». قرأ الكوفيّون بفتح الياء مخفّفاً، و الباقون بضمّها مشدّداً.(١)

[١١ـ ١٢] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ».

«قيل». الكسائيّ بإشمام الكسر حيث وقع. و الباقون بالكسر.(٢)

«و إذا قيل لهم». نزلت في المنافقين الأوّلين. و عن سلمانﷺ أنّ أهل هذه الصفة لم يأتوا بعد. أي: إذا قيل لهم لاتفسدوا بالمعاصي أو الصدّ عن الإيمان أو تحريف الكتاب، قالوا: إنّما نحن مصلحون في اعتقادنا لنسلم من الفريقين. أو إنّنا لانفعل شيئاً ممّا يقولون. و إنّما جاز تكليفهم و إن لم يشعروا أنّهم على ضلال، لأنّ لهم طريقاً إلى العلم بذلك.(٣)

«مصلحون»؛ أي: نريد الإصلاح بين المؤمنين و أهل الكتاب.(٤)

«مصلحون». لأنّهم تصوّروا الفساد بصورة الصلاح، لما في قلوبهم من المرض. كما قال الله تعالى: «أ فمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً»(٥).(٦)

[١٣] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَ نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ».

«و إذا قيل لهم آمنوا»؛ أي: إذا قيل للمنافقين: آمنوا بالقلب كإيمان الناس. و هم من آمن حقيقة من المؤمنين الذين يستحقّون إطلاق الإنسانيّة عليهم. أو المراد منهم من آمن حقيقة من اليهود كعبدالله بن سلام و أضرابه.(٧)

«أ نؤمن كما آمن السفهاء». السفه: خفّة العقل و نقصان الحلم. و الهمزة فيه للإنكار. و اللّام مشار بها إلى الناس أو الجنس بأسره. و إنّما سفّهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم و لتحقير

١ـ التيسير / ٦٢.
٢ـ التيسير / ٦٢.
٣ـ مجمع البيان ١ / ١٣٨.
٤ـ التبيان ١ / ٧٦.
٥ـ فاطر (٣٥) / ٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧.
٧ـ الكشّاف ١ / ٦٤.

شأنهم ـ فإنّ أكثر المؤمنين كانوا فقراء و منهم موالي ـ أو للتجلّد و عدم المبالاة بمن آمن منهم، إن فسّر الناس بعبدالله بن سلام و نحوه.(١)

«ولكن لايعلمون». فيها دلالة على من قال بأنّ الكفّار معاندون عالمون بخطاء ما هم عليه و أنّ المعرفة ضرورة.(٢)

«السفهاء». لأنّ من أعرض عن الدليل ثمّ نسب المتمسّك به إلى السفه، فهو السفيه. و كذا من باع آخرته بدنياه. و إنّما فصلت هذه الآية بلايعلمون و التي قبلها بلايشعرون، لأنّ الوقوف على أنّ المؤمنين على الحقّ و هم على الباطل أمر عقليّ نظريّ و أمّا النفاق وما يؤول إليه من الفساد في الأرض أمر دنيويّ مبنيّ على العادات و خصوصاً عند العرب في جاهليّتهم و ما كان قائماً بينهم من التجارب، فهو كالمحسوس. و لأنّه قد ذكر السفه و هو جهل فكان ذكر العلم أحسن طباقاً.(٣)

[١٤] «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ».

«شياطينهم»: رؤسائهم من الكفّار أو اليهود الذين أمروهم بالتكذيب. و عن الباقر عليه السلام أنّهم كهناؤهم.(٤)

«إلى شياطينهم». بمعنى مع، أو بمعنى الباء. أو من خلاك ذمّ؛ أي: عداك و مضى عنك.(٥)

الشيطان؛ جعل سيبويه نونه تارة أصليّة، على أنّه من شطن إذا بعد، فإنّه بعيد عن الصلاح، و أخرى زائدة، على أنّه من شاط إذا بطل.(٦)

[١٥] «اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧.
٢ـ التبيان ١ / ٧٦.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ١٥٩.
٤ـ مجمع البيان ١ / ١٤٠.
٥ـ التبيان ١ / ٧٩، و مجمع البيان ١ / ١٤٠، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨.

«الله يستهزئ بهم». معناها من الله هو الجزاء عليها. و قيل: إنّ استهزاءهم لمّا يرجع إليهم، لم يضرّ سواهم. و قيل: إنّ الاستهزاء من الله هو الإملاء الذي يظنّونه إغفالاً. و قيل: إنّه أجرى عليهم في الدنيا حكم الإسلام و في الآخرة حكم الكفّار. و روي في الأخبار أنّه يفتح لهم باب جهنّم فيظنّون أنّهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج، فإذا انتهوا إلى الباب، ردّتهم الملائكة. فهذا نوع من الاستهزاء. «كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها»[1].[2]

«و يمدّهم في طغيانهم»؛ أي: يمدّ لهم كأنّه يخلّيهم و الامتداد في عمههم و الجماح في غيّهم، إيجاباً للحجّة و انتظاراً للمراجعة، تشبيهاً بمن أرخى المطول للفرس ليتنفّس خناقها و يتّسع مجالها.

«يعمهون». جملة حاليّة. أي: يمدّهم في حال طغيانهم ليؤمنوا و هم مصرّون على الطغيان. أو: إنّه يتركهم من فوائده التي يؤتيها المؤمنين.[3]

[١٦] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ».

«اشتروا» : استبدلوا و اختاروا.[4]

«و ما كانوا مهتدين» بطرق التجارة. لأنّهم أضاعوا الربح و الرأس ما لهم الفطرة السليمة و العقل الصرف، فلا ربح حينئذ.[5]

[١٧] «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ».

أي: حال هؤلاء المنافقين لمّا أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر، مثل الذي أوقد ناراً و انتفع

١ـ الحجّ (٢٢) / ٢٢.
٢ـ التبيان ١ / ٨٠.
٣ـ مجمع البيان ١ / ١٤١ ـ ١٤٢.
٤ـ مجمع البيان ١ / ١٤١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠.

بها في ليلة مظلمة، فبينا هو كذلك، إذ طفئت ناره فبقي متحيّراً. كذلك المنافقون لمّا أظهروا كلمة الإيمان و استناروا بنورها، ناكحوا المسلمين و وارثوهم، فلمّا ماتوا، عادوا إلى الظلمة و الخوف و بقوا في العذاب. فهذا معنى «ذهب الله بنورهم» يعني بسبب سماويّ كالريح و المطر.[١]

و قيل في معنى إذهاب نور المنافقين وجه آخر؛ و هو إطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الإسلام.[٢]

و ضمير الجمع في «بنورهم» حمل على معنى الذي لأنّه بمعنى الذين.[٣]

«تركهم في ظلمات». و عن الرضا عليه السلام: انّ الله تبارك و تعالى لايوصف بالترك، ولكنّه متى علم أنّهم لايرجعون عن الكفر، منعهم اللّطف و خلّى بينهم و بين اختيارهم.[٤]

«مثلهم». عن الرضا عليه السلام يقول: أضاءت الأرض بنور محمّد صلى الله عليه وآله كما تضيء الشمس، فضرب الله مثل محمّد الشمس و مثل الوصيّ القمر. و هو قول الله عزّوجلّ: «جعل الشمس ضياء و القمر نوراً».[٥] و قوله عزّوجلّ: «و تركهم في ظلمات لايبصرون» يعني قبض محمّد صلى الله عليه وآله و ظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته.[٦]

«ما حوله». لفظة ما إمّا فاعل أو مفعول. «في ظلمات»: ظلمة الكفر و ظلمة النفاق و ظلمة يوم القيامة. أو: ظلمة شديدة كأنّها ظلمات.[٧]

[١٨] «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ».

«صمّ بكم»؛ أي: هم صمّ. فإن كان عبارة عن المستوقد، فحقيقة، لحصول الداهشة لهم فأذهب حواسّهم. و إن كان المراد المنافقين، فمجاز لأنّهم لم يسمعوا الحقّ و لم ينطقوا به

١ـ مجمع البيان ١ / ١٤٥، و تفسير البيضاويّ ١ / ٣١.

٢ـ مجمع البيان ١ / ١٤٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠.

٤ـ عيون الأخبار ١ / ١٢٣.

٥ـ يونس (١٠) /٥.

٦ـ الكافي ٨/ ٣٨٠، عن الباقر عليه السلام.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١/ ٣٢.

ألسنتهم و لم يتبصّروا الآيات بأبصارهم.[١]

«بكم». يعني في الآخرة. «لايرجعون». يعني: لاينطقون و لايعتذرون. عن الصادق عليه السلام.[٢]

أو: لايرجعون عن شراء الضلالة بالهدى.[٣]

[١٩] «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ».

«أو كصيّب». عطف على «الذي استوقد». و أو هنا للمساواة. يعني: انّك مخيّر بأن تشبّههم بهما أو بأيّهما شئت. و الصيّب فَيعِل من الصوب؛ و هو النزول. يقال للمطر و السحاب. «فيه ظلمات»؛ أي: في ذلك المطر. و هو ظلمة تكاثفه و ظلمة غمامته مع ظلمة اللّيل. «يجعلون». أي أهل الصيّب. «من الصواعق»؛ أي: من أجلها. «حذر الموت»؛ أي: لأجل حذر الموت. «محيط». لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط.[٤]

[٢٠] «يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَ لَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«يكاد البرق»: يكاد ما في القرآن من الحجج تخطف قلوبهم من شدّة إزعاجها إلى النظر في أمور دينهم. «كلّما»؛ أي: إذا آمنوا، صار الإيمان لهم نوراً، و إذا ماتوا، عادوا إلى ظلمة العقاب.[٥]

«و لو شاء الله لذهب بسمعهم»؛ أي: و لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد و أبصارهم بوميض البرق، لذهب بهما. فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه.[٦] و أمّا في جهة

١ـ تفسير البيضاويّ ١/ ٣١.
٢ـ الكافي ٨ / ٤٠٦.
٣ـ التبيان ١ / ٩٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢ ـ ٣٣.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٥٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤.

المنافقين فمعناه: انّه تعالى جعل لهم السمع و الأبصار ليتوصّلوا بها إلى الهدى و الفلاح، ثمّ إنّهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة و سدّوها عن الفوائد الآجلة. و لو شاء الله لجعلهم على الحالة التي يجعلونها [لأنفسهم]. فإنّه على ما يشاء قدير.(١)

«لذهب» بحواسّهم و أهلكهم.(٢)

«يكاد». استئناف ثان كأنّه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ و البرق سوط الملك الذي يسوق السحاب كما أنّ الرعد صوته. «أضاء». لازم و متعدّ. أي: نوّر الممشى لهم. و «قاموا» معناه وقفوا في جانب المشبّه. فقال الشيخ: جعل ضوء البرق و شدّة شعاع نوره كضوء إقرارهم بألسنتهم ... .

[٢١] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

خطاب عامّ. و عن ابن‌عبّاس أنّه ما في القرآن من «يا أيّها الناس» فإنّه نزل بمكّة و «يا أيّها الذين آمنوا» نزل بالمدينة.(٣)

و عن الرضا عليه السلام: ليس العبادة كثرة الصوم و الصلاة. إنّما العبادة التفكّر في أمر الله.(٤)

«يا أيّها الناس اعبدوا». شاملة للأصول و الفروع.(٥)

«الذي خلقكم». صفة للتعليل. «و الذين»؛ أي: خلق الذين. «لعلّكم». حال من الضمير في اعبدوا. أي: اعبدوه راجين أن تنخرطوا في سلك المتّقين. «و السماء بناء»: قبّة مضروبة عليكم.(٦)

[٢٢] «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَاداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١٥٢.
٣ـ مجمع البيان ١ / ١٥٣.
٤ـ الكافي ٢ / ٥٥، ح ٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥، و التبيان ١ / ٩٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦.

«فراشاً». عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: أي: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم، و لم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم، و لا شديدة البرودة فتجمدكم، و لا شديدة اللّين فتغرقكم، و لا شديدة الصلابة فتمنع عليكم. «و السماء بناء»؛ أي: سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها و قمرها لمنافعكم.(١)

«من السماء ماء». عن الباقر عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام يقوم في أوّل مطر يمطر حتّى يبتلّ ثيابه. فيقال له: يا أميرالمؤمنين، الكنّ. الكنّ. فيقول: إنّ هذا الماء قريب عهد بالعرش. لأنّ تحت العرش بحراً ينبت به أرزاق الحيوان. فإذا أراد الله عزّوجلّ أن ينبت ما يشاء لهم رحمة منه، مطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى سماء الدنيا فيلقيه إلى السحاب. و السحاب بمنزلة الغربال. ثمّ يوحي إلى السحاب: اطحنيه و أذيبيه ثمّ انطلق به إلى موضع كذا. فليس من قطرة يقطر إلّا و معها ملك يضعها موضعها.(٢)

«و أنزل من السماء». مِن للابتداء. «من الثمرات». مِن للتبعيض. «فلاتجعلوا» متعلّق باعبدوا على أنّه نهي معطوف عليه.(٣)

«و أنتم». حال من ضمير «فلاتجعلوا». أي: و حالكم أنّكم من أهل العلم و النظر.(٤)

[٢٣] «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«على عبدنا». في أصول الكافي بإسناده إلى جابر قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله هكذا: «و إن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا في عليّ عليه السلام فأتوا بسورة من مثله».(٥)

و روى الشيخ رحمه الله في المصباح قال: قال الصادق عليه السلام: حروف العبد ثلاثة: العين و الباء و

١ـ عيون الأخبار ١ / ١٣٧، و التوحيد / ٤٠٤.
٢ـ علل الشرائع / ٤٦٣، ح ٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨.
٥ـ الكافي ١ / ٤١٧.

الدال. فالعين علمه بالله تعالى. و الباء بونه عمّا سواه. و الدال دنـوّه مـن الله بـلا كـيف و لا حجاب.(١)

أقول: ذكر المحقّقون أنّ صفة العبوديّة فوق صفة الرسالة و النبوّة. و ذلك أنّها حالة رابطة بينه و بين مولاه لا تعلّق لها بالخلق، بخلاف الرسالة؛ فإنّ لها نسبة إلى المرسل إليهم. ومن ثَمّ قال في مقام الثناء عليه: «سبحان الذي أسرى بعبده».(٢)

«و إن كنتم في ريب». دخلت إن هاهنا لغير الشكّ. لأنّ الله تعالى علم أنّهم مرتابون، ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم. كقولهم: إن كنت ابني فأطعني. و الريب: الشكّ مع تهمة. و «من مثله» صفة سورة. أي: كائنة من مثله. و الضمير لما نزّلنا. و من للتبعيض ـ أي: فأتوا ببعض ما هو مثل له و هو سورة ـ أو للتبيين. و زائدة عند الأخفش. أي: بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة و حسن النظم. أو لعبدنا. أي: ممّن هو على حاله من كونه بشراً عربيّاً أو أمّيّاً لم يقرأ الكتب و لم يأخذ من العلماء، و لا قصد إلى [مثل و نظير هنالك. و ردّ الضمير إلى المنزّل أوجه؛ لقوله تعالى: «فأتوا بسورة] مثله».(٣) «فأتوا بعشر سور مثله».(٤) «على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله».(٥) و لأنّ الحديث في المنزّل لا في المنزّل [عليه].(٦)

«من دون الله»؛ أي: من غير الله.(٧)

«و إن كنتم في ريب». لمّا قرّر وحدانيّته تعالى و بيّن الطريق الموصل إليها، ذكر عقيبه ما هو الحجّة على نبوّة محمّدﷺ و هو القرآن المعجز فصاحته. «و ادعوا شهداءكم»؛ أي: من يشهدكم و يعينكم. «إن كنتم صادقين» أنّه من كلام البشر.(٨)

[٢٤] «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

١ـ مصباح الشريعة / ٥٤١. و ما ورد في المتن: «و روى الشيخ ...» خطأ.

٢ـ الإسراء (١٧) / ١.

٣ـ يونس (١٠) / ٣٨.

٤ـ هود (١١) /١٣.

٥ـ الإسراء (١٧) / ٨٨.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨ ـ ٣٩، و الكشّاف ١ / ٩٨، و مجمع البيان ١ / ١٥٧.

٧ـ مجمع البيان ١ /١٥٧.

٨ـ تفسير البيضاويّ ١ /٣٨ ـ ٣٩.

لِلْكَافِرِينَ».

«فإن لم تفعلوا» [و عجزتم عن][1] الإتيان بسورة مثله. إنّما أتى بإن و الموضع لإذا، لعدم الشكّ منه، إمّا تهكّماً بهم ـ كما تقول لمن علمت أنّك تغلبه: إن غلبتك لم أبق عليك ـ و إمّا بناء على حال المخاطبين، لأنّهم ربما شكّوا في الإتيان قبل التأمّل. «و لن تفعلوا». جملة اعتراضيّة لفائدة نفي الأبد. «فاتّقوا». الجواب. فأقام الملزوم مقام اللّازم.[2]

«وقودها»؛ أي: حطبها. و «الحجارة»: حجارة الكبريت. أو: الأصنام التي كانت تنحت من الحجارة. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بجبل و إذا الدموع تخرج من بعضه. فقال له: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله، كان المسيح عليه السلام مرّ بي و هو يخوّف الناس بنار وقودها الناس و الحجارة. و أنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة. قال صلى الله عليه وآله: لا تخف. تلك الحجارة الكبريت. فقرّ الجبل و سكن.[3]

[٢٥] «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

البشارة: الخبر السارّ، لأنّ أثره يظهر على البشرة. «الجنّات». جمع جنّة، مصدر جنّه، إذا ستره. لأنّها مستورة عن أهل الدنيا. «رزقاً». مفعول به.[4]

«أعدّت». [فيها] دلالة على وجود النار بالفعل، و كذلك الجنّة؛ لعدم القائل بالفصل. و الآيات و الأخبار و إجماع المسلمين دالّ عليه. و ذهب جماعة من المعتزلة ـ كأبي هاشم و القاضي عبدالجبّار و من يجري مجراهما ـ إلى أنّهما سيخلقان، و ربما حكي عن سيّدنا الرضيّ، حملاً لقوله: «أعدّت» و ما في معناه على الاستقبال، و نظراً إلى ظاهر قوله تعالى:

١ـ في النسخة: «من» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ الكشّاف ١ /١٠١.

٣ـ الاحتجاج ١ / ٣٢٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١.

«و جنّة عرضها كعرض السموات و الأرض».[١] فلو كانت موجودة بالفعل أين كانت تكون؟ و أجاب عنه العلماء ـ و هو مرويّ عن الرضا عليه السلام ـ أنّ سقف الجنّة عرش الرحمن و قوله عزّ شأنه: «عند سدرة المنتهى * عندها جنّة المأوى»[٢] و أمّا النار فهي تحت الأرضين السبع.[٣]

«و بشّر». عطف على جملة وصف عقاب الكافرين أو على فاتّقوا.[٤]

«من تحتها»؛ أي: من تحت أشجارها و مساكنها. «منها»: من أشجار الجنّة.[٥]

«من ثمرة». من الأولى و الثانية للابتداء واقعتان موقع الحال.[٦]

«من ثمرة». من زائدة، أو للتبعيض، أو للتبيين.[٧]

«قالوا هذا». فيه وجوه. أحدها: انّ ثمارها إذا جنيت من أشجارها، عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون: «هذا الذي رزقنا من قبل». و ثانيها: انّ معناه: هذا الذي رزقناه [من قبل] في الدنيا. عن ابن‌عبّاس. و قيل: هذا الذي وعدناه في الدنيا. و ثالثها: انّ هذا الذي رزقناه من قبل في الجنّة. أي كالّذي رزقناه، و هم يعلمون أنّه غيره، ولكنّهم شبّهوه به في طعمه و لونه و ريحه و طيبه و جودته. «و أتوا به متشابهاً»؛ أي: جيئوا به. و ليس معناه: و أعطوه. و فيه وجوه. أحدها: انّه أراد متشابهاً في اللّون مختلفاً في الطعم. و ثانيها: انّها متشابهة في الجودة خيار لا رذل فيه. و ثالثها: انّه يشبه ثمر الدنيا غير أنّ ثمر الجنّة أطيب. و رابعها: انّه يشبه بعضها بعضاً في اللّذّة و في جميع الصفات. «أزواج». قيل: هنّ الحور العين. و قيل: هنّ نساء الدنيا. «مطهّرة» من الحيض و البول و الغائط و الأخلاق الذميمة و الآثام.[٨]

١ـ الحديد (٥٧) / ٢١.
٢ـ النجم (٥٣) / ١٤ ـ ١٥.
٣ـ بحار الأنوار ٨ / ٢٠٦: قال شارح المقاصد: ... و الأكثرون على أنّ الجنّة فوق السموات السبع و تحت العرش تشبّثاً بقوله تعالى: «عند سدرة...» وقوله عليه السلام: «سقف الجنّة ... الأرضين السبع».
٤ـ الكشّاف ١ / ١٠٤.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٦٢.
٦ـ الكشّاف ١ / ١٠٧.
٧ـ التبيان ١ / ١٠٨.
٨ـ مجمع البيان ١ / ١٦٢.

«خالدون». في الكافي مسنداً إلى الصادق عليه السلام: إنّما خلّد أهل النار في النار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعصوا الله أبداً. و إنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يطيعوا الله أبداً. فبالنيّات خلّد هؤلاء و هؤلاء. ثمّ تلا قوله: «قل كلّ يعمل على شاكلته».[١] قال: على نيّته.[٢]

أقول: هذا الحديث إشارة إلى معنًى آخر لقوله صلى الله عليه و آله: نيّة المؤمن خير من عمله. و نيّة الكافر شرّ من عمله.[٣]

[٢٦] «إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللهُ بِهٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ».

«يستحيي» بياءين. و عن ابن‌كثير بواحدة. «مثلاً ما بعوضة». روي عن الصادق عليه السلام: انّما ضرب الله المثل بالبعوضة، لأنّ البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق الله في الفيل مع كبره و زيادة عضوين آخرين. فأراد الله أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه و عجيب صنعته. و قال الربيع: إنّ البعوضة تحيى ماجاعت؛ فإذا سمنت، ماتت. فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل، إذا امتلؤوا من الدنيا، أخذهم الله عند ذلك.[٤]

«ما بعوضة». «ما» إمّا أن تكون مزيدة و معناها التوكيد فيكون بعوضة مفعولاً ثانياً ليضرب، و إمّا أن تكون نكرة مفسّرة ببعوضة. أي: أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة، [فتكون بعوضة] بدلاً من شيئاً.[٥]

و أمّا النزول، روي عن ابن‌عبّاس: انّ الله تعالى لمّا ضرب المثلين السابقين و هو «الذي استوقد ناراً» و قوله: «أو كصيّب من السماء»، قال المنافقون: الله أجلّ من أن يضرب هذه

١ـ الإسراء (١٧) / ٨٤.
٢ـ الكافي ٢ / ٨٥.
٣ـ الكافي ٢ / ٨٤.
٤ـ مجمع البيان ١ / ١٦٣ و ١٦٥.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٦٣ ـ ١٦٤.

الأمثال، فأنزلت. و عن الحسن: لمّا ضرب المثل بالذباب و العنكبوت، تكلّم فيه قوم من المشركين و عابوا ذكره، فأنزلت.[١]

«فما فوقها». عن الصادق عليه السلام: البعوضة أميرالمؤمنين. «فما فوقها» رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

«فما فوقها»؛ أي: فما زاد عليها في الحجم كالذباب و العنكبوت، أو ما زاد عليها في الحقارة كجناح البعوضة. فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ضربه مثلاً للدنيا. «أنّه»؛ أي: ذلك المثل. «ماذا». استفهاميّة. و ذا بمعنى الذي وما بعده صلته. و الجملة خبر ما. «يضلّ به». جواب ماذا. أي: إضلال كثير و إهداء كثير. لأنّ العلم بكونه حقّاً هدًى و إنكاره ضلال.[٣]

«مثلاً». نصب على التميز.[٤]

«و مايضلّ به إلّا الفاسقين»؛ أي: الخارجين عن حدّ الإيمان. كقوله: «إنّ المنافقين هم الفاسقون».[٥] و الفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة. و له درجات ثلاث. الأولى: التغابي؛ و هو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إيّاها. و الثانية: الانهماك؛ و هو أن لايبالي بها. و الثالثة: الجحود؛ و هو أن يرتكبها مستصوباً إيّاها، فيلابس الكفر حينئذ. والمعتزلة لمّا قالوا: الإيمان بمجموع التصديق و الإقرار و العمل و الكفر تكذيب الحقّ، جعلوا الفاسق قسماً ثالثاً نازلاً بين منزلتي المؤمن و الكافر.[٦]

[٢٧] «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«من بعد ميثاقه»؛ أي: من بعد أن أوثقه الله بالآيات و الرسل.[٧]

«عهد الله». قيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة: عهد أخذه على جميع ذرّيّة آدم، الإقرار

١ـ مجمع البيان ١ / ١٦٥.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤ ـ ٤٥.

٤ـ الكشّاف ١ / ١١٨.

٥ـ التوبة (٩) / ٦٧.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦.

بربوبيّته. و هو قوله: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم».[١] و عهد خصّ به الأنبياء أن يـبلّغوا رسالته. و هو قوله: «و إذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم».[٢] و عهد خصّ به العلماء. و هو قوله: «و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس».[٣][٤]

«الذين ينقضون». في موضع النصب صفة للفاسقين. و «عهد الله» هو ما ركّبه في عقولهم من أدلّة التوحيد و العدل، وما احتجّ به لرسله من المعجزات الدالّة على صدقهم. و نقضهم لذلك، تركهم الإقرار به. أو: انّ العهد وصيّة الله إلى خلقه على لسان نبيّه ﷺ بما أمرهم به من طاعته و نهاهم عنه وتركوا العمل به. أو: انّ المراد به كفّار أهل الكتاب. و عهد الله هو ما أخذه عليهم في التوراة مـن اتّـباع محـمّد. و نـقضهم لذلك جـحودهم بـه و كـتمانهم له. «و يقطعون». أي صلة الأرحام، أو كلّ ما أمر الله بـصلته. «ويـفسدون في الأرض»؛ أي: يقطعون الطرق. أو كلّ معصية؛ فإنّها فساد.[٥]

[٢٨] «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

استخبار فيه إنكار و تعجيب لكفرهم بإنكار الحال التي يقع الكفر عليها، على الطريق البرهانيّ. لأنّ صدوره لاينفكّ عن حال و صفة، فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، استلزم ذلك إنكار وجوده. فهو أبلغ و أقوى في إنكار الكـفر مـن «أتكـفرون». و الخطاب مع الذين كفروا. لمّا وصفهم بالكفر و سوء المقال، خاطبهم على طريق الالتفات و وبّخهم على كفرهم. و المعنى: أخبروني على أيّ حال تكفرون؟ «و كـنتم أمـواتاً»؛ أي: أجساداً لا حياة لها عناصر و أغذية و أخلاطاً و مضغاً فأحياكم بخلق الأرواح و نفخها فيكم. و إنّما عطفه بالفاء لأنّه متّصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البـواقي. «ثمّ

١ـ الأعراف (٧) / ١٧٢.
٢ـ الأحزاب (٣٣) / ٧.
٣ـ آل عمران (٣) / ١٨٧.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٢٠.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٦٩.

يميتكم» عند تقضّي آجالكم. «ثمّ يحييكم» بالنشور يوم نفخ الصور، أو للسؤال في القبور. «ثمّ إليه ترجعون» بعد الحشر، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب. فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فإن قيل: إن علموا أنّهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثمّ يميتهم، لم يعلموا أنّه يحييهم ثمّ إليه يرجعون. قلت: تمكّنهم من العلم بهما بما نصب لهم من الدلائل [منزّل] منزلة علمهم في إزاحة العذر، سيّما و في الآية تنبيه على ما يدلّ على صحّتهما و أنّ من قدر أن يحييهم أوّلاً، قدر أن يحييهم ثانياً.(١)

«كيف تكفرون». يجوز أن يكون الخطاب مع المؤمنين و الكفّار. فإنّه لمّا بيّن دلائل التوحيد و النبوّة و وعدهم على الإيمان و أوعدهم على الكفر أكّد ذلك بأن عدّد عليهم النعم العامّة و الخاصّة و استقبح صدور الكفر عنهم. فإن قيل: كيف يعدّ الإماتة من النعم المقتضية للشكر؟ قلت: لمّا كانت وصلة إلى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقيّة ـ كما قال: «و إنّ الدار الآخرة لهي الحيوان»(٢) ـ كانت من النعم العظيمة مع أنّ المعدودة عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصّة بأسرها، كما أنّ الواقع حالاً هو العلم بها لا كلّ واحدة من الجمل، فإنّ بعضها ماض و بعضها مستقبل و كلاهما لا يصحّ أن يقع حالاً. أو الخطاب مع المؤمنين خاصّة لتقرير المنّة عليهم و تبعيد الكفر عنهم على معنى: كيف يتصوّر الكفر منكم و كنتم أمواتاً ـ أي: جهّالاً ـ فأحياكم بما أفادكم من العلم و الإيمان، ثمّ يميتكم الموت المعروف، ثمّ يحييكم الحياة الحقيقيّة، ثمّ إليه ترجعون فيثيبكم؟(٣)

[٢٩] «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

عن أمير المؤمنين عليه السلام. قال: «الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» لتعتبروا و لتتوصّلوا به إلى رضوانه و تتوقّوا به عذاب نيرانه. فخلق لكم كلّ ما في الأرض لمصالحكم.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧.
٢ـ العنكبوت (٢٩) / ٦٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧.
٤ـ عيون الأخبار ٢ / ١٢، ح ٢٩.

كذا في عيون الأخبار. و المفسّرون أضافوا إلى هذا المعنى الانتفاع الدنيويّ للأبدان. و استدلّوا بها على أنّ الأصل في الأشياء الإباحة حتّى يظهر الدليل المخرج له. و أمّا المحدّثون من علمائنا، حيث ذهبوا إلى أنّ ما ورد في الأخبار من أنّ لله تعالى في كلّ شيء من الأشياء حكماً خاصّاً فإن بلغ إلينا و إلّا فالتوقّف واجب، خصّوا هذه الآيه بالمعنى الأوّل المذكور في الخبر.

أقول: آخر الخبر فيه دلالة على قول المجتهدين أيضاً. فلعلّه الأقوى و الأظهر.

«استوى»؛ أي: قصد و أقبل و استولى. لعلّ في ظاهره منافاة لقوله: «و الأرض بعد ذلك دحاها».[١] و أجاب عنه المفسّرون بوجهين. الأوّل: إنّ «ثمّ» ليس لترتيب الزمان، بل لتفاوت بين الخلقين و فضل خلق السماء على خلق الأرض.[٢] و الثاني: انّه خلق مادّة الأرض، أعني الزبد الذي كان على الماء قبل السماء، لكنّه لم يدح الأرض و لم يبسطها على وجه الماء فدحاها بعد خلق السموات[٣]، فلا منافاة حينئذ. و هذا المعنى وارد في الأخبار. فإنكار بعض المفسّرين له منكر.

«هو الذي خلق لكم». إشارة إلى نعمة أخرى. «فسوّاهنّ». ضمير الجمع لأنّ السماء اسم جنس. «سبع سموات». بدل من الضمير.[٤]

[٣٠] «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«و إذ قال»؛ أي: اذكر ـ يا محمّد ـ في ذلك الوقت هذه النعمة. أو منصوب بقالوا.[٥]

«و نحن نسبّح». التسبيح: تبعيد الله عن السوء. و كذلك التقديس. و «بحمدك» في

١ـ النازعات (٧٩) / ٣٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨.

٣ـ مجمع البيان ١ / ١٧٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩، و مجمع البيان ١ / ١٧٦.

موضع الحال. أي متلبّسين بحمدك على ماوفّقتنا لتسبيحك. تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم من العجب و الاستكبار.[١]

«و نقدّس لك» كما نطهّر أنفسنا من الذنوب لأجلك. و قيل: عن الالتفات إلى غيرك.[٢]

«قال إنّي أعلم» من الحكمة في استخلافهم و خلق الأنبياء و الأولياء منهم ما لاتعلمون. لأنّكم تعلمون الظاهر لا غير.[٣]

«خليفه». يعني آدم و أولاده خليفة الجانّ بن الجانّ. لأنّهم كانوا يفسدون في الأرض فأرسل إليهم الملائكة فقتلوهم. و قول الملائكة: «أ تجعل فيها» على سبيل الاستخبار عن الحكمة في استخلافهم، مع كون الملائكة أحقّ منهم بالاستخلاف لمكان التحميد و التقديس. و قولهم هذا إمّا بوحي من الله، أو لأنّهم قاسوا أحد الثقلين على الآخر. و إمّا لأنّهم تحقّقوا الفساد فيهم من تركيبهم من العناصر المتضادّة. و آدمعليه السلام هو الخليفة الأوّل. و الثاني هارون. «يا هارون اخلفني».[٤] و الثالث داوود. «يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض».[٥] و الرابع عليّعليه السلام حيث استخلفه النبيّ في تبليغ سورة البراءة. كذا جاء في الرواية عن عليّعليه السلام حيث قال له الخضر: السلام عليك يا رابع الخلفاء و رحمة الله، ففسّره النبيّ بما قلناه. رواه الصدوق في عيون الأخبار.[٦]

«قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها». في علل الشرائع عن الصادقعليه السلام: لمّا قالت الملائكة: «أ تجعل فيها» كان لايحجبهم عن نوره. فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام. فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فتاب عليهم و جعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعه يطوفون حوله. و جعل البيت الحرام بحذائه أمناً للناس. فصار الطواف سبعة أشواط لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠.
٢ تفسير النيسابوريّ ١ / ٢١٩.
٣ـ التبيان ١ / ١٣٣، و مجمع البيان ١ / ١٧٧.
٤ـ الأعراف (٧) / ١٤٢.
٥ـ ص (٣٨) / ٢٦.
٦ـ عيون الأخبار ٢ / ١٠، ح ٢٣.
٧ـ علل الشرائع / ٤٠٦ ـ ٤٠٨، ح ١.

و الأخبار بهذا المعنى كثيرة. و حينئذ فما صدر في هذا السؤال من الملائكة، هو من باب ترك الأولى.

[٣١] «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هٰؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ».

عن الصادق عليه السلام قال: الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية. ثمّ نظر إلى تحته فقال: و هذا البساط ممّا علّمه.(١)

و في بصائر الدرجات قال: إنّ رسول الله قال: إنّ الله مثّل لي أمّتي في الطين و علّمني أسماءهم كما علّم آدم الأسماء كلّها.(٢)

عن الصادق عليه السلام: علّم آدم أسماء الحجج كلّها ثمّ عرضهم و هم أرواح.(٣)

«عرضهم»؛ أي: عرض المسمّيات و هى ذوات الأشياء المدلول عليها بالأسماء فقال: أنبئوني بأسمائها.(٤)

«صادقين» بأنّكم أحقّ بالخلافة من آدم لتسبيحكم. عن الصادق عليه السلام.(٥)

[٣٢] «قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

«سبحانك»؛ أي: أنزّهك عن أن يكون فعلك خالياً عن الحكمة.(٦)

[٣٣] «قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ».

«إنّي أعلم». إشارة إلى قوله: «أعلم ما لاتعلمون» على سبيل البسط. و قيل: دلالة على أنّ تفضيل آدم عليهم بالعلم، إنّما كان على وفق الحكمة و الاستحقاق فلا اعتراض للملائكة

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٢.
٢ـ بصائر الدرجات / ١٠٣.
٣ـ كمال الدين / ١٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١.
٥ـ كمال الدين / ١٤.
٦ـ مجمع البيان ١ / ١٨٣، و التبيان ١ / ١٤٢.

و لا لغيرهم بأن يقولوا: لو علّمتنا كما علّمت آدم، لعلمنا الأسماء وقت العرض.

«فلمّا أنبأهم بأسمائهم»؛ أي: بأسماء ما عرض عليهم؛ وهي المسمّيات و خواصّ منافعها.

«و أعلم ما تبدون»؛ أي: أعلم سرّكم و جهركم. أو: أعلم ما تبدون من قولكم: «أ تجعل فيها من يفسد فيها» «و ما كنتم تكتمون» من إضمار إبليس المعصية، لأنّه كان بينهم. و به روايات.[1]

[٣٤] «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

عنه عليه السلام: سمّي آدم لأنّه خلق من طين الأرض و أديمها.[2]

اختلف في إبليس هل كان من الملائكة أم لا. فذهب قوم إلى أنّه كان منهم. و اختاره الشيخ الطوسي رحمه الله. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام و الظاهر في تفاسيرنا. ثمّ اختلفوا فقيل: إنّه كان خازناً على الجنّة. و قيل: كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض. و قال الشيخ المفيد: إنّه كان من الجنّ. قال: و قد جاءت الأخبار بذلك متواترة عن أئمّة الهدى عليهم السلام. و هو مذهب الإماميّة. و عليه جماعة من المفسّرين و غيرهم احتجاجاً بقوله تعالى: «إلّا إبليس كان من الجنّ»[3] و بقوله: «لا يعصون الله ما أمرهم».[4][5]

كذا قال شيخنا الطبرسيّ. و الحقّ أنّ الأخبار الدالّة على أنّه من الجنّ متظافرة. و ما عارضها سبيله إمّا الحمل على التقيّة أو على ضرب من التأويل.

و أمّا حقيقة السجود، فقيل: إنّه شرعيّ ـ أعني وضع الجبهة ـ لكنّ آدم عليه السلام كان كالقبلة في السجود، فهو حقيقة لله تعالى. و قيل: إنّه كوقت الزوال في السجود لله. و هو يرجع إلى الأوّل. و قيل: على أنّ المراد منه معناه اللّغويّ، أعني التواضع، كسجود أبوي يوسف و

١ـ مجمع البيان ١ / ١٨٥.
٢ـ علل الشرائع ١ / ٢، ح ١
٣ـ الكهف (١٨) / ٥٠.
٤ـ التحريم (٦٦) / ٦.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٨٩.

إخوته له. و الوارد في الأخبار أنّ نور النبيّ و أهل بيته صلوات الله عليهم كان في جبهة آدم و كان السجود لذلك النور تعظيماً له.

و أمّا السبب في منع الله ألطافه للشيطان، مع أنّه عبد الله في السموات ستّة آلاف سنة، فهو أنّه أضمر في خاطره و جعل مطمح نظره من تلك العبادة هو الدنيا و زينتها، و قد أعطاه الله ما طلب. «و من يرد ثواب الدنيا نؤته منها».[١] كذا جاء في الحديث.[٢]

«إبليس»: مشتقّ من الإبلاس و هو اليأس من رحمة الله. «استكبر»؛ أي: امتنع عتوّاً على الله و تحقيراً لصنع الله. و من ثمّ كفر؛ و إلّا فتارك السجود لايكفر. إلّا على هذا النحو. «و إذ قلنا»؛ أي: و اذكر إذ قلنا.[٣]

في الصحيح عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قول الله: «يا أيّها الذين آمنوا»: هل يدخل فيه الضلّال؟ قال: نعم، و الذين كفروا أدخلوا فيه. لأنّ الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة و إبليس. فإنّه كان مع الملائكة في السماء يعبد الله و كانت الملائكة تظنّ أنّه منهم و لم يكن منهم. فلمّا أمر الملائكة بالسجود، أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّه لم يكن منهم. فقيل له: كيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر الله الملائكة بالسجود؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء و لم يكن من جنس الملائكة. و ذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم و كان إبليس منهم حاكماً في الأرض. فعتوا و أفسدوا، فبعث الله الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس و رفعوه معهم إلى السماء و كان مع الملائكة إلى أن خلق آدم.[٤] فلمّا مرّ عليه و هو شبح قال: لئن أمرني الله لهذا بالسجود، لعصيته.[٥]

«و كان من الكافرين». أي في علم الله، أو بسبب الاستكبار عن السجود. أو إنّه كان من جنس الكفّار أعني الجنّ الذين كانوا في الأرض.[٦]

١ـ آل عمران (٣) / ١٤٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٢.
٣ـ مجمع البيان ١ / ١٩٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٥ ـ ٣٦.
٥ـ ليس في المصدر.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣، و الكشّاف ١ / ١٢٧.

[٣٥] «وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ».

«رغداً»؛ أي أكلاً واسعاً رافهاً.(١)

«و لاتقربا»؛ أي: لاتأكلا. على سبيل المبالغة.(٢)

«هذه الشجرة». قال الرضا عليه السلام: أشار الله لهما إلى شجرة الحنطة و لم يقل لهما: و لاتأكلا من هذه الشجرة و لا ما كان من جنسها. فلم يقربا تلك الشجرة و إنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان لهما. و كان ذلك من آدم قبل النبوّة. و لم يكن ذلك بذنب كبير و إنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلمّا جعله الله نبيّاً، كان معصوماً لايذنب صغيرة و لا كبيرة.(٣)

و سئل عليه السلام من تلك الشجرة: ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها. فمنهم من يروي أنّها الحنطة. [و منهم من يروي أنّها العنب. و منهم من يروي أنّها شجرة الحسد. فقال عليه السلام: كلّ ذلك حقّ. إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً. و كانت شجرة الحنطة] و ليست كشجرة الدنيا.(٤)

و قيل: شجرة الكافور. عن عليّ عليه السلام.(٥)

في الصحيح عن الصادق عليه السلام: انّ موسى عليه السلام قال: يا أبت ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أمرك ألّاتأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟ قال: يا موسى، بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: ثلاثين ألف سنة. قال: فهو ذلك. قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليهما السلام.(٦)

[٣٦] «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤.
٣ـ عيون الاخبار ١ / ١٩٦.
٤ـ عيون الاخبار ١ / ٣٠٦.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٩٥.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٤ ـ ٤٥.

«من الظالمين». أي لأنفسهما. «فأزلّهما»؛ أي: أصدر زلّتهما عن الشجرة؛ أي: بسببها. أو أزلّهما عن الجنّة بمعنى أذهبهما. «ممّا كانا فيه» من نعيم الجنّة.(١)

و اختلف في كيفيّة وصول إبليس إليهما و هو خارج عن الجنّة. فقيل: إنّ آدم عليه السلام كان يخرج من باب الجنّة و كان إبليس يكلّمه. و قيل: إنّه دخل في فم الحيّة و خاطبهما من فمها. و قيل: إنّه راسلهما بالخطاب. «و قلنا اهبطوا». خطاب لآدم و حوّاء و إبليس. «لبعض». يعني آدم و ذرّيّته و إبليس و ذرّيّته. «مستقرّ»: مقام إستقرار و ثبوت.(٢)

«إلى حين»: إلى يوم القيامة. عن الصادق عليه السلام.(٣)

[٣٧] «فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

«فتلقّى»؛ أي: قبل و أخذ و سأله بحقّهنّ.(٤)

ابن‌كثير: «آدمَ» بالنصب. «كلماتٌ» بالرفع. و الباقون برفع آدم.(٥)

عن الصادق عليه السلام: سمّي الصفا لأنّ المصطفى آدم نزل عليه. و هبطت حوّاء على المروة، فمن ثمّ سمّيت به لنزول المرأة عليه.(٦)

«كلمات». سأله بحقّ محمّد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمّة عليهم السلام. عن الصادق عليه السلام.(٧)

[٣٨] «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«قلنا اهبطوا». اختلف في تكرار الهبوط. فقيل: الهبوط الأوّل من الجنّة إلى السماء، و هذا الهبوط من السماء إلى الأرض. و قيل: إنّما كرّر للتأكيد. و قيل: إنّما كرّر لاختلاف الحالين.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١٩٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٣.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٢٠٠.
٥ـ مجمع البيان ١ / ١٩٩.
٦ـ علل الشرائع / ٤٣١.
٧ـ معاني الأخبار / ١٢٥، ح ٢.

فالأوّل للعداوة و في حالها و الثاني للتكليف. «منّي هـدًى»؛ أي: بـيان و دلالة. و قـيل: الأنبياء و الرسل. و على هذا يكون الخطاب لآدم و حوّاء. «فمن اتّبع»؛ أي: اقتدى برسلي. «و لا هم يحزنون». يعني في الآخرة لا في الدنيا.(١)

[٣٩] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«أصحاب النار هم فيها خالدون». أجمع علماء الإسلام على تخليد الكـفّار في النـار. و الآيات و الأخبار ناطقة به. و ذهب شرذمة من علماء الإسلام إلى أنّ الخلود المراد منه المكث الطويل، رعاية لقواعد العدل بزعمهم. و تأوّلوا عليه خبرين: الأوّل قولهﷺ: سيأتي على جهنّم زمان ينبت في قعرها الجرجير. و هذا لايدلّ على مطلوبهم و هو ظاهر. و الثاني قولهﷺ: سيأتي على جهنّم زمان تصطفق أبوابها من خلوّها. و هذا الحديث لم ينقل في شيء من كتب الحديث. و إنّما نقله جماعة من الصوفيّة؛ و هم عندنا من الملاحدة كما حقّقناه في شرحنا على تهذيب الحديث.

[٤٠] «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَـلَيْكُمْ وَ أَوْفُـوا بِـعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَـبُونِ».

«يا بني إسرائيل»؛ يعني: يا بني يعقوب. نسبهم إلى الأب الأعلى؛ كما قال: يا بني آدم. و الخطاب لليهود و النصارى. و قيل: لليهود الذين كانوا حول المدينة و فـيها. «اذكـروا نعمتي». أراد بها النعم التي أنعم بها على أسلافهم من كثرة الأنبياء و الرسل و إنجائهم من فرعون و من الغرق. و ذكر النعمة بلفظ الواحد و المراد بها الجنس. و قيل: المراد بها النعم الواصلة إليهم ممّا اختصّوا به دون آبائهم كالأرزاق و دفع المكاره. «و أوفوا بـعهدي أوف بعهدكم». و هو أنّ الله تعالى عهد إليهم في التوراة أنّه باعث نبيّاً يقال له محمّدﷺ، فمن تبعه كان له أجران: أجر باتّباعه موسى، و أجر باتّباعه محمّداً، فقال: و أوفوا بعهدي في محمّد،

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤.

أوف بعهدكم أدخلكم الجنّة. أو هو العهد الذي ذكره في سورة المائدة حيث قال: «و لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل» إلى قوله: «لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلي» ـ الآية.[١] أو يكون الميثاق جميع الأوامر و النواهي. و الأوّل أقوى. لأنّ عليه أكثر المفسّرين و به شهد القرآن.[٢]

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ لمّا أنزل الله: «و أوفوا بعهدي»: و الله لقد أخرج آدم من الدنيا و عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وفوا له. ثمّ قال بعد أن ذكر أولي العزم و أنّ الأمم لم تف لهم في عهدهم على إطاعة أوصيائهم: و لقد عهدت إلى أمّتي في عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و إنّها الراكبة سنن من كان قبلها من الأمم.[٣]

عن الصادق عليه السلام قال: «أوفوا» بولاية أميرالمؤمنين، «أوف» لكم بالجنّة.[٤]

«بعهدي» بالإيمان و الطاعة. «بعهدكم» بالثواب. «فارهبون» في نقض العهد.[٥]

[٤١ ـ ٤٢] «وَ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ. * وَ لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و آمنوا». خطاب لليهود.[٦]

«و لاتشتروا»؛ أي: لاتستبدلوا. «و تكتموا»؛ أي: لاتجمعوا بين الأمرين.[٧]

«و إيّاي». عطف على محلّ «بآياتي».

«بما أنزلت»: القرآن. «مصدّقاً». حال من الضمير المحذوف في أنزلت. «و لاتشتروا». عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان حييّ بن أخطب و كعب بن الأشرف و آخرون من اليهود لهم

١ـ المائدة (٥) / ١٢.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
٣ـ معاني الأخبار / ٣٧٢، ح ١.
٤ـ الكافي ١ / ٤٣١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧.
٦ـ التبيان ١ / ١٨٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨: أي: لا تجمعوا لبس الحق بالباطل و كتمانه.

مأكلة على اليهود في كلّ سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبيّ فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته و ذكره. فذلك الثمن الذي أريد في الآية. «بآياتي»: الآيات التي في التوراة التي بها نعت محمّد صلى الله عليه وآله. «ثمناً قليلاً» لأنّها و إن كثرت، فهي قليلة بالنسبة إلى الآخرة. «و لاتلبسوا»: أي: لاتخلطوا الحقّ بالباطل. لأنّهم آمنوا ببعض الكتاب و كفروا ببعض. لأنّهم جحدوا صفة النبيّ و أقرّوا بغيره ممّا في الكتاب على حاله و هو الحقّ.(١)

[٤٣] «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ».

«و أقيموا الصلاة». يعني صلاة المسلمين و زكاتهم. فإنّ غيرهما كلا صلاة و لا زكاة. أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله.(٢)

«و اركعوا مع الراكعين»؛ أي: صلّوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين. أو يكون حثّاً على صلاة الجماعة. و إنّما خصّ الركوع بالذكر، لأنّ الخطاب لليهود و لم يكن في صلاتهم ركوع، أو لأنّه أوّل ما يشاهد من أفعال الصلاة.(٣)

[٤٤] «أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

«أ تأمرون الناس». خطاب لعلماء اليهود. وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا أنّهم على الإيمان، و هم لايؤمنون. و الاستفهام معناه التوبيخ.(٤)

«أفلاتعقلون». أي بقبح فعلكم فيصدّكم عنه.(٥)

«بالبرّ». قال: نزلت في القصّاص و الخطّاب. و هو قول أميرالمؤمنين عليه السلام: و على كلّ منبر خطيب مصقع يكذب على الله و على كتابه و على رسوله صلى الله عليه وآله.(٦)

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٠٩ ـ ٢١١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢١٣ ـ ٢١٤.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٢١٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٩.
٦ـ تفسيرالقمّيّ ١ / ٤٦.

[٤٥] «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ».

قيل: إنّه خطاب لليهود و معناه أنّ حبّ الرئاسة كان يمنع علماء اليهود عن متابعة النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال تعالى: استعينوا على الوفاء بعهدي بالصبر على ضيق المعاش الذي تأخذون الأموال من عوامّكم بسببه. و إن قلنا إنّه الصوم، فهو يذهب بالشره. قال عليه السلام : الصوم وجاء أمّتي. و أمّا الصلاة فلأنّه يتلى فيها ما يرغّب فيما عند الله و يزهّد في حبّ الرئاسة. و قيل: إنّه خطاب للمسلمين؛ أمروا بالاستعانة على مهمّات أمورهم بهما. «و إنّها»؛ أي: الصلاة ـ لقربها ـ «لكبيرة»؛ أي: ثقيلة. «الخاشعين»؛ أي: المتواضعين لله تعالى. فإنّهم وطّنوا أنفسهم على فعلها.(١)

قال الصادق عليه السلام: «الصبر» الصيام.(٢)

[٤٦] «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «يظنّون»؛ أي: يوقنون أنّهم يحشرون و يجزون بالثواب و العقاب.(٣)

«و أنّهم إليه راجعون»؛ أي: إلى مكان لايملك أحد فيه نفعاً و لا ضرّاً كما كانوا في بدء الخلق. و يجوز أن يكون «راجعون» بمعنى صائرون.

«الذين يظنّون». في موضع الجرّ صفة للخاشعين. و «يظنّون»؛ أي: يوقنون أنّهم ملاقو ما وعدهم ربّهم. كقوله: «إنّي ظننت أنّي ملاق حسابيه».(٤) و قيل: إنّه بمعنى الظنّ غير اليقين. أي: يظنّون أنّهم ملاقو ربّهم بذنوبهم لشدّة إشفاقهم من الإقامة على معصية الله.(٥)

«يظنّون». و يؤيّد الظنّ بمعنى اليقين أنّ في مصحف ابن مسعود: «يعلمون».(٦)

١ـ مجمع البيان ١ / ٢١٧ ـ ٢١٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٤٣، ح ٤٠.
٣ـ التوحيد / ٢٦٧.
٤ـ الحاقّة (٦٩) / ٢٠.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٩.

[٤٧] «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«يا بني إسرائيل». كرّره للتأكيد. و المراد بالعالمين عالمي زمانهم. و قيل: المراد به تفضيلهم في أشياء مخصوصة و هو إنزال المنّ و السلوى.[١]

[٤٨] «وَ اتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ».

«يوماً». منصوب على أنّه مفعول لا ظرف. «لاتجزي»: لاتقضي فيه «نفس عن نفس شيئاً» و لاتدفع عنها مكروهاً. و قيل: لايؤدّي أحد عن أحد حقّاً وجب عليه لله تعالى أو لغيره. «و لا يقبل منها شفاعة». قال المفسّرون: حكم هذه الآية مختصّ باليهود لإجماع الأمّة على أنّ للنبيّ ﷺ شفاعة مقبولة و إن اختلفوا في كيفيّتها. فعندنا هي مختصّة بإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبي المؤمنين. و قالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين التائبين دون العاصين. و هي ثابتة للنبيّ و أهل بيته صلوات الله عليهم و صالح المؤمنين. «و لايؤخذ منها عدل»؛ أي: فداء يكفّر عنه ذنوبه. سمّي به لأنّه يعادل المفديّ و يماثله.[٢]

ابن‌كثير و أبوعمرو: «تقبل» بالتاء، و الباقون بالياء.[٣]

«عن نفس». أي فيه[٤]. «منها شفاعة». قيل: كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، فأويسوا. فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الشفاعة لاتقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنّه نفى عن تقضي نفس [عن نفس] حقّاً أخلّت به من فعل أو ترك، ثمّ نفى أن تقبل منها شفاعة شفيع، فعلم أنّها لاتقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في «منها» إلى أيّ نفس يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية. و هي التي لايؤخذ منها عدل. يعني إن جاءت بشفاعة شفيع

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٠، و مجمع البيان ١ / ٢٢١.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٣ـ التيسير / ٦٣.

٤ـ الضمير في «فيه» راجع إلى «يوماً» في الآية المباركة.

لم يقبل منها. و يجوز أن يرجع إلى الأولى، على أنّها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها و لو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها. «و لا هم»؛ أي: النفوس الكثيرة المدلول عليها بالنفس. و التذكير بمعنى العباد.(١)

[٤٩] وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ».

«آل». أصله أهل. «فرعون»: لقب لملك العمالقة و هم أهل مصر نسبة إلى عِمليق بن لاوي. و كان اسمه مصعب بن الريّان ـ و قيل: وليد بن مصعب ـ من بقايا عاد. «يسومونكم»؛ أي: يكلّفونكم و يوردون عليكم أشدّ العذاب، و هو قوله: «يذبّحون»، و لذا لم يعطف عليه. و قيل: المراد به ما كانوا يكلّفونهم من الأعمال الشاقّة. لأنّهم جعلوهم أصنافاً؛ فصنف يخدمونهم، و صنف يحرثون لهم، و من لا يصلح منهم للعمل، ضربوا عليهم الجزية. و كانوا يذبحون أبناءهم لأنّ فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و تركت بني إسرائيل، فهاله ذلك فسأل السحرة فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك. فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل. فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت قد وقع في بني إسرائيل فيوشك أن يوقع العمل فينا.(٢) فأمر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة. فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك. و ولد موسى في السنة التي يذبحون فيها.(٣)

«و إذ نجّيناكم». تفصيل لقوله: «اذكروا نعمتي» و عطف عليه.(٤)

«ويستحيون نساءكم»؛ أي: يبقوهنّ لينكحوهنّ على وجه الرقّيّة. «و في ذلكم»؛ أي: سوء العذاب و ذبح الأبناء. أو: النجاة من آل فرعون.(٥)

١ـ الكشّاف ١ / ١٣٦ ـ ١٣٧.
٢ـ المصدر: أن يقع العمل علينا.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٠.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٢٢٧.

«بلاء»؛ أي: محنة، أو: نعمة؛ لإطلاق البلاء عليهما.[١]

[٥٠] «وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

«إذ فرقنا»؛ أي: فصّلنا بين بعضه و بعض حتّى صارت فيه مسالك لكم. وكانت المسالك اثني‌عشر على عدد الأسباط. و قوله: «بكم» فيه أوجه: أن يراد أنّهم كانوا يسلكونه و يتفرّق الماء عند سلوكهم فكأنّما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسّط بينهما. و أن يراد: فرقناه بسببكم و بسبب إنجائكم. و أن يكون في موضع الحال بمعنى: فرقناه ملتبساً بكم.[٢]

«و أغرقنا». أي فرعون و قومه.[٣]

[٥١] «وَ إِذْ وَاعَدْنَا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ».

«ثمّ اتّخذتم». ابن‌كثير و حفص بإظهار الذال، و الباقون بالإدغام.[٤]

«و إذ واعدنا»؛ أي: و اذكر إذ واعدنا. لمّا عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، وعد الله موسى أن يعطيه التوراة و ضرب له ميقاتاً ذا القعدة و عشر ذي الحجّة. و عبّر عنها باللّيالي لأنّها غرر الشهور. و قوله: «واعدنا»، لأنّه وعده الوحي و وعده موسى المجيء إلى الطور. «ثمّ اتّخذتم العجل» معبوداً».[٥]

«ثمّ اتّخذتم العجل» إلهاً معبوداً. «من بعده»؛ أي: من بعد غيبة موسى عليه السلام. و قيل: من بعد وعد الله إيّاكم بالتوراة. و قيل: من بعد غرق فرعون و ما رأيتم من الآيات.[٦]

[٥٢] «ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«ثمّ عفونا عنكم»؛ أي: عن عقابكم، بسبب قبول التوبة منكم عن عبادة العجل.[٧]

١ـ الكشّاف ١ / ١٣٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٣٨.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٢٨.
٤ـ مجمع‌البيان ١ / ٢٣٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٢.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٢٣٣.
٧ـ مجمع البيان ١ / ٢٣٤.

روي: انّ موسى أمرهم أن يقوموا صفّين. فاغتسلوا و لبسوا أكفانهم. و جاء هارون باثني‌عشر ألفاً ممّن لم‌يعبدوا العجل و معهم الشفار المرهفة و كانوا يقتلونهم. فلمّا قتلوا سبعين ألفاً، تاب الله على الباقين و جعل قتل الماضين شهادة لهم.(١)

«لعلّكم تشكرون»؛ أي: [إرادة أن] تشكروا النعمة في العفو عنكم.(٢)

[٥٣] «وَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

«الكتاب و الفرقان». يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً و فرقاناً يفرق فيه بين الحقّ و الباطل. يعني التوراة ـ كقولك: رأيت الغيث و اللّيث، تريد الرجل الجامع بين الجود و الجرأة ـ أو التوراة و البرهان الفارق بين الكفر و الإيمان من العصا و اليد و غيرهما من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال و الحرام.(٣)

«لعلّكم تهتدون» بالتفكّر في الآيات.(٤)

[٥٤] «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

«فتوبوا». الفاء للسببيّة. لأنّ الظلم سبب التوبة. «بارئكم»؛ أي: خالقكم بريئاً من التفاوت. «فاقتلوا». الفاء للتعقيب تكميلاً للتوبة.(٥)

«فتوبوا» بالندم و العزم. «ذلكم»؛ أي: التوبة و القتل «خير لكم» من الحياة الدنيا الفانية.(٦)

[٥٥] «وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٣٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٣٩.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٤٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٢.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٤٠.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

«و إذ قلتم». هم السبعون الذين اختارهم موسى ليسمعوا كلام الله فلمّا سمعوا الكلام قالوا: «لن نؤمن لك يا موسى حتّى نرى الله جهرة» فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا، ثمّ أحياهم الله بعد ذلك و بعثهم أنبياء. هذا دليل على الرجعة في أمّة محمّد ﷺ. فإنّه قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلّا كان في أمّتي مثله.[١]

«لن نؤمن لك»؛ أي: لن نصدّق بنبوّتك. «جهرة»: معاينة.[٢]

«جهرة». مصدر من قولك: جهر بالقراءة. و انتصابها على المصدر من غير لفظ الفعل.

«الصاعقة». قيل: نار نزلت من السماء فأحرقتهم. و قيل: صيحة جاءت من السماء.[٣]

«لن نؤمن». متعلّق بما أخبرهم به من صفات الله. لأنّهم قالوا: لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته و ما يجوز عليه [و ما لايجوز عليه] حتّى [نرى الله جهرة]. و قيل: إنّه لمّا جاءهم بالألواح و فيها التوراة، قالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا من عند الله حتّى نراه جهرة.[٤]

[٥٦] «ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«بعثناكم»: أحياكم بعد الموت. فيه دلالة على جواز الرجعة في الدنيا.[٥]

«تشكرون» نعمة البعث، أو ما كفرتموه.[٦]

[٥٧] «وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«و ظلّلنا»: و جعلنا الغمام يظلّكم. و ذلك في التيه؛ سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلّهم من الشمس. و ينزل باللّيل عمود من نار يسيرون في ضوئه. و ثيابهم لاتتّسخ و

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٧.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٤٠.

٣ـ الكشّاف ١ / ١٤١ و ١٤٢.

٤ـ التبيان ١ / ٢٥٢، و مجمع البيان ١ / ٢٤٠.

٥ـ مجمع البيان ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٣.

لاتبلى. [و ينزل عليهم] المنّ ـ هو الترنجبين ـ مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكلّ إنسان صاع. «و السلوى». كان يبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى ـ و هي السُّماني ـ فيذبح الرجل منها ما يكفيه.[١]

عن الحسين عليه السلام أنّ يهوديّاً قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ موسى قد أعطي المنّ و السلوى. فهل فعل لمحمّد مثل هذا؟ فقال: أعطي محمّد صلى الله عليه و آله أفضل من هذا. إنّ الله أحلّ لنا الغنائم و لأمّته و لم تحلّ لأحد قبله. قال اليهوديّ: قد ظلّل عليه الغمام. قال عليّ عليه السلام: قد أعطي محمّد أفضل من هذا. إنّ الغمام كانت تظلّه لمحمّد من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره و سفره.[٢]

كان سبب إنزال المنّ و السلوى عليهم أنّه لمّا ابتلاهم الله بالتيه قالوا لموسى: «اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون»[٣] حين أمرهم بالمسير إلى العمالقه لحربهم ـ و كانوا في البيت المقدس ـ بقوله: «ادخلوا الأرض المقدّسة».[٤] فوقعوا في التيه و صاروا كلّما ساروا، تاهوا في خمسة فراسخ أو ستّة فراسخ، فكلّما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا فإذا هم في مكانهم. و بقوا أربعين سنة. و في التيه توفّي موسى و هارون. و لمّا حصلوا في التيه، ندموا على ما فعلوا. فألطف الله لهم بالغمام لمّا شكوا من حرّ الشمس. و أنزل عليهم المنّ و السلوى من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم. فمن نام في ذلك الوقت، لم ينزل عليه نصيبه. فلذلك يكره النوم إلّا بعد طلوع الشمس.[٥]

«كلوا». على إرادة القول. «و ماظلمونا» بأن كفروا هذه النعم.[٦]

[٥٨] «وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».

«القرية». يعني بيت المقدس بإجماع المفسّرين. «الباب». قيل: هو باب حطّة من

١ـ الكشّاف ١ / ١٤٢.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٢٥.
٣ـ المائدة (٥) / ٢٤.
٤ـ المائدة (٥) / ٢١.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٢٤٤.
٦ـ الكشّاف ١ / ١٤٢.

بيت المقدس؛ و هو الباب الثامن. و قيل: باب القبّة التي كانت يصلّي إليها موسى و بنو إسرائيل.(١)

«رغداً»: أي: واسعاً. و نصبه على المصدر أو الحال من الواو.(٢)

قيل: خفض لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها و دخلوا متزحّفين على أوراكهم. «حطّة». فعلة من الحطّ؛ كالجلسة. و هي خبر مبتدأ محذوف. أي: مسألتنا حطّة. أو: أمرك حطّة. و الأصل النصب ـ بمعنى: حطّ عنّا ذنوبنا ـ و إنّما رفعت لتعطي معنى الثبات؛ كقوله: «صبر جميل».(٣) و قرئ بالنصب على الأصل. و قيل: معناه: أمرنا حطّة؛ أي أن نحطّ في هذه القرية و نستقرّ فيها. «و سنزيد». أي سبب قول هذه الكلمة نزيد في ثوابه.(٤)

«سجّداً». قيل: معناه: ركّعاً؛ و هو شدّة الانحناء. و قيل: ادخلوا خاضعين متواضعين. و قيل: معناه: إذا دخلتم الباب فاسجدوا لله شكراً. و قوله: «حطّة» قال أكثر أهل العلم: معناه: حطّ عنّا ذنوبنا. و هو أمر بالاستغفار. و قيل: أمروا أن يقولوا: لا إله إلّا الله. لأنّها حطّ الذنوب. و روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال نحن باب حطّتكم.(٥)

«نغفر لكم». بإظهار الراء عند الفرّاء. و قيل بإدغامها في اللّام. قرأ أبو جعفر و نافع: «يغفر». و قرأ ابن عامر بالتاء المضمومة، و الباقون بالنون؛ و هو الاختيار، لأنّه أشبه بما تقدّم من قوله: «و ظلّلنا».(٦)

[٥٩] «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ».

«فبدّل»: أي: بدّلوا ذلك القول الذي معناه الاستغفار بلفظ غيره. قيل: إنّهم قالوا مكان حطّة: حنطة، جهلاً و استهزاءً. و قيل: قالوا بالنبطيّة: حطاً سمقاثاً ـ أي: حنطة حمراء ـ عدولاً

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٣.
٣ـ يوسف (١٢) / ١٨.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٤٢ ـ ١٤٣.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٢٤٧.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٢٤٥.

من طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا. «رجزاً». الرجز: العذاب. قيل: إنّه مات منهم في ساعة بالطاعون سبعون ألفاً.(١)

[٦٠] «وَ إِذِ اسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

«و إذ استسقى موسى». قال أهل التأويل و الإشارة: الروح الإنسانيّ و صفاته في عالم القلب بمثابة موسى و قومه و انّه يستسقي ربّه لإروائها من ماء الحكمة فيضرب عصا «لا إله إلّا الله» و لها شعبتان من النفي و الإثبات تتّقدان نوراً عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر اثنتاعشرة عيناً من ماء الحكمة بعدد حروف «لا إله إلّا الله». قد علم كلّ سبط من أسباط الإنسان ـ و هي خمس حواسّ ظاهرة و خمس باطنة مع القلب و النفس ـ مشربهم فيستوفي حظّه بحسب مشربه.(٢)

«الحجر». اللّام في «الحجر» إمّا للعهد و الإشارة إلى حجر معلوم ـ فقد روي أنّه حجر طوريّ حمله معه و كان حجراً مربّعاً له أربعة أوجه كان ينبع من كلّ وجه ثلاث أعين لكلّ سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستّمائة ألف ـ و إمّا للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحجر. «كلّ أناس»؛ أي: كلّ سبط. «مشربهم»؛ أي: عينهم. «كلوا». أي: قلنا لهم. «من رزق الله»: المنّ و السلوى و الماء. «و لاتعثوا». العثيّ: أشدّ الفساد. قيل لهم: لاتتمادوا في الفساد في حال فسادكم. لأنّهم كانوا متمادين فيه.(٣)

«و إذ استسقى موسى». عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا. «بعصاك». كانت من آس الجنّة طولها عشرة أذرع على طول موسى لها شعبتان تتّقدان في الظلمة.(٤)

عن الحسين عليه السلام أنّ يهوديّاً قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام قد أعطي الحجر

١ـ الكشّاف ١ / ١٤٣.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٢٩٨.

٣ـ الكشّاف ١ / ١٤٤.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٢٩٧.

فانبجست منه اثنتاعشرة عيناً. قال‌عليه السلام: لقد أعطي محمّدصلى الله عليه وآله ما هو أفضل من ذلك لمّا نزل الحديبيّة و حاصره أهل مكّة. و ذلك أنّ أصحابه شكوا إليه الظمأ فدعاصلى الله عليه وآله بركوة فنصب يده المباركة فيها فتفجّرت من بين أصابعه عيون الماء. و لقد كانت بالحديبيّة قليب جافّة، فأخرج صلى الله عليه وآله سهماً من كنانته فقال للبراء: اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافّة فاغرسه فيها. [ففعل ذلك] فتفجّرت منه اثنتاعشرة عيناً من تحت السهم.[١]

عن الباقرعليه السلام قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام إبراهيم، و حجر بني إسرائيل، و الحجر الأسود.[٢]

و قال‌عليه السلام: إذا خرج القائم‌عليه السلام ينادي مناديه: ألا لايحملنّ أحد طعاماً و لا شراباً. و حمل معه حجر موسى بن عمران و هو وقر بعير. فلاينزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون فمن كان جائعاً شبع و من كان ظمآناً روي حتّى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة.[٣] فإذا نزلوا ظاهره، انبعث منه الماء و اللّبن دائماً.[٤]

«و لاتعثوا»: و لاتعتدوا. «مفسدين»: حال إفسادكم.[٥]

«مفسدين». قيل: نصب على الحال المؤكّدة. و يردّه أنّ من شرطها أن تكون مقرّرة لمضمون جملة اسميّة. و قيل: حال منتقلة؛ و معناه النهي عن التمادي في حالة الإفساد إمّا مطلقاً و إمّا مقيّداً بأنّه إذا وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلاتبالغوا في التنازع. و يرد على هذا القول أنّ الإفساد منهيّ عنه مطلقاً و هذا التفسير يقتضي أن يكون المنهيّ عنه هو التمادي في الإفساد لا نفس الإفساد. و الصحيح أن يقال: إنّ المنصوبات في قوله تعالى: «مفسدين» هنا و في قوله: «ثمّ ولّيتم مدبرين»[٦] من الصفات القائمة مقام المصدر نحو: أقاعداً و قد سار الركب.[٧]

١ـ الاحتجاج ١ / ٣٢٥.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥٩.

٣ـ كمال الدين / ٦٧٠ ـ ٦٧١، ح ١٧.

٤ـ نور الثقلين ١ / ٨٤، عن الخرائج و الجرائح.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٦٥.

٦ـ التوبة (٩) / ٢٥.

٧ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٢٩٨.

[٦١] «وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا قَالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ».

«و إذ قلتم». قالوا ذلك في التيه. و الطعام الواحد هو المنّ و السلوى لأنّهما لايتبدّلان فهما ضرب واحد.[1] و البقل كلّ نبات ليس له ساق. و الفوم هو الحنطة؛ و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام. و قيل: هو الخبز. و قيل: هو الثوم، أبدل الثاء فاء كما قالوا جدث و جدف. و هو أشبه بما ذكر بعده من البصل.[2]

«و إذ قلتم». كانوا فلّاحة فنزعوا إلى أصلهم فكرهوا ما فيه من النعمة و طلبت أنفسهم الشقاء على طعام واحد. و البقل: ما أنبته الأرض من الخضر. و المراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع و الكرفس و الكرّاث و أشباهها.[3]

«أدنى»؛ أي: أدون مقداراً. «اهبطوا مصراً»؛ أي: انحدروا إليه من التيه ما بين بيت المقدس إلى قنّسرين و هي اثناعشر فرسخاً في ثمانية فراسخ. و يحتمل أن يراد العلم و إنّما صرفه مع اجتماع السببين فيه ـ و هما التعريف و التأنيث ـ لسكون وسطه. و يجوز أن يريد مصراً من الأمصار. و في مصحف عبدالله: «مصر» بغير تنوين. «و ضربت»؛ أي: جعلت الذلّة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبّة من ضربت عليه. أو: ألصقت بهم حتّى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه. فاليهود صاغرون أذلّاء أهل مسكنة إمّا على الحقيقة و إمّا لتصاغرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية. «و باؤوا»؛ أي: صاروا أحقّاء بغضبه. «و يقتلون». فإن قلت: قتل الأنبياء لايكون إلّا بغير الحقّ! قلت:

١ـ انظر: الكشّاف ١ / ١٤٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٤٥.

معناه أنّهم قتلوهم بغير الحقّ عندهم. لأنّهم لم يقتلوا و لا أفسدوا في الأرض فيقتلوا و إنّما نصحوهم، فلو سألوا و أنصفوا من أنفسهم، لم يذكروا وجهاً يستحقّون به القتل عندهم. «ذلك»؛ أي: الكفر «بما عصوا»؛ أي: بانهماكهم في المعاصي حتّى قست قلوبهم.(١)

«عليهم» بضمّ الهاء و الميم، حمزة. و أبوعمرو بكسرهما. و الباقون بكسر الهاء و ضمّ الميم.(٢)

«ذلك بأنّهم»؛ أي: ما تقدّم من ضرب الذلّة و المسكنة. «بآيات الله» كالإنجيل و القرآن.(٣)

«و يقتلون». عن أبي عبدالله عليه السلام: و الله ماقتلوهم بأيديهم، و لاضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً و معصية.(٤)

«النبيّين». نافع بالهمزة.(٥)

[٦٢] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ النَّصَارىٰ وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

اختلفوا في هؤلاء المؤمنين. فقيل: هم الذين آمنوا بعيسى و انتظروا خروج محمّد صلى الله عليه و آله. و قيل: هم طلّاب الدين كأبي ذرّ الغفاريّ و سلمان الفارسيّ آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه و آله قبل مبعثه. و قيل: هم المؤمنون من هذه الأمّة. و يكون معنى قوله: «من آمن بالله» الثبات على الإيمان. و اختلفوا في اشتقاق اسم اليهود. فقيل: هو من الهود؛ أي: التوبة. كقوله: «إنّا هدنا إليك».(٦) سمّوا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل. و قيل: إنّما سمّوا يهوداً لأنّهم هادوا ـ أي: مالوا ـ عن الإسلام و عن دين موسى. و قيل: سمّوا بذلك لأنّهم يتهوّدون؛ أي: يتحرّكون عند قراءة

١ـ الكشّاف ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٥٧.
٤ـ الكافي ١ / ٣٧١، ح ٦.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٢٥٢.
٦ـ الأعراف (٧) / ١٥٦.

التوراة.(١)

«آمنوا». أي بألسنتهم؛ و هم المنافقون. «هادوا»؛ أي: تهوّدوا و دخلوا في اليهوديّة. و هو هائد. و الجمع هود. «و النصارى»: جمع نصران. يقال: رجل نصران، و امرأة نصرانة. و الياء في نصرانيّ للمبالغة، كالتي في أحمريّ. سمّوا لأنّهم نصروا المسيح. «و الصابئين». من صبأ، إذا خرج من الدين. و هم قوم عدلوا عن دين اليهوديّة و النصرانيّة و عبدوا الملائكة.(٢)

«و الصابئين»: قوم لا مجوس و لا يهود و لا نصارى و لا مسلمين، و هم يعبدون الكواكب و النجوم.(٣)

[سئل] عن الرضاعليه السلام: لم سمّي النصارى نصارى؟ قال: لأنّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم و عيسىعليهما السلام بعد رجوعهما من مصر.(٤)

عن أبي الحسنعليه السلام: انّ في النار وادياً يقال له سقر، فيه خمسة من الأمم السالفة و اثنان من هذه الأمّة. إلى أن قال: و يهودا الذي هوّد اليهود، و بولس الذي نصّر النصارى.(٥)

«و عمل». العطف يدلّ على أنّ الإيمان هو التصديق.(٦)

«من آمن بالله» من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً و دخل في ملّة الإسلام دخولاً أصيلاً و «عمل» عملاً «صالحاً فلهم أجرهم» الذي يستوجبونه بإيمانهم و أعمالهم. و «من آمن» محلّه الرفع إن جعلته مبتدأ خبره «فلهم أجرهم» و النصب إن جعلته بدلاً من اسم إنّ و المعطوف عليه. فخبر إنّ في الوجه الأوّل الجملة كما هي، و في الثاني «فلهم». و الفاء لتضمين مَن معنى الشرط.(٧)

«و لا خوف». أي فيما قدّموا؛ أي: في العقبى. «يحزنون». أي على ما خلّفوا.(٨)

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٦٠ و ٢٥٨.

٢ـ الكشّاف ١ / ١٤٦.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٨.

٤ـ عيون الأخبار ٢ / ٧٩.

٥ـ عقاب الأعمال / ٢٥٥، ح ١.

٦ـ التبيان ١ / ٢٨٥.

٧ـ الكشّاف ١ / ١٤٦.

٨ـ مجمع البيان ١ / ٢٦١.

[٦٣] «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

«و إذ أخذنا». خطاب [إلى] بني إسرائيل. «ميثاقكم» بالعمل على ما في التوراة. «و رفعنا فوقكم الطور» حتّى قبلتم و أعطيتم الميثاق. و ذلك أنّ موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقّة فأبوا قبولها، فأمر جبرئيل فقلع الطور من أصله و رفعه و ظلّله فوقهم و قال لهم موسى: إن قبلتم و إلّا ألقي عليكم، حتّى قبلوا. فأخذوا التوراة لمّا رفع الجبل فوقهم و سجدوا لله ملاحظين إلى الجبل. فمن ثمّ تسجد اليهود على أحد شقّي وجوههم. «خذوا». أي قلنا لهم. «ما آتيناكم» من الكتاب. «و اذكروا»؛ أي: احفظوا ما فيه. عن أبي عبدالله عليه السلام: اذكروا ما في تركه من العقوبة. «لعلّكم تتّقون»: رجاء منكم أن تكونوا متّقين.(١)

[٦٤] «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«تولّيتم»؛ أي: أعرضتم عن الميثاق و الوفاء به. «و لولا فضل الله عليكم». أي بتوفيقكم للتوبة.(٢)

«عليكم». أي بإمهالكم و تأخير العذاب عنكم. «لكنتم من الخاسرين»؛ أي: من الهالكين بنار جهنّم.(٣)

[٦٥] «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ».

«في السبت». مصدر سبتت اليهود، إذا عظّمت يوم السبت. و إنّ ناساً منهم اعتدوا فيه ـ أي: جاروا ما حدّ لهم فيه من التجرّد للعبادة و تعظيمه ـ و اشتغلوا بالصيد. و ذلك أنّ الله ابتلاهم فما كان يبق حوت في البحر إلّا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرّقت.

١ـ الكشّاف ١ / ١٤٧، و مجمع البيان ١ / ٢٦٢. ٢ـ الكشّاف ١ / ١٤٧.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٠٤.

فحفروا حياضاً عند البحر و شرعوا إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد. «قردة خاسئين»؛ أي: جامعين بين القردة و الخسوء؛ و هو الصغار و الطرد.[١]

«فقلنا». إخبار عن سرعة فعله و مسخه إيّاهم لا أنّ هناك أمراً. و معناه: جعلناهم قردة بلاتكلّف و مشقّة و كانوا يتعاوون. و بقوا ثلاثة أيّام لم يأكلوا و لم يشربوا و لم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله. و مامسخ الله أمّة إلّا أهلكها. فهذه القردة و الخنازير ليس من نسل أولئك ولكن مسخ أولئك على صورة هؤلاء.[٢]

[٦٦] «فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ».

«فجعلناها»؛ أي: الأمّة التي مسخت. و هم أهل ايلة قرية على شاطئ البحر. عن الباقر عليه السلام. «لما بين يديها». عن الصادق عليه السلام: ما بين يديها من حضرها و ما خلفها نحن.[٣]

«فجعلناها» يعني المسخة «نكالاً»؛ أي: عبرة «لما بين يديها»: لما قبلها «و ما خلفها»: و ما بعدها من الأمم و القرون. لأنّ مسختهم ذكرت في كتب الأوّلين و اعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى و الأمم. و قيل: «نكالاً»: عقوبة منكلة «لما بين يديها»: لأجل ما تقدّمها من ذنوبهم و ما تأخّر منها. «للمتّقين»: الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم. أو: لكلّ متّق سمعها.[٤]

[٦٧] «وَ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَ تَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

عن الصادق عليه السلام: إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل و علمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له. و خطبها ابن عمّ لذلك الرجل، و كان فاسقاً ردياً، فلم ينعموا له. فحسد ابن عمّه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثمّ حمله إلى موسى عليه السلام. قال موسى: من قتله؟ قال: لا أدري. و

١ـ الكشّاف ١ / ١٤٧.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٦٤.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٦٥.

٤ـ الكشّاف ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨.

كان القتل في بني إسرائيل عظيماً جدّاً. و كان في بني إسرائيل رجل له بقرة و كان له ابن بارّ و كان عند ابنه سلعة. فجاء قوم يطلبون سلعته. و كان مفتاح بيته تحت رأس أبيه و كان نائماً و كره ابنه أن ينبّهه و ينغص عليه نومه. فانصرف القوم و لم يشتروا سلعته. فلمّا انتبه أبوه قال له: يا بنيّ ما صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها. لأنّ المفتاح كان تحت رأسك. قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك. و شكر الله لابنه ما فعل بأبيه و أمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها فقال: لا أبيعها إلّا بملء جلدها ذهباً. فرجعوا إلى موسى و أخبروه. فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها. فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها.(١)

و إنّما قالوا: «أ تتّخذنا هزواً» لتباعد ما بين الأمرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكم فيما أمرهم به. لأنّ موسى أمرهم بالذبح و لم يبيّن لهم أن تذبح لأيّ معنًى فقالوا: أيّ اتّصال لذبح البقرة بما ترافعنا فيه إليك؟ إذا قيل: لم أمروا بذبح البقرة دون غيرها؟ قيل: لأنّها من جنس ما عبدوه من العجل ليهوّن عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان في نفوسهم من عبادته.(٢)

و عن الرضا عليه السلام: إنّ الذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس و كانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد. و هم الذين ذبحوا البقرة التي أمروا بذبحها.(٣)

«أ تتّخذنا»؛ أي: أ تجعلنا مكان هزو، أو أهل هزو، أو مهزوّاً بنا، أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء.(٤)

«هزواً». حفص بضمّ الزاي من غير همز. و حمزة بإسكان الزاي و الهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً اتّباعاً للخطّ. و الباقون بالضمّ و الهمز.(٥)

«من الجاهلين». لأنّ الاستهزاء لا يكون إلّا عن جاهل.(٦)

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٩ ـ ٥٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٨٣.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٤٨.
٥ـ التيسير / ٦٣.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٤.

[٦٨] «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَ لَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ».

«ما هي». سؤال عن سنّها؛ كما يظهر من الجواب. «لا فارض». لا كبيرة هرمة. «و لا بكر»: صغيرة. «عوان»؛ أي: وسط. فيكون من أحسن البقرة.[١]

«ما هي». سؤال عن حالها و صفتها لأنّهم تعجّبوا من بقرة ميّتة يضرب بها ميّت فيحيى.[٢]

[٦٩] «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ».

«صفراء». حتّى قرنها و ظلفها أصفران. «فاقع لونها»؛ أي: شديدة صفر لونها تعجب الناظرين و تفرّحهم بحسنها. و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من لبس نعلاً صفراء، لم يزل مسروراً حتّى يبليها. كما قال الله: «تسرّ الناظرين».[٣]

[٧٠] «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ».

«ما هي». سؤال عن صفتها أ هي من العوامل أم من السوائم. «لمهتدون» إلى صفة البقرة بتعريف الله إيّانا.[٤]

«إنّ البقر تشابه علينا». أي إنّ البقر الموصوف بالتعوين و الصفرة كثير. «إن شاء الله». جاء في الحديث: لو لم يستثنوا، لما بيّنت لهم آخر الأبد. أي: لو لم يقولوا: إن شاء الله.[٥]

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٤٨.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٤.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٥١.

[٧١] «قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ».

«لا ذلول»؛ أي: لم يذلّلها العمل بإثارة الأرض. «و لا تسقي الحرث»؛ أي: و لا يستق عليها الماء فتسقي الزرع. «مسلّمة»: بريئة من العيوب، سليمة من آثار العمل. لأنّ ما كان من العوامل لايخلو من آثار العمل. «لا شية فيها»: لا لون يخالف لونها. «بالحقّ»؛ أي: ظهر لنا الحقّ الآن؛ و هي بقرة فلان. و هذا يدلّ على أنّهم جوّزوا أنّه قبل ذلك لم يجئ بالحقّ على التفصيل و إنّما أتى على وجه الجملة. و قيل: الآن ثبت الحقّ. و هذا يدلّ على أنّه كان فيهم من يشكّ في أنّ موسى ما بيّن الحقّ. «و ما كادوا»؛ أي: قرب أن لايفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل. و قيل: لغلاء ثمنها. لأنّه كان ملء جلدها ذهباً.[١]

«و ما كادوا يفعلون» لتطوّلهم و كثرة استكشافهم.[٢]

اختلف العلماء في هذه الآيات. فمنهم من ذهب إلى أنّ التكليف فيها متغاير و أنّهم لمّا قيل لهم: اذبحوا بقرة، لم يكن المراد إلّا ذبح بقرة أيّ بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفته. فلمّا لم يفعلوا، شدّد عليهم التكليف. و لمّا راجعوا المرّة الثانية، تغيّرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث. ثمّ اختلف هؤلاء من وجه آخر. فمنهم من قال في التكليف الأخير أنّه يجب أن يكون مستوفياً لكلّ صفة تقدّمت. فعلى هذا يكون التكليف الثاني و الثالث ضمّ تكليف إلى تكليف زيادة في التشديد عليهم. و منهم من قال انّه يجب بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم. و على هذا يكون التكليف الثاني نسخاً للأوّل و الثالث نسخاً للثاني لجواز نسخ الشيء قبل الفعل. و ذهب آخرون إلى أنّ التكليف واحد و أنّ الأوصاف المتأخّرة هي للبقرة المتقدّمة و إنّما تأخّر البيان. و هو مذهب المرتضى. و استدلّ بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة.[٣]

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.　　٢ـ الكشّاف ١ / ١٥٢.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٧٥.

«فذبحوها». التأويل: ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيميّة ـ فإنّ في ذبحها حياة القلب الروحانيّ ـ و هو الجهاد الأكبر. موتوا قبل أن تموتوا. مت بالطبيعة تحي بالحقيقة. «ما هي». سؤال عن بقرة النفس التي تصلح للذبح بسيف الصدق. «لا فارض» في سنّ الشيخوخية فيعجز عن وظائف سلوك الطريقة لضعف القوى البدنيّة. «و لا بكر» في سنّ الشباب يلهو به سكره. «عوان بين ذلك». كقوله: «حتّى إذا بلغ أشدّه و بلغ أربعين سنة».[١] «صفراء». إشارة إلى صفرة وجوه أرباب الرياضات. «فاقع لونها». يريد أنّها صفرة زين لا صفرة شين. فإنّها سيماء الصالحين. «لا ذلول تثير الأرض»: لا يحتمل ذلّ الطمع و لا تثير بآلة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها. «و لا تسقي» حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق و بماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحقّ و عند الخلق. «مسلّمة» من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله. «و ما كادوا يفعلون» بمقتضى الطبيعة، لولا فضل الله و حسن توفيقه. «و إذ قتلتم نفساً». يعني القلب. «فادّارأتم»: فاختلفتم أنّه كان من الشيطان أم من الدنيا أم من النفس الأمّارة. «فقلنا اضربوه ببعضها». ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكّين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فحيى بإذن الله.[٢]

[٧٢] «وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ».

«فادّارأتم»: فاختصمتم في شأنها. لأنّ المتخاصمين يدفع بعضهم بعضاً. «مخرج»: مظهر ما كتمتم من أمر القتل.[٣]

[٧٣] «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

«اضربوه». الضمير في «اضربوه» إمّا أن يرجع إلى النفس على تأويل الشخص و إمّا إلى القتيل لما دلّ عليه من قوله: «ما كنتم تكتمون». روي أنّهم لمّا ضربوه، قام و أوداجه

١ـ الأحقاف (٤٦) / ١٥.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣١٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٥٣.

تشخب دماً و قال: قتلني فلان و فلان، لابني عمّه. ثمّ سقط ميتاً، فأخذا و قتلا. و لم يورّث قاتل بعد ذلك. «ببعضها». قيل: بلسانها. و قيل: فخذها اليمنى.(١)

عن الرضا عليه السلام: ضربوه بذنبها فحيي.(٢)

«و يريكم آياته»: دلائله على أنّه قادر على كلّ شيء «لعلّكم تعقلون»: تعملون على قضيّة عقولكم و أنّ من قدر على إحياء نفس واحدة، قدر على إحياء الأنفس كلّها [حتّى] لاتنكروا البعث. و إمّا أن يكون خطاباً للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه و آله. فإن قلت: فما للقصّة لم تقصّ على ترتيبها؟ و كان حقّها أن يقدّم ذكر القتيل و الضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها و أن يقال: و إذ قتلتم نفساً فادّاراْتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة. قلت: كلّ ما قصّ من قصص بني إسرائيل إنّما قصّ تعديداً لما وجد منهم من الجنايات و تقريعاً لهم عليها و لما جدّد فيهم من الآيات العظام. و هاتان القصّتان كلّ واحدة منهما مستقلّة بنوع من التقريع؛ فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء و ترك المسارعة إلى الامتثال و ما يتبع ذلك، و الثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة و ما يتبعه من الآية العظيمة. و إنّما قدّمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل، لأنّه لو عمل على عكسه، لكانت قصّة واحدة و لذهب الغرض في تثنية التقريع.(٣)

[٧٤] «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«ثمّ قست». [معنى] ثمّ [قست] استبعاد القسوة من بعد ما ذكر ممّا يوجب لين القلوب و رقّتها. و صفة القلوب بالقسوة مثل لكون المواعظ لاتؤثّر فيها فهي في قسوتها مثل الحجارة «أو أشدّ قسوة» منها. و «أشدّ» معطوف على الكاف، إمّا على معنى: أو مثل أشدّ

١ـ الكشّاف ١ / ١٥٣.
٢ـ عيون الأخبار ٢ / ١٤، ح ٣١.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٥٣ ـ ١٥٤.

قسوة، فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه [مقامه] ـ و يعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة ـ و إمّا على معنى: أو هي في أنفسها أشدّ قسوة. و المعنى: انّ من عرف حالها، شبّهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها؛ و هو الحديد مثلاً. أو: من عرفها، شبّهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة. «بعد ذلك»: إحياء القتيل أو جميع ما تقدّم. «لما يتفجّر»؛ أي: ما يكون فيه خروق واسعة يتدفّق منها الماء الكثير. «لما يشّقّق»؛ أي: يتشقّق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء. «يهبط»: يتردّى من أعلى الجبل.[١]

«الماء». أي دون الأنهار. عن الحسين عليه السلام.[٢]

«من خشية الله»؛ أي: انقياداً لأمر الله به. «تعملون». قرأ ابن كثير و نافع بالياء ضمّاً إلى ما بعده، و الباقون بالتاء.[٣]

[٧٥] «أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«أ فتطمعون». الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله و المؤمنين. «أن يؤمنوا لكم»؛ أي يصدّقوكم. أو: يؤمنوا لأجل دعوتكم. يعني اليهود. «منهم»: طائفة من أسلافهم. «كلام الله»: التوراة. «ثمّ يحرّفونه». كنعت محمّد صلى الله عليه وآله. أو يؤوّلونه فيفسّرونه بما يشتهون. و قيل: هؤلاء [من] السبعين المختارين؛ سمعوا كلام الله حين كلّم موسى بالطور ثمّ قالوا: سمعنا الله يقول في آخره: [إن استطعتم] أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا و إن شئتم فلاتفعلوا. «ما عقلوه»؛ أي: فهموه بعقولهم. «و هم يعلمون» أنّهم مفترون مبطلون. و معنى الآية: إنّ أحبار هؤلاء و مقدّميهم كانوا على هذه الحالة. فما طمعك بسفلتهم و جهّالهم؟ و إنّهم إن كفروا و حرّفوا، فلهم سابقة في ذلك.[٤]

١ـ الكشّاف ١ / ١٥٥.

٢ـ نور الثقلين ١ / ٩٠، عن الخرائج و الجرائح.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٠.

«ثمّ يحرّفونه»: يجعلون الحلال حراماً و بالعكس.(١)

[٧٦] «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«لقوا». يعني المنافقين من اليهود. «قالوا آمنّا» بأنّكم على الحقّ و رسولكم هو المبشّر به في التوراة. «قالوا» الذين لم ينافقوا عاتبين على من نافق. «بما فتح الله عليكم»: بما بيّن لكم في التوراة من نعت محمّد ﷺ. أو الذين نافقوا لأعقابهم، إظهاراً للتعصّب في اليهوديّة و منعاً لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم، فينافقون الفريقين. فالاستهفام على الأوّل تقريع، و على الثاني إنكار و نهي. «أفلاتعقلون» أنّهم يحاجّون به فيحجّونكم؟ أو خطاب من الله للمؤمنين متّصل بقوله: «أ فتطمعون».(٢)

«أ تحدّثونهم». عن الباقر عليه السلام أنّه قال: كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمّد ﷺ [فنهاهم كبراؤهم عن ذلك و قالوا: لاتخبروهم بما في التوراة من صفة محمّد] فيحاجّوكم به عند ربّكم. فنزلت.(٣)

[٧٧] «أَ وَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ».

«ما يسرّون». أي هؤلاء المنافقون أو المحرّفون.(٤)

[٧٨] «وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ».

«أمّيّون لايعلمون الكتاب»: جهلة لايعرفون الكتاب فيطالعون التوراة و يتحقّقوا ما فيها. «إلّا أمانيّ». استثناء منقطع. و الأمانيّ: جمع أمنيّة؛ و هي في الأصل ما يقدّره الإنسان في نفسه، من منى إذا قدّر. و لذلك يطلق على الكذب و على ما يتمنّى. و المعنى: ولكن

١ـ التبيان ١ / ٣١٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٠ ـ ٧١.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٨٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧١.

يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً من المحرّفين، أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أنّ الجنّة لايدخلها إلّا من كان هوداً و أنّ النار لن تمسّهم إلّا أيّاماً معلومة معدودة. و قيل: إلّا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى و تدبّره.(١)

«أمّيّون». عن العسكريّ عليه السلام: إنّ الأميّ منسوب إلى أمّه، أي كما خرج من بطن أمّه لايقرأ و لايكتب.(٢)

«إلّا أمانيّ». عن العسكريّ عليه السلام: أي: إلّا أن يقرأ عليهم و يقال لهم إنّ هذا كتاب من الله و كلامه، لايعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما هو فيه. «و إن هم إلّا يظنّون». أي لما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمّد صلى الله عليه وآله و إمامة عليّ عليه السلام سيّد عترته و هم يقلّدونهم مع أنّه محرّم عليهم تقليدهم.(٣)

«إن هم»؛ أي: ما هم.(٤)

[٧٩] «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ».

عن العسكريّ عليه السلام: قال الله هذا لقوم من اليهود كتبوا صفة زعموا أنّها صفة محمّد صلى الله عليه وآله و هي خلاف صفته و قالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النبيّ المبعوث في آخر الزمان. إنّه طويل عظيم البدن و البطن، أصهب الشعر. و محمّد صلى الله عليه وآله بخلافه. و هو يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة. و إنّما أرادوا بذلك لتبقى لهم على ضعفائهم رئاستهم و يكفوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول الله و أهل بيته صلى الله عليه وآله. «فويل لهم ممّا كتبت أيديهم»: من هذه الصفات المحرّفة المخالفة لصفة محمّد و عليّ عليهما السلام، الشدّة لهم من العذاب في أسوأ بقاع جهنّم. «و ويل لهم»: الشدّة من العذاب ثانية مضافة إلى الأولى، ممّا يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا أثبتوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧١.
٢ـ الاحتجاج ٢ / ٢٦١.
٣ـ الاحتجاج ٢ / ٢٦١.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٢٩٠.

أعوانهم على الكفر بمحمّد ﷺ و الجحد لوصيّه و أخيه عليّ بن أبي طالب وليّ الله.(١)

«الويل» في الآية العذاب. و قيل: جبل في النار. و روى الخدريّ عن النبيّ ﷺ قال: واد في جهنّم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره. و المراد من الكتاب ما حرّفوه بأيديهم. «ثمناً قليلاً» لأنّه عرض الدنيا و هو قليل.(٢)

«ليشتروا به ثمناً قليلاً». عن الباقر عليه السلام: قليل لأنّه ثمن حرام.(٣)

[٨٠] «وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

قال بنو إسرائيل: «لن تمسّنا النار» و لن نعذّب «إلّا أيّاماً معدودة» التي عبدنا فيها العجل. فردّ الله عليهم: قل لهم يا محمّد: «أتّخذتم عندالله عهداً»؟(٤)

«أم تقولون». «أم» إمّا أن تكون متّصلة معادلة بمعنى أيّ الأمرين كائن، على سبيل التقرير، لأنّ العلم واقع بكون أحدهما. و يجوز أن تكون منقطعة.(٥)

«إلّا أيّاماً معدودة». قال ابن عبّاس: إنّ اليهود لتزعم أنّهم وجدوا في التوراة مكتوباً أنّ ما بين طرفي جهنّم مسيرة أربعين سنة و هم يقطعون مسيرة كلّ سنة في يوم واحد، فإذا انقطع المسير، انقطع العذاب و هلكت النار. و عنه أيضاً أنّها سبعة أيّام لأنّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة و انّهم يعذّبون بعدد كلّ ألف سنة يوماً من أيّام الآخرة و هو كألف سنة من أيّام الدنيا. «قل أتّخذتم» بإدغام الذال في التاء. و منهم من لم يدغم. و أصل أتّخذتم: أ اتّخذتم، دخلت همزة الاستفهام على ألف القطع من نفس الكلمة فكره اجتماعهما فحذفت الأصليّة و بقيت التي للاستفهام لأنّها لمعنًى. و المراد بها هاهنا النكير و التوبيخ و الإعلام لهم و لغيرهم بأنّ الأمر خلاف ما قالوه و أنّهم يقولون بغير علم. و الدليل على كونها للاستفهام أنّها

١ـ الاحتجاج ٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
٣ـ التبيان ١ / ٣٢٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٥١.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٥٨.

مفتوحة و لو كانت أصليّة لكانت مكسورة في أتّخذتم.[١]

[٨١] «بَلىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«بلى». إثبات لما بعد النفي؛ و هو قوله: «لن تمسّنا النار». أي: بلى تمسّكم أبداً؛ بدليل: «هم فيها خالدون».[٢]

«خالدون». عن الكاظم عليه السلام: لايخلد في النار إلّا أهل الكفر و الجحود و أهل الضلال و الشرك.[٣]

«سيّئة». قال ابن‌عبّاس و غيره: المراد بها هنا الشرك. و قيل: الذنوب التي أوعد الله عليها النار. و قوله: «و أحاطت به خطيئته»؛ أي: أحدقت به من كلّ جانب. كقوله: «و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين».[٤] أو بمعنى: أهلكته. من قوله: «إلّا أن يحاط بكم».[٥] و عن ابن‌عبّاس: المراد بالخطيئة هنا الشرك. و عن الحسن أنّها الكبيرة. و قيل: الإصرار على الذنوب. و الأوّل أليق بمذهبنا. لأنّ أهل الإيمان لايدخلون في حكم هذه الآية.[٦]

«سيّئة». عن الصادق عليه السلام: المراد من جحد ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.[٧]

«خطيئته». قرأ أهل المدينة: «خطيئاته» على الجمع.[٨]

[٨٢] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

[٨٣] «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ ذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا

١ـ التبيان ١ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٥٨.
٣ـ التوحيد / ٤٠٧، ح ٦.
٤ـ التوبة (٩) / ٤٩.
٥ـ يوسف (١٢) / ٦٦.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٢٩٥.
٧ـ الكافي ١ / ٤٢٩، ح ٨٢.
٨ـ التبيان ١ / ٣٢٤.

الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ».

«ميثاق»؛ أي: العهد. أو: ميثاق الأدلّة من جهة العقل و الشرع. أو: ميثاق الأنبياء على أممهم.[١]

«لاتعبدون». ابن‌كثير و حمزة و الكسائيّ بالياء التحتانيّة. و الباقون بالتاء الفوقانيّة.[٢]

«لاتعبدون». إخبار في معنى النهي و هو أبلغ من صريح النهي. و يعضده قراءة: «لاتعبدوا» و عطف «قولوا» عليه فيكون على إرادة القول. و قيل: تقديره: أن لاتعبدوا. فلمّا حذف أن، رفع. و يدلّ عليه قراءة: «أن لاتعبدوا»، فيكون بدلاً عن الميثاق. و قيل: إنّه جواب قسم دلّ عليه المعنى. كأنّه قال: و حلّفناهم لاتعبدون.[٣]

«حسناً»؛ أي: قولاً حسناً. للمبالغة.[٤]

قرأ حمزة و الكسائيّ: «حَسَناً» بفتح الحاء و السين.[٥]

عن الصادق عليه السلام: نزلت في أهل الذمّة، ثمّ نسخها قوله تعالى: «قاتلوا الذين لايؤمنون»[٦].[٧]

عن أبي جعفر عليه السلام «قولوا للناس حسناً» قال: قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال فيكم.[٨]

عن أبي عليّ قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فقال له رجل: جعلت فداك؛ قول الله: «قولوا للناس حسناً» هو للناس جميعاً؟ فضحك و قال: لا، عنى قولوا: محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله. و عليّ أهل بيته.[٩]

«ثمّ تولّيتم». على طريق الالتفات. أو الخطاب مع الموجودين منهم في عهد

١ـ مجمع البيان ١ / ٢٩٨.
٢ـ التيسير / ٦٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٢.
٥ـ التيسير / ٦٤.
٦ـ التوبة (٩) / ٢٩.
٧ـ الخصال / ٢٧٤.
٨ـ الكافي ٢ / ١٦٥، مجمع البيان ١ / ٢٩٨.
٩ـ التهذيب ٣ / ٥٥.

الرسول ﷺ. «إلّا قليلاً». و هو من أسلم أو من أقام اليهوديّة قبل النسخ.(١)

[٨٤] «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ».

«و إذ أخذنا ميثاقكم» إلى قوله: «عمّا تعملون». نزلت في أبي‌ذرّ و عثمان. و كان سبب ذلك: لمّا أمر عثمان بنفي أبي‌ذرّ إلى الربذة، دخل عليه أبوذرّ و جرى بينهما كلام طويل، ثمّ قال عثمان: يا أباذرّ، أسألك بحقّ رسول الله إلّا ما أخبرتني عن شيء أسألك عنه. أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها؟ قال: مكّة؛ حرم الله و حرم رسول‌الله ﷺ. فقال: لا، و لا كرامة. ثمّ قال: أيّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ قال: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام. فقال عثمان: سر إليها. فقال أبوذرّ: و أنا أسألك فاصدقني. قال: نعم. قال أبوذرّ: أخبرني: لو بعثتني في بعث من أصحابك إلى المشركين فأسروني فقالوا لك: لانفديه إلّا بكلّ ما تملك؟ قال: كنت أفديك. قال أبوذرّ: الله أكبر! قال لي رسول الله ﷺ يوماً هذا الذي جرى هذه الساعة بيننا. قال: و قال لي رسول الله: قد أنزل الله فيك و في عثمان آية. قلت: و ما هي يا رسول الله؟ قال: قوله: «و إذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون» إلى: «تعلمون».(٢)

«و إذ أخذنا». خطاب لعلماء اليهود في عصر النبيّ ﷺ. و قيل: المراد: أخذنا ميثاق آبائكم. و قيل: خطاب للأسلاف، و تقريع للأخلاف.(٣)

«ميثاقكم»؛ أي: ميثاق أسلافكم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام. «لاتسفكون دماءكم»؛ أي: لايقتل بعضكم بعضاً. لأنّ أهل الملّة الواحدة في حكم الرجل الواحد. و قيل: معناه: لايقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصاً فيكون سبباً في قتل نفسه. «و لاتخرجون»؛ أي: لايخرج بعضكم بعضاً من دياركم؛ بأن تغلبوا على الدار. و قيل: معناه: لاتفعلوا ما تستحقّون به الإخراج من دياركم كما فعله بنوالنضير. «ثمّ أقررتم» بذلك أيضاً و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٢ ـ ٧٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٥١ ـ ٥٤.
٣ـ تفسيرالنيسابوريّ ١ / ٣٢٧.

أنتم شاهدون على من تقدّمكم بأخذنا منهم الميثاق و بما بذلوه من القبول. و المخاطب بقوله: «و أنتم تشهدون» اليهود الذين كانوا في زمنهﷺ. و قيل: إنّه خبر عن أوائلهم، ولكنّه أخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم.(١)

[٨٥] «ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارىٰ تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«ثمّ أنتم». استبعاد لما أسند إليهم من القتل و الإجلاء و العدوان بعد أخذ الميثاق منهم و إقرارهم و شهادتهم. و المعنى: ثمّ أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الحاضرون. يعني أنّكم قوم آخرون غير أولئك المقرّين، تنزيلاً لتغيّر الصفة منزلة تغيّر الذات. و قوله: «تقتلون» بيان لقوله: «ثمّ أنتم». و قيل: «هؤلاء» موصول بمعنى الذين.(٢)

«تظاهرون». الكوفيّون بتخفيف الظاء، و الباقون بتشديدها. «أسارىٰ». حمزة: «أسرىٰ» بغير ألف؛ كقتيل و قتلى. «تفادوهم». نافع و عاصم و الكسائيّ بالألف و ضمّ التاء. و الباقون بغير الألف و فتح التاء.(٣)

«ببعض الكتاب»؛ أي: بالفداء. «و تكفرون ببعض»؛ أي: بالقتال و الإجلاء. و ذلك أنّ قريظة كانوا حلفاء الأوس و النضير حلفاء الخزرج و كان كلّ فريق يقاتل مع حلفائه و إذا غلبوا خرّبوا ديارهم و أخرجوهم، و إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتّى يفدوه، فعيّرتهم العرب و قالوا: كيف تقاتلونهم ثمّ تفدونهم؟ فيقولون: أمرنا أن نفديهم و حرّم علينا قتالهم، ولكنّا نستحيي أن نذلّ حلفاءنا. و الخزي قتل بني قريظة و أسرهم و إجلاء بني النضير. و قيل: الجزية.(٤)

١ـ مجمع البيان ١ / ٣٠٠ـ ٣٠١.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٦٠.
٣ـ التيسير / ٦٤.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٦١.

الكفّار الذين كانوا بالمدينة قبيلتان من اليهود و هو قريظة و بني النضير و قبيلتان من المشركين الأوس و الخزرج. و كان بين الأوس و الخزرج محاربات فحالف الأوس قريظة و الخزرج بني النضير لنصرتهم و لم يكن بين اليهود مخاصمة و لا قتال و إنّما كانوا يـقاتلون لأجل حلفائهم. (سعد الدين)

«أشدّ العذاب». و هو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلّص. و في هذه الآية تسلية لنبيّنا ﷺ في ترك قبول اليهود قوله. فكأنّه يقول: كيف يقبلون قولك و هم لا يعملون بكتابهم مع إقرارهم به و بأنّه من عند الله؟[١]

[٨٦] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ».

«فلا يخفّف عنهم العذاب» بنقصان الجزية. «و لا هم ينصرون» برفع الجزية عنهم، و كذلك عذاب الآخرة.[٢]

[٨٧] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ».

«و قفّينا»؛ أي: أتبعناه بالرسل و أرسلنا على أثره الكثير منهم و هم يوشع و اشميول[٣] و شمعون و داوود و سليمان و شعيا و ارميا و عزير و حزقيل و إلياس و اليسع و يونس و زكريّا و يحيى و غيرهم.[٤]

«بالرسل». و كان المقصود من بعثة هؤلاء ﷺ تبليغ الشريـعة السـالفة. و مـن هـنا

١ـ مجمع البيان ١ / ٣٠٤.

٢ـ الكشّاف ١ / ١٦١.

٣ـ المصدر: اشمويل.

٤ـ الكشّاف ١ / ١٦١.

قال ﷺ: علماء أمّتي كأنبياء بني اسرائيل.[١]

عن المفضّل عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخًى عليه ستره. فقال: يا مفضّل، إنّ الله جعل في النبيّ خمسة أرواح: روح في الحياة، و فيه دبّ و درج[٢]؛ و روح القوّة التي فيه نهض و جاهد؛ و روح الشهوة، فيه أكل و شرب و نكح النساء؛ و روح الإيمان، فيه آمن و عدل؛ و روح القدس، فيه حمل النبوّة. فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الامام. و روح القدس لاينام و لايغفل و الأربعة الأرواح تنام و تغفل. و روح القدس كان يرى به.[٣]

«مريم». بمعنى الخادم. «البيّنات»: المعجزات الظاهرات كإحياء الموتى.[٤]

«القدس». ابن‌كثير مخفّفاً، و الباقون شدّوا.[٥]

«القدس»: المقدّسة؛ كما تقول: حاتم الجود. وصفها بالقدس؛ كما قال: «و روح منه»[٦] فوصفها بالاختصاص و التقريب للكرامة. و قيل: لأنّه لم تضمّه الأصلاب. و قيل: المراد به جبرئيل عليه السلام. لأنّ الغالب عليه الروحانيّة. و قيل: الإنجيل؛ كما قال: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا».[٧] لأنّ العلم سبب حياة القلوب. و قيل: اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى. و قيل: القدس اسم الله. أي: الروح التي خلقها فيه. و كون المراد به جبرئيل أظهر؛ لأنّه تولّد بنفخه. «أفكلّما». المعنى: و لقد آتينا ـ يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم. أفكلّما جاءكم رسول منهم بالحقّ، استكبرتم عن الإيمان به؟ فوسّط بين الفاء و ما تعلّقت به همزة الاستفهام للتوبيخ و التعجّب من شأنهم. فإن قيل: هلّا قيل: و فريقاً قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية، لأنّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس و تصويره في

١ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٣١.

٢ـ المصدر: «روح الحياة فيه دبّ و درج». و كذا في العبارات الآتية بعدها.

٣ـ الكافي ١ / ٢٧٢.

٤ـ الكشّاف ١ / ١٦١ ـ ١٦٢.

٥ـ التبيان ١ / ٣٣٩.

٦ـ النساء (٤) / ١٧١.

٧ـ الشورى (٤٢) / ٥٢.

القلوب؛ و أن يراد: و فريقاً تقتلونهم بعد لأنّكم [تحومون] حول قتل محمّدﷺ لولا أنّي أعصمه منكم. و لذلك سحرتموه و أسممتم له الشاة. و قالﷺ عند موته: مازالت أكلة خيبر تعاودني. فهذا أوان قطعت أبهري. و الأبهر عرق القلب.(١)

«ففريقاً كذّبتم». الفاء للسببيّة، أو للتفصيل. «كذّبتم» كموسى و عيسى «و فريقاً تقتلون» كزكريّا و يحيى.(٢)

قال أبوجعفرعليه السلام: ذلك مثل موسى و الرسل من بعده و عيسىعليهم السلام ضرب مثلاً لأمّة محمّدﷺ. قال الله لهم: فإن جاءكم محمّد بما لاتهوى أنفسكم بموالاة عليّعليه السلام ففريقاً من آل محمّد كذّبتم و فريقاً تقتلون. فذلك تفسيرها في الباطن.(٣)

[٨٨] «وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ».

«و قالوا قلوبنا غلف»: مغشّاة بأغطية خلقيّة لايصل إليها ما جئت به و لاتفقهه. مستعار من الأغلف الذي لم يختن. و قيل: أصله غُلُف ـ جمع غلاف ـ فخفّف. و المعنى: انّها أوعية العلم لاتسمع علماً إلّا وعته و لاتعي ما تقول، أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره. «بل لعنهم الله». ردّ لما قالوه. و المعنى: إنّها خلقت على الفطرة و التمكّن من قبول الحقّ، ولكنّ [الله] خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم. و على الثاني معناه: لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه، بل لأنّ الله خذلهم بكفرهم. كما قال: «فأصمّهم و أعمى أبصارهم».(٤) و على الثالث معناه: انّهم كفرة ملعونون. فمن أين لهم دعوى العلم و الاستغناء عنك؟(٥)

«فقليلاً». إن جعلت «قليلاً» نصباً على الحال، أي: يؤمنون قليلاً. فمعناه: لايؤمن إلّا نفر قليل كعبدالله بن سلام و أضرابه.(٦)

١ـ الكشّاف ١ / ١٦٢ ـ ١٦٣، و تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٤.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٤٩.

٤ـ محمّدﷺ (٤٧) / ٢٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٤.

٦ـ مجمع البيان ١ / ٣٠٩.

«فقليلاً»: فإيماناً قليلاً. و «ما» مزيدة للمبالغة في التقليل. و هو إيمانهم ببعض الكتاب. و قيل: أراد بالقلّة العدم.(١)

[٨٩] «وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ».

«و لمّا». جواب «لمّا» محذوف دلّ عليه جواب «لمّا» الآتية.(٢)

«جاءهم». أي اليهود. «كتاب»: القرآن. «مصدّق»؛ أي: مخبر بأنّ الكتب المتقدّمة من عند الله.(٣)

«لما معهم»: التوراة. «يستفتحون»؛ أي: يستنصرون على المشركين و يقولون: اللّهمّ انصرنا بنبيّ آخر الزمان المنعوت في التوراة. أو: يفتحون عليهم و يعرّفونهم أنّ نبيّاً يبعث منهم و قد قرب زمانه. و السين للمبالغة و الإشعار بأنّ الفاعل يسأل ذلك عن نفسه.(٤)

«و كانوا» يهود المدينة. «على الكافرين». فوضع المظهر موضع المضمر.(٥)

«و كانوا» ـ الآية. عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود و النصارى. يقول الله: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه»(٦) يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «كما يعرفون أبناءهم». لأنّ الله قد أنزل عليهم في التوراة و الإنجيل و الزبور صفة محمّد و كانت اليهود يقولون للعرب: هذا أوان نبيّ يخرج من مكّة و يكون مهاجره بالمدينة. و هو آخر الأنبياء و أفضلهم. في عينيه حمرة. و بين كتفيه خاتم النبوّة. يلبس الشملة. و يجتزئ بالكسرة و يركب الحمار. فلمّا بعث الله نبيّه بهذه الصفة، كفروا به.(٧)

«على الذين كفروا» من المشركين الذين كانوا في المدينة خلّفهم تبّع لمّا غزا المدينة و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٤.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٣١١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٥.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٦٢.
٦ـ البقرة (٢) / ١٤٦.
٧ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢.

أراد السكون فيها فقال له اليهود: إنّها مهاجَر نبيّ يكون آخر الأنبياء. فخلّف تبّع من رهطه الأوس و الخزرج لينصروه عند ظهوره. و كانوا يتناولون أموال اليهود و كانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث الله محمّداً، لنخرجنّكم من ديارنا و أموالنا. فلمّا بعث الله محمّداًﷺ آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود. و هو قول الله: «و كانوا من قبل» ـ الآية.(١)

[٩٠] «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُ بِغَضَبٍ عَلىٰ غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«ما» نكرة منصوبة مفسّرة لفاعل «بئس»، بمعنى: بئس شيئاً «اشتروا به أنفسهم». و المخصوص بالذمّ «أن يكفروا». و اشتروا بمعنى باعوا.(٢)

«بئسما»؛ أي: إنّهم اعتاضوا بالكفر عن الثواب.(٣)

«بما أنزل الله» في عليّعليه السلام. هكذا نزلت. عن الباقرعليه السلام. «و للكافرين». يعني بني أميّة. «من عباده». يعني عليّاًعليه السلام. عن الباقرعليه السلام. «فباؤوا». يعني بني أميّة. عن الباقرعليه السلام.(٤)

«بغياً»؛ أي: حسداً و طلباً لما ليس لهم. و هو علّة اشتروا. «أن ينزّل»: [لأن ينزّل]. أو: على أن ينزّل الله. أي: حسدوه على أن ينزّل الله «من فضله» الذي هو الوحي «على من يشاء» و يقتضي حكمته إرساله. «فباؤوا»؛ أي: صاروا أحقّاء «بغضب على غضب» مترادف. لأنّهم كفروا بنبيّ الحقّ و بغوا عليه. و قيل: كفروا بمحمّدﷺ بعد عيسى. و قيل بعد قولهم: «عزير ابن الله»(٥) و قولهم: «يد الله مغلولة»(٦) و غير ذلك من أنواع كفرهم.(٧)

«أن ينزّل الله». ابن كثير و أبوعمرو مضموم الأوّل بالتخفيف.(٨)

«فباؤوا»؛ أي: رجعت اليهود بعد ما كانوا يستفتحون على الناس مرتدّين على أعقابهم

١ـ الكافي ٨ / ٣٠٨، ح ٤٨١.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٦٥.
٣ـ التبيان ١ / ٣٤٩.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥٠، ح ٧٠.
٥ـ التوبة (٩) / ٣٠.
٦ـ المائدة (٥) / ٦٤.
٧ـ الكشّاف ١ / ١٦٥.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٥.

حين بعثه الله نبيّاً.(١)

[٩١] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«بما أنزل الله» في عليّ عليه السلام. «قالوا». يعني بني أميّة. عن الباقر عليه السلام. «و يكفرون»؛ يعني: يكفرون بما أنزل الله في عليّ عليه السلام.(٢)

«و إذا قيل لهم» ـ يعني أولئك اليهود ـ: صدّقوا بما أنزل الله من القرآن، قالوا: نؤمن بالتوراة الذي أنزلت علينا. و يجحدون بما وراءه؛ أي: بما بعده من الإنجيل و القرآن. «فلم تقتلون». المستقبل هنا بمعنى الماضي. و إنّما أضاف إليهم فعل آبائهم و أسلافهم، لأنّ الخطاب لمن شهد من أهل ملّة واحدة و من غاب منهم واحد، فإذا قتل أسلافهم الأنبياء و هم مقيمون على مذهبهم، فقد شركوهم في ذلك؛ أو لأنّهم رضوا بأفعالهم، و الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم. و هذا قريب من الأوّل.(٣)

«و هو الحقّ». أي ما وراءه؛ أعني القرآن. «مصدّقاً» للتوراة التي هي عندهم و ناصّاً على أنّها من الله. و فيه ردّ لمقالاتهم. لأنّهم إذا كفروا بما يوافق التوراة، فقد كفروا بها. «فلم تقتلون». اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادّعائهم الإيمان بالتوراة، و التوراة لاتسوّغ قتل الأنبياء.(٤)

[٩٢] «وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ».

«بالبيّنات»: المعجزات الظاهرة الدالّة على نبوّته. «اتّخذتم العجل» إلهاً معبوداً.

١ـ التبيان ١ / ٣٤٩.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥١، ح ٧١.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٣١٦.

٤ـ الكشّاف ١ / ١٦٥، و مجمع البيان ١ / ٣١٦.

«من بعده»؛ أي: من بعد مضيّ موسى إلى الميقات. أو: من بعد مجيء البيّنات.[١]

«و لقد جاءكم». مدغمة الدال في الجيم في كلّ القرآن، أبوعمرو و حمزة.[٢]

[٩٣] «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«ميثاقكم». الفائدة في تكرير هذا و أمثاله التأكيد و إيجاب الحجّة عليهم على عادة العرب في مخاطباتهم.[٣]

«ميثاقكم». أي: العهود عليكم بأن تعملوا بما في التوراة التي نزلت على موسى بجدّ و اجتهاد.[٤]

«خذوا»؛ أي: قلنا لهم: خذوا.[٥]

«و اسمعوا»: اقبلوا. «قالوا سمعنا». فيه قولان. أحدهما: انّهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء، و معناه: سمعنا قولك و عصينا أمرك. و ثانيهما: انّ حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دلّ عليه.[٦]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و أشربوا في قلوبهم العجل» قال: عمد موسى فبرا[٧] العجل من أنفه إلى طرف ذنبه ثمّ أحرقه بالنار فذراه في اليمّ. قال: و كان أحدهم ليقع في الماء ـ و ما به إليه حاجة ـ فيتعرّض لذلك الرماد فيشربه. و هو قول الله: «و أشربوا».[٨]

«خذوا ما آتيناكم» من أحكام التوراة «بقوّة»: بجدّ و اجتهاد.

١ـ مجمع البيان ١ / ٣١٦.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٣٦.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٣١٨.

٤ـ التبيان ١ / ٣٥٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٦.

٦ـ مجمع البيان ١ / ٣١٨.

٧ـ المصدر: فبرد.

٨ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥١.

«و أشربوا»؛ أي: تداخلهم حبّه و الحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ.[١]

«في قلوبهم». بكسر الهاء و الميم، أبوعمرو. و قرأ حمزة بضمّ الهاء و الميم، و الباقون بكسر الهاء و ضمّ الميم.[٢]

«بكفرهم»؛ أي: بسببه. و ذلك لأنّهم كانوا مجسّمة أو حلوليّة و لم يروا جسماً أعجب منه فتمكّن في قلوبهم ما سوّل لهم السامريّ.[٣]

«ما يأمركم» من قتل الأنبياء و تكذيب الرسل.[٤]

«إيمانكم» بالتوراة. لأنّه ليس في التوراة عبادة العجل.[٥]

[٩٤] «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«خالصة»؛ أي: مخصوصة بكم دون المسلمين أو دون كلّ الناس؛ كما ادّعيتم بقولكم: «لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى»[٦] و كنتم صادقين في قولكم: «نحن أبناء الله و أحبّاؤه»[٧] و انّ الله لايعذّبنا. «فتمنّوا الموت». لأنّ من اعتقد أنّه من أهل الجنّة، كان الموت أحبّ إليه من الحياة التي فيها أنواع الهموم. ألاترى قول أميرالمؤمنين عليه السلام و هو يطوف بين الصفّين بصفّين في غلالة، لمّا قال ابنه الحسن عليه السلام: ما هذا زيّ الحرب، فقال: يا بنيّ إنّ أباك لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه. و أمّا ما روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «لايتمنّينّ أحدكم الموت لضرّ نزل به، ولكن ليقل: اللّهمّ أحيني ما دامت الحياة خيراً لي. و توفّني ما كانت الوفاة خيراً لي. فإنّما نهى عن تمنّي الموت لأنّه يدلّ على الجزع و المأمور به الصبر.[٨]

[٩٥] «وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

١ـ الكشّاف ١ / ١٦٦.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٦.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٣١٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٦٦.
٦ـ البقرة (٢) / ١١١.
٧ـ المائدة (٥) / ١٨.
٨ـ مجمع البيان ١ / ٣١٩ـ ٣٢٠.

«بما قدّمت أيديهم». أي من المعاصي و القبائح و تكذيب الكتاب و الرسول. و أضاف ذلك إلى اليد، لأنّ الغالب على الجنايات حصولها باليد.[١]

«عليم بالظالمين». زجر لهم. و قيل: معناه: انّ الله عليم بالأسباب التي منعتهم عن تمنّي الموت. و عنه ﷺ: انّ اليهود لو تمنّوا الموت، لماتوا. و هذه القصّة شبيهة بقصّة المباهلة.[٢]

[٩٦] «وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلىٰ حَيَاةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ».

«و لتجدنّهم». هو من وجد بمعنى علم المتعدّي إلى مفعولين. و إنّما قال: «على حياة» بالتنكير، لأنّه أراد حياة مخصوصة و هي الحياة المتطاولة. و لذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبيّ: «على الحياة». «و من الذين أشركوا». محمول على المعنى. [لأنّ معنى] «أحرص الناس» أحرص من الناس. و إنّما أفرد الذين أشركوا مع دخولهم تحت الناس، لأنّ حرصهم شديد. و يجوز أن يراد: و أحرص من الذين أشركوا، فحذف لدلالة «أحرص الناس» عليه. و فيه توبيخ عظيم. لأنّ الذين أشركوا لايؤمنون بعاقبة و لايعرفون إلّا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لايستبعد، لأنّها جنّتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب و هو مقرّ بالجزاء، كان حقيقاً بأعظم التوبيخ. و إنّما زاد حرصهم على حرص المشركين، لأنّهم علموا لعلمهم بحالهم أنّهم صائرون إلى النار لا محالة و المشركون لايعلمون. و قيل: أراد بالّذين أشركوا المجوس، لأنّهم كانوا يقولون لملوكهم: عش ألف نيروز و ألف مهرجان. و عن ابن‌عبّاس: هو قول الأعاجم: زي هزار سال. و قيل: «و من الذين أشركوا» كلام مبتدأ. أي: و منهم ناس يودّ أحدهم، على حذف الموصوف. و الذين أشركوا، على هذا، مشار به إلى اليهود، لأنّهم قالوا: «عزير ابن الله»[٣] ليكون من باب إقامة المظهر مقام المضمر. «و ما هو». الضمير لأحدهم. و «أن يعمّر» فاعل «بمزحزحه». أي: و ما أحدهم بمزحزحه تعمير ألف

١ـ مجمع البيان ١ / ٣٢٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٣ـ التوبة (٩) / ٣٠.

سنة. و قيل: الضمير لما دلّ عليه «يعمّر» من مصدره «و أن يعمّر» فاعل «بمزحزحه». و يجوز أن يكون مبهماً و «أن يعمّر» موضحه. و الزحزحة: التبعيد و الإنحاء.(١)

«لو يعمّر». حكاية لودادتهم. و لو بمعنى ليت. و كان أصله: لو أعمّر، فأجري على الغيبة لقوله: «يودّ». كقولك: حلف بالله ليفعلنّ.(٢)

[٩٧ ـ ٩٨] «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدًى وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلّٰهِ و مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ».

ابن‌كثير: «جَبريل» [هنا] و في التحريم بفتح الجيم و كسر الراء من غير همز، و أبوبكر بفتح الجيم و الراء و همزة مكسورة من غير ياء، و حمزة و الكسائيّ مثله إلّا أنّهما [جعلا] ياء بعد الهمزة، و الباقون بكسر الجيم و الراء من غير همز. حفص و أبوعمرو: «ميكال» بغير همز و لا ياء، و نافع بهمزة مكسورة من غير ياء، و الباقون بياء بعد الهمزة.(٣)

«لجبريل» في مظاهرته لأولياء الله على أعدائه و نزوله بفضائل عليّ عليه السلام من عند الله. قال أبومحمّد عليه السلام: سأل عبدالله بن صوريا ـ و هو غلام أعور يهوديّ ـ رسول الله صلى الله عليه و آله عن مسائل كثيرة فأجابه و كان ذلك الغلام أعلم اليهود. فقال: يا محمّد، من يأتيك بهذه الأخبار عن الله؟ قال: جبرئيل. فقال: لو كان غيره يأتيك بها، لآمنت بك. لأنّه عدوّنا من بين الملائكة. لأنّه ينزل بالبلاء و الشدّة على بني إسرائيل و دفع دانيال عن قتل بخت النصر حتّى قوي أمره و أهلك بني إسرائيل. و أمّا ميكائيل فهو يأتينا بالرحمة. فقال له رسول الله: ويحك! أجهلت أمر الله؟ و ما ذنب جبرئيل إن أطاع الله فيما يريده بكم؟ أرأيتم ملك الموت؟ أهو عدوّكم و قد وكله الله بقبض أرواح الخلق؟ ثمّ قال عليه السلام: نزلت هذه الآية في اليهود و النصّاب. أمّا ما كان من النصّاب، فهو أسوأ من قول اليهود في الله و في جبرئيل و ميكائيل و

١ـ الكشّاف ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٧.
٣ـ التيسير / ٦٤ ـ ٦٥.

سائر ملائكة الله. و ذلك أنّ رسول الله يقول في بعض فضائل عليّ عليه السلام: إنّ جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره. و كان جبرئيل يفتخر على ميكائيل بذلك. لأنّ اليمين أفضل من اليسار. و كانا يفتخران على إسرافيل الذي كان خلفه بالخدمة، و على ملك الموت الذي كان أمامه بالخدمة. و كان النصّاب يعادون هؤلاء الملائكة لقربهم من عليّ و خدمتهم له.[١]

«نزّله»؛ أي: القرآن. فإن قلت: كيف استقام قوله: «فإنّه نزّله» جزاء للشرط؟ قلت: فيه وجهان. أحدهما: إن عادى جبرئيل أحد من أهل الكتاب، فلا وجه لمعاداته حيث نزّل كتاباً مصدّقاً للكتب بين يديه. فلو أنصفوا، لأحبّوه و شكروا له صنيعته في إنزاله ما ينفعهم و يصحّح المنزل عليهم. و الثاني: إن عاداه أحد، فالسبب في عداوته أنّه نزّل عليك القرآن مصدّقاً لكتابهم و موافقاً له و هم كارهون للقرآن و لموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرّفونه و يجحدون موافقته له. كقولك: إن عاداك فلان، فقد آذيته و أسأت إليه. أفرد الملكان بالذكر لفضلهما.[٢]

«بإذن الله»؛ أي: بأمره. «لما بين يديه» من سائر كتب الله. «و هدًى» من الضلالة «و بشرى» بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله و ولاية أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٣]

«من كان». جواب الشرط محذوف. أي: فليمت غيظاً؛ فإنّه نزّل الوحي على قلبك.[٤]

[٩٩] «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّـنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ».

«لقد أنزلنا». قال ابن عبّاس: إنّ ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد، ماجئتنا بشيء نعرفه و ما أنزل الله عليك من آية بيّنة فنتّبعك بها. فأنزل الله: «و لقد أنزلنا» ـ الآية.[٥]

«إلّا الفاسقون»: المتمرّدون من الكفرة. و اللّام إشارة إلى أهل الكتاب.[٦]

١ـ الاحتجاج ١ / ٤٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٧٠.
٣ـ الاحتجاج ١ / ٤٦.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٣٢٥.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٢٧.
٦ـ الكشّاف ١ / ١٧١.

[١٠٠] «أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«أ و كلّما». الهمزة للإنكار. و اعلم أنّه دلّ بالآيتين على أنّ جلّ اليهود أربع فرق: فرقة آمنوا بالتوراة و قاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب؛ و هم الأقلّون المدلول عليهم بقوله: «بل أكثرهم لايؤمنون». و فرقة جاهروا بنبذ عهودها و تخطّي حدودها تمرّداً و فسوقاً؛ و هم المعنيّون بقوله: «نبذ فريق منهم». و فرقة لم يجاهروا بنبذها لكن نبذوا لجهلهم بها؛ و هم الأكثرون. و فرقة تمسّكوا بها ظاهراً و نبذوها حقيقة عالمين بالحال بغياً و عناداً؛ و هم المتجاهلون.(١)

أقول: من تتبّع أحوال المسلمين، يرى أنّهم فعلوا بكتابهم من الإيمان به و عدمه ما فعلته اليهود بالتوراة. و لا آمن بالقرآن ظاهراً و باطناً إلّا من صدّق النبيّ و أهل بيته؛ و هم الفرقة الناجية.

«أ و كلّما عاهدوا». المراد به العهد الذي أخذه الأنبياء عليهم أن يؤمنوا بالنبيّ الأمّيّ. و قيل: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ و بين اليهود فنقضوها كفعل قريظة و النضير عاهدوا الله أن لايعينوا عليه أحداً فنقضوا ذلك و أعانوا عليه قريشاً يوم الخندق. «بل أكثرهم». أي المعاهدون لا الفريق، لأنّهم كلّهم لايؤمنون.(٢)

«أ و كلّما». الواو للعطف على محذوف. معناه: أكفروا بالآيات. «نبذه». و اليهود موسومون بالغدر و نقض العهود.(٣)

[١٠١] «وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«كتاب الله». يعني التوراة. لأنّهم بكفرهم برسول الله ﷺ المصدّق لما معهم، كافرون بها، نابذون لها. و قيل: كتاب الله القرآن؛ نبذوه بعد ما لزمهم تلقّيه بالقبول وراء ظهورهم.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٢٨.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٧١.

مثل لتركهم و إعراضهم، مثّل بما يرمى وراء الظهر.[١]
«لا يعلمون». أنّه كتاب الله.[٢]

[١٠٢] «وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«و اتّبعوا»؛ أي: نبذوا الكتاب و اتّبعوا. و هو خطاب لليهود. أي: اتّبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الشياطين. «على ملك سليمان»؛ أي: على عهد ملكه و في زمانه. و ذلك أنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ثمّ يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها إلى الكهنة، و قد دوّنوها في كتب يقرؤونها و يعلّمونها الناس. و فشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتّى قالوا: إنّ الجنّ تعلم الغيب. و كانوا يقولون: هذا علم سليمان. و ما تمّ لسليمان ملكه إلّا بهذا العلم و به تسخر المخلوقات. «و ما كفر سليمان». تكذيب للشياطين و دفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر و العمل. [به].[٣]

عن الصادق عليه السلام في قول الله: «و اتّبعوا ما تتلو الشياطين» قال: «اتّبعوا ما تتلو» كفرة «الشياطين» من السحر و النيرنجات «على ملك سليمان» الذين يزعمون أنّ سليمان به ملك و نحن أيضاً نظهر به العجائب حتّى ينقاد لنا الناس. و قالوا: كان سليمان كافراً ساحراً، بسحره ملك [ما ملك] و قدر على ما قدر. فردّ الله عليهم فقال: «و ما كفر سليمان» و لا استعمل السحر «ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر» الذي نسبوه إلى سليمان، و إلى

١ـ الكشّاف ١ / ١٧١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٨.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٧٢.

«ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت». و كان بعد نوحعليه السلام قد كثر السحر، فبعث الله ملكين إلى نبيّ ذلك الزمان يذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم. فتلقّاه النبيّ عن الملكين و أدّاه إلى عباد الله بأمر الله، و أمرهم أن يبطلوا به السحر و نهاهم أن يسحروا به الناس. و هذا كما يدلّ على السمّ ما هو و على ما يدفع به غائلة السمّ. ثمّ قال: «و ما يعلّمان». يعني أنّ ذلك النبيّ أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين و يعلّمانهم ما علّمهما الله من ذلك. «و ما يعلّمان أحداً» من ذلك السحر «حتّى يقولا» للمتعلّم: «إنّما نحن فتنة» و امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون من هذا و يبطلون كيد السحرة و لايسحروهم. «فلاتكفر» باستعمال هذا السحر و طلب الإضرار به. «فيتعلّمون». يعني طالبي السحر. «منهما». يعني ما كتبت الشياطين على ملك سليمان من النيرنجات و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت، يتعلّمون من هذين الصنفين «ما يفرّقون به بين المرء و زوجه». هذا ما يتعلّم للإضرار بالناس. «إلّا بإذن الله». يعني: بتخلية الله و علمه و انّه لو شاء لمنعهم بالجبر و القهر. «ما يضرّهم و لاينفعهم» لأنّهم إذ أضرّوا الناس بالسحر، خرجوا من الدين. «و لقد علموا». أي المتعلّمون للسحر. «من خلاق»؛ أي: من نصيب من ثواب الجنّة. «يعلمون» أنّهم قد باعوا أنفسهم بالعذاب، ولكن لا يعلمون ذلك لكفرهم به.[1]

«ولكنّ». ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ بكسر النون مخفّفة [و رفع بعدها]. و الباقون بالفتح مشدّدة و نصب ما بعدها.[2]

«يعلّمون الناس السحر» يقصدون به إضلالهم. «و ما أنزل». عطف على السحر. أي: و يعلّمونهم ما أنزل على الملكين. و قيل: هو عطف على ما تتلو.[3]

«و ما أنزل على الملكين». هما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس و تمييزاً بينه و بين المعجزة. و ما روي من أنّهما مثّلا بشرين و ركّب فيهما الشهوة فتعرّضا لامرأة

۱ـ عيون الأخبار ۱ / ۲٦٦ ـ ۲۷۱، ح ۱. ۲ـ التيسير / ٦٥.
۳ـ الكشّاف ۱ / ۱۷۲.

يقال لها زهرة فحملتها على المعاصي و الشرك و صعدت إلى السماء بما تعلّمت منها، فحكيّ عن اليهود. و لعلّه من رموز الأوائل، و حلّه لايخفى على ذوي البصائر. «ببابل». بلد من سواد الكوفة. «هاروت و ماروت». بدل من الملكين، أو عطف بيان للملكين. منع صرفهما للعلميّة و العجمة. «و مايعلّمان من أحد»: أيّ أحد حتّى ينصحاه و يقولا له: إنّما نحن ابتلاء من الله. فمن تعلّم منّا و عمل به، كفر. و من تعلّم و توقّى عمله، ثبت على الإيمان. «فلاتكفر» باعتقاد جوازه و العمل به. و فيه دليل على أنّ تعلّم السحر و ما لايجوز اتّباعه غير محظور و إنّما المنع من العمل به. «فيتعلّمون». أي الناس المفهوم من قوله: «أحد».[١]

«بإذن الله»: أي: بعلم الله.[٢]

«بإذن الله»: أي: بأمره و تخليته.[٣]

«مايضرّهم». لأنّهم يقصدون به العمل و هو يضرّ بالدين.[٤]

«يعلمون»: أي: يتفكّرون فيه. أو: يعلمون قبحه على اليقين، أو حقيقة ما يتبعه من العذاب. و المثبت لهم أوّلاً على التوكيد القسميّ [العقل] الغريزيّ أو العلم الإجماليّ بقبح الفعل أو ترتّب العقاب من غير تحقيق. و قيل: معناه: لو كانوا يعملون بعلمهم. فإنّ من لم يعمل بما علم، فهو كمن لم يعلم.[٥]

[١٠٣] «وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«و لو أنّهم آمنوا» بالرسول و الكتاب «و اتّقوا» بترك المعاصي كنبذ كتاب الله و اتّباع السحرة. «لمثوبة». جواب لو. و أصله: لأثيبوا مثوبة من الله خيراً ممّا شروا به أنفسهم. فحذف الفعل و ركّب الباقي جملة اسميّة ليدلّ على ثبات المثوبة. و حذف المفضّل عليه إجلالاً للمفضّل من أن ينسب إليه. و تنكير المثوبة لأنّ المعنى: لشيء من الثواب خير. و قيل: لو

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٩.
٢ـ التبيان ١ / ٣٨٠.
٣ـ التبيان ١ / ٣٨٠، و مجمع البيان ١ / ٣٤٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٩.

للتمنّي. و لمثوبة مبتدأ. «يعلمون» أنّ ثواب الله خير من [ما هم فيه. و قد علموا لكـنّه] جهّلهم لترك التدبّر أو العمل بالعلم.(١)

«و لو أنّهم». ذهب البصريّون إلى أنّ جواب «لو» محذوف تقديره: لأثـيبوا، و أوقـع «لمثوبة» موقعه.(٢)

[١٠٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انْظُرْنَا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«راعنا». أي كان اليهود يقولون: راعنا، نسبة إلى الرعن؛ و هو الحمق.(٣)

«راعنا». معناه عند اليهود: استمع لا سمعت!(٤)

«و للكافرين»؛ أي: اليهود الذين تهاونوا برسول الله ﷺ و سبّوه. كان المسلمون يقولون لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله؛ أي: راقبنا و انتظرنا و تأنّ بنا حتّى نفهمه و نحفظه. و كانت لليهود كلمة يتسابّون بها ـ عبرانيّة أو سريانيّة ـ و هي: راعينا. فلمّا سمعوا بقول المؤمنين: راعنا، افترصوه و خاطبوا به رسول الله ﷺ و هم يعنون به تلك المسبّة، فنهي المؤمنون عنها و أمروا بما هو في معناها و هو: «انظرنا». من نظره، إذا انتظره. «و اسمعوا»: [و أحسنوا] سماع ما يكلّمكم به رسول الله و يلقي إليكم من المسائل بآذان واعية و أذهان حاضرة حتّى لاتحتاجوا إلى الاستعاذة و طلب المراعاة. أو: اسمـعوا سماع قبول و طاعة، و لايكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا: سمعنا و عصينا. و روي أنّ سعد بن معاذ سمعها منهم فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله! و الذي نفسي بيده، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربنّ عنقه. فقالوا: أ و لستم تقولونها؟ فنزلت.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٧٩.
٢ـ التبيان ١ / ٣٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٠.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٣٤٣.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥.

[١٠٥] «مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

«من أهل الكتاب». من هنا للبيان. «من خير». الخير هنا الوحي. و كذلك الرحمة. و المعنى: يرون أنفسهم [أحقّ] بأن يوحى إليهم، فيحسدونكم و مايحبّون أن ينزل عليكم شيء من الوحي. و الله يختصّ بالنبوّة من يشاء. «من ربّكم». من للابتداء.[١]

«أهل الكتاب»؛ أي: اليهود. «من خير». من زائدة للتأكيد. «برحمته». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: المراد برحمته هنا النبوّة.[٢]

«العظيم». إذ لا أعظم من النبوّة.

[١٠٦] «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«ما ننسخ». قرأ ابن عامر بضمّ النون و كسر السين، و الباقون بفتحها. «أو ننسها». قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو بفتح النون و السين و إثبات الهمزة، و الباقون بضمّ النون و كسر السين بلا همز.[٣]

«ما ننسخ». روي أنّ اليهود أو المشركين طعنوا في النسخ فقالوا: ألاترون أنّ محمّداً يأمر أصحابه بأمر ثمّ ينهاهم [عنه و يأمرهم] بخلافه و يقول اليوم قولاً و يرجع عنه غداً؟ فنزلت: «ما ننسخ» ـ الآية. و نسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها. و إنساخها الأمر بنسخها؛ و هو أن يأمر جبرئيل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها. و نسؤها تأخيرها و إذهابها لا إلى بدل. و إنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب. و المعنى: انّ كلّ آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها و حكمها معاً، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل، نأت بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك.[٤]

١ـ الكشّاف ١ / ١٧٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٤٤.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٣٤٥.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٧٦.

«أو ننسها»: نذهب بها من خواطر الناس.[١]

«أو ننسها». روي: انّ رجلاً من الأنصار قام جوف اللّيل يريد أن يفتتح سورة قد كان اعتادها فلم يقدر منها على شيء إلّا على «بسم الله الرحمن الرحيم». فأتى باب النبيّ حين أصبح ليسأل النبيّ عن ذلك. ثمّ جاء آخر و آخر حتّى اجتمعوا. فسأل بعضهم بعضاً، فأخبروا بنسيان تلك السورة. فقال ﷺ: نسخت البارحة من صدوركم و من كلّ شيء كان فيه. (سعد الدين)

عن عمر بن يزيد قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها». فقال: كذبوا. ما هكذا قال الله. قلت: فكيف قال؟ قال: ليس فيها ألف و لا واو. قال: بخير منها مثلها. يقول: ما يميت من إمام أو ينس ذكره، يأت بخير منه من صلبه مثله.[٢]

«بخير منها» في السهولة؛ كالثبات لاثنين بعد أن كان لعشر.[٣] «أو مثلها»؛ كالتوجّه إلى الكعبة بعد بيت المقدس.[٤]

[١٠٧] «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«ألم تعلم». الخطاب للنبيّ. و الاستفهام لتقرير [أنّ له تعالى] ملك السموات فيجري أموركم على حسب مصلحتكم من ناسخ و منسوخ.[٥]

[١٠٨] «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥٦، ح ٧٨.

٣ـ و ذلك في قوله تعالى: «فإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» ثمّ نسخ ذلك بقوله: «الآن خفّف الله عنكم و علم أنّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين». (تفسيرالنيسابوريّ ١ / ٣٦١)

٤ـ مجمع البيان ١ / ٣٤٨، و التبيان ١ / ٣٩٧، و تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٦١.

٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠، و الكشّاف ١ / ١٧٦.

بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

«أم تريدون». قال له المشركون من العرب: «لن نؤمن لك حتّى تفجر» إلى قوله: «قبيلاً».(١) وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها أنّه لمّا دلّ الله بما تقدّم على تدبيره لهم فيما يأتي به من الآيات و [ما] ينسخه، و اختياره لهم ما هو الأصلح، قال: أما ترضون بذلك؟ و كيف تتخيّرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحة؟ فإذا أتى بآية تقوم بها الحجّة، فليس لأحد الاعتراض عليها و الاقتراح على غيرها. لأنّ ذلك بعد صحّة البرهان يكون تعنّتاً.(٢)

«أم» معادلة للهمزة في «ألم تعلم». أي: ألم تعلموا أنّه مالك الأمور قادر على أن يأمر و ينهى كما أراد؟ أم تعلمون و تقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى. أو منقطعة والمراد أن يوصيهم بترك الاقتراح عليه. قيل: نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزّل [الله] عليهم كتاباً من السماء. و قيل: في المشركين لمّا قالوا: «لن نؤمن لرقيّك»؛ أي: معراجك «حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه».(٣) «و من يتبدّل»؛ أي: من ترك الثقة بالآيات البيّنات و شكّ فيها و اقترح غيرها، فقد ضلّ الطريق المستقيم.(٤)

[١٠٩] «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ».

«كثير». يعني أحبار اليهود. «لو يردّونكم»: أن يردّوكم. فإنّ «لو» تنوب عن أن في المعنى دون اللّفظ. «كفّاراً»: مرتدّين. و هو حال من ضمير المخاطبين. «حسداً». علّة ودّ. «من عند أنفسهم». يجوز أن يتعلّق بودّ. أي: تمنّوا ذلك عند أنفسهم و تشهّيهم، لا من قبل التديّن و الميل إلى الحقّ. أو بحسداً. أي: حسداً بالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم. «الحقّ»

١ـ الإسراء (١٧) / ٩٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٥١ ـ ٣٥٢.
٣ـ الإسراء (١٧) / ٩٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨١.

بالمعجزات و النعوت المذكورة في التوراة. «فاعفوا». العفو: ترك عقوبة المذنب. و الصفح: ترك لومته. «بأمره» الذي هو الأمر بقتالهم و ضرب الجزية عليهم، أو قتل قريظة و إجلاء بني النضير. و عن ابن‌عبّاس أنّه منسوخ بآية السيف. و فيه نظر؛ إذ الأمر مطلق. «قدير» فيقدر على الانتقام منهم.(١)

«حسداً»؛ أي: حسدوكم حسداً. «بأمره». عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه و آله بقتل، و لا أذن له فيه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: «أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا»(٢) و قلّده سيفاً.(٣)

[١١٠] «وَ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«و أقيموا». لمّا أمر الله المسلمين بالصفح عن الكفّار و التجاوز عنهم، علم أنّه يشقّ عليهم ذلك مع شدّة عداوة اليهود و غيرهم لهم، فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة و الزكاة. فإنّ ذلك معونة لهم مع ما يحوزون بهما من الثواب. كما قال: «و استعينوا بالصبر و الصلاة»(٤).(٥)

«و أقيموا». عطف على «فاعفوا». كأنّه أمرهم بالصبر و اللّجأ إلى الله بالعبادة و البرّ. «من خير» كصلاة أو صدقة. «تجدوه»؛ أي: تجدوا ثوابه. «بصير»؛ أي: لا يضيع عنده عمل عامل.(٦)

[١١١] «وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨١.
٢ـ الحج (٢٢) / ٣٩.
٣ـ التبيان ١ / ٤٠٥ و ٤٠٧.
٤ـ البقرة (٢) / ٤٥.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٥٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨١.

«و قالوا». أي أهل الكتاب. «لن يدخل الجنّة»؛ أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً. و قالت النصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصارى. فلفّ بين القولين ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ فريق قوله. «تلك أمانيّهم»: أباطيلهم و ما يتمنّونه على الله تعالى. فإن قلت: لم قيل: «تلك أمانيّهم» و قولهم: «لن يدخل الجنّة» أمنيّة واحدة؟ قلت: أشير بها إلى الأمانيّ المذكورة و هي أمنيّتهم أن لاينزل على المؤمنين خير من ربّهم و أمنيّتهم أن لايدخل الجنّة غيرهم. أي: تلك الأمانيّ الباطلة أمانيّهم.[١]

«هوداً». جمع هائد. و الهائد: التائب الراجع إلى الحقّ.[٢] لأنّهم تابوا عن عبادة العجل.

«قل هاتوا برهانكم» على اختصاصكم بدخول الجنّة.[٣]

[١١٢] «بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

معنى «أسلم» يحتمل وجهين. أحدهما: أسلم إلى كذا بمعنى صرفه إليه. كقولك: أسلمت الثوب إليه. و الثاني: أسلم له بمعنى أخلص له. من قولك: قد سلم الشيء لفلان، إذا أخلص له. و منه قوله: «و رجلاً سلماً لرجل»[٤]؛ أي: خالصاً.[٥]

«بلى». إثبات لما نقوه من دخول غيرهم الجنّة. «أسلم»: أخلص نفسه لله. «عند ربّه»؛ أي ثابتاً عنده لايضيع و لاينقص. و الجملة جواب من إن كانت [شرطيّة و خبرها إن كانت] موصولة. و الفاء فيها لتضمّنها معنى الشرط. فيكون الردّ بقوله: [«بلى»] وحده و يحسن الوقف عليه. و يجوز أن يكون «من أسلم» فاعل فعل محذوف مثل بلى يدخلها من أسلم. «يحزنون» في الآخرة.[٦]

١ـ الكشّاف ١ / ١٧٧ ـ ١٧٨.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٥٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٢.
٤ـ الزمر (٣٩) / ٢٩.
٥ـ التبيان ١ / ٤١٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٢.

[۱۱۳] «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«و قالت اليهود». النزول: قال ابن‌عبّاس: إنّه لمّا قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ. فقال رافع بن حرمل: ما أنتم على شيء. و جحد نبوّة عيسى عليه السلام و كفر بالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران: ليست اليهود على شيء. و جحد نبوّة موسى عليه السلام و كفر بالتوراة. فأنزل الله هذه الآية.(۱)

«على شيء» يصحّ و يعتدّ به. و هذه مبالغة عظيمة. لأنّ المحال و المعدوم يقع عليها اسم الشيء، فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه، فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده. كقولهم: أقلّ من لا شيء. «الكتاب». اللّام للجنس. أي قالوا ذلك و حالهم أنّهم من أهل العلم و التلاوة للكتب و حقّ من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله و آمن به أن لايكفر بالباقي. لأنّ كلّ واحد من الكتابين مصدّق للثاني، شاهد بصحّته. «بينهم»؛ أي: بين اليهود و النصارى. «يوم القيامة» بما يقسم لكلّ فريق منهم من العقاب الذي استحقّه. و عن الحسن: حكم الله بينهم أن يكذّبهم و يدخلهم النار.(۲)

«مثل قولهم». معناه: انّ مشركي العرب الذين هم جهلة و ليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمّد ﷺ و أصحابه أنّهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود و النصارى بعضهم لبعض. و قيل: إنّ مشركي العرب قالوا بأنّ جميع الأنبياء و أممهم لم‌يكونوا على شيء و كانوا على خطأ. أي: فقد ساووكم ـ يا معشر اليهود ـ في الإنكار و هم لايعلمون.(۳)

[۱۱٤] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعىٰ فِي خَرَابِهَا أُولٰئِكَ

۱ـ مجمع البيان ۱ / ۳٥۸.
۲ـ الكشّاف ۱ / ۱۷۸ ـ ۱۷۹.
۳ـ مجمع البيان ۱ / ۳٥۹.

مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«ممّن منع». أي كلّ من منع لكلّ المساجد. و لايراد خصوص مورد النزول من النصارى أو المشركين. «خرابها» بانقطاع الذكر و بتخريب البنيان. «أولئك»؛ أي: المانعون «ماكان لهم أن يدخلوها»؛ أي: مساجد الله «إلّا خائفين» على حال ارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً أن يستولوا عليها و يمنعوا المؤمنين منها. و المعنى: ماكان الحقّ و الواجب إلّا ذلك لولا ظلم الكفرة و عتوّهم. و قيل: ماكان لهم في حكم الله. يعني أنّ الله قد حكم و كتب في اللّوح أنّه ينصر المؤمنين حتّى لايدخلوها إلّا خائفين.[1]

«و من أظلم». اختلفوا في المعنيّ بهذه الآية. فقال ابن‌عبّاس: إنّهم الروم؛ غزوا بيت المقدس و سعوا في خرابه حتّى كانت أيّام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم و صاروا لايدخلونه إلّا خائفين. و قيل: هو بخت النصر خرّب بيت المقدس و أعانه عليه النصارى. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكّة و المسجد الحرام عام الحديبيّة. و روي عن زيد بن عليّ عن آبائه عن عليّ عليه السلام أنّه أراد جميع الأرض، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: جعلت لي الأرض مسجداً و ترابها طهوراً. «مساجد الله». إذا حمل المساجد على بيت المقدس أو على الكعبة، فإنّما جاز جمعه على أحد وجهين؛ إمّا أن يكون مواضع السجود، فإنّ المسجد الأعظم يقال لكلّ موضع منه مسجد، و إمّا أن يدخل فيها المساجد التي يبنيها المسلمون. «أن يذكر» بصلاة الجماعة و الذكر.[2]

«خزي»: قتل، أو سبي، أو ذلّة بضرب الجزية. و قيل: فتح مدائنهم روميّة و عمّوريّة.[3]

[١١٥] «وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«و لله المشرق و المغرب»؛ أي: بلادهما و هو مالكها و متولّيها. «فأينما تولّوا»: في أيّ

١ـ الكشّاف ١ / ١٧٩.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٨٠.

مكان فعلتم التولية. يعني تولية وجوهكم شطر القبلة؛ بدليل: «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام و حيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره».[١] «فثمّ وجه الله»؛ أي: جهته التي أمر بهـا و رضيها. و المعنى: انّكم إذا منعتم أن تصلّوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلّوا في أيّ بقعة شئتم من بقاعها. فإنّ التولية ممكنة في كلّ مكان.[٢]

«و لله المشرق و المغرب». اختلف في سبب نزول الآية. فقيل: إنّ اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس، فنزلت الآية ردّاً عليهم. و قـال [ابـن عبّاس]: بـيّن سبحانه أنّه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسّمة. و قيل: كان للمسلمين التـوجّه في صلاتهم حيث شاؤوا، فنزلت الآية. ثمّ نسخ ذلك بقوله: «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام». و قيل: نزلت في صلاة التطوّع على الراحلة تصلّيها حيثما توجّهت إذا كنت في سفر. و أمّا الفرائض فقوله: «و حيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره». يعني أنّ الفرائض لاتصلّيها إلّا إلى القبلة. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.[٣]

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه و آله و من حلّ محلّه من أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه. قال: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله».[٤]

و فيه قال عليه السلام أيضاً في الحجج: هم وجه الله الذي قال: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله».[٥]

و عن الرضا عليه السلام «فثمّ وجه الله» قال: عليّ عليه السلام.[٦]

«فأينما تولّوا». سأله معاوية بن عمّار عن الرجل يقوم في الصلاة ثمّ ينظر بعد ما فـرغ فيرى أنّه قد انحرف عن القبلة يميناً أو شمالاً؟ فقال له: قد مضت صلاته. و ما بين المشرق و المغرب قبلة. و نزلت هذه الآية في قبلة المتحيّر: «و لله المشرق و المغرب».[٧]

١ـ البقرة (٢) / ١٤٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٨٠.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٣٦٣.
٤ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٥.
٥ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٥.
٦ـ مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٢٧٢.
٧ـ الفقيه ١ / ١٧٩.

[١١٦] «وَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ».

«و قالوا اتّخذ الله ولداً». قالوا: المسيح ابن الله. و عزير ابن الله. و الملائكة بنات الله. «سبحانه». تنزيه له عن ذلك. «بل له ما في السموات»: [هو] خالقه و مالكه؛ و من جملته الملائكة و عزير و المسيح. «كلّ»: كلّ من جعلوه لله [ولداً]. و التنوين في «كلّ» عوض من المضاف إليه أي ما في السموات و ما في الأرض.(١)

عن الصادق عليه السلام قال: لم يخلق الله شجرة إلّا و لها ثمرة تؤكل. فلمّا قال الناس: «اتّخذ الله ولداً» ذهب نصف ثمرها. فلمّا اتّخذوا مع الله إلهاً، شاك الشجر.(٢)

«و قالوا». قرأ ابن عامر: «قال» بلا واو.(٣)

«قانتون»: منقادون لمشيّته. و من كان بهذه الصفة لم يجانس و من حقّ الولد أن يكون من جنس الوالد.(٤)

[١١٧] «بَدِيعُ السَّموَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«بديع السموات». من إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها. أي: بديعٌ سمواته و أرضه. و قيل: البديع بمعنى المبدع. كقوله: «أ من ريحانة الداعي السميعُ» بمعنى المسمع. «كن فيكون». من كان التامّة. أي: أحدث، فيحدث. و هذا مجاز من الكلام و تمثيل و لا قول. و إنّما المعنى أنّ ما قضاه من الأمور و أراد كونه، فإنّما يتكوّن [و يدخل] تحت الوجود من غير امتناع و لا توقّف. و قد أكّد بهذا استبعاد الولادة. لأنّ من كان بهذه الصفة من القدرة، كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها.(٥)

«فيكون». ابن عامر: «فيكون» نصباً و الباقون رفعاً.(٦)

١ـ الكشّاف ١ / ١٨٠.
٢ـ علل الشرائع ٢ / ٥٧٣.
٣ـ التبيان ١ / ٤٢٦.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٨٠ ـ ١٨١.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٨١ ـ ١٨٢.
٦ـ التبيان ١ / ٤٢٨.

[١١٨] «وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

«لايعلمون». أي الجهلة من المشركين. و قيل: من أهل الكتاب. و نفى عنهم العلم لأنّهم لم يعملوا به. «أو تأتينا آية». جحوداً لأن يكون [ما] أتاهم من آيات الله آيات و استهانة بها.(١)

«تأتينا آية»؛ أي: تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الأنبياء آيات موافقة لدعوتهم. و لم يرد أنّهم لم تأتهم آية، لأنّه قد جاءتهم الآيات و المعجزات.(٢)

«الذين من قبلهم». قيل: هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عليه السلام. عن مجاهد. لأنّه حمل قوله: «الذين لايعلمون» على النصارى. و قيل: سائر الكفّار الذين كانوا قبل الإسلام. «تشابهت»؛ أي: أشبه بعضها بعضاً في القسوة و الاعتراض على الأنبياء من غير حجّة؛ كقول اليهود لموسى: «أرنا الله جهرة»(٣) و قول النصارى للمسيح: «أنزل علينا مائدة من السماء»(٤) و قول العرب لنبيّنا صلى الله عليه و آله: حوّل لنا الصفا ذهباً. و لذلك قال الله: «أتواصوا به».(٥) «الآيات»؛ أي: الحجج و المعجزات التي يعلم بها صحّة نبوّة محمّد صلى الله عليه و آله. «لقوم يوقنون»؛ أي: يستدلّون بها.(٦)

[١١٩] «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ».

«بالحقّ»؛ أي: متلبّساً به لأن تبشّر و تنذر لا لتجبر على الإيمان. و هذه تسلية لرسول الله لأنّه [كان] يغتمّ لإصرارهم على الكفر. و لانسألك «عن أصحاب الجحيم» ما لهم لم يؤمنوا، بعد أن بلّغت و بذلت جهدك. كقوله: «فإنّما عليك البلاغ و علينا الحساب».(٧)

١ـ الكشّاف ١ / ١٨٢.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٠.
٣ـ النساء (٤) / ١٥٣.
٤ـ المائدة (٥) / ١١٤.
٥ـ الذاريات (٥١) / ٥٣.
٦ـ مجمع البيان ١ / ١٧٠.
٧ـ الرعد (١٣) / ٤٠.

و قرأ نافع: «و لاتَسألْ» بفتح التاء و الجزم على النهي. و روي ذلك عن الباقر أبي جعفر عليه السلام. و معناه تعظيم ما وقع فيه الكفّار من العذاب. كما تقول: كيف فلان، [سائلاً] عن الواقع في بليّة ـ فيقال لك: لاتسأل عنه. و وجه التعظيم أنّ المستخبَر ـ بالفتح ـ يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلاتسأله و لاتكلّفه ما يضجره. أو: أنت يا مستخبر، لاتقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع. فلا تسأل عنه.(١)

[١٢٠] «وَ لَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لاَ النَّصَارىٰ حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدىٰ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«و لن ترضى». كأنّهم قالوا: لن نرضى عنك، و إن بلّغت(٢) في طلب رضانا، حتّى تتّبع ملّتنا إقناطاً منهم لرسول الله صلى الله عليه و آله عن دخولهم في الإسلام فحكى الله كلامهم و لذلك قال: «قل إنّ هدى الله هو الهدى» على طريقة إجابتهم عن قولهم. يعني: انّ هدى الله [الذي] هو الإسلام، هو الهدى بالحقّ و الذي يصحّ أن يسمّى هدًى. و ما تدعون إلى اتّباعه ما هو بهدًى، إنّما هو هوًى. و لذا قال: «و لئن اتّبعت أهواءهم»؛ أي: أقوالهم التي [هي أهواء و] بدع.(٣)

«هدى الله»: الإسلام. لأنّه ناسخ لجميع الأديان.(٤)

«هو الهدى» الذي أنت عليه. و قيل: معناه: انّ هدى الله ـ يعني: القرآن ـ هو الذي يهدي إلى الجنّة لا طريقتكم.(٥)

«من العلم»؛ أي: الوحي. «وليّ» يدفع عنك عقابه. و هو جواب «لئن».(٦)

١ـ الكشّاف ١ / ١٨٢، و مجمع البيان ١ / ٣٧١.
٢ـ المصدر: «أبلغت».
٣ـ الكشّاف ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٨٥.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٤.

«من العلم»؛ أي: من الدين المعلوم صحّته بالبراهين.(١)

[١٢١] «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«الذين آتيناهم الكتاب». رفع بالابتداء و «يتلونه» خبره و «اولئك» مبتدأ ثان و «يؤمنون» خبره. و إن شئت كان «أولئك يؤمنون» في موضع خبر «الذين» و «يتلونه» نصب على الحال. قيل: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة. و كانوا أربعين رجلاً؛ اثنان و ثلاثون من الحبشة، و ثمانية من رهبان الشام منهم بَحيرا. و قيل: هم من آمن من اليهود، كعبدالله بن سلام. و قيل: هم أصحاب محمّد ﷺ. فعلى هذا يكون المراد من الكتاب القرآن، كما يراد منه التوراة على الثاني. «يتلونه حقّ تلاوته». العمل بأحكامه و عدم تحريفه.(٢) و عن الصادق عليه السلام أنّ حقّ تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنّة و النار يسأل في الأولى و يستعيذ من الأخرى.(٣)

«يؤمنون به»؛ أي: بكتابهم، دون من ليس على حالهم.(٤)

[١٢٢] «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«يا بني إسرائيل». تقدّم، و كرّرها إمّا للتأكيد، ليقبلوا إلى طاعة ربّهم، و إمّا لأنّه لمّا باعد بين الكلامين، حسن التذكير و الإعادة. «فضّلتكم». [تفضيله إيّاهم] بأن جعل فيهم النبوّة و الحكم. «على العالمين»: عالمي زمانهم.(٥)

١ـ الكشّاف ١ / ١٨٣.

٢ـ هذا ملخّص أحد الوجوه المذكورة في المصدر و لايخفى ما فيه من الابهام. فراجع.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٤ـ تفسيرالنيسابوريّ ١ / ٣٨٦.

٥ـ التبيان ١ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

[١٢٣] «وَ اتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ».

«عدل»؛ أي: فدية. «و لاتنفعها شفاعة». مخصوص بالكفّار.(١)

[١٢٤] «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

«و إذ ابتلى». الابتلاء: الاختبار. و أمّا الكلمات، فعن ابن عبّاس أنّها عشر سنن: خمس في الرأس؛ و هي: المضمضة و السواك و قصّ الشارب و الاستنشاق و الفرق. و خمس في الجسد؛ و هي: الختان و حلق العانة و تقليم الأظفار و نتف الإبطين و الاستنجاء. قال مجاهد: ابتلاه الله بالآيات التي بعدها؛ و هي: «إنّي جاعلك للناس إماماً» ـ الآية. و قوله: «فأتمّهنّ» معناه: وفى بهنّ. و قيل: عمل بهنّ. و قيل: الضمير في «أتمّهنّ» راجع إلى الله. «إبراهيم». قرأ ابن عامر: «إبراهام».(٢)

«قال إنّي». استئناف. كأنّه قيل: فما ذا قال له ربّه حين أتمّ الكلمات؟(٣)

«و إذ ابتلى»؛ أي: و اذكر إذ ابتلى. «بكلمات». اختبره بأوامر و نواه فقام بهنّ.(٤)

«و إذ ابتلى». عن الصادق عليه السلام: انّه الذي ابتلاه في نومه بذبح ولده إسماعيل، فأتمّها إبراهيم و عزم عليها. فلمّا عزم، قال الله ثواباً له لما صدّق: «إنّي جاعلك» ـ الآية.(٥)

عن الصادق عليه السلام: هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه؛ و هو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين إلّا تبت عليّ. فتاب عليه.(٦) و قوله: «فأتمّهنّ»؛ يعني: أتمّهنّ إلى القائم.(٧)

١ـ التبيان ١ / ٤٤٤.

٢ـ التبيان ١ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٣ـ الكشّاف ١ / ١٨٤.

٤ـ الكشّاف ١ / ١٨٣.

٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٧.

٦ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٨.

٧ـ تفسير العيّاشيّ ١ /٥٧.

«إنّي جاعلك للناس إماماً». استدلّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ الإمام لايكـون إلّا معصوماً. لأنّ من لم يكن معصوماً، فهو ظالم لنفسه أو لغيره. فإن قيل: إذا تاب لايسـمّى ظالماً. قلنا: إذا تاب، لايخرج من تناول الآية له في حال كونه ظالماً و لم يقيّد في الآية أنّه لاينالها في هذه الحال دون غيرها. فيجب أن تحمل الآية على عموم الأوقـات في ذلك و لاينالها و إن تاب.(١)

عن الرضا عليه السلام: انّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة و الخلّة مـرتبة ثالثة فقال: «إنّي جاعلك للناس إماماً». فقال الخليل عليه السلام مسروراً بها: «و من ذرّيّتي»؟ قال الله: «لاينال عهدي الظالمين». فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة و صارت في الصفوة.(٢)

«من ذرّيّتي». عطف على الكاف. كأنّه قال: و جاعل بعض ذرّيّتي؟ و فيه دليل على أنّ الفاسق لايصلح للإمامة. لأنّ نصب الإمام لكفّ الظلم، فإذا نصب الظالم، جاء المثل: من استرعى الذئب ظلم.(٣)

عن الصادق عليه السلام: من عبد صنماً أو وثناً، لايكون إماماً.(٤)

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لاينال عهدي الظالمين»؛ أي: المشركين. لأنّـه سمّـى الشرك ظلماً بقوله: «إنّ الشرك لظلم عظيم».(٥) فلمّا علم إبراهيم أنّ عهد الله بالإمامة لاينال عبدة الأصنام قال: «و اجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام»(٦).(٧)

قال المجاهد: العهد الإمامة. و هو المرويّ عن الباقر و أبي عبدالله عليهما السلام.(٨)

أسكن الياء من «عهدي» حمزة و حفص. و الباقون بفتحها.(٩)

١ـ التبيان ١ / ٤٤٩.
٢ـ عيون الأخبار ١ /٢١٧.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٨٤.
٤ـ الكافي ١ / ١٧٥.
٥ـ لقمان (٣١) / ١٣.
٦ـ إبراهيم (١٤) / ٣٥.
٧ـ الاحتجاج ١ / ٥٩١.
٨ـ مجمع البيان ١ / ٣٨٠.
٩ـ مجمع البيان ١ / ٣٧٦.

[١٢٥] «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ».

«و إذ جعلنا». عطف على قوله: «و إذ ابتلى». و «البيت» هو البيت الحرام. و «مثابة». أي يثوبون إليه كلّ عام. أي ليس هو مرّة في الزمان فقط. و قال ابن‌عبّاس: معناه أنّه لاينصرف عنه أحد و هو يرى أنّه قد قضى منه وطراً فهم يعودون إليه. و قال أبوجعفر عليه السلام: يرجعون إليه لايقضون منه وطراً. و حكى الحارثيّ أنّ معناه: يحجّون إليه فيثابون عليه. و قوله: «و أمناً» لأنّ من عاذ به و التجأ، لايخاف على نفسه ما دام فيه. و قوله: «و اتّخذوا» على لفظ الأمر معطوف على قوله: «اذكروا نعمتي». قرأ نافع و ابن‌عامر على لفظ الخبر، و الباقون بلفظ الأمر. «مقام إبراهيم». هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعته تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه فغابت رجلاه فيها. «مصلًّى»: صلاة طواف الفريضة.[١]

«و اتّخذوا». على قراءة الماضي عطف على «جعلنا». أي: اتّخذوه مصلًّى لمكان تعظيمه. «و عهدنا»: أي: أمرنا بأن طهّراه من الأوثان و الأنجاس و طواف الجنب و الحائض و الخبائث كلّها. أو: أخلصاه لهؤلاء لايدخله غيرهم. «و العاكفين»: المقيمين عنده لايرجعون، أو المعتكفين. «و الركّع السجود»: أي: المصلّين.[٢]

«مقام إبراهيم». و هي الصخرة التي كان يقف عليها و يبني البيت.[٣]

[١٢٦] «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام في الطائف، قال: أتدري لم سمّي الطائف؟ إنّ إبراهيم عليه السلام

١ـ التبيان ١ / ٤٥٠ ـ ٤٥٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ١٨٥.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٩٥.

دعا ربّه أن يرزق أهله من كلّ الثمرات، فقطعت له قطعة من الأردن فأقبلت حتى طافت بالبيت سبعاً، ثمّ أقرّها الله في موضعه. فسمّي الطائف للطواف بالبيت.[١]

و عن الصادق عليه السلام قال: «من الثمرات»؛ أي: ثمرات القلوب. أي: حبّبهم إلى الناس ليأتوا و يعودوا إليهم.[٢]

و عن عليّ بن الحسين عليهما السلام «من آمن منهم» قال: إيّانا عنى بذلك و شيعته و وصيّه. «و من كفر». قال: عنى بذلك من جحد وصيّه و لم يتّبعه من أمّته.[٣]

«من آمن». بدل من «أهله» بدل البعض للتخصيص. «و من كفر». عطف على «من آمن». و المعنى: و ارزق من كفر. قاس إبراهيم الرزق على الإمامة، فنبّه سبحانه على أنّ الرزق رحمة دنيويّة تعمّ المؤمن و الكافر بخلاف الإمامة و التقدّم في الدين. أو مبتدأ تضمّن معنى الشراط و قوله: «فأمتّعه» خبره. أي: فأنا أمتّعه.[٤]

«فأمتّعه» بالرزق إلى وقت موته. قرأ ابن‌عامر: «فأمْتعه» بسكون الميم خفيفة، من أمتعت.[٥]

«ثمّ أضطرّه»؛ أي: ألزّه لزّ المضطرّ لكفره. «و بئس». المخصوص بالذمّ محذوف و هو العذاب.[٦]

[١٢٧] «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّك أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«و إذ يرفع». حكاية حال ماضية. «القواعد»: جمع قاعدة و هي الأساس. و رفعها البناء عليها. و يجوز أن يراد بها سافّات البناء ـ فإنّ كلّ سافّ قاعدة ما يوضع فوقه ـ و يراد من رفعها بناؤها. و قيل: المراد رفع مكانته و إظهار شرفه بتعظيمه و دعاء الناس إلى حجّه.

١ـ علل الشرائع / ٤٤٢، ح ١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٦٢.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥٩، ح ٩٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٦.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٨٥ و ٣٨٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٦ ـ ٨٧.

«و إسماعيل». كان يناوله أو ينوبه. «السميع» لدعائنا «العليم» بنيّاتنا.[١]

هل كان للبيت قواعد قبل إبراهيم؟ فيه خلاف. فقال ابن‌عبّاس: قد كان آدم بناه ثمّ عفي أثره فجدّده إبراهيم. و هو المرويّ عن أبي جعفرعليه السلام. و قال مجاهد: بل أنشأه إبراهيم بأمر الله إيّاه. و روي عن الباقرعليه السلام: انّ الله وضع تحت العرش البيت المعمور كعبة للملائكة يطوفون حوله. و بعث ملائكة فقال: ابنوا في الأرض بيتاً بمثاله و قدره. و أمر من في الأرض أن يطوفوا به.[٢]

[١٢٨] «رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

«و تب علينا» ما فرط منّا من الصغائر. كذا في الكشّاف.[٣] و قال القاضي: أرادا ما فرط منهما سهواً.[٤] و الأوّل مبنيّ على أصول المعتزلة، و الثاني على قواعد الأشاعرة. و نحن لم نجوّز الذنوب على الأنبياء مطلقاً. و الجواب عن هذا بما قاله الطبرسيّ إمّا بأنّ معناه: ارجع إلينا بالمغفرة و الرحمة، أو أنّهما قالا هذه الكلمة على وجه الانقطاع إلى الله ليقتدي بهما الناس فيها، أو لأنّهما سألا التوبة لظَلَمة ذرّيّتهما.[٥] أقول: و سيأتي تحقيق معنى ذنوب المعصومين و معنى توبتهم منها.

«ربّنا». أي يقولان هذه الكلمة.[٦]

«مسلمين لك». أي في مستقبل عمرنا، كما جعلتنا مسلمين فيما مضى بالألطاف. و قيل: مخلصين لك لانعبد إلّا إيّاك. «و من ذرّيّتنا». أي: و اجعل من أولادنا. و من للتبعيض. و إنّما خصّ البعض لأنّ الله أعلم إبراهيم أنّ في ذرّيّته من لاينال عهده من الظلم. «و من ذرّيّتنا».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٧.
٢ـ التبيان ١ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٨٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٧.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٤.
٦ـ الكشّاف ١ / ١٨٧.

عن الصادق عليه السلام: المراد بالأمّة بنوهاشم خاصّة.(۱)

و عنه عليه السلام. أنّ تلك الأمّة من ذرّيّة إبراهيم و إسماعيل من سكّان الحرم و ممّن لم يعبدوا غير الله قطّ، الذين وجبت لهم دعوة إبراهيم و إسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنّه أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً.(۲)

«و أرنا». ابن‌كثير بإسكان الراء كلّ القرآن، تشبيهاً بكبد و فخذ. و قرأ أبوعمرو باختلاس كسرة الراء من غير إشباع كلّ القرآن، و الباقون بالكسر؛ و هو الاختيار، لأنّها كسرة الهمزة حوّلت إلى الراء، إذ أصله أرإنا، ففي حذف الكسرة إبطال للدلالة على الهمزة.(۳)

و «أرنا». من رأى بمعنى أبصر و عرف، و لذا لم يتجاوز مفعولين. أى: بصّرنا متعبّداتنا في الحجّ كالميقات و الإحرام و وقوف عرفة إلى غير ذلك. و قيل: المراد مواضع الذبح.(٤)

[۱۲۹] «رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِك وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّك أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«و ابعث». جملة معطوفة على «تب». «منهم». هو نبيّنا صلّى الله عليه و آله؛ لقوله: أنا دعوة أبي إبراهيم و بشارة عيسى.(٥)

«يتلو عليهم»: يبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيّتك و صدق أنبيائك. «و الحكمة»: الشريعة و بيان الأحكام. «و يزكّيهم»: يطهّرهم من الشرك و سائر الأرجاس.(٦)

«أنت العزيز» القادر على إجابتنا. «الحكيم» العالم بما هو أصلح لنا.(٧)

[۱۳۰] «وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

۱ـ مجمع البيان ۱ / ۳۹۳.
۲ـ الكافي ٥ / ۱۳، ح ۱.
۳ـ مجمع البيان ۱ / ۳۹۲.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۸۷، و مجمع البيان ۱ / ۳۹۳.
٥ـ مجمع البيان ۱ / ۳۹٤.
٦ـ الكشّاف ۱ / ۱۸۹.
۷ـ مجمع البيان ۱ / ۳۹٥.

وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ».

«و من يرغب». النزول: روي أنّ عبدالله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة و مهاجراً إلى الإسلام فقال: لقد علمنا صفة محمّدﷺ في التوراة. فأسلم سلمة و أبى مهاجر أن يسلم. فنزلت الآية.(١)

لمّا بيّن سبحانه قصّة إبراهيم و أنّ ملّته ملّة محمّد، عقّبه بذكر الحثّ على اتّباعها فقال: و من يرغب عن ملّة إبراهيم و شريعته إلّا من أهلك نفسه و أوبقها؟ و فيه دلالة على أن ملّة إبراهيم هي ملّة نبيّنا. لأنّ ملّة إبراهيم داخلة في ملّة نبيّنا مع زيادات في ملّة محمّدﷺ. فبيّن أنّ الذين يرغبون من الكفّار عن ملّة محمّد التي هي ملّة إبراهيم قد سفهوا أنفسهم.(٢)

«و من يرغب». المراد بملّة إبراهيم في الآية أصولها التي لاتختلف بمرّ الأعصار و الدهور، فلايلزم أن يكون محمّدﷺ راغباً عنها لأنّه أمر باتّباعها. «ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً»(٣).(٤)

«و من يرغب» استبعاد و إنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملّته الواضحة. أي: لايرغب أحد عن ملّته «إلّا من سفه نفسه»؛ أي: أذلّها و استخفّ بها. و المستثنى في محلّ الرفع على المختار بدل من الضمير في «يرغب» لأنّه في معنى النفي. «و لقد اصطفيناه». حجّة لما تقدّم. لأنّ من كان صفوة العباد في الدنيا و الآخرة، كان حقيقاً بالاتّباع.(٥)

«في الدنيا» بالنبوّة. «لمن الصالحين» لمراتب الجنان.(٦)

[١٣١] «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

«إذ». نصب باصطفيناه. أي: اصطفينا حين قال له ربّه: أسلم. قيل: إنّه قال هذا حين أفلت الشمس و رأى إبراهيم تلك الآيات و الأدلّة فاستدلّ بها على وحدانيّته و قال: «يا

١ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٧.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٧.
٣ـ النحل (١٦) / ١٢٣.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٤١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٧ ـ ٨٨.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٧.

قوم إنّي بريء ممّا تشركون».[١]

و قوله: «أسلم» معناه: استقم على الإسلام و اثبت على التوحيد.[٢]

[١٣٢] «وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

«و وصّى». قرأ اهل المدينة و الشام: «و أوصى» بهمزة بين الواوين و تخفيف الصاد. «و وصّى بها»؛ أي: بالكلمة التي هي قوله: «أسلمت». و قيل: كلمة الإخلاص: لا إله إلّا الله. أو: بالملّة. و إنّما خصّ البنين لأنّ إشفاقه عليهم أكثر. و يعقوب هو ابن إسحاق. و إنّما سمّي يعقوب لأنّه و عيصاً كانا توأمين فتقدّم عيص و خرج يعقوب على أثره أخذاً بعقبه. و المعنى: و وصّى يعقوب بنيه الاثني‌عشر: «يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين»؛ أي: قالا جميعاً: يا بنيّ إنّ الله اختار لكم دين الإسلام. فلاتتركوا الإسلام فيصادفكم الموت على تركه.[٣]

«الدين»؛ أي: دين الإسلام.[٤]

[١٣٣] «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَ إِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلٰهاً وَاحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

«إذ حضر يعقوب الموت ». قال اليهود: إنّ يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة. فردّ الله عليهم القول.[٥]

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام. قال: سألته عن تفسير «إذ قال لبنيه» إلى قوله: «إلهاً واحداً» قال: جرت في القائم عليه السلام.[٦]

١ـ الأنعام (٦) / ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ١٩١.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٣٩٩.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٤٠٠.

«ما تعبدون». إنّما قال: «ما تعبدون» و لم يقل: [من] تعبدون، لأنّ الناس كانوا يعبدون الأصنام، فقال: أيّ الأشياء تعبدون من بعدي؟ قالوا: «نعبد إلهك و إله آبائك». و إسماعيل كان عمّ يعقوب و جعله أباً له لأنّ العرب تسمّي العمّ أباً لأنّه يجب تعظيمه كتعظيمه.(١)

«ما تعبدون»: أيّ شيء تعبدونه؟ أراد به تقريرهم على التوحيد [و الإسلام] و أخذ ميثاقهم على الثبات عليهما. و «ما» يسأل به عن كلّ شيء عاقلاً أو غيره ما لم يعرف، فإذا عرف خصّ العقلاء بمَن إذا سئل عن تعيّنه، و إن سئل عن وصفه قيل: ما زيد؟ أ فقيه أم طبيب؟(٢)

«أم كنتم». أم منقطعة و معنى الهمزة فيها الإنكار. و الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر. أي: ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام حين احتضر. و الخطاب للمؤمنين بمعنى: ما شهدتم ذلك و إنّما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. و قيل: الخطاب لليهود لأنّهم كانوا يقولون: ما مات نبيّ إلّا على اليهوديّة. و الوجه أن تكون أم متّصلة على أن يقدّر قبلها محذوف. كأنّه قيل: أتدّعون على الأنبياء اليهوديّة أم كنتم شهداء؟ يعني: انّ أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ حمل بنيه على التوحيد و ملّة الإسلام، و قد علمتم ذلك. فما بالكم تدّعون على الأنبياء ما هم برآء منه؟(٣)

«إله آبائك». روي أنّ يعقوب لمّا دخل مصر، رأى أهلها يعبدون النيران و الأوثان، فخاف على بنيه بعد وفاته فأوصاهم.(٤)

«و نحن». حال من فاعل «نعبد».(٥)

«مسلمون»: مقرّون بالعبوديّة.(٦)

[١٣٤] «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٩.

٣ـ الكشّاف ١ / ١٩٢ ـ ١٩٣.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٤٢٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٩.

٦ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٠.

يَعْمَلُونَ».

«أمّة»: يعني: إبراهيم و أولاده جماعة قد مضت. «لها ما كسبت»: لكلّ أجر عمله. و المعنى: انّ انتسابكم إليهم لايوجب انتفاعكم بأعمالهم، و إنّما انتفاعكم بموافقتهم. كما قال ﷺ: لا يأتوني الناس بأعمالهم و تأتوني بأنسابكم. «و لاتسألون»: أي: لاتؤاخذون بسيّئاتهم كما لاتثابون بحسناتهم.(۱)

[۱۳۵] «وَ قَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«و قالوا». النزول: عن ابن‌عبّاس: انّ عبدالله بن صوريا و جماعة من اليهود و النصارى و أهل نجران خاصموا أهل الإسلام، كلّ فرقة تزعم أنّها أحقّ من غيرها. فقالت اليهود: نبيّنا موسى أفضل الأنبياء. و كتابنا التوراة أفضل الكتب. و كذلك قالت النصارى في نبيّهم و كتابهم. و كلّ فريق منهما قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا. فأنزل الله هذه الآية.(۲)

«تهتدوا». جواب الأمر. «حنيفاً»: مائلاً من الباطل إلى الحقّ. حال من المضاف أو المضاف إليه. «و ما كان من المشركين». تعريض بأهل الكتاب و غيرهم؛ فإنّهم يدّعون اتّباعه و هم مشركون.(۳)

[۱۳٦] «قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

عن سدير، عن الباقر ﷺ قال: قلت له: أكان ولد يعقوب أنبياء بأجمعهم؟ قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء و لم‌يكونوا يفارقوا الدنيا إلّا سعداء تابوا و تذكّروا ما

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۸۹.
۲ـ مجمع البيان ۱ / ٤۰۲ ـ ٤۰۳.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۸۹.

صنعوا.(١)

و قال كثير من المفسّرين: إنّ أولاد يعقوب كانوا أنبياء بأجمعهم. و الذي يقتضيه مذهبنا أنّهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم. لأنّ ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف لا خفاء به، و النبيّ عندنا معصوم من القبائح. و يكون قوله: «و ما أنزل إليهم» من باب «و ما أنزل إلينا» و أنّ المنزل على النبيّ صلى الله عليه و آله خاصّة. فيكون التنزيل على من كان نبيّاً منهم.(٢)

فيما علّم أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه: إذا قرأتم: «قولوا آمنّا بالله» فقولوا: «آمنّا بالله» حتّى تبلغوا إلى قوله: «مسلمون».(٣)

عن الباقر عليه السلام في قوله: «آمنّا بالله و ما أنزل إلينا» قال: إنّما عنى بذلك عليّاً و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جرت بعدهم في الأئمّة عليهم السلام.(٤)

«قولوا آمنّا». خطاب للمؤمنين. و يجوز أن يكون خطاباً للكافرين. أي: قولوا، لتكونوا على الحقّ.(٥)

«و ما أنزل إلينا»؛ أي: القرآن. «إلى إبراهيم»: الصحف. و هي و إن أنزلت إلى إبراهيم لكنّهم لمّا كانوا متعبّدين بأحكامها فهي منزلة إليهم كما أنّ القرآن منزل إلينا. «و الأسباط»: جمع سبط. يريد به حفدة يعقوب؛ فإنّهم حفدة إبراهيم و إسحاق.(٦)

«و ما أوتي موسى»: التوراة «و عيسى»: الإنجيل. أفردهما بالذكر مع دخولهما فيما أنزل إلى الأسباط، لأنّ أمر التوراة و الإنجيل بالإضافة إلى موسى و عيسى مغاير لما سبق. لأنّ كلّاً منهما مستقلّ بالشريعة و ناسخ لما تقدّمه و لأنّ النزاع وقع فيهما.(٧)

«و ما أوتي النبيّون» جملة المذكورين منهم و غير المذكورين «من ربّهم»؛ أي: منزلاً

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٦٢.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٥.

٣ـ الخصال / ٦٢٩، ح ٤٠٠.

٤ـ الكافي ١ / ٤١٥، ح ١٩.

٥ـ الكشّاف ١ / ١٩٥.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٨٩ ـ ٩٠.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٠، و مجمع البيان ١ / ٤٠٥.

عليهم من ربّهم. «لانفرّق بين أحد منهم» كاليهود فنؤمن ببعض و نكفر ببعض.(١)

[١٣٧] «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«فإن آمنوا» ـ الآية. النزول: لمّا نزل قوله تعالى: «قولوا آمنّا» ـ الآية ـ قرأها النبيّ ﷺ على اليهود و النصارى. فلمّا سمعت اليهود ذكر عيسى، أنكروا و كفروا. و قالت النصارى: إنّ عيسى ليس كسائر الأنبياء لأنّه ابن الله. [فنزلت الآية].(٢)

«بمثل ما آمنتم». من باب التبكيت. لأنّ دين الحقّ واحد لا مثل له؛ و هو دين الإسلام، فلايوجد دين يماثل دين الإسلام في كونه حقّاً حتّى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين، فقيل: «فإن آمنوا» على سبيل الفرض و التقدير. أي: فإن حصّلوا ديناً آخر مثل دينكم في الصحّة و السداد، فقد اهتدوا. «و إن تولّوا»: أعرضوا عمّا يقولون. «في شقاق»؛ أي: في شقاق الحقّ؛ و هو المناواة و المخالفة. فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر. «فسيكفيكهم الله». ضمان من الله لإظهار رسول الله ﷺ عليهم. و قد أنجز وعده بقتل بني قريظة و سبيهم و إجلاء بني النضير. و معنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة و إن تأخّر إلى حين. «و هو السميع العليم». وعيد لهم. أي: يسمع ما ينطقون به و يعلم ما يضمرون من الحسد و الغدر [و] هو معاقبهم عليه. وعد لرسول الله ﷺ بمعنى: يسمع ما تدعو به و يعلم نيّتك و ما تريده من إظهار دين الحقّ و هو مستجيب لك و موصلك إلى مرادك.(٣)

«بمثل ما آمنتم». عن الباقر عليه السلام: «فإن آمنوا» يعني الناس «بمثل ما آمنتم به». يعني عليّاً و الحسن و الحسين عليهم السلام. «فقد اهتدوا و إن تولّوا فإنّما هم في شقاق».(٤)

قيل: الباء في «بمثل ما آمنتم» للآلة دون التعدية. أي: إن تحرّوا الإيمان بطريق يهدي إلى الحقّ مثل طريقتكم. فإنّ وحدة المقصد لاتأبى تعدّد الطريق. أو مزيدة للتأكيد. أي: آمنوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٦.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٩٥ ـ ١٩٦.
٤ـ الكافي ١ / ٤١، ح ١٩.

إيماناً مثل إيمانكم به.[١]

[١٣٨] «صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ».

«صبغة الله». أي: صبغنا صبغة الله و هي فطرة الله التي فطر الناس عليها. فإنّها حلية الإنسان، كما أنّ الصبغة حلية المصبوغ. أو: طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره. و سمّاه صبغة لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ و تداخل في قلوبهم تداخل الثوب الصبغ، أو للمشاكلة؛ فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعموديّة و يقولون هو تطهير لهم و به يتحقّق نصرانيّتهم. و نصبها على أنّها مصدر مؤكّد لقوله: «آمنّا». و قيل: على الإغراء. و قيل: على البدل من «ملّة إبراهيم». «و من أحسن». الاستفهام للإنكار. أي: لا صبغة أحسن من صبغته. «و نحن له عابدون». تعريض بهم. أي: لانشرك به مثلكم.[٢]

[١٣٩] «قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ».

«قل أتحاجّوننا». خطاب لليهود.[٣]

«قل أتحاجّوننا في الله»؛ أي: أتجادلوننا في شأن الله و اصطفائه النبيّ من العرب دونكم، و أنتم تقولون: لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا، و ترونكم أحقّ بالنبوّة منّا؟ «و هو ربّنا و ربّكم»: نشترك جميعاً في أنّنا عباده و هو يصيب برحمته من يشاء من عباده لايختصّ به عجميّ دون عربيّ إذا كان أهلاً للكرامة. «و لنا أعمالنا و لكم أعمالكم». يعني أنّ العمل هو أساس الأمر و كما أنّ لكم أعمالاً يعتبرها الله في إعطاء الكرامة فنحن كذلك. ثمّ قال: «و نحن له مخلصون» فجاء بما هو سبب الكرامة. أي: نحن له موحّدون. فلاتستبعدوا أن يؤهّل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوّة. و كانوا يقولون: نحن أحقّ بأن تكون النبوّة فينا، لأنّا أهل الكتاب

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٠.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٨.

و العرب عبدة الأوثان.[١]

«و نحن له مخلصون». روي عن حذيفة اليمانيّ قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الإخلاص ما هو. قال صلى الله عليه وآله: سألت جبريل عن ذلك، قال: سألت ربّ العزّة عن ذلك، فقال: هو سرّ من سرّي استودعته قلب من أحببته من عبادي. و عنه صلى الله عليه وآله: إنّ لكلّ حقّ حقيقة. و مابلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى يحبّ أن لايحمد على شيء من عمل الله.[٢]

[١٤٠] «أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارىٰ قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«أم تقولون». قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر و ابن‌عامر بالتاء، و الباقون بالياء.[٣]

«أم تقولون». يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون [أم] معادلة للهمزة في «أتحاجّوننا» بمعنى: أيّ الأمرين تأتون؟ المحاجّة في حكم الله أو ادّعاء اليهوديّة و النصرانيّة على الأنبياء؟ والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً. و أن تكون منقطعة بمعنى: [بل] أتقولون؟ و الهمزة للإنكار أيضاً. و فيمن قرأ بالياء، لاتكون إلّا منقطعة. «أم الله». يعني أنّ الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: «ماكان إبراهيم يهوديّاً و لا نصرانيّاً».[٤] «و من أظلم». يحتمل معنيين. أحدهما: انّ أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم. لأنّهم كتموا هذه الشهادة و هم عالمون بها. و الثاني: انّا لو كتمنا هذه الشهادة، لم‌يكن أحد أظلم منّا، فلانكتمها. و فيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة في كتبهم و سائر شهاداته. «عنده من الله»؛ أي: كتم شهادة الله التي عنده أنّه شهد بها و هي شهادته لإبراهيم بالحنيفيّة.[٥]

«من الله». من للابتداء.[٦]

١ـ الكشّاف ١ / ١٩٧.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٩.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٤٠٩.
٤ـ آل عمران (٣) / ٦٧.
٥ـ الكشّاف ١ / ١٩٧.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩١.

[١٤١] «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«تلك أمّة». تكرير للمبالغة في التحذير و الزجر عمّا استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء و الاتّكاء عليهم. و قيل: الخطاب فيما سبق لهم و في [هذه الآية لنا تحذيراً][1] عن الاقتداء بهم. و قيل: المراد بالأمّة في الأوّل أنبياء، و في الثاني أسلاف اليهود و النصارى.[2]

[١٤٢] «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«السفهاء»؛ أي: الخفاف الأحلام. و هم اليهود؛ لكراهتهم التوجّه إلى الكعبة فإنّهم لايرون النسخ. و قيل: المشركون؛ قالوا: رغب عن قبلة آبائه ثمّ رجع إليها. و الله ليرجعنّ إلى دينهم. فإن قلت: أيّ فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أنّ مفاجأة المكروه أشدّ و العلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدّمه من توطين النفس. «ما ولّاهم»: ما صرفهم «عن قبلتهم» و هو بيت المقدس.[3]

عن الحسن العسكريّ عليه السلام قال: لمّا كان رسول الله صلّى الله عليه و آله بمكّة، أمره الله أن يتوجّه إلى نحو بيت المقدس في صلاته و يجعل الكعبة بينه و بينها إذا أمكن، و إذا لم يتمكّن استقبل بيت المقدس. فكان رسول الله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة. فلمّا كان بالمدينة، استقبل بيت المقدس و انحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً. و جعل قوم من مردة اليهود يقولون: مايدري محمّد كيف يصلّي حتّى صار يتوجّه إلى قبلتنا. فاشتدّ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه و آله فكره قبلتهم و أحبّ الكعبة. فجاءه جبرئيل، فقال له: يا جبرئيل، لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة. فقد تأذّيت من قبل اليهود من قبلتهم. فقال جبرئيل: أسأل ربّك أن يحوّل إليها. فإنّه لايردّك عن طلبتك. فلمّا استتمّ دعاؤه، صعد

١ـ في النسخة: «الآية تحذير» بدل ما بين المعقوفتين.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩١.
٣ـ الكشّاف ١ / ١٩٨.

جبرئيل، ثمّ عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمّد: «قد نرى تقلّب وجهك في السماء» ـ الآيات. فقال اليهود عند ذلك: «ما ولّاهم» ـ الآية. فأجابهم الله بأحسن جواب فقال: «قل لله المشرق و المغرب» و هو يملكهما. و تكليفه التحوّل عن جانب إلى جانب كتحويله لكم من جانب إلى جانب آخر. «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» يؤدّيهم بطاعتهم إلى جنّات النعيم. و قال عليه السلام: جاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمّد، هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربع عشرة سنة ثمّ تركتها الآن. فإن كان حقّاً، فقد عدلت من حقّ إلى باطل. و إن كان باطلاً، فقد كنت عليها طول هذه المدّة. فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقّاً و هذا حقّ. يقول الله: «قل لله المشرق» ـ الآية. إذا عرف صلاحكم ـ يا أيّها العباد ـ في استقبال المشرق، أمركم به. و كذا المغرب و غيرهما. فلا تنكروا تدبير الله في عباده.[١]

«من يشاء إلى». بهمزتين عاصم و حمزة. و الباقون بقلب الثانية واواً.[٢]

«مستقيم». و هو ما يقتضيه المصلحة من التوجّه إلى بيت المقدس تارة و إلى الكعبة أخرى.[٣]

[١٤٣] «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«و كذلك». إشارة إلى مفهوم الآية المتقدّمة. أي: كما جعلناكم مهديّين إلى الصراط المستقيم، أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل، «جعلناكم أمّة وسطا»؛ أي: خياراً أو عدولاً.[٤]

١ـ الاحتجاج ١ / ٤٣.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٢.

«أمّة وسطاً». عن الباقر و الصادق عليهما السلام: نحن الأمّة الوسط. و نحن شهداء الله على خلقه و حجّته في أرضه. و محمّد صلى الله عليه وآله يشهد علينا. و نحن نشهد على شيعتنا. و يشهد شيعتنا على الناس.(١)

عن الباقر عليه السلام: «وسطاً»؛ أي: عدولاً. قال: و لايكون شهداء على الناس إلّا الأئمّة و الرسل. فأمّا الأمّة فغير جائز أن يستشهدها الله و فيهم من لاتجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل.(٢)

«شهداء». روي أنّ الأمم ينكرون تبليغ الأنبياء فتشهد عليهم هذه الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم.(٣)

«شهداء». عن الباقر عليه السلام: فإن ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أ فترى أنّ من لايجوز شهادته على صاع من تمر في الدنيا، يطلب الله شهادته يوم القيامة و يقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ و إنّما عنى من خلقه الأمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم و هم خير أمّة أخرجت للناس.(٤)

«و ماجعلنا». عن الباقر عليه السلام قيل له: يابن رسول الله، لم أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: [لما قال] الله: «و ماجعلنا القبلة التي كنت عليها» و هي بيت المقدس «إلّا لنعلم» ـ الآية ـ أي: لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد. و ذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبيّن متّبعي محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة التي كرهها و محمّد يأمر بها. و لمّا كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها و التوجّه إلى الكعبة، ليبيّن من يوافق محمّداً صلى الله عليه وآله فيما يكرهه. «و إن كانت». عن الباقر عليه السلام: أي: التوجّه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيراً إلّا على من هدى الله.(٥)

«و ماجعلنا القبلة التي كنت عليها». و هي الكعبة. فإنّه كان يصلّي إليها بمكّة، ثمّ لمّا

١ـ الكافي ١ / ١٩٠ و ٢٥١.
٢ـ المناقب ٤ / ١٧٩.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ١٢.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٦٣، ح ١١١.
٥ـ الاحتجاج ١ / ٤٦.

هاجر، أمر بالصلاة إلى الصخرة، تألّفاً لليهود. أو الصخرة؛ لقول ابن‌عبّاس: كان قبلته بمكّة بيت المقدس إلّا أنّه كان يجعل الكعبة بينه و بينها. فالمخبر به على الأوّل الجعل الناسخ، و على الثاني المنسوخ و المعنى: إنّ الأصل أمرك أن تستقبل الكعبة. و ماجعلنا قبلتك بيت المقدس إلّا لنعلم من يتّبعك في الصلاة إليها ممّن يرتدّ عن دينك إلفاً لقبلة آبائه. و على الأوّل معناه: ما رددناك إلى ما كنت عليها إلّا لنعلم الثابت على الإسلام ممّن ينكص على عقبيه لضعف إيمانه. «إلّا لنعلم»؛ أي: ليتعلّق علمنا به موجوداً. و قيل: ليعلم رسوله. «و إن كانت». أي التحولة أو الردّة. و إن هي المخفّفة من المثقّلة و اللّام هي الفاصلة. أو تكون نافية و اللّام بمعنى إلّا. «إيمانكم»؛ أي: ثباتكم على الإيمان. و قيل: إيمانكم بالقبلة المنسوخة أو صلاتكم إليها، لما روي أنّه ﷺ لمّا وجّه الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا ـ يا رسول الله ـ قبل التحويل؟ فنزلت.[١]

«و إن كانت». أي التحولة إلى بيت المقدس. لأنّ العرب لم يكن قبلة أحبّ إليهم من الكعبة. «لرؤوف». قرأ ابن‌كثير و ابن‌عامر [و حفص] على وزن رَعُوف، و أبو جعفر مثقّلاً غير مهموز، و الباقون على وزن رَعُف.[٢]

[١٤٤] «قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِك فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّك قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ».

«قد نرى تقلب وجهك» تطلّعاً للوحي ليحوّله إلى الكعبة. «فلنولّينّك»؛ أي نمكّنك من استقبالها. «فولّ»؛ أي: اصرف «وجهك شطر»؛ أي: نحو. «الحرام»؛ أي: يحرم فيه القتال، أو ممنوع عن الظلمة أن يتعرّضوة. «عمّا يعملون». وعد و وعيد للفريقين. و قرأ ابن‌عامر

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٢.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٤١٧ و ٤١٤.

بالتاء.[١]

«و إنّ الذين أوتوا الكتاب» من اليهود و النصارى «ليعلمون أنّه»؛ أي: تحويل القبلة إلى الكعبة حقّ مأمور من ربّهم. و إنّما علموا بذلك لأنّه كان في بشارة أنبيائهم أن يكون نبيّ من صفاته أن يصلّي إلى القبلتين. روي أنّهم قالوا عند التحويل: ما أمرت بهذا يا محمّد. و إنّما هو شيء ابتدعته من تلقاء نفسك، مرّة إلى هنا و مرّة إلى هنا. فأنزل الله هذه الآية و بيّن أنّهم يعلمون خلاف ما يقولون.[٢]

«قد نرى». لمّا عيّرته اليهود بأنّك تابع لقبلتنا فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً. فلمّا كان في بعض اللّيل، خرج صلى الله عليه و آله يقلّب وجهه في آفاق السماء. فلمّا أصبح صلّى الغداة. فلمّا صلّى من الظهر ركعتين، جاءه جبرئيل فقال: «قد نرى تقلّب وجهك في السماء». ثمّ أخذ بيده فحوّل وجهه إلى الكعبة.[٣]

[١٤٥] «وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَك وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَك مِنَ الْعِلْمِ إِنَّك إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ».

أي: و الله لئن. «آية»: برهان و حجّة على أنّ الكعبة قبلة. و اللّام موطّئة للقسم. «قبلتك». لأنّهم [ما] تركوها لشبهة تزيلها بحجّة و إنّما خالفوك مكابرة و عناداً. «و ما أنت». قطع لأطماعهم. فإنّهم قالوا: لو ثبتّ على قبلتنا، لكنّا نرجو أن تكون صاحبنا الذي نحن ننتظره، تغريراً له و طمعاً في رجوعه. و قبلتهم، و إن تعدّدت، لكنّها متّحدة بالبطلان و مخالفة الحقّ. «و ما بعضهم بتابع قبلة بعض». لأنّ اليهود تستقبل الصخرة و النصارى مطلع الشمس، لايرجى توافقهم كما لايرجى موافقتهم لك. «و لئن اتّبعت» على سبيل الفرض و التقدير. «من العلم»؛ أي: الوحي.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٣.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٢٠.
٣ـ الفقيه ١ / ١٧٨، ح ٨٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٣.

[١٤٦] «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود و النصارى. «يعرفونه». يعني رسول‌الله صلى الله عليه و آله. لأنّ الله قد أنزل عليهم في التوراة و الإنجيل و الزبور صفة محمّد صلى الله عليه و آله و الولاية و صفة أصحابه و مبعثه و مهاجرته.(١)

«يعرفونه»؛ أي: رسول‌الله صلى الله عليه و آله. لأنّ الكلام يدلّ عليه. و قيل: الضمير للقرآن أو تحويل القبلة. «كما يعرفون أبناءهم». عن عمر أنّه سأل عبدالله بن سلام عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله فقال: أنا أعلم به منّي بابني. قال: و لم؟ قال: لأنّي لست أشكّ في محمّد صلى الله عليه و آله أنّه نبيّ، فأمّا ولدي فلعلّ والدته خانت. فقبّل عمر رأسه.(٢)

«فريقاً». تخصيص لمن عاند و استثناء لمن آمن.(٣)

[١٤٧] «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ».

«الحقّ». خبر مبتدأ محذوف. أي: هو الحقّ. [و يجوز أن تكون اللّام فيه للإشارة إلى الحقّ] الذي في قوله: «ليكتمون الحقّ». أي: هذا الذي يكتمونه هو الحقّ من ربّك. و يجوز أن تكون للجنس على معنى: الحقّ من الله لا من غيره و هو الذي أنت عليه. «الممترين»: الشاكّين في كتمانهم الحقّ مع علمهم، أو في أنّه من ربّك.(٤)

[١٤٨] «وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«و لكلّ وجهة»؛ أي: لكلّ أمّة جهة. و التنوين بدل الإضافة. أو: لكلّ قوم من المسلمين جهة و جانب من الكعبة. «هو مولّيها». أحد المفعولين محذوف. أي: هو مولّيها وجهه. أو: الله

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢ ـ ٣٣، و الكافي ٢ / ٢٨٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٠٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٤.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

مولّيها إيّاه. و قرأ ابن‌عامر: «مولاها»؛ أي: هو مولى تلك الجهة قد وليها. «فاستبقوا الخيرات» من أمر القبلة و غيره ممّا ينال به سعادة الدارين، أو الفاضلات من الجهات؛ و هي المسامتة للكعبة. «أينما تكونوا» من موافق و مخالف مجتمع الأجزاء و مفترقها، يحشركم الله إلى المحشر للجزاء. أو: أينما تكونوا من أعماق الأرض و قلل الجبال، يقبض أرواحكم. أو: أينما تكونوا من الجهات المتقابلة، يأت بكم الله جميعاً و يجعل صلاتكم كلّها إلى جهة واحدة.(١)

«الخيرات». عن الباقرعليه السلام قال: «الخيرات» الولاية.(٢)

«أينما تكونوا». عن الجوادعليه السلام في وصف القائمعليه السلام: أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض. و ذلك قول الله: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً». فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره. فإذا كمل له العقد ـ و هو عشرة آلاف ـ خرج بإذن الله. فلايزال يقتل أعداء الله.(٣)

و قال الصادقعليه السلام: نزلت هذه الآية في أصحاب القائمعليه السلام. إنّهم المفتقدون من فرشهم، فيصبحون بمكّة. و بعضهم يسير في السحاب؛ و هو أعظم إيماناً.(٤)

[١٤٩] «وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَك شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّك وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«خرجت» من البلاد «فولّ وجهك»؛ أي: استقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام. و إنّما كرّره لأنّه في الأوّل حال الحضر و في الثاني حال السفر. «و إنّه»؛ أي: التوجّه إلى الكعبة، هو الحقّ المأمور به من ربّك، أو هو الحقّ الثابت الذي لايزول بنسخ.(٥)

«و من حيث خرجت». أي في السفر. «يعملون» بالياء. أبوعمرو.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٤.
٢ـ الكافي ٨ / ٣١٣، ح ٤٨٧.
٣ـ كمال الدين / ٣٧٨.
٤ـ كمال الدين / ٦٧٢، ح ٢٤.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٤٢٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٤.

[١٥٠] «وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

كرّر هذا الحكم لتعدّد علله. فإنّه ذكر للتحويل ثلاث علل ـ تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته، و جري العادة الإلهيّة على أن يولّي كلّ أهل ملّة و صاحب دعوة وجهة يستقبلها و يتميّز بها، و دفع حجج المخالفين على ما بيّنه ـ و قرن بكلّ علّة معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد عن دلائله تقريباً و تقريراً. مع أنّ القبلة لها شأن و النسخ من مظانّ الفتنة و الشبهة، فبالحريّ أن يؤكّد أمرهاو يعاد ذكرها مرّة بعد أخرى. «لئلّايكون». علّة لقوله: «فولّوا». و المعنى: انّ التولية عن الصخرة إلى الكعبة، يدفع احتجاج اليهود بأنّ المنعوت في التوراة قبلته الكعبة و أنّ محمّداً ﷺ يجحد ديننا و يتّبعنا في قبلتنا، و المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم و يخالف قبلته.[١]

«إلّا الذين ظلموا»؛ أي: الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من أنّه يحوّل إلى الكعبة. و على هذا يكون الاستثناء متّصلاً.[٢]

«إلّا الذين». استثناء من الناس. أي: لئلّايكون لأحد من الناس حجّة إلّا المعاندين منهم؛ فإنّهم يقولون: ماتحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه و حبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه و يوشك أن يرجع إلى دينهم. و سمّى هذه حجّة لأنّهم يسوقونها مساقها. و قيل: الحجّة بمعنى الاحتجاج. و قيل: الاستثناء للمبالغة في نفي الحجّة ـ كقوله: «و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم» ـ للعلم بأنّ الظالم لا حجّة له. «فلاتخشوهم». لأنّ مطاعنهم لاتضرّكم. «و اخشوني». فلاتخالفوا ما أمرتكم به. «و لأتمّ». علّة المحذوف. أي: و أمرتكم لإتمام النعمة عليكم و إرادتي اهتداءكم. أو عطف على علّة مقدّرة مثل: و اخشوني لأحفظكم عنهم و لأتمّ نعمتي عليكم. أو على «لئلّايكون». و في الحديث: تمام النعمة دخول

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٤.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٢٨.

الجنّة و الموت على الإسلام.[١]

[١٥١] «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ».

«كما أرسلنا». يعني أنّ النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة. «رسولاً»: محمّداً صلى الله عليه وآله. «يتلو» القرآن. «و يزكّيكم»: يشهد لكم بالزكاة. «الكتاب»: القرآن. «و الحكمة»؛ أي: السنّة. «ما لم تكونوا»؛ أي: ما لا سبيل لكم إلى علمه إلّا من جهة السمع.[٢]

«كما أرسلنا». متّصل بما قبله. أي: و لأتمّ نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم. أو بما بعده. أي: كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني بالطاعة.[٣]

[١٥٢] «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ».

«فاذكروني» بالطاعة، «أذكركم» بالرحمة. «و اشكروا»؛ أي: اشكروا نعمتي. «و لاتكفرون»: لاتستروها بالجحود.[٤]

[١٥٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ».

«استعينوا بالصبر»؛ أي: بحبس النفس عمّا تشتهيه من القبائح. و إلى هذا أشار أميرالمؤمنين عليه السلام: الصبر صبران: صبر على ما تكره، و صبر على ما تحبّ. «و الصلاة»؛ لما فيها من الذكر و الخشوع و تلاوة القرآن الذي يتضمّن ذكر الوعد و الوعيد و الهدى و البيان، و ما هذه صفته يدعو إلى الحسنات و يزجر عن السيّئات. و أمّا الاستعانة بهما، فقيل على جميع الطاعات، و قيل على الجهاد في سبيل الله. «الصابرين»؛ أي: يعاونهم و ينصرهم.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٤ ـ ٩٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٥.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٤٣١.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٤٣٢.

[١٥٤] «وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ».

«أموات»؛ أي: هم أموات. «بل أحياء»؛ أي: هم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة. و هو قول جميع المفسّرين. أو المراد أنّهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر و الثناء. كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام من قوله: هلك خزّان الأموال. و العلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة، و آثارهم في القلوب موجودة.(١)

«لاتشعرون» ما حالهم. و هو تنبيه على أنّ حياتهم ليست بالجسد و لا من جنس ما يحسّ به من الحيوانات و إنّما هي أمر لايدرك بالعقل بل بالوحي. و عن الحسن أنّ الشهداء أحياء عند ربّهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح و الفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوّاً و عشيّاً فيصل إليهم الوجع. و فيها دلالة على أنّ الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحسّ به من البدن تبقى بعد الموت دراكته. و عليه جمهور الصحابة و التابعين. و به نطقت الآيات و السنن. و على هذا، فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله و مزيد البهجة و الكرامة.(٢)

[١٥٥] «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ».

«و لنبلونّكم». الخطاب لأصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله. و لو قيل إنّه خطاب لجميع الخلق، لكان أيضاً صحيحاً. فأمّا سبب الخوف، فكان قصد المشركين لهم بالعداوة. و سبب الجوع، تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش. و قيل: القحط الذي لحقهم و الجدب الذي أصابهم. و سبب نقص الأموال، الانقطاع بالجهاد عن العمارة، و نقص الأنفس، بالقتل في الحروب مع رسول الله صلى الله عليه و آله. و قيل: نقص الأموال بهلاك المواشي و الأنفس بالموت. و قوله: «و الثمرات»، قيل: أراد ذهاب حمل الأشجار بالجوائح و قلّة النبات. و قيل: أراد به الأولاد.

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٣٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٥.

لأنّ الولد ثمرة القلب. و إنّما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان و عن مناكحة النسوان و حمل البنات و البنين. و قيل في وجه اللّطف في ذلك قولان: أحدهما أنّ من جاء من بعدهم إذا أصابهم مثل هذه الأمور، علموا أنّه لايصيبهم ذلك لنقصان درجة و حطّ مرتبة، فإنّه قد أصاب مثل ذلك من هو أعلى درجة منهم و هم أصحاب النبيّ. و الآخر أنّ الكفار إذا شاهدوا المؤمنين يتحمّلون المشاقّ في نصرة الرسول و موافقتهم له و تنالهم هذه المكاره فلايتغيّرون في قوّة البصيرة و نقاء السريرة، علموا أنّهم إنّما فعلوا ذلك لعلمهم بصحّة هذا الدين، فيكون ذلك داعياً لهم إلى قبول الإسلام و الدخول في جملة المسلمين.(١)

عن الباقر عليه السلام «لنبلونّكم بشيء» ـ الآية ـ قال: ذلك جوع خاصّ و جوع عامّ. فأمّا بالشام، فإنّه عامّ. و الخاصّ بالكوفة يخصّ و لايعمّ، ولكنّه يخصّ بالكوفة أعداء آل محمّد صلّى الله عليه و آله فيهلكهم الله بالجوع. و أمّا الخوف، فإنّه عامّ بالشام. و ذلك الخوف إذا قام القائم عليه السلام. و أمّا الجوع، فقبل قيام القائم عليه السلام.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قبل قيام القائم عليه السلام تكون علامات. ثمّ تلا قوله تعالى: «لنبلونّكم» ـ الآية. من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، و الجوع بغلاء أسعارهم، و نقص من الأموال، قال: كساد التجارات، و نقص من الأنفس، قال: موت ذريع، و نقص من الثمرات، لقلّة ريع ما يزرع. «و بشّر الصابرين» عند ذلك بتعجيل الفرج. و قوله: «و لنبلونّكم» يعني المؤمنين.(٣)

[١٥٦] «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّا لله» إقرار منك بالملك. «و إنّا إليه راجعون» إقرار منك بالهلاك.(٤)

روي أنّه طفئ سراج رسول الله فقال: «إنّا لله» ـ الآية. فقيل له: أمصيبة هي؟ فقال: نعم؛

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦.
٢ـ تفسيرالعيّاشيّ ١ / ٦٨.
٣ـ كمال الدين ١ / ٦٤٩ ـ ٦٥٠، ح ٣.
٤ـ الكافي ٣ / ٢٦١.

كلّ شيء يؤذي المؤمن مصيبة.(١)

عن الباقر عليه السلام: ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكر المصيبة و يصبر حين تفجؤه إلّا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه. و كلّما ذكر مصيبته فاسترجع عند ذكر المصيبة، غفر الله كلّ ذنب فيما بينهما.(٢)

ليس الصبر بالاسترجاع باللّسان، بل به و بالقلب بأن يتصوّر أنّه راجع إلى ربّه. «صلوات»؛ أي: دعاء و مغفرة. جمعها لتكثّر أنواعها.(٣)

عن الصادق عليه السلام قال: قال الله: إنّي أعطيت الدنيا عبادي. فمن أقرضني قرضاً، أعطيته بكلّ واحدة منها عشراً إلى سبعمائة ضعف. و من لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه قهراً، أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منها ملائكتي لرضوا: الصلاة، و الهداية، و الرحمة. و تلا قوله تعالى: «الذين» إلى: «مهتدون». ثمّ قال: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قهراً.(٤)

[١٥٧] «أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ».

[١٥٨] «إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ».

عن الصادق عليه السلام: سمّي الصفا لأنّ المصطفى آدم هبط عليه. و سمّيت المروة لأنّ المرأة هبطت عليها.(٥)

و عن الصادق عليه السلام: المسلمون كانوا يظنّون أنّ السعي بين الصفا و المروة شيء صنعه المشركون، فنزل: «إنّ الصفا» إلى: «فلا جناح عليه».(٦)

سئل الصادق عليه السلام عن السعي فريضة أو سنّة، فقال: فريضة. قيل: أو ليس قال الله:

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٦٠.
٢ـ الكافي ٣ / ٢٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٦.
٤ـ الخصال / ١٣٠.
٥ـ علل الشرائع / ٤٣١ ـ ٤٣٢.
٦ـ الكافي ٤ / ٢٤٥.

«فلا جناح أن يطّوّف بهما»؟ قال: ذلك في عمرة القضاء. إنّ رسول الله ﷺ شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا و المروة، فسئل عن رجل ترك السعي حتّى انقضت الأيّام و أعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله، إنّ فلاناً لم يسع بين الصفا و المروة و قد أعيدت الأصنام؟ فأنزل الله الآية: «فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما». أي و عليهما الأصنام.(١)

«و من تطوّع خيراً»؛ أي: من تبرّع بالطواف و السعي بعد ما أدّى الواجب منهما. أو من تطوّع بالحجّ و العمرة بعد أداء الحجّ و العمرة المفروضتين.(٢)

«فلا جناح». ذهب جماعة من العامّة إلى استحباب السعي لقوله: «فلا جناح». «من شعائر الله»: من أعلام مناسكه. جمع شعيرة؛ و هي العلامة. «و من تطوّع»؛ أي: من فعل طاعة فرضاً كان أو نفلا. و «خيراً» نصب على أنّه صفة مصدر محذوف. قرأ حمزة و الكسائيّ: «يَطَّوَّع». «شاكر عليم»؛ [أي: مثيب] على الطاعة.(٣)

[١٥٩] «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ».

عن الصادق عليه السلام «إنّ الذين يكتمون» ـ الآية ـ قال: نحن يعني. و الله المستعان. إنّ الرجل منّا اذا صارت إليه، لم يكن له ـ أو لم يسعه ـ إلّا أن يبيّن للناس من يكون بعده.(٤)

«إنّ الذين» كأحبار اليهود.(٥)

«في الكتاب»؛ أي: التوراة. «و يلعنهم اللّاعنون»: الدوابّ و الهوامّ بإلهام من الله. أو في الآخرة. قيل: إذا تلاعن الرجلان، رجعت اللّعنة على المستحقّ لها. فإن لم يستحقّها واحد منهما، رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله.(٦)

١ـ الكافي ٤ / ٤٣٥.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٤٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٦.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٧١ ـ ٧٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٧.

٦ـ مجمع البيان ١ / ٤٤١ ـ ٤٤٢.

«اللّاعنون» من الملائكة و الثقلين.[١]

«اللّاعنون». قال: نحن هم. و قد قالوا هوامّ الأرض. هكذا روي عن الصادق عليه السلام.[٢]

«البيّنات»؛ كالآيات الشاهدة على أمر محمّد صلى الله عليه و آله. «و الهدى»: ما يهدي إلى اتّباعه و الإيمان به.[٣]

[١٦٠] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

«تابوا» عن الكتمان. «و أصلحوا» ما أفسدوا بالتدارك. «و بيّنوا» ما بيّنه الله في كتابهم لتتمّ توبتهم. و قيل: ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم و يقتدي بهم أضرابهم.[٤]

«أتوب»؛ أي: أقبل توبتهم.[٥]

[١٦١] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ».

«و ماتوا». يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين و لم يتوبوا. ذكر لعنتهم أحياء ثمّ لعنتهم أمواتاً. «و الناس». فإن قلت: ما معنى «و الناس أجمعين» و في الناس المسلم و الكافر؟ قلت: أراد بالناس من يعتدّ بلعنه و هم المؤمنون. و قيل: يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً.[٦]

[١٦٢] «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ.»

«فيها»؛ أي: في اللّعنة، أو في النار، إلّا أنّها أضمرت تفخيماً لشأنها. «ينظرون». من

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٧٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٧.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٤٤٣.
٦ـ الكشّاف ١ / ٢٠٩ ـ ٢١٠.

الإنظار. أي: لايمهلون و لايؤجّلون و لاينظرون ليعتذروا. أو: لاينظر إليهم نظر رحمة.[١]

[١٦٣] «وَ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ».

«و إلهكم إله واحد». النزول: قال ابن‌عبّاس: إنّ كفّار قريش قالوا: يا محمّد، صف لنا و انسب لنا ربّك. فأنزل الله هذه الآية و سورة الإخلاص. «و إلهكم»؛ أي: خالقكم و المنعم عليكم بالنعم التي لايقدر عليها غيره. «إله واحد»؛ أي: لايجوز عليه الانقسام و لايحتمل التجزئة. أو: لا نظير له و لا شبيه. أو: إنّه واحد في الإلهيّة و استحقاق العبادة. أو: إنّه واحد في صفاته التي يستحقّها لنفسه. فإنّ معنى وصفنا الله بأنّه القديم أنّه مختصّ بهذه الصفة لايشاركه فيها غيره. «لا إله إلّا هو». إثبات الإلهيّة له وحده. و اختلف في أنّه هل فيها نفي المثل عن الله. فقال المحقّقون: ليس فيها نفي المثل عنه. لانّ النفي إنّما يصحّ في موجود أو معدوم و الله ليس له مثل موجود و لا معدوم.[٢]

«الرحمن». كالحجّة لتقرير الوحدانيّة. لأنّ صاحب النعم كلّها لايستحقّ العبادة أحد غيره.[٣]

«لا إله». قد رجّحنا في كتب النحو أنّ الخبر المقدّر هو حقّ لا موجود و لا ممكن.

[١٦٤] «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«إنّ في خلق السموات و الأرض»؛ أي: في إنشائها على سبيل الاختراع. «و اختلاف» ـ الآية. قال ابن‌عبّاس: الريح للعذاب و الرياح للرحمة. و كان إذا هبّت ريح قال ﷺ: اللّهمّ

١ـ الكشّاف ١ / ٢١٠.

٢ـ مجمع‌البيان ١ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٧.

اجعلها رياحاً و لاتجعلها ريحاً. و يقوّيه قوله تعالى: «و يرسل الرياح مبشّرات»[١] و «أرسلنا عليهم الريح العقيم».[٢] و إنّما جمع السموات و وحّد الأرض لأنّ الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لايجوز جمعه إلّا أن يراد الاختلاف، و أمّا السموات فقد دبّر في كلّ سماء أمرها التدبير الذي هو حقّها. «و اختلاف اللّيل و النهار»: تعاقبهما. أو هو من باب اختلاف السواد و البياض. «و الفلك»: السفن. يقع على الواحد و الجمع. و الرياح أربع: الشمال و الجنوب و الصبا و الدبور. و الشمال عن يمين القبلة، و الجنوب عن يسارها، و الصبا من قبل المشرق، و الدبور من قبل المغرب. و سمّي الجنوب لاقحاً و الشمال حائلاً. و لمّا أخبر الله الكفّار بأنّ إلههم إله واحد، قال المشركون: ما الدلالة على ذلك؟ فأنزل الله: «إنّ في خلق السموات و الأرض» ـ الآية. «تجري»؛ أي: تحمل الأحمال. «من السماء». أي ماء المطر. «و بثّ»؛ أي: فرّق في الأرض من جميع الحيوانات. «و تصريف الرياح»؛ أي: تقليبها بأن جعل بعضها صباء و بعضها دبوراً و بعضها جنوباً و بعضها شمالاً. و قيل: تصريفها بأن جعل بعضها تأتي بالرحمة و بعضها بالعذاب. «الرياح». قرأ حمزة و الكسائيّ: «الريح» على التوحيد. «و السحاب». من السحب، و هو الجرّ، لانجراره في السماء. «لآيات»؛ أي: حججاً و دلالات. «يعقلون»؛ أي: يستدلّون بتلك الآيات.[٣]

[١٦٥] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّٰهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ».

«أنداداً» من الأصنام. و قيل: من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم. و لعلّ المراد ما هو أعمّ منهما و هو ما يشغله عن الله. «يحبّونهم»؛ أي: يسوّون بينهم و بين الله في المحبّة و الطاعة. «أشدّ حباً لله». لأنّه لاينقطع محبّتهم لله بخلاف محبّة الأنداد؛ فإنّها لأغراض فاسدة موهومة

١ـ الروم (٣٠) / ٤٦.
٢ـ الذاريات (٥١) / ٤١.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٤٤٧ ـ ٤٥٠.

تزول بأدنى سبب. و لذلك كانوا يعدلون [عن آلهتهم] إلى الله عند الشدائد و يعبدون الأصنام زماناً ثم يرفضونهم إلى غيرهم.[١]

و من أعجب رفضهم أنّ باهلة قبيلة من قيس لمّا ابتلاهم الله بالقحط، أكلوا آلهتهم التي اتّخذوها من الحيس؛ أي: التمر المخلوط بالأقط و السمن. و أقول: لم ينتفع مشرك من إلهه كانتفاعهم. (عصام)

«و لو يرى»؛ أي: لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتّخاذ الأنداد. قرأ ابن عامر و نافع: «و لو ترى» ـ بالتاء ـ على أنّه خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله. أي: و لو ترى ذلك، لرأيت أمراً عظيماً. «إذ يرون». ابن عامر بالبناء للمفعول. «أنّ القوّة». سادّ مسدّ مفعولي يرى. و جواب لو محذوف. أي: لو يعلمون أنّ القوّة لله جميعاً إذا عاينوا العذاب، لندموا أشدّ الندم. و قيل: هو متعلّق الجواب و المفعولان محذوفان. و التقدير: لو يرى الذين ظلموا أندادهم لاتنفع، لعلموا أنّ القوّة لله كلّها لاينفع و لايضرّ غيره.[٢]

[١٦٦] «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ».

«اذ تبرّأ». بدل من «إذ يرون». أي: إذ تبرّأ المتبوعون من الأتباع. و قرئ بالعكس. أي: إذ تبرّأ الأتباع من الرؤساء. «و رأوا»؛ أي: رائين له. و الواو للحال و قد مضمرة. و قيل: عطف على «تبرّأ». «و تقطّعت». يحتمل العطف على «تبرّأ» أو «رأوا». و الأسباب: الوصل التي كانت بينهم من الاتّباع و الاتّفاق على الدين و الأغراض الداعية إلى ذلك.[٣]

عن الصادق عليه السلام في حديث طويل يصف فيه يوم القيامة إلى أن قال: فيأتي النداء من قبل الله: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفة الله في أرضه و حجّته على عباده. فمن تعلّق بحبله في دار اندنيا، فليتعلّق بحبله في هذا اليوم و يتبعه إلى الدرجات العلى.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٩.

قال: فيقوم الناس الذين تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنّة. ثم يأتي النداء من عند الله: ألا من ائتمّ بإمام في دار الدنيا، فليتبعه إلى حيث يذهب به. فحينئذ «تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا» ـ الآية.(١)

«إذ تبرّأ». العامل في إذ «شديد العذاب». «الأسباب»: الأرحام.(٢)

[١٦٧] «وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ».

«لو أنّ». لو للتمنّي. و لذلك أجيب بالفاء. أي: ليت لنا كرّة إلى الدنيا. «كرّة»: عودة إلى الدنيا و دار التكليف.(٣)

«حسرات». عن الصادق عليه السلام: هو الرجل يدع مالاً لاينفقه في طاعة الله بخلاً، فيموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو معصيته. فإن عمل به في طاعة، رآه في ميزان غيره فرآه حسرة و قد كان المال له. و إن عمل به في معصية الله، قوّاه بذلك المال حتّى عمل به في معصية الله.(٤)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة [حسرة] رجل كسب مالاً في غير طاعة الله فورثه رجلاً فأنفقه في طاعة الله فدخل به الجنّة و دخل الأوّل به النار.(٥)

«كذلك»؛ أي: مثل ذلك الإراء الفظيع. «حسرات». ندامات. و هي ثالث مفاعيل «يرى» إن كان من رؤية القلب، و إلّا فحال.(٦)

«بخارجين». الآية واردة في الكفّار.(٧)

[١٦٨] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

١ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٦٣ و ٦٤.

٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

٣ـ مجمع البيان ١ / ٤٥٧.

٤ـ الكافي ٤ / ٤٢.

٥ـ نهج البلاغة / ٥٥٢، الحكمة ٤٢٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٩.

٧ـ مجمع البيان ١ / ٤٥٨.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

«ممّا». من للتبعيض؛ إذ لايؤكل جميع ما في الأرض. «حلالاً». مفعول «كلوا». «و لاتتّبعوا». أي: لاتقتدوا به في اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال و تحلّلوا الحرام. «عدوّ مبين»: ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة.[١]

«ممّا في الأرض». اختلف الناس في المآكل و المنافع التي لا ضرر على أحد فيها. فمنهم من ذهب إلى أنّها على الحظر. و منهم من ذهب إلى أنّها على الإباحة؛ و اختاره المرتضى. و منهم من وقف بين الأمرين و جوّز كلّ واحد منهما. و هذه الآية دالّة على إباحة المآكل إلّا ما دلّ الدليل على حظره، فجاءت مؤكّدة لما في العقل.[٢]

النزول: عن ابن‌عبّاس أنّها نزلت في ثقيف و خزاعة و جماعة حيث جرّوا على أنفسهم من الحرث و الأنعام و البحيرة و الوصيلة فنهاهم الله عن ذلك بقوله: «يا أيّها الناس».[٣]

«حلالاً». صفة مصدر محذوف. أي: كلوا شيئاً حلالاً «طيّباً» يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة.[٤] يعني من غير امتلاء المعدة و الشهوة الكلبيّة. (عصام)

«خطوات». حفص و ابن‌عامر و الكسائيّ بضمّ الطاء حيث وقع، و الباقون بالإسكان.[٥]

«خطوات الشيطان»: وساوسه و خواطره. و هو ما ينقلهم به من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي. مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان إلى مكان حتّى يبلغ مقصده. روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّ من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق و النذور في المعاصي و كلّ يمين بغير الله.[٦]

[١٦٩] «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٩.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٠.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٤٥٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٩٩.
٥ـ التيسير / ٦٧.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٠.

[١٧٠] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَ وَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ».

«و إذا قيل لهم». قال ابن‌عبّاس: دعا النبيّ ﷺ اليهود إلى الإسلام. فقالوا: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم بنا. فنزلت هذه الآية. و في رواية الضحّاك أنّها نزلت في كفّار قريش.(١)

«أوَ لو». الواو للحال. و الهمزة بمعنى الردّ و التعجيب. و معناه: أيتّبعونهم و لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً من الدين و لايهتدون للصواب؟(٢)

[١٧١] «وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

«مثل الذين كفروا كمثل الذي»؛ أي: كبهائم الذي ينعق. و قيل: معناه: و مثلهم في اتّباع آبائهم و تقليدهم لهم كمثل البهائم التي لاتسمع إلّا ظاهر الصوت و لاتفهم ما تحته. فكذلك هؤلاء يتّبعونهم على ظاهر حالهم و لايفقهون أ هم على حقّ أم باطل. و قيل: معناه: و مثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لايسمع. إلّا أنّ قوله: «إلّا دعاء و نداء» لايساعد عليه. لأنّ الأصنام لاتسمع شيئاً. و النعيق: التصويت.(٣)

[تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه، لايساعده قوله:] «إلّا دعاء و نداء» إلّا أن يجعل ذلك من التمثيل المركّب. «صمّ». مرفوع على الذمّ. «لايعقلون»؛ للإخلال بالنظر و التأمّل.(٤)

«و مثل الذين». المعنى: مثل الذين كفروا في دعائك إيّاهم. أي: مثل الداعي لهم إلى الإيمان، كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لاتفهم و إنّما تسمع الصوت. و كما أنّ الأنعام لايحصل لها من دعاء الداعي إلّا السماع دون تفهّم المعنى، فكذلك الكفّار لايحصل

١ـ مجمع‌البيان ١ / ٤٦١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢١٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ٢١٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠.

لهم من دعائك إيّاهم إلى الإيمان إلّا السماع دون تفهّم المعنى. لأنّهم يعرضون عن قبول قولك و ينصرفون عن تأمّله فيكونون بمنزلة من لم يعقله و لم يفهم. هذا قول ابن عبّاس. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.(١)

«كمثل الذي ينعق» ـ الآية. التأويل: الذين كفروا لم يسمعوا إذ خاطبهم الحقّ بقوله: «ألست بربّكم» إلّا دعاء و نداء. لأنّهم كانوا في الصفّ الأخير من الأرواح المتجنّدة في أربعة صفوف: الأوّل للأنبياء، الثاني للأولياء، الثالث للمؤمنين، الرابع للكافرين. فما شاهدوا شيئاً من أنوار الحقّ ولكنّهم قالوا بالتقليد: «بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا».(٢)

[١٧٢] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ».

«و اشكروا لله» على ما رزقكم «إن كنتم إيّاه تعبدون»: إن صحّ أنّكم تخصّونه بالعبادة و تقرّون أنّه مولى النعم. فإنّ عبادته لا تتمّ إلّا بالشكر. و عنه صلى الله عليه و آله يقول الله: إنّي و الجنّ و الإنس في نبأ عظيم؛ أخلق و يعبد غيري، و أرزق و يشكر غيري.(٣)

[١٧٣] «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إنّما حرّم» ـ الآية. قصّر التحريم على المذكورات بالإضافة إلى ما حرّمها المؤمنون معها من المستلذّات و الكفّار دونها من السائبة و الوصيلة و البحيرة. فيصحّ القصر إفراداً و قلباً إضافة و إن لم يصحّ حقيقة لوجود محرّمات أخر. (عصام)

«الميتة». أبو جعفر: «الميّتة» مشدّدة كلّ القرآن. و قرأ أهل الحجاز و الشام و الكسائيّ: «فمن اضطرّ غير باغ» بضمّ النون و أبوجعفر منهم بكسر الطاء: «من اضطِرّ»، و الباقون

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٣. ٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ١١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠، و الكشّاف ١ / ٢١٤.

بكسر النون.[١]

عن الرضا عليه السلام: حرّمت الميتة لما فيها من فساد الأبدان و الآفة و لما أراد الله أن يجعل سبب التحليل و فرقاً بين الحلال و الحرام. و الدم لما فيه من إفساد الأبدان، و لأنّه يورث الماء الأصفر و يبخر الفم و ينتن الريح و يسيء الخلق و يورث القسوة للقلب لايؤمن أن يقتل ولده و والده و صاحبه. و لحم الخنزير، لأنّه مشوّه جعله الله عظة للخلق و تخويفاً و دليلاً على ما مسخ [على خلقته لأنّ ... و حرّم ما أهلّ به لغير الله للّذي أوجب الله عزّوجلّ] على خلقه من الإقرار به و ذكر اسمه على الذبائح المحلّلة. و لئلّايسوّى بين ما تقرّب به إليه و بين ما جعل عبادة للأوثان.[٢]

«و لحم الخنزير». خصّ اللّحم بالذات لأنّه المقصود.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عشرة أشياء عن الميتة ذكيّة: العظم و الشعر و الصوف و الريش و القرن و الحافر و البيض و الإنفحة و اللّبن و السنّ.[٤]

«و ما أهلّ به»؛ أي: رفع به الصوت للصنم.[٥]

«غير باغ» على إمام المسلمين «و لا عاد» بالمعصية طريقة المحقّين. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام.[٦]

و عن الجواد عليه السلام: العادي: السارق. و الباغي: الذي يبغي الصيد بطراً أو لهواً لا ليعود به على عياله. ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا. هي حرام عليهما في الاختيار و الاضطرار.[٧]

و قال الصادق عليه السلام: الباغي: الذي يخرج على الإمام [العادل]. و العادي: الذي يقطع الطريق. لا تحلّ لهما الميتة.[٨]

«غير باغ» بالاستيثار على مضطرّ آخر «و لا عاد» سدّ الرمق و الجوعة. «غفور» لما

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٦.
٢ـ عيون الأخبار ٢ / ٩١ ـ ٩٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠.
٤ـ الخصال / ٤٣٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠.
٦ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٧.
٧ـ الفقيه ٣ / ٢١٧.
٨ـ معاني الأخبار / ٢١٣.

فعل «رحيم» بالرخصة.[١]

[١٧٤] «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«إنّ الذين». أي اليهود. «من الكتاب». أي من صفة محمّد ﷺ و البشارة به. «ثمناً قليلاً»؛ أي: يستبدلون به أعراض الدنيا.[٢]

«إلّا النار». إمّا في الحال، لأنّهم أكلوا ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنّهم أكلوا النار، أو في المآل، أي لايأكلون يوم القيامة إلّا النار. و معنى «في بطونهم»: ملء بطونهم. يقال: أكل في بطنه، و أكل في بعض بطنه.[٣]

«و لايكلّمهم» بما يحبّون و إن كلّمهم للتوبيخ. أو لايكلّمهم أصلاً بل الملائكة. و قيل: إنّه كناية عن غضبه.[٤]

[١٧٥] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدىٰ وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ».

«فما أصبرهم على النار». معناه: ما أجرأهم على النار. رواه عليّ بن إبراهيم ﵀ بإسناده إلى أبي عبدالله ؑ. و الثاني: ما أعملهم بأعمال أهل النار. و هو المرويّ عن أبي عبدالله ؑ.[٥]

«فما أصبرهم». تعجّب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة. و «ما» تامّة مرفوعة بالابتداء و تخصيصها كتخصيص شرّ أهرّ ذا ناب. أو استفهاميّة و ما بعدها

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٠.
٤ـ مجمع البيان ١ / ٤٦٨، و تفسير البيضاويّ ١ / ١٠١.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٤٧٠ ـ ٤٧١.

الخبر. أو موصولة و ما بعدها صلة و الخبر محذوف.(١)

[١٧٦] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

«ذلك»؛ أي: ذلك العذاب. «بأنّ الله»: بسبب أنّ الله نزّل ما نزّل من الكتب بالحقّ. «و إنّ الذين اختلفوا» في كتب الله فقالوا في بعضها حقّ و في بعضها باطل ـ و هم أهل الكتاب ـ «لفي شقاق بعيد» عن الحقّ. و الكتاب للجنس. أو: كفرهم ذلك بسبب أنّ الله نزّل الكتاب بالحقّ كما يعلمون. «و إنّ الذين اختلفوا فيه» من المشركين فقال بعضهم سحر و بعضهم شعر و بعضهم أساطير الأوّلين، «لفي شقاق بعيد». يعني أولئك لو لم يختلفوا و لم يشاقّوا، لما جسر هؤلاء أن يكفروا.(٢)

«الكتاب». و الإشارة إلى التوراة. «و اختلفوا». بمعنى تخلّفوا عن النهج المستقيم في تأويلها، أو خلّفوا خلاف ما أنزل الله مكانه؛ أي: حرّفوا ما فيه.(٣)

[١٧٧] «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ».

«البرّ»: اسم للخير و لكلّ فعل مرضيّ. و الخطاب لأهل الكتاب. لأنّ اليهود تصلّي إلى بيت المقدس و النصارى قبل المشرق. و ذلك أنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله ﷺ إلى الكعبة و زعم كلّ فريق أنّ البرّ التوجّه إلى قبلته، فردّ عليهم. و قيل: ليس

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢١٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠١.

البرّ فيما أنتم عليه، فإنّه منسوخ، ولكنّ البرّ ما نبيّنه. و قيل: كثر خوض المسلمين و أهل الكتاب في أمر القبلة، فقيل: ليس البرّ العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمر القبلة، ولكنّ البرّ الذي يجب الاهتمام به من آمن و قام بهذه الأعمال. «ولكنّ البرّ من آمن». على تأويل حذف المضاف. أي: برّ من آمن. أو بتأويل البرّ بمعنى ذي البرّ. أو كما قالت: «فإنّما هي إقبال و إدبار». «و الكتاب»: جنس كتب الله أو القرآن. «على حبّه»: مع حبّ المال و الشحّ به. و قيل: على حبّ الله. و قيل: على حبّ الإيتاء، يريد أن يعطيه و هو طيّب النفس بإعطائه. و أطلق «ذوي القربى و اليتامى» و المراد الفقراء منهم لعدم الإلباس. «ذوي القربى»؛ اي: قرابة المعطي. لأنّ الصدقة عليهم أفضل منها على غيرهم.(١)

«ولكن». نافع و ابن‌عامر: «لكن» بالتخفيف و الرفع. و الباقون بالتشديد و النصب.(٢)

«آمن»؛ أي: صدّق بالله و صفاته و ما يجوز عليه و يمتنع. «و اليوم الآخر»: يوم القيامة و أحوالها. «و الملائكة» بأنّهم عباد مكرمون. «و الكتاب»: كلّ الكتب. «و النبيّين» بتصديقهم و صفاتهم. «ذوي القربى». يحتمل أن يكون قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله كما في قوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».(٣) و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. «و ابن السبيل». يعني المنقطع به. عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: الضيف. «و السائلين»؛ أي: الطالبين للصّدقة. لأنّه ليس كلّ مسكين يطلب. «و في الرقاب» بأن يشتري و يعتق، أو في رقاب المكاتبين، أو الأعمّ. «و الموفون». مرفوع على المدح. لأنّ النعت إذا طال و كثر، رفع بعضه و نصب على المدح. و المعنى: هم موفون. أو يكون معطوفاً على «من آمن» و المعنى: ذوالبرّ المؤمنون و الموفون بعهدهم كالعهود و النذور و الأيمان و غيرها. «و الصابرين». منصوب على المدح. [تقديره:] أعني الصابرين. «في البأساء». يريد بالبأساء البؤس و الفقر، و بالضرّاء الوجع و العلّة. «و حين البأس». يريد وقت الجهاد و قتال العدوّ. «صدقوا»؛ أي:

١ـ الكشّاف ١ / ٢١٧ ـ ٢١٩. ٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٧٣.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٢٣.

صدقوا الله فيما قبلوا منه و تمسّكوا به. «المتّقون»؛ أي: اتّقوا بفعل هذه الخصال.[١]

«البأساء و الضرّاء»: الجوع و الخوف، و العطش و المرض. «و حين البأس». قال: عند القتل.[٢]

«و آتى الزكاة». أي المفروضة. فيكون ما قبله محمولاً على غيرها من الحقوق المستحبّة و الواجبة غير الزكاة.[٣]

[١٧٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«يا أيّها الذين». نزلت في حيّين من العرب لأحدهما طول على الآخر فكانوا يتزوّجون نساءهم بغير مهور و أقسموا: لنقتلنّ بالعبد منّا الحرّ منهم، و بالمرأة منّا الرجل منهم، و بالرجل منّا الرجلين منهم، و جعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك، حتّى جاء الإسلام فأنزل الله هذه الآية. «كتب عليكم»؛ أي: فرض عليكم و أوجب. و قيل: كتب عليكم في أمّ الكتاب و هو اللّوح المحفوظ. «القصاس في القتلى»: المساواة. أي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول. «فمن عفي له»؛ أي: من عفي عن قصاصه في قتل العمد. «من أخيه»؛ أي: من دم أخيه. و أراد بالأخ المقتول، دلالة على أنّ القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله. و قيل: أراد بالأخ العافي الذي هو وليّ الدم. و قوله: «شيء» دليل على أنّ بعض الأولياء إذا عفا سقط القود، لأنّ شيئاً من الدم قد بطل بعفو البعض. هذا قول أكثر المفسّرين. و قيل: المراد بقوله: «فمن عفي له» وليّ الدم. و الهاء في «أخيه» يرجع إليه. أي: فمن بذل له من أخيه ـ يعني أخا الوليّ و هو المقتول ـ الدية. و يكون العافي معطي المال. و القول الأوّل أظهر. و أمّا

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٧٤ ـ ٤٧٨.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٦٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٢.

الذي له العفو عن القصاص، فكلّ من يرث الدية إلّا الزوج و الزوجة عندنا.[١]

«الحرّ بالحرّ». عن الصادق عليه السلام قال: لايقتل حرّ بعبد ولكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد. و إن قتل رجل امرأة فأراد أولياء المقتول أن يقتلوه أدّوا نصف ديته إلى أهل الرجل.[٢]

«فمن عفي». قال الصادق عليه السلام: هو الرجل يقبل الدية. فينبغي للطالب أن يرفق به و لايعسره. و ينبغي للمطلوب أن يؤدّي إليه بإحسان و لايمطله إذا قدر.[٣]

«فمن اعتدى». قال الصادق عليه السلام: هو الرجل يقبل الدية أو يصالح ثمّ يجيء بعد فيقتل فوعده الله عذاباً أليماً.[٤]

«فاتّباع»؛ أي: على العافي [أن] لايشدّد في الطلب و ينظره إن كان معسراً. «بإحسان»؛ أي: على المعفوّ له الدفع عند الإمكان. «ذلك». إشارة إلى جميع ما تقدّم «تخفيف من ربّكم». معناه: انّه جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو و خيّركم بينها. و كان لأهل التوراة القصاص أو العفو، و لأهل الانجيل العفو أو الدية. «فمن اعتدى بعد ذلك» بأن قتل غير قاتله.[٥]

[١٧٩] «وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

«و لكم». عن عليّ بن الحسين عليه السلام: «و لكم» يا أمّة محمّد «في القصاص حياة». لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه، فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للّذي كان همّ بقتله و حياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، و حياة لغيرهما من الناس إذا علموا أنّ القصاص واجب لايتجرّؤون على القتل مخافة القصاص.[٦]

«حياة». لأنّه لايقتل إلّا القاتل بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهليّة من قتل الجماعة

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٥٧، ح ١٥.
٣ـ الكافي ٧ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.
٤ـ الكافي ٧ / ٣٥٩.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٤٨٠.
٦ـ الاحتجاج ٢ / ٥٠.

بواحد.[١]

[١٨٠] «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ».

«كتب عليكم». عن أحدهماعليهما السلام: هذه الآية منسوخة نسخها آية المواريث.[٢]

«إن ترك». عن الباقرعليه السلام: تجوز الوصيّة للوارث. فتلا هذه الآية.[٣]

«خيراً»؛ أي: مالاً أو: مالاً كثيراً. «الوصيّة». مرفوع بكتب. و تذكير فعلها للفصل. و قيل: الوصيّة مبتدأ و خبره «للوالدين». و الجملة جواب الشرط بإضمار الفاء. و كان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث و بقولهصلى الله عليه وآله: إنّ الله أعطى كلّ ذي حقّ حقّه. ألا لا وصيّة لوارث. و فيه نظر. لأنّ آية المواريث تؤكّده من حيث إنّها تدلّ على تقديم الوصيّة مطلقاً، و الحديث من الآحاد. «بالمعروف»: بالعدل، فلايفضّل الغنيّ و لايتجاوز الثلث.[٤]

«بالمعروف». عن الصادقعليه السلام: هو الشيء جعله الله لصاحب هذا الأمر. قيل: فلذلك حدّ؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث.[٥]

«حقّاً». مصدر مؤكّد. أي: حقّ ذلك حقّاً.[٦]

عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: من لم‌يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية. و قد اختلف في المقدار الذي تجب الوصيّة عنده. قال ابن‌عبّاس: ثمانمائة درهم. و روي عن عليّعليه السلام أنّه دخل على مولًى له في مرضه و له سبعمائة درهم أو ستّمائة، فقال: ألا أوصي؟ فقال: لا؛ إنّما قال سبحانه: «إن ترك خيراً» و ليس لك مال كثير. و هو المأخوذ به عندنا.[٧]

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٨١.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٧٧.
٣ـ الكافي ٧ / ١٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٣ ـ ١٠٤.
٥ـ الفقيه ٤ / ١٧٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٤.
٧ـ مجمع البيان ١ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

[١٨١] «فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«فمن بدّله» بذلك الوصيّ.(١)

عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «فمن بدّله بعد ما سمعه» قال: نسختها الآية التي بعدها: «فمن خاف من موص جنفاً». يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً فيما أوصى به إليه، فلا إثم عليه إن يردّه إلى الحقّ.(٢)

عن الريّان بن شبيب قال: أوصت ماردة لقوم نصارى بوصيّة، فأردت أن أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا المسلمين. فسألت الرضا عليه السلام فقال: أمض الوصيّة على ما أوصت به. قال الله: «فمن بدّله» ـ الآية.(٣)

«ما سمعه»؛ أي: تحقّق عنده. «عليم». وعيد للمبدّل بغير حقّ.(٤)

[١٨٢] «فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«فمن خاف». عن الصادق عليه السلام: لايحلّ للوصيّ أن يغيّر إلّا أن يوصي بغير ما أمر الله فيعصي في الوصيّة و يظلم، فالموصى إليه جائز له أن يردّها إلى الحقّ. مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّه لبعض ورثته. فالوصيّ جائز له أن يردّها إلى الحقّ؛ و هو قوله: «جنفاً أو إثماً». فالجنف الميل إلى بعض ورثته دون بعض، و الإثم أن يأمر بعمارة بيوت النيران و اتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لايعمل بشيء من ذلك.(٥)

«فمن خاف». إنّه قيل: كيف قال: «خاف» لما وقع، و الخوف إنّما يكون لما لم يقع؟ الجواب: انّه لمّا اشتمل على الواقع و على ما لم يقع، جاز فيه خاف، فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع و ما

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٧٧.
٢ـ الكافي ٧ / ٢١، ح ٢.
٣ـ الكافي ٧ / ١٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٤.
٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٦٥.

وقع ردّه إلى العدل.[١]

«من موص». أبوبكر و الكسائي: «موَصّ» بفتح الواو و تشديد الصاد، و الباقون مخفّفاً.[٢]

«جنفاً»: أي: ميلاً عن الحقّ بالخطأ في الوصيّة. «بينهم»: بين الموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع. «غفور» للمصلح.[٣]

[١٨٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». قال الصادق عليه السلام: هذه تجمع الضلّال و المنافقين و كلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة.[٤]

«يا أيّها الذين آمنوا». عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لذّة ما في النداء، أزال تعب العبادة و العناء. «كما كتب» شبّه فرض صومنا بفرض صوم من تقدّمنا من الأمم و إن اختلف في العدد و الوقت. أو فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض على النصارى. و كان يتّفق ذلك في الحرّ الشديد أو البرد الشديد، فحوّلوه إلى الربيع و زادوا في عدده. فيكون المراد بقوله: «من قبلكم» النصارى.[٥]

قال الصادق عليه السلام: إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا. فقلت له: فقول الله: «يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية ؟ قال: إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأمّة و جعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله و على أمّته.[٦]

١ـ مجمع البيان ١ / ٤٨٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ٤٨٤، و تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٤.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٧٨.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٠.
٦ـ الفقيه ٢ / ٦١، ح ٢٦٧.

ثمّ آثرتنا به على سائر الأمم و اصطفيتنا بفضله دون أهل الملل فصمنا بأمرك نهاره.[١]

«تتّقون»؛ أي: تتّقوا المعاصي بالصوم. قال صلى الله عليه و آله: خصاء أمّتي الصوم.[٢]

[١٨٤] «أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«أيّاماً». مفعول «كتب». «معدودات»: محصورات مضبوطات أو قلائل و هي شهر رمضان.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فكان فيما سألوه أن قالوا: لأيّ شيء فرض الله الصوم على أمّتك بالنهار ثلاثين يوماً و فرض على الأمم أكثر من ذلك؟ فقال النبيّ: إنّ آدم لمّا أكل من الشجرة، بقي في بطنه ثلاثين يوماً. ففرض الله على أمّته ثلاثين يوماً الجوع و العطش. و الذي يأكلونه بفضل من رحمة الله عليهم. و كذلك كان على آدم. ففرض الله ذلك على أمّتي. فتلا رسول الله: «كتب عليكم» ـ الآية. فقال يهوديّ: صدقت يا محمّد.[٤]

«مريضاً» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله يصوم تطوّعاً و لا فريضة في السفر. يكذبون على رسول الله. نزلت هذه الآية و رسول الله بكراع الغميم عند صلاة الفجر. فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله بإناء فشرب، فأمر الناس أن يفطروا. و قال قوم: قد توجّه النهار. و لو صمنا يومنا هذا. فسمّاهم رسول الله العصاة. فلم يزالوا يسمّون بذلك الاسم حتّى قبض رسول الله.[٥]

و عن الصادق عليه السلام: هو مؤتمن مفوّض إليه. فإن وجد ضعفاً فليفطر. و إن وجد قوّة

١ـ الصحيفة الكاملة في ضمن دعائه عليه السلام في وداع شهر رمضان (دعاء ٤٥).

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٠.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩١ ـ ٤٩٢.

٤ـ الخصال / ٥٣٠، ح ٦.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٨١، ح ١٩٠.

فليصم.[١]

«أو على سفر». عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: و أمّا صوم السفر و المرض، فإنّ العامّة اختلفت فيه. فقال قوم: يصوم. و قال قوم: لايصوم. و قال قوم: إن شاء صام و إن شاء أفطر. و أمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً. فإن صام في السفر أو في حال المرض، فعليه القضاء في ذلك. لأنّ الله يقول: «فمن كان منكم مريضاً» ـ الآية.[٢]

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صام في السفر بجهالة، لم يقضه.[٣]

عن الوليد بن صبيح قال: حممت يوماً بالمدينة في شهر رمضان. فبعث إليّ أبو عبدالله بقصعة فيها خلّ و زيت و قال لي: أفطر و صلّ و أنت قاعد.[٤]

«يطيقونه»؛ أي: يطيقون الصوم، عند أكثر أهل العلم. خيّر الله المطيقين الصوم بين أن يصوموا و بين أن يفطروا و يكفّروا بإطعام مسكين عن كلّ يوم، لأنّهم كانوا لم يتعوّدوا الصوم. ثمّ نسخ ذلك بقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه». و قيل: إنّ الهاء تعود إلى الفداء. «يطيقونه». المراد إمّا التخيير كما مرّ، أو انّها رخصة كانت للحوامل و المراضع و الشيخ الفاني، ثمّ نسخ من الآية الحامل و المرضع و بقي الشيخ الكبير. أو المعنى الذين كانوا يطيقونه ثمّ صاروا بحيث لايطيقون، فلا نسخ فيه. و أمّا الفداء، فعندنا إن كان قادراً، فمدّان، و إلّا فواحد. و قوله: «فمن تطوّع»؛ أي: من أطعم أكثر من مسكين واحد. و قيل: أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفاية. و قيل: صام مع الفدية. و قوله: «خير لكم»؛ أي: صوموا خير لكم من الإفطار و الفدية. و كان هذا مع جواز الفدية. فأمّا ما بعد النسخ فلايجوز. و قيل: معناه: الصوم خير لمطيقه و أفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز.[٥]

«فدية». نافع و ابن ذكوان: «فدية طعام مساكين» بالإضافة و الجمع، و الباقون بالتنوين و رفع الميم و التوحيد ما خلا هشاماً فإنّه يجمع مساكين بغير إضافة.[٦]

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٨١، ح ١٨٨.
٢ـ الفقيه ٢ / ٤٨، ح ٢٠٨.
٣ـ الكافي ٤ / ١٢٨، ح ٢.
٤ـ الفقيه ٢ / ٨٣، ح ٣٧٠.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
٦ـ التيسير / ٦٧.

«طعام». عطف بيان لفدية.[١]

«فدية». قال: من مرض في شهر رمضان فأفطر ثمّ صحّ فلم يقض ما فاته حتّى جاء شهر رمضان آخر، فعليه أن يقضي و يتصدّق عن كلّ يوم بمدّ.[٢]

عن الصادق عليه السلام: كانوا يطيقون الصوم فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك، فعليهم بكلّ يوم مدّ.[٣]

[١٨٥] «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَ الْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ مَا هَدَاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«شهر». خبر مبتدأ محذوف.[٤]

«شهر رمضان». عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» و إنّما أنزل في عشرين سنة بين أوّله و آخره، فقال عليه السلام: نزل جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة. و أنزل القرآن في ثلاث و عشرين من شهر رمضان.[٥]

عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لاتقولوا هذا رمضان و لا ذهب رمضان. فإنّ رمضان اسم من أسماء الله، لايجيء و لايذهب و إنّما يجيء و يذهب الزائل.[٦]

عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ الناس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذبوا أعداء الله؛ ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد.[٧]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩١.
٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٦٦.
٣ـ الكافي ٤ / ١١٦، ح ٥.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٥.
٥ـ الكافي ٢ / ٦٢٨.
٦ـ الكافي ٤ / ٦٩.
٧ـ الكافي ٢ / ٦٣٠، ح ١٣.

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا و في عدوّنا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام.[١]

«القرآن». ابن‌كثير: «القران» بغير همز و الباقون بالهمز.[٢]

«هدًى» و «بيّنات» حالان من القرآن. أي: أنزل و هو هداية للناس بإعجازه و آيات واضحات [ممّا يهدي إلى الحقّ] و يفرق بينه و بين الباطل بما فيه من الحكم و الأحكام.[٣]

«فمن شهد». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ليس للعبد أن يخرج إلى سفر إذا حضره شهر رمضان؛ لقوله تعالى: «فمن شهد».[٤]

و قال الصادق عليه السلام: إلّا أن يكون له حاجة لابدّ من الخروج إليها.[٥]

قرأ أبوجعفر: «اليُسُر» و «العُسُر» بالتثقيل فيهما.[٦]

«و لتكملوا». أبوبكر مثقّلاً. و الباقون مخفّفاً.[٧]

«و لتكملوا»؛ أي: يريد بكم التسهيل و اليسر، و يريد أن تتمّوا عدّة ما أفطرتم فيه ـ و هي أيّام السفر و المرض ـ بالقضاء. إذا أقمتم و برأتم، فتصوموا بعدد أيّام الإفطار.[٨]

«و لتكبّروا». قال: التكبير التعظيم لله. و الهداية الولاية.[٩]

عن الصادق عليه السلام في حديث طويل قال فيه: و رمضان و الله لاينقص أبداً. و لايكون فريضة ناقصة. إنّ الله يقول: «و لتكملوا العدّة». و شوّال تسعة و عشرون يوماً.[١٠]

«لتكبّروا الله». عن الصادق عليه السلام: أمّا إنّ في الفطر تكبيراً ولكنّه مسنون في ليلة الفطر في المغرب و العشاء الآخرة، و في صلاة الفجر، و في صلاة العيد. يقول: الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلّا الله. و الله أكبر. الله أكبر. و لله الحمد. الله أكبر على ما هدانا. و هو قول الله: «و لتكملوا

١ـ الكافي ٢ / ٦٢٧، ح ٢.
٢ـ التيسير / ٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٥.
٤ـ الخصال / ٦١٤.
٥ـ الكافي ٤ / ١٢٦، ح ٢.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٥.
٧ـ التيسير / ٦٨.
٨ـ مجمع البيان ٢ / ٤٩٩.
٩ـ المحاسن / ١٤٢ و ١٤٩.
١٠ـ الكافي ٤ / ٧٨.

العدّة»؛ أي: الصيام «و لتكبّروا الله».(١)

«تشكرون». [الشكر] المعرفة.(٢)

[١٨٦] «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ».

«و إذا سألك». النزول: روي أنّ سائلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله: أ قريب ربّنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فنزلت.(٣)

[١٨٧] «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

«أحلّ لكم». عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله: «أحلّ لكم» فقال: نزلت في خوّات بن جبير الأنصاريّ. و كان مع النبيّ صلى الله عليه وآله في الخندق و هو صائم، فأمسى و هو على تلك الحالة. و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرّم عليه الطعام و الشراب. فجاء خوّات إلى أهله حين أمسى فقال: هل عندكم طعام؟ قالوا: [لا] لاتنم حتّى نصلح لك طعاماً. فاتّكأ فنام. فقالوا له: قد فعلت؟ قال: نعم. فبات على تلك الحالة فغدا إلى الخندق فجعل يغشى عليه. فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا رأى الذي به، أخبره. فأنزل الله هذه الآية: «و كلوا و اشربوا» ـ الآية.(٤)

١ـ الكافي ٤ / ١٦٦.

٢ـ المحاسن / ١٤٩.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٠.

٤ـ الكافي ٤ / ٩٨، ح ٤.

عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: يستحبّ للرجل أن يأتي أهله أوّل ليلة من شهر رمضان؛ لقول الله: «أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث». و الرفث المجامعة.[۱] «الرفث»: الجماع.[۲]

«تختانون»؛ أي تخونون كثيراً بالمباشرة بعد النوم. «فتاب عليكم». أي قبل توبتكم. «و ابتغوا»؛ أي: اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد. عن الحسن و أكثر المفسّرين. و هو أن يجامع الرجل أهله رجاء أن يرزقه الله ولداً يعبده. أو: اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بيّنه في كتابه. فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه. «الخيط الأبيض من الخيط الأسود». روي أنّ عديّ بن حاتم قال للنبيّصلى الله عليه وآله: إنّي وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلايتبيّن لي. فضحك رسول اللهصلى الله عليه وآله حتّى بدت نواجذه. ثمّ قال: يابن حاتم، إنّما ذلك بياض النهار و سواد اللّيل.[۳]

[أقول:] و أمّا السبب في الاشتباه على عديّ بن حاتم فهو إمّا غفلة عن البيان و إمّا قبل نزول قوله: «من الفجر» ـ كما وقع في الرواية أنّه ما نزل قوله: «من الفجر» إلّا لمّا وقع الاشتباه ـ و إمّا لأنّه ظنّ أنّ «من» هنا بمعنى في.

«و لاتباشروهنّ». عن الصادقعليه السلام: يعني النكاح في الاعتكاف.[٤]

«الخيط الأبيض». عن الصادقعليه السلام: بياض النهار من سواد اللّيل.[٥]

«إلى اللّيل». عنهعليه السلام: يعني صوم رمضان. فمن رأى الهلال بالنهار، فليتمّ صيامه.[٦]

«و لاتباشروهنّ». أراد به الجماع. عن ابن‌عبّاس. و قيل: الجماع و كلّ ما دونه من قبلة و غيرها. و هو مذهبنا. أي: لاتباشروهنّ في حال اعتكافكم في المساجد. و الاعتكاف عندنا لايصحّ إلّا في المساجد الأربعة: المسجد الحرام، و مسجد النبيّصلى الله عليه وآله، و مسجد الكوفة، و مسجد البصرة. و عند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد؛ إلّا أنّ مالكاً قال: إنّه يختصّ بالجامع. و لايصحّ الاعتكاف عندنا إلّا بصوم. و الشافعيّ جوّزه من غير صوم. «يتّقون»؛

۱ـ الخصال / ٦١٢.
۲ـ الكشّاف ۱ / ۲٤۳ و ۲۳۰.
۳ـ مجمع البيان ۲ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥.
٤ـ الخصال / ٥۳۲.
٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ۱ / ٦٧.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ٨٤.

أي: لكي يتّقوا معاصيه.[١]

«تلك»؛ أي: الأحكام التي ذكرت. «كذلك»؛ أي: مثل ذلك البيان.[٢]

[١٨٨] «وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و لاتأكلوا»؛ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب و الظلم و الوجوه التي لاتحلّ. و قيل: معناه: لاتأكلوا أموالكم باللّهو و اللّعب مثل ما يؤخذ في القمار و الملاهي. و روي عن أبي عبداللهعليه‌السلام قال: كانت قريش تقامر الرجل في أهله و ماله فنهاهم الله عن ذلك. و الأولى حمله على الجميع. «و تدلوا بها إلى الحكّام»: تلقوا بها إلى القضاة. قيل: المراد بها الودائع و ما لاتقوم عليها بيّنة، أو مال اليتيم في يد الأوصياء لأنّهم يدفعونه إلى الحكّام إذا طولبوا به ليقطعوا بعضه و تقوم لهم في الظاهر حجّة. و قيل: ما يؤخذ بشهادة الزور. و الأولى أن يحمل على الجميع. «بالباطل». عن أبي جعفرعليه‌السلام: يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال. «بالإثم»؛ أي: لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر و كان الأمر في الباطن بخلافه. «و أنتم تعلمون» أنّ ذلك الفريق من المال ليس بحقّ لكم و أنتم مبطلون. و قال أبوعبداللهعليه‌السلام: علم الله أنّه سيكون في هذه الأمّة حكّام يحكمون بخلاف الحقّ، فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم و هم يعلمون أنّهم لايحكمون بالحقّ.[٣]

و قوله: «و تدلوا» داخل في حكم النهي. أي: و لاتدلوا بها إلى الحكّام. أي: لاترشوها إليهم، أو لاتلقوا أمرها و الحكومة فيها إليهم لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأنّ المقضيّ له ظالم. و الفرق بين الوجهين: انّ الحكّام على الأوّل حكّام السوء الذين يقبلون الرشا و إذا أخذوها حكموا فيها من غير تثبّت كمضيّ الدلو في الإرسال. و على الثاني قد يكون الحاكم عادلاً ولكن يشتبه عليه

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٥. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٧.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

الحقّ.[١]

«إلى الحكّام». يعني على وجه الرشوة.[٢]

عن أبي الحسن الثانيعليه السلام قال: الحكّام قضاة الجور.[٣]

[١٨٩] «يَسْئَلُونَك عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«يسألونك عن الأهلّة». روي أنّ معاذ بن جبل و ثعلبة بن غنم الأنصاريّ قالا: يا رسول الله صلى الله عليه و آله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثمّ يزيد حتّى يمتلئ و يستوي، ثمّ لايزال ينقص حتّى يعود كما بدأ لايكون على حالة واحدة؟ فنزلت. «مواقيت»: معالم يوقّت بها الناس مزارعهم و متاجرهم و محالّ ديونهم و صومهم و فطرهم و معالم للحجّ يعرف بها وقته.[٤]

«قل هي». أجيبوا عن غير ما سألوا، لأنّ هذا هو الأولى لهم بأن يسألوا عنه لا ما سألوه لعدم فائدة.[٥]

عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أميرالمؤمنينعليه السلام فجاءه ابن الكوّاء فقال: يا أميرالمؤمنين، قول الله: «ليس البرّ بأن تأتوا البيوت» ـ الآية؟ فقالعليه السلام: نحن البيوت [التي] أمر الله أن تأتوا [من] أبوابها. نحن باب الله. فمن أقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها. و من فضّل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها. إنّ الله لو شاء عرّف الناس نفسه حتّى يعرفوه و يأتوه من بابه، ولكن جعلنا بابه الذي يؤتى منه.[٦]

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٢٢٢.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٣٣.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٨٥.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٣٤.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٢٢٣.
٦ـ الاحتجاج ١ / ٣٣٨.

و قال: البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء. و أبوابها أوصياؤهم.[١]

«و ليس البرّ». فيه وجوه. أحدها: انّه كان المحرمون لايدخلون بيوتهم من أبوابها ولكنّهم كانوا ينقبون في ظهور بيوتهم نقباً يدخلون و يخرجون منه. فنهوا عن التديّن بذلك. روي عن أبي جعفر عليه السلام. و ثانيها: انّ معناه: ليس البرّ أن تأتوا البيوت من غير جهاتها. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً. و ثالثها: قال أبوجعفر عليه السلام: آل محمّد أبواب الله. و قال صلى الله عليه و آله: أنا مدينة العلم و عليّ بابها. وجه اتّصاله بقوله: «يسألونك عن الأهلّة» أنّه لمّا بيّن سبحانه أنّ الأهلّة مواقيت للناس و الحجّ و كانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها، عطف عليها قوله: «ليس البرّ». و قيل: إنّه سبحانه لمّا بيّن أنّ أمورنا مقدّرة بأوقات، قرن به قوله: «و ليس البرّ». أي: فكما أنّ أموركم مقدّرة بأوقات، فلتكن أفعالكم جارية على الاستقامة باتّباع ما أمر الله به و الانتهاء عمّا نهى عنه. «ولكنّ البرّ من اتّقى»؛ أي: برّ من اتّقى. أو يكون البرّ بمعنى البارّ.[٢]

[١٩٠] «وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ».

«و قاتلوا في سبيل الله». روي عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: «كفّوا أيديكم»[٣] و كذلك قوله: «و اقتلوهم حيث ثقفتموهم»[٤] ناسخ لقوله: «و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع أذاهم».[٥][٦]

«الذين يقاتلونكم»؛ أي: يحاربونكم دون الكافّين عنكم. و على هذا يكون منسوخاً بقوله: «و قاتلوا المشركين كافّة».[٧] و عن الربيع أنّها أوّل آية نزلت في القتال بالمدينة،

١ـ الاحتجاج ١ / ٣٣٩.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٨ ـ ٥٠٩.
٣ـ الرعد (١٣) / ١٤.
٤ـ البقره (٢) / ١٩١.
٥ـ الأحزاب (٣٣) / ٤٨.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٠.
٧ـ التوبة (٩) / ٣٦.

فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل و يكفّ عمّن كفّ. أو: الذين يناصبونكم القتال دون الشيوخ و الصبيان و النساء. أو: الكفرة كلّهم. لأنّهم جميعاً مضادّون للمسلمين، قاصدون لمقاتلتهم و إن لم يقاتلوا. و قيل: لمّا صدّ المشركون رسول الله ﷺ عام الحديبيّة و صالحوه على أن يرجع من قابل فيخلّوا له مكّة ثلاثة أيّام، فرجع لعمرة القضاء، خاف المسلمون أن لاتفي لهم قريش و يقاتلوهم في الحرم و في الشهر الحرام و كرهوا ذلك، نزلت و أطلق لهم [قتال] الذين يقاتلونهم في الحرم. «و لاتعتدوا» بابتداء القتال، أو بقتال من نهيتم عن قتاله كالنساء و الصبيان، أو بالمفاجاة من غير دعوة.(١)

[١٩١] «وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ».

«و اقتلوهم». نزلت في رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفّار في الشهر الحرام فعابوا بذلك المؤمنين. فبيّن سبحانه أنّ الفتنة في الدين ـ و هو الشرك ـ أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام و إن كان غير جائز. «و أخرجوهم» من مكّة كما أخرجوكم منها.(٢)

«ثقفتموهم» في حلّ أو حرم. «و الفتنة»؛ أي: المحنة التي تفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن، أصعب من القتل، لدوام تعبها و تألّم النفس بها. «فاقتلوهم». هم الذين هتكوا حرمة الحرم. «جزاء». يفعل بهم مثل ما فعلوا. «لله»؛ أي خالصاً لله ليس للشيطان فيه نصيب.(٣)

«ثقفتموهم»؛ أي: وجدتموهم.(٤)

«و لاتقاتلوهم». نهي عن ابتدائهم بقتال في الحرم. قرأ حمزة و الكسائيّ:

١ـ الكشّاف ١ / ٢٣٥.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٨ ـ ١٠٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٣٦.

«و لاتقتلوهم»، «حتّى يقتلوكم»، «فإن قتلوكم»، كلّه بغير ألف.[١]

[١٩٢ ـ ١٩٣] «فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ».

«انتهوا» عن الكفر بالتوبة.[٢] و في الآية دلالة على وجوب إخراج الكفّار من مكّة؛ لقوله تعالى: «حتّى لاتكون فتنة». و السنّة وردت بذلك أيضاً. و هو قولهﷺ: لايجتمع في جزيزة العرب دينان.[٣]

«فتنة»؛ أي: شرك. «انتهوا» عن الشرك.[٤]

«فلا عدوان». عن الحسن البيّاع الهرويّ يرفعه إلى أحدهماعليهما السلام في قوله: «فلا عدوان إلّا على الظالمين» قال: إلّا على ذرّيّة قتلة الحسينعليه السلام.[٥]

عن إبراهيم قال: أخبرني من رواه عن أحدهماعليهما السلام في قوله: «فلا عدوان إلّا على الظالمين» قال: لايعتدي الله على أحد إلّا على نسل ولد قتلة الحسينعليه السلام.[٦]

[١٩٤] «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ».

إنّما سمّي الشهر الحرام لأنّه يحرم فيه ما يحلّ في غيره من القتال و نحوه. و المراد به هاهنا ذوالقعدة و هو شهر الصدّ عام الحديبيّة. و الأشهر الحرم أربعة، ثلاثة سرد، ذوالقعدة و ذوالحجّة و المحرّم، و واحد فرد و هو رجب. كانوا يحرّمون فيها القتال، حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه، لم يتعرّض له بسوء. و إنّما قيل ذوالقعدة، لقعودهم فيه عن القتال. و تقديره: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام، فحذف المضاف. و قيل: إنّه الشهر الحرام

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٠ ـ ٥١١.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٢.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥١١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٠٩.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٨٦.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ /٨٧.

على جهة العوض لما فات في السنة الأولى. و تقديره: الشهر الحرام ذوالقعدة الذي دخلتم فيه مكّة و اعتمرتم و قضيتم منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذيالقعدة الذي صددتم فيه عن البيت و منعتم عن مرادكم في سنة ستّ. «و الحرمات قصاص». يعني أنّ الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام. قال مجاهد: لأنّ قريشاً فخرت بردّ رسول الله ﷺ عام الحديبيّة محرماً في ذيالقعدة عن البلد الحرام، فأدخله الله مكّة في العام المقبل في ذيالقعدة فقضى عمرته و أقصّه بما حيل بينه و بينه. و روي عن أبي جعفر عليه السلام مثله. [أو انّ الحرمات] قصاص بالقتال في أشهر الحرم. أي لايجوز للمسلمين القتال في أشهر الحرم إلّا قصاصاً. و إنّما جمع الحرمات لأنّه أراد حرمة الشهر و حرمة البلد و حرمة الإحرام. و قيل: لأنّ كلّ حرمة تستحلّ فلايجوز إلّا على وجه [المجازاة]. «فاعتدوا»؛ أي: جازوه باعتدائه. «مع المتّقين» بنصرهم على عدوّهم.(١)

[١٩٥] «وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

«و أنفقوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله، ما كان أحسن؛ لقوله سبحانه: «و لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا إنّ الله يحبّ المحسنين»؛ يعني: المقتصدين. و أمّا قول الناس: إنّ الحسين عليه السلام قاتل وحده و لم يصالح كما صالح رسول الله ﷺ المشركين و أميرالمؤمنين عليه السلام البغاة، فالجواب: انّ فعله عليه السلام يحتمل وجهين. أحدهما: انّه ظنّ أنّهم لايقتلونه لمكانه من رسول الله ﷺ. و الآخر: انّه غلب على ظنّه أنّه لو ترك قتالهم، قتله الملعون ابن زياد صبراً، كما فعل بابن عمّه مسلم بن عقيل رضي الله عنه، فكان القتل مع عزّ النفس و الجهاد أهون عليه.(٢)

أقول: روي هذا المضمون عنه عليه السلام لمّا قال له الأحبّاء بترك سفر العراق من قوله عليه السلام:

١ـ مجمع البيان ١ / ٥١٣ ـ ٥١٤.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٦.

لو كنت في جحر لأخرجوني و قتلوني.[١] فمن أراد تحقيق الجواب، فليراجع إلى رياض الأبرار من مؤلّفات المصنّف رحمة الله عليه. (حسن الموسويّ)

«التهلكة». قيل: مصدر بمعنى الهلاك. و ليس في كلام العرب مصدر على تفعُلة ـ بضمّ العين ـ إلّا هذا.[٢]

«و أنفقوا في سبيل الله». شامل لكلّ إنفاق في طريق الله حتّى بذل النفس في الجهاد.[٣]

«بأيديكم». الباء مزيدة. مثلها في أعطى بيده، للمنقاد. و المعنى: لاتجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم مالكة لها. و قيل: «بأيديكم»: بأنفسكم. و قيل: تقديره: و لاتلقوا بأيديكم أنفسكم. كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبّب لهلاكها. و المعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله ـ لأنّه سبب الهلاك ـ أو عن الإسراف في النفقة حتّى يفقر نفسه و يضيع عياله، أو عن الإخطار بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدوّ. و روي: انّ رجلاً من المهاجرين حمل على صفّ العدوّ فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيّوب الأنصاريّ: نحن أعلم بهذه الآية و إنّما نزلت فينا. صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فنصرناه. فلمّا فشا الإسلام و وضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهالينا و أموالنا نصلحها و نقيم فيها. فكانت التهلكة الإقامة في الأهل و المال و ترك الجهاد. التهلكة: مصدر بمعنى الهلاك. و يجوز أن يقال: أصلها التهلكة ـ كالتجربة ـ على أنّها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمّة.[٤]

[١٩٦] «وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

١ـ انظر: بحار الأنوار ٤٥ / ٩٩.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٥.
٣ـ التبيان ٢ / ١٥١.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

«و أتمّوا الحجّ و العمرة». عن الصادق عليه السلام: تمامهما اجتناب الرفث و الفسوق و الجدال في الحجّ.[١]

عن الصادق عليه السلام: يعني بتمامهما أداءهما و اتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما.[٢]

و قال عليه السلام: تمام الحجّ لقاء الإمام[٣] و حفظ المرء لسانه إلّا من خير.[٤]

«لله». أي: اقصدوا بهما التقرّب إلى الله. و العمرة واجبة عندنا مثل الحجّ. و قال أهل العراق: إنّها مسنونة. «أحصرتم»؛ أي: منعكم عدوّ أو مرض فامتنعتم لذلك، فاهدوا ما تيسّر من الهدي إن أردتم الإحلال. و أمّا محلّ الهدي فقيل: هو الحرم. فإذا ذبح يوم النحر أحلّ. و قيل: هو المحلّ الذي يصدّ فيه. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نحر هديه بالحديبيّة، و هي ليست من الحرم. و أمّا على مذهبنا، فالأوّل حكم المحصر بالمرض و الثاني حكم المحصور بالعدوّ. و إن كان الإحرام بالحجّ، فمحلّه منى يوم النحر. و إن كان بالعمرة، فمحلّه مكّة.[٥]

عن الصادق عليه السلام في حديث يصف فيه حجّة الوداع إلى أن قال: فلمّا طاف بالبيت و بالصفا و المروة، أمره جبرئيل أن يجعلها عمرة إلّا من كان معه هدي فهو محبوس على هديه؛ لقوله: «حتّى يبلغ الهدي محلّه». فجمعت له العمرة و الحجّ. و كان خرج على خروج العرب الأوّل. لأنّ العرب كانت لاتعرف إلّا الحجّ و كانوا لايرون العمرة في أشهر الحجّ. فشقّ على أصحابه حين قال: اجعلوها عمرة.[٦]

«فما استيسر من الهدي»؛ أي: فعليه ما استيسر من جزور أو بقرة أو شاة. و أيسرها الشاة. و هو المرويّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام. «مريضاً» يحتاج معه إلى حلق رأسه. «أو به أذًى». نزلت في كعب بن عجرة و أنّه قد قمّل رأسه. «ففدية». المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ

١ـ الخصال / ٦٠٦، ح ٩.
٢ـ الكافي ٤ / ٢٦٤، ح ١.
٣ـ الكافي ٤ / ٥٤٩، ح ٢.
٤ـ الكافي ٤ / ٣٣٧، ح ٣.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٨ ـ ٥١٩.
٦ـ علل الشرائع ٢ / ٤١٤.

الصيام ثلاثة أيّام و الصدقة على ستّة مساكين ـ و روي عشرة ـ و النسك شاة.[١]

«فمن تمتّع»؛ أي: استمتع. و استمتاعه بالعمرة إلى وقت الحجّ، انتفاعه بالتقرّب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقرّبه بالحجّ. و قيل: إذا أحلّ من عمرته، انتفع باستباحة ما كان محـرّماً عليه إلى أن يحرم بالحجّ. فإن قلت: ما فائدة الفذلكة؟ قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك: جالس الحسن و ابن‌سيرين. ففذلكت نفياً لتوهّم الإباحة. و أيضاً ففائدة الفذلكة في كلّ حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به من جهتين فيتأكّد العلم. و في أمثال العرب: علمان خير من علم. و كذلك «كاملة» تأكيد آخر. و قيل: كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي.[٢] و هذا هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.[٣]

في القاموس: فذلك حسابه: أنهاه و فرغ منه. مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا و كذا.

«ذلك»؛ أي: ما تقدّم ذكره من التمتّع [بالعمرة] إلى الحجّ، ليس لأهل مكّة و من يجري مجراهم و إنّما هو لمن لم‌يكن حاضري مكّة و هو من يكون بينه و بينها أكثر من اثني عشر ميلاً من كلّ جانب.[٤]

«و اتّقوا الله» في المحافظة على أوامره و نواهيه. «شديد العقاب» لمن لم‌يتّقه.[٥]

[١٩٧] «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَ لَا فُسُوقَ وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ وَ اتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ».

«الحجّ»؛ أي: أشهر الحجّ «أشهر معلومات»: موقّتة لايجوز فيها التقديم و التأخير ـ

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٤١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١١.

كالنسيء المذكور في قوله: «إنّما النسيء زيادة في الكفر»[۱] و هي شوّال و ذوالقعدة و ذوالحجّة. لأنّه لايصحّ الإحرام للحجّ أو عمرة التمتّع إلّا فيها. و من قال إنّ الثلاثة كلّها أشهر الحجّ، فباعتبار أنّه يصحّ أن يقع فيها بعض أفعال الحجّ مثل صوم أيّام الثلاثة و ذبح الهدي. «فمن فرض فيهنّ الحجّ»؛ أي: فمن أحرم فيهنّ بالحجّ أو عمرة التمتّع. «فلا رفث»؛ أي: الجماع أو المعاهدة له. «و لا فسوق». روى أصحابنا أنّه الكذب. و قيل: هو التنابز بالألقاب. و قيل: هو السباب. و قيل: كلّ محرّم. أشهر الحجّ عندنا شوّال و ذوالقعدة و عشر ذي‌الحجّة، على ما يروى عن أبي‌جعفر عليه السلام. و قيل: هي شوّال و ذوالقعدة و ذوالحجّة. عن عطا و الربيع و طاووس. و روي ذلك في أخبارنا.[۲]

«معلومات». عن الباقر عليه السلام: شوّال و ذوالقعدة و ذوالحجّة. و فرض الحجّ التلبية و الإشعار و التقليد. فأيّ ذلك فعل، فقد فرض الحجّ. و لايفرض إلّا في هذه الشهور.[۳]

«فلا رفث». عن الصادق عليه السلام: الرفث الجماع. و الفسوق الكذب. و الجدال قول الرجل: لا و الله. و إذا حلف الرجل ثلاثة أيمان متتابعة صادقاً، فقد جادل و عليه دم. و إذا حلف بيمين واحدة كاذبة، فقد جادل و عليه دم شاة.[٤] و قال: في الجدال شاة. و في السباب و الفسوق بقرة. و الرفث فساد الحجّ.[٥]

ابن‌كثير و أبوعمرو: «فلا رفث و لا فسوق» بالرفع و التنوين. و الباقون بالنصب من غير تنوين. و لا خلاف في قوله: «و لا جدال».[٦]

«و ما تفعلوا من خير» بأن تفعلوا مكان الثلاثة أضدادها. «و تزوّدوا»؛ أي: اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتّقاء القبائح. لأنّه خير الزاد. و قيل: كان أهل اليمن لايتزوّدون و يقولون: نحن متوكّلون، و نحن نحجّ بيت الله. أفلايطعمنا؟ فيكونون كلّاً على الناس. و معناه: اتّقوا

۱ـ التوبة (۹) / ۳۷.
۲ـ مجمع البيان ۲ / ۵۲۳ ـ ۵۲٤.
۳ـ الكافي ٤ / ۲۸۹، ح ۲.
٤ـ الكافي ٤ / ۳۳۷، ح ۳.
۵ـ الكافي ٤ / ۳۳۹، ح ٦.
٦ـ التيسير / ٦۸.

التثقيل على الناس.[١]

[١٩٨] «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ».

«أن تبتغوا فضلاً». قيل: كانوا يتأثّمون بالتجارة في الحجّ. فرفع سبحانه بهذه اللّفظة الإثم عمّن يتّجر في الحجّ. عن ابن‌عبّاس. و [هو] المرويّ عن أئمّتناعليهم السلام. و قيل: لا جناح عليكم أن تطلبوا المغفرة من ربّكم. رواه جابر عن أبي جعفرعليه السلام.[٢]

«أفضتم»: دفعتم بكثرة. و هو من إفاضة الماء و هو صبّه بكثرة. و أصله: أفضتم أنفسكم، فحذف المفعول.[٣]

«عرفات». سمّيت عرفات لأنّ إبراهيم‌عليه السلام عرفها بما تقدّم له من النعت لها و الوصف. و روي [ذلك] عن أميرالمؤمنين‌عليه السلام. [و قيل:] لأنّ آدم و حوّاء اجتمعا فيها فتعارفا. و قد رواه أصحابنا أيضاً.[٤]

و عن الصادق‌عليه السلام: انّ جبرئيل خرج بإبراهيم يوم عرفة. فلمّا زالت الشمس، قال له جبرئيل: يا إبراهيم، اعترف بذنبك و اعرف مناسكك. فسمّيت عرفات لقول جبرئيل: اعرف، و اعترف.[٥]

«عرفات»: اسم لمواضع جرت مجرى موضع لاتّصال بعضها ببعض. و إنّما صرفت، و إن كان فيها سببان: التعريف و التأنيث، لأنّها على حكاية الجمع. فالتنوين فيها بإزاء النون في مسلمون.[٦]

«عرفات». سمّي به كأذرعات. و إنّما نوّن و كسر و فيه العلميّة و التأنيث، لأنّ تنوين

١ـ الكشّاف ١ / ٢٤٤.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٧.

٣ـ الكشّاف ١ / ٢٤٥.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦.

٥ـ علل الشرائع ٢ / ٤٣٦.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٦.

الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكّن ولذلك يجمع مع اللّام و ذهاب الكسرة مع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وليس هنا كذلك، أو لأنّ التأنيث إمّا أن يكون بالتاء المذكورة و هي ليست تاء تأنيث و إنّما هي مع الألف قبلها علامة جمع المؤنّث، أو بتاء مقدّرة ـ كما في سعاد ـ و لايصحّ تقديرها، لأنّ المذكورة تمنعه من حيث إنّها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنّث كتاء بنت. «المشعر». سمّيت المزدلفة مشعراً، لأنّه معلم للحجّ و الحرام لحرمته.(١)

[١٩٩] «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«ثمّ أفيضوا». ما معنى الترتيب هاهنا؟ و قد روى أصحابنا في جوابه أنّ هاهنا تقديماً و تأخيراً و تقديره: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله.(٢)

«ثمّ أفيضوا». إن كان المراد الإفاضة من عرفات، تكون ثمّ للتفاوت بين الإفاضتين و أنّ الإفاضة المأمور بها صواب و الأخرى خطأ. كما تقول: أحسن إلى الناس، ثمّ لاتحسن إلى غير كريم. تأتي بثمّ لتفاوت ما بين الإحسان إلى كريم و الإحسان إلى غيره. فلايلزم عطف الشيء على نفسه و صيرورة المعنى: فإذا أفضتم من عرفات [فأفيضوا من عرفات]. و القول الثاني: المراد الإفاضة من المزدلفة إلى منى [يوم النحر] قبل طلوع الشمس. و العرب كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس.(٣)

«من حيث أفاض الناس». عن الصادق عليه السلام: انّ المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشمس، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وآله و أفاض بعد غروب الشمس. و قال عليه السلام إذا غربت الشمس، فأفض مع الناس و عليك السكينة و الوقار و أفض بالاستغفار. فإنّ الله قال: «ثمّ أفيضوا».(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١٢.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٨.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
٤ـ الكافي ٤ / ٢٤٧.

عن الحسين عليه السلام قال: نحن الناس. يعني رسول الله و أهل بيته عليهم السلام.(١)

و عن الصادق عليه السلام قال: إنّ أهل الحرم كانوا يقفون على المشعر الحرام و يقف النـاس بعرفة و لايفيضون حتّى يطّلع عليهم أهل عرفة. فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة و أن يفيضوا منه.(٢)

و قال عليه السلام في حديث آخر: «من حيث أفاض الناس». يعني إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام.(٣)

و عن الباقر عليه السلام: «الناس» يعني أهل اليمن.(٤)

[٢٠٠ـ ٢٠١] «فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّـنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّـنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ».

روي عن أبي جعفر عليه السلام: انّهم كانوا إذا فرغوا من الحجّ يجتمعون هناك و يعدّون مفاخر آبائهم و يذكرون آباءهم القديمة، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع «أو أشدّ ذكراً»؛ أي: يزيدوا على ذلك بأن يذكروا أنعم الله. لأنّ نعم الله عليهم أعظم من آبائهم. «أو أشدّ ذكراً» في موضع جرّ، ولكنّه لاينصرف. لأنّه على وزن الفعل و هو صفة. و يجوز أن يكون منصوباً على المصدر على: و اذكروه أشدّ ذكراً.(٥)

«كذكركم». قال: كانت العرب إذا وقفوا بالمشعر يتفاخرون بآبائهم فيقولون: لا و أبيك، و لا و أبي. فأمرهم الله تعالى أن يقولوا: لا و الله، بلى و الله.(٦)

«فمن الناس». معناه: أكثروا ذكر الله و دعاءه. فإنّ الناس من بين مقلّ لايطلب بذكر الله إلّا أغراض الدنيا و مكثر يطلب خير الدارين. «في الدنيا»: اجعل إعطاءنا في الدنيا خالصة. «و ما له في الآخرة من خلاق»؛ أي: من طلب خلاق؛ و هو النصيب. أو: ما لهذا الداعي في

١ـ الكافي ٨ / ٢٤٤، ح ٣٣٩.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٩٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٩٨.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٩٨.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٥٢٩.
٦ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٧٠.

الآخرة من نصيب. لأنّ همّته مقصورة على الدنيا. و الحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحّة و الكفاف و التوفيق و الخير، و طلبتهم في الآخرة من الثواب. و عن عليّ عليه السلام: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة و في الآخرة الحوراء. و عذاب النار امرأة السوء.[١]

عن الصادق عليه السلام: الحسنة رضوان الله و الجنّة في الآخرة، و السعة في الرزق و المعاش و حسن الخلق في الدنيا.[٢]

و روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من أوتي قلباً شاكراً و لساناً ذاكراً و زوجة مؤمنة تعينه في أمر دنياه و آخرته، فقد أوتي في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و وقي عذاب النار.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن رجل من أصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إنّه صار في البلاء كهيئة الفرخ لا ريش عليه. فأتاه صلى الله عليه وآله فإذا هو كهيئة الفرخ لا ريش عليه من شدّة البلاء. فقال له: قد [كنت] تدعو في صحّتك دعاء؟ قال: نعم؛ كنت أقول: يا ربّ، أيّما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة، فعجّلها لي في الدنيا. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ألاقلت: اللّهمّ آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار. فقال. فكأنّما نشط من عقال و قام صحيحاً و خرج معنا.[٤]

«عذاب النار». عن الصادق عليه السلام: إنّ ملكاً يقول: آمين.[٥]

[٢٠٢] «أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«نصيب»؛ أي: حظّ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه. «و الله سريع الحساب». ورد في الخبر أنّه سبحانه يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر.[٦]

[٢٠٣] «وَ اذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقىٰ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

١ـ الكشّاف ١ / ٢٤٨.
٢ـ معاني الأخبار / ١٧٤.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٠.
٤ـ الاحتجاج ١ / ٣٣٢.
٥ـ الكافي ٤ / ٤٠٨.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٠ ـ ٥٣١.

«معدودات». عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «و اذكروا الله في أيّام معدودات» قال: هي أيّام التشريق كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم: كان أبي يفعل كذا و كذا. فقال الله: «فإذا أفضتم من عرفات» «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً». قال: و التكبير: الله أكبر. الله أكبر [لا إله إلّا الله و] الله أكبر. الله أكبر. و لله الحمد. الله أكبر على ما هدانا. الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.(١)

«أيّام معدودات»: أيّام التشريق. و هو التكبير من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى يوم الثالث بعد صلاة الفجر. و في الأمصار عشر صلوات. عن الصادق عليه السلام.(٢)

«فمن تعجّل في يومين». قيل: إنّ أهل الجاهليّة كانوا فريقين؛ منهم من جعل المتعجّل آثماً، و منهم من جعل المتأخّر آثماً. فورد القرآن بنفي المأثم [عنهما].(٣)

«فلا إثم عليه». لأنّ سيّئاته، صارت مكفّرة بالحجّ. أو: لا إثم عليه في التعجيل و التأخير. «لمن اتّقى». متعلّق بالتعجيل. و تقديره: فمن تعجّل في يومين، فلا إثم عليه لمن اتّقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير و ما بقي من إحرامه. و من لم يتّقها، فلا يجوز النفر في الأوّل. أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: ذلك.(٤)

«لمن اتّقى». عن الصادق عليه السلام: لمن اتّقى الكبر؛ و أعظمه جهل الحقّ و الطعن على أهله.(٥)

«لمن اتّقى». عن الصادق عليه السلام: لمن [اتّقى] الصيد.(٦)

و في رواية ابن محبوب عن الباقر عليه السلام: لمن اتّقى الرفث و الفسوق و الجدال و ما حرّمه الله عليه في إحرامه.(٧)

و عنه عليه السلام: من مات من الحاجّ المؤمنين قبل أن يمضي، فلا إثم عليه. و من تأخّر [فلا إثم] عليه لمن اتّقى الكبائر.(٨)

١ـ الكافي ٤ / ٥١٦، ح ٣.

٢ـ الكافي ٤ / ٥١٦.

٣ـ الكشّاف ١ / ٢٥٠.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٢ و ٥٣١.

٥ـ الكافي ٤ / ٢٥٢.

٦ـ التهذيب ٥ / ٤٩٠.

٧ـ الفقيه ٢ / ٢٨٨.

٨ـ الكافي ٤ / ٥٢١.

و عنه عليه السلام: أمّا اليوم الثاني، فلاتنفر حتّى تزول الشمس. و أمّا اليوم الثالث، فإذا ابيضّت الشمس فانفر على بركة الله.(١)

[٢٠٤] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهِدُ اللهَ عَلىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ».

«و من الناس». عن أبي الحسن عليه السلام: فلان و فلان.(٢)

«و من الناس». قال ابن‌عبّاس: نزلت الآيات الثلاث في المرائي؛ لأنّه يظهر خلاف ما يبطن. «و يشهد الله على ما في قلبه»؛ أي: يحلف بالله و يشهده على أنّه مضمر ما يقوله فيقول: اللّهمّ اشهد عليّ، و ضميره على خلافه. «و هو ألدّ الخصام»؛ أي: أشدّ الخصمين خصومة. أو: شديد الخصومة.(٣)

«و من الناس». و هو الأخنس بن شريق. كان رجلاً حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله عليه و آله ألان له القول و ادّعى أنّه يحبّه و أنّه مسلم و قال: يعلم الله أنّي صادق. و قيل: هو عامّ في المنافقين كانت تحلولى ألسنتهم و قلوبهم أمرّ من الصبر. فإن قلت: بم يتعلّق قوله: «في الحياة الدنيا»؟ قلت: بالقول. أي: يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا. لأنّ ادّعاءه المحبّة بالباطل يطلب به حظوظ الدنيا و لايريد به الآخرة كما يراد بالإيمان الحقيقيّ و المحبّة الصادقة للرسول. فكلامه إذن في الدنيا لا في الآخرة. و يجوز أن يتعلّق بيعجبك. أي: قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك و لايعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة و اللّكنة، أو لأنّه لايؤذن له في الكلام فلايتكلّم حتّى يعجبك قوله. «و يشهد الله على ما في قلبه»؛ أي: يحلف و يقول: الله شاهد على ما في قلبي من محبّتك و من الإسلام. «و هو ألدّ الخصام»: شديد العداوة للمسلمين. و قيل: كان بينه و بين ثقيف خصومة فبيّتهم ليلاً و أهلك مواشيهم و أحرق زروعهم.(٤)

١ـ الكافي ٤ / ٥١٩.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٠٠.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٤.

٤ـ الكشّاف ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١.

[٢٠٥] «وَ إِذَا تَوَلَّى سَعىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ».

«و إذا تولّى سعى في الأرض». أي: إذا ذهب بعد إلانته القول و إحلاء المنطق، سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف. و قيل: يظهر الظلم إذا صار والياً حتّى يمنع الله بشؤمة ظلمه القطر فيهلك الحرث و النسل.(١)

«يهلك» بظلمه و سوء سيرته.(٢)

«و إذا تولّى»؛ أي: أعرض. أو: ملك الأمر و صار والياً. «الحرث و النسل». ذكر الأزهريّ أنّ الحرث النساء و النسل الأولاد لقوله تعالى: «نساؤكم حرث لكم»(٣).(٤)

قال: الحرث في هذا الموضع الدين، و النسل الناس. و نزلت في الثاني، و يقال في معاوية.(٥)

[٢٠٦] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ».

«أخذته»؛ أي: حملته العزّة التي فيه و حميّة الجاهليّة على الإثم الذي ينهى عنه و ألزمته ارتكابه لجاجاً. أو حملته العزّة على [ردّ] قول الواعظ.(٦)

«أخذته»؛ أي: حملته. «المهاد»: القرار.(٧)

[٢٠٧] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ».

«و من الناس». عن أنس بن مالك قال: لمّا توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله و معه أبوبكر إلى الغار، أمر النبيّ عليّاً عليه السلام أن ينام على فراشه و يتغشّى ببرده. فبات عليّ عليه السلام موطّناً نفسه على

١ـ الكشّاف ١ / ٢٥١.

٢ـ الكافي ٨ / ٢٨٩، ح ٤٣٥، عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣ـ البقرة (٢) / ٢٢٣.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٤.

٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٧١.

٦ـ الكشّاف ١ / ٢٥١.

٧ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

القتل. و جاءت رجال قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله. فلمّا أرادوا أن يضعوا عليه سيوفهم لايشكّون أنّه محمّد، فقالوا: أيقظوه ليذوق ألم القتل و يرى السيوف تأخذه. فلمّا أيقظوه فرأوا عليّاً، تركوه و تفرّقوا في طلب رسول الله. فأنزل الله: «و من الناس من يشري» ـ الآية.(١) و ذاك أميرالمؤمنين. و معنى «يشري» يبذل.(٢)

«و من الناس». روي أنّه لمّا نام عليّ عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله. قام جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه و جبرئيل ينادي: بخّ بخّ من مثلك يابن أبي‌طالب! يباهي الله بك الملائكة. و روي عن عليّ عليه السلام أنّ المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.(٣)

عن الرضا عليه السلام: من حجّ بثلاثة نفر من المؤمنين، فقد اشترى نفسه من الله بالثمن و لم يسأله من أين كسب ماله من حرام أو حلال.(٤)

[٢٠٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «ادخلوا في السلم كافّة». قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلت: أنت أعلم. قال: ولاية عليّ عليه السلام و الأئمّة الأوصياء من بعده عليهم السلام. قال: و «خطوات الشيطان» ـ و الله ـ ولاية فلان و فلان.(٥)

«السلم». الحرميّان و الكسائيّ بفتح السين، و الباقون بكسرها.(٦)

«في السلم». هو الاستسلام و الطاعة. أي: استسلموا لله و أطيعوه. «كافّة» لايخرج أحد منكم يده عن طاعته. و قيل: هو الإسلام. و الخطاب لأهل الكتاب لأنّهم آمنوا بنبيّهم و كتابهم، أو للمنافقين لأنّهم آمنوا بألسنتهم. و يجوز أن يكون كافّة حالاً من السلم، على أنّ

١ـ أمالي الشيخ ٢ / ٦١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٧١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٣٥.
٤ـ الخصال / ١١٨.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٠٢، ح ٢٩٤.
٦ـ التيسير / ٦٨.

المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلّها أو في شعب الإسلام و شرائعه كلّها و أن لايخلّوا بشيء منها. و عن عبدالله بن سلام أنّه استأذن رسول الله ﷺ أن يقيم على السبت و أن يقرأ من التوراة في صلاته من اللّيل. و كافّة من الكفّ. كأنّهم كفّوا أن يخرج منهم [أحد] باجتماعهم.(١)

«خطوات». عن الصادق عليه السلام: أي: [إذا] حلف [الرجل] على شيء، و الذي حلف عليه إتيانه خير من تركه، فليأت الذي هو خير و لا كفّارة عليه. لأنّ ذلك من خطوات الشيطان.(٢)

و قال عليه السلام في امرأة جعلت مالها هدياً و كلّ مملوك لها حرّاً إن كلّمت أختها أبداً. قال: كلّميها و ليس هذا بشيء. [إنّما هذا] و شبهه خطوات الشيطان.(٣)

[٢٠٩] «فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«فإن زللتم»؛ أي: عدلتم عن الدخول في الطريق المستقيم؛ و هو الدخول في السلم. «البيّنات»؛ أي: الحجج على أنّ ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحقّ. «عزيز» ينتقم منكم.(٤)

[٢١٠] «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

عن الرضا عليه السلام قال: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام». هكذا نزلت.(٥)

«هل ينظرون»؛ أي: ينتظرون. «في ظلل». يعني يوم القيامة. «و الملائكة». قرأ أبوجعفر بالجرّ عطفاً على الغمام. أي: ظلل من الملائكة و جماعة منهم. «و قضي الأمر»؛ أي: فرغ من

١ـ الكشّاف ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
٢ـ الكافي ٧ / ٤٤٣.
٣ـ الفقيه ٣ / ٣٦٠.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٥٣.
٥ـ عيون الأخبار ١ / ١٢٦.

الأمر؛ و هو المحاسبة في إنزال أهل الجنّة في الجنّة و أهل النار في النار. و هذا في الآخرة. و قيل: معناه: وجب عذاب الاستئصال. و هذا في الدنيا.[۱]

«يأتيهم». عن أبي جعفر عليه السلام قال: ينزل في سبع قباب من نور لايعلم في أيّها هو، حين ينزل في ظهر الكوفة. فهذا حين ينزل.[۲] و أمّا «قضي الأمر» فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر.[۳]

«يأتيهم الله»؛ أي: أمره و بأسه. كقوله: «أو يأتي أمر ربّك».[٤] و يجوز أن يكون المأتيّ به محذوفاً بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته، للدلالة عليه بقوله: «فإنّ الله عزيز حكيم». «في ظلل»: جمع ظلّة؛ و هي ما أظلّك. فإن قلت: لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأنّ الغمام مظنّة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب، كان الأمر أفظع و أهول. [لأنّ الشرّ إذا جاء من حيث لايحتسب كان أغمّ، فكيف إذا جاء الشرّ من حيث يحتسب الخير.] و من ثمّ اشتدّ على المتفكّرين في كتاب الله قوله: «و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون».[٥][٦]

«ترجع الأمور». ابن‌عامر و الكسائيّ و حمزة بفتح التاء، و الباقون بضمّها.[۷]

[۲۱۱] «سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«سل». أمر للرسول أو لكلّ أحد. و هذا السؤال سؤال تقريع. «و من يبدّل نعمة الله». و هي آياته. و هي أجلّ نعمة من الله. لأنّها أسباب الهدى و النجاة من الضلالة. و تبديلهم إيّاها أنّ الله أظهرها ليكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم. كقوله: «فزادتهم رجساً إلى رجسهم».[۸] أو حرّفوا آيات الكتب الدالّة على دين محمّد. و كم يجوز أن يكون

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۵۳۸ ـ ۵۳۹.
۲ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۱۰۳، ح ۳۰۱.
۳ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۱۰۳، ح ۳۰۳.
٤ـ النحل (۱٦) / ۳۳.
۵ـ الزمر (۳۹) / ٤۷.
٦ـ الكشّاف ۱ / ۲۵۳ ـ ۲۵٤.
۷ـ مجمع البيان ۲ / ۵۳۸.
۸ـ التوبة (۹) / ۱۲۵.

استفهاميّة و خبريّة. و معنى الاستفهام فيه التقرير. «من بعد ما جاءته»؛ أي: بعد ما تمكّن من معرفتها أو عرفها. كقوله: «ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه»[١].[٢]

كان الصادقعليه السلام يقرأ: «من آية بيّنة فمنهم من آمن و منهم من جحد و منهم من أقرّ و منهم من بدّل و من يبدّل» ـ الآية.[٣]

[٢١٢] «زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«زيّن للّذين». فإنّ الإنسان إنّما يكلّف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه أو يزجر عن شيء تتوّق نفسه إليه. و هذا معنى قول النبيّصلى الله عليه و آله: حفّت بالمكارة الجنّة. و حفّت النار بالشهوة. «الدنيا». صفة الحياة. و من قال إنّ الله زيّن الحياة، فباعتبار أنّه خلق الأشياء المعجبة المحبوبة و خلق فيهم الشهوة. «يسخرون من الذين». نزلت في أبي‌جهل و غيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا و كانوا يسخرون من قوم من المؤمنين فقراء و يقولون: لو كان محمّدصلى الله عليه و آله نبيّاً، لاتّبعه أشرافنا. «بغير حساب»؛ أي: لايدخله الحساب من كثرته.[٤]

«زيّن للّذين كفروا الحياة الدنيا». قال المعتزلة: الفاعل هم غواة الجنّ و الإنس؛ قبّحوا أمر الآخرة في أعين الكفّار و أوهموهم أن لا صحّة لها فلاتنغصّوا عيشكم في الدنيا. و قال أبومسلم: الكفّار زيّنوا لأنفسهم. كقوله: «أنّى يؤفكون»[٥].[٦]

«للّذين». المزيّن الشيطان؛ زيّن لهم الدنيا و حسّنها في أعينهم فلايريدون غيرها. و يجوز أن يكون الله قد زيّنها بأن خذلهم حتّى استحسنوها و أحبّوها. «و يسخرون». كان الكفّار يسخرون من المؤمنين الذين لا حظّ لهم من الدنيا كابن مسعود و عمّار. «و الذين اتّقوا فوقهم يوم القيامة». لأنّهم في علّيّين من السماء و هم في سجّين من الأرض، أو هم

١ـ البقرة (٢) / ٧٥.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٥٤.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٩٠، ح ٤٤٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٤٠ ـ ٥٤١.
٥ـ المائدة (٥) / ٧٥.
٦ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا و يرون الفضل عليهم. «فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون».(١) «بغير حساب»: بغير تقدير. يعني أنّه يوسّع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسّع على قارون و غيره. فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة و هي استدراجكم بالنعمة. و لو كانت كرامة، لكان أولياؤه المؤمنون أحقّ بها منكم.(٢)

[٢١٣] «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«كان الناس». قال: قبل نوح عليه السلام على مذهب واحد فاختلفوا.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام «كان الناس أمّة واحدة» قال: كان ذلك قبل نوح عليه السلام. قيل: فعلى هدًى كانوا أم ضلال؟ [قال: بلى كانوا ضلّالاً.] و ذلك أنّه لمّا انقرض آدم و صالح ذرّيّته، بقي شيث وصيّه لا يقدر على إظهار دين الله تعالى الذي كان عليه آدم و صالح ذرّيّته. و ذلك أنّ قابيل توعّده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتقيّة. فازدادوا كلّ يوم ضلالاً. فلحق الوصيّ بجزيرة في البحر يعبد الله. فبدا لله تبارك و تعالى أن يبعث الرسل. قلت: أفضلّالاً كانوا قبل النبيّين أم على هدًى؟ قال: لم يكونوا على هدًى. كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها. لا تبديل لخلق الله. و لم يكونوا يهتدوا حتّى يهديهم الله. أما تسمع قول إبراهيم: «لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين»(٤)؛ أي: [ناسياً] للميثاق.(٥)

«كان الناس أمّة». إشارة إلى أهل طوفان. فإنّه لم يبق إلّا أهل السفينة. و كلّهم كانوا على

١ـ المطفّفين (٨٣) / ٣٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٧١.
٤ـ الأنعام (٦) / ٧٧.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

الحقّ و الدين الصحيح. و قيل: المراد من الناس أهل الكتاب الذين آمنوا بموسى عليه السلام و اختلفوا بسبب البغي و الحسد. فبعث الله الأنبياء معهم الكتب.[١]

«أمّة واحدة» متّفقين على دين الإسلام. «فبعث الله النبيّين». يريد: فاختلفوا، فبعث الله النبيّين. و إنّما حذفت لدلالة «فيما اختلفوا» عليه. و في قراءة عبدالله: «فاختلفوا فبعث الله». و قيل: كان الناس أمّة واحدة كفّاراً فبعث الله النبيّين فاختلفوا عليهم. و الأوّل أوجه. فإن قلت: متى كان الناس أمّة واحدة متّفقين على الحقّ؟ قلت: عن ابن عبّاس أنّه كان بين آدم و بين نوح عشرة قرون على شريعة من الحقّ فاختلفوا. و قيل: هم نوح و من كان معه في السفينة. «و أنزل معهم الكتاب». يريد الجنس. أو مع كلّ واحد منهم كتابه. «ليحكم» الله، أو الكتاب، أو النبيّ المنزل عليه «فيما اختلفوا فيه»: في الحقّ و دين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتّفاق. «و ما اختلف فيه»؛ أي: في الحقّ. «أوتوه»؛ أي: الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف. أي: زادوا الاختلاف لمّا أنزل عليهم الكتاب و جعلوا نزول الكتاب سبباً في شدّة الاختلاف و استحكامه. «من الحقّ». بيان لما اختلفوا. «فهدى الله الذين آمنوا» للحقّ الذي اختلف فيه من اختلف.[٢]

«البيّنات»؛ أي: الحجج الواضحات. و قيل: التوراة و الإنجيل. و قيل: معجزات محمّد صلى الله عليه و آله. «بغياً». مفعول له. أي: حسداً و طلباً للرئاسة. «بإذنه»؛ أي: بعلمه. «مستقيم». هو الإسلام.[٣]

[٢١٤] «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ».

«أم حسبتم». عن زين العابدين عليه السلام قال: فما تمدّون أعينكم؟ ألستم آمنين؟ لقد كان من

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فيقطع يده و رجله و يصلب. ثمّ تلا: «أم حسبتم».[١]

«أم حسبتم». خاطب به النبيّ ﷺ و المؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات، تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفتهم للمشركين و أهل الكتاب. و أم منقطعة. و معنى الهمزة فيها للإنكار. «و لمّا يأتكم»؛ أي: و لم يأتكم. و أصل لمّا لم، زيدت فيها ما. و فيها توقّع. و لذلك جعل مقابل قد. «مثل الذين خلوا»؛ أي: حالهم التي هي مثل في الشدّة.[٢]

«أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة» بمجرّد التصديق و الإيمان لرسولي دون ما ينالكم من أذى الكفّار و مقاساة الأهوال ما نال من قبلكم من المؤمنين؟ نزلت في غزوة الخندق حيث أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد و الخوف، كما قال سبحانه: «و بلغت القلوب الحناجر».[٣] و قيل: نزلت في واقعة أحد. قال عبدالله بن أبيّ لأصحاب النبيّ ﷺ: إلى متى تقتلون أنفسكم و تنصرون الباطل؟ لوكان محمّد نبيّاً، ماسلّط الله عليكم الأسر و القتل.[٤]

عن أبي‌بكر بن محمّد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقرأ: «[و زلزلوا] ثمّ زلزلوا».[٥]

«و زلزلوا»؛ أي: أزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد. «حتّى يقول الرسول» لتناهي الشدّة و استطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر. و قرأ نافع: «يقول» بالرفع، على أنّها حكاية حال ماضية. كقولك: مرض فلان حتّى لايرجونه. «متى نصر الله». استبطاء له لتأخّره. «ألا إنّ نصر الله». استئناف على إرادة القول. أي: فقيل لهم ذلك إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر. و فيه إشارة إلى أنّ الفوز بالكرامة عند الله برفض الهوى و اللّذّات و مكابدة الشدائد و الرياضات. كما قال عليه السلام: حفّت الجنّة بالمكاره. و حفّت النار بالشهوات.[٦]

«أن تدخلوا». مفعول حسبتم. و قد سدّ مسدّ مفعوليه. و قيل: مفعوله الثاني محذوف و

١ـ نور الثقلين ١ / ٢٠٩، عن الخرائج و الجرائح.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١٦.
٣ـ الأحزاب (٣٣) / ١٠.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٠٦.
٥ـ الكافي ٨ / ٢٣٠، ح ٤٣٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١٦.

تقديره: أم حسبتم دخولكم الجنّة ثابتاً. و الجنّة منصوب على الظرفيّة لتدخلوا. «البأساء»: القتل. «و الضرّاء»: الفقر. «حتّى يقول الرسول». على جهة التمنّي. و لايجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله. لأنّ رسول الله يعلم أنّ الله لايؤخّره عن الوقت الذي توجبه الحكمة. ثمّ أخبر الله أنّه ناصر أوليائه لا محالة فقال: «إنّ نصر الله قريب».(١)

[٢١٥] «يَسْئَلُونَك مَا ذَا يُـنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْـرَبِينَ وَ الْيَـتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ».

فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: «قل ما أنفقتم» و هم قد سألوا عن بيان ما ينفقون و أجيبوا ببيان المصرف؟ قلت: قد تضمّن قوله: «ما أنفقتم من خير» بيان ما ينفقونه و هو كلّ خير، و بني الكلام على ما هو أهمّ و هو بيان المصرف. لأنّ النفقة لايعتدّ بها إلّا أن يقع موقعها. و عن ابن‌عبّاس أنّه جاء عمرو بن الجموح ـ و هو شيخ همّ و له مال عظيم ـ فقال: ماذا ننفق من أموالنا و أين نضعها؟ فنزلت. و عن السدّيّ: هي منسوخة بفرض الزكاة. و عن الحسن: هي في التطوّع.(٢)

«من خير». فإن قيل: إنّهم سألوا عمّا ينفقون لا عن المصرف. قلت: الجواب من وجهين. الأوّل: انّ الجواب اشتمل على ما في السؤال و هو قوله: «من خير» ـ بمعنى يكون المنفق كلّ خير ـ و على زيادة بها كمل المقصود و هو بيان المنفق عليه و ترتيبه. الثاني: انّهم لمّا سألوا ذلك السؤال، أجيبوا بأنّه سؤال فاسد. لأنّ المنفق أيّ شيء كان فهو حسن لكن بشرط كونه مالاً حلالاً مصروفاً إلى مستحقّه.(٣)

«فللوالدين»: الأب و الأمّ و إن علوا. «و الأقربين»: أقارب المعطي. «و اليتامى»: من لا أب له في صغره. «و المساكين»: الفقراء. «و ابن السبيل»: المنقطع [به].(٤)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥٤٥ ـ ٥٤٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٥٧.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣١٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٤٨.

[٢١٦] «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

«و هو كره لكم». من الكراهة. فإمّا أن يكون بمعنى الكراهة، على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة؛ من باب «فإنّما هي إقبال و إدبار». و إمّا أن يكون فعلاً بمعنى المفعول؛ كالخبر بمعنى المخبور. أي: هو مكروه لكم. «تكرهوا شيئاً». جميع ما كلّفوه. فإنّ النفوس تكرهه و تحبّ خلافه.(١)

«و عسى». إنّما ذكر عسى لأنّ النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها. «تحبّوا شيئاً». جميع ما نهوا عنه.(٢)

«القتال»: الجهاد في سبيل الله. «تحبّوا شيئاً». و هو القعود عن الجهاد. «و هو شرّ». لما في القعود من الذلّ و الفقر في الدنيا و حرمان الغنيمة و الأجر في العقبى. «لاتعلمون». فبادروا إلى ما يأمركم به و إن شقّ عليكم.(٣)

[٢١٧] «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«يسألونك عن الشهر الحرام»؛ أي: أهل الشرك يسألونك ـ يا محمّد ـ على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام و هو رجب. «قل» يا محمّد ﷺ: «قتال فيه»: في الشهر الحرام. «كبير»؛ أي: ذنب عظيم. ثمّ استأنفه و قال: و الصدّ عن سبيل الله و الكفر

١ـ الكشّاف ١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١٧.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٤٩.

بالله و الصدّ عن المسجد الحرام و إخراج المسلمين من المسجد ـ يعني إخراجهم من مكّة إلى المدينة ـ أعظم وزراً عند الله. و يدلّ على أنّ القتال في الشهر الحرام كان محرّماً؛ لقوله: «قتال فيه كبير». و قيل: إنّ النبيّ ﷺ قتل ابن الحضرميّ. و قال قتادة و غيره: إنّ تحريم القتال في الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله: «و قاتلوهم حتّى لاتكون فتنة»[١] و بقوله: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».[٢] و قال عطاء: هو باق على التحريم. و عندنا أنّه على التحريم لمن يرى لهذه الأشهر حرمة و لايبتدئون فيها بالقتال و كذلك في الحرم. و إنّما أباح الله للنبيّ ﷺ فقال ﷺ: إنّ الله أحلّها لي في هذه الساعة، و لايحلّها لأحد من بعدي إلى يوم القيامة. و من لايرى منهم حرمة الحرم و حرمة هذه الأشهر، جاز قتاله أيّ وقت كان و التحريم منسوخ في حقّه.[٣]

«قتالٍ». بدل اشتمال من الشهر. و «قتالٌ» مرفوع بالابتداء و «كبير» خبره. و «صدّ» مبتدأ و خبره «أكبر». النزول: قال المفسّرون: بعث رسول الله ﷺ سريّة من المسلمين و أمّر عليهم عبدالله بن جحش الأسديّ و هو ابن عمّة النبيّ. و ذلك قبل قتال بدر بشهرين. فانطلقوا حتّى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عير لتجّار قريش في آخر يوم من جمادى الآخرة. و كانوا يرون أنّه من جمادى و هو من رجب. فاختصم المسلمون فقال قائل منهم: هذه غرّة من عدوّ و غنم رزقتموه. و لاندري أ من الشهر الحرام هذا اليوم أم لا. و قال قائل منهم: لانعلم هذا اليوم إلّا من الشهر الحرام. [فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الحياة الدنيا] فشدّوا على ابن الحضرميّ فقتلوه و غنموا عيره. فبلغ ذلك كفّار قريش. و كان ابن الحضرميّ أوّل قتيل قتل بين المسلمين و المشركين. و ذلك أوّل فيء أصابه المسلمون. فركب وفد لقريش حتّى قدموا على النبيّ ﷺ فقالوا: أيحلّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية.[٤]

١ـ البقرة (٢) / ١٩٣.
٢ـ النساء (٤) / ٨٩.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥١ ـ ٥٥٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٠ ـ ٥٥١.

روي أنّه لمّا نزلت الآية، كتب عبدالله بن جحش إلى مؤمني مكّة: إذا عيّركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام، فعيّروهم أنتم بالكفر و إخراج الرسولﷺ من مكّة و منع المؤمنين عن البيت الحرام.[١]

«و إخراج أهله». أكثر المفسّرين على أنّ هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم أن يكون الأمر بالقتال مقيّداً بغير الشهر الحرام و المسجد الحرام فسألوا النبيّﷺ: هل يحلّ لهم القتال في هذا الزمان و في هذا المكان؟ و يؤيّده ما ورد في شأن النزول.[٢]

فإن قيل: كيف نكّر القتال في قوله: «قل قتال»؟ و من حقّ النكرة إذا كرّرت أن يكون المذكور ثانياً معرّفاً مشاراً به إلى الأوّل و إلّا كان الثاني غير الأوّل. قلنا: المراد بالقتال الأوّل الذي سألوا عنه القتال الذي أقدم عليه عبدالله بن جحش. فلو جيء بالثاني معرّفاً، لزم أن يكون ذلك من الكبائر، مع أنّ الغرض منه كان نصرة الإسلام. فاختير التنكير ليكون تنبيهاً على أنّ القتال المنهيّ عنه هو الذي فيه تقوية الكفر [لا] الذي سألوا عنه.[٣]

«أكبر»؛ أي: أعظم إثماً و أكبر ممّا فعلته السريّة من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء و البناء على الظنّ. «و الفتنة»؛ أي: الإخراج. أو: الشرك.[٤]

«القتل»؛ أي: قتل ابن الحضرميّ.[٥]

«و لايزالون» أهل مكّة «يقاتلونكم» يامعشر المسلمين «حتّى يردّوكم»: يجعلوكم مرتدّين.[٦]

«و لايزالون». إخبار عن دوام عداوة الكفّار للمسلمين و أنّهم لاينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم. و معنى حتّى التعليل. يعني: كي يردّوكم. «إن استطاعوا». استبعاد

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣١٧.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣١٣.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣١٥ ـ ٣١٦.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٥٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١١٧، و مجمع البيان ٢ / ٥٥٢.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٢.

لاستطاعتهم. كقول الرجل لعدوّه: إن ظفرت بي فلاتبق عليّ، و هو واثق بأنّه لايظفر به. «في الدنيا و الآخرة» لما يفوتهم بإحداث الردّة ممّا للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام و باستدامتها و الموت عليها من ثواب الآخرة. و بها احتجّ الشافعيّ على أنّ الردّة لاتحبط الأعمال حتّى يموت عليها. و عند أبي‌حنيفة أنّها تحبط و إن رجع مسلماً.(١)

[٢١٨] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إنّ الذين آمنوا و الذين هاجروا». إنّ ابن جحش و أصحابه حين قتلوا الحضرميّ، ظنّ قوم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر، فنزلت. «أولئك يرجون رحمة الله». عن قتادة: هؤلاء خيار هذه الأمّة. ثمّ جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون. و إنّه من رجا طلب و من خاف هرب.(٢)

[٢١٩] «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ يَسْئَلُونَكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ».

«يسألونك» يا محمّد صلى الله عليه و آله «عن الخمر». و هو كلّ شراب مسكر مخالط للعقل. هذا هو الظاهر في روايات أصحابنا. و قيل: الخمر عصير العنب إذا اشتدّ و غلى. و هو مذهب أبي‌حنيفة. «و الميسر». و هو القمار كلّه. عن ابن‌عبّاس. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام حتّى قالوا إنّ لعب الصبيان بالجوز قمار. «إثم كبير»؛ أي: وزر عظيم. و منفعة الخمر ما كانوا يأخذونه في أثمانها و ما يحصل من اللذّة و الطرب و القوّة بشربها. و منفعة القمار أخذ الرجل مال صاحبه من غير كدّ و لا مشقّة. و ما فيهما من الإثم أكبر، لأنّ نفعهما في الدنيا و إثمهما في الآخرة يوجب سخط الله فلايظهر في جنبه إلّا نفع قليل. قال الحسن: في الآية تحريم الخمر

١ـ الكشّاف ١ / ٢٥٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٢٥٩.

من وجهين. أحدهما: قوله: «و إثمهما أكبر». فإنّه إذا زادت مضرّة الشيء على منفعته، اقتضى العقل الامتناع عنه. و الثاني: انّه بيّن فيهما الإثم. و قد حرّمه في آية أخرى فقال: «إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الإثم».[۱] و قال قتادة: هذه الآية لاتدلّ على تحريمها. و إنّما تدلّ الآية التي في المائدة من قوله: «إنّما الخمر و الميسر» ـ الآية[۲].[۳]

عن بعض أصحابنا مرسلاً قال: إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر هذه الآية. فأحسّ القوم بتحريم الخمر و علموا أنّ الإثم ممّا ينبغي اجتنابه و لايحمل الله عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: «و منافع للناس». ثمّ أنزل آية أخرى ـ الحديث.[٤]

و عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: الخمر من ستّة أشياء: التمر و الزبيب و الحنطة و الشعير و العسل و الذرّة.[٥]

«الخمر». خصّه أبوحنيفة بعصير العنب فأباح النبيذ المأخوذ من التمر لقوله تعالى: «يتّخذون منه سكراً و رزقاً حسناً»[٦] و المنّة لاتكون إلّا بالمباح.[٧]

«و منافع للناس». قال بقراط: في الخمر عشرة منافع: يجوّد الهضم، و يدرّ البول، و يحسّن البشرة، و يطيّب النكهة، و يزيد في الباه ـ هذا في البدن ـ و يسرّ النفس و يقرّب الأمل و يشجّع النفس و يحسّن الخلق و يزيل البخل.[٨] و لأنّهم كانوا يدفعون الأنصباء إلى الفقراء و يفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل معهم فيه.[٩]

«كبير». حمزة و الكسائيّ بالثاء. و الباقون بالباء.[١٠]

نزلت في الخمر أربع آيات. نزلت بمكّة: «و من ثمرات النخيل و الأعناب تتّخذون منه

١ـ الأعراف (٧) / ٣٣.
٢ـ المائدة (٥) / ٩٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٧ ـ ٥٥٨.
٤ـ الكافي ٦ / ٤٠٦.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٠٦.
٦ـ النحل (١٦) / ٦٧.
٧ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٢٣ و ٣٢٥.
٨ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٣١.
٩ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩.
١٠ـ التيسير / ٦٨.

سكراً»[١]. و كان المسلمون يشربونها و هي لهم حلال. ثمّ إنّ نفراً من جماعة الصحابة قالوا: يا رسول الله ﷺ، أفتنا في الخمر. فإنّها مذهبة للعقل و مسلبة للمال. فنزلت: «فيهما إثم كبير». فشربها قوم و تركها آخرون. ثمّ سكر بعضهم و قرأ في صلاته: أعبد ما تعبدون. فنزلت: «لاتقربوا الصلاة و أنتم سكارى».[٢] فقلّ من شربها. ثمّ سكر جماعة من المهاجرين و الأنصار و تلاحوا و تضاربوا، فنزلت: «إنّما الخمر و الميسر» ـ الآية.[٣]

و الميسر: القمار. مصدر من يسر كالموعد. و اشتقاقه من اليسر لأنّه أخذ مال الرجل بسهولة و يسر من غير تعب، أو من اليسار لأنّه سلب يساره. و كان الرجل في الجاهليّة يخاطر في أهله و ماله. و هي الأزلام، أعني القداح العشرة.[٤]

«ماذا». السائل عمرو بن الجموح. سأل عن النفقة في الجهاد. و قيل: في الصدقات. «قل العفو». و هو ما فضل عن الأهل و العيال، أو الفضل عن الغنى، أو ما فضل عن قوت السنة ـ عن الباقر عليه السلام قال: و نسخ ذلك بآية الزكاة ـ أو أطيب المال و أفضله. «لعلّكم تتفكّرون»؛ أي: لكي تتفكّروا في أمر الدنيا و الآخرة فتعلمون أنّ الدنيا دار بلاء و أنّ الآخرة دار جزاء. و قيل: إنّه من صلة «يبيّن». أي: كما يبيّن لكم الآيات في الخمر و الميسر، يبيّن لكم الآيات في أمور الدنيا و الآخرة لكي تتفكّروا في ذلك.[٥]

أبوعمرو برفع «العفو»، و الباقون بالنصب.[٦] أي: أنفقوا العفو. أو: الذي ينفقونه العفو. «يبيّن الله لكم الآيات» في أمر النفقة و الخمر و الميسر أو الأعمّ.[٧]

عن الصادق عليه السلام: «العفو» الوسط؛ لا إقتار و لا إسراف.[٨]

[٢٢٠] «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ

١ـ النحل (١٦) / ٦٧.
٢ـ النساء (٤) / ٤٣.
٣ـ المائدة (٥) / ٩٠.
٤ـ الكشّاف ١ / ٢٦١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٨.
٦ـ التيسير / ٦٨.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٥ و ٥٥٩.
٨ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٠٦، و تفسير القمّيّ ١ / ٧٢.

تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«في الدنيا». صلة تتفكّرون أو متعلّق بيبيّن.[١]

«و يسألونك عن اليتامى». قال ابن‌عبّاس: لمّا نزل: «و لاتقربوا مال اليتيم»[٢] انطلق كلّ من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه فاشتدّ ذلك عليهم. فنزلت.[٣]

و روي عن السيّدين الباقر و الصادق عليهما السلام أنّه لمّا نزل قوله: «و آتوا اليتامى أموالهم»[٤] كرهوا مخالفة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فأنزل الله هذه الآية.[٥]

يعني: «يسألونك» عن التصرّف في أموال اليتامى و القيام عليهم. «إصلاح لهم خير». يعني: إصلاح لأموالهم من غير أجرة و لا أخذ عوض أعظم أجراً. و إن تخالطوا أموالهم بأموالكم، فهم إخوانكم. و الإخوان يعين بعضهم بعضاً و يصيب بعضهم من مال بعض. و هذا إذن لهم فيما كانوا يتحرّجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل و المشرب و المسكن إذا تحرّوا الصلاح. و هو المرويّ في أخبارنا.[٦]

عن سماعة عن الصادق عليه السلام في قوله: «و إن تخالطوهم» قال: إذا كان الرجل يلي الأيتام في حجره، فليخرج من ماله على قدر ما يخرج لكلّ انسان منهم فيخالطهم و يأكلون جميعاً، و لا يرزأنّ من أموالهم شيئاً. إنّما هي النار.[٧]

و في حديث آخر عنه، قلت: أرأيت إن كانوا يتامى صغاراً و كباراً و بعضهم أعلى كسوة من بعض و بعضهم آكَل من بعض و ما لهم جميعاً؟ فقال: أمّا الكسوة، فعلى كلّ إنسان ثمن كسوته. و أمّا الطعام، فاجعلوه جميعاً. فإنّ الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير.[٨]

و في حديث ثالث عن الكاهليّ قال: قيل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا ندخل على أخ لنا في بيت

١ـ الكشّاف ١ / ٢٦٣.
٢ـ الأنعام (٦) / ١٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٨.
٤ـ النساء (٤) / ٢.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٧.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٨ ـ ٥٥٩.
٧ـ الكافي ٥ / ١٢٩.
٨ـ الكافي ٥ / ١٣٠.

أيتام و معهم خادم لهم فنقعد على بساطهم و نشرب من مائهم و يخدمنا خادمهم و نطعم الطعام و فيه من طعامهم. فقال: إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم، فلا بأس. و إن كان فيه ضرر، فلا.[١]

«لأعنتكم»؛ أي: لضيّق عليكم في أمر اليتامى و مخالطتهم و ألزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم.[٢]

البزّيّ من رواية أبي‌ربيعة: «لأعنتكم» بتليين الهمزة، و الباقون بتحقيقها.[٣]

[٢٢١] «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«و لاتنكحوا». عن الباقر و الرضا عليهما السلام أنّ هذه الآية و قوله: «و لاتمسكوا بعصم الكوافر»[٤] ناسختان لقوله: «و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم».[٥][٦]

«و لاتنكحوا»؛ أي: لاتعقدوا عليهنّ. «المشركات»؛ أي: الحربيّات. و الآية ثابتة. و قيل: المشركات الحربيّات و الكتابيّات جميعاً؛ لقوله تعالى: «و قالت اليهود عزير ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله» إلى قوله: «عمّا يشركون»[٧] و هي منسوخة بقوله: «و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم».[٨] و سورة المائدة كلّها ثابتة لم‌ينسخ منها شيء. و هو قول ابن‌عبّاس. و روي أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله بعث مرثد الغنويّ إلى مكّة ليخرج منها ناساً من المسلمين. و كان يهوى امرأة في الجاهليّة اسمها عناق. فأتته و قالت: ألاتخلو؟

١ـ الكافي ٥ / ١٢٩.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٥٩.

٣ـ التيسير / ٦٨.

٤ـ الممتحنة (٦٠) / ١٠.

٥ـ المائدة (٥) / ٥.

٦ـ مجمع البيان ٣ / ٢٥١، و الكافي ٥ / ٣٥٧، ح ٦.

٧ـ التوبة (٩) / ٣٠.

٨ـ المائدة (٥) / ٥.

فقال: ويحك! إنّ الإسلام حال بيننا. فقالت: هل لك أن تتزوّج بي؟ قال: نعم. ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأستأمره. فنزلت. «و لأمة»؛ أي: امرأة مؤمنة حرّة كانت أو مملوكة. و كذلك «و لعبد مؤمن». لأنّ الناس كلّهم عبيد الله و إماؤه. «و لو أعجبتكم»؛ أي: و لو كان الحال أنّ المشركة تعجبكم و تحبّونها، فإنّ المؤمنة خير منها مع ذلك. «أولئك». إشارة إلى المشركين و المشركات. أي: يدعون إلى الكفر، فحقّهم أن لايوالوا و لايصاهروا. «و الله يدعو إلى الجنّة»؛ يعني: و أولياء الله ـ و هم المؤمنون ـ يدعون إلى الجنّة «و المغفرة» و ما يوصل إليهما. فهم الذين تجب موالاتهم و مصاهرتهم. «بإذنه»؛ أي: بتوفيقه للعمل يستحقّون به الجنّة.[١]

«و لأمة مؤمنة». معناه: مملوكة مصدّقة مسلمة خير من حرّة مشركة و لو أعجبكم مالها و حسنها و جمالها. «أولئك يدعون». و هذا مثل التعليل. لأنّ الغالب أنّ الزوج يدعو زوجته إلى دينه. «إلى الجنّة»؛ أي: إلى فعل ما يوجب الجنّة «و المغفرة» من الإيمان و الطاعة. «بإذنه». أي: بأمره. يعني: بما يأمر و يأذن فيه من الشرائع و الأحكام. و قيل: بإعلامه. «آياته»؛ أي: حججه. و قيل: أوامره و نواهيه.[٢]

«و لاتنكحوا المشركات». هي عامّة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفّار؛ أهل الكتاب و غيرهم. و ليست بمنسوخة و لا مخصوصة. و اختلفوا فيه. فقال بعضهم: لايقع اسم المشركات على أهل الكتاب و قد فصّل الله بينهما فقال: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين».[٣] فلا نسخ في الآية و لا تخصيص. و قال بعضهم: الآية يتناول جميع الكفّار و المشركين. ثمّ اختلف هؤلاء. فمنهم من قال: الآية منسوخة في الكتابيّات بالآية في المائدة: «و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم».[٤] و منهم من قال: إنّها مخصوصة بغير الكتابيّات.[٥]

١ـ الكشّاف ١ / ٢٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦١.
٣ـ البيّنة (٩٨) / ١.
٤ـ المائدة (٥) / ٥.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٠.

أقول: و منهم من خصّ التحريم بالكتابيّات في الدائم دون المتعة كما حقّق في كتب الفقه. (حسن)

[٢٢٢] «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ».

«يسألونك عن المحيض». قيل: كانوا في الجاهليّة يتجنّبون مؤاكلة الحائض و مشاربتها و مجالستها. فسألوا عن ذلك، فنزلت. و السائل أبو الدحداح.

«عن المحيض»؛ أي: الحيض و أحواله. «قل هو أذًى»؛ أي: قذر و نجس. و قيل: هو أذًى لهنّ و عليهنّ لما فيه من المشقّة. فاجتنبوا مجامعتهنّ في الفرج. عن ابن عبّاس، و يوافق مذهبنا. لأنّه لايحرم منها غير موضع الدم. و قيل: ما دون الإزار و يحلّ ما فوقه. و هو قول أبي‌حنيفة و الشافعيّ. «و لاتقربوهنّ» بالجماع أو ما دون الإزار على الخلاف فيه.[١]

«المحيض». مصدر[٢] أو إسم مكان أو زمان.[٣]

«أذًى»؛ أي: يؤذي من يقربه نفرة. كانوا في الجاهليّة لم‌يساكنوا الحائض كفعل اليهود و المجوس. و كان النصارى يجامعوهنّ وقت الحيض. فنهي المسلمون عن هذا الإفراط و التفريط.[٤]

لا خلاف في حرمة الجماع زمان الحيض. إنّما الخلاف فيما دون السرّة و فوق الركبة. فالشافعيّ و أبوحنيفة على أنّه يجب اعتزال ما اشتمل عليه الإزار. و قيل: ما سوى الفرج حلال.[٥]

«حتّى يطهرن». أبوبكر و حمزة و الكسائيّ: «حتّى يطّهّرن» بفتح التاء و الهاء مع

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٢ ـ ٥٦٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٠.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٤٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٠.
٥ـ تفسيرالنيسابوري ٢ / ٣٤٤.

تشديدها. و الباقون بإسكان الطاء و ضمّ الهاء مخفّفاً.[١]

«فإذا تطهّرن». فإنّه يقتضي تأخير جواز الإتيان عن الغسل.[٢]

«التوّابين» من الذنوب. «المتطهّرين» بالماء. رواه أصحابنا في سبب نزول الآية. و قيل: يحبّ المتطهّرين من الذنوب. و قيل: التوّابين من الكبائر و المتطهّرين من الصغائر. «حتّى يطهرن». بالتخفيف. أي: ينقطع الدم عنهنّ. و بالتشديد معناه: حتّى يغتسلن. عن طاووس. و هو مذهبنا. «فإذا تطهّرن»؛ أي: اغتسلن. و قيل: توضّأن. و قيل: غسلن الفرج. [«فأتوهنّ»:] فجامعوهنّ. و الأمر للإباحة. «من حيث أمركم الله» بتجنّبه في حال الحيض و هو الفرج. و قيل: من قِبل النكاح دون الفجور.[٣]

أقول: قوله: «و هو مذهبنا»، المشهور بيننا كراهة الجماع بعد انقضاء الدم قبل [غسل] الحيض. فافهم. (حسن)

[٢٢٣] «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

«نساؤكم». جار مجرى البيان لقوله: «من حيث أمركم الله» دلالة على أنّ الغرض الأصليّ في الإتيان هو طلب النسل فينبغي أن يؤتى مكان الحرث.[٤]

«حرث لكم» ؛ أي: موضع حرث، تشبيهاً لما يلق في أرحامهنّ من النطف بالبذور.[٥]

«نساؤكم حرث لكم». عن الصادق عليه السلام في الرجل يأتي المرأة في دبرها، قال: لا بأس إذا رضيت. قلت: فأين قول الله: «من حيث أمركم الله»؟ قال: هذا في طلب الولد. فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله. إنّ الله يقول: «نساؤكم حرث لكم» ـ الآية.[٦]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦١، و تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٤٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٣.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٤٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٠.
٦ـ التهذيب ٧ / ٤١٤.

عن الرضاعليه السلام: انّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل امرأته من خلفها، خرج الولد أحول. فأنزل الله: «أنّى شئتم». يعني من خلف و قدّام، خلافاً لقول اليهود. و لم يعن من أدبارهنّ.(١)

أقول: الأخبار متعارضة في تفسير هذه الآية و في جواز الوطي في الدبر. و الآية مجملة كما ترى. و التوفيق بين الأخبار يقتضي القول بجوازه و حمل النهي على التقيّة تارة و أخرى على شدّة الكراهة.

«ملاقوه» فتزوّدوا ما لاتفتضحون به. «و بشّر المؤمنين»: الكاملين في الإيمان بالكرامة و النعيم الدائم.(٢)

[٢٢٤] «وَ لَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

نزلت الآية في عبدالله بن رواحة حين حلف أن لايدخل على ختنه و لايكلّمه و لايصلح بينه و بين امرأته. فكان يقول: إنّي حلفت بهذا فلم يحلّ لي أن أفعله. فنزلت.(٣)

و في الآية دلالة على أنّ من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه، فله أن ينقض يمينه و يفعل الذي هو خير. و لاكفّارة عندنا عليه. و أكثر الفقهاء أوجبوا عليه الكفّارة.(٤)

«و لاتجعلوا الله» ـ الآية. في معناه ثلاثة أقول. أحدها: انّ معناه: لاتجعلوا اليمين بالله علّة مانعة لكم من البرّ و التقوى من حيث تعتمدونها لتعتلّوا بها و تقولوا: حلفنا بالله، و لم تحلفوا به. و أصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم و بين البرّ و التقوى. لأنّ المعترض بين الشيئين يكون مانعاً من وصول أحدهما إلى الآخر فالعلّة مانعة لهذا المعترض. و الثاني: إنّ عرضة معناه حجّة. فكأنّه قيل: لاتجعلوا اليمين بالله حجّة في المنع من البرّ و التقوى. فإن كان قد سلف منكم يمين، ثمّ ظهر أنّ غيرها خير منها، فافعلوا الذي هو خير و

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١١١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٦.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٨.

لاتحتجّوا بما سلف من اليمين. و أصله في هذا القول و الأوّل واحد، لأنّه منع من جهة الاعتراض لحجّة أو علّة. و الثالث: انّ معناه: لاتجعلوا اليمين بالله عرضة مبتذلة في كلّ حقّ و باطل لأن تبرّوا بالحلف بها و تتّقوا المآثم فيها. لقوله: لاتحلف بالله و إن بررت. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. و تقديره على الوجه الأوّل و الثاني: لاتجعلوا لله مانعاً من البرّ و التقوى باعتراضك به حالفاً. و على الوجه الثالث: لاتجعلوا الله ممّا تحلف به دائماً باعتراضك بالحلف في كلّ حقّ و باطل. «أن تبرّوا». في معناه أقوال. الأوّل: لأن تبرّوا في اليمين. الثاني: انّ المعنى: لدفع أن تبرّوا، أو لترك أن تبرّوا عن المبرّد. و الثالث: انّ معناه: أن لاتبرّوا، فحذف لا. عن أبيعبيدة. و المعنى في قول أبيعبيدة و ابنعبّاس واحد و إن اختلف التقدير. «و تتّقوا»؛ أي: تتّقوا الإثم و المعاصي في الأيمان. «و تصلحوا بين الناس». عطف على ما سبق. و معناه: لاتجعلوا الحلف بالله علّة أو حجّة في أن لاتبرّوا و لاتتّقوا و لاتصلحوا بين الناس، أو لدفع أن تبرّوا و تتّقوا و تصلحوا و على الوجه الثالث: و لاتجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبرّوا و تتّقوا و تصلحوا؛ أي: لكي تكونوا من البررة و الأتقياء و المصلحين بين الناس. فإنّ من كثرت يمينه لايوثق بحلفه و من قلّت يمينه فإنّه أقرب إلى التقوى و الإصلاح بين الناس.(۱)

«أن تبرّوا». عطف بيان لأيمانكم. أي: للأمور المحلوف عليها التي هي البرّ و التقوى والإصلاح بين الناس. و اللّام في لأيمانكم متعلّقة بالفعل. أي: لاتجعلوا الله لأيمانكم برزخاً و حاجزاً. و يجوز أن يتعلّق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض. أي: لاتجعلوه شيئاً يعترض البرّ. و يجوز أن يكون اللّام للتعليل و يتعلّق «أن تبرّوا» بالفعل أو بالعرضة. أي: و لاتجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبرّوا.(۲)

[۲۲۵] «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ».

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۵۶۷ ـ ۵۶۸.

۲ـ الكشّاف ۱ / ۲۶۷ ـ ۲۶۸.

اللّغو: الكلام الذي لا فائدة فيه. و يمين اللّغو: ما يجري عادة على اللّسان من قول: لا و الله، و بلى و الله، من غير عقد على يمين لا يظلم بها أحداً. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: هو أن يحلف و هو يرى أنّه صادق ثمّ تبيّن أنّه كاذب، فلا إثم عليه و لا كفّارة. و قيل: هو يمين الغضبان، لا يؤاخذ بالحنث فيها. «بما كسبت قلوبكم»؛ أي: بما عزمتم و قصدتم. لأنّ كسب القلب العقد و النيّة. و فيه حذف. أي: [من] أيمانكم.(١)

[٢٢٦] «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«للّذين يؤلون من نسائهم» ؛ أي: يحلفون بالله على عدم وطيهنّ. و الإيلاء في اللّغة اليمين، و في الشرع عندنا الحلف على الامتناع من وطي الزوجة زائداً على أربعة أشهر. و على هذا فإطلاق الآية مقيّد بما زاد على الأربعة أشهر. فلو حلف أن لا يجامع أقلّ منها، لم يكن مولياً عندنا. و يعتبر أيضاً كونه بقصد الإضرار بالزوجة. فلو قصد دفع ضرر الوطي عنه أو عنها أو عن الولد، لم يكن إيلاء يترتّب عليه أحكامه عندنا. نعم يقع يميناً. و الإيلاء يتعدّى بعلى؛ لكن لمّا ضمن معنى البعد، عدّي بمن. «تربّص أربعة أشهر». مبتدأ و خبره ما تقدّم. و التربّص: الانتظار. أي: للمولي حقّ المهلة في هذه المدّة فلا يطالب فيها بفيء و لا يحبس. و من ثمّ اعتبر أصحابنا في الإيلاء زيادة المدّة على أربعة أشهر ليجبره الحاكم بعدها على الفيئة أو الطلاق. و اكتفى الحنفيّة بأربعة فما دون. و ابتداء هذه المدّة من حين الترافع إلى الحاكم و الحكم عند بعض الأصحاب، و عند آخرين احتسابها من حين الإيلاء. و ظاهر الآية يدلّ على هذا حيث رتّب التربّص عليه من غير تعرّض للمرافعة. و يدلّ عليه حسنة بريد. و مقتضى العموم كون الدخول غير شرط إلّا أنّ الأصحاب شرطوه في تحقّق الإيلاء. فإن رجعوا في اليمين بالحنث و عادوا إلى أزواجهم، «فانّ الله غفور رحيم» فيغفر

١ـ مجمع البيان ٢ / ٥٦٨ ـ ٥٦٩.

للمولي إثم حنثه إذا كفّر و ما قصد بالايلاء من الإضرار بالزوجة بالفيئة التي هـي بمـثابة التوبة.[١]

«فاؤوا»؛ أي: رجعوا، إمّا بالجماع مع القدرة عليه، أو بالقول عند العجز عنه.[٢]

[٢٢٧] «وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«و إن عزموا الطلاق»؛ أي يعزم عليه و يتلفّظ به، عندنا. و قال أبوحنيفة: إذا مضت أربعة أشهر و لم يفئ، بانت منه بغير تطليقة.[٣]

[٢٢٨] «وَ الْمُطَـلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَـتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و المطلّقات يتربّصن». خبر بمعنى الأمر لفائدة التأكيد. «بأنفسهنّ». تهييج و بعث لهنّ على التربّص فإنّ نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بقمعها و حملها عـلى التربّـص. «ثلاثة قروء». نصب على الظرفيّة أو المفعول به. و الأقراء هنا الأطهار بإجماع أصحابنا و الشافعيّة و أخبارنا دالّة عليه. و الحنفيّة على أنّ المراد بها الحيض. و استدلّ لهم في الكشّاف بما لايدلّ عليه. «في أرحامهنّ» من الولد أم من دم الحيض استعجالاً في العدّة و إبطالاً لحقّ الزوج في الرجعة. و به استدلّ على قبول قولهنّ في ذلك و إلّا لما حرّم عليهنّ الكتمان. و في أخبارنا ما يدلّ عليه. «إن كنّ يؤمنّ». يعني أنّ الكتمان ينافي الإيمان. و التاء في «بعولتهنّ» لتأنيث الجمع. «أحقّ بردّهنّ» إلى النكاح السابق من غير عقد مجدّد بل بمجرّد الرجعة فعلاً أو لفظاً. و المراد أنّه لايجوز لأحد أن يتزوّجهنّ، لا أنّ الغير له حقّ و الأزواج أحقّ منه. أو

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٠٧ ـ ١٠٩.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧١.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧١. و فيه: بانت منه بتطليقه.

المعنى: انّ الرجل إذا أراد الرجعة و أبتها المرأة، وجب إيثار قوله على قولها، و كان هو أحقّ منها؛ بمعنى [أنّ] ذلك حقّه وحده. فأفعل هنا بمعنى أصل الفعل. «في ذلك» أي: زمان التربّص. «إن أرادوا إصلاحاً» بالرجعة لا إضرار الزوجة. و المراد الحثّ على قصد الإصلاح، لا أنّه شرط لجواز الرجوع و إن قصد الإضرار. لأنّ التحريم لاينافي ترتّب الأثر.[1]

أقول: لايخفى ما في قوله: و الأقراء هنا الأطهار بإجماع أصحابنا. لأنّ من أصحابنا من وافق الحنفيّة في أنّها الحيض. قال في المسالك: فذهب جماعة من الفقهاء و أكثر أصحابنا إلى أنّه الطهر. ثمّ قال: و قيل: إنّه الحيض.[2] فافهم. (حسن)

«ثلاثة قروء». عن الباقر عليه السلام: انّما القرء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته. «بردّهنّ». الرجعيّات بين المطلّقات. «إن أرادوا إصلاحاً». كان عادتهم قصد الإضرار بالطلاق و المراجعة. «و للرجال عليهنّ درجة». قال صلى الله عليه و آله: لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.[3]

«و لهنّ مثل الذي عليهنّ»؛ أي: للنساء حقوق واجبة على الرجال مثل حقوق الرجال عليهنّ. و المراد المماثلة في الوجوب و استحقاق المطالبة و إن اختلف الجنس. فمن حقّهنّ المهر و النفقة و نحوهما. «درجة»؛ أي: زيادة في الحقّ و فضل فيه. لأنّ حقوقهم في أنفسهنّ مثل أن يبذلن أنفسهنّ لهم و لايخرجن من البيوت بغير إذنهم إلى غير ذلك بخلاف حقوق النساء كالنفقة و المسكن و نحوهما فإنّه من الأمور الخارجة. و يحتمل أن يراد بالدرجة الشرف و الفضيلة من جهة أنّهم قوّامون عليهنّ. فإنّ المرأة تنال من اللّذّة ما يناله الرجل و له الفضل بالقيام عليها و الإنفاق في مصالحها. «عزيز»؛ أي: قادر على الانتقام ممّن خالف. «حكيم» يشرع الأحكام على وفق المصالح. و هذه الآية مخصوصة بالمطلّقة المدخول بها

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٤٤ ـ ٥٢.
٢ـ مسالك الأفهام ٩ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧٤ ـ ٥٧٥.

غير الحامل من ذوات الأقراء.(١)

[٢٢٩] «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

«الطلاق مرّتان»؛ أي: الطلاق الشرعيّ مرّتان. يعني تطليقة بعد تطليقة على التفريق لا على الجمع و الإرسال كأن يقول: هي طالق طلقتين أو ثلاثاً أو طالق و طالق و طالق. فإنّه لايقع عندنا. و بعضهم أوقع به الواحدة. و حينئذ فالمراد بالمرّتين مجرّد التكرير و الوقوع مرّة بعد أخرى. نحو: «ثمّ ارجع البصر كرّتين»(٢)؛ أي: كرّة بعد كرّة. و لفظ الكلام خبر و معناه الأمر. أي: طلّقوا دفعتين. «فإمساك بمعروف أو تسريح». تخيير للأزواج بعد أن علّمهم كيف يطلّقون، بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة و القيام بحقّهنّ الواجب عليهم و بين السراح الجميل الذي علّمهم إيّاه من كونه غير مشتمل على إضرار. و على هذا، ففي الآية دلالة على اشتراط وقوع الطلاق مفصّلاً بأن يطلّق ثمّ يراجع ثمّ يطلّق أخرى إن شاء و هكذا، و لايجوّز الجمع بين الطلقتين أو الثلاث في كلام واحد كما تقدّم و عليه إجماع أصحابنا و الحنفيّة. فتكون الطلقة الثالثة مستفادة من قوله: «فإن طلّقها فلا تحلّ له». و لايستفاد من الآية على هذا الوجه اعتبار تفريق الطلقات على الأطهار بمعنى أن يوقع كلّ طلقة في طهر. و من ثمّ جوّز أصحابنا وقوع الثلاث في مجلس واحد إذا راجع بينها. و الشافعيّ جوّز الإرسال بلفظ واحد. و يحتمل أن يكون معنى الآية: الطلاق الرجعيّ مرّتان. يعني الذي ثبتت فيه الرجعة. و ذلك أنّ الرجل في الجاهليّة كان يطلّق امرأته ثمّ يراجعها قبل أن تنقضي عدّتها، و لو طلّقها ألف مرّة، كانت القدرة على المراجعة ثابتة له. فجاءت امرأة و شكت أنّ زوجها

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٥٢ ـ ٥٣. ٢ـ الملك (٦٧) / ٤.

يطلّقها و يراجعها يضارّها بذلك، فنزلت. فعلى هذا، الآية متعلّقة بما قبلها و المعنى: انّ الطلاق يملك فيه الرجعة مرّتان. «فإمساك بمعروف». أي بالرجعة الثانية. «أو تسريح بإحسان» بأن لايراجعها حتّى تبين بالعدّة.[١] روي هذا عن أبي جعفرعليه السلام. و قيل: معنى التسريح هو أن يطلّقها الثالثة حتّى تبين.[٢]

«و لايحلّ لكم». الخطاب يحتمل أن يكون للحكّام نظراً إلى أنّ الأخذ و الإعطاء بأمرهم. أى: لايحلّ لكم أن تأمروا بأخذ شيء ممّا حكمتم على الأزواج بإعطائه أوّلاً من المهر المدفوع إليهنّ «إلّا أن يخافا» الزوجان «ألّا يقيما حدود الله». فلايلزمهما من مواجب الزوجة و غيرها. قيل: نزلت في ثابت بن قيس كانت زوجته تبغضه و هو يحبّها، فأتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قالت: لا أنا و لا ثابت، فاختلعت بحديقة أصدقها إيّاها. و يحتمل أن يكون للأزواج و ما بعد ذلك خطاب للحكّام. و فيه تشويش النظم على القراءة المشهورة. و المراد بخوفها ظنّها ذلك. و يؤيّده قراءة من قرأ: «يظنّا». [و ذلك] بأن يظنّ من المرأة النشوز و الخروج عن الطاعة، إذ تقول: لاأغسل لك رأسى من جنابة. و لاأبرّ لك قسماً. و لاأطيع لك أمراً. و لأوطينّ فراشك. كما ورد في صحيحة الحلبيّ. «فإن خفتم» أيّها الحكّام أن لايقيما.[٣]

«إلّا أن يخافا». قرأ أبوجعفر و حمزة بضمّ الياء، و الباقون بفتحها.[٤]

«إلّا أن يخافا». قرأ حمزة على البناء للمفعول و إبدال «أن» بصلته عن الضمير بدل الاشتمال.[٥]

«حدود الله»: الأحكام المتعلّقة بالزوجيّة و غيرها. «فلا جناح عليهما». و يلزم منه نفي الجناح عن الحكّام أيضاً. «فيما افتدت به» المرأة نفسها، لا على الرجل فيما أخذه و لا عليها في الإعطاء مشروطاً بخوفها و ظنّها أنّها ماتقدر على ضبط نفسها في الخروج عن الشرع. و لابعد في الجواز بل الوجوب. فإسناد الخوف إليهما من باب «يخرج منهما اللّؤلؤ و

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٧٤ ـ ٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧٨.
٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ٨٦ ـ ٨٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٣.

المرجان»[١] و إنّما هو من الملح دون العذب. و ذلك أنّ خوف الرجل هنا غير شرط في الخلع. نعم؛ هو شرط في المباراة. «تلك». إشارة إلى الأحكام السابقة. «تعتدوها» بأن تعملوا بخلافها. «الظالمون» لأنفسهم بتعريضها للعقاب.[٢]

«حدود الله»؛ أي: ما حدّه الله و بيّنه في أحكام الزوجين و حقوقهما. «فيما افتدت به» و إن كان أزيد من المهر عندنا.[٣]

[٢٣٠] «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«فإن طلّقها». نزلت في امرأة رفاعة بن وهب جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إنّ زوجي طلّقني فبتّ طلاقي. فتزوّجت بعده عبدالرحمن بن الزبير. و إنّه طلّقني قبل أن يمسّني. أفأرجع إلى ابن عمّي؟ فتبسّم رسول الله و قال: حتّى تذوقي عسيلته و يذوق عسيلتك. و في قصّة رفاعة و زوجته نزلت هذه الآية. «فإن طلّقها». يعني الطليقة الثالثة، على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام. أي: لاتحلّ لزوجها الذي طلّقها حتّى تتزوّج غيره و يجامعها. لأنّ العقد مستفاد من قوله: «حتّى تنكح»؛ أي: يدخل بها. «فإن طلّقها». أي الزوج الثاني. «أن يتراجعا» إلى النكاح السابق بعقد جديد. «إن ظنّا»؛ أي: علما و اعتقدا.[٤]

«حدود الله»: أوامره و نواهيه.[٥]

[٢٣١] «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ

١ـ الرحمن (٥٥) / ٢٢.
٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ٨٧ ـ ٩١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٧٩، و تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٨٠.
٥ـ مسالك الأفهام ٤ / ٩١.

لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«فبلغن أجلهنّ»؛ أي: شارفن على انقضاء عدّتهنّ. فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنوّ من الشيء. فيترتّب عليه قوله: «فأمسكوهنّ بمعروف أو سرّحوهنّ بمعروف» لظهور أنّه بعد تقضّي الأجل بتمامه و مضيّ العدّة، تملك نفسها فلايصحّ التخيير بين الإمساك و التسريح بل تكون أجنبيّة لا سبيل له عليها. و المراد بالمعروف في الموضعين ما كان موافقاً للشرع من القيام بمصالح الزوجيّة إن أمسكها و إلّا تركها حتّى تنقضي عدّتها فتكون أملك بنفسها. «و لاتمسكوهنّ»؛ أي: لاتراجعوهنّ.[١]

«و لاتمسكوهنّ»؛ أي: لاتراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ. كأنّ المطلّق يترك المعتدّة حتّى تشارف الأجل ثمّ يراجعها لتطول العدّة عليها، فنهى عنه بعد الأمر بضدّه مبالغة. و نصب «ضراراً» على العلّة أو الحال بمعنى مضارّين. «لتعتدوا»: لتظلموهنّ بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء. و اللّام متعلّقة بضراراً إذ المراد تقييده. «ظلم نفسه» بتعريضها للعقاب. «و لاتتّخذوا آيات الله هزواً» بالإعراض عنها و التهاون عن العمل بما فيها. من قولهم لمن لم يجدّ في الأمر: إنّما أنت لاعب و هازئ. كأنّه نهى عن الهزء و أراد به الأمر بضدّه. و قيل: كان الرجل يتزوّج و يطلّق و يعتق و يقول: كنت ألعب، فنزلت. و عنه عليه الصلاة و السلام: ثلاث جدّهنّ جدّ و هزلهنّ جدّ: الطلاق و النكاح و العتاق. «و اذكروا نعمة الله» التي من جملتها الهداية و بعثة محمّد ﷺ بالشكر. «الكتاب»: القرآن. «و الحكمة»: السنّة. أفردهما بالذكر لشرفها. «به»؛ أي: بما أنزل عليكم. «أنّ الله». تأكيد و تهديد.[٢]

[٢٣٢] «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٤١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٤.

ذٰلِكُمْ أَزْكىٰ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

«فبلغن»؛ أي: انقضت عدّتهنّ. و عن الشافعيّ: دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين. «فلاتعضلوهنّ». قيل: إنّه خطاب إلى الأولياء؛ لما روي في أنّها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء أن ترجع إلى زوجها الأوّل بالاستئناف. و قيل: إلى الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضيّ العدّة و لايتركونهنّ يتزوّجن عدواناً و قهراً. لأنّه جواب قوله: «إذا طلّقتم». و قيل: إلى الأولياء و الأزواج. و قيل: إلى الناس كلّهم. و المعنى: لايوجد فيما بينكم هذا الأمر. فإنّه إذا وجد بينهم و هم راضون به، كانوا كالفاعلين له. و العضل: الحبس. «تراضوا بينهم». أي الخطّاب و النساء. و هو ظرف لأن ينكحن أو لاتعضلوهنّ.(١)

«فلاتعضلوهنّ». قيل: إنّه خطاب للأزواج. يعني أن تطلّقوهنّ في السرّ و لاتظهروا طلاقهنّ كيلايتزوّجن غيرهم فيبقين لا ممسكات إمساك الأزواج و لا مخلّيات تخلية المطلّقات، أو تطوّلوا العدّة عليهنّ. «أن ينكحن أزواجهنّ»؛ أي: من يرضين بهم أزواجاً لهنّ.(٢)

«بالمعروف»؛ أي: بما يعرفه الشرع و تستحسنه المروّة. حال من الضمير المرفوع، أو صفة مصدر محذوف، أي: تراضياً كائناً بالمعروف. و فيه دلالة على أنّ العضل عن التزوّج من غير كفؤ، غير منهيّ عنه. «ذلك». إشارة إلى ما مضى ذكره. و الخطاب للجميع، على تأويل القبيل، أو كلّ واحد. أو إنّ الكاف لمجرّد الخطاب و الفرق بين الحاضر و المنقضي دون تعيين المخاطبين أو للرسول على طريقة قوله: «يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء»(٣) للدلالة على أنّ حقيقة المشار إليه أمر لايكاد يتصوّره كلّ أحد. «ذلكم»؛ أي: العمل بمقتضى ما ذكر

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٨٣.
٣ـ الطلاق (٦٥) / ١.

«أزكى لكم»: أنفع «و أطهر» من دنس الآثام.[١]

«أزكى لكم»؛ أي: أفضل و أعظم بركة. «و أطهر»؛ أي: أطهر لقلوبكم من الريبة. فإنّه لعلّ في قلبهما حبّاً فإذا منعا من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا إلى ما حرّم الله.[٢]

[٢٣٣] «وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«و الوالدات يرضعن». خبر في معنى الأمر. و هذا الأمر عندنا أمر استحباب، إذ لايجب عليهنّ إرضاعهم. نعم، هو واجب على الأب إلّا أن يكون الولد بحيث لايشرب إلّا لبن أمّه أو كان بحيث لاتوجد مرضعة غيرها لإعساره. فإنّه حينئذ يجب على الأمّ في الأوّلين بالأجرة و في الثالث لكونه ممّن يجب نفقته. و يحتمل أن يكون المعنى أنّ الإرضاع في هذه المدّة للأمّ بمعنى أنّه حقّها و يجب على الأب تمكينها منه و لايجوز له الأخذ منها و إرضاع غيرها. فيكون حينئذ إخباراً عن حقّ الأمّ الواجب على الأب. «حولين كاملين» للتأكيد، و لما فيه من الإشعار بعدم التسامح في الإطلاق. «لمن أراد». متعلّق بالحكم السابق. أي: إرضاع الحولين الكاملين لمن أراد إتمام الإرضاع. و فيه إشارة إلى أنّه يجوز النقصان عنه على الإطلاق من غير تقييد، ولكنّ أصحابنا قيّدوا النقصان بشهر أو شهرين، و ربما ذكر بعضهم ثلاثة أشهر. و لعلّ هذا التحديد إجماعيّ بينهم بمعنى أنّه مجمع على أنّه لايجوز نقصان هذه الإرضاع عن أحد و عشرين شهراً. و في الروايات دلالة على ذلك أيضاً. و فيها أيضاً

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٥٨٤.

أنّ ما نقص عن ذلك جور على الصبيّ. «بالمعروف»؛ أي: على قدر اليسار و الفقر في الشرع و العرف.[۱]

«لاتضارّ». قرأ أهل البصرة و ابن‌كثير: «لاتضارّ» بالرفع و تشديد الراء على الإخبار. فيكون بدلاً من قوله: «لا تكلّف». و قرأ أبوجعفر وحده بتخفيف الراء و سكونها، بناء على أنّ أصله لاتضارّ حذف أحد الراءين تخفيفاً. و من فتح جعله نهياً و فتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها و هو الألف.[۲] و أصله على القراءتين لاتضارِر بالكسر أو لاتضارَر بالفتح و يجوز أن يكون تضارّ بمعنى تضرّ و أن يكون الباء من صلته. أي: لاتضرّ والدة بـولدها، فلاتسئ غذاءه و تعهّده و لاتفرّط فيما ينبغي له و لاتدفعه إلى الأب بعد ما ألفها. و لايضرّ الوالد بولده بأن ينتزعه من يدها أو يقصّر في حقّها فتقصّر في حقّ الولد.[۳]

و إنّما قال: «لاتضارّ» و الفعل من واحد، لأنّه لمّا كان معناه المبالغة كان بمنزلة أن يكون الفعل من اثنين. و المعنى: إنّ الوالدة لاتضارّ زوجها بسبب ولدها بأن تطلب منه ما ليس بعدل و لا معروف من الرزق و الكسوة، أو أن تشغل قلبه في شأن الولد، أو أن تقول له بعد ما ألفها الولد: خذ ولدك منّي، أو تتركه فيحصل للولد مرض في يد الأجنبيّة، أو لم تفعل ما وجب عليها بعد أخذ الأجرة بحيث يحصل الضرر للولد فيتضرّر الوالد بسببه. و لايضارّ المولود له أيضاً امرأته بأن يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه من الرزق و الكسوة، أو يأخذه منها و هي تريد إرضاعه فتضرّر بمفارقة الولد، أو يكرهها عليه إذا لم ترده فتضرّر بالإكراه. و الذي رواه الكلينيّ في الحسن عن الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «لاتضارّ والدة» ـ الآية ـ قال: كانت المرأة ترفع يدها إلى زوجها إذا أراد مجامعتها فتقول: لاأدعك. إنّي أخاف أن أحمل على ولدي. و يقول الرجل: لاأجامعك. إنّي أخاف أن تعلقي فأقتل ولدي. فنهى الله عزّوجلّ أن تضارّ المرأة الرجل و أن يضارّ الرجل المرأة ـ الحديث. و لعلّ نهي الرجل عن إضرارها

۱ـ مسالك الأفهام ۳ / ۳۰۵ ـ ۳۱۰.

۲ـ مجمع البيان ۲ / ۵۸٤ ـ ۵۸۵، و تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۲۵.

۳ـ الكشّاف ۱ / ۲۸۰.

على هذا الوجه مقيّد بما إذا مضت أربعة أشهر فصاعداً لعدم جواز ترك الوطي حينئذ فيصحّ النهي، أمّا قبله فيجوز فلايكون منهيّاً عنه إلّا أن يحمل النهي على الكراهة. و مقتضى [الرواية] أنّ إضرار الوالدة بترك الوطي منهيّ عنه و إن اتّفق إضرار الولد المرتضع به بسبب حصول الحمل، بل ربما قيل: إنّ مطلق الجماع حال الإرضاع يضرّ المرتضع حملت الأمّ أم لا.(١)

«و على الوارث». عطف على «و على المولود له» و ما بينهما معترض. أي: يجب على وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق و الكسوة و تجنّب الضرار. و الكلام في الوارث الذي يجب عليه ذلك. فإنّ نفقة الولد لاتجب على غير الأبوين؛ كما أجمع عليه أصحابنا. و الظاهر حمله على الصبيّ لأنّه وارث الأب بمعنى أنّ مؤونة الرضاع في ماله بعد موت أبيه. و يمكن جعل الوارث بمعنى الباقي. أي: الباقي من الأبوين. و هذان يوافقان مذهبنا من عدم وجوب النفقة على غير الأبوين. و يمكن أن يكون وارث الأب كائناً من كان. و يكون فيه إشارة إلى وجوبها على الورثة في مال الميّت. قال في مجمع البيان: و قد روي في أخبارنا أنّ على الوارث كائناً من كان النفقة. قال: و هذا يوافق الظاهر. قلت: يمكن المصير إلى ذلك نظراً إلى ظاهر الآية و الأخبار. و يكون أجرة الرضاع من باب الاستثناء. و يمكن حمل الأخبار على ما إذا وقعت الإجارة قبل موت الأب و مات قبل أن يسلّم الأجرة بتمامها. فإنّه يجب على الوارث دفع الباقي إلى المرضعة، لعدم بطلان الأجرة بموت الموجر. كما هو أحد القولين.(٢)

أقول: يمكن أن يقال: الوارث هو الوصيّ الوارث. فافهم. (حسن)

عن أبي الصباح قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله: «و على الوارث مثل ذلك». قال: لاينبغي للوارث أن يضارّ المرأة فيقول: لاأدع ولدها يأتيها، و يضارّ ولدها إن كان لهم عنده

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٣١٠ ـ ٣١٢. ٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ٣١٢ ـ ٣١٣.

شيء. و لاينبغي أن يقتّر عليه.[١]

«فإن أرادا»؛ أي: فإن أراد الوالد و الوالدة فطام الولد قبل الحولين. «منهما»؛ أي: فصالاً صادراً عن تراض منهما و تشاور يشتمل على مصلحة الصبيّ قبل تمام الحولين. «فلا جناح»؛ أي: لا إثم. «تسترضعوا»؛ أي: تطلبوا لهم مراضع غير أمّهاتهم. «فلا جناح»؛ أي: لاإثم عليكم في الاسترضاع إذا سلّمتم إلى المراضع ما أردتم إعطاءه لهنّ. و هو محمول على الندب و الترغيب في دفعه إلى المرضع. «بالمعروف». متعلّق بسلّمتم. أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة إلى المراضع مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل. و عندنا أنّ هذا الاسترضاع مقيّد بما إذا وجدت متبرّعة بإرضاعه و لم تتبرّع الأمّ أو بما إذا وجد من يرضعه بأقلّ ممّا طلبت الأمّ و لم ترض به. فلو انتفى الأمران، لم يكن له استرضاع غيرها.[٢]

[٢٣٤] «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«و الذين» ـ الآية. الأزواج: جمع زوج بمعنى الزوجة. «يتربّصن»؛ أي: يحبسن أنفسهنّ للعدّة. خبر الذين على حذف المضاف. أي: أزواج الذين يتوفّون [ـ إلى آخره]. و قوله: «أربعة أشهر و عشراً» بالتأنيث تغليباً للّيالي على الأيّام إذا اجتمعت في التاريخ. و مقتضى الآية وجوب التربّص المدّة المذكورة على المدخول بها و غيرها، صغيرة أو كبيرة حتّى الرضيعة. و التخصيص يحتاج إلى دليل. و الكتابيّة عندنا كالمسلمة. أمّا الأمة فكذلك عند أكثر أصحابنا؛ لعموم الآية و الأخبار المعتبره. و بعض أصحابنا على تنصيف المدّة فيها، لدلالة بعض الأخبار عليه، و أجابوا عن الأخبار الأوّل بحملها على أمّ الولد؛ فإنّها تساوي الحرّة في العدّة جمعاً بين الأخبار. و أمّا كون عدّة الحامل هنا أبعد الأجلين، فقد خرج من

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٢١، ح ٣٨٤.

٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ٣١٣ ـ ٣١٥.

عموم هذه الآية بالأخبار المستفيضة.

«بأنفسهنّ»؛ أي: بحبس أنفسهنّ. و فيه دلالة على أنّ أوّل العدّة بلوغ الخبر. و أكثر العامّة [ذهبوا إلى أنّه] من حين الموت. «بلغن أجلهنّ»؛ أي: انقضت عدّتهنّ. «فعلن» من إرادة التزويج و سائر ما حرّم عليهنّ من الحداد للعدّة.(١)

«فلا جناح عليكم»: لا إثم عليكم أيّها الحكّام أو المسلمون. «بالمعروف»: بالوجه الذي لاينكره الشرع.(٢)

[٢٣٥] «وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ».

«فيما عرّضتم». التعريض: ضدّ التصريح. و هو إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة و لا مجازاً. «من خطبة». الخطبة ـ بالكسر ـ: الذكر الذي يستدعى به إلى عقد النكاح. و المراد بالنساء المعتدّات مطلقاً. و خصّها القاضي بالمعتدّة للوفاة، فلايجوز في الطلاق البائن، كما هو أحد قولي الشافعيّ. و الواجب عندنا تخصيصها بغير ذات العدّة الرجعيّة، لأنّها في حكم الزوجة إجماعاً، فلايجوز التعريض من غير الزوج. و التعريض في الخطبة أن يقول لها: أنت جميلة أو نافعة أو صالحة للتزويج، و نحو ذلك من أوصافها، أو يذكر أوصافه مثل أنّه يحتاج إلى التزويج أو أنّه من قريش. «أو أكننتم»؛ أي: أضمرتم في قلوبكم من نكاحهنّ بعد مضيّ عدّتهنّ و لم تذكروه بألسنتكم. «علم الله»؛ أي: يعلم أنّكم لاتصبرون على الكتمان و السكوت عن النطق، فلذا رفع الجناح عنكم في التعريض. «لاتواعدوهنّ سرّاً». استدراك من محذوف دلّ عليه «ستذكرونهنّ». أي: فاذكروهنّ ولكن لاتواعدوهنّ سرّاً؛ أي: نكاحاً

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٧٢ ـ ٧٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٦.

أو جماعاً. و يحتمل أن يراد بالمواعدة [سرّاً المواعدة] بما يستهجن. «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً». و هو أن تعرّضوا بالخطبة و لاتصرّحوا بها كما تظافرت به أخبارنا عن الأئمّة عليهم السلام. و فيها أنّ المواعدة سرّاً أن يقول لها: موعدك بيت فلان، و أنّ منها أن يعزم عقدة النكاح.[١]

«و لاتعزموا». ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد. أي: لاتعزموا عقد عقدة النكاح. و قيل: معناه: لاتقطعوا عقدة النكاح. «يبلغ الكتاب»: ما كتب من العدّة. «ما في أنفسكم» من العزم على ما لايجوز. «حليم» لايعاجلكم بالعقوبة.[٢]

[٢٣٦] «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ».

«لا جناح عليكم إن طلّقتم النساء»؛ أي: لا تبعة عليكم من إيجاب مهر، بقرينة الوجوب في مقابله؛ أعني صورة الفرض حيث يجب النصف أو: لا وزر عليكم. لأنّه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس و الفرض فإن قيل: هذا يشعر بالجناح بعد المسيس و الفرض. و ليس كذلك. قلت: لعلّ الآية وردت لبيان إباحة هذا الطلاق على الإطلاق. فإنّ الإباحة كذلك لاتتمّ قبل المسيس، إذ بعده يحتاج أن يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه. و قيل: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يكثر النهي عن الطلاق، فظنّ أنّ فيه حرجاً، فنفي. «ما لم تمسّوهنّ»؛ أي: تجامعوهنّ. «أو تفرضوا لهنّ فريضة»؛ أي: تعيّنوا لهنّ مهراً. و الظاهر أنّ «أو» بمعنى الواو، كما يرشد إليه قوله فيما بعد: «و قد فرضتم لهنّ فريضة». و يكون مفاد الكلام أنّه لا تبعة عليكم في مهر إن طلّقتموهنّ قبل المسيس و قبل تسمية المهر. فإنّ الطلاق قبل أحدهما فقط ليس بهذه المثابة. إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمّى أو مهر المثل، و لو كانت غير ممسوسة ولكن سمّي لها، فلها نصف المسمّى. و يمكن أن يكون بمعناها على أنّ المراد [أنّ] رفع الحرج منوط بعدم المسيس

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٣١٥ ـ ٣١٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٦ ـ ١٢٧.

أو بعدم الفرض على سبيل منع الخلوّ فقط و لهذا صحّ اجتماعهما في هذا الحكم. و يظهر من الكشّاف و القاضي أنّها بمعنى: إلّا أن تفرضوا. و مرجعه ما ذكرناه. «و متّعوهنّ». عطف على مقدّر. أي: طلّقوهنّ و متّعوهنّ. و هو ما يمتّع به. و الأمر للوجوب عند أكثر العلماء. و مالك و جماعة على الاستحباب، لقوله: «حقّاً على المحسنين» و الإحسان غير واجب. «على الموسع»؛ أي: على الغنيّ «قدره» الذي يطيقه. «و على المقتر قدره»؛ أي: [على] الفقير ما يطيقه. و ظاهر الأصحاب انقسام الحكم إلى الغنيّ و المتوسّط و الفقير. و أوجبوا على الغنيّ الدابّة أو الثوب المرتفع أو عشرة دنانير، و على المتوسّط خمسة دنانير أو الثوب المتوسّط. و على الفقير الدينار أو الخاتم و نحو ذلك. و ليس في الروايات ما يدلّ على هذا التفصيل. و لعلّ ما ذكروا نظراً إلى الظاهر من رجوع أحوال الناس إلى الثلاثة و يكون المتوسّط داخلاً في أحد الطرفين. «فريضة». مفعول به. و التاء للنقل من الوصفيّة إلى الاسميّة. «متاعاً»: تمتيعاً بالوجه الذي يحسن في الشرع و العرف. و نصبه على المصدريّة. «حقّاً». صفة متاعاً. أي: تمتيعاً حقّاً ثابتاً. أو منصوب على المصدريّة مؤكّد لمضمون ما تقدّم.[١]

«قدره». حفص و ابن ذكوان و حمزة و الكسائيّ بفتح الدال في الموضعين، و الباقون بإسكانها.[٢]

«و متّعوهنّ». و المتعة خادم أو كسوة أو ورق. و هو المرويّ عن الباقرين عليهما السلام ثمّ اختلف في ذلك. فقيل: إنّما تجب المتعة التي لم يسمّ لها صداقاً خاصّة. و هو المرويّ عن الصادقين عليهما السلام. و قيل: المتعة لكلّ مطلّقة سوى المطلّقة المفروض لها إذا طلّقت قبل الدخول؛ فإنّ لها نصف الصداق و لا متعة لها. وقد رواه أصحابنا أيضاً. و ذلك محمول على الاستحباب.[٣]

[٢٣٧] «وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٤٦ ـ ٢٤٩. ٢ـ التيسير / ٦٩.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٥٩٥.

فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَ لَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«فرضتم»؛ أي: سمّيتم لهنّ مهراً. «فنصف»؛ أي: فعليه نصف ما فرض. «إلّا أن يعفون». أي المطلّقات عن أزواجهنّ فلايأخذن شيئاً بأن يتركن نصف الصداق أو بعضاً منه. و «الذي بيده عقدة النكاح» قيل: هو الوليّ الذي عقد نكاحهنّ و هو الأب و الجدّ له. و على هذا أصحابنا أجمع. قال الشيخ في التبيان: «إلّا أن يعفون» معناه من يصحّ عفوها من الحرائر البالغات غير المولّى عليها لفساد عقلها. و «الذي بيده عقدة النكاح» هو الوليّ. و هو المرويّ عن الباقرين عليهما السلام.[1] انتهى. و قال الشيخ في النهاية: «الذي بيده عقدة النكاح» الأب و الأخ إذا جعلت أمرها إليه أو من وكّلته في أمرها. فأيّ هؤلاء كان، جاز له أن يعفو عن جميعه.[2] و تابعه في ذلك ابن البرّاج. و قال ابن إدريس: الذي يقتضيه أصول المذهب أنّ الأب و الجدّ إذا عقدا على غير البالغة، فلهما أن يعفوا عمّا تستحقّه من نصف المهر بعد الطلاق إذا رأيا ذلك مصلحة و تكون المرأة وقت عفوهما غير بالغة. فأمّا من عداهما أو هما مع بلوغها و رشدها فلايجوز لهما العفو عن النصف و صارا كالأجانب لا ولاية لهما في هذا الحال. و لايجوز لأحد التصرّف في مالها بالهبة و العفو إلّا عن إذنها. و ليس في الآية متعلّق سوى ما ذكرناه. لأنّه تعالى قال: «إلّا أن يعفون» فدلّ بهذا القول أنّهنّ ممّن لهنّ العفو فهنّ الحرائر البالغات الواليات على أنفسهنّ في العقد بالعفو. ثمّ قال: «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح». معناه: إن لم يكن بالغات و لا واليات على أنفسهنّ، فعند ذلك لا وليّ عليهنّ عندنا سوى الأب و الجدّ بغير خلاف. فلهما العفو بعد الطلاق. انتهى.[3] و هو جيّد و العمل عليه هو الأولى. و قيل: هو الزوج و عفوه أن يسوق إليها المهر كملاً من غير أن يرتجع عليه بنصف. و رواه بعض أصحابنا. «و أن تعفوا». الخطاب فيه للزوج. و إنّما جمع لأنّه خطاب

١ـ التبيان ٢ / ٢٧٣. ٢ـ النهاية / ٤٦٨.
٣ـ السرائر ٢ / ٥٧٢.

لكلّ زوج. و إنّما كان العفو أقرب إلى التقوى من وجهين. أحدهما أنّ معناه: أقرب إلى أن يتّقي أحدهما ظلم صاحبه. لأنّه من ترك لغيره حقّ نفسه، كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره [بطلب] ما ليس له. و الثاني أنّ معناه: أقرب إلى اتّقاء معصية الله. لأنّ من ترك حقّ نفسه، كان أقرب إلى أن لا يعصي الله بطلب ما ليس له. و يحتمل أن يكون خطاباً للنساء و الأولياء على التغليب. «و لاتنسوا» أن يتفضّل بعضكم على بعض فتأخذوا مرّ الحكم و استيفاء الحقوق على الكمال من غير نقصان. لأنّ مثله بعيد عن التفضّل. «بصير» فلا يضيع تفضّلكم و إحسانكم.(١)

«و لاتنسوا». خطاب للناس كلّهم كما يفهم من الأخبار.

[٢٣٨] «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ».

«الوسطى»: تأنيث الأوسط؛ و هو ما بين الشيئين على جهة الاعتدال و التساوي. و يحتمل أن يكون المراد بها الفضل. من قولهم [للأفضل]: الأوسط. و تخصيصها بالذكر للاهتمام بها و الإشارة إلى أنّها أفضل من غيرها. و قد اختلف أصحابنا بل العامّة في المراد بها. فقيل: هي صلاة الظهر. ذهب إليه طائفة منّا و ادّعى عليه الشيخ الوفاق في الخلاف.(٢) و رواه زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: و إنّها متوسّطة بين صلاتين نهاريّتين.(٣) و لوقوعها في وسط النهار حين ينتشر الناس في معايشهم و يشتغلون بتحصيل دنياهم، فاقتضى ذلك في الاهتمام بالمحافظة عليها. و ذهب جماعة إلى أنّها العصر. و ادّعى عليه المرتضى الإجماع.(٤) و ما روي عنه صلّى الله عليه و آله أنّه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر. ملأ الله بيوتهم ناراً.(٥) و قال صلّى الله عليه و آله: إنّها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داوود عليه السلام حتّى توارت بالحجاب.(٦) و لأنّها في وسط النهار. و روى عليّ بن إبراهيم في

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥٤.
٢ـ الخلاف ١ / ٢٩٥.
٣ـ الكافي / ٢٧١ ـ ٢٧٢.
٤ـ رسائل الشريف المرتضى ١ / ٢٧٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٨.
٦ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٨٦.

التفسير عن الصادق عليه السلام أنّه قرأ: «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى صلاة العصر».[١] و كذلك رواه العيّاشيّ عنه عليه السلام.[٢] و رواه الصدوق في كتاب علل الشرائع عن الحسن عليه السلام.[٣] و قيل: إنّها المغرب. لأنّها متوسّطة في الطول و القصر. و قيل: إنّها صلاة العشاء. لأنّها بين صلاتين لاتقصران. و قيل: هي الصبح. و عليه الشافعيّ. لأنّها بين صلاتي اللّيل و النهار و بين الظلام و الضياء. و ذهب قوم إلى أنّها إحدى الصلوات أخفاها الله في جملتها كليلة القدر و الاسم الأعظم و وليّ الله و ساعة الإجابة في ساعات الجمعة، إشارة إلى أنّه ينبغي الاهتمام بجميعها لتدرك في ضمنه. و قد يستنبط من ذلك أنّ الجزم في النيّة إنّما يجب بحسب الممكن. إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الأخبار دائرة بين الدلالة على أنّها إمّا الظهر و إمّا العصر و إن كان الدلالة على الأوّل أكثر. و ما ذكره المفسّرون في شأن الإنزال دالّة عليه أيضاً. و هو ما رووه عن زيد بن ثابت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلّي بالهاجرة و كانت أثقل الصلوات على أصحابه فلايكون وراءه إلّا الصفّ أو الصفّان، فقال صلى الله عليه وآله: لقد هممت أن أحرق على قوم لايشهدون الصلوات بيوتهم، فنزلت.[٤]

«حافظوا»؛ أي: اضبطوها بأدائها في الوقت المحدود الموقّت.[٥]

«قانتين». القنوت هو الدعاء في الصلاة حال القيام. و هو المرويّ عن الصادقين عليهما السلام. و قيل: خاشعين و قيل: ساكنين.[٦]

[٢٣٩] «فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ».

«فإن خفتم». قدّم سبحانه وجوب المحافظة على الصلوات بوقوعها على الوجه المعتبر، ثمّ عقّبه بذكر الرخصة عند حصول الخوف. يعني: إن خفتم عدوّاً فصلّوا حال كونكم

١ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٧٩.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٢٧.
٣ـ علل الشرائع / ٣٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٥٩٩ ـ ٦٠٠.
٥ـ مسالك الأفهام ١ / ١٢١.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٠.

راجلين و راكبين. فمفعول «خفتم» محذوف، أو الفعل منزّل منزلة اللّازم. و المراد وجوب الصلاة على كلّ حال يمكن تحرّي المقدور. و قال الشافعيّ: إن تتابع الطعن أو الضرب و المشي، بطلت الصلاة، لمكان الفعل الكثير. و قال أبوحنيفة: لا يصلّي حال المشي و لا حال المسايفة بل يؤخّرها إلى أن يتمكّن من الوقت. و هذان القولان لا حجّة عليهما.

«فاذكروا الله»؛ أي: صلّوا صلاة الأمن كما علّمكموها. و [قيل:] اذكروا الله بالثناء عليه كما علّمكم من أمور دينكم.[١]

[٢٤٠] «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و الذين يتوفّون»؛ أي: يقاربون الوفاة، فليوصوا وصيّة لأزواجهم. «متاعاً إلى الحول». يعني ما ينتفعن به حولاً من النفقة و الكسوة و السكنى. و قيل: هو مثل المتعة في المطلّقات و كان واجباً في المتوفّى عنها زوجها بالوصيّة من مال الزوج. «غير إخراج»؛ أي: لايخرجن من بيوت الأزواج. «فإن خرجن» بأنفسهنّ قبل الحول من غير أن يخرجهنّ الورثة. و قيل: المراد إذا خرجن بعد مضيّ الحول وقد مضت العدّة. «فلا جناح عليكم» يا معشر أولياء الميّت «فيما فعلن في أنفسهنّ». أي: لا جناح في قطع النفقة و السكنى عنهنّ. و هذا دليل على سقوط النفقة بخروجهنّ و أنّ ذلك كلّه واجب لهنّ بالإقامة إلى الحول، فإن خرجن قبله بطل الحقّ الذي وجب لهنّ بالإقامة. و قيل: لاجناح عليكم إن تزوّجن بعد انقضاء العدّة. و هذا أوجه. و تقديره: إذا خرجن من العدّة بانقضاء السنة، فلا حرج أن تزوّجن. و قوله: «من معروف» يعني طلب النكاح و التزيّن. و اتّفق العلماء على أنّ هذه الآية منسوخة. و قال أبوعبدالله عليه السلام: كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠١.

حولاً ثمّ أخرجت بلا ميراث، ثمّ نسختها آية الربع و الثمن. فالمرأة ينفق عليها من نصيبها. و عنه عليه السلام قال: نسختها: «يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر و عشراً»[1] و نسختها آية المواريث.[2]

قرأ ابن‌كثير و الكسائيّ: «وصيّةٌ» بالرفع، و الباقون بالنصب. أمّا الرفع فعلى الابتداء والظرف خبره؛ مثل سلام عليك. و النصب على معنى: وليوصوا وصيّة.[3]

«متاعاً». منصوب بيوصون، إن أضمرت، و إلّا فبالوصيّة. «غير إخراج». بدل منه. «فإن خرجن» عن منزل الأزواج. «فيما فعلن» كالزينة. و هذا يدلّ على أنّه لم‌يجب عليها ملازمة مسكن الزوج و الحداد عليه و إنّما كانت مخيّرة بين الملازمة و أخذ النفقة و بين الخروج و تركها.[4]

[٢٤١] «وَ لِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ».

«و للمطلّقات متاع». قيل: لمّا نزلت: «و متّعوهنّ على الموسع» ـ الآية ـ قال بعضهم: إن أحببت فعلت. و إن لم‌أرد ذلك لم‌أفعل. فنزلت.[5] هذه الآية دالّة على الوجوب. و قيل: إنّها على عمومها. و به قال طائفة من العامّة حيث أوجب المتعة لكلّ مطلّقة. و هذا، و إن ورد في أخبارنا ما يدلّ عليه، إلّا أنّها محمولة على الاستحباب. و لايجب المتعة عندنا إلّا لمن لم‌يدخل بها و لم‌يفرض لها مهر.

«للمطلّقات متاع». المراد المتعة؛ لكنّ بعضهم أوّله بما يشمل الواجبة كما مرّ و المستحبّة في غيرها كالمطلّقة بعد الدخول سواء فرض لها مهر أم لم‌يفرض.[6]

[٢٤٢] «كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

١ـ البقرة (٢) / ٢٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٢.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٨.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٣.
٦ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

« آياته »: ما يحتاجون إليه من الدلائل و الأحكام «تعقلون »؛ أي: تفهمونها.(١)

[٢٤٣] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ».

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين» ـ الآية ـ قال: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام. و كانوا سبعين ألف بيت. و كان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان. فكانوا إذا أحسّوا به، خرج من المدينة الأغنياء و بقي فيها الفقراء. فاجتمع رأيهم جميعاً إذا وقع الطاعون خرجوا جميعاً. فلمّا أحسّوا به مرّة، خرجوا كلّهم من المدينة حذر الموت فساروا في البلاد، ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة فنزلوا بها. فلمّا اطمأنّوا، قال الله لهم: موتوا. فماتوا جميعاً و صاروا رميماً. فمرّ بهم حزقيل النبيّ عليه السلام فدعا الله بالاسم الأعظم فأحياهم جميعاً.(٢)

و عن الصادق عليه السلام أنّ حزقيل صبّ عليهم الماء، فقاموا من موتهم، و كان يوم النيروز، فصار صبّ الماء يوم النيروز سنّة.(٣)

«ألم تر». تعجيب و تقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب. و قد يخاطب به من لم ير و لم يسمع لأنّه مثل في التعجّب.(٤)

«على الناس» حيث يبصّرهم ما يعتبرون به.(٥)

«خرجوا». هم أهل داوردان قرية قبل واسط، فأحياهم بدعاء حزقيل. و بهذه الآية ألزم الرضا عليه السلام النصارى حيث استدلّوا على إلهيّة عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى.(٦)

[٢٤٤] «وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«و قاتلوا». قيل: توجّه الخطاب إلى الصحابة بعد ما ذكّرهم بحال من فرّ من الموت

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٩.
٢ـ الكافي ٨ / ١٦٥.
٣ـ عوالي اللآلي ٣ / ٤١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٢٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ٢٩٠.
٦ـ عيون الأخبار ١ / ١٦٠.

فلم ينفعه الفرار يحضّهم على الجهاد لئلّا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل أولئك الذين فرّوا من الديار. و قيل: إنّه خطاب للّذين جرى ذكرهم، على تقدير: و قيل لهم قاتلوا في سبيل الله.(۱)

[۲٤٥] «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَ اللهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«من ذا الذي». عن الصادق عليه السلام: نزلت في صلة الأرحام.(۲)

عن الصادق عليه السلام: لمّا نزل: «من جاء بالحسنة فله خير منها»(۳) قال رسول الله صلى الله عليه و آله: اللّهمّ زدني. فأنزل الله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».(٤) فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: اللّهمّ زدني. فأنزل الله: «من ذا الذي يقرض الله». فعلم رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ الكثير من الله لا يحصى و ليس له منتهًى.(٥)

«يقرض الله»؛ أي: ينفق في سبيله و طاعته. و المراد به الأمر. و ليس هو بقرض حاجة كما ظنّه اليهود فقالوا إنّ الله فقير يستقرض منّا عن عوَز، و نحن أغنياء. فأنزل الله: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير و نحن أغنياء».(٦) بل سمّى سبحانه الإنفاق قرضاً، تلطّفاً إلى فعله و تأكيداً عليه. لأنّ القرض يوجب الجزاء. و القرض الحسن أن ينفق من حلال و لا يفسده بمنّ و لا أذًى.(۷)

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من لم يكن عنده ما يتصدّق به، فليلعن اليهود.(۸)

عن الصادق عليه السلام: المؤمنون هم الذين يضاعف الله لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعين

۱ـ مجمع البيان ۲ / ٦٠٦.
۲ـ الفقيه ۲ / ٤۲.
۳ـ النمل (۲۷) / ۸۹.
٤ـ الأنعام (٦) / ١٦٠.
٥ـ معاني الأخبار ۲۹۷ ـ ۲۹۸.
٦ـ آل عمران (۳) / ۱۸۱.
۷ـ مجمع البيان ۲ / ٦٠۷.
۸ـ تفسير النيسابوريّ ۲ / ۳۹۲.

ضعفاً. فهذا فضل المؤمن. و يزيد الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه.(١)

«فيضاعفه». فيه أربع قراءات. أبوعمر و نافع و حمزة و الكسائيّ: «فيضاعفه» بالألف و الرفع. و قرأ عاصم بالألف و النصب. و قرأ ابن‌كثير و أبوجعفر: «فيضعّفه» بالتشديد و الرفع. و قرأ ابن‌عامر بالتشديد و النصب.(٢)

«يقبض» الصدقات «و يبسط» الجزاء عليها عاجلاً و آجلاً. و قيل: يقبض الرزق بموت واحد و يبسطه لوارثه.(٣)

«يبسط». روي عن أبي عمرو و حمزة بالصاد.(٤)

عن الصادق عليه السلام: القبض من الله [المنع]. و البسط منه الإعطاء و التوسيع. كما قال عزّوجلّ: «يقبض و يبسط».(٥)

[٢٤٦] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: اسمعوا ما أتلو عليكم من كتابه المنزل على نبيّه صلى الله عليه و آله. فقرأ: «ألم تر إلى الملأ» إلى قوله: «واسع عليم». أيّها الناس، إنّ لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أنّ الله جعل الخلافة و الأمر من بعد الأنبياء في أعقابهم و انّه فضّل طالوت و قدّمه على الجماعة باصطفائه إيّاه و زيادة بسطة في العلم و الجسم. فهل تجدون الله اصطفى بني أميّة على بني هاشم و زاد معاوية عليّ بسطة في العلم و الجسم؟(٦)

الملأ: اسم جماعة من الناس، لأنّهم يملؤون العيون هيبة، أو لأنّهم ملأى بالأحلام و

١ـ الكافي ٢ / ٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٨.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٠٦.
٥ـ التوحيد / ١٦١، ح ٢.
٦ـ الاحتجاج ١ / ٢٥٣.

الآراء الصائبة. و جمعه على أملاء.[١]

«الملأ»: الجماعة الأشراف. لمّا قدّم سبحانه ذكر الجهاد، عقّبه بقصّة مشهورة في بني إسرائيل تضمّنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه، تحذيراً من سلوك طريقتهم فيه، فقال: «ألم تر»؛ أي: ألم ينته علمك ـ يا محمّد ـ إلى الأشراف من بني إسرائيل. «إذ قالوا لنبيّ لهم». و هو شمعون أو يوشع بن نون. و قيل: اشميول.[٢] و هو بالعربيّة إسماعيل. عن أكثر المفسّرين. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «ابعث لنا ملكاً». و ذلك أنّ الجبابرة ظهروا عليهم و سبوا كثيراً من ذراريهم، لأنّ بني إسرائيل فعلوا الخطايا، و لم يكن لهم ملك، فطلبوه من نبيّهم. و قال أبو عبدالله عليه السلام: كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود و النبيّ يقيم له أمره. قال: «هل عسيتم إن كتب عليكم القتال». أي: لعلّكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك، لاتفوا بما تقولون. فقالوا: أيّ شيء لنا في ترك القتال و قد ظهر علينا العدوّ؟ «من بعد موسى» حال بعد حال. «عسيتم» قرأ نافع: «عسيتم» بكسر السين.[٣]

«إن كتب»؛ أي: إن كتب عليكم القتال، فهل يتوقّع منكم الخوف و الجبن؟ و أراد بالاستفهام التقرير. «و ما لنا». قال المبرّد: ما نافية. أي: ليس لنا ترك القتال. و الأكثرون على أنّه للاستفهام. «قليلاً». كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً بعدد أهل بدر. «ملكاً». منصوب على الحال.[٤]

«قليلاً». عن أبي جعفر عليه السلام: كان القليل ستّين ألفاً.[٥]

[٢٤٧] «وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٩٤.

٢ـ المصدر: اشمويل.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٠ ـ ٦١١ و ٦٠٩.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

٥ـ معاني الأخبار / ١٥١.

«طالوت». سمّي به لطوله. و هو غير منصرف للتعريف و العجمة. «أحقّ». لأنّا من سبط النبوّة و المملكة و أوتينا المال. «و لم يؤت سعة من المال»؛ أي: لم يعط ما يتملّك به الناس، و هو المال، إذ لابدّ للملك من مال يحصّل به المماليك.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام: انّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي و غيّروا دين الله و عتوا عن أمر ربّهم. و كان فيهم نبيّ يأمرهم و ينهاهم فلم يطيعوه. و روي أنّه إرميا النبيّ. فسلّط الله عليهم جالوت ـ و هو من القبط ـ فآذاهم و قتل رجالهم و أخرجهم من ديارهم و أموالهم و استعبد نساءهم. ففزعوا إلى نبيّهم و قالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. فقال لهم نبيّهم: «هل عسيتم» ـ الآية. و كان كما قال. فإنّه لمّا بعث طالوت، غضبوا من ذلك و قالوا: أنّى يكون له الملك علينا؟ و كانت النبوّة في ولد لاوي و الملك في ولد يوسف. و كان طالوت من ولد ابن يامين لم يكن من بيت النبوّة و لا من بيت المملكة. فقال لهم نبيّهم: إنّ الله اصطفاه عليكم. و كان أعظمهم جسماً، و كان شجاعاً قويّاً، و كان أعلمهم، إلّا أنّه كان فقيراً. فعابوه بالفقر فقالوا: «لم يؤت سعة من المال».(٢)

«واسع»؛ أي: يوسّع على من يشاء من نعمه. «عليم» بمن ينبغي أن يؤتيه الفضل و المملكة.(٣)

[٢٤٨] «وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

كأنّهم قالوا لنبيّهم: إن كان ملكه بأمر من الله، فأتنا بعلامة تدلّ على ذلك، فأجابهم بهذا. و روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبي جعفرعليه السلام: انّ التابوت كان الذي أنزل الله

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٢.

٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٨١ ـ ٨٢.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٣.

على أمّ موسى فوضعت فيه ابنها و ألقته في البحر. و كان في بني إسرائيل يتبرّكون به. فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح و درعه و ما كان من آثار النبوّة و أودعه عند وصيّه يوشع بن نون. فما زال التابوت بينهم و بنو إسرائيل في عزّ و شرف ما دام فيهم حتّى استخفّوا به و كان الصبيان يلعبون به في الطرقات. فلمّا عملوا المعاصي، رفعه الله عنهم. فلمّا سألوا نبيّهم أن يبعث إليهم ملكاً، بعث الله لهم طالوت و ردّ عليهم التابوت. قيل: كان في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لمّا حدث في بني إسرائيل الأحداث. ثمّ انتزعه الله من أيديهم و ردّه على بني إسرائيل تحمله الملائكة. روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. و كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين، عليه صفائح الذهب. و كان من شمشاد. و كانوا يقدّمونه في الحروب و يجعلونه أمام جندهم، فإذا سمع من جوفه أنين، سار التابوت، فكانوا يسيرون خلفه، فإذا سكن الأنين، وقف، فوقف الناس. «فيه سكينة من ربّكم». في التابوت نفسه. قيل: إنّ السكينة ريح هفّافة من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان. عن عليّ عليه السلام. قيل: كان له جناحان و رأس كرأس الهرّة من الزبرجد و الزمرّد. و روي ذلك في أخبارنا. «و بقيّة ممّا ترك آل موسى». قيل: إنّها عصا موسى و رضاض الألواح. عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: هي التوراة و شيء من ثياب موسى. و الظاهر أنّ السكينة أمنة و طمأنينة جعلها الله سبحانه [فيه] ليسكن إليها بنو إسرائيل. فالبقيّة جاز أن يكون بقيّة من العلم و شيئاً من علامات الأنبياء. و قيل: المراد بآل موسى و هارون، موسى و هارون. تقول العرب: آل فلان، يريدون نفسه.[1]

عن جابر الجعفيّ أنّه لمّا شكت الشيعة إلى زين العابدين عليه السلام ممّا يلقونه من بني أميّة، دعا الباقر عليه السلام و أمر أن يأخذ الخيط الذي نزل به جبرئيل و يحرّكه تحريكاً خفيفاً. قال: فمضى إلى المسجد فصلّى فيه ركعتين ثمّ وضع خدّه على الثرى و تكلّم بكلمات ثمّ رفع رأسه فأخرج من كمّه خيطاً دقيقاً يفوح منه رائحة المسك و أعطاني طرفاً منه. فمشيت رويداً. فقال: قف

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٤.

يا جابر. فحرّك الخيط تحريكاً خفيفاً. ثمّ قال: أخرج فانظر ما حال الناس. فخرجت من المسجد فإذا صياح و صراخ و زلزلة و رجفة قد أخربت دور المدينة عامّتها و هلك تحتها أكثر من ثلاثين ألف إنسان. فسألته عن الخيط فقال: هذا من البقيّة ممّا ترك.[١]

«أن يأتيكم التابوت». لأنّه كان في أرض جالوت. «التابوت»: صندوق التوراة. و كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه و كانت تسكن نفوس بني إسرائيل. التابوت فعلوت من التوب و هو الرجوع. لأنّه ظرف يوضع فيه الأشياء فلايزال يرجع إليه ما يخرج منه، و صاحبه يرجع فيما يحتاج إليه من مودعاته. «آل موسى و آل هارون» الأنبياء من بني يعقوب بعدهما.[٢]

عن الصادق عليه السلام قال: إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل. كانت بنو إسرائيل أيّ أهل بيت وجد التابوت على بابهم أوتوا النبوّة. فمن صار إليه السلاح منّا، أوتي الإمامة.[٣]

و عن الباقر عليه السلام: كانت تحمله في صورة البقرة.[٤]

و كان فيه طشت يغسل بها قلوب الأنبياء.[٥]

و في كتاب البصائر بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ في الجفر: انّ الله لمّا أنزل ألواح موسى عليه السلام أنزلها عليه و فيها تبيان كلّ شيء كان و هو كائن إلى يوم القيامة. فلمّا انقضت أيّام موسى، أوحى الله أن استودع الألواح ـ و هي زبرجدة من الجنّة ـ الجبل. فأتى موسى الجبل. فأنشقّ له الجبل، فجعل فيه الألواح ملفوفة، فانطبق الجبل عليها. فلم تزل في الجبل حتّى بعث الله نبيّه صلى الله عليه و آله. فأقبل ركب من اليمن يريدون النبيّ صلى الله عليه و آله. فلمّا انتهوا إلى الجبل، انفرج الجبل و خرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام. فأخذها القوم. فلمّا وضعت في أيديهم، ألقي في قلوبهم ألّاينظروا إليها و هابوها حتّى يأتوها رسول الله صلى الله عليه و آله. و أنزل الله

١ـ المناقب ٤ / ١٨٣.

٢ـ الكشّاف ١ / ٢٩٣.

٣ـ الكافي ١ / ٢٣٨.

٤ـ الكافي ٨ / ٣١٧.

٥ـ الكافي ٣ / ٤٧٢، عن الرضا عليه السلام.

جبرئيل على نبيّه فأخبره بأمر القوم و بما أصابوا. فلمّا قدموا على النبيّ، ابتدأهم فسألهم عمّا وجدوا. فقالوا: و ما علّمك بما وجدنا؟ فقال: أخبرني به ربّي، و هي الألواح. قالوا: نشهد أنّك رسول الله. و دفعوها إليه. فقرأها و كتابتها بالعبرانيّ. فدفعها إلى أميرالمؤمنينعليه السلام فقال: دونك هذه. ففيها علم الأوّلين و علم الآخرين. و هي ألواح موسى. و قد أمـرني ربّي أن أدفعها إليك. فقال: يا رسول اللهصلى الله عليه وآله لست أحسن قراءتها. قال: إنّ جبرئيلعليه السلام أمرني أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنّك تصبح و قد علمت قراءتها. قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح و قد علّمه الله كلّ شيء فيها. فأمره رسول اللهصلى الله عليه وآله أن ينسخها، فنسخها في جلد شاة. و هو الجفر. و فيه علم الأوّلين و الآخرين. و هو عندنا. و الألواح و عصا موسى عندنا. و نحن ورثنا النبيّصلى الله عليه وآله.(۱) (من كتاب رياض الأبرار للمؤلّفرحمه الله ـ حسن)

[۲٤۹] «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُـنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُـنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِـئَةً كَـثِيرَةً بِـإِذْنِ اللهِ وَ اللهُ مَـعَ الصَّابِرِينَ».

«فصل»؛ أي: خرج من مكانه و قطع الطريق بالعساكر. و كانوا ثمـانين ألف. و قـيل: سبعين ألف. و ذلك أنّهم لمّا رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فتبادروا إلى الجهاد. و قال طالوت: إنّ الله ممتحنكم بنهر ليميز الصادق من الكاذب. قيل: إنّما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم و يستحقّوا به النصر على عدوّهم و ليتعوّدوا الصبر على الشدائد فـيصبروا عـند المحاربة. و هو نهر بين الأردن و فلسطين. «إلّا من اغترف غرفة»؛ أي: أخذ الماء مرّة واحدة باليد. و من قرأ بالضمّ فمعناه: إلّا من شرب مقدار ملء كفّه. «فشربوا» كلّهم «إلّا قـليلاً»:

۱ـ بصائر الدرجات / ۱٦۰.

ثلاثمائة و بضعة عشر. «فلمّا جاوزه هو و الذين آمنوا معه»؛ أي: فلمّا تخطّى النهر طالوت و جنوده، إلّا أنّ الكافرين انخزلوا و بقي المؤمنون عدّة أهل بدر. فلمّا رأوا كثرة جنود جالوت، قال الكافرون منهم: «لا طاقة لنا اليوم بجالوت و جنوده قال الذين»؛ أي: المؤمنون الذين عددهم عدد أهل بدر. «غرفة». ابن‌كثير و أبوعمرو: «غَرفة» بفتح الغين.[١]

«فلمّا فصل»؛ أي: خرج لقتال العمالقة. «قالوا»؛ أي: قال بعضهم لبعض. «قال الذين»؛ أي: قال الخلّص منهم الذين تيقّنوا لقاء الله. و قيل: الضمير في قالوا للكثير الذين لم‌يعبروا معه. كأنّهم تقاولوا من وراء النهر.[٢] «بجالوت»: جبّار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد. و كانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل.[٣] «كم من فئة». كم يحتمل الاستفهام و الخبر. و من مبيّنة أو مزيدة. و الفئة: الفرقة من الناس. «بإذن الله»: بحكمه و تيسيره. «مع الصابرين» بالنصر و الإثابة.[٤]

«بالجنود». روي أنّ الوقت كان قيظاً و سلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهراً؛ فقال: «إنّ الله مبتليكم» بما اقترحتموه من النهر. و نحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيله من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرّعاً، بل هو أشدّ منه و أصعب. «إلّا» مستثنًى من قوله: «فليس منّي». «من اغترف». معناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع.[٥]

«ليس منّي»؛ أي: ليس من أهل ولايتي.[٦]

«قالوا» الذين شربوا.[٧]

[٢٥٠] «وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٦ ـ ٦١٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣١ ـ ١٣٢.

٣ـ الكشّاف ١ / ٢٩٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٢.

٥ـ الكشّاف ١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٧.

٧ـ تفسير عليّ‌بن إبراهيم ١ / ٨٣.

«برزوا»؛ أي: ظهر طالوت و المؤمنون معه لمحاربة جالوت و جنوده. روى علـيّ بـن إبراهيم عن الصادقعليه السلام: انّ الله أوحى إلى نبيّهم أنّ جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسىعليه السلام و هو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داوود بن ايشا. فلمّا بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل و جمعهم لحرب جالوت، بعث إلى ايشا احضر و أحضر ولدك. فلمّا حضروا، دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدرع. فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه. فقال لايشا: هل خلّفت من ولدك [احداً]؟ قال: نعم، أصغرهم. فبعث إليه. فلمّا دعي داوود ـ و كان يرعى الغنم ـ أقبل و معه مقلاع. قال: فنادته ثلاث صخرات في طريقه: يا داوود، خذني. فأخذها في مخلاته. و كان حجر الفيروزج. و كان داوود شجاعاً. فلمّا جاء [إلى] طالوت ألبسه درع موسىعليه السلام فاستوت عليه. فجاء داوود فوقف بحذاء جالوت. و كان جالوت على الفيل و على رأسه التاج و في جبهته ياقوتة تلمع و جنوده بين يديه. فأخذ داوود حجراً من تلك الأحجار فرمى به في ميمنة جالوت و وقع عليهم فانهزموا. و أخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهزموا. و رمى بالثالث إلى جالوت، فأصاب موضع الياقوت في وجهه فوقع على الأرض ميتاً.(١)

«أفرغ». أي: اصبب. «و ثبّت»؛ أي: وفّقنا للثبوت على الأمر.(٢)

[٢٥١] «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَ لَوْ لَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«داوود». عن أبي جعفرعليه السلام: و أمّا داوود فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر. و كذلك ملك سليمان.(٣)

«الملك» في مشارق الأرض المقدّسة و مغاربها. و ما اجتمعت بنوا إسرائيل على ملك

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٩ ـ ٦٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٩.
٣ـ الخصال / ٢٤٨.

قطّ قبل داوود.[١]

«و آتاه الله الملك»؛ أي: و أعطاه الملك بعد قتل جالوت بسبع سنين. «و الحكمة». قيل: النبوّة. و لم يكن نبيّاً قبل قتل جالوت. فجمع الله له الملك و النبوّة عند موت طالوت في حالة واحدة. «و علّمه» أمور الدين و ما شاء من أمور الدنيا منها صنعة الدروع. فإنّه كان يلين له الحديد كالشمع. و قيل: الزبور و الحكم بين الناس و كلام النمل و الطير. و قيل: الصوت الطيّب و الألحان. «و لولا دفع الله» بجنود المسلمين الكفّار، لغلبوا و خرّبوا البلاد. أو انّ الله يدفع بالبرّ عن الفاجر الهلاك.[٢]

قرأ أبوجعفر و نافع: «دفاع». دفاع ـ كما في قراءة نافع ـ [إمّا أن يكون مصدراً لفَعَل، و] إمّا مصدر لفاعَل. و كان معنى دفع و دافع سواء.[٣]

«بعضهم ببعض». لأنّ بعضهم يدفع فساد البعض الآخر. و روي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله يدفع بمن يصلّي عن شيعتنا عمّن لايصلّي منهم. و لو اجتمعوا على ترك الصلاة، هلكوا. و كذلك في شأن الزكاة و الحجّ.[٤]

[٢٥٢] «تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ».

«تلك»؛ أي: ما تقدّم في الآيات من إماتة ألوف من الناس دفعة واحدة إلى هنا.[٥]

[٢٥٣] «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ لٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ».

١ـ الكشّاف ١ / ٢٩٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٠ ـ ٦٢١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦١٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٢.

«تلك الرسل»؛ أي: أولئك الذين تقدّم ذكرهم من الأنبياء في الكتاب. «فضّلنا». إنّما ذكره لئلّايغلط غالط فيسوّي بينهم في الفضل كما استووا في الرسالة. و قيل: أراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال و تحمّل الأثقال. و قيل: بالشرائع؛ فمنهم من شرع و منهم من لم يشرع. «كلّم الله»؛ أي: كلّمه الله. و هو موسى عليه السلام. «بعضهم»؛ أي: محمّداً صلى الله عليه وآله. فضّله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلّفين و بأن أعطاه جميع ما أعطى من قبله. «البيّنات»: الدلالات؛ كإبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى و نحوه. «من بعدهم»؛ أي: من بعد الرسل و من بعد موسى و عيسى. و لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجئهم إلى الإيمان و يمنعهم عن الكفر، إلّا أنّه مناف للتكليف. «من آمن» بتوفيق الله و حسن اختياره. «من كفر» بسوء اختياره. «و لو شاء الله». كرّر ذلك تأكيداً. و قيل: الأوّل مشيّة الإكراه. أي: و لو شاء الله اضطرّهم إلى حال يرتفع معها التكليف. و الثاني الأمر للمؤمنين بالكفّ عن قتالهم. «يريد» على ما يقتضيه الحكمة و المصلحة.(١)

[٢٥٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَ لَا خُلَّةٌ وَ لَا شَفَاعَةٌ وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

«أنفقوا» شامل للإنفاق الواجب و المستحبّ. «يوم»: يوم القيامة.(٢)

«من قبل أن يأتي يوم» لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق. لأنّه «لا بيع فيه» حتّى تبتاعوا ما تنفقونه «و لا خلّة» حتّى يسامحكم أخلّاؤكم به. و إن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمّتكم من الواجب، لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حطّ الواجبات. لأنّ الشفاعة في زيادة الفضل لا غير.(٣)

ابن كثير و أبوعمرو: «لا بيعَ فيه و لا خلّةَ و لا شفاعةَ» بالفتح فيها أجمع.(٤)

«و لا خلّة»؛ أي: لا صداقة غيره. و هذا كقوله: «الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٤.
٣ـ الكشّاف ١ / ٢٩٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٤.

المتّقين».[١] «و لا شفاعة» أي لغير المؤمنين مطلقاً. فأمّا المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض، و يشفع لهم أنبياؤهم كما قال: «و لا يشفعون إلّا لمن ارتضى».[٢][٣]

«و الكافرون»؛ أي: التاركون للزكاة «هم الظالمون». فقال: «و الكافرون» للتغليظ؛ كما في آية الحجّ: «و من كفر»[٤] مكان: و من لم يحجّ. و لأنّه جعل ترك الزكاة من صفات الكفّار في قوله: «و ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة و هم بالآخرة هم كافرون».[٥][٦]

[٢٥٥] «اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ».

«الله لا إله إلّا هو»؛ أي: لا تحقّ العبادة لأحد إلّا هو. «الحيّ القيّوم»: القائم بتدبير خلقه. «لا تأخذه سنة»؛ أي: نعاس «و لا نوم» ثقيل. أي لا يغفل عن الخلق و لا يسهو.[٧]

عن الصادق عليه السلام: إذا لقيت السبع، فاقرأ في وجهه آية الكرسيّ و قل: عزمت عليك بعزيمة الله و عزيمة رسول الله و عزيمة سليمان بن داوود عليهما السلام و عزيمة أميرالمؤمنين و الأئمّة من بعده عليهم السلام أن تنحّيت عن طريقنا و لم تؤذنا، فإنّا لا نؤذيك.[٨]

و عنه عليه السلام: إذا كان سمك البيت أكثر من ثمانية أذرع، فهو محتضر تحضره [الجنّ] تكون فيه تسكنه. فإذا زاد على ثمان، فليكتب على رأس الثمان آية الكرسيّ.[٩]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا اشتكى أحدكم عينه، فليقرأ آية الكرسيّ و ليضمر في نفسه

١ـ الزخرف (٤٣) / ٦٧.
٢ـ الأنبياء (٢١) / ٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٤.
٤ـ الحجّ (٢٢) / ٧٨.
٥ـ فصّلت (٤١) / ٦.
٦ـ الكشّاف ١ / ٢٩٩.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٨.
٨ـ بحار الأنوار ٤٧ / ٩٥، عن الخرائج و الجرائح.
٩ـ الكافي ٦ / ٥٢٩.

أنّها تبرأ. فإنّه يعافى إن شاء الله.[١]

و قال رجل لأميرالمؤمنينعليه‌السلام: إنّ في بطني ماء أصفر. فهل من شفاء؟ فقال: اكتب على بطنك آية الكرسيّ و تغسلها و تشربها. ففعل، فبرأ بإذن الله.[٢]

عن حمّاد بن عثمان قال: جلس أبو عبد اللهعليه‌السلام متورّكاً رجله اليمنى على فخذه اليسرى. فقال له رجل: جعلت فداك، هذه جلسة مكروهة. فقال: لا، إنّما هو شيء قالته اليهود: لمّا أن فرغ الله من خلق السموات و الأرض استوى على العرش جلس هذه الجلسة ليستريح. فأنزل الله: «الله لا إله إلّا» ـ الآية. و بقي أبو عبداللهعليه‌السلام متورّكاً.[٣]

و عنهعليه‌السلام: من قرأها مائة مرّة، كان كمن عبد الله طول حياته.[٤]

و عن الباقرعليه‌السلام: من قرأ آية الكرسيّ مرّة، صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا و ألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر و أيسر مكروه الآخرة عذاب القبر.[٥]

از حضرت امام محمّد باقر منقول است: هر كه يک مرتبه آية الكرسى بخواند، حق تعالى برگرداند از وى هزار بلا از بلاهاى دنيا كه سهلترين ايشان فقر است و هزار بلا از بلاهاى آخرت كه سهلترين آنها عذاب قبر است.

بسم الله. طريق ختم آية الكرسى جهت حصول مطالب و دفع اعادى: وضو ساخته، به توجّه تمام بخواند و مابين هر دو ميم مطلب را و مابين هر دو عين عدو را بـه خـاطر گذراند و بخواند: بسم الله الرحمن الرحيم. الم. «الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لاتأخذه سنة و لا نوم له ما في السموات و ما في الأرض» و ما بينهما و ما تحت الثرىٰ عالم الغيب و الشهادة فلايظهر على غيبه أحداً «من ذا الذي يشفع عنده» إلى: «هم فيها خالدون».

«من ذا الذي». استفهام معناه الإنكار و النفي. أي: لايشفع يوم القيامة أحد لأحد إلّا

١ـ الخصال / ٦١٦.
٢ـ الكافي ٢ / ٦٢٥.
٣ـ الكافي ٢ / ٦٦١.
٤ـ عيون الأخبار ٢ / ٦٥.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٦.

[بإذنه و أمره].[١] و ذلك أنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم فأخبر الله أنّ أحداً ممّن له شفاعة [لايشفع] إلّا بعد أن يأذن الله في ذلك و يأمره. «يعلم ما بين أيديهم»؛ أي: يعلم ما مضى من الدنيا و ما سيأتي من الآخرة.[٢]

عن الصادق عليه السلام قال: نحن أولئك الشافعون.[٣]

«يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم»: ما كان قبلهم و ما كان بعدهم. و الضمير لما في السموات و ما في الأرض لأنّ فيهما العقلاء، أو لما دلّ عليه «من ذا الذي» من الملائكة و الأنبياء.[٤]

«و لايحيطون بشيء»؛ أي: لايعلمون شيئاً من معلوماته إلّا الذي شاء إطلاعهم عليه و تعليمهم إيّاه. «وسع كرسيّه». فيه أقوال. أحدها: وسع علمه السموات و الأرض. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و يقال للعلماء كراسيّ لأنّهم قوام الدين و الدنيا. و الثاني: انّه العرش. سمّي كرسيّاً لتركيب بعضه على بعض. و ثالثها: انّ المراد بالكرسيّ الملك و السلطان و القدرة. أي: أحاط قدرته بالسموات و الأرض و ما فيهما. و رابعها: انّه سرير دون العرش. و قد روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. «و لايؤوده»؛ أي: لايشقّ عليه حفظ السموات و الأرض. و قيل: الضمير في «يؤوده» راجع إلى الكرسيّ.[٥]

[٢٥٦] «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«لا إكراه في الدين». فيه أقوال. أحدها: انّه في أهل الكتاب خاصّة الذين يؤخذ عنهم الجزية. و ثانيها: انّه في جميع الكفّار، ثمّ نسخ كما تقدّم ذكره. و ثالثها: انّها نزلت في قوم خاصّ من الأنصار. «قد تبيّن الرشد»؛ أي: ظهر الإيمان من الكفر و الحقّ من الباطل بكثرة الحجج

١ـ في النسخة : «بعد أن يأمر و يأذن» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٨.
٣ـ المحاسن / ١٤٠.

٤ـ الكشّاف ١ / ٣٠١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٢٨.

و الآيات.(١)

«لا إكراه» أي: لايجري الله أمر الإيمان على الإجبار و القهر، ولكن على التمكين و الاختيار. و نحوه قوله: «و لو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين».(٢) (٣)

«فمن يكفر بالطاغوت». فيه أقوال. أحدها: انّه الشيطان. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و ثانيها: انّه الكاهن و الساحر. و ثالثها: انّه مردة الجنّ و الإنس. و رابعها: انّه الأصنام و ما عبد من دون الله. «استمسك»؛ أي: اعتصم «بالعروة الوثقى»: بالعصمة الوثيقة و عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لاتحلّه شبهة و هو الإيمان بالله و رسوله. و جرى هذا مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لايقع به الإحساس إلى ما يقع. «سميع» لأقوالهم. «عليم» بضمائرهم.(٤)

«لا إكراه»؛ أي: لايكره أحد على دينه إلّا بعد أن يبيّن له. «بالطاغوت». هم الذين غصبوا آل محمّد صلوات الله عليهم حقّهم. «بالعروة». يعني الولاية. «لا انفصام»؛ أي: حبل لا انقطاع له.(٥)

«بالعروة الوثقى». عن الصادق عليه السلام: الإيمان.(٦)

و عن الكاظم عليه السلام: ولايتنا أهل البيت.(٧)

عن الصادق عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام من خطبة: أنا حبل الله المتين. و أنا عروة [الله] الوثقى.(٨)

[٢٥٧] «اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣١.
٢ـ يونس (١٠) / ٩٩.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣٠٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣١.
٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٨٤ ـ ٨٥.
٦ـ الكافي ٢ / ١٤.
٧ـ نور الثقلين ١ / ٢٦٣، عن المناقب.
٨ـ التوحيد / ١٦٥.

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«الذين آمنوا». يعني أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام. «و الذين كفروا». هم الظالمون آل محمّد صلى الله عليه وآله. «أولياؤهم الطاغوت» [و هم الذين] تبعوا من غصبهم.(١)

عن الصادق عليه السلام: «النور» آل محمّد. و «الظلمات» عدوّهم.(٢)

«الله وليّ الذين آمنوا». ناصرهم و معينهم. «الظلمات»: الضلالة، بالألطاف و ما يقوّي دواعيهم إلى فعله. «إلى النور»: نور الإيمان.(٣)

عن الصادق عليه السلام: يخرج المؤمنين من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة و المغفرة لولايتهم لكلّ إمام عادل من الله.(٤) و من تولّى إماماً جائراً، يخرجه من نور الإسلام إلى ظلمة الكفر فأوجب له النار مع الكفّار.(٥)

«أولياؤهم»؛ أي: متولّي أمورهم و أنصارهم الشياطين و رؤساء الضلالة. يزيّنون لهم ظلمات الكفر و الضلال. فإن قيل: كيف يخرجونهم من النور و هم لم يدخلوا فيه؟ قلنا: يجري ذلك مجرى القائل: أخرجني والدي من ميراثه. فمنعه من الدخول فيه إخراج. كقول يوسف عليه السلام: «إنّي تركت ملّة قوم لايؤمنون.»(٦) أو يكون المراد قوم ارتدّوا عن الإسلام.(٧)

[٢٥٨] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«ألم تر إلى الذي» ـ الآية. و فيه دلالة على أنّ المعارف غير ضروريّة، إذ لو كانت كذلك،

١ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٨٥.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣٢.
٤ـ الكافي ١ / ٣٧٥، ح ٣.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٣٨، ح ٤٦٠.
٦ـ يوسف (١٢) / ٣٧.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣٢ ـ ٦٣٣.

لما صحّت المحاجّة في إثبات الصانع. «حاجّ». عن الصادق عليه السلام: كانت المحاجّة بعد إلقائه في النار. «في ربّه»؛ أي: ربّ إبراهيم. «أحيي». عن الصادق عليه السلام: قال له إبراهيم: أحي من قتلته إن كنت صادقاً.(١)

«ألم تر إلى الذي حاجّ». تعجيب من حال نمرود و محاجّته في الله و كفره به. «أن آتاه الله الملك». متعلّق بحاجّ على وجهين. أحدهما: حاجّ لأن آتاه الله الملك، على معنى أنّ إيتاء الملك أبطره و أورثه الكبر و العتوّ فحاجّ لذلك. أو على أنّه وضع المحاجّة في ربّه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك، فكأنّ المحاجّة كانت لذلك. كما تقول: عاداني فلان لأنّي أحسنت إليه، تريد أنّه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان. فإن قلت: كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر؟ قلت: فيه قولان: آتاه ما غلب به و تسلّط من المال و الخدم و الأتباع. و أمّا التغليب و التسليط فلا. و قيل: ملّكه امتحاناً لعباده. و «إذ قال». نصب بحاجّ، أو بدل من آتاه إذ جعل بمعنى الوقت. «أنا أحيي و أميت». أريد: أعفو عن القتل و أقتل. و كان اعتراض إبراهيم عليه السلام على هذا القول حاضراً. لأنّ إبراهيم أراد من الإماتة [و] الإحياء غير هذا المعنى، ولكنّه صلوات الله عليه لمّا سمع جوابه الأحمق، لم يحاجّه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أوّل شيء. و قيل: كانت هذه المحاجّة حين كسر الأصنام و حبسه نمرود ثمّ أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: من ربّك الذي تدعو إليه؟ قال إبراهيم عليه السلام: «ربّي الذي» الآية.(٢)

[٢٥٩] «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَ

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣٥ ـ ٦٣٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«أو كالّذي». معناه: أو رأيت مثل الذي مرّ؟ فحذف لدلالة «ألم تر» عليه. لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب. و يجوز أن يحمل على المعنى دون اللّفظ. كأنّه قيل: أرأيت كالّذي حاجّ إبراهيم أو كالّذي مرّ على قرية. قيل: هو عزير أو الخضر، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام. و قوله: «أنّى يحيي» اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء و استعظام لقدرة المحيي. و القرية بيت المقدس حين خرّ به بخت نصّر، أو التي خرج منها الألوف و هي داوردان.[١]

عن الصادق عليه السلام في قوله: «أو كالّذي مرّ». قال: إنّ الله بعث إلى بني إسرائيل نبيّاً يقال له إرميا. ثمّ قصّ عليه قصّة بخت النصر و تخريبه لبيت المقدس و قتله بني إسرائيل. ثمّ قال: فخرج إرميا بعد قتلهم و قد تزوّد عصيراً و تيناً. فلمّا أن غاب مدّ البصر، التفت إليها فقال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام. أماته غدوة و بعثه عشيّة قبل أن تغيب الشمس. و كان أوّل شيء خلق منه عيناه. ثمّ قال له: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً. فلمّا نظر إلى الشمس لم تغب، قال: «أو بعض يوم». فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض و يرى العروق كيف تجري.[٢]

«فأماته الله»؛ أي: ألبثه الله ميتاً مائة عام. «بعثه» بالإحياء. «قال». القائل هو الله. و قيل: ملك أو نبيّ.[٣]

عن عليّ عليه السلام: إنّ عزيراً خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنة. فأماته الله مائة عام، ثمّ بعثه. فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة و له ابن له مائة سنة فكان ابنه أكبر منه. فذلك من آيات [الله].[٤]

١ـ الكشّاف ١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٠ ـ ١٤١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤١.

«لم يتسنّه»: لم يتغيّر بمرور السنين. و روي أنّ طعامه كان تيناً و عنباً و شرابه عصيراً أو لبناً، فوجد التين و العنب كما جنيا و الشراب على حاله. «إلى حمارك» تفرّقت عظامه و نخرت. و كان له حمار قد ربطه. فيجوز أن يراد: انظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته. و ذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف و لا ماء كما حفظ طعامه و شرابه.[١]

قرأ حمزة و الكسائيّ: «لم يتسنّ» بحذف الهاء في الوصل خاصّة، و الباقون بإثباتها في الحالين.[٢]

«أو كالّذي مرّ». و هو عزير. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: هو إرميا. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.[٣]

«و لنجعلك آية» فعلنا ذلك. يريد إحياءه بعد الموت و حفظ ما معه. و قيل: أتى قومه راكباً حماره و قال: أنا عزير. فكذّبوه. فقال: هاتوا التوراة. فأخذ مسرعاً في قراءتها عن ظهر قلبه، و هم ينظرون الكتاب، فما خرم حرفاً. فقالوا: هذا ابن الله. و لم يقرأ التوراة أحد عن ظهر قلبه قبل عزير. فذلك كونه آية. و قيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً و هو شابّ، فإذا حدّثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة. «و انظر إلى العظام». هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجّب من إحيائهم. «فلمّا تبيّن». فاعل تبيّن مضمر. أي: فلمّا تبيّن له أنّ الله على كلّ شيء قدير، قال: «أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير». فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. و يجوز أن يقال: فلمّا تبيّن له ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى.[٤]

«كيف ننشزها»: كيف نحييها، أو نرفع بعضها على بعض و نركّبه عليه. «قال اعلم». على قراءة الأمر، خاطب نفسه على طريق التبكيت أو خاطب غيره.[٥]

«ننشزها». ابن عامر و الكوفيّون: «ننشزها» بالزاء المعجمة، و الباقون بالراء. «قال اعلم». حمزة و الكسائيّ بوصل الألف و جزم الميم و يبتدئان بكسر الألف على الأمر. و

١ـ الكشّاف ١ / ٣٠٧.
٢ـ التيسير / ٧٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٣٧ ـ ٦٣٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٧.

الباقون بقطع الألف في الحالين و رفع الميم على الإخبار.(١)

«و لنجعلك» ؛ أي: فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت و لنجعلك «آية»؛ أي: حجّة «للناس» في البعث. «و انظر إلى العظام». أي عظام نفسه. لأنّ أوّل ما أحيى الله منه عيناه و كان ينظر إلى عظامه كيف يحيى و يتركّب بعضها من بعض.

[٢٦٠] «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ قَالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلىٰ وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و إذ قال إبراهيم» ـ الآية. عن الرضا عليه السلام: لم يكن شاكّاً في الإحياء ولكنّه كان على يقين فأراد الزيادة منه.(٢)

و عنه عليه السلام لمّا سأله المأمون عن السبب في سؤاله الإحياء أنّه قال: أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أنّي متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته. فوقع في نفس إبراهيم أنّه ذلك الخليل فقال: ربّ أرني كيف تحيي الموتى. قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنّ قلبي على الخلّة.(٣)

و عن الصادق عليه السلام: لمّا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السموات و الأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء و نصفها في البرّ تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء ثمّ يشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً. و كذلك سباع البرّ. فتعجّب إبراهيم عليه السلام و قال: ربّ أرني كيف تحيي الموتى؟ كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً؟ قال: أو لم تؤمن؟ فقال: بلى، ولكن حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها.(٤)

«من الطير». عن الرضا عليه السلام: كان الطير الطاووس و الحمامة و الديك و الهدهد.(٥) و في

١ـ التيسير / ٧٠.
٢ـ المحاسن / ١٩٤.
٣ـ عيون الأخبار ١ / ١٥٥.
٤ـ الكافي ٨ / ٣٠٥، ح ٤٧٣.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٤.

رواية أخرى بدل الهدهد الغراب.[١]

و كانت الجبال عشرة. و من أجل هذا كان الرجل إذا أوصى بجزء من ماله يكون هو العشر. فدعا إبراهيم عليه السلام بهراس فدقّ فيه الطير جميعاً و جعل الرأس عنده. ثمّ إنّه دعا بالّذي أمر به، فطار اللّحم و الريش بعضه إلى بعض و اتّصلت بالمناقير حتّى طارت فوقعت تلقط الحبّ عنده و تشرب الماء.[٢]

عن يونس بن ظبيان قال: كنّا عند الصادق عليه السلام فذكرنا ما صنع إبراهيم. فدعا بالطاووس فحضر. و كذلك الثلاثة فدقّ لحمها و صنع مثل ما صنع إبراهيم.[٣]

عن الصادق عليه السلام: تفسير الباطن: خذ أربعة ممّن يتحمّل الكلام فاستودعهم علمك. ثمّ ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على الناس. و إذا أردت أن يأتوك، دعوتهم بالاسم الأكبر، يأتوك سعياً بإذن الله.[٤]

«فصرهنّ». حمزة بكسر الصاد.[٥]

«فصرهنّ»؛ أي: فاضممهنّ إليك لتتأمّل حليّهنّ و أوصافهنّ حتّى تعرفهنّ بعد الإحياء.[٦]

«وإذ قال إبراهيم». قيل: لمّا قال نمرود: أنا أحيي و أميت، قال له: إنّ إحياء الله الموتى بردّ الروح إلى بدنها. فقال له نمرود: هل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول نعم و انتقل إلى تقرير آخر. ثمّ سأل ربّه أن يريه ليطمئنّ قلبه على الجواب إن سئل عنه مرّة أخرى. «ليطمئنّ» بضامّة العيان إلى الاستدلال.[٧]

«ليطمئنّ». متعلّق بمحذوف. أي: سألت.[٨]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤٤.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٤ و ١٤٦.

٣ـ الخرائج و الجرائح / ٢٦٤.

٤ـ الخصال / ٢٦٤.

٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤١.

٦ـ الكشّاف ١ / ٣١٠، و تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٧.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٧.

٨ـ الكشّاف ١ / ٣٠٩.

[٢٦١] «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«مثل الذين» ـ الآية. لابدّ من حذف مضاف. أي: مثل نفقتهم كمثل حبّة. أو: مثلهم كمثل باذر حبّة. و المنبت هو الله؛ ولكنّ الحبّة لمّا كانت سبباً، أسند إليها الإنبات، كما يسند إلى الأرض. و معنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعّب منها سبع شعب لكلّ واحد سنبلة. و هذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنّها قائمة بين عيني الناظر. و هذا التمثيل موجود في الدخن و الذرّة و غيرهما. و ربما فرّخت ساق [البرّة] في الأراضي القويّة المقلّة فيبلغ حبّها هذا المبلغ. و لو لم يوجد، لكان صحيحاً على سبيل الفرض و التقدير.(١)

عن المفضّل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل». قال: الحبّة فاطمة عليها السلام. و السبعة السنابل من ولدها سابعهم قائمهم. قلت: الحسن عليه السلام إمام مفترض الطاعة؟ قال: نعم، ولكن ليس من السنابل السبعة أوّلهم الحسين و آخرهم القائم. فقلت: قوله: «في كلّ سنبلة مائة حبّة»؟ فقال: يولد للرجل منهم في الكوفة مائة عن صلبه و ليس ذلك إلّا هؤلاء السبعة.(٢)

أقول: يمكن تأويل هذا الحديث و حمله على حذف المكرّر من أسمائهم.(٣)

أقول: الحسين و عليّ و محمّد و جعفر و موسى و الحسن و القائم عليهم السلام. (حسن)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أحسن العبد المؤمن، ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف. و ذلك قوله: «و الله يضاعف لمن يشاء».(٤)

«يضاعف»؛ أي: يزيد على سبعمائة و قيل: معناه: يضاعف هذه المضاعفة. «واسع»:

١ـ الكشّاف ١ / ٣١٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٧.
٣ـ لايخفى ما في تأويله رحمه الله. و توضيح الكاتب رحمه الله أيضاً غير صحيح؛ حيث إنّ القائم عجّل الله فرجه اسمه اسم الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.
٤ـ ثواب الأعمال / ٢٠١، ح ١.

واسع المقدرة لايضيق عليه ما شاء من الزيادة. «عليم» بمن يستحقّ الزيادة.(١)

[٢٦٢] «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لَا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«منّاً». المنّ هو أن يقول له: ألم أعطك كذا؟ ألم أحسن إليك؟ و الأذى أن يقول: أراحني الله منك و من ابتلائي بك.

«و لا خوف عليهم». الخوف: توقّع الضرر. «يحزنون». الحزن: الغمّ يغلظ على النفس.(٢)

[٢٦٣] «قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَ اللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ».

«قول معروف»؛ أي: كلام حسن جميل يردّ [به] السائل. و قيل معناه: دعاء صالح، كأن يقول: أغناك [الله] عن المسألة. و قيل: معناه: عدة حسنة. «و مغفرة». فيه أقوال. أوّلها: ستر على السائل و سؤاله. و ثانيها: عفو المسؤول عن ظلم السائل كأن يسأل في غير الوقت أو يفتح الباب و يدخل بغير إذن. فالعفو عن ذنبه، خير من صدقة يتبعها أذًى. و ثالثها: سلامة من المعصية [خير] من صدقة يتبعها أذًى. لأنّ [حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة](٣).

«غنيّ» عن صدقاتكم «حليم» لايعاجلكم بالعقوبة.(٤)

[٢٦٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤٦. ٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤٧.

٣ـ في النسخة: «تلك الصدقة لا ثواب عليها و القول المعروف يثاب عليه.» بدل ما بين المعقوفتين.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٤٨.

«لاتبطلوا» ـ الآية. عن الباقر عليه السلام: نزلت في عثمان وجرت في معاوية و أتباعهما.[١]

عن الباقر عليه السلام: «بالمنّ و الأذى» لمحمّد و آل محمّد عليهم السلام هذا تأويل.[٢]

«كالّذي ينفق». قال: من كثر امتنانه و أذاه لمن يتصدّق عليه، بطلت صدقته كما يبطل التراب الذي يكون على الصفوان. و الصفوان: الصخرة الكبيرة التي تكون في مفازة فيجيء المطر فيغسل التراب عنها و يذهب به. فيضرب الله هذا المثل لمن اصطنع معروفاً ثمّ أتبعه بالمنّ و الأذى.[٣]

«كالّذي» أي: كإبطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس.[٤]

«رئاء الناس». عن الصادق عليه السلام: فلان و فلان و معاوية و أشياعهم.[٥]

«كالّذي ينفق ماله رئاء الناس» ـ الآية ضرب الله مثلاً لعمل المنّان و عمل المـنافق جميعاً. فإنّهما إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به، فإنّهما لايستحقّان ثواباً عليه. و هذا هو معنى الإبطال. فقال: «كالّذي ينفق ماله رئاء الناس». هذا يدخل فيه المؤمن و الكافر إذا أخرجا المال للرئاء. «و لايؤمن بالله و اليوم الآخر». و هذا مثل للكافر خاصّة. «فمثله كمثل صفوان»: أي: حجر أملس. «عليه تراب فأصابه وابل»: مطر عظيم القطر. «فتركه صلداً»: حجراً صلباً أملس. شبّه سبحانه فعل المنافق و المنّان بالصفا الذي أزال المطر ما عليه من التراب. فإنّه لايقدر أحد على ردّ ذلك التراب عليه. كذلك إذا دفع المنّان صدقة؛ لوقوعها على الوجه الذي لايستحقّ عليه الثواب.[٦]

«فمثله»: أي: فمثل المرائي.[٧]

«صلداً»: نقيّاً من التراب.[٨]

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٧، ح ٤٨٢.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٨، ح ٤٨٣.

٣ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩١.

٤ـ الكشّاف ١ / ٣١٢.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٨.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٠.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٣٨.

٨ـ الكشّاف ١ / ٣١٢.

«لايقدرون»؛ أي: لايقدرون على نفقتهم و لا على ثوابها كما لايقدر أحد على تحصيل ذلك التراب و جمعه.[١]

[٢٦٥] «وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«و مثل الذين». عن أبي جعفر عليه السلام: نزلت في عليّ عليه السلام.[٢]

ثمّ ضرب مثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم. «من أنفسهم» عن المنّ و الأذى.

«جنّة». الجنّة: البستان الكثير الشجر. لأنّ الشجر يجنّه ـ أي: يستره ـ لكثرته فيه.[٣]

«و تثبيتاً». أي بقوّة اليقين و البصيرة في الدين. و قيل: معناه: انّهم يثبّتون أين يضعون صدقاتهم. و قيل: معناه: توطيناً لأنفسهم على الثبوت على طاعة الله. «كمثل جنّة»؛ أي: مثل بستان بمرتفع من الأرض. خصّ الربوة لأنّ نبتها يكون أحسن و ريعها أكثر من المتسفّل الذي يسيل الماء إليه و يجتمع فيه فلايطيب ريعه. «أصابها»؛ أي: أصاب الجنّة مطر شديد فأعطت غلّتها ضعفي ما تعطي إذا كانت بأرض متسفّلة. و يحتمل أن يكون معناه: مرّتين في كلّ سنة. واحدة ـ أي: كلّ ستّة أشهر ـ فيما روي. و قال أبو عبدالله عليه السلام: معناه: يتضاعف نموّها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله. «فإن لم يصبها وابل»؛ أي: مطر شديد «فطلّ»؛ أي: أصابها مطر يسير. أراد به أنّ خيرها لايخلف على كلّ حال و لايرى الغبار عليها على [كلّ] حال.[٤]

«فطلّ»: فالّذي يصيبها طلّ.[٥]

«بربوة». عاصم و ابن‌عامر بفتح الراء، و الباقون بضمّها. «أكلها». الحرميّان مخفّفاً.[٦]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٨.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٢ ـ ٦٥٣.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٣.
٦ـ التيسير / ٧٠.

«ضعفين». حال أي: مضاعفاً.(١)

«ضعفين». عن الصادق عليه السلام: أي: يتضاعف ثمرتها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله.(٢)

«فطلّ»؛ أي: مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها و برودة هوائها. أو مثّل حالهم عند الله بالجنّة على الربوة و نفقتهم الكثيرة و القليلة بالوابل و الطلّ. و كما أنّ كلّ واحد من المطرين يضعف أكل الجنّة ـ أي يزيد فيه ـ فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة، بعد أن يطلب بها وجه الله و يبذل فيها الوسع، زاكية عند الله زائدة في زلفاهم و حسن حالهم عنده.(٣)

[٢٦٦] «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ أَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ».

عن الباقر عليه السلام: من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله، ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كما قال الله: «أيودّ أحدكم أن تكون» ـ الآية.(٤)

«أيودّ». الهمزة فيه للإنكار. و الإعصار: الريح التي تستدير في الأرض ثمّ تسطع نحو السماء كالعمود. و هذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لايبتغي بها وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسّر عند ذلك [حسرة] من كانت له جنّة من أبهى الجنّات و أجمعها للثمار فبلغ الكبر و له أولاد ضعاف و الجنّة معاشهم فهلكت بالصاعقة. و عن ابن عبّاس أنّه مثل لرجل اعتنى بعمل الحسنات(٥) ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله كلّها. فإن قلت: كيف قال: «جنّة من نخيل و أعناب» ثمّ قال: «له فيها من

١ـ تفسير البيضاوي ١ ١٣٩.
٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٠.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣١٣.
٤ـ نور الثقلين ١ / ٢٨٥.
٥ـ المصدر: لرجل غنيّ يعمل الحسنات.

كلّ الثمرات»؟ قلت: النخيل و الأعناب أردفها ذكر كلّ الثمرات. و يجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها. «و أصابه». الواو للحال.(١)

«إعصار»: زَوْبَعَة. «كذلك»؛ أي: مثل هذا البيان الذي يبيّن لكم في أمر الصدقة و قصّة إبراهيم و ما بعدها إلى هذه الآية، مثل للمرائي في النفقة، لأنّه ينتفع بها عاجلاً و تنقطع عنه آجلاً أحوج ما يكون إليه.(٢)

[٢٦٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

«من طيّبات ما كسبتم»؛ أي: من حلال كسبكم، أو من خياره و جياده. كقوله: «لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون».(٣) و الإنفاق يشمل الفرائض و النوافل. و فيه دلالة على أنّ ثواب الصدقة من الحلال المكتسب أعظم من الحلال الغير المكتسب. و ذلك أنّه أشقّ عليه. «و ممّا»؛ أي: و أنفقوا من الغلّات و الثمار.(٤)

«أنفقوا من طيّبات» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا أمر بالنخل أن يزكّى، يجيء قوم بألوان من أردى التمر يقال له الجعرور و المعافار(٥) عوض التمر الجيّد. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله [للخارص]: لا تخرص هاتين التمرين، لعلّهم يستحيون لا يأتون بهما. و في ذلك نزل. و الإغماض أن يأخذ هاتين التمرتين.(٦)

و في رواية اخرى عنه عليه السلام: كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهليّة. فلمّا أسلموا

١ـ الكشّاف ١ / ٣١٣ ـ ٣١٤.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٤.
٣ـ آل عمران (٣) / ٩٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٦.
٥ـ المصدران: المعافارة.
٦ـ انظر: الكافي ٤ / ٤٨، ح ٩، و تفسير العيّاشيّ ١ / ١٤٩ ـ ١٥٠.

أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها. فأبى الله إلّا أن يخرجوا من أطيب ما كسبوا.[١]

أقول: روي أن تلك المكاسب الخبيثة كانت من الربا في الجاهليّة.

«و لاتيمّموا الخبيث»؛ أي: لاتقصدوا الرديء من المال ممّا كسبتموه أو أخرج من الأرض. و قيل: المراد به الحرام. و قرأ ابن‌كثير: «و لاتّيمّموا» بتشديد التاء، و الباقون بالتخفيف. كلاهما بمعنى واحد. كأنّ ابن‌كثير ردّ الحرف الساقط في القراءة الأخرى و أدغم لأنّه كان في الأصل تاءان.[٢]

«إلّا أن تغمضوا» أي إلّا [بأن] تتسامحوا في أخذه و تترخّصوا فيه. من قولك: أغمض فلان عن بعض حقّه، إذا غضّ بصره. و قيل: إلّا أن توجدوا مغمضين. و عن ابن‌عبّاس: كانوا يتصدّقون بحشف التمر و شراره، فنهوا عنه.[٣]

[٢٦٨] «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَ اللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«الشيطان». عن عبدالرحمن قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي ربما حزنت فلاأعرف في مال و لا أهل و ولد. فقال: إنّه ليس من أحد إلّا و معه ملك و شيطان. فإذا كان فرحه، كان دنوّ الملك منه. و إذا كان حزنه، كان دنوّ الشيطان منه. و ذلك قوله تعالى: «الشيطان يعدكم» ـ الآية.[٤]

«يعدكم». يقول: لاتنفق مالك فإنّك تفتقر. «مغفرة»؛ أي: يغفر لكم إن أنفقتم لله. «و فضلاً». قال: يخلف عليكم.[٥]

«بالفحشاء»؛ أي بالإنفاق من الرديء.[٦]

«بالفحشاء»؛ أي: يغريكم على البخل و منع الصدقات إغراء الآمر للمأمور. و الفاحش

١ـ الكافي ٤ / ٤٨، ح ١٠.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٦ و ٦٥٤.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣١٥.
٤ـ علل الشرائع / ٩٣.
٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٢.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٧.

عند العرب البخيل. «و الله يعدكم مغفرة» في الإنفاق لذنوبكم و كفّارة لها. «و فضلاً»: و أن يخلف عليكم [أفضل] ممّا أنفقتم. أو: و ثواباً عليه في الآخرة.(١)

[٢٦٩] «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ».

«و من يؤتَ». قرئ: «و من يؤت الحكمة» بكسر التاء. أي: من يؤته الله الحكمة.(٢)

«الحكمة»: طاعة الله و معرفة الإمام و اجتناب الكبائر.(٣)

«الحكمة»؛ أي: التفقّه في الدين.(٤)

«يؤتي الحكمة»؛ أي: يوفّق للعلم و العمل به. و الحكيم عند الله هو العالم العامل.(٥)

«خيراً كثيراً». الخير الكثير معرفة أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.(٦)

«أولو الألباب». يريد الحكماء العلّام العمّال. و المراد به الحثّ على العمل بما تضمّنت الآي في معنى الإنفاق.(٧) و هذا إشارة إلى بيان التوفيق و النظم بين الآي، و أنّ المنفق في سبيل الله هو العالم الربّانيّ و الحكيم المحقّق. و من فقد ذلك، حرم أن يسمّى حكيماً.

[٢٧٠] «وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ».

«من نفقة» في سبيل الله أو الشيطان. «نذر» في طاعة الله أو معصيته. «يعلمه» فيجازي عليه. «من أنصار». أي يمنعهم من عقاب الله.(٨)

[٢٧١] «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

١ـ الكشّاف ١ / ٣١٥.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٨.
٣ـ الكافي ١ / ١٨٥ و ج ٢ / ٢٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٥٩، و التبيان ٢ / ٣٤٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣١٦.
٦ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٢.
٧ـ الكشّاف ١ / ٣١٦.
٨ـ الكشّاف ١ / ٣١٦.

وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«فنعمّا هي». قرأ ابن‌عامر بفتح النون و كسر العين. و قرأ أهل المدينة بكسر النون و سكون العين، و الباقون بكسر النون و العين. و القراءة الأولى جاءت على الأصل. و في الثانية جمع الساكنين، و هو غير جائز. و في الثالثة اتّباع العين النون فراراً من الجمع بين الساكنين.[١]

«ما» في «نعمّا» نكرة غير موصولة و لا موصوفة. أي: فنعم شيئاً إبداؤها. «و إن تخفوها» فالإخفاء خير لكم. و المراد الصدقات المتطوّع بها. فإنّ الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها. و عن ابن‌عبّاس: صدقات السرّ في التطوّع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً. و صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها بخمسة و عشرين ضعفاً. و إنّما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتّى إذا كان المزكي ممّن لايعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل.[٢]

«الصدقات»؛ أي: الزكاة المفروضة.[٣]

«و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء». قال: هي سوى الزكاة علانية غير سرّ.[٤] و قال عليه السلام: كلّ مافرض الله، فإعلانه أفضل من إسراره. و كلّ ما كان تطوّعاً، فإسراره أفضل من إعلانه. و لو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية، كان ذلك حسناً جميلاً.[٥] هكذا روي عن الصادق عليه السلام.

«و إن تخفوها». نوافل الصدقات. كما في الروايات.[٦]

«و يكفّر». قرأ أهل المدينة بالنون و الجزم. و قرأ ابن‌عامر بالياء و الرفع، و الباقون بالنون و الرفع. «من سيّئاتكم». قيل: إنّ من زائدة. و قيل: المراد منها الصغائر.[٧]

«و يكفّر». أي الله أو الإخفاء.[٨]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٠ ـ ٦٦١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣١٦.
٣ـ الكافي ٤ / ٦٠.
٤ـ الكافي ٣ / ٥٠٢.
٥ـ الكافي ٣ / ٥٠١.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٢ ـ ٦٦٣، و التبيان ٢ / ٣٥١.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦١ ـ ٦٦٢.
٨ـ الكشّاف ١ / ٣١٦.

[٢٧٢] «لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ».

«ليس عليك»؛ أي: لايجب عليك أن تجعلهم مهديّين إلى الانتهاء عمّا نهوا عنه من المنّ و الأذى و الإنفاق من الخبيث و غير ذلك. و ما عليك إلّا أن تبلغهم النواهي فحسب. «ولكنّ الله يهدي من يشاء» بلطفه بمن يعلم أنّ اللّطف ينفع فيه فينتهي عمّا نهي عنه. «فلأنفسكم» لاينتفع به غيركم فلاتمنّوا به على الناس. «و ما تنفقون»؛ أي: ليست نفقتكم إلّا لطلب ما عند الله. فما بالكم تمنّون بها و تنفقون الخبيث الذي لايوجّه مثله إلى الله؟ «يوفّ» ثوابه أضعافاً مضاعفة. فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه.(١)

«و ما تنفقون». لفظه نفي و معناه نهي. النزول: كان المسلمون يمنعون عن التصدّق على غير أهل دينهم، فنزلت الآية. و قيل: كانت أسماء بنت أبي‌بكر مع رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، فجاءتها أمّها و جدّتها و هما مشركتان تسألانها. فقالت: لاأعطيكما شيئاً حتّى أستأمر رسول الله ﷺ. فإنّكما لستما على ديني. فاستأمرته في ذلك. فأنزل الله: «ليس عليك» ـ الآية.(٢)

[٢٧٣] «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ».

«للفقراء»؛ أي: اجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين أحصرهم الجهاد. «لايستطيعون» باشتغالهم به. «ضرباً في الأرض» للكسب. و قيل: هم أصحاب الصفّة، و هم نحو من

١ـ الكشّاف ١ / ٣١٧.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٣.

أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة و لا عشائر و كانوا في صفّة المسجد ـ و هي سقيفة ـ يتعلّمون القرآن باللّيل و يرضخون النوى بالنهار. و كانوا يخرجون في كل سريّة بعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده [فضل أتاهم به إذا أمسى]. «لايسألون الناس إلحافاً» بل يسألون بلطف.(١)

قال العالم عليه السلام: الفقراء هم الذين لايسألون.(٢)

«للفقراء». قال أبوجعفر عليه السلام: نزلت في أصحاب الصفّة. «أحصروا» من المرض أو للعبادة. «يحسبهم». حمزة و عاصم بفتح السين، و الباقون بكسرها. «الجاهل» بحالهم. «من التعفّف»؛ أي: الامتناع من السؤال و التجمّل في اللّباس و الستر لما فيه من الفقر طلباً لرضوان الله. «بسيماهم»؛ أي: بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامات الفقر. و قيل: لما يرى من التخشّع و الخضوع الذي هو شعار الصالحين. «لايسألون الناس» أصلاً. كقولك: مارأيت مثله؛ أي: ليس له مثل. «من خير»؛ أي: من مال. أو: في وجوه الخير.(٣)

[٢٧٤] «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«الذين ينفقون أموالهم». قال رسول الله ﷺ: نزلت في النفقة على الخيل.(٤)

قال الصدوق: نزلت في أميرالمومنين عليه السلام على ما روي. و كان سبب نزولها أنّه كان معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم منها في اللّيل و بدرهم في النهار و بدرهم في السر و آخر في العلانية.(٥)

«سرّاً و علانية». حالان من «ينفقون». أي: مسرّين و معلنين.(٦)

١ـ الكشّاف ١ / ٣١٨.

٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٢٩٨.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٥ ـ ٦٦٦.

٤ـ الفقيه ٢ / ١٨٨.

٥ـ الفقيه ٢ / ١٨٨.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٧.

[٢٧٥] «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«الذين يأكلون»؛ أي: يأخذون. لمّا حثّ اللّه على الإنفاق و بيّن ما فيه من الأجر، عقّبه بذكر الربا الذي ظنّه الجاهل زيادة في المال. «لايقومون» يوم القيامة. «الشيطان». أي: إلّا مثل الذي يصرعه الشيطان من الجنون. و يكون ذلك أمارة لأهل الموقف على أنّهم أكلوا الربا.[١]

عن الصادق عليه السلام: آكل الربا لايخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان.[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء، رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلايقدر أن يقوم من عظم بطنه. فقال جبرئيل: هؤلاء الذين يأكلون الربا. «لايقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان».[٣]

«الربوا». كتب بالواو على لغة من يفخّم كما كتبت الصلوة و الزكوة. و زيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع. «لايقومون» ـ الآية. قيل: الذين يخرجون من الأجداث يسرعون إلّا آكلة الربا فإنّهم ينهضون و يسقطون كالمصروعين لأنّهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتّى أثقلهم. «ذلك»؛ أي: العقاب.[٤]

المسّ: الجنون. زعم العرب أنّ الجنيّ يمسّ الرجل فيختلط عقله. و قوله: «من المسّ» متعلّق بلايقومون. و يجوز أن يتعلّق بيقوم. «بأنّهم»: بسبب قولهم: «إنّما البيع مثل الربا». فإن قلت: هلّا قيل: «إنّما الربا مثل البيع»؟ لأنّ الكلام في الربا دون البيع يعني أنّهم استحلّوه كالبيع. و شبهتهم أنّهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لايساوي إلّا درهماً بدرهمين جاز،

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٦٩.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٥٢.
٣ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٣.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣١٩ ـ ٣٢٠.

فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين. قلت: جيء به على طريق المبالغة، و هو أنّه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الربا أنّهم جعلوه أصلاً في الحلّ حتّى شبّهوا به البيع. «و أحلّ الله البيع و حرّم الربا». إنكار لتسويتهم بينهما، و دلالة على أنّ القياس يهدمه النصّ لأنّه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله و تحريمه.(١)

«و أحلّ الله البيع و حرّمَ الربا». قال ابن‌عبّاس: كان الرجل منهم إذا حلّ دينه على غريمه فطالبه به، قال المطلوب منه: زدني في الأجل و أزيدك في المال، فيتراضيان عليه و يعملان به. فإذا قيل لهما: هذا رباً؟ قالوا: هما سواء. يعني أنّ الزيادة في الثمن حال البيع و الزيادة فيه بسبب الأجل عند محلّ الدين سواء. فذمّهم الله على ذلك و خطّأهم بقوله: «و أحلّ الله البيع و حرّم الربا». «فمن جاءه موعظة»؛ أي: زجر و نهي، فانزجر، فله ما أخذ و أكل قبل النهي لايلزمه ردّه.(٢)

«موعظة». عن الباقرعليه السلام: الموعظة التوبة.(٣)

عن الصادق‌عليه السلام في رجل أربى بجهالة ثمّ أراد أن يتركه قال: ما مضى فله. و ليتركه فيما يستقبل.(٤)

«فانتهى». أي: لايؤاخذ به لأنّه أخذه قبل نزول التحريم. «و أمره إلى الله» يحكم في شأنه يوم القيامة. و ليس من أمره إليكم شيء فلاتطالبوه به. «و من عاد» إلى الربا « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». و فيه دليل على تخليد الفسّاق.(٥)

«و أمره»؛ أي: أمره بعد مجيء الموعظة و التحريم «إلى الله» إن شاء عصمه عن أكله و ثبّته في انتهائه عنه، و إن شاء خذله. و قيل: معناه: أمره في حكم الآخرة [إلى الله] إن لم‌يتب و هو غير مستحلّ له، إن شاء عذّبه بعدله و إن شاء عفا عنه بفضله. و قيل: معناه: و أمره إلى الله فلايؤاخذه بما سلف من الربا. «و من عاد» إلى أكل الربا بعد التحريم و قال ما كان يقوله

١ـ الكشّاف ١ / ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٥٢.
٤ـ الكافي ٥ / ١٤٦.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٢١.

قبل مجيء الموعظة من أن البيع مثل الربا، «فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». لأنّ ذلك القول لايصدر إلّا من كافر مستحلّ للربا.(١)

[٢٧٦] «يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَ يُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ».

«يمحق الله الربا». النكتة في الآية أنّ المربي إنّما يطلب في الربا زيادة المال، و مانع الصدقة إنّما يمنعها لطلب زيادة المال، فبيّن الله أنّ الأمر بالعكس على ما يظنّون.(٢)

و سأل رجل الصادق عليه السلام عن قول الله: «يمحق الله الربا»: و قد أرى آكل الربا يربو ماله! قال: فأيّ محق أمحق من درهم الربا يمحق دينه و إن تاب منه ذهب ماله و افتقر؟(٣)

«يمحق الله»؛ أي: يذهب ببركته.(٤)

«كلّ كفّار أثيم». الكفّار: المقيم على الكفر. يعني أنّه سبحانه يبغض كلّ كفّار لنعمته باستحلال الربا منهمك في إثمه بأكله. و إنّما لم يقل: كلّ كافر، لأنّه إذا استحلّ الربا صار كافراً و إذا كثر أكله للربا مع الاستحلال، فقد ضمّ كفراً [إلى كفر].(٥)

[٢٧٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات» ـ الآية. إنّما جمع بين هذه الخصال لا لأنّ الثواب لايستحقّ على كلّ واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الأعمال الصالحة و التعظيم لشأنها، أو لبيان أنّ الجمع بين هذه الخصال أعظم أجراً من الإفراد بواحدة منها. و قد ذكرنا أنّ أمثال هذه الآية تدلّ على أنّ الإيمان ليس من أفعال الجوارح؛ إذ لو كان كذلك، لما كان لعطفها عليه معنىً.(٦)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٠ ـ ٦٧١.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧١.
٣ـ الفقيه ٣ / ١٧٦.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٢١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٢.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٢.

«خوف» من آت. «يحزنون» على فائت.(١)

[٢٧٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«و ذروا»؛ أي: لاتأخذوه و اقتصروا على رؤوس أموالكم. «مؤمنين». لأنّ هذا حكم المؤمن. أي: إن كنتم مصدّقين بتحريم الربا.(٢)

النزول: روي عن الباقرﷺ أنّ الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهليّة و قد بقي له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم، فنزلت. و قيل: نزلت في بقيّة من الربا كانت للعبّاس و خالد و كانا شريكين في الجاهليّة يسلفان في الربا من بني ثقيف فجاء الإسلام و لهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله هذه الآية، فقال النبيّﷺ: ألا كلّ رباً من ربا الجاهليّة موضوع. و أوّل رباً أضعه ربا العبّاس بن عبدالمطّلب.(٣)

[٢٧٩] «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ».

«فإن لم تفعلوا»؛ أي: إن لم تقبلوا أمر الله و لم تتركوا بقيّة الربا بعد نزول الآية بتركه، «فأذنوا بحرب من الله»؛ أي: فأيقنوا و اعلموا بقتال من الله و رسوله. أي: إنّكم تستحقّون القتل في الدنيا و النار في الآخرة. و من قرأ: «فآذنوا» فمعناه: فأعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب من الله؛ أي: بعداوة الله و عداوة رسوله. و هذا إخبار بعظم المعصية. و قال الصادقﷺ: آكل الربا يؤدّب بعد البيّنة. فإن عاد، أدّب. و إن عاد، قتل. «تبتم» من استحلال الربا. «لاتظلمون» بأخذ الزيادة. «و لاتظلمون» بالنقصان من رأس المال.(٤)

«فآذنوا». بهمزة ممدودة مكسورة الذال، حمزة و أبوبكر. و الباقون: «فأذنوا» بسكون

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٣.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٤.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٤.

الهمزة و فتح الذال.[١]

«فأذنوا». قال: من أخذ الربا، وجب عليه القتل. و كلّ من أربى، وجب عليه القتل.[٢]

عن الصادق عليه السلام: لو أنّ رجلاً ورث من أبيه مالاً و قد عرف أنّ في ذلك المال رباً ولكن قد اختلط في التجارة بغير[٣] حلال، كان حلالاً طيّباً فليأكل. و إن عرف منه شيئاً أنّه رباً، فليأخذ رأس ماله و ليردّ الربا.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: درهم رباً أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام. و قال: الربا سبعون جزءاً أيسره أن ينكح الرجل أمّه في بيت الله الحرام.[٥]

[٢٨٠] «وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و إن كان ذوعسرة»؛ أي: إن وقع في غرمائكم ذو عسرة، فالواجب عليكم نظرته إلى وقت اليسار. و أما حدّ الإعسار، فالمرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته و قوت عياله على الاقتصاد. و أمّا وجوب إنظار المعسر، فهو واجب في كلّ دين. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «تصدّقوا» بما عليه من الدين خير لكم من إنظاره إلى اليسار.[٦]

«و إن كان ذوعسرة». ظاهرها يعطي أنّ المعسر لو كان له حرفة لم يجب عليه التكسّب لوفاء الدين. و بها استدلّ الشيخ في الخلاف على ذلك. و أوجب ابن إدريس و العلّامة في المختلف عليه التكسّب نظراً إلى أنّ القادر على التكسّب ليس بمعسر حتّى يجب إنظاره. و هو غير بعيد. لأنّ قضاء الدين واجب على القادر مع المطالبة و المتكسّب قادر و لهذا يحرم عليه الزكاة. و في رواية السكونيّ دلالة عليه. و حدّ الإعسار عندنا أن لايكون عنده فاضل عن

١ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٧٨.

٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٣.

٣ـ المصدر: بغيره.

٤ـ الكافي ٥ / ١٤٥.

٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٩٣ ـ ٩٤.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٥ ـ ٦٧٦.

قوت يوم و ليلة له و لعياله الواجبي النفقة على الاقتصاد و ما لابدّ لهم من كسوة و من دار و خادم يليق بحالهم. و في أخبارنا دلالة على ذلك.(١)

عن الصادقعليه السلام قال: صعد رسول اللهصلى الله عليه وآله المنبر فقال: من أنظر معسراً، كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه. و قال أبوعبداللهعليه السلام في قوله تعالى: «إن كنتم تعلمون»: [إن كنتم تعلمون] أنّه معسر فتصدّقوا عليه بما لكم عليه، فهو خير لكم.(٢)

و قال رجل للرضاعليه السلام: أخبرني عن هذه النظرة في قوله تعالى: «فنظرة إلى ميسرة» ألها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر [إليه] لابدّ لأن ينظر و قد أخذ هذا المال و أنفقه على عياله و ليس له مال ينتظر قدومه؟ قال: نعم، ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة الله. فإن كان أنفقه في معصية الله، فلا شيء له على الإمام. و كذلك إذا لم يعلم فيما أنفقه يردّ عليه ماله و هو صاغر.(٣)

«ميسرة». نافع بضمّ السين. «تصدّقوا». غير عاصم بتشديد الصاد.(٤)

[٢٨١] «وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«و اتّقوا يوماً». هي آخر آية نزلت من السماء. و عاش بعدها رسول اللهصلى الله عليه وآله سبع ليال.

«إلى الله»؛ أي: إلى ثوابه و عقابه.(٥)

«ترجعون». أبو عمرو بفتح التاء و كسر الجيم.(٦)

[٢٨٢] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٦٦ ـ ٦٧.
٢ـ الكافي ٤ / ٣٥ ـ ٣٦.
٣ـ الكافي ٥ / ٩٣.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٧٨.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٧.
٦ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٧٨.

الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَ لَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَ لَا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَ أَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«إذا تداينتم»؛ أي: تعاملتم بما فيه دين. «مسمًّى» بالأيّام و الشهور. «فاكتبوه»؛ أي: اكتبوا الدين في صكّ. لأنّه أوثق و أدفع للنزاع الناشئ من النسيان و الجحود. و الجمهور من العلماء على استحباب الكتابة. و يحتمل أن يكون الأمر للإرشاد إلى المصلحة. و ذهب بعضهم إلى الوجوب نظراً إلى ظاهر الأمر. و قوله: «بالعدل»؛ أي: بالإنصاف و التسوية و الأمانة لايزيد في الحقّ و لاينقص منه. و قيل: معنى «بالعدل» أنّ كتابته موافقة للشرع؛ يعني يكون فقيهاً صاحب ديانة. «كما علّمه الله» من كتابة الوثائق الشرعيّة. و ظاهر النهي تحريم امتناع الكاتب. و هو يقتضي وجوبها عليه، إلّا أن ظاهر الأكثر وجوبها كفاية لكونها في معنى الشهادة. «فليكتب» تلك الكتابة التي علّمه الله. [أمر] بها بعد النهي عن الإباء، تأكيداً للحثّ عليها. «عليه الحقّ». لأنّه المشهود. لأنّ الفرض الشهادة على ما في ذمّته. و الإملال و الإملاء واحد. «و ليتّق الله» في الإملال فلاينقص من الحقّ الذي في ذمّته شيئاً. «و لايبخس»؛ أي: و لاينقص من الحقّ الذي عليه «شيئاً». و يحتمل رجوع الأمر بالاتّقاء إلى الكاتب و يكون المراد بالبخس منه عدم نقصانه في الكتابة ممّا أملي عليه. و هو في معنى

الكتابة بالعدل.[١]

«سفيهاً». الصادقعليه السلام: السفيه شارب الخمر. و الضعيف الذي يأخذ واحداً باثنين.[٢]

«سفيهاً»: ناقص العقل مبذّراً. «أو ضعيفاً»؛ أي: شيخاً مختلّاً. «أو لايستطيع أن يملّ» لما فيه من الخرس أو الجهل. «وليّه» كالأب و الجدّ له و الوصيّ في الصبيّ و كذا المجنون و السفيه. «بالعدل»؛ أي: من غير بخس حقّ المولى عليه أو المقرّ له. و مقتضى الآية الاكتفاء في ثبوت الحقّ بمجرّد إقرار الوليّ عن هؤلاء. «و استشهدوا شهيدين»؛ أي: اطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان من رجالكم المسلمين؛ كما هو مذهب أكثر علمائنا. و للشيخ قول بسماع شهادة الكفّار بعضهم لبعض. «فرجل و امرأتان». أي فاستشهدوهما. و هذا عندنا مخصوص بالأموال. أمّا غيرها من الحقوق، فلا؛ لقيام الأدلّة من خارج على العدم. «ممّن ترضون من الشهداء» لعلمكم بعدالتهم. و قوله: «ممّن ترضون» إشارة إلى أنّكم لم تؤمروا بإشهاد شاهدين مرضيّين على الحقيقة ـ إذ لا طريق لكم إلى معرفة من هو مرضيّ عند الله من غيره ـ و إنّما أمرتم بإشهاد من هو مرضيّ عندكم بحسب الظاهر؛ أي: يرضى دينه و صلاحه. «أن تضلّ إحداهما». علّة لاعتبار العدد في النساء؛ أي: التعدّد في النساء. أي: التعدّد لأجل أنّ إحداهما إن ضلّت الشهادة و نسيتها «فتذكّر إحداهما الأخرى». و العلّة في العلّة التذكير، ولكن لمّا كان الضلال سبباً له، نزّل منزلته. و التقدير: إرادة أن تذكّر إحداهما الأخرى إن ضلّت. و فيه إشعار بنقصان عقلهنّ و قلّة ضبطهنّ و قصورهنّ عن مراتب الرجال. و قرأ حمزة: «إن تضلّ» بكسر الهمزة على الشرطيّة. و ظاهر الآية حصر الشاهد في الرجلين و الرجل و المرأتين. و أمّا الشاهد و اليمين، فعليه دليل من خارج. «إذا ما دعوا» إلى أدائها و إلى تحمّلها. و هذا ألصق بالآية. أو الأعمّ.[٣] «تكتبوه»؛ أي: ديونكم و حقوقكم. «أو كبيراً». أي الدين. «إلى أجله»: وقت حلوله. «أقسط»؛ أي: أعدل. «و أقوم للشهادة»؛

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٥٥ ـ ٥٨. ٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٥٥.

٣ـ المصدر: و ربما حمل التحريم على ما هو أعمّ من الأداء و التحمّل.

أي: أعون على إقامتها. «و أدنى»؛ أي: أقرب في أن لاتشكّوا في جنس الدين و قد قدّرتم أجله أنتم و الشهود. «إلّا أن تكون». استثناء عن الأمر بالكتابة. و التجارة الحاضرة تعمّ المبايعة بدين غير مؤجّل أو عين.(۱)

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله عرض على آدم أسماء الأنبياء و أعمارهم. فمرّ بآدم عمر داوود، فإذا هو أربعون سنة. فقال: يا ربّ، إنّي زدته عن عمري ثلاثين سنة فأثبتها له عندك. فأثبتها لداوود و محاها من آدم. فلمّا أتى ملك الموت لقبض روح آدم، فقال: قد بقي من عمري ثلاثون سنة. فقال: ألم تجعلها لابنك داوود و أنت بوادي الرخنا(۲)؟ فقال آدم: ما أذكر هذا حتّى أعلم. و كان صادقاً لم يذكر. فمن ثمّ أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تعاملوا لنسيان آدم و ما جعل على نفسه.(۳)

عن الصادق عليه السلام: الضعيف الأبله.(٤)

«و استشهدوا شهيدين». قيل: هذا أمر للقضاة بأن يلتمسوا عند القضاء بالحقّ. [شهيدين] من المدّعي عند إنكار المدّعى عليه. فيكون السين في الحالتين سين السؤال و الطلب.(٥)

«فتذكّر». ابن‌كثير و أبوعمرو بالتخفيف و النصب. و حمزة بالتشديد و الرفع. و الباقون بالتشديد و النصب. فإن قيل: لم كرّر «إحداهما» و هلّا قال: فتذكّرها الأخرى؟ فجوابه على وجهين. أحدهما: انّه كرّر ليكون الفاعل مقدّماً على المفعول، إذ لو قال: فتذكّرها الأخرى، لكان قد فصّل بين الفاعل و الفعل بالمفعول و ذلك مكروه. و الثاني: ما قاله الحسين بن عليّ المغربيّ: معناه: أن تضلّ إحدى الشهادتين، أي تضيع بالنسيان، فتذكّر إحدى المرأتين الأخرى، لئلّايتكرّر لفظ إحداهما بلا معنىً. و يؤيّد ذلك أنّه لايسمّى ناسي الشهادة ضالّاً و يقال: ضلّت الشهادة، إذا ضاعت.(٦)

۱ـ مسالك الأفهام ۳ / ٥۹ ـ ٦٤.
۲ـ المصدر: الدخياء.
۳ـ علل الشرائع / ٥٥۳، ح ۱.
٤ـ التهذيب ۹ / ۱۸۲.
٥ـ مجمع البيان ۲ / ٦۸۳.
٦ـ مجمع البيان ۲ / ٦۷۸ و ٦۸۳.

و اعلم أنّه يظهر من هذه التأكيدات في أمر الكتابة أنّها حجّة شرعيّة يصحّ التمسّك بها. و المشهور بينهم خلاف ذلك. فلايصحّ الركون إليها، بل اللّازم الوقوف مع ظاهرها كما ذهب إليه البعض. و لقد بالغ المانعون في ردّها حتّى قالوا: لو علم أنّه خطّه لم يجز الشهادة به إلّا أن يعلم الواقعة فيشهد لكونه عالماً لا لكونه خطّه بيده. و يمكن توجيه المشهور بأنّ الشهادة يعتبر فيها كونها عن علم كما ثبت بالأدلّة و ظاهر أنّ الكتابة لاتوجبه و لو أوجبته وجب العمل بها لمكان العلم. و حينئذ يمكن أن تكون الفائدة فيها كونها موجبة لتذكّر الشاهد و صاحب الحقّ. و كفى بهذا فائدة.[١]

عن الصادق عليه السلام: أربعة لايستجاب لهم. فالرابع رجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة. يقول الله: ألم آمرك بالشهادة؟[٢] و من ذهب حقّه على غير بيّنة لم يؤجر.[٣]

«تديرونها»: تتعاطون يداً بيد من غير نسيئة. «تبايعتم». لعلّ المراد بالمبايعة فيها التجارة الحاضرة المذكورة سابقاً. و يكون المراد أنّ الإشهاد كاف في التجارة الحاضرة دون الكتابة. و يحتمل أن يكون المراد مطلق التبايع. فإنّ الإشهاد فيه أحوط و أضبط. و الأمر للاستحباب أو للإرشاد إلى المصلحة. «و لايضارّ». إن كان مبنيّاً للفاعل، كان المراد نهيهما عن إضرار المتداينين بترك الإجابة و التحريف و التغيير في الكتابة أو الشهادة. و إن كان مبنيّاً للمفعول، فالمراد النهي عن الإضرار بهما مثل استعجالهما عن مهمّهما الضروريّ اللّازم لهما من جهة تحصيل المعاش و تكليف السفر إلى بلد القاضي و المدّعى عليه و تكليف الكاتب قلماً أو قرطاساً أو نحو ذلك. «فإنّه»؛ أي: الضرر، أو ما نهيتم عنه مطلقاً، «فسوق»؛ أي: خروج عن طاعة الله. «و اتّقوا الله» في مخالفة ما أمركم و ما نهاكم. «و يعلّمكم الله» ما تحتاجون إليه في أمور دينكم و دنياكم. و إنّما كرّر لفظ «الله» في الجمل الثلاث لاستقلالها و عدم توقّف إحداهما على الأخرى. فإنّ الأولى حثّ على التّقوى، و الثانية وعد بإنعامه، و

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٦٥.
٢ـ الكافي ٥ / ٢٩٨، ح ٢.
٣ـ الكافي ٥ / ٢٩٨، ح ٣.

الثالثة لتعظيم شأنه و لأنّه أدخل في التعظيم.[١]

«و لايضارّ». قرأ أبوجعفر بتشديد الراء و تسكينها.[٢]

«تجارة». بالنصب على قراءة عاصم، على أنّها خبر كان و الاسم مضمر يفسّره الخبر. و الباقون برفعها، على أنّها فاعل كان التامّة و الخبر «تديرونها».[٣]

[٢٨٣] «وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ».

«إن كنتم على سفر». الخطاب للمتبايعين بالدين المؤجّل. «فرهان مقبوضة». خبر مبتدأ محذوف. أي: فالّذي يستوثق به رهان. و الاشتراط بالسفر خرج مخرج الغالب. لأنّ السفر مظنّة لإعواز الكتب و الإشهاد. و هو أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال بذلك. فقول مجاهد و الضحّاك باشتراط السفر فيه بعيد و مخالف للإجماع. أمّا اشتراط القبض فيه و عدم لزومه من دونه، فهو قول الأكثر منّا و من العامّة. و المراد باللّزوم أن لايكون للراهن الرجوع عن الرهن و لا للمرتهن عن الارتهان. فلو رهن بإيقاع الإيجاب و القبول و لم يقبض، لم يلزم و كان للراهن الامتناع من الإقباض و التصرّف فيه بالبيع و نحوه لعدم لزومه. و ذهب الشيخ في الخلاف إلى اللّزوم بمجرّد العقد. و عليه ابن إدريس و جماعة من العامّة. احتجّ الأوّلون بهذه الآية و برواية محمّد بن قيس، و الآخرون بعموم قوله: «أوفوا بالعقود».[٤] و أجابوا عن الآية بأنّ الدلالة فيها من حيث الوصف و لا حجّة فيها عند المحقّقين، و لأنّ القبض لو كان شرطاً لكان ذكره تكراراً، لأنّ الآية لبيان الإرشاد إلى حفظ المال و لايتمّ إلّا بالقبض. و عن الرواية بأنّها ضعيفة السند. كذا أجاب العلّامة في المختلف. و الجواب عنه ممكن كما لايخفى.

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٦٤ ـ ٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٧٩.
٣ـ مسالك الأفهام ٣ / ٦٤.
٤ـ المائدة (٥) / ١.

قرأ أبوعمرو و ابن‌كثير. «فرُهُن» على وزن فُعُل.[١]

عن محمّد بن عيسى، عن أبي جعفر عليه السلام: لا رهن إلّا مبقوضاً.[٢]

«فإن أمن»؛ أي: اعتمد و وثق بعض الداينين على بعض المديونين بأن لايجحده و استغنى بأمانته عن الكتابة و الارتهان. «فليؤدّ» المديون الدين. لأنّه بمنزلة الأمانة عنده حيث إنّ صاحبه لم‌يشهد عليه و لاأخذ لأجله الرهن. «و ليتّق الله» في الخيانة و أداء الأمانة. «و لاتكتموا» أيّها الشهود «الشهادة» عند إرادة إقامتها لإثبات الحقّ. «فإنّه آثم قلبه». أضاف الإثم إلى القلب، لأنّه رئيس الأعضاء و يضاف إليه العصيان كما يضاف إليه الإيمان. «بما تعملون»؛ أي: تسرّون و تظهرون.[٣]

«آثم». عن الباقر عليه السلام: كافر قلبه.[٤]

[٢٨٤] «لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«لله». اللّام للملك. «و إن تبدوا ما في أنفسكم» من الطاعة و المعصية، «أو تخفوه يحاسبكم به الله». و قال قوم: هذه الآية منسوخة بقوله: «لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها».[٥] و رووا في ذلك حديثاً ضعيفاً. و هذا لايصحّ لأنّ تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ؟ و إنّما المراد بالآية ما يتناوله الأمر و النهي من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلك ممّا هو مستور عنّا. فأمّا ما لايدخل في التكليف من الوساوس و الهواجس و الخواطر، فخارج عنه لدلالة العقل و الحديث. و القول فيما يخطر [بالبال] من المعاصي انّ الله سبحانه لايؤاخذ به و إنّما يؤاخذ بما يعزم الإنسان و يعقد قلبه عليه مع إمكان التحفّظ عنه فيصير من أفعال القلب فيجازيه كما يجازيه بأفعال الجوارح، و إنّما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٨٥.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٥٦.

٣ـ مسالك الأفهام ٣ / ٧٦ ـ ٧٨.

٤ـ الفقيه ٣ / ٣٥.

٥ـ البقرة (٢) / ٢٨٦.

تلك المعصية لأنّه لم يباشرها؛ بخلاف العزم على الطاعة، فإنّه يجازى بعزمه جزاء عين تلك الطاعة. كما جاء في الخبر أنّ المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها. و هذا من لطائف نعم الله على عباده.(١)

عن الصادقعليه‌السلام: أمّا ما فرض الله على القلب من الإيمان و الإقرار و المعرفة و العقد و الرضا و التسليم بأن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له و أنّ محمّداًصلى‌الله‌عليه‌وآله عبده و رسوله و الإقرار بما جاء من عند الله، فذلك ما فرض على القلب من الإقرار و المعرفة، و هو عمله. و هو قول الله: «إلّا من أكره و قلبه مطمئنّ بالإيمان».(٢) و قال: «إن تبدوا ما في أنفسكم» ـ الآية. و ما فرض على القلب هو رأس الإيمان.(٣)

«فيغفر». ابن‌كثير و جماعة بالجزم «يغفر» و «يعذّب». فيكون الراء ظاهرة و الباء مدغمة.(٤)

«فيغفر لمن يشاء» تفضّلاً أو بالتوبة: «و يعذّب من يشاء» عدلاً أو بالإصرار.(٥)

عن أميرالمؤمنينعليه‌السلام في حديث المعراج: فأوحى الله إليه الآية التي في سورة البقرة: «لله ما في السموات» ـ الآية. و كانت الآية قد عرضت على الأنبياء و على الأمم فأبوا أن يقبلوها و قبلها رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله و عرضها على أمّته فقبلوها. فلمّا رأى منهم القبول، علم أنّهم لا يطيقونها. فلمّا سار إلى ساق العرش، كرّر عليه الكلام ليفهمه فقال: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه» فأجابصلى‌الله‌عليه‌وآله مجيباً عنه و عن أمّته: «و المؤمنون كلّ آمن بالله». و قال الله تعالى: أما إذا قبلت الآية بتشديدها و عظم ما فيها، فحقّ عليّ أن أرفعها عن أمّتك. فقال: «لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها».(٦)

[٢٨٥] «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَ

١ـ مجمع البيان ٢ / ٦٨٧ ـ ٦٨٨.
٢ـ النحل (١٦) / ١٠٦.
٣ـ الكافي ٢ / ٣٤ ـ ٣٥.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٣٠.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٨٧، و الكشّاف ١ / ٣٣٠.
٦ـ الاحتجاج ١ / ٣٢٧ ـ ٣٣٣.

مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

«و كتبه». قرأ حمزة و الكسائيّ: «كتابه».[1]

«آمن الرسول». عن الصادق عليه السلام: انّ هذه الآية مشافهة الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله لمّا أسرى به إلى السماء. قال النبيّ صلى الله عليه و آله: انتهيت إلى سدرة المنتهى فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى. فناداني ربّي: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه». فقلت: أنا مجيب عنّي و عن أمّتي «و المؤمنون كلّ آمن بالله». فقلت: «سمعنا و أطعنا». فقال الله: «لا يكلّف الله نفساً». فقلت: «ربّنا لا تؤاخذنا». فقال: لا أؤاخذك. [فقلت: «ربّنا و لا تحمل علينا...» فقال الله: لا أحملك.] فقلت: «ربّنا و لا تحمّلنا». فقال الله: قد أعطيتك ذلك لك و لأمّتك.[2]

«كلّ»؛ أي: كلّ واحد منهم. «غفرانك»؛ أي: اللّهمّ اغفر لنا غفرانك. فاستغني بالمصدر عن الفعل.[3]

«لا نفرّق» كما فعله اليهود و النصارى حيث آمنوا ببعض الرسل و الكتب دون بعض.[4]

«و إليك المصير». إقرار بالبعث بعد الموت.[5]

[٢٨٦] «لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

«إلّا وسعها»؛ أي: ما تسعه قدرتها و أدون. «ما كسبت» من خير. «ما اكتسبت» من شرّ لا يتضرّر به غيرها. و تخصيص الكسب بالخير و الاكتساب بالشرّ، لأنّ الاكتساب فيه

١ـ التيسير / ٧٢.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٩٥.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٦٨٩.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٨٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٦.

احتمال و الشرّ تشتهيه النفس و تنجذب إليه، فكانت أجدّ في تحصيله و أعمل، بخلاف الخير.

«لاتؤاخذنا»؛ أي: لاتؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط و قلّة مبالاة، أو بأنفسهما، إذ لايمتنع المؤاخذة بهما عقلاً. فإنّ الذنوب كالسموم، فتعاطي الذنوب لايبعد أن يفضي إلى العقاب و إن لم يكن عزيمة، لكنّه وعد التجاوز عنه رحمة و فضلاً. فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة و اعتداداً بالنعمة فيه. و يؤيّد ذلك مفهوم قوله: رفع عن أمّتي الخطأ و النسيان.(١)

عن النبيّ ﷺ أنّه قال الله: سل يا محمّد. فقال: «ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا». فقال الله: لست أؤاخذ أمّتك بالنسيان و الخطأ لكرامتك عليّ. و كانت الأمم السابقة إذا نسوا أو أخطؤوا عوقبوا عليه. فقال النبيّ ﷺ: زدني. فقال: سل. فقال: «ربّنا و لاتحمل علينا إصراً». فأجابه إلى ذلك فقال: رفعت عن أمّتك الآصار التي كانت على الأمم السابقة. كنت لاأقبل صلاتهم إلّا في بقاع من الأرض معيّنة اخترتها لهم و إن بعدت، و قد جعلت الأرض كلّها لأمّتك مسجداً. و كانت الأمم إذا أصابهم نجاسة قرضوه من أجسادهم، و قد جعلت الماء لأمّتك طهوراً. و كانت الأمم السابقة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس فمن قبلت منه أرسلت ناراً فأكلته فرجع مسروراً و من لم أقبل منه رجع مثبوراً، و قد جعلت قربان أمّتك في بطون فقرائها فمن قبلت منه ذلك أضعفت له الثواب و من لم أقبل منه ذلك رفعت عنه عقوبات الدنيا. و كانت الأمم السالفة صلاتهم مفروضة عليها في ظلم اللّيل و أنصاف النهار [فرفعتها عن أمّتك] و فرضت عليهم صلاتهم في وقت نشاطهم. و كانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً، و فرضت على أمّتك خمس صلوات و جعلت ثوابها ثواب خمسين صلاة. و كانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة و سيّئتهم بسيّئة، و جعلت الحسنة بعشرة و السيّئة بواحدة لأمّتك. و كانت الأمم السالفة إذا نوى حسنة أحدهم ثمّ لم يعملها، لم يكتب له و إذا عملها كتبت له حسنة، و إنّ أمّتك إذا همّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧.

أحدهم بحسنة كتبت له حسنة و إن عملها كتبت له عشراً. و كانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم و جعلت توبتهم من الذنوب أن حرّمت عليهم أحبّ الطعام إليهم [و قد رفعت ذلك عن أمّتك و ...].[١]

«إصراً»؛ أي: تكليفاً ثقيلاً شاقّاً.[٢]

«من قبلنا». مثل ما وقع في بني إسرائيل من قتل الأنفس بالتوبة و قطع موضع النجاسة و خمسين صلاة في اليوم و اللّيلة و صرف ربع المال في الزكاة أو ما أصابهم من الشدائد و المحن. «ما لا طاقة لنا به» من البلاء و من العقوبة، أو من التكاليف التي لاتفي بها الطـاقة البشريّة. «و اغفر لنا» و لاتفضحنا بالمؤاخذة. «و ارحمنا»: تفضّل علينا.[٣]

١ـ الاحتجاج ١ / ٣٢٧ ـ ٣٣٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٣٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٧.

٣.
سورة آل عمران

عن الصادق عليه السلام: من قرأ البقرة و آل عمران، جاء يوم القيامة يظلّانه على رأسه مثل الغمامتين.[١]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الم * اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ».

روي عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ الحروف المقطّعة في أوائل السور من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها و لايعلم تأويلها غيره. و عن الشعبيّ قال: لله في كلّ كتاب سرّ. و سرّه في القرآن حروف التهجّي في أوائل السور.[٢]

عن الصادق عليه السلام: و أمّا «الم» في آل عمران فمعناه: أنا الله المجيد.[٣]

قرأ أبوجعفر بسكون الميم و قطع همزة «الله» و الباقون موصولاً و بفتح الميم. «الحيّ القيّوم». عن ابن‌عبّاس انّه اسم الله الأعظم. و هو الذي دعا [به] آصف بن برخيا في حمل عرش بلقيس.[٤]

[٣] «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَ الإِنْجِيلَ».

«لما بين يديه»؛ أي: لما تقدّمه من الكتب و الرسل.[٥]

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٠.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.
٣ـ معاني الأخبار / ٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٦٩٤ و ٦٩٦.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٦٩٦.

«التوراة و الإنجيل». اسمان أعجميّان. و تكلّف اشتقاقهما من الورى و النجل و وزنهما بتفعلة و إفعيل، إنّما يصحّ بعد كونهما عربيّين. و إنّما قال: نزّل الكتاب، و أنزل التوراة و الإنجيل، لأنّ القرآن نزل منجّماً موقّتاً و نزل الكتابان جملة.(۱)

قيل: التوراة مشتقّ من الورى و هو إخراج النار من الزند. سمّي بها لأنّ هذا الكتاب يخرج منه ما ينوّر العالم المملوّ بظلام الكفر. (عصام)

[٤] «مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ».

«للناس»؛ أي: ليهتدي أهل كلّ كتاب بكتابه.(۲)

«الفرقان»: جنس الكتب السماويّة. لأنّ كلّها فرقان يفرق بين الحقّ و الباطل. أو: الكتب التي ذكرها. أو: الكتاب الرابع و هو الزبور. أو: القرآن؛ و كرّر ذكر القرآن بما هو نعت له و مدح من كونه فارقاً بين الحقّ و الباطل بعد ما ذكره باسم الجنس، تعظيماً لشأنه و إظهاراً لشرفه و فضله. «بآيات الله» من كتبه المنزلة و غيرها.(۳)

قيل: المراد بالفرقان الأدلّة الفاصلة بين الحقّ و الباطل.(٤)

عن الصادق عليه السلام: الفرقان كلّ محكم منه. و الكتاب هو جملة القرآن.(٥)

عن النبي صلى الله عليه و آله: سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات و السور.(٦)

«عزيز»؛ أي: غالب.(۷)

[٥] «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ».

أيّ شيء في العالم كلّيّاً كان أو جزئيّاً، فعبّر عنه بالسماء و الأرض؛ إذ الحسّ

۱ـ الكشّاف ۱ / ۳۳۵ـ ۳۳٦.

۲ـ مجمع البيان ۲ / ٦۹٦.

۳ـ الكشّاف ۱ / ۳۳٦.

٤ـ مجمع البيان ۲ / ٦۹۷.

٥ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ۱ / ۹٦.

٦ـ علل الشرائع / ٤۷۰.

۷ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱٤۸.

لايتجاوزهما. و هو كالدليل على كونه حيّاً.(١)

[٦] «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«لا إله إلّا هو». إشارة إلى كمال قدرته و تناهي حكمته. و قيل: هذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان ربّاً. فإنّ وفد نجران لمّا حاجّوا فيه رسول الله، نزلت السورة من أوّلها إلى نيّف و ثمانين آية تقريراً لما احتجّ به عليهم و أجاب عن شبهتهم.(٢)

«هو الذي يصوّركم». في علل الشرائع: إنّ الله تبارك و تعالى إذ أراد أن يخلق خلقاً، جمع كلّ صورة بينه و بين أبيه إلى آدم، ثمّ خلقه على صورة أحدهم. فلايقولنّ أحد: هذا لايشبهني و لايشبه شيئاً من آبائي.(٣)

أقول: و هذا أحد معاني الحديث المشهور؛ و هو قوله عليه السلام: إنّ الله خلق آدم على صورته التي هو عليها لم يتقدّمه صورة أب.(٤)

[٧] «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ».

«آيات محكمات». عن الصادق عليه السلام: أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.(٥)

«أمّ الكتاب». لم يقل: أمّهات الكتاب، باعتبار أن كلّ آية أمّ.(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام: المنسوخات من المتشابهات. و الناسخات من المحكمات.(٧)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٩.

٣ـ علل الشرائع / ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ التوحيد / ١٥٢ ـ ١٥٣. و ليس فيه ذيل الحديث.

٥ـ الكافي ١ / ٤١٤.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٤٩.

٧ـ الكافي ٢ / ٢٨.

«هنّ أمّ الكتاب»؛ أي: أصل الكتاب. و في المحكم و المتشابه أقوال. أحدها: انّ المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة و دلالة تدلّ على المراد منه، لوضوحه. نحو: «إنّ الله لايظلم الناس شيئاً».[1] و يقابله المتشابه. و ثانيها: انّ المحكم ما لايحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً. و المتشابه ما يحتمل الوجهين فصاعداً. و ثالثها: انّ المحكم ما يمكن تعيين تأويله. و المتشابه ما لايعلم تعيين تأويله، كقيام الساعة. عن جابر بن عبدالله.[2]

«فأمّا الذين في قلوبهم زيغ»؛ أي: ميل عن الحقّ، فيتّبعون متشابهه لابتغاء الفتنة؛ أي: طلب الضلال و الإضلال و إفساد الدين على الناس. و قيل: لطلب الشرف والمال. و قيل: المراد بالفتنة هنا الكفر. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. «و ابتغاء تأويله» على خلاف الحقّ. و اختلف في من عني بهذا. فقيل: هم وفد نجران لمّا حاجّوه في أمر عيسى عليه السلام فقالوا: أليس هو كلمة الله و روحاً منه؟ [فقال: بلى.] فقالوا: حسبنا. فأنزل الله: «فأمّا الذين في قلوبهم زيغ». يعني أنّهم قالوا: إنّ الروح ما فيه بقاء البدن، فأجروه على ظاهره، و المسلمون حملوه على أنّ إضافة الروح إليه للتشريف. و قيل: المراد كلّ من احتجّ بالمتشابه لباطله. «و مايعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم»؛ أي: الثابتون فيه. و اختلف في نظمه و حكمه على قولين. أحدهما: [انّ الراسخون معطوف على الله بالواو و على معنى ... و «يقولون» على هذا في موضع النصب على الحال و تقديره: قائلين: «آمنّا بالله ...». و هذا قول ابن‌عبّاس و .... و هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام. و القول الآخر: انّ الواو في قوله: «و الراسخون» واو الاستئناف .... و هذا قول ... و قالوا:] انّ الراسخين لايعلمون تأويله ولكن يؤمنون به. فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم، كالعلم بوقت قيام الساعة و فناء الدنيا و وقت طلوع الشمس من مغربها و نزول عيسى عليه السلام و خروج الدجّال و نحو ذلك ممّا استأثر الله بعلمه. «و مايذّكّر»؛ أي: و لايتفكّر في آيات الله و لايردّ المتشابه إلى المحكم إلّا أهل العقول. فإن قيل: لم أنزل في القرآن المتشابه؟ و هلّا جعله كلّه محكماً؟ فالجواب: انّه

١ـ يونس (١٠) / ٤٤.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٦٩٩ ـ ٧٠٠.

لوكان كلّه محكماً، لاتّكل الناس كلّهم على الخبر و استغنوا عن النظر، و لماكان للعلماء فضل على غيرهم، و لكان لايحصل لهم ثواب النظر و إتعاب الخواطر في استنباط المعاني.[١]

«الذين في قلوبهم زيغ». هم أهل البدع. «فيتّبعون»؛ أي: يتعلّقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع ممّا لايطابق المحكم. فإن قلت: هلّاكان القرآن كلّه محكماً؟ قلت: لما في المتشابه من الابتلاء و التمييز بين الثابت على الحقّ و المتزلزل فيه. «و ابتغاء تأويله»: التأويل الذي يشتهونه.[٢]

طعن جماعة من الملاحدة في متشابه القرآن و قالوا: كيف يليق بالحكيم أن يذكر في كتابه المرجوع إليه في دينه ما يتمسّك به أهل كلّ مذهب على مذهبهم و كلّ يسمّي الآية الموافقة لمذهبه محكمة و مخالفها متشابهة؟ و هذا لايليق بالحكمة. و لو جعله كلّه ظاهراً جليّاً خالصاً عن المتشابه، كان أقرب إلى حصول الغرض. فالجواب: انّه لو كان كلّه محكماً، كان موافقاً لمذهب واحد و كان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله و عن النظر فيه و الانتفاع به. و إذا كان مشتملاً على القسمين، يطمع كلّ صاحب مذهب أنّه يجد فيه ما يؤيّد مقالته فيجتهد في فهم معانيه. و بعد الفحص تصير المحكمات عنده مفسّرة للمتشابهات فيصل المبطل إلى الحقّ.[٣]

أقول: و ذكر الفاضل النيشابوريّ وجهاً آخر لوقوع المتشابه في القرآن؛ و هو: انّ القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواصّ و العوامّ. و طباع العامّة تنبو في الأغلب عن إدراك الحقائق. فمن سمع منهم في أوّل الأمر إثبات موجود ليس بجسم و لا متحيّز، ظنّ أنّ هذا عدم محض فوقع في التعطيل. فكان الأولى أن يخاطبوا بألفاظ دالّة على بعض ما توهّموه و تخيّلوه مخلوطاً بما يدلّ على الحقّ الصريح.[٤] انتهى. و أمّا على مذهبنا معاشر الإماميّة، فالوجه فيه ظاهر؛ و هو: انّ المخاطب بالقرآن رسول الله و أهل بيته عليهم السلام و كانوا عارفين بمتشابهه و أمروا

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٠ ـ ٧٠٢.

٢ـ الكشّاف ١ / ٣٣٨.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ١٣٩ ـ ١٤٠.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ١٤٠.

الناس بالرجوع إليهم في بيانه. و ورد في الأخبار المستفيضة المتواترة أنّ الراسخون في العلم هم آل محمّد عليهم السلام.

[٨ ـ ٩] «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ».

«ربّنا لاتزغ». حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الأولى. و ذكر فيه وجوه. أحدها: لاتمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ هديتنا بألطافك. وهذا دعاء للتثبّت على الهداية و الإمداد بالألطاف. و إنّما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية و يفرّط فيه من التوبة. كما قال: «فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم».[١] و ثانيها: معناه: لاتكلّفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله و تركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية. و نظيره: «فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا».[٢] ثالثها: انّ المراد: لاتزغ قلوبنا عن ثوابك و رحمتك. و هو ما ذكره الله من شرح الصدر بقوله: «يشرح صدره للإسلام».[٣] و ضدّه هو الحرج و الضيق اللّذان يقعان بالكفّار عقوبة. «من لدنك رحمة»؛ أي: من عندك لطفاً نتوصّل به إلى الثبات على الإيمان. و قيل: نعمة. «ربّنا»؛ أي: يقولون: يا ربّنا. «ليوم لاريب فيه»: يوم القيامة. و هذا إقرار منهم بالمعاد.[٤]

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ أُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ».

«الذين كفروا». و هم الذين في قلوبهم زيغ. «لن تغني»؛ أي: لن تدفع. «من الله». من هنا إمّا بمعنى عند، أو لابتداء الغاية. و قيل: معناه: من عذاب الله. «وقودها»: حطبها.[٥]

١ـ الصفّ (٦١) / ٥.
٢ـ البقرة (٢) / ٢٤٦.
٣ـ الأنعام (٦) / ١٢٥.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٣.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٤.

«من الله شيئاً». من هنا مثلها في قوله: «إنّ الظنّ لايغني من الحقّ شيئاً».[١] و المعنى: لن تغني عنهم من رحمة الله ـ أو من طاعة الله ـ شيئاً. أي: بدل رحمته و طاعته. و في معناه قوله: «و ما أموالكم و لا أولادكم بالّتي تقرّبكم عندنا زلفى»[٢].[٣]

[١١] «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«كدأب». الدأب: العادة.[٤] مصدر دأب في العمل، إذا كدح فيه. فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه و حاله. و الكاف مرفوع المحلّ. تقديره: دأب هؤلاء الكفرة مثل دأب من قبلهم من قوم فرعون و غيرهم. و يجوز أن ينتصب محلّ الكاف بلن تغني أو بالوقود. أي: لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك. أو: توقد بهم النار كما توقد بهم. «كذّبوا بآيات الله». تفسير لدأبهم ممّا فعلوا و فعل بهم، على أنّه جواب سؤال مقدّر عن حالهم.[٥]

[١٢] «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ».

«قل للّذين كفروا». هم مشركو مكّة. «ستغلبون». يعني يوم بدر.[٦]

روى أصحابنا أنّه لمّا أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر و قدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر. و أسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما ينزل بهم. فقد عرفتم أنّي نبيّ مرسل؛ تجدون ذلك في كتابكم. فقالوا: يا محمّد، لايغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. أما و الله لو قاتلناك، لعرفت أنّا نحن الناس! فأنزل الله هذه الآية. و الذين كفروا إمّا مشركو أهل مكّة أو اليهود. «ستغلبون و تحشرون». قرأ أهل الكوفة غير عاصم بالياء و

١ـ يونس (١٠) / ٣٦.
٢ـ سبأ (٣٧) / ٣٤.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣٣٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٤٠.
٦ـ الكشّاف ١ / ٣٤٠.

الباقون بالتاء. «ستغلبون»؛ أي: تصيرون في الدنيا مغلوبين و تحشرون إلى جهنّم في الآخرة. و قد فعل الله تعالى ذلك. فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم، و المشركون غلبوا بالسيف. و إذا قرئ: «سيغلبون» بالياء، فقد يمكن أن يكون المغلوبون و المحشورون من غير المخاطبين و يمكن أن يكونوا إيّاهم على سبيل الالتفات. «و بئس المهاد»؛ أي: بئس ما مهّد لكم أو ما مهّدتم لأنفسكم.(١)

و قرئ: «سيغلبون و يحشرون» بالياء. كقوله: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم».(٢) على: قل لهم قولي لك: «سيغلبون». فإن قلت: أيّ فرق بين القراءتين من حيث المعنى؟ قلت: معنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه. كأنّه قال: أدّ إليهم هذا القول الذي هو قولي لك: «سيغلبون و يحشرون» ـ الآية.(٣)

«و تحشرون». قال الفاضل النيشابوريّ: في هذه الآية حجاج للقائل بتكليف ما لايطاق. فإنّه تعالى أخبر عنهم يحشرون إلى جهنّم، فلو آمنوا، انقلب الخبر كذباً.(٤)

أقول: الجواب عنه من وجوه. أوّلها: انّه من باب ما تستهديه إلى الطريق الواضح فتقول له: إنّ مصيرك إلى جهنّم، مريداً أنّه إن بقي على ما هو فيه. و هذا شائع في المحاورات. و ثانيها: انّه إنّما أخبر عنهم بعد أن لزمتهم الحجّة و اختاروا الكفر. و ثالثها: انّه إخبار عن علمه القديم المتعلّق بأحوالهم. و قد تقرّر في محلّه أنّ العلم ليس علّة للمعلوم.

[١٣] «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ أُخْرىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ».

«قد كان لكم آية»؛ أي: معجزة دالّة على صدق محمّد صلّى الله عليه و آله.(٥) الخطاب لقريش أو لليهود. و قيل: للمؤمنين.(٦)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٦ و ٧٠٥.

٢ـ الأنفال (٨) / ٣٨.

٣ـ الكشّاف ١ / ٣٤٠.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ١٥٩.

٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥١.

نزلت في قصّة بدر و كان المسلمون ثلاثمائه و ثلاثة عشر رجلاً؛ سبعة و سبعون رجلاً من المهاجرين و مائتان و ستّة و ثلاثون رجلاً من الأنصار. و كانت الإبل في جيش رسول‌الله سبعين بعيراً و الخيل فرسين. و كان معهم من السلاح ستّة أدرع و ثمانية سيوف. و جميع من استشهد يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين و ثمانية من الأنصار. و أمّا المشركون، فروي عن عليّ عليه السلام أنّ عددهم كان ألفاً. و قيل: تسعمائة إلى ألف. و كانت حرب بدر أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

«قد كان لكم». الخطاب لمشركي قريش. «في فئتين التقتا» يوم بدر. «يرونهم مثليهم». يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من ألفين، أو مثلي عدد المسلمين ستّمائة و نيّفاً و عشرين. أراهم الله إيّاهم مع قلّتهم [أضعافهم] ليهابوهم و يجتنبوا عن قتالهم. و كان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدّهم بالملائكة. و الدليل عليه قراءة نافع: «ترونهم» بالتاء. و أمّا قوله في سورة الأنفال: «يقلّلكم في أعينهم»[٢] فالجواب عنه: إنّهم قلّلوا أوّلاً في أعينهم حتّى اجترؤوا عليهم. فلمّا لاقوهم، كثّروا في أعينهم حتّى غلبوا. و قيل: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرّر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين بعد ما كلّفوا أن يقاوم الواحد العشرة، و كان الكافرون ثلاثة أمثالهم.[٣] «رأي العين»: رؤية ظاهرة كسائر المعاينات. «و الله يؤيّد بنصره» كما أيّد أهل بدر.[٤]

«إنّ في ذلك»؛ أي: التقليل و التكثير. أو: في غلبة القليل الكثير.[٥]

[١٤] «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِك مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٨ ـ ٧٠٩.
٢ـ الأنفال (٨) / ٤٤.
٣ـ في النسخة زيادة: يرونهم، نافع بالتاء.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٤١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥١.

«زيّن» ـ الآية. ثمّ أنزل الله السبب الذي دعا الناس إلى العدول عن الحقّ و الركون إلى الدنيا فقال: «زيّن للناس حبّ الشهوات»؛ أي: المشتهيات. و لذا فسّرها بالنساء و البنين و غيرهما. و المزيّن، قيل: هو الشيطان. و قيل: هو الله، لما جعل في الطباع من الميل إليها، تشديداً للتكليف. كما قال: «إنّا جعلناه ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً».[١] و قيل: زيّن الله ما يحسن منه و زيّن الشيطان ما يقبح. و قدّم ذكر النساء، لأنّ الفتنة بهنّ أعظم. و «القناطير»: جمع قنطار؛ و هو جلد ثور ذهباً. عن أبي جعفر عليه السلام. و «المقنطرة»: المنضّدة بعضها فوق بعض. و قيل: الكاملة المجتمعة. «و الخيل المسوّمة»: الأفراس الراعية، أو الحسنة، من السيماء. «و القناطير المقنطرة»: الأموال المجتمعة بعضها فوق بعض من الذهب و الفضّة. «و الحرث»: الزرع.[٢]

«المقنطرة». مبنيّة من لفظ القنطار للتوكيد. كقولهم: ألف مؤلّفة، و بدر مبدّرة. «المسوّمة»؛ أي: المعلمة. من السومة؛ و هي العلامة. «ذلك». أي المذكورات.[٣]

[١٥] «قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

«قل أأنبّئكم». منتهى الاستفهام عند قوله: «عند ربّهم»، ثمّ استأنف «جنّات» على تقدير الجواب. كأنّه قيل: ما ذلك الخير؟ فقال: هو جنّات. و قيل: منتهى الاستفهام عند قوله: «بخير من ذلكم»، ثمّ ابتدأ فقال: «للّذين اتّقوا». و لمّا صغّر سبحانه الدنيا و زهّد فيها في الآية الأولى، عظّم الآخرة و شرّفها في هذه الآية [فقال:] «قل» يا محمّد: أخبركم بأنفع لكم ممّا سبق ذكره في الآية المتقدّمة من شهوات الدنيا و لذّاتها. «للّذين اتّقوا» ما حرّم الله عليهم «عند ربّهم جنّات تجري من تحتها»؛ أي: من تحت أشجارها الأنهار.[٤]

اعلم: انّ اللّذّات منها ما كان حسيّاً و منها ما هو معنويّ. و الأولى بها قوام الأبدان. و

١ـ الكهف (١٨) / ٧.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧١١ ـ ٧١٢.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣٤٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧١٣.

الثانية بها سرور الأرواح. و هي أشرف من الأولى. لأنّ الروح أشرف من البدن. و المتّقون، منهم من له ميل إلى اللذّات الأولى، إمّا إلى نوع منها أو إلى أنواعها. و منهم من لايتصوّر في عباداته و طاعاته سوى اللذّات الثانية. كقول سيّد الموحّدين و إمام السالكين أميرالمؤمنين عليه السلام: ماعبدتك خوفاً من نارك و لا شوقاً إلى جنّتك؛ ولكن وجدتك أهلاً للعبادة.[١] فأشار إلى الأولى بالجنّات و الأزواج، و إلى الثانية بالرضوان و هو أكبر من الأولى.

نبّه بهذه الآية على مراتب نعمه. فأدناها متاع الدنيا. و أعلاها رضوان الله؛ لقوله: «و رضوان من الله أكبر». و أوسطها الجنّة و نعيمها.[٢]

«مطهّرة» من الحيض و النفاس و الحدثين و الأقذار. «رضوان». قرأ ابوبكر بضمّ الراء كلّ القرآن، و الباقون بالكسر. و هو مصدر على التقديرين.[٣]

[١٦ ـ ١٧] «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ».

«الذين يقولون». يجوز فيه الرفع على الخبريّة، أو النصب على المدح، أو الجرّ على أنّه صفة للمتّقين الذين سبق ذكرهم في قوله: «للّذين اتّقوا» فقال: «الذين يقولون»؛ أي: المتّقين القائلين: «ربّنا إنّنا آمنّا فاغفرلنا ذنوبنا»؛ أي: استر علينا. ثمّ وصفهم بصفات أخر و مدحهم فقال: «الصابرين» على فعل ما أمرهم الله به و ترك ما نهاهم عنه. «القانتين»: المطيعين لله تعالى. «المنفقين» أموالهم في سبيل الخير. «المستغفرين»: المصلّين وقت السحر.[٤]

عن الصادق عليه السلام: من قال في وتره إذا أوتر: «أستغفر الله ربّي و أتوب إليه» سبعين مرّة، و هو قائم، فواظب على ذلك سنة، كتب عند الله من المستغفرين بالأسحار. و وجبت له المغفرة

١ـ انظر: البحار ٤١ / ١٤ ذيل ح ٤ نقلاً عن شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم البحرانيّ.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥١ ـ ١٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧١٣ و ٧١٢.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧١٤.

من الله تعالی.[۱]

[۱۸] «شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«شهد الله». الشهادة عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم. و هذا حاصل هنا في حقّ الثلاثة. أمّا من الله، فذلك أنّه أخبر في القرآن أنّه إله واحد لا إله إلّا هو. و ذلك في مواضع كثيرة. و أمّا الملائكة و أولو العلم كلّهم، فأخبروا به أيضاً.[۲]

عن الباقر عليه السلام: انّ الله تبارك و تعالى يشهد بها لنفسه. و أولو العلم الأنبياء و الأوصياء. و هم قيام بالقسط. و القسط العدل في الظاهر و العدل في الباطن أميرالمؤمنين عليه السلام.[۳]

«شهد الله». بيّن وحدانيّته بنصب الدلائل الدالّة عليها و إنزال الآيات الناطقة بها. «و الملائكة» بالإقرار. «و أولو العلم» بالإيمان بها و الاحتجاج عليها. شبّه ذلك في البيان و الكشف بشهادة الشاهد. «قائماً بالقسط»: مقيماً للعدل في قسمه و حكمه. و انتصابه على الحال من «الله». و إنّما جاز إفراده بها ـ و لم يجز جاء زيد و عمرو راكباً ـ لعدم اللّبس. كقوله: «و وهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة».[٤] أو من «هو» و العامل فيها معنى الجملة، أي: تفرّد قائماً، أو أحقّه، لأنّها حال مؤكّدة. أو على المدح، أو الصفة للمنفيّ، و فيه ضعف للفصل بين الصفة و الموصوف بالأجنبيّ. و هو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالاً من الضمير أو المدح عن الضمير. «لا إله إلّا هو». كرّره للتأكيد و مزيد الاعتناء بمعرفة أدلّة التوحيد و الحكم به بعد إقامة الحجّة فيكون نتيجة للدليل الأوّل، و ليبني عليه قوله: «العزيز الحكيم» فيعلم أنّه الموصوف بهما. و رفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل «شهد».[٥]

۱ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۱٦٥، و الخصال / ٥٨۱.

۲ـ تفسير النيسابوريّ ۳ / ۱٦٥.

۳ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۱٦٦.

٤ـ الأنبياء (۲۱) / ۷۲.

٥ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱٥۲.

«و أولو العلم». و هم الذين يثبتون وحدانيّته و عدله بالبراهين القاطعة. و هم علماء العدل و التوحيد. «قائماً». يجوز أن يكون صفة للمنفيّ. أي: لا إله قائماً إلّا هو. لأنّهم يجوّزون الفصل بين الصفة و الموصوف.[١]

[١٩] «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«إنّ الدين عند الله الإسلام». جملة مستأنفة مؤكّدة للأولى. أي: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام؛ و هو التوحيد و التدرّع بالشرع الذي جاء به محمّد صلى الله عليه و آله. و قرأ الكسائيّ بالفتح على أنّه بدل الكلّ إن فسّر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمّنه من التدرّع المذكور، أو بدل الاشتمال إن فسّر بالشريعة، لأنّ الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل.[٢]

عن الصادق عليه السلام: إنّ الإسلام قبل الإيمان. و عليه يتوارثون و يتناكحون. و الإيمان عليه يثابون.[٣]

«بغياً». أي: ما كان ذلك الاختلاف و تظاهر اليهود بمذهب و النصارى بمذهب و تركهم الإسلام إلّا حسداً بينهم و طلباً منهم للرئاسة و حصول الدنيا و استبتاع كلّ فريق ناساً يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام.[٤]

«إنّ الدين». قرأ الكسائيّ بالفتح. «بآيات الله»؛ أي: بحججه. أو: بالتوراة و الإنجيل و ما فيهما من صفة محمّد صلى الله عليه و آله. و قيل: بالقرآن و ما دلّ عليه. «سريع الحساب»؛ أي: لا يفوته شيء من أعمالهم. أو: سريع الجزاء. و حقيقة الحساب أن تأخذ ما لك و تعطي ما عليك.[٥]

[٢٠] «فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

١ـ الكشّاف ١ / ٣٤٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٢.
٣ـ الكافي ١ / ١٧٣.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٤٦.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧١٨.

وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

«فإن حاجّوك». أي أهل الكتاب في الدين. «فقل أسلمت وجهي لله»؛ أي: خلّصت نفسي و جملتي [لله] وحده. يعني: انّ الدين التوحيد. و هو الدين القديم الذي ثبت عندكم صحّته كما ثبت عندي. و ماجئت بشيء بديع حتّى تجادلوني فيه. و نحوه قوله: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألّانعبد إلّا الله و لانشرك به شيئاً».[١] فهو دفع للمحاجّة بأنّ ما هو عليه و من معه من المؤمنين هو حقّ اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجّة فيه.[٢]

و يجوز أن يكون قوله: «أسلمت» محاجّة. و بيانه: انّ القوم كانوا مقرّين بوجود الصانع و كونه مستحقّاً للعبادة. فكأنّه قال: هذا القول متّفق عليه بين الكلّ. فأنا مستمسك بهذا القدر المتّفق عليه و باقي الخلق في غير ذلك. فاليهود يدّعون التشبيه و الجسميّة، و النصارى يدّعون إلهيّة عيسى، و المشركون يدّعون وجوب عبادة الأوثان. فهؤلاء مدّعون، فعليهم الإثبات.[٣]

«اتّبعن». حذف عاصم و حمزة والكسائيّ الياء من «اتّبعني» اجتزاء بالكسرة، و أثبتها الباقون على الأصل.[٤]

«و من اتّبعن». عطف على التاء في «أسلمت». و حسن للفصل. و يجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولاً معه. «و قل للّذين أوتوا الكتاب» من اليهود و النصارى «و الأمّيّين» الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب: «أأسلمتم». يعني: انّه قد جاءكم من البيّنات ما يوجب الإسلام و يقضي حصوله لا محالة. فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ و

١ـ آل عمران (٣) / ٦٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ١٦٨ ـ ١٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧١٨.

هذا الاستفهام تعيير بالمعاندة و قلّة الإنصاف. لأنّ المنصف إذا تجلّت له الحجّة، لم يتوقّف إذعانه. «فقد اهتدوا» حيث نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال. «و إن تولّوا» لم يضرّوك. لأنّك قد بلّغت.(١)

«بصير بالعباد». وعد و وعيد.(٢)

[٢١] «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

«يكفرون»: أي: يجحدون حجج الله و بيّناته. «و يقتلون». قيل: هم اليهود. فقد روي عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال لأبي عبيدة: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة و أربعين نبيّاً من أوّل النهار في ساعة واحدة. فقام مائة رجل و اثناعشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم. و هو الذي ذكر الله: «فبشّرهم بعذاب أليم». إنّما قال: «فبشّرهم» و الذين قتلوا الأنبياء أسلافهم، لأنّهم رضوا بأفعالهم و اقتدوا بهم فأجملوا معهم. و قيل: معناه: بشّر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم.(٣)

«بغير حقّ». لايدلّ على أنّ في قتل الأنبياء ما هو حقّ؛ بل المراد بذلك تأكيد النفي و المبالغة فيه.(٤)

أقول: يجوز أن يكون معناه: انّ قتلهم للأنبياء بغير حقّ بزعمهم و من غير تأويل يستندون إليه في قتلهم و إنّما هو محض الفساد و الحسد.

«فبشّرهم». دخلت الفاء على الخبر لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. كأنّه قيل: إن كفروا. و منع سيبويه إدخال الفاء في خبر إنّ. و لذلك قيل: إنّ الخبر «اولئك الذين».

[٢٢] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

١ـ الكشّاف ١ / ٣٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٣.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢١.

يريد بأعمالهم ما هم عليه من ادّعائهم التمسّك بالتوراة. و بطلانها في الدنيا أنّهم لم يحقن دماؤهم و أموالهم و لم ينالوا بها الثناء و المدح، و في الآخرة لم يستحقّوا بها مثوبة فصارت كأنّها لم تكن. لأنّ حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه المأمور به.[١]

[٢٣] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ».

«ألم تر إلى الذين أوتوا». يريد أحبار اليهود و أنّهم حصّلوا نصيباً وافراً من الكتاب و هو التوراة، أو حصّلوا من جنس الكتب المنزلة. «يدعون إلى كتاب الله» و هو التوراة «ليحكم بينهم». و ذلك أنّ رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم و الحارث: على أيّ دين أنت؟ قال: على ملّة إبراهيم. قالا: إنّ إبراهيم كان يهوديّاً. قال لهما: إنّ بيني و بينكما التوراة. فهلمّوا إليها. فأبيا. و قيل: نزلت في الرجم و قد اختلفوا فيه. و قيل: كتاب الله القرآن. لأنّهم قد علموا أنّه كتاب الله لم يشكّوا فيه. «ثمّ يتولّى». استبعاد لتولّيهم بعد علمهم بأنّ الرجوع إلى كتاب الله واجب. و الوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف و التعادي بين من أسلم من أحبارهم و بين من لم يسلم و أنّهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحّته و هو التوراة ليحكم بين المحقّ و المبطل، ثمّ يتولّى فريق منهم و هم الذين لم يسلموا. و ذلك أنّ قوله: «ليحكم بينهم» يقتضي أن يكون اختلافاً واقعاً فيما بينهم لا فيما بينهم و بين رسول الله.[٢]

[٢٤] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«ذلك»؛ أي: التولّي و الإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب و طمعهم في

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٤٨.

الخروج من النار بعد أيّام قلائل كما طمعت المجبّرة و الحشويّة.[١]

«إلّا أيّاماً». و هي الأيّام التي عبدوا فيها العجل. و هي أربعون يوماً. و قيل: المراد أيّاماً منقطعة. «و غرّهم»؛ أي: أطمعهم افتراؤهم و كذبهم. و هو قولهم: «نحن أبناء الله و أحبّاؤه».[٢] أو هو قولهم: «لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودات».[٣]

[٢٥] «فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«فكيف»؛ أي: كيف حالهم في وقت حشرهم ليوم الجزاء؟ «ما كسبت»؛ أي: جزاء ما كسبت.[٤]

[٢٦] «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«قل اللّهمّ». عن أسماء بنت زيد قالت: قال رسول الله ﷺ: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به فأجاب: «قل اللّهمّ» إلى: «بغير حساب».[٥]

النزول: لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة و وعد أمّته ملك فارس و الروم، قالت اليهود و المنافقون: هيهات! من أين لمحمّد ملك فارس و الروم؟ ألم يكفه المدينة و مكّة حتّى طمع في الروم و فارس؟ حتّى نزلت هذه الآية.[٦]

عبدالأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء» أليس قد أتى الله بني أميّة الملك؟ قال: ليس حيث تذهب. إنّ الله عزّوجلّ آتانا الملك و أخذته بنوأميّة بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر فليس هو للّذي

١ـ الكشّاف ١ / ٣٤٩.
٢ـ المائدة (٥) / ١٨.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٤.
٥ـ مهج الدعوات / ٣١٧.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٦.

أخذه.[١]

«اللّهمّ». أصله: يا الله. و الميم المشدّدة عوض عن الياء. و قال الفرّاء: أصله: يا الله أمّ بخير. «و تعزّ» بالإيمان و الطاعة. «و تذلّ» بالكفر و المعاصي. و قيل: تعزّ المؤمن بتعظيمه و الثناء عليه. و تذلّ الكافر بالجزية و السبي.[٢]

[٢٧] «تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَـيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَـيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«تولج»؛ أي: تدخل كلّ واحد منهما في الآخر. أو: تأتي بكلّ واحد منهما عوضاً عن الآخر.

«و تخرج الحيّ». عن الصادق عليه السلام: يعني المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.[٣]

«من الميّت»؛ أي: من النطفة. الميّت النطفة. «بغير حساب»؛ أي: بغير تقتير. كما يقال: فلان ينفق بغير حساب. لأنّ من عادة المقتّر أن لاينفق إلّا بحساب.[٤]

[٢٨] «لَا يَتَّخِذِ الْمُـؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَـفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّـقُوا مِنْهُمْ تُـقَاةً وَ يُحَـذِّرُكُـمُ اللهُ نَـفْسَهُ وَ إِلَى اللهِ الْمَـصِيرُ».

«لايتّخذ». نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها و يتعاشر. و قد كرّر ذلك في القرآن. «و من يتولّهم منكم فإنّه منهم».[٥] «لاتتّخذوا اليهود و النصارى أولياء».[٦] «لاتجد قوماً يؤمنون بالله» ـ الآية.[٧] و المحبّة في الله باب عظيم و أصل من أصول الإيمان. «من دون المؤمنين». يعني أنّ لكم في

١ـ الكافي ٨ / ٢٦٦، ح ٣٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٥ و ٧٢٨.
٣ـ معاني الأخبار / ٢٩١، ح ١٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٢٨.
٥ـ المائدة (٥) / ٥١.
٦ـ المائدة (٥) / ٥١.
٧ـ المجادلة (٥٨) / ٢٢.

موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم. «و من يفعل ذلك»؛ أي: من يوال الكفرة، فليس من ولاية الله في شيء. أنّه منسلخ عن ولاية الله. «إلّا أن تتّقوا»؛ أي: إلّا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتّقاؤه. رخّص لهم في موالاتهم إذا خافوهم. و المراد بتلك الموالاة معاشرة ظاهرة و القلب مطمئنّ بالعداوة و البغضاء. «و يحذّركم الله». فلاتتعرّضوا لسخطه بعداوة أوليائه.[1]

[٢٩] «قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«قل إن تخفوا». لمّا تقدّم النهي عن اتّخاذ الكفّار أولياء، خوّفوا من الإبطان بخلاف الإظهار فيما نهوا عنه فقال: «قل» لهم يا محمّد: «إن تخفوا» ـ الآية ـ و يعلم الضمير و غيره.[2]

[٣٠] «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ».

«يوم تجد». منصوب إمّا بيحذّركم، أو بالمصير [تقديره: إلى الله المصير يوم تجد]، أو بتقدير اذكر.[3]

«يوم». منصوب بتودّ. و الضمير في «بينه» لليوم. أي: يوم القيامة حين تجد كلّ نفس شرّها و خيرها حاضرين، تتمنّى لو أنّ بينها و بين ذلك اليوم و هو له أمداً بعيداً. «و الله رؤوف بالعباد». يعني أنّ تحذيره نفسه و تعريفه حالها من العلم و القدرة من الرأفة العظيمة بالعباد؛ لأنّهم إذا عرفوه حقّ المعرفة و حذروه، دعاهم ذلك إلى طلب رضاه و اجتناب سخطه. و يجوز أن يريد أنّه مع كونه محذوراً لعلمه و قدرته، مرجوّ لسعة رحمته. كقوله: «إنّ

١ـ الكشّاف ١ / ٣٥١.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٢.

ربّك لذو مغفرة و ذو عقاب أليم»[۱].[۲]

«محضراً». منصوب على الحال من «تجد» إذا جعلته من الوجدان. فإن جعلته من العلم، مفعول ثان. لمّا حذّر العقاب في الآية المتقدّمة، بيّن وقت العقاب فقال: «يوم تجد». و قد اختلف في كيفيّة وجود العمل محضراً. فقيل: تجد صحائف الحسنات و السيّئات. و قيل: هو جزاء أعمالها من الثواب أو العقاب. و أمّا أعمالهم، فهي أعراض قد بطلت و لايجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضرة. «لو أنّ بينها و بينه»؛ أي: بينها و بين معصيتها غاية بعيدة. أي: تودّ أنّها لم تكن فعلتها. و قيل ما بين المشرق و المغرب. «رؤوف». و من تمام رأفته بهم أن حذّرهم عقابه على معاصيه.[۳]

[۳۱] «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«قل إن كنتم تحبّون الله». محبّة العباد مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره و رغبتهم فيها. و محبّة الله عباده أن يرضى عنهم و يحمد فعلهم. و المعنى: إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة، فاتّبعوني حتّى يصحّ ما تدّعونه من إرادة عبادته، يرض عنكم و يغفر لكم. و عن الحسن: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنّهم يحبّون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل. فمن ادّعى محبّته و خالف سنّة رسوله، فهو كذّاب و كتاب الله يكذّبه. و إذا رأيت من يذكر محبّة الله و يصفّق يديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق، فلاتشكّ في أنّه لايعرف ما الله، و لايدري ما محبّة الله. و ما تصفيقه و طربه و نعرته و صعقته إلّا لأنّه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشّقة فسمّاها الله بجهله و دعارته، ثمّ صفّق و طرب و نعر و صعق على تصوّرها. و ربما رأيت المنيّ قد ملأ إزار ذلك المحبّ عند صعقته و حمق العامّة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رقّقهم من حاله.[٤]

۱ـ فصّلت (٤١) / ٤٣.
۲ـ الكشّاف ۱ / ۳٥۲ ـ ۳٥۳.
۳ـ مجمع البيان ۲ / ۷۳۲.
٤ـ الكشّاف ۱ / ۳٥۳.

أقول: أراد بهؤلاء جماعة الصوفيّة.

النزول: قال جعفر بن محمّد[١]: الآيتان نزلتا في وفد نجران من النصارى، لمّا قالوا: إنّا نعظّم المسيح حبّاً لله. [ثمّ بيّن سبحانه] أنّ الايمان لايجدي إلّا إذا قارنه الايمان برسوله فقال: «قل»: يا محمّد: «إن كنتم تحبّون الله» كما تزعمون «فاتّبعوني».[٢]

نزلت في قوم من اليهود قالوا: نحن أبناء الله و أحبّاؤه. فجعل الله مصداق ذلك اتّباع رسوله.[٣]

«فاتّبعوني». عن الصادقعليه‌السلام: الحبّ أفضل من الخوف. من عرف حقّنا و أحبّنا، فقد أحبّ الله.[٤]

[٣٢] «قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ».

«قل أطيعوا الله»؛ أي: إن كنتم تحبّون الله كما تدّعون، فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله و طاعة رسوله. فذلك أمارة صدق الدعوى.[٥]

[٣٣] «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«إنّ الله اصطفى». عن الرضاعليه‌السلام: لمّا أهبط الله آدم إلى الأرض و جعله حجّة و خليفة، عصمه بقوله: «إنّ الله اصطفى آدم».[٦]

«إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً» لنبوّته. «و آل إبراهيم و آل عمران» على عالمي زمانهم، بأن جعل الانبياء منهم. و قيل: اختار دينهم. وقيل: اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوّة و غيرها من الأمور الجليلة. و قيل: اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة و أسكنه جنّته و أسجد له ملائكته. و اختار نوحاً بالنبوّة و طول العمر و إجابة الدعاء. و اختار إبراهيم

١ـ المصدر: قال محمّد بن جعفر بن الزبير.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٣.
٣ـ جوامع الجامع ١ / ٢٠٢.
٤ـ الكافي ٨ / ١١١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٣.
٦ـ عيون الأخبار ١ / ١٩٣.

بالخلّة و تبريد النار و إهلاك نمرود. «و آل إبراهيم و آل عمران». قيل: أراد نفس إبراهيم و نفس عمران. و قيل: آل إبراهيم أولاده إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط. و فيهم داوود و سليمان. و فيهم نبيّنا صلى الله عليه و آله. و قيل: آل إبراهيم هم المتمسّكون بدينه المؤمنون، و هو دين الإسلام. و أمّا آل عمران، فقيل: هم من آل إبراهيم أيضاً. و هم موسى و هارون ابنا عمران من آل يعقوب. عن الحسن و وهب. و في قراءة أهل البيت عليهم السلام: و آل محمّد على العالمين. و قالوا أيضاً: إنّ آل إبراهيم هم آل محمّد الذين هم أهله. و يجب أن يكون الذين اصطفاهم الله مطهّرين معصومين من القبائح. لأنّه سبحانه لايصطفي إلّا من كان كذلك.[۱]

«آل إبراهيم»: إسماعيل و إسحاق و أولادهما. «و آل عمران»: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر. و قيل: عيسى و مريم بنت عمران بن ماثان. و بين العمرانين ثمانمائة سنة.[۲]

«و آل عمران». القائم[۳] عليه السلام: نزل: «آل إبراهيم و آل عمران و آل محمّد على العالمين». فأسقطوا آل محمّد.[٤]

[۳٤] «ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«و ذرّيّة». بدل من آل إبراهيم و آل عمران. «بعضها من بعض». يعني أنّ الآلين ذرّيّة واحدة متسلسلة بعضها متشعّب من بعض: موسى و هارون من عمران، و عمران من يصهر، و يصهر من أولاد يعقوب بن إسحاق.[٥]

«بعضها من بعض». عن أبي عبدالله عليه السلام: في التوالد و التناسل.[٦]

[۳٥] «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۷۳٤ ـ ۷۳٥.
۲ـ الكشّاف ۱ / ۳٥٤.
۳ـ المصدر: العالم.
٤ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ۱ / ۱۰۰.
٥ـ الكشّاف ۱ / ۳٥٤.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۱۷۰، و مجمع البيان ۲ / ۷۳٥.

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«إذ قالت». إذ منصوب إمّا باذكر، و إمّا باصطفى. أو متعلّق بسميع عليم.[١]

«إذ قالت امرأة عمران». هي امرأة عمران بن ماثان أمّ مريم البتول جدّة عيسى عليه السلام. و هي حنّة بنت فاقوذ. و قوله: «إذ قالت امرأة عمران» على أثر قوله: «و آل عمران» ممّا يرجّح أنّ عمران هو عمران جدّ عيسى. و القول الآخر يرجّحه أنّ موسى يقرن بإبراهيم كثيراً في الذكر. فإن قلت: كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى و هارون و لعمران بن ماثان مريم البتول. فما أدراك أنّ عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم هي أخت موسى و هارون؟ قلت: كفى بكفالة زكريّا دليلاً على أنّه عمران أبو البتول. لأنّ زكريّا بن آذن و عمران بن ماثان كانا في عصر واحد و قد تزوّج زكريّا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى و عيسى ابني خالة. و روي أنّها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظلّ شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحرّكت نفسها للولد و تمنّته فقالت: اللّهمّ إنّ لك عليّ نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سدنته و خدمه. فحملت بمريم و هلك عمران و هي حامل. [و عن الشعبيّ:] «محرّراً»: مخلصاً للعبادة. و ما كان التحرير إلّا للغلمان و إنّما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكراً.[٢]

«محرّراً»: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا استخدمه فيه و لا أشغله بشيء. و كان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم. و روي أنّهم كانوا ينذرون هذا النوع من النذر، فإذا بلغ الغلام، خيّر بين أن يفعل و بين أن لا يفعل.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: المحرّر للمسجد إذا وضعته و أدخل المسجد، لم يخرج منه أبداً. و الانثى لاتصلح لذلك لمكان الحيض.[٤]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٦.

٢ـ الكشّاف ١ / ٣٥٥.

٣ـ الكشّاف ١ / ٣٥٥.

٤ـ علل الشرائع / ٥٧٩.

[٣٦] «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثىٰ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثىٰ وَ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

«فلمّا وضعتها». الضمير لما في بطني. و أنّث على المعنى، لأنّه كان أنثى في علم الله، أو بمعنى تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة. «أنثى». إنّما قالت هذا القول تحسّراً على ما رأت من خيبة رجائها فتحزّنت إلى ربّها. و من ثمّ قال الله: «و الله أعلم بما وضعت» تعظيماً لموضوعها و تجهيلاً لها بقدر ما وهب لها. و معناه: و الله أعلم بالشيء الذي وضعت و ما علّق به من عظائم الأمور و أن يجعله و ولده آية للعالمين. و هي جاهلة بذلك و لذلك تحسّرت.[١]

ابن‌عامر و أبوبكر: «بما وضعتُ» بضمّ التاء.[٢]

و من ضمّ التاء من «وضعت» يكون كلامها تسلية لنفسها. أي: و لعلّ لله فيه سرّاً أو الأنثى كانت خيراً.[٣]

«و ليس الذكر كالأنثى». لأنّ الأنثى لاتصلح لخدمة بيت‌المقدس لمكان الحيض و الحجاب.[٤]

«و ليس الذكر». بيان لقوله: «و الله أعلم». أي: و ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى وهبت. و اللّام فيهما للعهد. و يجوز أن يكون من قولها. أي: ليس الذكر و الأنثى سيّين فيما طلبت. فتكون اللّام للجنس. «و إنّي سمّيتها مريم». عطف على [ما] قبلها من مقالها و ما بينهما اعتراض. و إنّما ذكرت ذلك لربّها طلباً لأن يصلحها حتّى يكون فعلها مطابقاً لاسمها. فإنّ مريم في لغتهم بمنى العابدة. «و إنّي أعيذها»: أجيرها بحفظك من الشيطان الرجيم المطرود. و عن النبيّ ﷺ: ما من مولود يولد إلّا و الشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً إلّا مريم و ابنها. و معناه أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر منه إلّا مريم و

١ـ الكشّاف ١ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٧.

ابنها. فإنّ الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة.[١]

«و ذرّيّتها». عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي إبليس عيسى بن مريم فقال: هل نالني من حبائلك شيء؟ فقال: جدّتك التي قالت: «و إنّي أعيذها بك و ذرّيّتها».[٢]

[٣٧] «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«بقبول حسنَ»؛ أي: رضي بها لخدمة بيت المقدس و لم يرض لبنت غيرها. «عند الله». لأنّه من طعام الجنّة.[٣]

«بقبول»؛ أي: بوجه. و هو أنّه تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر. «نباتاً حسناً». مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها. و روي أنّ حنّة لمّا ولدتها، لفّتها في خرقة و أتت بها إلى المسجد و وضعتها عند الأحبار و قالت: دونكم هذه. فتنافسوا فيها. لأنّها كانت بنت إمامهم و صاحب قربانهم. فقال زكريّا: أنا أحقّ بها. عندي خالتها. فأبوا إلّا القرعة. و كانوا سبعة و عشرين. فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم. و كانت من الحديد. فطفا قلم زكريّا و رسبت أقلامهم، فتكفّلها. «المحراب»؛ أي: الغرفة التي بنيت لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه. سمّي به لأنّه محلّ محاربة الشيطان. «رزقاً». كان يجد فاكهة الشتاء في الصيف و بالعكس. «بغير حساب»: بغير تقدير لكثرته. أو: بغير استحقاق تفضّلاً به. و يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلامها.[٤]

[٣٨] «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٧.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٧١، ح ٤٠.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٣٩ ـ ٧٤٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٧ ـ ١٥٨.

«هنالك»؛ أي: ذلك الوقت، لمّا رأى كرامة مريم. «ربّ هب لي» كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر. و قيل: لمّا رأى الفواكه في غير أوانها، تنبّه على جواز ولادة العاقر من الشيخ، فسأل الله و قال: «هب لي من لدنك». لأنّه لم يكن على الوجوه المعتادة و بأسباب المعهودة.(١)

عن الصادق عليه السلام: لمّا شبّت مريم، كانت تخدم العبّاد في المسجد. فلمّا بلغت، حجبها زكريّا دون العبّاد. و كان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف و بالعكس. فهنالك سأل ربّه أن يهب له ذكراً، فوهب له يحيى.(٢)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل عليّ عليه السلام البيت، فإذا فيه رسول الله و فاطمة صلوات الله عليهما و بينهما شيء مغطّى. فرفعت الغطاء، فإذا هو جفنة فيها خبز و لحم. قال: يا فاطمة، أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله. فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: مثلك مثل مريم. و قرأ الآية. فأكلوا منها. و هي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام. و هي عندنا.(٣)

[٣٩] «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ».

«فنادته الملائكة». أي من جنسهم. لأنّ المنادي كان جبرئيل عليه السلام وحده. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «فناداه» بالإمالة و التذكير. «قائم»؛ أي: قائماً في الصلاة. و «يصلّي» صفة قائم. «أنّ الله»: بأنّ الله. و قرأ نافع و ابن‌عامر بالكسر على إرادة القول، أو لأنّ النداء نوع منه. و قرأ حمزة والكسائيّ: «يبشرك». يعني بفتح الياء و التخفيف. و يحيى اسم أعجميّ. و إن جعل عربيّاً، فمنع صرفه للتعريف و وزن الفعل. «بكلمة»؛ أي: بعيسى عليه السلام. سمّي بذلك لأنّه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيّات التي هي عالم الأمر. أو: بكتاب الله. سمّي كلمة كما قيل كلمة الجويدرة(٤) لقصيدته. «سيّداً» يسود قومه و يفوقهم. أو كان فائقاً للناس كلّهم في أنّه ما همّ بمعصية. «و حصوراً»؛ أي: مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٧٠ ـ ١٧١.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٧٢.
٤ـ المصدر: الحويدرة.

الملاهي. روي أنّه مرّ في صباه بصبيان فدعوه إلى اللّعب، فقال: ما لهذا خلقنا.[١]

«يبشّرك». قرأ حمزة و الكسائيّ بفتح الياء و التخفيف. و معنى قراءة التشديد ـ كما قال أبوعبيدة ـ معنى قراءة التخفيف. و قال الزجّاج: هو من بشَر يبشر، إذا فرح.[٢]

«بكلمة». قيل: إنّه ـ أي يحيى عليه السلام ـ أوّل من صدّق بعيسى عليه السلام. و كان أكبر من عيسى بستّة أشهر. سمّي يحيى، لأنّ الله أحيا قلبه بالإيمان. و قيل: أحيا قلبه بالنبوّة. و لم يسمّ بهذا الاسم أحد قبله. «و حصوراً»: لايقرب النساء.[٣]

[٤٠] «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».

«أنّى يكون». إنّما قال ذلك على سبيل التعرّف عن كيفيّة حصول الولد أيعطيهما الله إيّاه و هما على ما كانا عليه من الشيب، أم يصرفهما الله إلى حال الشباب ثمّ يرزقهما الولد. و يحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أيعطيه الله الولد من امرأته العجوز أم من امرأة أخرى شابّة فقال الله: «كذلك». و تقديره. كذلك الأمر الذي أنتما عليه و على تلك الحالة. «الله يفعل ما يشاء». معناه يرزقك الولد منها. فإنّه هيّن عليه.[٤]

«قال ربّ أنّى يكون» استبعاداً من حيث العادة و استعظاماً أو تعجّباً أو استفهاماً عن كيفيّة حدوثه. «و قد بلغني الكبر»: أدركني كبر السنّ و أثّر فيّ. و كان له تسع و تسعون سنة، و لامرأته ثمان و تسعون سنة. «عاقر»: لاتلد. من العقر، و هو القطع، لأنّها ذات عقر من الأولاد. «قال كذلك الله يفعل ما يشاء»؛ أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فان و عجوز عاقر. فيكون الكاف صفة مصدر محذوف. أو: كما أنت عليه و زوجك من الكبر و العقر، يفعل ما يشاء من خلق الولد. أو «كذلك الله» مبتدأ و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٠ ـ ٧٤١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٤.

خبر ـ أي: الله على هذه الصفة ـ و «يفعل ما يشاء» بيانه.[١]

[٤١] «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ».

«اجعل لي آية»: أي: علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشارة و الشكر و تزيح مشقّة الانتظار. «ألّاتكلّم الناس»: أي: لاتقدر على تكليم الناس ثلاثاً. و إنّما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصّة ليخلص المدّة لذكر الله و شكره قضاء لحقّ النعمة. و كأنّه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلّا عن الشكر. و أحسن الجواب ما اشتقّ من السؤال.[٢]

أقول: و ذلك أنّه طلب الآية لأجل الشكر فأجيب بأنّ الآية أن تحبس لسانك إلّا عن الشكر.

«إلّا رمزاً»: إشارة بنحو يد أو رأس. و الاستثناء منقطع. و قيل: متّصل. و المراد بالكلام ما دلّ على الضمير. «كثيراً». أي في أيّام الحبسة. و هو مؤكّد لما قبله. «بالعشيّ»: من الزوال إلى الغروب. و قيل: من العصر أو المغرب إلى ذهاب صدر اللّيل. «و الإبكار»: من طلوع الفجر إلى الضحى. و قرئ بفتح الهمزة، جمع بكر، كسحر و أسحار.[٣]

«اجعل لي آية»: أي: علامة لوقت الحمل و الولد.[٤]

[٤٢] «وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

«و إذ قالت». عطف على «إذ قالت امرأة».[٥]

«إذ قالت الملائكة إنّ الله اصطفاك». كلّموها شفاهاً، كرامة لها. و قيل: ألهموها.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٥.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٥.

الاصطفاء الأوّل تقبّلها من أمّها و لم يقبل قبلها أنثى، و تفريغها للعبادة و إغناؤها برزق الجنّة عن الكسب، و تطهيرها عمّا يستقذر من النساء. و الاصطفاء الثاني هدايتها، و إرسال الملائكة إليها، و تخصيصها بالكرامات كالولد من غير أب، و تبرئتها ممّا قذفته اليهود بإنطاق الطفل، و جعلها و ابنها آية للعالمين.[١]

[٤٣] «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ».

«مع الراكعين». و يحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم و يسجد في صلاته و لايركع و فيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين و لاتكون مع من لايركع.[٢]

«يا مريم اقنتي». أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها. و قدّم السجود على الركوع إمّا لكونه كذلك في شريعتهم، أو للتنبيه على أنّ الواو لاتوجب الترتيب. و قيل: المراد بالقنوت إدامة الطاعة، كقوله: «أمّن هو قانت» ـ الآية ـ[٣] و بالسجود الصلاة، كقوله: «و أدبار السجود»[٤] و بالركوع الخشوع.[٥]

[٤٤] «ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

«ذلك من أنباء الغيب»؛ أي: ما ذكرناه من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلّا بالوحي. «أقلامهم»: أقداحهم للاقتراع. و قيل: اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبرّكاً. و المراد تقرير كونه وحياً على سبيل التهكّم بمنكريه. فإنّ طريق معرفة الوقائع المشاهدة و السماع و عدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم، فبقي أن يكون الاتّهام باحتمال العيان و لايظنّ به عاقل. «أيّهم». متعلّق بمحذوف. أي: يلقونها ليعلموا. أو: يقولوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٦٢.
٣ـ الزمر (٣٩) / ٩.
٤ـ ق (٥٠) / ٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٥٩.

أيّهم يكفل مريم. «إذ يختصمون». أي في كفالتها.[۱]

[٤٥] «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

و «إذ قالت» بدل من «إذ قالت» الأولى و ما بينهما اعتراض، أو من «إذ يختصمون» على أنّ وقوع الاختصام و البشارة في زمان متّسع. كقولك: لقيته سنة كذا.[۲]

«بكلمة». سمّي المسيح كلمة الله لأنّ الله خلقه بكلمة منه من غير أب و هي قوله: كن فيكون. يدلّ عليه قوله: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون».[۳] و [يؤيّده] قوله: «إنّما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها»[٤] [و] سمّى بالمسيح لأنّه ماكان يمسح بيده ذا عاهة إلّا برئ. و قيل: لأنّ جبرئيل مسحه بجناحيه وقت الولادة ليكون عوذة من الشيطان.[٥]

«المسيح». لقبه. و هو من الألقاب المشرّفة كالصدّيق. و أصله بالعبريّة مشيحا و معناه المبارك. و عيسى معرّب ايشوع. و اشتقاقهما من المسح ـ لأنّه مسح بالبركة أو بما طهّره من الذنوب، أو مسح الأرض و لم يقم في موضع، أو مسحه جبرئيل ـ و من العيس ـ و هو بياض تعلوه حمرة ـ تكلّف لا طائل تحته. و إنّما قال: «ابن مريم» و الخطاب لها، تنبيهاً على أنّه يتولّد من غير أب، إذ الأولاد تنسب إلى الآباء و لاتنسب إلى الأمّ إلّا إذا فقد الأب. «وجيهاً في الدنيا» حال مقدّرة من «كلمة» لكونها موصوفة. و الوجاهة في الدنيا النبوّة، و في الآخرة الشفاعة. «و من المقرّبين» من الله. و قيل: إشارة إلى علوّ درجته في الجنّة أو رفعه إلى السماء و صحبته الملائكة.[٦]

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۵۹.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۵۹.
۳ـ آل عمران (۳) / ۵۹.
٤ـ النساء (٤) / ۱۷۱.
٥ـ مجمع البيان ۲ / ۷٤۹.
٦ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۵۹ ـ ۱٦۰.

[٤٦] «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«و يكلّم الناس». و هو قوله: «إنّي عبد الله».[١] أي: يكلّمهم حال كونه طفلاً و كهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت. و ذكر أحواله المختلفة المتنافية، إرشاداً إلى أنّه بمعزل عن الألوهيّة.[٢]

«و يكلّم الناس». و هو قوله: «إنّي عبد الله آتاني الكتاب» تبرئة لأمّه ممّا قذفت به و جلالة له بالمعجزة. «و كهلاً». قيل: المراد به بعد نزوله من السماء لقتل الدجّال. و ذلك لأنّه رفع إلى السماء و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة و ذلك قبل الكهولة. و إنّما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية معجزة، لأنّ في ذلك إبطال مذهبهم. لأنّه قال: «إنّي عبد الله» و هو ينافي قولهم إنّه ابن الله.[٣]

«و من الصالحين» لكلّ ما يرضى الله سبحانه. و هذه الدرجة فوق النبوّة. و من ثمّ ختم بها الصفات كما لايخفى.

[٤٧] «قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«قالت ربّ إنّي». تعجّب أو استبعاد عاديّ أو استفهام من أنّه بتزوّج أو غيره.[٤] و يحتمل أنّه من أيّ شخص يكون. (عصام)

«قال كذلك الله». القائل جبرئيل، أو الله و جبرئيل حكى لها قوله: «فإنّما يقول» إشارة إلى أنّه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرّجاً بأسباب و موادّ، يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.[٥]

«كن فيكون». كناية عن سرعة الإيجاد. أو كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد

١ـ مريم (١٩) / ٣٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٤٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.

إيجاده.(١)

[٤٨] «وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ».

«و يعلّمه». قرأ أهل المدينة و عاصم بالياء، و الباقون بالنون. و «يعلّمه». بالياء، عطف على «يبشّرك».(٢)

«و يعلّمه الكتاب». كلام مبتدأ ذكر تطييباً لقلبها و إزاحة لما همّها من خوف اللّوم لما علمت من أنّها تلد من غير زواج. أو عطف على «يبشّرك» أو «وجيهاً». و الكتاب: الكتبة، أو جنس الكتب المنزلة. و خصّ الكتابان لفضلها.(٣)

[٤٩] «وَ رَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«و رسولاً». عطف على «وجيهاً». و قال الزجّاج: يكلّمهم رسولاً بأنّي قد جئتكم.(٤)

«و رسولاً». منصوب بمضمر على إرادة القول. و تقديره: أرسلت رسولاً بسبب أنّي قد جئتكم. أو بالعطف على الأحوال المتقدّمة مضمّناً معنى النطق. و كأنّه قال: و ناطقاً بأنّي قد جئتكم. و تخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته، أو للردّ على من زعم أنّه مبعوث إلى غيرهم.(٥)

عن الباقر عليه السلام: انّ الله أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصّة. و كانت نبوّته ببيت المقدس.(٦)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٠.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.
٦ـ كمال الدين / ٢٢٠.

«أنّي أخلق لكم». قرأ نافع: «إنّي» بالكسر. كسر الهمزة على الاستئناف و قطع الكلام عمّا قبله. «كهيئة الطير». أبو جعفر: «كهيئة الطائر». ورد في التفسير أنّه صنع من الطين كهيئة الخفّاش و نفخ فيه فصار طائراً.[١]

«أنّي». نصب بدل «أنّي قد جئتكم»، أو جرّ بدل «آية»، أو رفع على: هي أنّي أخلق. و المعنى: أقدّر لكم و أصوّر شيئاً [مثل] صورة الطير. «فأنفخ فيه». الضمير للكاف. أي: في ذلك الشيء المماثل. «فيكون طيراً»؛ أي: يصير حيّاً طيّاراً بأمر الله. قرأ نافع: «طائراً» بالألف و الهمزة. «بإذن الله»: بأمر الله. نبّه به على أنّ إحياءه من الله لا منه. «الأكمه»: الذي ولد أعمى أو الممسوح العين. و روي أنّه كان يجتمع عليه ألوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه و من لم يطق أتاه عيسى عليه السلام و مايداوي إلّا بالدعاء. «و أحيي الموتى بإذن الله». كرّر بإذن الله دفعاً لتوهّم الألوهيّة. فإنّ الإحياء ليس من جنس أفعال البشر.[٢]

روي: انّه أحيا سام بن نوح عليه السلام و هم ينظرون. فقالوا: هذا سحر. فأرنا آية. فقال: يا فلان، أنت أكلت كذا. و يا فلان، خبئ لك كذا.[٣]

«و أحيي الموتى». إنّما خصّ عيسى بمعجزة إحياء الموتى، لأنّ الغالب في زمانه الطبّ فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه ليكون المعجز أظهر. كما أنّ الغالب لمّا كان في زمن موسى السحر، أتاهم من جنس ذلك بما عجّزهم عن الإتيان بمثله. و لمّا كان الغالب في زمان نبيّنا صلى الله عليه وآله البيان و البلاغة و الفصاحة، فأراهم الله المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم و غرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز. إذ لو أتاهم بما لايعرفون، لكان يجوز أن يخطر ببالهم أنّ ذلك مقدور للبشر غير أنّهم لايهتدون إليه.[٤]

«بما تأكلون»: بالمغيبات التي لاتشكّون فيها.[٥]

روي أنّه كان يلعب مع الصبيان و كان يخبرهم بأفعال آبائهم و أمّهاتهم. و كان يخبرهم

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥١ و ٧٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣٦٥.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٠.

بأنّ أمّك خبت لك كذا، فيرجع الصبيّ إلى أهله فيبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء. فـقالوا لصبيانهم: لاتلعبوا مع الصبيّ الساحر. و جمعوهم في بيت. فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم. فقالوا: ليسوا في البيت. فقال: فمن في هذا البيت؟ قالوا: خنازير. فقال عيسى: كـذلك. فـإذا هـم خنازير. اعلم أنّ الإخبار عمّا غاب يكون معجزاً لصدوره من الوحي بخلاف مـا يـقوله المنجّمون و نحوهم، فإنّه يحتاج إلى الآلة كالكواكب و الجنّ و نحو ذلك. فهذا هو الفرق بين الإخبارين.[١]

[٥٠] «وَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

«مصدّقاً». عطف على «رسولاً». أو منصوب بإضمار فعل دلّ عليه. «قد جئتكم»؛ أي: و جئتكم مصدّقاً.[٢]

«لما بين يديّ»؛ أي: أنزل قبلي و ما أنزل فيه من البشارة بي و بالأنبياء قبلي.[٣]

«و لأحلّ». مصدر بإضماره. أو معطوف على معنى «مصدّقاً» لأنّـه بمـعنى لأصـدّق. كقولهم: جئتك معتذراً و لأطيب قلبك.[٤]

«و لأحلّ». أحلّ لهم عيسى بعض ذلك. قيل: أحلّ لهم من السمك و الطير ما لا صيصية له. و اختلفوا في إحلاله لهم السبت.[٥]

«حرّم عليكم». أي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم و الثروب و السمك و لحوم الإبل و العمل في السبت. و هو يدلّ على أنّ شريعته كان ناسخاً لشريعة موسى عليه السلام.[٦]

«و جئتكم»؛ أي: و جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربّي؛ و هي قولي: «إنّ الله ربّي و ربّكم». فإنّه دعوة الحقّ المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبيّ و الساحر. أو: جئتكم بآية على

١ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٢٠١ ـ ٢٠٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦١.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦١.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٦٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦١.

أنّ الله ربيّ و ربّكم. و قوله: «فاتّقوا الله و أطيعون» اعتراض على التقديرين. و يجوز أن يكون تكريراً لقوله: «قد جئتكم». أي: قد جئتكم بآية بعد أخرى ممّا ذكرت لكم من خلق الطير و الإبراء و ما بعده. و قوله في الأوّل: «قد جئتكم» لتمهيد الحجّة قبل وقوعها، و هذا القول بعد الإتيان بها. و من ثمّ فرّع عليه قوله: «فاتّقوا الله» ثمّ شرع في الدعوة بقوله: «إنّ الله ربيّ و ربّكم» و هو إشارة إلى علم الأصول و مجمل التوحيد. و قوله: «فاعبدوه» إشارة إلى علم الفروع و التكليف. و قوله: «هذا صراط مستقيم» إشارة إلى ما يستلزم العلمين.

«بآية»؛ أي: بحجّة تشهد بصدقي. «فاتّقوا الله» في مخالفتي.[١]

[٥١] «إِنَّ اللهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

«إنّ الله ربيّ». قال ذلك ليكون حجّة على النصارى في قولهم: «المسيح ابن الله».[٢]

[٥٢] «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

«أحسّ»؛ أي: تحقّق كفرهم عنده تحقّق ما يدرك بالحواسّ.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: أي: لمّا سمع و رأى أنّهم يكفرون.[٤]

«من أنصاري»؛ أي: من أعواني على هؤلاء الكفّار مع معونة الله؟ إنّما استنصرهم للجماعة من الكفّار الذين راموا قتله، و إلّا فهو عليه السلام لم يبعث بالسيف، إنّما أرسل بالموعظة و النصيحة.[٥]

قيل: إنّه دعاهم إلى القتال مع القوم. كما قال: «فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين»[٦].[٧]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٥.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦١.

٤ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٣.

٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٦.

٦ـ الصفّ (٦١) / ١٤.

٧ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٢٠٤.

«إلى الله». إلى بمعنى مع أو في أو اللّام. «قال الحواريّون». حواريّ الرجل خالصته. من الحور؛ و هو البياض الخالص. سمّي به أصحاب عيسى لخلوص نيّتهم و نقاء سريرتهم. و قيل: كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود. و قيل: قصّارين يحوّرون الثياب؛ أي: يبيّضونها. «نحن أنصار الله» أي دينه.(١)

[٥٣] «رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

«مع الشاهدين». أي بوحدانيّتك. أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم. أو مع أمّة محمّد ﷺ. فإنّهم شهداء على الناس.(٢)

[٥٤] «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللهُ وَ اللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

«و مكروا». أي الذين أحسّ عيسى منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا به من يقتله غيلة. «و مكر الله» حين رفع عيسى عليه السلام و ألقى شبهه على من قصد اغتياله من اليهود و دلّهم عليه حتّى قتل. و المكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة، لايسند إلى الله إلّا على سبيل المقابلة و الازدواج. «خير الماكرين»: أقواهم مكراً و أقدرهم على إيصال الضرر من حيث لايحتسب.(٣)

قال ابن عبّاس: لمّا أراد ملك بني إسرائيل قتل عيسى عليه السلام دخل خوخة فيها كوّة، فرفعه جبرئيل من الكوّة إلى السماء. فقال الملك لرجل منهم خبيث: ادخل عليه فاقتله. فدخل الخوخة، فألقى الله عليه شبه عيسى. فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنّه ليس في البيت، فقتلوه و صلبوه و ظنّوا أنّه عيسى.(٤)

[٥٥] «إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٧.

بَـيْنَـكُمْ فِيمَا كُـنْتُمْ فِيهِ تَخْـتَلِفُونَ».

«إذ قال». ظرف لمكر الله أو خير الماكرين. «متوفّيك»؛ أي: مستوفي أجلك و مؤخّرك إلى أجلك المسمّى عاصماً إيّاك من قتلهم. أو: قابضك من وجه الأرض. أو: متوفّيك نائماً. إذ روي أنّه رفع نائماً. أو: مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت. و قيل: أماته الله سبع ساعات، ثمّ رفعه إلى السماء. و إليه ذهبت النصارى. «و رافعك» إلى محلّ كرامتي.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند المساء و هم اثناعشر رجلاً. فقال لهم: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة، و مطهّري من اليهود. فأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل و يصلب و يكون معي في درجتي؟ فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله. فقال: فأنت هو ذا. فقال لهم عيسى: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة. فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبيّ الله؟ فقال عيسى: أ تحسّ بذلك في نفسك؟ فلتكن هو. ثمّ قال لهم عيسى: إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاثة فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، و فرقة تتّبع شمعون صادقة على الله في الجنّة. ثمّ رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت و هم ينظرون إليه. ثمّ قال: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح.[٢] لأنّه دلّهم على عيسى عليه السلام.[٣]

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: انّ الله رفع عيسى إليه بعد أن توفّاه.[٤]

«متوفّيك و رافعك». قيل: معناه: يميتك في وقتك بعد النزول من السماء و رافعك الآن.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٢.

٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٣.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٥٨.

٤ـ كمال الدين / ٢٢٥.

٥ـ الكشّاف ١ / ٣٦٧.

«إنّي متوفّيك»؛ أي: رافعك إليّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً. من قولهم: توفّيت كذا و استوفيته؛ أي: أخذته تامّاً. أو: إنّي متوفّيك وفاة نوم و رافعك إليّ في النوم. «فيه تختلفون» من أمر عيسى عليه السلام.(١)

«و رافعك» ليلة إحدى و عشرين من شهر رمضان. عن الباقر عليه السلام.(٢)

«من الذين كفروا»؛ أي: من سوء جوارهم أو قصدهم. «فوق الذين كفروا». يعلونهم بالحجّة أو السيف في غالب الأمر. و متّبعوه من آمن بنبوّته من المسلمين و النصارى. و إلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم و لم يتّفق لهم ملك و دولة.(٣)

«فوق الذين كفروا». يعلونهم بالحجّة، و في أكثر الأحوال بالحجّة و السيف. و متّبعوه هم المسلمون دون الذين كذّبوه و كذبوا عليه من اليهود و النصارى.(٤)

[٥٦] «فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«في الدنيا» بالقتل و الأسر و الخسف و الجزية. و في الآخرة عقاب الأبد. «من ناصرين» يدفعون عنهم العذاب.(٥)

[٥٧] «وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ».

«فيوفّيهم». قرأ حفص بالياء، و الباقون بالنون. أي: يتمّم جزاء أعمالهم. و فيه حجّة على من قال بالإحباط. لأنّه عزّوجلّ وعد بتوفية الأجر و هو الثواب، و التوفية منافية للإحباط.(٦)

١ـ مجمع البيان ١ / ٧٥٩.
٢ـ الخصال / ٥٠٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٢.
٤ـ جوامع الجامع ١ / ٢١٢.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٠ ـ ٧٦١.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٠ ـ ٧٦١.

أقول: الأخبار الواردة بالإحباط مستفيضة على ما لايخفى على الممارس. نعم؛ هي بمعنى الموازنة و إبقاء الزائد؛ ـ كما ذهب إليه طائفة من المتكلّمين ـ لا بمعنى الإحباط المتأخّر للمتقدّم كيف كان، لما يلزم من الظلم. و على ما من الموازنة يكون قد وفى جميع أموره لأنّ الزائد قد بقي له و الساقط بموازنته قد وفاه أيضاً. إذ لو لم ينتفع به إسقاط الذنوب، لبقيت عليه تبعاتها، فهو قد رأى خير ما عمل و شرّ ما عمل.

«لايحبّ الظالمين»؛ أي: لايريد إثابتهم و لايثني عليهم.[١]

[٥٨] «ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ».

«ذلك نتلوه»؛ أي: الإخبار من عيسى و يحيى و زكريّا و غيرهم، من جملة الآيات الدالّة على صدق نبوّتك، إذا علّمتهم بما لايعلمه إلّا قارئ كتاب أو معلّم. «و الذكر الحكيم»؛ أي: القرآن المحكم. وصفه بأنّه حكيم لما فيه من الحكمة فكأنّه ينطق بالحكمة.[٢]

[٥٩] «إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«مثل عيسى»؛ أي: شأنه الغريب. «خلقه». جملة مفسّرة للتمثيل.[٣]

«إنّ مثل عيسى». نزلت في وفد نجران العاقب و السيّد و من معهما. قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فنزل: «إنّ مثل عيسى». فقرأها عليهم. يعني: انّ مثل آدم أعجب من عيسى لأنّه من غير أب و لا أمّ. فكيف أقرّوا بذلك و أنكروا هذا؟ «خلقه من تراب»؛ أي: خلق آدم من التراب كما خلق عيسى من الريح. «ثمّ قال له كن فيكون». أي لآدم، أو لعيسى.[٤]

[٦٠] «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦١.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٢.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٢ ـ ٧٦٣.

«الحقّ من ربّك»: هذا هو الحقّ من ربّك.[١]

«الحقّ»؛ أي: الحقّ المذكور «من ربّك». «فلاتكن». خطاب للنبيّ ﷺ لزيادة الثبات، أو لكلّ سامع.[٢]

[٦١] «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ».

«فمن حاجّك»؛ أي: جادلك ـ يا محمّد ـ في أمر عيسى من بعد ماجاءك [من] البرهان الواضح على أنّه عبدي و رسولي. أو: من حاجّك في الحقّ في قوله: «الحقّ من ربّك». «فقل تعالوا» إلى حجّة أخرى تميز الصادق من الكاذب. «ندع أبناءنا و أبناءكم». أجمع المفسّرون على أنّ المراد الحسن و الحسين عليهما السلام. قال أبوبكر الرازيّ: هذا يدلّ على أنّ ولد الابنة ابن على الحقيقة. و أمّا صغر السنّ، فهو عندنا لاينافي كمال العقل و بلوغ الحلم؛ إنّما يشترط للتكاليف الشرعيّة و الأحكام. على أنّ أولاد الأنبياء لهم ما ليس لغيرهم. «و نساءنا». اتّفقوا على أنّ المراد بها فاطمة عليها السلام. لأنّه لم يحضر المباهلة غيرها. «و أنفسنا». يعني عليّاً عليه السلام خاصّة. و لايجوز أن يكون المعنيّ به رسول الله ﷺ. لأنّه لايجوز أن يدعو الإنسان نفسه. «ثمّ نبتهل»؛ أي: نتضرّع في الدعاء. و قيل: نلتعن فنقول: لعن الله الكاذبين منّا. و لمّا دعاهم إلى المباهلة، استنظروه إلى صبيحة غد. فلمّا رجعوا إلى رحالهم، قال لهم الأسقف: انظروا محمّداً في غد. فإن جاء بولده و أهله، فاحذروا. و إن جاء بأصحابه، فباهلوه. فلمّا كان الغد، أتى بأهله و جثا على ركبتيه للمباهلة. فقال الأسقف: جثا ـ و الله ـ كما جثا الأنبياء للمباهلة. فقال الأسقف: لانباهلك ولكن نصالحك. فقبلوا الجزية. و روي أنّ الأسقف قال لهم: إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه، لأزاله. فلاتبتهلوا فتهلكوا. و قال النبيّ ﷺ: و الذي نفسي بيده، لو لاعنوني، لمسخوا قردة و خنازير و لاضطرم الوادي عليهم ناراً، و

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٣.

لماحال الحول على النصارى حتّى يهلكوا كلّهم. فلمّا رجع وفد نجران، رجع السيّد و العاقب فأسلما.[١]

و عن عائشة: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله خرج للمباهلة و عليه مرط مرجّل ـ أي منقوش ـ من شعر. فجاء الحسن عليه السلام فأدخله تحت المرط. ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله. ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ عليهما السلام. ثمّ قال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت». و في حكاية المباهلة هذه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.[٢]

و رواية عائشة هذه كالمتّفق على صحّتها بين أهل الحديث و التفسير.[٣]

و في قوله: «و أنفسنا» دلالة على أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء. لأنّه نفس النبيّ صلى الله عليه و آله.

عن الصادق عليه السلام: الابتهال أن تقدّم يديك و تبسطهما.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: الابتهال أن ترفع يديك تجاوز بهما رأسك.[٥]

«نبتهل» بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منّا و منكم. و أصل الابتهال اللّعن، ثمّ استعمل في كلّ دعاء يجتهد فيه.[٦]

الابتهال بمعنى الالتعان، فافتعلوا بمعنى تفاعلوا. و بَهَله الله بمعنى لعنه. و عليه بهلة الله؛ أي: لعنته. أو بمعنى الدعاء بالهلاك.[٧]

عن موسى بن جعفر عليهما السلام لمّا قال هارون الرشيد: كيف تكونون ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه و آله و أنتم أولاد ابنته؟ فقال بعد كلام واف: و أزيدك يا أميرالمؤمنين: «فمن حاجّك» ـ الآية. و لم يدّع أحد أنّه أدخل النبيّ صلى الله عليه و آله تحت الكساء لمباهلة النصارى إلّا عليّ بن أبي طالب و فاطمة و الحسن و الحسين. و كان تأويل آية «أبناءنا» الحسن و الحسين عليهما السلام الحديث.[٨]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٢ ـ ٧٦٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٢١٣ ـ ٢١٤.
٤ـ معاني الأخبار / ٣٧٠.
٥ـ الكافي ٢ / ٤٨١.
٦ـ الكشّاف ١ / ٣٦٨.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦١.
٨ـ عيون الأخبار ١ / ٨٤.

عن أبي مسروق عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّا نحتجّ على فضلكم فلم يقبله المخالفون منّا و يؤوّلونه بما يريدون. فقال: إذا كان ذلك، فادعهم إلى المباهلة. قلت: كيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً و صم واغتسل و أبرز أنت و هو إلى الجبّانة فشبّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه. ثمّ أنصفه و ابدأ بنفسك و قل: اللّهمّ ربّ السموات السبع و ربّ الأرضين السبع، عالم الغيب و الشهادة الرحمن الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقّاً و ادّعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً من السماء و عذاباً أليماً. [ثمّ ردّ الدعوة عليه فقل: إن كان فلان جحد حقّاً و ادّعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً من السماء أو عذاباً أليماً.] ثمّ قال لي: فإنّك لاتلبث أن ترى ذلك فيه. فو الله ماوجدت خلقاً تجيبني إليه.(١)

و قال: الساعة التي تباهل فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.(٢)

[٦٢] «إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«إنّ هذا» الذي قصّ عليك من نبأ عيسى، «لهو القصص الحقّ». و هو إمّا فصل بين اسم إنّ و خبرها و إمّا مبتدأ و القصص الحقّ خبره و الجملة خبر إنّ. «من إله». صرّح بمن المزيدة للاستغراق تأكيداً للردّ على النصارى في تثليثهم. «الحكيم»: أي: لا أحد يساويه في القدرة التامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهيّة.(٣)

[٦٣] «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ».

«عليم بالمفسدين». وعيد لهم، و وضع المظهر موضع المضمر، ليدلّ على أنّ التولّي عن الحجج و الإعراض عن التوحيد إفساد الدين.(٤)

[٦٤] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

١ـ الكافي ٢ / ٥١٣ ـ ٥١٤.
٢ـ الكافي ٢ / ٥١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٣.

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

«أهل الكتاب». يعمّ أهل الكتابين. و قيل: يريد وفد نجران أو يهود المدينة. «سواء بيننا»؛ أي: لايختلف فيها الرسل و الكتب. و تفسيرها ما بعدها. «أرباباً»: لانقول عزير ابن الله و لا المسيح ابن الله و لانطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم و التحليل. لأنّ كلّاً منهم بشر مثلنا. روي أنّها لمّا نزلت: «اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله»[1] قال عديّ بن حاتم: ماكنّا نعبدهم يا رسول الله. فقالﷺ أليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك. «فإن تولّوا» عن التوحيد، «فقولوا اشهدوا»؛ أي: لزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم، أو اعترفوا بأنّكم كافرون بما نطقت به الكتب و تطابقت عليه الرسل. انظر إلى ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الإرشاد و حسن التدرّج في الحجاج. بيّن أوّلاً أحوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يحلّ عقدتهم و يزيح شبهتهم. فلمّا رأى عنادهم و لجاجهم، دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز. ثمّ لمّا أعرضوا عنها و انقادوا بعض الانقياد، عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً أسهل و ألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى و الإنجيل و سائر الكتب. ثمّ لمّا [لم] يجد ذلك [أيضاً] عليهم و علم أنّ الآيات و النذر لاتغني عنهم، أعرض عن ذلك و قال: «فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون».[2]

[٦٥] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«لم تحاجّون». تنازعت اليهود و النصارى في إبراهيم و زعم كلّ فريق أنّه منهم. فترافعوا عند رسول اللهﷺ فنزلت. و المعني: انّ اليهوديّة و النصرانيّة حدثتا بنزول التوراة و الإنجيل على موسى و عيسىعليهما السلام. و كان إبراهيم قبل موسى بألف سنة و عيسى بألفين.

١ـ التوبة (٩) / ٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٣ ـ ١٦٤.

فكيف يكون عليهما؟ «أفلاتعقلون». فتدعون المحال؟ [١]

[٦٦] «هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

«ها أنتم». ها حرف تنبيه نبّهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها. و «أنتم» مبتدأ و «هؤلاء» خبره. و «حاججتم» جملة أخرى مبيّنة للأولى. أي: و أنتم هؤلاء الحمق. و بيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما لكم به علم ممّا وجدتموه في التوراة و الإنجيل عناداً من نعت محمّد ﷺ و نبوّته أو تدّعون وروده فيه، فلم تجادلون فيما لا علم لكم به و لا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم؟ و قيل: هؤلاء بمعنى الذين. و حاججتم صلته. و قيل: ها أنتم، أصله: أأنتم، على الاستفهام ـ للتعجّب من حماقتهم ـ فقلبت الهمزة هاء. و قرأ نافع و أبوعمرو: «هانتم» ـ حيث وقع ـ بالمدّ من غير همز، و الباقون بالمدّ و الهمز. «و الله يعلم» حقيقة ما حاججتم فيه. [٢]

«به علم». ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة. إنّما المراد [أنّكم تحاجّون فيما تدّعون] علمه، فكيف تحاجّون فيما لا علم لكم به البتّة و لا ذكر [له] في كتابكم؟ [٣]

«فيما لكم به علم»؛ أي: جادلتم في إبراهيم و لكم به علم، لوجود اسمه في التوراة و الإنجيل. فلم تحاجّون في دينه و شأنه و ليس لكم به علم؟ «و الله يعلم» شأن إبراهيم و دينه و كلّ ما ليس عليه دليل. [٤]

[٦٧] «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَ لَا نَصْرَانِيّاً وَ لٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«ماكان إبراهيم يهوديّاً». تصريح بمقتضى ما قرّره من البرهان. «حنيفاً»؛ أي: مائلاً عن العقائد الزائغة. «مسلماً»: منقاداً لله. «و ماكان من المشركين». تعريض بأنّهم مشركون

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٤.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣ / ٢١٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٧٦٩.

لإشراكهم به عزيراً و المسيح. و ردّ لادّعاء المشركين أنّهم على ملّة إبراهيم عليه السلام.[١]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب، و لا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، «ولكن كان حنيفاً مسلماً» على دين محمّد صلى الله عليه و آله.[٢]

[٦٨] «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ».

«إنّ أولى الناس بإبراهيم»؛ أي: أخصّهم به و أقربهم. من الولي و هو القرب. «للّذين اتّبعوه» من أمّته. «و الذين آمنوا»، لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة.[٣]

«و الذين آمنوا». عن الصادق عليه السلام: هم الأئمّة و أتباعهم.[٤]

[٦٩] «وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ».

«ودّت طائفة». نزلت في اليهود لمّا دعوا حذيفة و عمّاراً و معاذاً إلى اليهوديّة. و «لو» بمعنى أن. «و مايضلّون»: و مايتخطّاهم الإضلال و لايعود وباله إلّا عليهم، إذ يضاعف به عذابهم. أو: مايضلّون إلّا أمثالهم. «و مايشعرون» وزره و اختصاص ضرره بهم.[٥]

[٧٠] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ».

«بآيات الله»: بما نطقت من التوراة و الإنجيل و دلّت على نبوّة محمّد صلى الله عليه و آله. «و أنتم تشهدون» أنّها آيات الله. أو المراد بآيات الله القرآن و أنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنّه حقّ.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٤.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٧٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٤.
٤ـ الكافي ١ / ٤١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٥.

«و أنتم تشهدون» إذا خلوتم بصحّة دين الإسلام.[١]

[٧١] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«بالباطل»: بالتحريف و إبراز الباطل في صورته. أو: بالتقصير في التمييز بينهما. «و تكتمون الحقّ» نبوّة محمّد ﷺ و نعته. «تعلمون»: عالمين بما تكتمونه.[٢]

[٧٢] «وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«و قالت طائفة من أهل الكتاب». عن أبي جعفر عليه السلام: انّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة و هو يصلّي نحو بيت المقدس، أعجب ذلك اليهود. فلمّا صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، وجدت اليهود من ذلك. و كان صرف القبلة صلاة الظهر. فقالوا: صلّى محمّد الغداة و استقبل قبلتنا. فآمنوا بالّذي أنزل على محمّد وجه النهار و اكفروا آخره. يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام. «لعلّهم يرجعون» إلى قبلتنا.[٣]

«النهار»؛ أي: أظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النهار و اكفروا به آخره، لعلّهم يشكّون في دينهم ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم. و المراد بالطائفة كعب بن الأشرف و مالك بن الصيف، قالا لأصحابهما لمّا حوّلت القبلة: آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة و صلّوا إليها أوّل النهار، ثمّ صلّوا إلى الصخرة آخره، لعلّهم يقولون: هم أعلم منّا و قد رجعوا، فيرجعون. و قيل: اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أوّل النهار و يقولوا آخره: نظرنا في كتابنا و شاورنا علماءنا فلم نجد محمّداً بالنعت الذي في التوراة، لعلّ أصحابه يشكّون فيه.[٤]

[٧٣] «وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٧٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٥.

٣ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٥.

أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«و لاتؤمنوا إلّا لمن تبع»؛ أي: لاتقرّوا عن تصديق قلب إلّا لأهل دينكم. أو: لاتظهروا إيمانكم وجه النهار إلّا لمن كان على دينكم. فإنّ رجوعهم أرجى و أهمّ. «هدى الله». يهدي من يشاء إلى الايمان و يثبّته عليه.[١]

«و لاتؤمنوا». يجوز أن يكون الكلام من أوّل الآية إلى آخرها لله تعالى. و تقديره: و لاتؤمنوا ـ أيّها المؤمنون ـ إلّا لمن تبع دينكم و هو دين الإسلام. و لاتصدّقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين. فلا نبيّ بعد نبيّكم، و لا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة. و لاتصدّقوا بأن يكون لأحد حجّة عليكم عند ربّكم. لأنّ دينكم خير الأديان و أنّ الهدى هدى الله و أنّ الفضل بيد الله. فتكون الآية كلّها خطاباً للمؤمنين من الله عند تلبيس اليهود عليهم، لئلّايزلّوا. و يدلّ عليه ما قيل: إنّ اليهود قالوا: إنّا نحاجّ عند ربّنا من خالفنا في ديننا. فبيّن الله أنّهم هم المغلوبون و أنّ المؤمنين هم الغالبون. و قوله: «إنّ الفضل» قيل: يريد النبوّة. و قيل: الحجج التي أوتيها محمّدﷺ و من معه. و قيل: نعم الدين و الدنيا. و في هذه الآية دلالة على أنّ النبوّة ليست بمستحقّة، و كذلك الإمامة. «قل إنّ الهدى هدى الله». قيل: معناه: انّ الحقّ ما أمر الله به. ثمّ فسّر الهدى فقال: «أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجّوكم». فالمؤتى هو الشرع، و ما يحاجّ به هو العقل. و تقدير الكلام: إنّ الهدى ما شرع و ما عهد به في العقل.[٢]

«أن يؤتى». متعلّق بمحذوف. أي: دبّرتم ذلك و قلتم: لأن يؤتى أحد. و المعنى أنّ الحسد حملكم على ذلك. أو بلاتؤمنوا. أي: و لاتظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلّا لأشياعكم و لاتفشوه إلى المسلمين لئلّايزيد ثباتهم و لا إلى المشركين لئلّايدعوهم إلى الإسلام. و قوله: «إنّ الهدى» اعتراض يدلّ على أنّ كيدهم لايجدي بطائل. و قرأ ابن‌كثير:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٧٤ ـ ٧٧٥.

«أأن يؤتى» على الاستفهام للتقريع. [و هذه القراءة تؤيّد الوجه الأوّل.] أي: إلّا أن يؤتى أحد دبّرتم. «أو يحاجّوكم». عطف على «أن يؤتى». و الواو ضمير «أحد» لأنّـه في معنى الجمع. «قل إنّ الفضل». ردّ و إبطال لما زعموا بالحجّة الواضحة.(١)

«أو يحاجّوكم». عطف على «أن يؤتى» بمعنى: و لاتؤمنوا لغير أتباعكم أنّ المسلمين يحاجّونكم يوم القيامة بالحقّ و يغالبونكم عند الله بالحجّة. فإن قلت: إذا كان «أن يؤتى» متعلّقاً بمحذوف فما معنى «أو يحاجّوكم»؟ قلت: معناه: دبّرتم ما دبّرتم لأن يؤتى [أحد] مثل ما أوتيتم و لما يتّصل به عند كفركم به من محاجّتهم لكم عند ربّكم.(٢)

[٧٤] «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

[٧٥] «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«بقنطار»؛ أي: مال كثير. عن ابن‌عبّاس: يعني بقوله: «بقنطار يؤدّه إليك» عبدالله بن سلام. أودعه رجل ألفاً و مائتي أوقيّة من ذهب فأدّاه إليه. فمدحه الله. و يعني بالآخر فنحاص بن غارو(٣)؛ استودعه رجل من قريش [ديناراً] فخانه. و في بعض التفاسير أنّ الذي يؤدّي الأمانة في هذه الآية النصارى و الذين لايؤدّونه اليهود. «ما دمت عليه قائماً»؛ أي: إلّا أن تلازمه و تتقاضاه. و «ذلك» الاستحلال و الخيانة «بأنّهم قالوا ليس علينا» في أموال العرب التي أصبناهم سبيل لأنّهم مشركون. و قيل: لأنّهم تحوّلوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه. و ذلك أنّهم عاملوا جماعة منهم، ثمّ أسلم من له الحقّ، فامتنع من عليه الحقّ من أدائه و قالوا: إنّما عاملناكم و أنتم على ديننا. [فإذا] فارقتموه، سقط حقّكم. و ادّعوا أنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
٣ـ المصدر: عازوراء.

ذلك في كتبهم. فأكذبهم الله في ذلك. «و هم يعلمون» أنّهم يكذبون. لأنّ الله أمرهم بخلاف ما قالوا. و إنّما سمّوهم أمّيّين لعدم كونهم من أهل الكتاب، أو لكونهم من مكّة و هي أمّ القرى.[۱]

[۷۶] «بَلىٰ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقىٰ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ».

ثمّ ردّ سبحانه عليهم قولهم فقال: «بلى» [و فيه] نفي لما قبله و إثبات لما بعده. كأنّه قال: ما أمر الله بذلك و لا أراده، بل أوجب الوفاء بالعهد و [أداء] الأمانة. «من أوفى بعهده». يحتمل أن يكون الهاء في بعهده عائدة على اسم الله فيكون معناه: بعهد الله. و عهد الله أمره و نهيه إلى عباده. و يحتمل أن يكون عائدة على من و معناه: و من أوفى بعهد نفسه. «و اتّقى» الخيانة و نقض العهد، فإنّ الله يحبّه. عدل إلى ذكر المتّقين لإظهار الصفة التي يجب بها محبّة الله. و هذه صفة المؤمن لا اليهود. و روي عن النبيّ صلّى الله عليه و آله قال: كذب أعداء الله. ما من شيء كان في الجاهليّة إلّا و هو تحت قدمي إلّا الأمانة. فإنّها مؤدّاة إلى البرّ و الفاجر. [قرأ حمزة و ...] «يؤدّه». بسكون الهاء، و أبوجعفر بكسر الهاء مع الاختلاس.[۲]

[۷۷] «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

عن الصادق عليه السلام: الغموس من الكبائر. لأنّ الله يقول: «إنّ الذين يشترون» ـ الآية.[۳]

«إنّ الذين يشترون». نزلت في جماعة من أحبار اليهود كتموا ما في التوراة من أمر محمّد صلّى الله عليه و آله و كتبوا بأيديهم غيره و حلفوا أنّه من عند الله، لئلّا تفوتهم الرئاسة و ما كان لهم على أتباعهم. و قيل: نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعة. «يشترون»؛ أي: يستبدلون. «بعهد الله»؛ أي: بأمره، و ما يلزمهم الوفاء به. و قيل: معناه: انّ الذين يحصّلون

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۷۷۷.
۲ـ مجمع البيان ۲ / ۷۷۷ ـ ۷۷۸ و ۷۷۶.
۳ـ عيون الأخبار ۱ / ۲۸۷.

بنكث عهد الله و نقضه و بالأيمان الكاذبة عوضاً قليلاً، لقلّته في جنب ما يفوت من الثواب. «لا خلاق»؛ أي: لا نصيب. «و لايكلّمهم الله». أي بما يسرّهم وقت الحساب، بل بما يسوؤهم، أو لايكلّمهم أصلاً و يكون المحاسبة لهم بكلام الملائكة استهانة بهم. «و لاينظر إليهم»؛ أي: لايرحمهم. «و لايزكّيهم»؛ أي: لايطهّرهم من دنس الذنوب بل يعاقبهم. و قيل: لايسمّيهم أزكياء بذلك بل فجرة. عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم، لقي الله و هو عليه غضبان. و تلا هذه الآية.(١)

«بعهد الله»؛ أي: بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول و الوفاء بالأمانات. «و أيمانهم»؛ أي: بما حلفوا به من قولهم: و الله لنؤمننّ به و لننصرنّه.(٢)

«ثمناً قليلاً». يتقرّبون إلى الناس بأنّهم مسلمون فيأخذون منهم و يخونون و ما هم بمسلمين على الحقيقة.(٣)

«و لايكلّمهم الله». عن الصادق عليه السلام: ثلاثة لايكلّمهم الله و لاينظر إليهم يوم القيامة و لايزكّيهم و لهم عذاب أليم: الشيخ الزاني، و الديّوث، والمرأة توطئ فراش زوجها.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة «لايكلّمهم الله» ـ الآية ـ: الناطف شيبه، و الناكح نفسه، و المنكوح في دبره.(٥)

[٧٨] «وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«و إنّ منهم». قيل: نزلت في جماعة من أحبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٧٨ ـ ٧٧٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٦.
٣ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٦.
٤ـ الكافي ٥ / ٥٣٧.
٥ـ الخصال / ١٠٦.

من نعت النبيّ ﷺ و غيره و أضافوه إلى كتاب الله. و قيل: نزلت في اليهود و النصاري؛ حرّفوا التوراة و الإنجيل و ألحقوا به ما ليس منه و أسقطوا منه الدين الحنيف. «و إنّ منهم». عطف على «و من أهل الكتاب». «يلوون ألسنتهم»؛ أي: يحرّفون الكتاب بألسنتهم. جعل تحريف الكتاب عن جهته ليّاً باللّسان. و قيل: يفسّرونه بخلاف الحقّ لتظنّوا ـ أيّها المسلمون ـ أنّه من كتاب الله و ما هو من الكتاب المنزل على موسى، ولكنّهم يخترعونه و يقولون هو من عند الله.(١)

«يلوون ألسنتهم»: يصرفونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرّف. و قرأ أهل المدينة: «يلوّون» بالتشديد. كقوله: «لوّوا رؤوسهم»(٢).(٣)

«و يقولون». هو تأكيد لقوله: «و ما هو من الكتاب» و تشنيع عليهم و بيان لأنّهم يزعمون ذلك تصريحاً لا تلويحاً. «و يقولون على الله الكذب». تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على الله و التعمّد فيه.(٤)

[٧٩] «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَ لٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ».

«و ما كان لبشر». تكذيب و ردّ على عبدة عيسى عليه السلام. روي أنّ أبارافع القرظيّ و السيّد النجرانيّ قالا: يا محمّد، أ تريد أن نعبدك و نتّخذك إلهاً؟ فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله و أن نأمر بغير عبادة الله. فما بذلك بعثني و لا بذلك أمرني. فنزلت. و قيل: قال رجل: يا رسول الله ﷺ نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا على بعض. أفلانسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله؛ ولكن أكرموا نبيّكم واعرفوا الحقّ لأهله. «ولكن كونوا»؛ أي: يقول: كونوا «ربّانيّين». والربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون؛ و هو الكامل في

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٠.
٢ـ المنافقون (٦٣) / ٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٣٧٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٧.

العلم و العمل. «تعلّمون». قرأ نافع و ابن‌كثير: «تعلمون» بمعنى عالمين. «بما كنتم تعلّمون»: بسبب كونكم معلّمين الكتاب و بسبب كونكم دارسين له. فإنّ فائدة التعليم و التعلّم معرفة الحقّ للاعتقاد و الخير للعمل.[۱]

[۸۰] «وَ لَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

«و لا يأمركم». نصبه ابن‌عامر و حمزة و عاصم و يعقوب، عطفاً على «ثمّ يقول». و تكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: «ما كان لبشر». أي: ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثمّ يأمر الناس بعبادة نفسه و يأمر باتّخاذ الملائكة و الأنبياء أرباباً. أو غير مزيدة على معنى: انّه ليس [له] أن يأمر بعبادته و لا يأمر باتّخاذ أكفائه أرباباً بل ينهى عنه و هو أدنى و أسهل أمراً من العبادة. و رفعه الباقون على الاستئناف. «أ يأمركم». إنكار. و الضمير فيه للبشر، و قيل لله. «إذ أنتم». دليل على أنّ الخطاب للمسلمين و هم المستأذنون على أن يسجدوا له عليه السلام.[۲]

[۸۱] «وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

«و اذ أخذ الله»؛ أي: و اذكر. أو عطف على «و إذ قالت الملائكة». روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الله أخذا الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا صلّى الله عليه و آله أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته و يبشّروهم به و يأمروهم بتصديقه. و قال الصادق عليه السلام: تقديره: و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيّين بتصديق نبيّنا و العمل بما جاءهم به و إنّهم خالفوهم فيما بعد و ما وفوا و حرّفوا كثيراً من شريعته. و قوله: «لما» بفتح اللّام إذا كانت ما موصولة. تقديره: للّذي آتيتكموه من

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱٦۷.

۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱٦۷.

كتاب و حكمة ثمّ جاءكم نبيّ. و قيل: يعني محمّداً صلى الله عليه وآله.[١]

عن الصادق عليه السلام في كلام طويل قال: ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء له بالإيمان به و على أن ينصروا أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «و إذ أخذ الله» إلى قوله: «رسول». يعني رسول الله صلى الله عليه وآله. «لتؤمننّ به و لتنصرنّه». يعني أميرالمؤمنين عليه السلام تخبروا أممكم بخبره و خبر وليّه من الأئمّة عليهم السلام.[٢]

«و إذ أخذ الله». قال: «لتؤمننّ» برسول الله صلى الله عليه وآله. «و لتنصرنّه». أميرالمؤمنين عليه السلام. قال: لا يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا ردّه إلى الدنيا ليقاتل بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام.[٣]

«و إذ أخذ الله». فيه وجوه: أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيّين بذلك. الثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيّين من باب الإضافة إلى الفاعل؛ كما تقول: ميثاق الله. كأنّه قيل: و إذ أخذ الله الميثاق الذي وثّقه الأنبياء على أممهم. و الثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيّين ـ و هم بنو إسرائيل ـ على حذف المضاف. و اللّام في «لما آتيتكم» لام التوطئة ـ لأنّ أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف ـ و في «لتؤمننّ» لام جواب القسم. و «ما» يحتمل أن تكون المتضمّنة لمعنى الشرط. و «لتؤمننّ» سادّ مسدّ جواب القسم و الشرط جميعاً. و أن تكون موصولة بمعنى: للّذي آتيتكموه لتؤمننّ به. و قرأ حمزة: «لما آتيتكم» بكسر اللّام. و معناه: لأجل إيتائي إيّاكم بعض الكتاب و الحكمة [ثمّ] لمجيء رسول مصدّق لما معكم، لتؤمننّ به. على أنّ «ما» مصدريّة و الفعلان معها ـ أعني آتيتكم و جاءكم ـ في معنى المصدرين، و اللّام داخلة للتعليل، على معنى: أخذ الله ميثاقهم لتؤمننّ بالرسول و لتنصرنّه لأجل أنّي آتيتكم الحكمة و أنّ الرسول الذي آمركم بالإيمان [به] و نصرته، موافق لكم غير مخالف.[٤]

قرأ نافع: «آتيناكم» على الجمع. «لما معكم»: لما آتيتكموه من الكتب. «لتؤمننّ به»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٤.
٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨١، ح ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

بالرسول «و لتنصرنّه». أو يريد: لتؤمننّ بالّذي آتيتكموه و لتنصرنّ الرسول. فعلى هذا يكون المعنى: إنّه إنّما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدّق بعضهم بعضاً و يأمر بعضهم بالإيمان ببعض و يكون النصرة بالتصديق و الحجّة و إذا كانت «ما» للجزاء فتقديره: مهما آتيتكم من كتاب، لتؤمننّ به و لتنصرنّه. فالشرط هو إيتاؤه إيّاهم الكتاب و الحكمة و مجيء الرسول. و الجزاء القسم و المقسم عليه [و] هو قوله: «لتؤمننّ به» فأغنى جواب القسم عن الجزاء. و قوله: «من كتاب» مِن هذه للتبيين. كأنّه لمّا قيل لهم: مهما أوتكم كتاباً أو حكمة [ثمّ] يجيئكم به رسول مصدّق لما معكم من ذلك الكتاب و الحكمة، و الله لتؤمننّ به و لتنصرنّه، فأقرّوا بذلك و أعطوا عليه مواثيقهم. و هذا أشبه بما ذكرنا من أنّ الميثاق أخذ على الأنبياء ليأخذوه على أممهم بتصديق محمّد صلى الله عليه و آله إذا بعث و يأمرهم بنصرته على أعدائه إن أدركوه. و هو المرويّ عن عليّ عليه السلام. أو يكون معنى قوله: «جاءكم»: جاء أممكم و أتباعكم، و إنّما خرج الكلام على النبيّين لأنّ ما لزمهم لزم أممهم. و من قرأ: «لما» ـ بكسر اللّام ـ فالمعنى: أخذ الله ميثاقهم لأجل ما أوتوه من الحكمة و الكتاب و لأنّهم خيار الناس، و يكون اللّام للتعليل فيقتضي أن يكون الإيتاء سابقاً لأخذ الميثاق. و قوله: «لتؤمننّ به» متعلّق بأخذ و هو في الحاصل راجع إلى معنى الشرط و الجزاء، و قوله: «و لتنصرنّه» بالبشارة للأمم. و هذه الآية من مشكلات آيات القرآن. و قد غاص النحويّون في وجوه إعرابها و تحقيقها و شقّوا الشعر في تدقيقها. و لا تراها في موضع أوجز لفظاً و أكثر فائدة و أشدّ تهذيباً ممّا ذكرته هنا. «قال أأقررتم»؛ أي: قال الله للأنبياء: أأقررتم به و صدّقتموه؟ «و أخذتم». قيل: معناه: أخذتم العهد بذلك على أممكم؟ «قالوا». أي الأنبياء و أممهم. «أقررنا» بما أمرتنا.[1]

«إصري»؛ أي: عهدي. سمّي به لأنّه يؤصر؛ أي: يشدّ. و قرئ بالضمّ؛ و هو إمّا لغة فيه أو جمع إصار، و هو ما يشدّ به. «قال فاشهدوا»؛ أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار. و قيل: الخطاب فيه للملائكة.[2]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٣ ـ ٧٨٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٨.

عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني: قال الله للملائكة: فاشهدوا.[١]

[٨٢] «فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«الفاسقون». لم يقل الكافرون، لأنّ المراد الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتب الكفر بتمرّدهم. و ذلك أنّ أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال يوبقه. و في الكفر ما هو أكبر و ما هو أصغر بالإضافة إليه.[٢]

[٨٣] «أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ».

«أ فغير». عطف جملة على جملة. قيل: أبعد تلك الآيات غير دين الله يبغون؟ «طوعاً و كرهاً»؛ أي: طائعين و كارهين. مصدران على الحال. قرأ أبوعمرو: «يبغون» بالياء و «إليه ترجعون» بتاء مضمومة. و قرأ بالياء فيهما حفص و يعقوب، و الباقون بالتاء فيهما جميعاً.[٣]

قرئ: «تبغون» و «ترجعون» بالتاء، على تقدير: و قل لهم. «طوعاً»؛ أي: طائعين بالنظر واتّباع الحجّة، و كارهين بالسيف و معاينة ما يلحق إلى الإسلام كنتق الجبل و إدراك الغرق و الإشراف على الموت.[٤]

«و له أسلم من في السموات». فيه أقوال. أحدها أنّ معناه: أسلم من في السموات و الأرض بحاله الناطقة عنه الدالّة عليه عند أخذ الميثاق عليه. عن ابن عبّاس. و ثانيها: أسلم؛ أي: أقرّ بالعبوديّة و إن كان فيهم من أشرك في العبادة. كقوله: «و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله».[٥] و معناه ما ركّب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار بالربوبيّة. و ثالثها: أسلم المؤمن طوعاً و الكافر كرهاً عند موته. كقوله: «و لم يك

١ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٧.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٨.
٥ـ لقمان (٣١) / ٢٥، و الزمر (٣٩) / ٣٨.

ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا».[١] و رابعها أنّ معناه: استسلم له بالانقياد و المذلّة. كقوله: «قولوا أسلمنا»[٢]؛ أي: استسلمنا. و خامسها أنّ معناه: أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كرهاً»؛ أي: هرباً من السيف. و قيل: الطوع لأهل السموات خاصّة. و أمّا أهل الأرض، فنهم من أسلم طوعاً و منهم من أسلم كرهاً.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال له رجل: إنّ دابّتي استصعب عليّ و أنا منها على وجل. فقال: اقرأ في أذنها اليمنى ـ أو عليها ـ: «و له أسلم» إلى: «يرجعون».[٤]

عن الصادق عليه السلام أنّه قال له أشجع السلميّ: إنّي كثير السفر و أحصل في المواضع المفزعة. فعلّمني ما آمن به على نفسي. فقال: إذا خفت أمراً، فاترك يمينك على أمّ رأسك و اقرأ برفع صوتك: «أفغير دين الله» ـ الآية. قال أشجع: فحصلت في واد يعبث فيه الجنّ فسمعت قائلاً يقول: خذوه. فقرأتها، فقال قائل: كيف نأخذه وقد احتجز بآية طيّبة؟[٥]

[٨٤] «قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

«قل آمنّا». خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله و أمر له بأن يقول عن نفسه و عن أمّته: «آمنّا بالله» ـ الآية. «مسلمون»: مستسلمون بالطاعة و الانقياد.[٦]

«و ما أوتي». فصله عمّا قبله؛ لأنّه صاحب كتاب بخلاف من قبله؛ فإنّهم متعهّدون بصحف إبراهيم. «لانفرّق» بالتصديق و التكذيب.[٧]

[٨٥] «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

١ـ الغافر (٤٠) / ٨٥.
٢ـ الحجرات (٤٩) / ١٤.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٧.
٤ـ الكافي ٢ / ٦٢٤.
٥ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٢٨٨.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٧.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٨.

الْخَاسِرِينَ».

«و من يبتغ»؛ أي: «يطلب غير الإسلام ديناً» يدين به «فلن يقبل منه» بل يعاقب عليه.[١]

«من الخاسرين» بإبطال الفطرة السليمة.[٢]

[٨٦] «كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«كيف». الاستفهام هنا للإنكار. أي لايهديهم الله. قيل: نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له الحارث، هرب و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكّة، ثمّ ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ فسألوا. فنزلت الآيات إلى قوله: «إلّا الذين تابوا». فحملها إليه رجل من قومه، فرجع إلى المدينة و تاب. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قوله: «كيف يهدي الله»؛ أي: كيف يسلك الله [بهم] سبيل الهدى بالإثابة و الثناء عليهم و قد كفروا بعد إيمانهم؟ «و شهدوا». عطف على قوله: «بعد إيمانهم». أي: بعد أن آمنوا و شهدوا. «البيّنات»: البراهين و الحجج. و قيل: القرآن. و قيل: جاءهم ما في كتابهم من البشارة بمحمّد ﷺ. «لايهدي القوم الظالمين»؛ أي: لايهديهم إلى طريق الجنّة. لأنّ المراد به الهداية المختصّة بالمؤمنين.[٣]

«الظالمين»: الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال [بالنظر].[٤] أي: لايلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أنّ اللّطف لاينفعهم.[٥]

[٨٧] «أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٨٨ ـ ٧٨٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٨٢.

«لعنة الله»؛ أي: إبعاده إيّاهم من مغفرته و رحمته.(١)

«و الناس»؛ أي: المؤمنين، أو العموم؛ فإنّ الكافر يلعن منكر الحقّ ولكن لا يعرف الحقّ بعينه.(٢)

[٨٨] «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ».

«خالدين فيها»؛ أي: في اللعنة، أو في العقوبة، أو في النار، و إن لم يجز ذكرها.(٣)

[٨٩] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«من بعد ذلك»؛ أي: من بعد الارتداد. «و أصلحوا» ما أفسدوا. و يجوز أن لا يقدّر له مفعول بمعنى: دخلوا في الصلاح. «غفور» يقبل توبته. «رحيم» يتفضّل عليه.(٤)

[٩٠] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ».

«بعد إيمانهم» كاليهود كفروا بعيسى و الإنجيل بعد الإيمان بموسى و التوراة. «ثمّ ازدادوا كفراً» بمحمّد ﷺ و القرآن. أو: كفروا بمحمّد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه، ثمّ ازدادوا كفراً بالإصرار و العناد و الطعن فيه و الصدّ عن الإيمان و نقض العهد و الميثاق. أو لقوم ارتدّوا و لحقوا بمكّة، ثمّ ازدادوا كفراً بقولهم: نحن نتربّص بمحمّد ريب المنون، أو نرجع إليه و ننافقه بإظهار الإيمان. «لن تقبل توبتهم». لأنّهم لا يتوبون، أو لا يتوبون إلّا إذا أشفوا على الهلاك. فكنّى عن عدم توبتهم بعدم قبولها، تغليظاً في شأنهم و إبراز حالهم في صورة الآيسين من رحمة الله، أو لأنّ توبتهم لا تكون إلّا نفاقاً لارتدادهم و زيادة كفرهم. و لذلك لم يدخل الفاء فيه.(٥)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.

«لن تقبل توبتهم». لأنّها لم تقع على وجه الإخلاص. قد دلّ السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها. و عليه إجماع الأمّة.[١]

[٩١] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدىٰ بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً». لمّا كان الموت على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية، أدخل الفاء هاهنا للإشعار به. و ملء الشيء ما يملؤه. و «ذهباً» نصب على التميز.[٢]

و روي عن قتادة أنّه يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً لكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: لقد سئلت أيسر من ذلك فلم تفعل.[٣]

«ولو افتدى به». فإن قلت: كيف موقع قوله: «و لو أفتدى» ؟ قلت: هو كلام محمول على المعنى. كأنّه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية و لو افتدى بملء الأرض ذهباً. و يجوز أن يراد: [و لو افتدى] بمثله. كقوله: «و لو أنّ للّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً و مثله معه».[٤] و المثل يحذف كثيراً في كلامهم. و يجوز أن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً كان قد تصدّق به. و لو افتدى به أيضاً لم يقبل منه.[٥]

«عذاب أليم». مبالغة في التحذير. «و ما لهم من ناصرين» في دفع العذاب. و مِن مزيدة للاستغراق.[٦]

[٩٢] «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ».

«لن تنالوا»؛ أي: لن تبلغوا حقيقة البرّ الذي هو كمال الخير. أو: لن تنالوا برّ الله الذي هو

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩٢.
٤ـ الزمر (٣٩) / ٤٧.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٠.

الرحمة و الرضى و الجنّة. «حتّى تنفقوا ممّا تحبّون»؛ أي: من المال، أو ما يعمّه و غيره كبذل الجاه في معاونة الناس و البدن في طاعة الله و المهجة في سبيله. روي أنّها لمّا نزلت، جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إنّ أحبّ أموالي إليّ بَيْرَحى ـ كفيعلى، أرض بالمدينة ـ فضعها حيث أراك الله. فقال: بخّ بخّ! ذاك مال رابح ـ أي: ذو ربح ـ و إنّي أرى أن تجعلها في الأقربين. و جاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبّه فقال: هذا في سبيل الله. فحمل عليه رسول الله ﷺ أسامة، فقال زيد: إنّما أردت أن أتصدّق به! فقال ﷺ: [إنّ الله قد قبلها منك]. و ذلك يدلّ على [أنّ] إنفاق أحبّ المال على أقرب الأقارب أفضل و أنّ الآية تعمّ الإنفاق الواجب و المستحبّ. و قرئ: «بعض ما تحبّون». و هو يدلّ على أنّ من للتبعيض. و يحتمل التبيين.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يتصدّق بالسكّر. فقال: ليس شيء أحبّ إليّ منه. فأنا أحبّ أن أتصدّق بأحبّ الأشياء إليّ.(٢)

عن الصادق عليه السلام: من مضت له سنة لم يصلنا من ماله ـ قلّ أو كثر ـ لم ينظر الله إليه يوم القيامة إلّا أن يعفو الله عنه. إنّها فريضة فرضها الله على شيعتنا في كتابه؛ إذ يقول: «لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون». فنحن البرّ و التقوى.(٣)

[٩٣] «كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

ابن أبي يعفور قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل. و ذلك قبل أن تنزّل التوراة. فلمّا نزلت التوراة، لم يحرّمه و لم يأكله.(٤)

«حلّاً»؛ أي: حلالاً. و هو مصدر نعت به. و لذلك يستوي فيه الواحد و الجمع و المذكّر و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٠.
٢ـ الكافي ٤ / ٦١.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨٤.
٤ـ الكافي ٥ / ٣٠٦.

المؤنّث. «إسرائيل»؛ أي: يعقوب. «على نفسه» كلحوم الإبل و ألبانها. قيل: كان [به] عرق النسا. فنذر إن شفي، لم يأكل أحبّ الطعام إليه [و كان] ذلك أحبّه إليه. و قيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطبّاء. و احتجّ به من جوّز للنبيّ أن يجتهد. و للمانع أن يقول: ذلك بإذن من الله. فهو كتحريمه ابتداء. «من قبل أن تنزّل التوراة»؛ أي: من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرّم عليهم لظلمهم و بغيهم عقوبة و تشديداً. و ذلك ردّ على اليهود في دعوى البراءة ممّا نعى عليهم في قوله: «فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات»[١] و قوله: «و على الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر»[٢] ـ الآيتان ـ بأن قالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه. و إنّما كانت محرّمة على نوح و إبراهيم و من بعده حتّى انتهى الأمر إلينا، فحرّمت [علينا] كما حرّمت على من قبلنا. و في منع النسخ و الطعن في دعوى الرسول موافقة إبراهيم بتحليله لحوم الإبل و ألبانها.[٣]

قال: كان يعقوب يصيبه عرق النسا، فحرّم على نفسه لحم الجمل. و ذلك قبل أنّ تنزّل التوراة. فقالت اليهود: إنّ الجمل محرّم في التوراة. فقال الله: فقل: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. إنّما حرّم هذا إسرائيل على نفسه و لم يحرّمه على الناس.[٤]

[٩٤] «فَمَنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ».

«فاتلوها». أمر بأن يحاجّهم بكتابهم و يبكّتهم بما هو ناطق به من أنّ تحريم ما حرّم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما يدّعونه. فروي أنّهم لم يجسروا على إخراج التوراة و بهتوا و انقلبوا صاغرين. و في ذلك الحجّة البيّنة على صدق النبيّ صلى الله عليه و آله و على جواز النسخ الذي ينكرونه.[٥]

«فمن افترى على الله الكذب»: ابتدعه على الله بزعمه أنّه حرّم ذلك قبل نزول التوراة

١ـ النساء (٤) / ١٦٠.
٢ـ الأنعام (٦) / ١٤٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٠٧ ـ ١٠٨.
٥ـ الكشّاف ١ / ٣٨٦.

على بني إسرائيل و من قبلهم. «من بعد ذلك»؛ أي: من بعد ما ألزمهم الحجّة. «هم الظالمون» الذين لاينصفون من أنفسهم و يكابرون الحقّ بعد ما وضح.[١]

[٩٥] «قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«قل صدق الله». تعريض بتكذيبهم. أي: ثبت أنّ الله صادق فيما أنزل و أنتم الكاذبون. «ملّة إبراهيم»؛ أي: ملّة الإسلام التي هي في الأصل ملّة إبراهيم. أو: مثل ملّة إبراهيم، حتّى تتخلّصوا من اليهوديّة التي اضطرّتكم إلى التحريف و المكابرة لتسوية الأغراض الدنيويّة و ألزمتكم تحريم طيّبات أحلّها لإبراهيم و من تبعه. «المشركين». إشارة إلى وجوب اتّباعه في التوحيد الصرف لا كما يقولون عزير ابن الله و المسيح ابن الله و الاستقامة في الدين و التجنّب عن الإفراط و التفريط، و تعريض بشرك اليهود.[٢]

[٩٦] «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَ هُدىً لِلْعَالَمِينَ».

«وضع للناس»؛ أي: وضع للعبادة. و الواضع هو الله. «للّذي ببكّة». و هي لغة في مكّة. و قيل: هي موضع المسجد. و بكّة البلد من بكّه إذا زحمه، أو من بَكّه إذا دقّه، فإنّها تبكّ أعناق الجبابرة. روي أنّه ﷺ سئل عن أوّل بيت وضع للناس، فقال: المسجد الحرام، ثمّ بيت المقدس و بينهما أربعون سنة. و قيل: أوّل من بناه إبراهيم. ثمّ هدم فبناه قوم من جرهم، ثمّ العمالقة، ثمّ قريش. و قيل: هو أوّل بيت بناه آدم. فانطمس في الطوفان. ثمّ بناه إبراهيم. و قيل: كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الصراخ[٣] و يطوف به الملائكة. فلمّا أهبط [آدم] أمر بأن يحجّه و يطوف حوله. و رفع في الطوفان إلى السماء الرابعة و يطوف به ملائكة السموات. و هو لايلائم ظاهر الآية. لأنّها تدلّ على أنّه وضع لعبادة الناس. و قيل: إنّه أوّل بيت بالشرف لا بالزمان.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧١.
٣ـ المصدر: الضراح.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧١.

«وضع للناس»؛ أي: بني لهم و لم يكن قبله بيت مبنيّ. «للّذي ببكّة». كان قبل هذا البيت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء و بقي أسّه فأمر الله إبراهيم و إسماعيل ببنيان البيت على القواعد.[١]

عن الصادق عليه السلام قيل له: لم سمّيت بكّة؟ قال: لبكاء الناس حولها.[٢] و فيها عن الباقر عليه السلام: لأنّه يبكّ بها الرجال و النساء و المرأة تصلّي بين يديك و عن يمينك و عن شمالك ـ الحديث.[٣]

و عن أبي جعفر عليه السلام: لمّا أراد الله أن يخلق الأرض، أمر الرياح فضربت وجه الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته. و هو قول الله تعالى: «أوّل بيت.» ـ الآية.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مكّة جملة القرية. و بكّة جملة موضع الحجر الذي يبكّ الناس بعضهم بعضاً.[٥]

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ بكّة موضع البيت. و إنّ مكّة الحرم.[٦]

[٩٧] «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».

عن الصادق عليه السلام: الآيات مقام إبراهيم ـ حيث قام على الحجر فأثّرت فيه قدماه ـ و الحجر الأسود و منزل إسماعيل عليه السلام.[٧]

«مقام إبراهيم». عطف بيان لقوله: «آيات». جعل وحده بمنزلة آيات لظهور شأنه و قوّة دلالته على قدرة الله و نبوّة إبراهيم، من تأثير قدمه في حجر صلد. كقوله تعالى: «إنّ

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩٧.
٢ـ علل الشرائع / ٣٩٧.
٣ـ علل الشرائع / ٣٩٧.
٤ـ الكافي ٤ / ١٨٩.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨٧.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨٧.
٧ـ الكافي ٤ / ٢٢٣.

إبراهيم كان أمّة».[١] أو لأنّه مشتمل على آيات. لأنّ أثر القدم في الصخرة الصمّاء آية، و غوصه فيها إلى الكعبين آية، و إلانة بعض الصخرة دون بعض آية، و إبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية لإبراهيم، و حفظه مع كثرة أعدائه من المشركين و غيرهم ألوف سنة آية. و يجوز أن يراد: فيه آيات بيّنات؛ مقام إبراهيم، و أمن من دخله. لأنّ الاثنين نوع من الجمع و يجوز أن تذكر هاتان الآيتان و يطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات.[٢]

عن الصادق عليه السلام: «و من دخله»؛ أي: من دخل مع القائم عليه السلام و مسح على يده و دخل في عقد أصحابه، كان آمناً.[٣]

و عن الباقر عليه السلام: من دخله و هو عارف بحقّنا، خرج من ذنوبه و كفي همّ الدنيا و الآخرة.[٤]

و عن الصادق عليه السلام: إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية، ثمّ دخل الحرم، لم يسغ لأحد أن يأخذه في الحرم، ولكن لايبايع و لايطعم و لايسق و لايكلّم. فإنّه إذا فعل ذلك [به] يوشك أن يخرج فيؤخذ. و إذا جنى في الحرم، أقيم عليه الحدّ.[٥]

«و من دخله»؛ أي: الحرم. قرأ أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «حِجّ» بكسر الحاء.[٦]

«حجّ». مصدر على القراءتين. (ع)

«من استطاع». بدل من الناس مخصّص له.[٧]

عن الصادق عليه السلام: الزاد والراحلة مع صحّة البدن و أن يكون للإنسان ما يخلّفه على عياله و ما يرجع إليه من بعد حجّه.[٨]

«و من كفر»؛ أي: من جحد فرض الحجّ و لم‌يره واجباً. أو المراد به اليهود. فإنّهم قالوا: نحن مسلمون، فأمروا بالحجّ، فلم‌يحجّوا. فعلى هذا معناه: من كفر من هؤلاء اليهود، فهو

١ـ النحل (١٦) / ١٢٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
٣ـ علل الشرائع / ٨٩١.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨٨، ح ١٠٠.
٥ـ الكافي ٤ / ٢٢٦.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩٦ ـ ٧٩٩.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧١.
٨ـ الخصال / ٦٠٦.

كافر. لأنّهم قالوا لمّا أمروا بالحجّ: الحجّ غير واجب.[١]

«من كفر». قيل للكاظمﷺ: من لم يحجّ منّا، فقد كفر؟ قال: لا، ولكن من قال ليس هذا هكذا، فقد كفر.[٢]

و عن أبي عبداللهﷺ قيل له: «و من كفر فإنّ الله» أهو في الحجّ؟ قال: نعم؛ هو كفر النعم. و قال: من ترك، في خبر آخر.[٣]

[٩٨] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ اللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ».

«شهيد على ما تعملون»؛ أي: حفيظ على أعمالكم.[٤]

[٩٩] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«لم تصدّون الناس» عن الدخول في دين الإسلام بقولكم انّ صفة محمّدﷺ ليست في كتبكم.[٥]

«عوجاً». حال من الواو. أي: باغين طالبين لها اعوجاجاً، بأن تلبسوا على الناس و توهّموا أنّ فيه عوجاً عن الحقّ بمنع النسخ و تغيير صفة رسول اللهﷺ أو بأن تحرّشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم.[٦]

«عوجاً»؛ أي: تطلبون بسبيل الله عوجاً عن سمت الحقّ و هو الضلال. «شهداء». أي بتقديم البشارة بمحمّدﷺ في كتبكم. فكيف تصدّون عنه من يطلبه؟ و المراد: و أنتم عقلاء.[٧]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٧٩٩.
٢ـ الكافي ٤ / ٢٦٥.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٢.
٧ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠١.

[۱۰۰] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». نزلت في الأوس والخزرج لمّا أغرى قوم من اليهود بينهم [بذكر] حروبهم في الجاهليّة ليفتنوهم عن دينهم. و قد حذّر سبحانه المؤمنين عن قبول قولهم فقال: «يا أيّها الذين آمنوا». خطاب للأوس والخزرج و يدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللّفظ. «الذين أوتوا الكتاب»؛ أي: اليهود، في قبول قولهم و إحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهليّة.[١]

[۱۰۱] «وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

و قيل: نزل قوله: «و كيف تكفرون» في مشركي العرب.[٢]

«و كيف تكفرون». استبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله. «رسوله». يعني محمّداً صلى الله عليه وآله ترون معجزاته. فيكون خطاباً للّذين يكون النبيّ صلى الله عليه وآله بين أظهرهم. و يجوز أن يكون المراد جميع أمّته. لأنّ آثاره و علاماته من القرآن و غيره فينا قائمة باقية و ذلك بمنزلة وجوده فينا حيّاً. «و من يعتصم بالله»؛ أي: يتمسّك بآياته و كتابه و دينه. «صراط مستقيم»: طريق واضح.[٣]

[۱۰۲] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

«اتّقوا الله»: احترسوا و امتنعوا بالطاعة من عذاب الله. «حقّ تقاته». أي يطاع فلايعصى و يشكر فلايكفر و يذكر فلاينسى. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: إنّه المجاهدة في الله و أن لاتأخذه فيه لومة لائم و أن يقام له بالقسط في الخوف و الأمن. ثمّ قيل:

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٢.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٤.

إنّه على هذا منسوخ بقوله: «فاتّقوا الله ما استطعتم».[١] و هو المرويّ عن أبي جعفرعليه السلام. «و لاتموتنّ إلّا و أنتم مسلمون»؛ أي: لاتتركوا الإسلام و كونوا عليه حتّى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه.[٢]

«و أنتم مسلمون». عن أبي الحسنعليه السلام: سبحان الله! يوقع عليهم الإيمان فيسمّيهم مؤمنين، ثمّ يسألهم الإسلام؟ و الإيمان فوق الإسلام. قلت: هكذا في قراءة زيد. قال: إنّما هي في قراءة عليّعليه السلام: «مسلّمون» ـ بالتشديد ـ لرسول اللهصلى الله عليه و آله ثمّ الإمام من بعده.[٣]

[١٠٣] «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

«بحبل الله»: القرآن و الإمام، يهدي كلّ منهما الخلق إلى الآخر. «نعمة الله»: الإسلام و الائتلاف. «شفا حفرة»؛ أي: على طرف حفرة من جهنّم و لم يكن بينكم و بينها إلّا الموت. «فأنقذكم» بأن أرسل رسولاً هداكم للإيمان و دعاكم إليه فنجوتم من النار. «كذلك»؛ أي: مثل البيان الذي تلا عليكم.[٤]

[١٠٤] «وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«و لتكن منكم». من هنا للتبعيض، على قول أكثر المفسّرين. لأنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من فروض الكفايات. و من قال هما من فروض الأعيان، قال: إنّ من هنا للتبيين و لتخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس.[٥]

١ـ التغابن (٦٤) / ١٦.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٤ ـ ٨٠٥.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٣ ـ ١٩٤.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٥ ـ ٨٠٦.

٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٦.

«و لتكن منكم» ـ الآية. المراد بالمنكر القبيح، أعني الحرام. و المراد بالمعروف الذي يذكر في مقابله الفعل الحسن المشتمل على رجحان. فيختصّ بالواجب و المندوب و يخرج المباح و المكروه و إن كانا داخلين في الحسن. و يطلق المعروف على الواجب فقطّ. و قد اختلف أصحابنا في أنّ وجوبهما هل هو عينيّ أو كفائيّ. الشيخ و المحقّق و جماعة على الأوّل. و المرتضى و أبوالصلاح و طائفة على الثاني، و قد استدلّوا عليه بهذه الآية. و يخطر بالبال أنّها تدلّ على عدم وجوبهما على واحد من آحاد الأمّة. و هو كذلك. لأنّه ليس كلّ منهم مستجمعاً لشرائط الوجوب. و لاتدلّ على أنّهما يسقطان عن المستجمعين لشرائط الوجوب بقيام البعض منهم قبل ترتّب الأثر و النزاع ليس إلّا في هذا. و سقوطهما عن غير مستجمع الشرائط لايقتضي الوجوب الكفائيّ كما في الحجّ.(١)

«أمّة». عن الباقر عليه السلام: هذه الآية لآل محمّد صلى الله عليه و آله و من تابعهم، يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر.(٢)

[١٠٥] «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«و لاتكونوا». الأظهر أنّ النهي فيه مخصوص بالتفرّق في الأصول دون الفروع. لقوله صلى الله عليه و آله: اختلاف أمّتي رحمة. و لقوله صلى الله عليه و آله: من اجتهد فأصاب، فله أجران. و من أخطأ، فله أجر واحد.(٣)

لايخفى ما في هذا الكتاب من التهافت. و ذلك أنّ الاختلاف في الفروع بعد مجيء البيّنات مذموم كالاختلاف في الأصول. و أمّا المجتهدون و اختلافهم، فهو راجع إلى اختلاف الأفهام في مدارك الأحكام. نعم؛ الاجتهاد الوارد في مذهب البيضاويّ و نحوه لايحتاج إلى الدليل الشرعيّ بل إلى القياس و نحوه. أمّا هذا الحديث، فعلى تقدير تسليمه، معناه كما قال

١ـ الأربعين للبهائيّ / ١٠٠ ـ ١٠٢.

٢ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٤.

الصادق عليه السلام: اختلاف الأمّة و تحصيل العلوم شرقاً و غرباً و السعي لأجله في جميع الجهات؛ إذ لوكان الاختلاف رحمة، لكان الاجتماع عذاباً. و يأباه قوله صلى الله عليه وآله: لاتجتمع أمّتي على خطأ.

«تفرّقوا». هم اليهود والنصارى؛ تفرّقوا بالعداوة واختلفوا في الدين. «و البيّنات»؛ أي: الحجج و الكتب و بيّن لهم الطريق.[1]

«البيّنات» الموجبة للاتّفاق على كلمة واحدة؛ و هي كلمة الحقّ.[2]

[١٠٦] «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

«يوم تبيضّ وجوه». أخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب. أي: ثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته. و إنّما تبيضّ فيه الوجوه للمؤمنين ثواباً لهم على الإيمان و الطاعة، و تسودّ وجوه الكفّار عقوبة على الكفر والسيّئات. «أكفرتم»؛ أي: يقال لهم: أكفرتم؟ و اختلف فيمن عنوا به. فقيل: إنّهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق. و قيل: هم جميع الكفّار، لإعراضهم عن التوحيد المأخوذ عليهم بـ«ألست بربّكم»[3] فيقال: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق؟ و قيل: هم أهل الكتاب؛ كفروا بالنبيّ صلى الله عليه وآله بعد إيمانهم بنعته و صفته قبل مبعثه. و قيل: هم أهل البدع و الأهواء من هذه الأمّة. عن عليّ عليه السلام. و قيل: هم الخوارج. «أكفرتم». الاستفهام للتوبيخ، أو للتقرير. أي: قد كفرتم.[4]

البياض و السواد إمّا حقيقتان أو مجازان عن الفرح و السرور و الكآبة و الحزن.[5]

عن أبي ذرّ رضي الله عنه: لمّا نزلت هذه الآية: «يوم تبيضّ وجوه» ـ اهـ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يرد عليّ أمّتي يوم القيامة على خمس رايات. فراية مع عجل هذه الأمّة. فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فحرّفناه و نبذناه. و أمّا الأصغر، فظلمناه. فأقول:

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٧.

٢ـ الكشّاف ١ / ٣٩٩.

٣ـ الاعراف (٧) / ١٧٢.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٨ ـ ٨٠٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٤، و تفسير النيسابوريّ ٤ / ٣٤ ـ ٣٥.

ردّوا مسودّة وجوهكم. ثمّ ذكر الراية التي ترد مع فرعون هذه الأمّة و الراية التي مع سامريّها و أنّ جوابهم قريب من هذا الجواب و أنّهم يرجعون مسودّة الوجوه. إلى أن قال: ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليه السلام. فأقول لهم: ماذا فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فاتّبعناه. و أمّا الأصغر، فنصرناه حتّى أهريقت فيهم دماؤنا. فأقول: امضوا إلى الجنّة مبيضّة وجوهكم.(١)

«فذوقوا». أمر إهانة.(٢)

[١٠٧] «وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«رحمة الله»؛ أي: ثوابه، أو جنّته.(٣)

[١٠٨] «تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ».

«تلك آيات الله»؛ أي: الآيات التي جرى ذكرها حجج الله و بيّناته و علاماته، نقرؤها عليك و على أمّتك و نقصّها عليك بالحكمة و الصواب. و ما الله يظلم عباده بأن يحملهم من العقاب ما لايستحقّوه أو ينقصهم من الثواب عمّا استحقّوه.(٤)

[١٠٩] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

ثمّ ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال: «و لله ما في السموات و ما في الأرض» [مُلكاً و] مِلكاً و خلقاً. «و إلى الله» بعد فناء الخلق أو يوم القيامة. لأنّه لا مالك حينئذ إلّا هو.(٥)

[١١٠] «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ

١ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٠٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٤.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٠.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٠.

تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ».

«كنتم خير أمّة». قرأ الباقرعليه السلام: «[أنتم] خير أئمّة» بالألف.(١)

عن الصادق عليه السلام: نزلت هذه الآية على محمّد و في الأوصياء عليهم السلام خاصّة.(٢)

عن ابن سنان قال: قرأت على أبي عبدالله عليه السلام: «كنتم خير أمّة». فقال: خير أمّة يقتلون أميرالمؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السلام! فقال القارئ: جعلت فداك؛ كيف نزلت؟ فقال: نزلت: «أنتم خير أئمّة». ألاترى مدح الله لهم: «تأمرون بالمعروف».(٣)

«كنتم»؛ أي: أنتم خير أمّة. و إنّما قال: «كنتم» لتقدّم البشارة بهم في الكتب الماضية. و قيل: المراد: كنتم خير أمّة عند الله في اللّوح المحفوظ. و قيل: إنّ كان تامّة و «خير أمّة» نصب على الحال. أي: وجدتم و خلقتم خير أمّة. «لكان خيراً لهم». لأنّه يرفع عنهم القتل في الدنيا و العذاب في الآخرة. «منهم المؤمنون»؛ أي: المعترفون بما دلّت عليه كتبهم من نعت محمّد صلى الله عليه و آله و البشارة [به] كعبدالله بن سلام و أصحابه من اليهود و النجاشيّ و أصحابه من النصارى. «و أكثرهم الفاسقون»؛ أي: الخارجون عن طاعة الله. و إنّما وصفهم بالفسق دون الكفر الذي هو أعظم، لأنّ الغرض الإيذان بأنّهم خرجوا عمّا يوجبه كتابهم من الإقرار بالحقّ في نبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و آله. و قيل: لأنّهم في الكفّار بمنزلة الفسّاق في العصاة لخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي أشنع و أفظع.(٤)

«لكان خيراً لهم». [لأنّهم إنّما آثروا دينهم على دين الإسلام حبّاً للرئاسة و استتباع العوامّ، و لو آمنوا، لكان لهم] من الرئاسة و حظوظ الدنيا ما هو خير ممّا آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرّتين.(٥)

١ـ لم نعثر عليه في المناقب ولكن نقل عنه في البحار ٢٤ / ١٥٥، ح ١٢، و فيه: «أنتم خير أمّة».

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٥، ح ١٢٩.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١١٠.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨١١.

٥ـ الكشّاف ١ / ٤٠٠.

«و تؤمنون». إنّما أخّر قوله: «و تؤمنون بالله» مع أنّ الأولى له التقديم على الأمر و النهي، لأنّه بمنزلة التعليل لما تقدّمه. كأنّه قال: إنّكم تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر لأجل إيمانكم بالله.

[۱۱۱] «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ».

«إلّا أذًى»؛ أي: إلّا ضراراً يسيراً؛ و هو طعنهم في دينكم و إسماعكم الكلام المؤذي. «و إن يقاتلوكم يولّوكم» منهزمين. و قد وقع كما أخبر لأنّ اليهود من بني قريظة و بني النضير و قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوا النبيّ ﷺ قد انهزموا و لم ينالوا من المسلمين إلّا السبّ و الطعن.[۱]

«لاينصرون». رفع على الاستئناف و لم يجزم على العطف. لأنّ سبب التولية القتال و ليس كذلك منع النصر لأنّ سببه الكفر.[۲]

[۱۱۲] «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ بَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ».

«ضربت عليهم الذلّة»؛ أي: جعلت محيطة بهم إحاطة القبّة بمن تحتها. و قيل: معناه: فرضت عليهم الجزية و الهوان فلايكونون في موضع إلّا بالجزية و قد أدركهم الإسلام و هم يؤدّون الجزية إلى المجوس. «أينما ثقفوا»؛ أي: وجدوا، أو أخذوا و ظفر بهم. «إلّا بحبل من الله»؛ أي: بعهد من الله و عهد من الناس على وجه الذمّة و غيرها من وجوه الأمان. سمّي العهد حبلاً، لأنّه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل.[۳]

«إلّا بحبل». في محلّ النصب على الحال بتقدير: إلّا معتصمين أو متمسّكين بحبل من الله.

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۸۱۲ ـ ۸۱۳.
۲ـ مجمع البيان ۲ / ۸۱۲.
۳ـ مجمع البيان ۲ / ۸۱۳ ـ ۸۱٤.

و هو استثناء من أعمّ عامّ الأحوال. أي: ضربت عليهم الذلّة في عامّة الأحوال، إلّا في حال اعتصامهم بحبل الله و حبل الناس؛ يعني ذمّة الله و ذمّة المسلمين. أي: لا عزّ لهم قطّ إلّا هذه الواحدة و هي التجاؤهم إلى الذمّة لما قبلوا [من] الجزية. «ذلك بما عصوا»؛ أي: قتل الأنبياء و نحوه. «يعتدون» حدود الله.(١)

عن الصادق عليه السلام: الحبل من الله كتاب الله. و الحبل من الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٢)

«حبل من الله»: قبول الإسلام. و «حبل من الناس»: قبول الجزية.(٣)

«و باؤوا»؛ أي: استوجبوا غضباً من الله. «المسكنة»؛ أي: الذلّة. أو: الفقر. لأنّ اليهود أبداً يتفاقرون و إن كانوا أغنياء.(٤)

«و يقتلون الأنبياء». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: و الله ما قتلوهم بأيديهم و لا ضربوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا، فصارت [قتلاً و] اعتداء و معصية.(٥)

«إلّا بحبل». استثناء متّصل. و قيل: منقطع. لأنّ الذلّة لم ترتفع عنهم أبداً و لو بإعطاء الجزية.

[١١٣] «لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ».

«ليسوا سواء». قيل: سبب نزول الآية أنّه لمّا أسلم عبدالله بن سلام و جماعة، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمّد إلّا أشرارنا. فأنزل الله: «ليسوا سواء» ـ الآية. و قيل: إنّها نزلت في أربعين من أهل نجران و اثنين و ثلاثين من الحبشة و ثمانية من الروم، كانوا على عهد عيسى عليه السلام صدّقوا محمّداً صلى الله عليه و آله. و قوله: «ليسوا سواء» عليه وقف تامّ. و قوله: «من أهل

١ـ الكشّاف ١ / ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٦، ح ١٣١.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٤ / ٤٦.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٤.
٥ـ الكافي ٢ / ٣٧١.

الكتاب» ابتداء كلام. أي: ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواء. أي: ليس الذين آمنوا من أهل الكتاب في الدرجة كمن لم يؤمن منهم. ثمّ استأنف و بيّن افتراقهم. «أمّة»؛ أي: جماعة ثابتة على أمر الله أو قائمة بطاعة الله. «آناء اللّيل»: ساعاته. و قيل: جوف اللّيل. و قيل: وقت صلاة العتمة. لأنّ أهل الكتاب لايصلّونها. «و هم يسجدون». المراد السجود المعروف في الصلاة. فيكون معناه: و هم مع ذلك يسجدون. و قيل: معناه: يصلّون. فعبّر بالسجود عن الصلاة.(١)

[١١٤] «يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«يسارعون»؛ أي: يبادرون إلى فعل الخيرات. «من الصالحين»؛ أي: من جملتهم. و هذا نفي لقولهم: ما آمن به إلّا أشرارنا.(٢)

[١١٥] «وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ».

«فلن يكفروه»؛ أي: لن يضيع و لن ينقص ثوابه البتّة. و تعديته إلى مفعولين لتضمّنه معنى الحرمان. و قرأ حمزة و حفص و الكسائيّ: «و ما يفعلوا من خير فلن يكفروه» بالياء، و الباقون بالتاء. «بالمتّقين». أتى بالمظهر مقام المضمر للبشارة لهم و الإشعار بأنّ التقوى مبدأ الخير و حسن العمل و أنّ الفائز عند الله هو أهل التقوى.(٣)

[١١٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

خصّ الأموال و الأولاد لأنّهما أعزّ الأشياء على الخلق فإذا لم يغنيا، كان غيرهما

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٥ ـ ٨١٦. ٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٦.

بالطريق الأولى.[١]

«شيئاً»؛ أي: شيئاً من العذاب أو من الغنى. فيكون مفعولاً مطلقاً. أي: لا ينفعهم بدل الله شيئاً من النفع. فيكون «من» للبدل.

[١١٧] «مَثَلُ مَا يُـنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَـتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَ لٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَـظْلِمُونَ».

«مثل ما ينفقون»؛ أي: شبه ما يخرج الكفّار من أموالهم «في هذه الحياة الدنيا». قيل: هو ما ينفقون على الكفّار في عداوة الرسول ﷺ. و قيل: هو ما أنفقه أبوسفيان و أصحابه يوم بدر و أحد لمّا تظاهروا على النبيّ ﷺ. و قيل: هو ما أنفقه سفلة اليهود على علمائهم. و قيل: هو مثل لجميع صدقات الكفّار في الدنيا. و في الآية حذف. و تقديره: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح فيها صرّ.[٢]

«مثل ما ينفقون»؛ أي: ما ينفق الكفرة قربة إلى آلهتهم، أو مفاخرة و سمعة، أو المنافقون رئاء و خوفاً. «فيها صرّ»؛ أي: برد شديد. «ظلموا» بالكفر و المعاصي. «فأهلكته» عقوبة لهم. و المراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفّار ضربته صرّ فاستأصلته و لم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا و الآخرة. و هو من التشبيه المركّب. و لذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث. و يجوز أن يقدّر: كمثل مهلك ريح ـ على البناء للمفعول ـ و هو الحرث.[٣]

و الحرث: الزرع. «ظلموا أنفسهم» بالمعاصي. فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم. و قيل: ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة و في غير وقتها فجاءت الريح «فأهلكته» تأديباً من الله لهم في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقّه. «و ماظلمهم الله» في إهلاك زرعهم. لأنّهم استحقّوا ذلك بظلمهم.[٤]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٨.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٦.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨١٨ ـ ٨١٩.

«يظلمون»؛ أي: ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكن ظلموا أنفسهم لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها. أو: ماظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة.(١)

[١١٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الصداقة و الجوار و الرضاع. و قيل: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين و يخالطونهم.(٢)

«لاتتّخذوا بطانة»: وليجة. و هو الذي يعرّفه الرجل أسراره ثقة به. شبّه ببطانة الثوب كما شبّه بالشعار. قال ﷺ: الأنصار شعار. و الناس دثار. «من دونكم»؛ أي: من دون المسلمين. و هو متعلّق بلاتتّخذوا. «لايألونكم خبالاً»: لايقصرون لكم في الفساد. و الألو: التقصير. «ودّوا ما عنتّم»: تمنّوا عنتكم. و هو شدّة الضرر. و ما مصدريّة. «من أفواههم»؛ أي: من كلامهم. لأنّهم لايتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم. «أكبر» ممّا أظهر.(٣)

«لايألونكم». علّة للمنع عن مواصلتهم.(٤)

[١١٩] «هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَ إِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«ها أنتم»؛ أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفّار. «تحبّونهم و لايحبّونكم». بيان

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٦ ـ ١٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٠.

لخطائهم في موالاتهم. و هو خبر ثان أو خبر لأولاء. و الجملة خبر لأنتم.[۱]

قيل: أراد: انّكم تحبّونهم لأنّكم تريدون لهم الإسلام، و لايحبّونكم لأنّهم يريدون لكم الكفر و الضلال. «تؤمنون بالكتاب كلّه»؛ أي: جميع الكتب السماويّة و هم لايصدّقون بكتابكم. «من الغيظ»، لما يرون من إيلاف المؤمنين و نصرة الله إيّاكم. «قل موتوا». صيغته صيغة الأمر و المعنى الدعاء عليهم. فكأنّه قال: أماتكم الله بغيظكم. و قيل: معناه: دام لكم هذا الغيظ لما ترون من علوّ كلمة الإسلام إلى أن تموتوا.[۲]

[۱۲۰] «إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ».

«إن تمسّكم»: تصبكم أيّها المؤمنون. «حسنة»؛ أي: نعمة من اجتماع كلمة أو ظفر بالأعداء. «سيّئة» محنة بإصابة العدوّ منكم.[۳]

«و إن تصبروا» على عداوتهم «و تتّقوا» ما نهيتهم عنه من موالاتهم. أو: و إن تصبروا على تكاليف الدين و مشاقّه و تتّقوا الله في اجتنابكم محارمه، كنتم في كنف الله فلايضرّكم كيدهم. و هذا تعليم من الله و إرشاد إلى أن يستعان على كيد العدوّ بالصبر و التقوى. و قد قال الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك. «إنّ الله بما يعملون محيط»: [عالم بما يعملون] في عداوتكم فمعاقبهم عليه.[٤]

«و إن تصبروا» على أذاهم و على طاعة الله و رسوله و الجهاد في سبيله «و تتّقوا» بالامتناع من معاصيه. «كيدهم» [؛ أي:] المنافقين. «شيئاً» لا قليلاً و لاكثيراً. «محيط» عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه.[٥]

«لايضرّكم». قرأ نافع و ابن‌كثير و أبوعمرو: «لا يضِرْكم» خفيفة مكسورة الضاد، و

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۷۷.

۲ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲۱.

۳ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲۲ ـ ۸۲۳.

٤ـ الكشّاف ۱ / ٤۰۸.

٥ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲۳.

الباقون مشدّدة مضمومة الضاد و الراء. و هو على القراءة الأولى من ضاره يضيره ضيراً. و الضير و الضرّ بمعنى واحد.[۱]

[۱۲۱] «وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«و إذ غدوت»: و اذكر إذ خرجت من المدينة غدوة تهيّئ للمؤمنين مواطن القتال. فإنّه ﷺ خرج قبل الحرب ليهيّئ مواضع القتال في حرب أحد. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. «و الله سميع» لما يقوله النبيّ ﷺ «عليم» بما يضمرونه.[۲]

«مقاعد» خارج المدينة. لأنّهم رأوا الصلاح في أن يخرج إلى قتال الكفّار خارج المدينة.[۳]

«تبوّئ»؛ أي: تنزلهم منازلهم.[٤]

[۱۲۲] «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَ اللهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

«إذ همّت طائفتان»»؛ أي: قصدت و عزمت فرقتان من المسلمين. «أن تفشلا»؛ أي: تجبنا. و الطائفتان هما بنو سلمة و بنو حارثة حيّان من [الأنصار].[٥]

«إذ همّت». بدل من «إذ غدوت» أو عمل فيه معنى «سميع عليم». «طائفتان». و هما حيّان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الأوس و هما الجناحان. خرج رسول الله ﷺ في ألف ـ و قيل: في تسعمائة و خمسين ـ و المشركون في ثلاثة آلاف. فانخزل عبدالله بن أبيّ بثلث الناس و قال: يا قوم، علامَ نقتل أنفسنا و أولادنا؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاريّ فقال: أنشدكم الله في نبيّكم و أنفسكم. فقال عبدالله: لو نعلم قتالاً

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲۲.
۲ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲۳ ـ ۸۲٤.
۳ـ الكشّاف ۱ / ٤۰۸، و تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۷۸.
٤ـ الكشّاف ۱ / ٤۰۹.
٥ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲٤.

لاتّبعناكم. فهمّ الحيّان باتّباع عبدالله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله عليه السلام. و الظاهر أنّ ما صدر عنهم ماكانت إلّا همّة و حديث نفس.(١)

«و الله وليّهما»؛ أي: ناصرهما. و قال بعض المحقّقين: هذا همّ خطرة لا همّ عزيمة. لأنّه مدحهما و أخبر أنّه وليّهما. و لو كان همّ عزيمة و قصد، لكان ذمّهم أولى من مدحهم.(٢)

[١٢٣] «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«و لقد نصركم الله» أيّها المؤمنون «ببدر» بتقوية قلوبكم و بالملائكة و بإلقاء الرعب على قلوب أعدائكم و أنتم ضعفاء عن المقاومة قليلو العدّة. فإنّهم كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً و كان المشركون نحواً من ألف رجل. و بدر ما بين مكّة و المدينة. سمّي بدراً لأنّ هناك ماء لرجل يسمّى بدراً فسمّي الموضع باسم صاحبه. «فاتّقوا الله»؛ أي: فاتّقوا المعاصي، لعلّكم تقومون بشكر نعمته.(٣)

«أذلّة». عن الصادق عليه السلام: إنّما نزلت: «و أنتم قليل».(٤)

عن الصادق عليه السلام: ماكانوا أذلّة و فيهم رسول الله صلّى الله عليه و آله. و إنّما نزل: «و أنتم ضعفاء».(٥)

[١٢٤] «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ».

«اذ تقول»؛ أي: تقول يا محمّد صلّى الله عليه و آله للمؤمنين من أصحابك: «ألن يكفيكم». إخبار بأنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال لقومه: ألن يكفيكم يوم بدر أن مدّكم بثلاثة آلاف؟ عن ابن‌عبّاس و جماعة أنّ الإمداد بالملائكة كان يوم بدر و أنّه لم يقاتل الملائكة إلّا يوم بدر و كانوا في غيره من الأيّام عدّة و مدداً. ثمّ استأنف حكم يوم أحد فقال: «بلى إن تصبروا» ـ الآية. «من

١ـ الكشّاف ١ / ٤٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٨.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٦٩.
٥ـ تفسير عليّ‌بن إبراهيم ١ / ١٢٢.

فورهم»؛ أي: رجعوا اليكم بعد إنصرافهم، أمدّكم ـ الآيـة. و هـذا قـول عكـرمة. قـال: [لم] يمدّوا يوم أحد و لا بملك واحد. و على هذا لا تنافي بين الآيتين.(١)

«إذ تقول». اختلف المفسّرون في أنّ هذا القول حصل يوم بدر فـيكون العـامل فـيه «نصركم»، أو حصل يوم أحد فيكون بدلاً ثانياً من «إذ غـدوت». و الأوّل قـول أكـثر المفسّرين. لأنّ الكلام متّصل بقصّة بدر. لأنّ العدد يوم بدر أقلّ فكان الاحتياج إلى المدد أكثر. و الثاني مرويّ عن ابن‌عبّاس، لأنّ المدد يوم بدر كان بألف من الملائكة ـ لقوله في الأنفال: «إنّي ممدّكم بألف من الملائكة»(٢) ـ دون ثلاثة آلاف و خمسة آلاف. و أجيب بأنّهم أمدّوا بألف ثمّ زيد ألفان فصار ثلاثة آلاف، ثمّ زيد ألفان آخران فصار خمسة آلاف، فكأنّه قيل لهم: ألن يكفيكم ربّكم أن يمدّكم بألفين من الملائكة؟ فقالوا: بلى. ثمّ [قيل:] ألم يكفكم أن يمدّكم بثلاثة آلاف؟ فقالوا: بلى. ثمّ قيل لهم: إن تصبروا و تتّقوا، يمددكم بخمسة آلاف.(٣)

«إذ تقول». ظرف لنصركم، على أن يقول لهم ذلك [يوم بدر]. أو بدل ثان مـن «إذ غدوت» على أن يقول لهم يوم أحد. فإن قلت: كيف يصحّ أن يقول لهم يوم أحد و لم‌تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قال لهم مع اشتراط الصبر و التقوى عليهم فلم‌يصبروا و لم‌يتّقوا عن الغنائم حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ فلذلك لم‌تنزل الملائكة. و لو تمّوا ما شرط عـليهم، لنزلت.(٤)

«منزلين». قرأ ابن‌عامر بالتشديد للتكثير أو للتدريج.(٥)

[١٢٥] «بَلىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ».

«بلى». أي: بلى يكفيكم الإمداد بهم. ثمّ قال: «إن تصبروا و تتّقوا» يمددكم بأكثر من

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٨ ـ ٨٢٩.
٢ـ الأنفال (٨) / ٩.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٤ / ٦٢.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤١١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٧٩.

ذلك العدد. «و يأتوكم» المشركون. «من فورهم». مصدر من فارت القدر إذا غلت، فاستعير للسرعة. و المعنى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه «يمددكم» بالملائكة في حال إتيانهم. يريد أنّ الله يعجّل نصركم إن صبرتم و اتّقيتم. «مسوّمين». معلمين أنفسهم أو خيلهم. قيل: معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم. و عن قتادة: كانوا على خيل بلق. و عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال لأصحابه: تسوّموا. فإنّ الملائكة قد تسوّمت.(١)

«مسوّمين». قرأ ابن كثير و أبوعمرو و عاصم بكسر الواو. و قرأ الباقون بفتح الواو.(٢)

عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: «مسوّمين» قال: العمائم. اعتمّ رسول الله صلى الله عليه و آله فسدلها من بين يديه و من خلفه.(٣)

و عن أبي جعفر عليه السلام: كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر. و إنّ الملائكة الذين نصروا محمّداً صلى الله عليه و آله يوم بدر في الأرض ماصعدوا بعد و لايصعدون حتّى ينصروا صاحب هذا الأمر. و هم خمسة آلاف.(٤)

[١٢٦] «وَ مَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرىٰ لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

«و ماجعله الله». أي الإمداد بالملائكة. «إلّا بشرى»؛ أي: بشارة لكم بالنصر. «به»؛ أي: بالنصر. «إلّا من عند الله» لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، و لا من عند الملائكة، ولكن ذلك ممّا يقوى به رجاء النصر و الطمع في الرحمة و يربط على قلوب المجاهدين. «الحكيم» الذي يعطي النصر و يمنعه لما يرى من المصلحة.(٥)

[١٢٧] «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ».

١ـ الكشّاف ١ / ٤١١ ـ ٤١٢.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٢٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٦.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٧.
٥ـ الكشّاف ١ / ٤١٢.

«ليقطع». قيل: إنّ قطع طرفهم يوم بدر. فإنّه قتل فيه صناديدهم. و قيل: هو يوم أحد؛ قتل فيه ثمانية عشر رجلاً.(١)

«ليقطع». متعلّق بقوله: «نصركم الله» أو بقوله: «و ما النصر». «من الذين كفروا» ليهلك طائفة منهم بالقتل و الأسر، و هو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و أسر سبعين من رؤساء قريش. «أو يكبتهم»: أو يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة. «فينقلبوا خائبين» غير ظافرين.(٢)

[١٢٨] «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ».

عن جابر الجعفيّ قال: قرأت عند أبي جعفرعليه السلام قول الله: «ليس لك من الأمر شيء». قال: بلى و الله إنّ [له] من الأمر شيئاً و شيئاً و ليس حيث ذهبت؛ ولكنّي أخبرك أنّ الله تعالى لمّا أمر نبيّه صلى الله عليه و آله أن يظهر ولاية عليّ عليه السلام فكّر في عداوة قومه [له] و معرفته بهم و ذلك الذي فضّله الله به عليهم في جميع خصاله. فلمّا فكّر صلى الله عليه و آله في عداوة قومه لعليّ عليه السلام و حسدهم له على فضائله، خاف من ذلك، فأخبره الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء إنّما الأمر فيه إلى الله يصيّر عليّاً عليه السلام وصيّه و وليّ الأمر من بعده. فهذا عنى الله.(٣)

«أو يتوب عليهم». عطف على ما قبله و «ليس لك من الأمر شيء» اعتراض. و المعنى: انّ الله مالك أمرهم، فإمّا يهلكهم، أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذّبهم إن أصرّوا على الكفر، و ليس لك من أمرهم شيء، إنّما أنت عبد مبعوث لإنذارهم و مجاهدتهم. و قيل: «أو يتوب» منصوب بإضمار أن، و أن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر. أي: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم. و قيل: أو بمعنى «إلّا أن» على معنى: ليس لك من أمرهم شيء إلّا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذّبهم فتتشفّى منهم.(٤)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤١٢.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٧.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤١٢ ـ ٤١٣.

[١٢٩] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و لله». لمّا قال: «ليس لك من الأمر شيء» عقّب ذلك بأنّ الأمر كلّه له [فقال:] «يغفر لمن يشاء و يعذّب من يشاء». قيل: إنّما أبهم الله الأمر في التعذيب و المغفرة، ليقف المكلّف بين الخوف و الرجاء. و يلتفت إلى [هذا قول الصادق عليه السلام: لو وزن رجاء] المؤمن و خوفه لاعتدلا.(١)

«لمن يشاء» بالتوبة. «و يعذّب من يشاء». لايعذّب إلّا المستوجبين.(٢)

[١٣٠] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«مضاعفة». قرأ ابن‌كثير: «مضعّفة».(٣)

«مضاعفة»؛ أي: تضاعفون به أموالكم.(٤)

«لاتأكلوا الربا» ـ الآية. نهي مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه. كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محلّه، زاد في الأجل فاستغرق بالشيء القليل مال المديون.(٥)

[١٣١] «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ».

«للكافرين» بالتحرّز عن متابعتهم و تعاطي أفعالهم. و فيه تنبيه على أنّ النار بالذات معدّة للكافرين و بالعرض للعصاة.(٦)

[١٣٢] «وَ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤١٣ ـ ٤١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ٤١٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.

[١٣٣] «وَ سَارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ».

ذهب جمهور المسلمين إلى أنّ الجنّة و النار مخلوقتان الآن. و ذهب طائفة من المعتزلة ـ و ربما حكى عن السيّد ـ إلى أنّهما سيخلقان في القيامة. و الآيات و الأخبار و الإجماع مصادمة لهذا القول، فلايعبأ به. و أمّا مكانهما، فأخبارنا دالّة على أنّ الجنّة الآن فوق السموات و سقفها العرش. و أمّا النار فهي تحت الأرضين. و عليه جمهور المسلمين.

قال شارح المقاصد: جمهور المسلمين على أنّ الجنّة و النار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي‌هاشم و القاضي عبدالجبّار و من يجري مجراهما من المعتزلة حيث زعموا أنّهما يخلقان يوم الجزاء. لنا وجهان. الأوّل: قصّة آدم و حوّاء و إسكانهما الجنّة ثمّ إخراجهما، على ما نطق به الكتاب و السنّة و انعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالف. و حملها على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى التلاعب بالدين و المراغمة لإجماع المسلمين. ثمّ لا قائل بخلق الجنّة دون النار، فثبوتها ثبوتها. الثاني: الآيات الصريحة في ذلك؛ كقوله تعالى: «عند سدرة المنتهى * عندها جنّة المأوى» و قوله: «أعدّت للمتّقين» و «أعدّت للكافرين». و حملها على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في التحقّق، خلاف الظاهر، فلايعدل إليه بدون قرينة. و لم‌يرد نصّ صريح في مكان الجنّة و النار. و الأكثرون على أنّ الجنّة فوق السموات السبع و تحت العرش تشبّثاً بقوله تعالى: «عند سدرة المنتهى * عندها جنّة المأوى» و قوله‌عليه السلام: سقف الجنّة عرش الرحمن. و النار تحت الأرضين السبع. و الحقّ تفويض ذلك إلى علم الخبير[1]. انتهى.

«و سارعوا» إلى ما يستحقّ به المغفرة كالإسلام و التوبة و الإخلاص. و قرأ نافع: «سارعوا» بلا واو. «عرضها السموات و الأرض»؛ أي: كعرضهما. و ذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنّه دون الطول. و عن ابن‌عبّاس: كسبع سموات و

١ـ شرح المقاصد ٥ / ١٠٨ ـ ١٠٩.

سبع أرضين لو وصل بعضها ببعض. «أعدّت للمتّقين»؛ أي: هيّئت لهم. و فيه دليل على أنّ الجنّة مخلوقة و أنّها خارجة عن هذا العالم.(١)

و يسأل فيقال: إذا كانت الجنّة عرضها السموات و الأرض، فأين تكون النار؟ و جوابه: انّه روي عن النبيّ صلّى الله عليه و آله لمّا سئل عن ذلك فقال: سبحان الله! إذا جاء النهار فأين اللّيل؟ و هذه معارضة فيها إسقاط المسألة على أنّ القادر على أن يذهب باللّيل حيث يشاء، قادر على أن يخلق النار حيث يشاء.(٢)

«سارعوا إلى مغفرة». عن عليّ عليه السّلام: [إلى] أداء الفرائض.(٣)

«و الأرض». عن الصادق عليه السّلام قال: إذا وضعوهما كذا. و بسط يديه إحداهما مع الأخرى.(٤)

[١٣٤] «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

«الذين». صفة مادحة للمتّقين. «في السرّاء»؛ أي: في الأحوال كلّها. إذ الإنسان لايخلو عن مسرّة أو مضرّة. «الكاظمين»: الكافّين عن إمضائه مع القدرة. «العافين»: التاركين عقوبة من استحقّوا مؤاخذته. «المحسنين». يحتمل الجنس و يدخل تحته هؤلاء، و العهد فتكون الإشارة إليهم.(٥)

[١٣٥] «وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«و الذين إذا فعلوا» ـ الآية. روي أنّ قوماً من المؤمنين قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه و آله

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣٦ ـ ٨٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣٦.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.

بنو إسرائيل أكرم على الله منّا. كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفّارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه: اجدع أنفك أو أذنك، أو افعل كذا. فسكت رسول الله ﷺ. فنزلت الآية فقال: ألا أخبركم بخير من ذلكم؟ و قرأ عليهم هذه الآية.[١]

«و الذين إذا فعلوا» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرخ بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية. فمن لها؟ فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بما ذا؟ قال: أعدهم و أمنّيهم حيث يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها. فوكّله بها إلى يوم الوقت المعلوم.[٢]

«فاحشة»: فعلة بالغة في الفحش كالزنى.[٣]

«فاحشة». يعني الزنى. عنه ﷺ: «أو ظلموا» بما هو أعظم من الزنى و نبش القبور و أخذ الأكفان.[٤]

«أو ظلموا أنفسهم» بأن أذنبوا أيّ ذنب كان. و قيل: الفاحشة الكبيرة. و ظلم النفس الصغيرة. و لعلّ الفاحشة ما يتعدّى و ظلم النفس ما ليس كذلك.[٥]

«ذكروا الله»؛ أي: خافوا الله فعجّلوا التوبة.[٦]

«فاستغفروا» بالندم و التوبة. «و من يغفر». استفهام بمعنى النفي، معترض بين المعطوفين. و المراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة و عموم المغفرة و الحثّ على الاستغفار و الوعد بقبول التوبة. «ذكروا الله»: تذكّروا وعيده أو حكمه أو حقّه العظيم. «و لم يصرّوا»: و لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. «و هم يعلمون». حال من «لم يصرّوا» [أي:] و لم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به.[٧]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٣٩.
٢ـ أمالي الصدوق / ٣٧٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.
٤ـ أمالي الصدوق / ٤٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.
٦ـ أمالي الصدوق / ٤٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٠.

«و لم يصرّوا». عن الباقرعليه السلام: الإصرار أن يذنب فلايستغفر الله و لايحدّث نفسه بتوبة.[١]

[١٣٦] «أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

«أولئك». خبر للّذين، إن ابتدأت به. و جملة مستأنفة مبيّنة لما قبلها، إن عطفتها على المتّقين، أو على الذين ينفقون. و لايلزم من إعداد الجنّة للمتّقين و التائبين جزاء لهم أن لايدخلها المصرّون، كما لايلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لايدخلها غيرهم. «أجر العاملين». لأنّ المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوّت على نفسه. و المخصوص بالمدح محذوف. تقديره: و نعم أجر العاملين ذلك. يعني المغفرة و الجنّات.[٢]

[١٣٧] «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

«سنن»؛ أي: وقائع سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة؛ كقوله: «و قتّلوا تقتيلاً * سنّة الله في الذين خلوا من قبل».[٣] و قيل: أمم. «فسيروا» لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم.[٤]

«كان». أي: تعرّفوا أخبار المكذّبين و ما نزل بهم لتتّعظوا بذلك و تنتهوا عن مثل ما فعلوه و لاتسلكوا في الإنكار طريقتهم فيحلّ بكم من العذاب ما أحلّ بهم. و أراد بالمكذّبين، الجاحدين للبعث و النشور و الثواب و العقاب، جازاهم الله في الدنيا بعذاب الاستئصال و في الآخرة بأليم العذاب.[٥]

[١٣٨] «هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ».

١ـ الكافي ٢ / ٢٨٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨١.
٣ـ الاحزاب (٣٣) / ٦١ ـ ٦٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨١.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤١.

«هذا». إشارة إلى قوله: «قد خلت» و مفهوم قوله: «فانظروا». أي:إنّه مع كونه بياناً للمكذّبين فهو زيادة بصيرة و موعظة للمتّقين. أو إلى ما لخّص من أمر المتّقين و التائبين. و قوله: «قد خلت» اعتراض للبعث على الإيمان و التوبة.[١]

«هذا»؛ أي: القرآن. «بيان للناس»؛ أي: حجّة و دلالة لهم كافّة. و فيه إشارة إلى ما تقدّم من قوله: « قد خلت من قبلكم سنن». أي: هذا الذي عرّفتكم بيان للناس.[٢]

[١٣٩] «وَ لَا تَهِنُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«و لاتهنوا»؛ أي: لاتضعفوا عن قتال عدوّكم. «إن كنتم». متعلّق بلاتهنوا.[٣]

«و لاتهنوا» ـ الآية. قيل: نزلت تسلية للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل و الجراح. و قيل: لمّا انهزم المسلمون في الشعب و أقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ لايعلنّ علينا. فأنزل الله هذه الآية و صعد المسلمون الجبل و رموا خيل المشركين حتّى هزموهم و علا المسلمون الجبل. فذلك قوله: «و أنتم الأعلون». و قيل: نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه بطلب القوم و قد أصابهم من الجراح ما أصابهم. و قال ﷺ: لايخرج إلّا من شهد معنا بالأمس. فاشتدّ ذلك على المسلمين. فأنزل الله هذه الآية. و دليله قوله: «و لاتهنوا في ابتغاء القوم».[٤] «الأعلون»: الغالبون عليهم في العاقبة و الأعلون في المكان. «و لاتحزنوا». قيل: من قتل الأخوان. «مؤمنين»؛ أي: [إن كنتم] مصدّقين بوعدي لكم بالنصرة و الظفر على عدوّكم، فلاتهنوا و لاتحزنوا.[٥]

[١٤٠] «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨١.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨١.
٤ـ النساء (٤) / ١٠٤.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٣.

وَ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ».

القرح بالفتح و الضمّ واحد. و قيل: هو بالفتح الجراح و بالضمّ ألمها. «قرح»؛ أي: جرح. قرأ أهل الكوفة غير حفص بضمّ القاف فيهما. «مثله» يوم أحد أو بدر. قال أنس بن مالك: أتى رسول الله ﷺ بعليّ عليه السلام يوم أحد و عليه نيّف و ستّون جراحة، فجعل رسول الله ﷺ يمسحها و هي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن.[١]

«نداولها»؛ أي: نصرفها مرّة لفرقة و مرّة عليها. «و ليعلم الله». المفعول الثاني ليعلم محذوف. أي: تلك الأيّام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح و ليعلم الله الذين آمنوا متميّزين بالإيمان من غيرهم، أو ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوّهم. أي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال. و قيل: معناه: و ليعلم أولياء الله الذين آمنوا. و إنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً. «و يتّخذ منكم»؛ أي: يكرم بالشهادة من قتل يوم أحد.[٢]

«و ليعلم الله»؛ أي: ليعلمهم علماً يتعلّق به الجزاء و هو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات.[٣]

[١٤١] «وَ لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ».

أصل التمحيص التخليص. أي: ليخلّص الذين آمنوا من الذنوب و يهلك الكافرين.[٤]

«و يمحق الكافرين»؛ أي: يهلكهم بالقتل إن كانت الدولة عليهم.[٥]

[١٤٢] «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٢ ـ ٨٤٣.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٤١٩ ـ ٤٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٢.

«أم حسبتم». أم منقطعة. و الاستفهام للإنكار. أي: أ ظننتم - أيّها المؤمنون - أنّكم تدخلون الجنّة و لمّا يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم و يصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال.[۱]

«و يعلم». نصب بإضمار أن، على أنّ الواو للجمع.[۲]

[۱٤۳] «وَ لَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

«و لقد كنتم» يا أصحاب محمّد ﷺ «تمنّون الموت». و ذلك أنّ قوماً ممّن فاتهم شهود بدر، كانوا يتمنّون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد. فلمّا رأوه يوم أحد، أعرض كثير منهم عنه، فانهزموا، فعاتبهم الله على ذلك. «تلقوه» [؛ أي:] الموت. «فقد رأيتموه»؛ أي: الموت. يعني أسبابه.[۳]

[۱٤٤] «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ».

«و ما محمّد إلّا رسول». يعني أنّه بشر قد مضت قبله رسل بعثوا فأدّوا الرسالة و ماتوا و قتل بعضهم و انّه يموت كما ماتت الرسل قبله، فليس الموت بمستحيل عليه و لا القتل. و قيل: أراد أنّ أصحاب الأنبياء لم يرتدّوا عند موتهم أو قتلهم، فاقتدوا بهم. سبب نزولها أنّه لمّا أرجف بأنّ النبيّ ﷺ قد قتل يوم أحد، قال أناس: لو كان نبيّاً لما قتل. و قال آخرون: نقاتل ما قاتل عليه حتّى نلحق به. و ارتدّ بعضهم و انهزم بعضهم. فكان سبب انهزامهم إخلال الرماة بمكانهم من الشعب. و كان رسول الله ﷺ نهاهم عن الإخلال به. و رمى ابن قميّة الحارثيّ رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته و شجّه في وجهه و أثقله، و تفرّق عنه

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۸٤٦.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۸۲.
۳ـ مجمع البيان ۲ / ۸٤٦ ـ ۸٤۷.

أصحابه، و قال: إنّي قتلت محمّداً. و صاح صائح: ألا إنّ محمّداً قد قتل. و يقال: إنّ ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله. فقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمّد قد قتل، فالحقوا بدينكم الأوّل.(١)

«و ما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل» فسيخلو كما خلوا. و كما أنّ أتباعهم بقوا متمسّكين بدينهم بعد خلوّهم، فعليكم أن تتمسّكوا بدينه بعد خلوّه. لأنّ الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة و إلزام الحجّة لا وجوده بين أظهر قومه.(٢)

«أفإن مات». إنكار لارتدادهم و انقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوّه بموت أو قتل بعد خلوّ الرسل قبله و بقاء دينهم متمسّكاً به. و قيل: الفاء للسببيّة. و الهمزة لإنكار أن يجعلوا خلوّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته. «فلن يضرّ الله» بارتداده بل يضرّ نفسه.(٣)

«أو قتل». ذكر سبحانه القتل مع أنّه لايقتل، بناء على تجويز أصحابه له.(٤)

أقول: يجوز أن يكون الترديد و الإبهام بين الموت و القتل إشارة إلى ما ورد على النبيّ صلى الله عليه و آله و كان سبباً لموته. و ذلك أنّه سقي السمّ مرّتين: أحدهما ما سقته إيّاه اليهوديّة الخيبريّة؛ و هو أنّه طلبته للضيافة و كان عندها عنزة فحشتها سمّاً، و أكل منها و أمره جبرئيل عليه السلام بالاحتجام فلن يضرّه في ذلك الوقت. و كان يخرج به جراحات بسببه. و ثانيهما: ما رواه الثقة العيّاشيّ طاب ثراه عن الصادق عليه السلام من أنّ عائشة و صاحبتها سقتاه السمّ لما سمعتاه من بلوغ الخلافة و الملك بعده إلى أبويهما فاتّفق الرجلان و ابنتاهما على قتله، ففعلا ما فعلا.(٥) و بالجملة فقد حصل عليه صلى الله عليه و آله قتل و شهادة في صورة الموت.

«الشاكرين» على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس و أحزابه ممّن بقي على الدين حين الحرب يوم أحد لمّا صاح الصائح: قتل محمّد صلى الله عليه و آله.

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٤٨ ـ ٨٤٩.

٢ـ الكشّاف ١ / ٤٢٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣.

٤ـ الكشّاف ١ / ٤٢٣.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٠.

[١٤٥] «وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ».

«بإذن الله»؛ أي: بعلم الله.(١)

«إلّا بإذن الله»؛ أي: بمشيّته، أو بإذنه لملك الموت في قبض روحه. و المعنى: انّ لكلّ نفس أجلاً مسمًّى في علمه تعالى و قضائه. «لايستأخرون ساعة و لايستقدمون» بالإحجام عن القتال و الإقدام عليه. و فيه تصريح و تشجيع على القتال و وعد للرسول ﷺ بالحفظ و تأخير الأجل. «كتاباً مؤجّلاً». مصدر؛ إذ المعنى: كتب الموت كتاباً مؤجّلاً؛ أي: موقّتاً لايتقدّم و لايتأخّر. «و من يرد ثواب الدنيا» ـ الآية. تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد. فإنّ المسلمين حملوا على المشركين و هزموهم و أخذوا ينهبون، فلمّا رأى الرماة ذلك، أقبلوا على النهب و خلّوا مكانهم؛ فانتهز المشركون و حملوا عليهم من ورائهم فهزموهم. «الآخرة نؤته منها»؛ أي: ثوابها. «الشاكرين»: الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.(٢)

«و سنجزي الشاكرين». عن أبي جعفر عليه السلام أنّه أصاب عليّاً عليه السلام يوم أحد ستّون جراحة و أنّ النبيّ ﷺ بعث أمّ سليم و أمّ عطيّة [أن] تداوياه، فقالتا: إنّا لانعالج منه مكاناً إلّا انفتق منه مكان و قد خفنا عليه. فدخل رسول الله ﷺ و المسلمون يعودونه و هو قرحة واحدة. فجعل يمسحه بيده و يقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله، فقد أبلى و أعذر. فكان القرح الذي يمسحه رسول الله يلتئم. فقال عليّ عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفرّ و لم أولّ الدبر. فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن و هو قوله: «و سيجزي الله الشاكرين»(٣) «و سنجزي الشاكرين».(٤)

[١٤٦] «وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ مَا ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكَانُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٣.

٣ـ آل عمران (٣) / ١٤٤.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٢.

المعنى على قراءة «قُتل»: كم من نبيّ قبل ذلك النبيّ و كان معه جماعة كثيرة فقاتل أصحابه بعده. «و ما وهنوا»: و ما [فتروا. و من] أسند «قتل» إلى الربّيّين دون ضمير النبيّ ﷺ فالمعني: و ما وهن باقيهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله. و إلى هذا ذهب الحسن. لأنّه كان يقول: ما قتل نبيّ قط في معركة. الربّيّون عشرة آلاف. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.[١]

«و كأيّن» أصله: أيّ، دخلت الكاف عليها و صارت بمعنى كم، و النون تنوين أثبت في الخطّ على غير قياس. و قرأ ابن‌كثير: «و كائن» ككاعن. و وجهه أنّه قلب [قلب] الكلمة الواحدة ـ كقولهم: رعملي، في لعمري ـ فصار كيّأن، ثمّ حذفت الياء الثانية للتخفيف ثمّ أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائيّ. «ربّيّون»: ربّانيّون علماء أتقياء، أو عابدون لربّهم. و قيل: جماعات. و الربّيّ منسوب إلى الربّة: و هي الجماعة للمبالغة. و قرأ ابن‌كثير و نافع و أبوعمرو: «قتل» و إسناده إلى ربّيّون أو ضمير النبيّ و «معه ربّيّون» حال عنه. «فما وهنوا»؛ أي: فتروا و لم ينكسر جدّهم لما أصابهم من قتل النبيّ أو بعضهم. «من نبيّ». من بيان لكأيّن. «و ما ضعفوا» عن العدوّ أو في الدين. «و ما استكانوا»؛ أي: ما خضعوا للعدوّ. [و أصله استكن، من السكون] و الألف من إشباع الفتحة. و هذا تعريض بما أصابهم عند الإرجاف بقتله عليه السلام.[٢] فإنّ بعضهم لمّا قيل: قتل محمّد ﷺ قال: أين ابن أبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي‌سفيان؟

«الصابرين» فينصرهم و يعظّم قدرهم.[٣]

[١٤٧] «وَ مَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

«إلّا أن قالوا»؛ أي: إلّا هذا القول؛ و هو إضافة الذنوب و الإسراف إلى أنفسهم مع

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٣.

كونهم ربّانيّين، هضماً لها و استقصاراً، و الدعاء بالاستغفار منها، مقدّماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب و النصرة على العدوّ، ليكون طلبهم إلى ربّهم عن طهارة و خضوع و أقرب إلى الاستجابة.[١]

[١٤٨] «فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

«فآتاهم الله» بسبب الاستغفار و اللّجأ إلى الله.[٢]

«ثواب الدنيا» من النصرة و الغنيمة و العزّ و طيب الذكر. و خصّ ثواب الآخرة بالحسن، دلالة على فضله و تقدّمه و أنّه هو المعتدّ به عنده.[٣]

[١٤٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ».

«يا أيّها الذين آمنوا إن تطيعوا» ـ الآية. قال عليّ عليه السلام: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم و ادخلوا في دينهم. و عن الحسن: إن تستنصحوا اليهود و النصارى و تقبلوا منهم. لأنّهم كانوا يستغوونهم و يوقعون لهم الشبه في الدين و يقولون: لو كان نبيّاً، لما غلب و لما أصابه ما أصابهم. و إنّما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له و يوماً عليه. و قيل: هو عامّ في جميع الكفّار. و إنّ على المؤمنين أن يجانبوهم و لايطيعوهم في شيء و لاينزلوا على حكمهم و لا على مشورتهم حتّى لايستجرّوهم إلى موافقتهم.[٤]

[١٥٠] «بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ».

«مولاكم»؛ أي: ناصركم لاتحتاجون معه إلى نصرة أحد و ولايته.[٥]

١ـ الكشّاف ١ / ٤٢٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤٢٥.
٥ـ الكشّاف ١ / ٤٢٥.

[١٥١] «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ».

«سنلقي في قلوب الذين» ـ الآية. قيل: قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكّة من غير سبب و لهم الغلبة و القوّة. و قيل: ذهبوا إلى مكّة. فلمّا كانوا ببعض الطريق، قالوا ما صنعنا شيئاً. قتلنا منهم، ثمّ تركناهم و نحن قاهرون. ارجعوا فاستأصلوهم. فلمّا عزموا على ذلك، ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا. «بما أشركوا»؛ أي: بسبب إشراكهم. «ما لم ينزّل به»؛ أي: آلهة لم ينزّل الله بإشراكها حجّة.[١]

«الرعب». قرأ ابن عامر و الكسائيّ بضمّ العين على الأصل.[٢]

قال ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر ليسير بين يديّ.[٣]

[١٥٢] «وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ».

«و لقد صدقكم الله وعده». وعدهم الله النصر بشرط الصبر و التقوى في قوله: «بلى إن تصبروا و تتّقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم».[٤] و يجوز أن يكون الوعد في قوله: «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب». فلمّا فشلوا و تنازعوا، لم يرعبهم. و قيل: لمّا رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصرة؟ فنزلت. و ذلك أنّ رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره و استقبل المدينة و أقام الرماة عند الجبل و أمرهم أن يثبتوا في مكانهم و لا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أم عليهم. فلمّا أقبل المشركون، جعل الرماة يرشقون خيلهم حتّى انهزموا و المسلمون على آثارهم يحسّونهم؛ أي: يقتلونهم قتلاً ذريعاً. [حتّى] إذا فشلوا ـ أي: جبنوا و ضعف رأيهم ـ و تنازعوا فقال

١ـ الكشّاف ١ / ٤٢٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٤.

٣ـ الخصال / ٢٠١.

٤ـ آل عمران (٣) / ١٢٥.

بعضهم: قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا؟ و قال بعضهم: لانخالف أمر رسول الله ﷺ. فمّن ثبت مكانه عبدالله بن جبير في نفر دون العشرة و هم المعنيّون بقوله: «و منكم من يريد الآخرة» و نفر أعقابهم ينهبون؛ و هم الذين أرادوا الدنيا. فكرّ المشركون على الرماة و قتلوا عبدالله بن جبير و قتلوا من قتلوا من أصحابه. و حالت الريح دبوراً و كانت صباً. و هو قوله: «ثمّ صرفكم عنهم».[١]

«وعده». و هو قوله ﷺ للرماة: لاتبرحوا هذا المكان. فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتّم في مكانكم.[٢]

«ما تحبّون» يوم بدر، أو في ذلك اليوم و هو أحد، لأنّ النصر كان للمسلمين قبل أن تتحوّل الرماة عن مكانهم.

«تحسّونهم»: تقتلونهم. من حسّه، إذا أبطل حسّه.[٣]

«بإذنه»: بلطفه. أو: بعلمه.[٤]

«حتّى إذا فشلتم» منعكم نصره. و يجوز أن يكون معناه: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم.[٥]

«صرفكم»؛ أي: رفع النصرة عنكم و وكلكم إلى أنفسكم بخلافكم عن النبيّ ﷺ.[٦]

«ليبتليكم»: ليمتحن صبركم على المصائب و ثباتكم على الإيمان عندها. «و لقد عفا عنكم» لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله ﷺ. «على المؤمنين»؛ أي: يتفضّل عليهم بالعفو، أو هو مفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم. لأنّ الابتلاء رحمة كما أنّ النصرة رحمة.[٧]

عن سهل الساعديّ قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أحد و كسرت رباعيته و هشمت

١ـ الكشّاف ١ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٤.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٨.

٥ـ الكشّاف ١ / ٤٢٧.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٩.

٧ـ الكشّاف ١ / ٤٢٧.

البيضة على رأسه. فكانت فاطمة عليها السلام تغسل عنه الدم و عليّ بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجنّ. فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لايزيد الدم إلّا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتّى إذا صار رماداً ألزمته الجرح فاستمسك الدم.(١)

[١٥٣] «إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

معناه: و لقد عفا عنكم «إذ تصعدون»؛ أي: تذهبون في وادي أحد للانهزام فراراً من العدوّ.(٢)

«إذ تصعدون». الإصعاد: الذهاب في الأرض و الإبعاد فيه.(٣)

«و لاتلوون»؛ أي: لايقف أحد لأحد و لاينتظره.(٤)

«و لاتلوون»؛ أي: لاتقيمون على من خلفتم في الحرب و الرسول يناديكم من ورائكم فيقول: ارجعوا إليّ عباد الله. «فأثابكم غمّاً بغمّ»؛ أي: جعل مكان ما ترجونه من الثواب أن همّكم بالهزيمة و ظفّر المشركين بغمّكم رسول الله صلى الله عليه وآله إذ عصيتموه و ضيّعتم أمره. فالغمّ الأوّل لهم، و الغمّ الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله. أو يكون معناه: غمّاً على غمّ. أو: غمّاً بعد غمّ و المراد كثرة الغمّ بما أصابهم من الشدائد. أو يكون الغمّ الأوّل القتل و الجرح، و الثاني الإرجاف بقتل محمّد صلى الله عليه وآله.(٥)

«غمّاً بغمّ». عن الباقر عليه السلام: أمّا الغمّ الأوّل، فالهزيمة و القتل. و الغمّ الآخر إشراف خالد بن الوليد عليهم. «على ما فاتكم» من الغنيمة. «أصابكم». يعني قتل إخوانهم. «من بعد الغمّ». يعني الهزيمة.(٦)

«لكيلاتحزنوا»: لتتمرّنوا على تجرّع الغموم فلاتحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع و لا

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٥٩.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦١.
٣ـ الكشّاف ١ / ٤٢٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.
٥ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦١ ـ ٨٦٢.
٦ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٢٠.

على مصيب من المضارّ. و يجوز أن يكون الضمير في أثابكم للرسول. أي: فآساكم في الاغتمام و كما غمّكم ما نزل به من كسر الرباعية و الشجّة و غيرهما، غمّه ما نزل بكم، فأثابكم غمّاً اغتمّه لأجلكم بسبب غمّ اغتممتموه لأجله و لم يثربكم على عصيانكم و مخالفتكم لأمره. و إنّما فعل ذلك ليسلّيكم و ينفّس عنكم لئلّاتحزنوا على ما فاتكم من نصر الله و لا على ما أصابكم من غلبة العدوّ.(١)

«و لا ما أصابكم». قيل: لا مزيدة. و المعنى: لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر و الغنيمة و على ما أصابكم من الجرح و الهزيمة عقوبة لكم.(٢)

[١٥٤] «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَك يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«ثمّ أنزل»؛ أي: أنزل الله الأمن على المؤمنين و أزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتّى نعسوا.(٣)

«أمنة». أنزل الله عليكم الأمن حتّى أخذكم النعاس. و عن أبي طلحة: غشينا النعاس في المصافّ حتّى كان السيف يسقط من [يد] أحدنا فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه. و الأمنة: الأمن. نصب على المفعول. و «نعاساً» بدل منها. أو هو المفعول و «أمنة» حال منه متقدّمة.(٤)

«يغشى طائفة منكم». يعني المؤمنين ألقي عليهم النوم. و كان السبب في ذلك توعّد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقعد المسلمون تحت الجحف متهيّئين للحرب، فأنزل الله

١ـ الكشّاف ١ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٤٢٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.

تعالى الأمنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفّار عليهم و يغيروا على المدينة لسوء الظنّ فطير عنهم النوم.(١)

«يغشى». أي النعاس. قرأ أهل الكوفة غير عاصم: «تغشى» بالتاء. أي: تغشى طائفة هم المؤمنون.(٢)

«تغشى» بالتاء. أي الأمنة.(٣)

«و طائفة»: المنافقون. «أهمّتهم»: أوقعتهم أنفسهم في الهموم. «و يظنّون بالله». صفة أخرى لطائفة أو حال. و «غير الحقّ» نصب على المصدر ـ أي: يظنّون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يحقّ أن يظنّ به ـ و «ظنّ الجاهليّة» بدله.(٤)

«قد أهمّتهم أنفسهم». أي لا همّ الدين و لا همّ رسول الله ﷺ.(٥)

«ظنّ الجاهليّة»؛ أي: كظنّهم و هم الكفّار المكذّبون بوعد الله و وعيده، فكان ظنّ المنافقين كظنّهم. و قيل: ظنّهم بما ذكر بعده من قوله: «يقولون هل لنا من الأمر». قالوا ذلك على سبيل التعجّب و الإنكار. أي: أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء؟ أي: ليس لنا من ذلك شيء.(٦)

قرأ أهل البصرة: «كلّه» بالرفع.(٧)

«يقولون». أي لرسول الله ﷺ. و هو بدل من يظنّون. «هل لنا»؛ أي: هل لنا ممّا أمر الله و وعد من النصر و الظفر نصيب قطّ؟ و هل يزول عنّا هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء؟ «يقولون». أي في أنفسهم و إذا خلا بعضهم إلى بعض. و هو بدل من يخفون أو استئناف على وجه البيان. «قل إنّ الأمر كلّه لله»؛ أي: الغلبة الحقيقيّة لله و أوليائه. فإنّ حزب الله هم الغالبون. أو: القضاء له؛ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد. و هو اعتراض. و «كلّه» بالرفع على

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.

٣ـ الكشّاف ١ / ٤٢٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.

٥ـ الكشّاف ١ / ٤٢٨.

٦ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٣.

٧ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٠.

الابتداء. «يخفون في أنفسهم». حال من الضمير في يقولون. أي: يقولون مظهرين أنّهم مسترشدون طالبون النصرة مبطلين الإنكار و التكذيب. «لو كان لنا من الأمر شيء» كما وعد محمّد و زعم من الأمر كلّه لله و لأوليائه.(١)

«قل لوكنتم» في منازلكم ـ أيّها المنافقون و المرتابون ـ و تخلّفتم عن القتال، لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين. أي: لو تخلّفتم عن القتال، ما تخلّف المؤمنون.(٢)

«و ليبتلي الله»؛ أي: ليمتحن ما في صدوركم و ليظهر سرائرها من الإخلاص و النفاق. و هو علّة فعل محذوف. أي: و فعل ذلك ليبتلي. أو عطف على قوله: «لكيلاتحزنوا». «لبرز»؛ أي: خرج الذين قدّر الله عليهم القتل و كتب في اللّوح المحفوظ إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة بالمدينة و لم ينج منهم أحد. فإنّه قدّر الأمور و دبّرها في سابق قضائه. «و ليمحّص»؛ أي: و ليكشفه و ليميّزه أو ليخلّصه عن الوساوس. «بذات الصدور»؛ أي: بخفيّاتها قبل إظهارها. و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء و إنّما فعل ذلك لتميز المؤمنين و إظهار حال المنافقين.(٣)

[١٥٥] «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ».

«إنّ الذين تولّوا». ذكر البلخيّ أنّه لم يبق يوم أحد مع النبيّ صلى الله عليه و آله إلّا ثلاثة عشر نفساً؛ خمسة من المهاجرين و ثمانية من الأنصار. و قد اختلف في الخمسة إلّا في عليّ عليه السلام و طلحة. و عن الصادق عليه السلام قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى جبرئيل عليه السلام بين السماء و الأرض على كرسيّ من ذهب، و هو يقول: لا سيف إلّا ذوالفقار، و لا فتى إلّا عليّ. و يروى: نّ عليّاً عليه السلام كان يقاتل ذلك اليوم حتّى أصابه سبعون جراحة. فقال جبرئيل عليه السلام: هذه [هي] المواساة

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٥.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٦.

يا محمّد. فقال: إنّه منّي و أنا منه. فقال جبرئيل: و أنا منكما.[١]

«إنّ الذين تولّوا» ـ الآية. يعني: انّ الذين انهزموا يوم أحد، إنّما كان السبب في انهزامهم أنّ الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه و اقترفوا ذنوباً لمخالفة النبيّ ﷺ بترك المركز و الحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد و قوّة القلب. و قيل: استزلال الشيطان تولّيهم. و ذلك بسبب ذنوب تقدّمت لهم. فإنّ المعاصي يجرّ بعضها بعضاً، كالطاعة. و قيل: استزلّهم بذكر ذنوب سلفت منهم و كرهوا القتل قبل إخلاص التوبة و الخروج من الظلمة. «عفا الله عنهم» لتوبتهم و اعتذارهم. «حليم» لايعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب.[٢]

[١٥٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«كالّذين كفروا»: عبدالله بن أبيّ‌سلول و أصحابه من المنافقين. «قالوا لإخوانهم» من أهل النفاق إذا سافروا في الأرض: «لو كانوا» مقيمين «عندنا ما ماتوا و ما قتلوا ليجعل الله ذلك». معناه قالوا هذا القول ليثبّتوا المؤمنين عن الجهاد، فلم‌يقبل المؤمنون ذلك و خرجوا و نالوا بالعزّ و الغنيمة فصار حسرة في قلوبهم. و اللّام للعاقبة.[٣]

«كفروا». يعني المنافقين. «لإخوانهم»: لأجلهم و فيهم. و معنى أخوّتهم اتّفاقهم في النسب أو المذهب. «لو كانوا». مفعول «قالوا». و هو يدلّ على أنّ إخوانهم لم‌يكونوا مخاطبين به. «ليجعل الله». متعلّق بقالوا، على أنّ اللّام لام العاقبة. أو: لاتكونوا مثلهم في النطق بذلك القول و الاعتقاد، ليجعله حسرة في قلوبهم خاصّة. فذلك إشارة إلى ما دلّ عليه قولهم من الاعتقاد. و قيل: إلى ما دلّ عليه النهي. أي: لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم

١ـ جوامع الجامع ١ / ٢٥٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٧.

حسرة في قلوبهم. فإنّ مخالفتهم و مضادّتهم ممّا يغمّهم. «و الله يحيي و يميت». ردّ لقولهم. أي: هو المؤثّر في الحياة و المات لا الإقامة و السفر. فإنّه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد. «بما تعملون بصير». تهديد للمؤمنين على أن يماثلوا. و قرأ حمزة و ابن‌كثير بالياء على أنّه وعيد للّذين كفروا.(١)

[١٥٧] «وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ».

«في سبيل الله»: الجهاد، «أو متّم» قاصدين مجاهدة الكفّار، استوجبتم مغفرة من الله و رحمة. و المغفرة الصفح عن الذنوب. و الرحمة الثواب و الجنّة. و هاتان خير من الأموال الدنيويّة.(٢)

«ممّا يجمعون». بالياء، حفص عن عاصم. و الباقون بالتاء.(٣)

عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قوله: «و لئن قتلتم في سبيل الله أو متّم» قال لجابر ـ و هو السائل ـ: أتدري ما سبيل الله؟ قال: لا و الله إلّا [أن] أسمعه منك؟ قال: سبيل الله عليّ عليه السلام و ذرّيّته. و سبيل الله، من قتل في ولايته، قتل في سبيل الله. و من مات في ولايته، مات في سبيل الله.(٤)

«متّم». بضمّ الميم و كسرها، من مات يموت و مات يميت. أي: و لئن تمّ عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله، فإنّه خير من الدنيا و منافعها لو لم تموتوا.(٥)

[١٥٨] «وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ».

«و لئن متّم». نافع بالكسر. «تحشرون» فيجازي كلّاً منكم على أعماله.(٦)

[١٥٩] «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٨٦.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٥.
٤ـ معاني الأخبار / ١٦٧.
٥ـ الكشّاف ١ / ٤٣١.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٨٦٥ و ٨٦٧.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

«فبما رحمة». ما زائدة بإجماع المفسّرين. بيّن سبحانه مساهلة النبيّ ﷺ إيّاهم و تجاوزه عنهم من رحمته سبحانه حيث جعله ليّن القلب حسن الخلق. و معناه: إنّ لينك لهم ممّا يوجب دخولهم في الدين. لأنّك تأتيهم مع سماحة أخلاقك بالحجج و البراهين. و لو كنت ـ يا محمّد ـ جافياً سيّئ الخلق قاسي الفؤاد غير ذي رحمة، لتفرّق أصحابك عنك. «فاعف» ما بينك و بينهم. «و استغفر» ما بينهم و بيني. و قيل: معناه: فاعف عنهم فرارهم بأحد و استغفر لهم من ذلك الذنب. «و شاورهم في الأمر»؛ أي: استخرج آراءهم و اعلم ما عندهم. و اختلفوا في مشاورته إيّاهم مع استغنائه بالوحي على أقوال. أحدها: انّ ذلك على وجه التطييب لنفوسهم و التألّف لهم و الرفع من أقدارهم ليظهر أنّهم ممّن يوثق بأقوالهم و يرجع إلى آرائهم. و ثانيها: انّ ذلك ليقتدي به أمّته في المشاورة و لا يروها نقيصة كما مدحوا بأنّ أمرهم شورى بينهم. و ثالثها: انّ ذلك ليمتحنهم بالمشاورة فيتميّز الناصح من الغاشّ. و رابعها: انّ ذلك في مكايد الحرب و أمور الدنيا و لقاء العدوّ. و في مثل ذلك يجوز أن يستعين بآرائهم. «فإذا عزمت». قرئ بضمّ التاء. أي: إذا عزمت لك و أرشدتك، فاعتمد على الله. «المتوكّلين»: الواثقين به.[1]

«فإذا عزمت»؛ أي: إذا قطعت الرأي على شيء بعد المشاورة.[2]

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

«فلا غالب لكم»؛ أي: فلا يقدر أحد على غلبتكم و إن كثر مناويكم. «وإن يخذلكم»: و إن يمنعكم معونته و يخلّ بينكم و بين أعدائكم لمعصيتكم إيّاه، فمن ينصركم من بعد خذلان

---

١ مجمع البيان ٢ / ٨٦٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤٣٢.

الله إيّاكم؟[١]

[١٦١] «وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«أن يغلّ». نافع بضمّ الياء و فتح الغين. على قراءة ضمّ الياء معناه: أن يوجد غالاًّ. فيكون معنى القراءتين واحداً.[٢] «و ماكان لنبيّ أن يَغُلّ» ـ الآية ـ أي: لايجتمع النبوّة و الخيانة. أو: ماكان له أن يكتم شيئاً من الوحي على أمّته. و على القراءة الأخرى معناه: ماكان لنبيّ أن يخوّنه أصحابه و أن يكتمونه شيئاً من المغنم. و خُصّ صلى الله عليه وآله بالذكر، و إن لايجوز أن يغلّ غيره، لعظم خيانته و أنّها أعظم من خيانة غيره. عن ابن عبّاس أنّها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم: لعلّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذها. و قيل: إنّها نزلت في غنائم أحد، حين ترك الرماة المركز طلباً للغنيمة و قالوا: نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من أخذ شيئاً فهو له، و لايقسم كما لم يقسم يوم بدر، [و] وقعوا في الغنائم. فقال صلى الله عليه وآله: ظننتم أنّا نغلّ و لانقسم لكم؟ فأنزل الله تعالى الآية. و قيل: إنّها نزلت في أداء الوحي. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ القرآن و فيه عيب دينهم و سبّ آلهتهم. فسألوه أن يطوي ذلك. «يأت بما غلّ يوم القيامة». معناه: انّه يأتي به حاملاً على ظهره. كما روي في خبر طويل: ألا لايغلّنّ أحد بعيراً فيأت به على ظهره يوم القيامة له رغاء. ألا لايغلّنّ أحد فرساً فيأتي به على ظهره له حمحمة فيقول: يا محمّد، يا محمّد صلى الله عليه وآله. فأقول: قد بلّغت. قد بلّغت. لاأملك لك من الله شيئاً. «ثمّ توفّى». أي: يعطي كلّ نفس جزاء ما عملت وافياً كاملاً. «لايظلمون»؛ أي: لاينقص أحد عن مقدار جزائه.[٣]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧٠.

٢ـ في المصدر: «و من قرأ: «يُغَلّ» فمعناه على وجهين. أحدهما: ماكان لنبيّ أن يخوّن ... و الآخر: ماكان لنبيّ أن يخان؟» و ما في المتن مأخوذ من الكشّاف ١ / ٤٣٣ و لايلائم ما يأتي بعده في تفسير الآية على قراءة نافع.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧١ ـ ٨٧٤.

[۱۶۲] «أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

«أفمن اتّبع». النزول: لمّا أمر رسول الله ﷺ بالخروج إلى أحد، قعد عنه جماعة من المنافقين و اتّبعه المؤمنون. فأنزل الله هذه الآية. و معناه: من اتّبع رضوان الله في العمل بطاعته، كمن رجع منه في العمل بمعصيته؟ أو: من اتّبع رضوان الله في ترك الغلول، كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول؟ أو: من اتّبع رضوان الله بالجهاد في سبيله، كمن باء بالسخط في الفرار منه رغبة عنه؟ و هذا الوجه يطابق سبب النزول. «مأواه جهنّم». أي: مصيره. و بئس المكان الذي صار إليه. و الآية استفهام و المراد به التقرير و الفرق بين الفريقين.(۱)

[۱۶۳] «هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ».

«هم درجات»؛ أي: ذوو درجات «عند الله». فالمؤمنون ذوو درجة رفيعة و الكافرون [ذوو] دركة خسيسة. و [في] معناه [قولان. أحدهما:] انّ المراد اختلاف مرتبتي أهل الثواب و العقاب بما لهؤلاء من النعيم و الكرامة و لأولئك من العقاب و المهانة. و عبّر عن ذلك بدرجات مجازاً و توسّعاً. و [الثاني:] انّ المراد اختلاف مراتب كلّ من الفريقين. فإنّ الجنّة درجات بعضها أعلى من بعض ـ كما جاء في الخبر أنّ أهل الجنّة ليرون أهل علّيّين كما ترى النجوم في أفق السماء ـ و النار دركات بعضها أسفل من بعض.(۲)

«هم درجات». عن الصادق عليه السلام: [الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمّة. و] هم و الله يا عمّار، درجات المؤمنين عند الله. و بموالاتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف للمؤمنين حسناتهم و يرفع لهم الدرجات العلى. و أمّا قوله: «كمن باء بسخط من الله» فهم ـ و الله ـ الذين جحدوا حقّ عليّ بن أبي طالب و حقّ الأئمّة عليهم السلام منّا أهل البيت، فباؤوا بذلك بسخط من الله.(۳)

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۸۷۴.
۲ـ مجمع البيان ۲ / ۸۷۵.
۳ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۲۰۵.

[١٦٤] «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«لقد منّ الله على المؤمنين»؛ أي: أنعم عليهم. و خصّ المؤمنين لأنّ النعمة عليهم أعظم لانتفاعهم به. و قوله: «من أنفسهم» المراد به من رهطهم يعرفون صدقه و أمانته و كونه أمّيّاً لم يكتب، ليعلموا أنّ ما يأتي به وحي منزل و يكون ذلك داعياً لهم إلى الإيمان. أو يكون المراد أنّه يتكلّم بلسانهم فيسهل عليهم تعلّم الحكمة منه، فيكون خاصّاً بالعرب. أو المراد من جنسهم لم يبعث ملكاً و لا جنّيّاً. و موضع المنّة فيه أنّه بعث فيهم من عرفوا أمره. «آياته»؛ يعني: القرآن.(١)

«يزكّيهم»: يطهّرهم من دنس الشرك. «و إن كانوا من قبل»؛ أي: قبل بعثة الرسول. و «إن» هي المخفّفة من المثقّلة. و اللّام هي الفارقة بينها و بين النافية. أي: و إنّ الشأن و الحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين.(٢)

[١٦٥] «أَ وَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«أ و لمّا أصابتكم». لمّا نصب بقلتم. و تقديره: أ قلتم حين أصابتكم. و «أنّى هذا» نصب لأنّه مقول. و الهمزة للتقرير و التقريع. فإن قلت: علام عطفت الواو و هذه الجملة؟ قلت: على ما مضى من قصّة أحد من قوله: «و لقد صدقكم الله وعده».(٣) و يجوز أن تكون معطوفة على محذوف. كأنّه قيل: أ فعلتم كذا و قلتم حينئذ كذا؟(٤)

«أ و لمّا أصابتكم» ـ الآية. و ذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد. فإنّه قد قتل منهم سبعون رجلاً و كانوا أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فإنّهم قتلوا سبعين و أسروا سبعين. «قلتم أنّى هذا»؛ أي: من أيّ وجه أصابنا هذا و نحن مسلمون و فينا رسول الله ﷺ و

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧٥ ـ ٨٧٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤٣٦.
٣ـ آل عمران (٣) / ١٥٢.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤٣٦.

ينزل علينا الوحي و هم مشركون؟ وقيل: إنّهم استنكروا ذلك لأنّه وعدهم بالنصر من الله إن أطاعوه. «من عند أنفسكم»؛ أي: ما أصابكم من الهزيمة و القتل من عند أنفسكم؛ أي: لمخالفتكم الرسولﷺ في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد. و كان دعاهمﷺ إلى أن يتحصّنوا بها فقالوا: بل نخرج نقاتلهم. أو: انّ ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر و كان الحكم فيهم القتل و شرط عليهم أنّكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدّتهم، فقالوا: رضينا؛ فإنّا نأخذ الفداء و ننتفع به و إذا قتل منّا فيما بعد كنّا شهداء. عن الباقرعليه السلام. و قيل: إنّ ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول اللهﷺ به من ملازمة مراكزهم.(١)

[١٦٦] «وَ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ».

«يوم التقى الجمعان»: يوم أحد لمّا التقى جمعكم و جمع المشركين ـ و كان قائدهم أبوسفيان ـ فهو كائن «بإذن الله»؛ أي: بتخليته. استعار [الإذن] لتخليته الكفّار و أنّه لم يمنعهم منهم ليبتليهم، لأنّ الآذن مخلّ بين المأذون له و مراده. «و ليعلم»؛ أي: ليتميّز المؤمنون و المنافقون و ليظهر إيمان هؤلاء و نفاق هؤلاء.(٢)

[١٦٧] «وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ».

«و قيل لهم». عبدالله بن أبيّ و من كان من المنافقين نحواً من ثلاثمائة رجل انخزلوا يوم أحد.(٣)

«و قيل لهم». من جملة الصلة عطف على «نافقوا». و يجوز أن يقتصر الصلة على «نافقوا» و يكون «و قيل لهم» كلاماً مبتدأً قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧٦ ـ ٨٧٧. ٢ـ الكشّاف ١ / ٤٣٧.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧٨.

يقاتل المؤمنون و بين أن يقاتلوا ـ إن لم يكن بهم غمّ الآخرة ـ دفعاً عن أنفسهم و أهليهم و أموالهم، فأبوا القتال و جحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم. و ذلك ما روي أنّ عبدالله بن أبيّ انخزل مع حلفائه، فقيل له، فقال ذلك. و قيل: «أو ادفعوا» العدوّ بتكثيركم سواد المجاهدين و إن لم يقاتلوكم. لأنّ كثرة السواد ممّا يروّع العدوّ. و وجه آخر؛ و هو أن يكون معنى قولهم: «لو نعلم قتالاً»: لو نعلم ما يصحّ أن يسمّى قتالاً لاتّبعناكم. يعنون ما أنتم فيه لخطاء رأيكم و زللكم عن الصواب، لايقال لمثله قتال، إنّما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة. لأنّ رأي عبدالله كان في الإقامة بالمدينة. «هم للكفر»؛ أي: لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان. لأنّ تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين. «يقولون بأفواههم»: لايتجاوز إيمانهم أفواههم و مخارج الحروف منهم و لاتعي قلوبهم منه شيئاً. «يومئذ». يعني أنّهم كانوا قبل ذلك اليوم يتظاهرون بالإيمان و ما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلمّا انخزلوا عن عسكر المؤمنين، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم. «بما يكتمون» من النفاق و ذمّ المؤمنين.(١)

[١٦٨] «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«الذين»: عبدالله بن أبيّ و أصحابه. «صادقين» في هذه المقالة.(٢)

[١٦٩] «وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

«و لاتحسبنّ الذين قتلوا». قيل: نزلت في شهداء بدر و كانوا أربعة عشر رجلاً. و قيل: في شهداء أحد و كانوا سبعين رجلاً. و عن الباقر عليه السلام و كثير من المفسّرين أنّها تتناول قتلى بدر و أحد معاً. و قيل: نزلت في شهداء بئر معونة؛ و هو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد يدعوهم إلى الإسلام، فلمّا وصلوا إلى ذلك

١ـ الكشّاف ١ / ٤٣٧. ٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٧٩.

البئر و دعوا أهله إلى الإسلام، خرجت عليهم طوائف نجد، فقاتلوهم حتّى قتلوا. و الخطاب في قوله: «لاتحسبنّ» للنبيّ صلى الله عليه و آله، أو على معنى: لاتحسبنّ أيّها السامع. «قتلوا». قرأ ابن‌عامر: «قتّلوا» بالتشديد. «في سبيل الله»؛ أي: الجهاد. «بل هم أحياء عند ربّهم». يعني أنّه المالك لنفعهم و ضرّهم. «يرزقون» من نعيم الجنّة غدوّاً و عشيّاً. و قيل: يرزقون النعيم في قبورهم.(١)

«عند ربّهم»: مقرّبون عنده، ذوو زلفى. «يرزقون» [مثل] ما يرزق سائر الأحياء.(٢)

عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال يوماً لأبي‌بكر: «لاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً». و أشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله مات شهيداً. و الله ليأتينّك. فأيقن إذا جاءك. فإنّ الشيطان غير متخيّل [به]. فأخذ عليّ عليه السلام بيد أبي‌بكر فأراه النبيّ صلى الله عليه و آله. فقال له: يا أبابكر، آمن بعليّ و بأحدعشر من بعده من ولده أنّهم مثلي إلّا النبوّة. و تب إلى الله ممّا في يدك. فإنّه لا حقّ لك فيه. ثمّ ذهب فلم ير.(٣)

[١٧٠] «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«بما آتاهم الله». أي من النعيم، أو من الشهادة و ثوابها. «لم يلحقوا بهم» من إخوانهم الذين فارقوهم و هم أحياء يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا. و قيل: معناه: لم يلحقوا بهم في الفضل إلّا أنّ لهم فضلاً بالإيمان. «ألّا خوف»: يستبشرون أن لا خوف عليهم. و ذلك لأنّه بدل من قوله: «الذين لم يلحقوا بهم» لأنّ الذين يلحقوا بهم مشتملون على عدم الحزن. فالاستبشار هنا إنّما يقع لعدم خوف هؤلاء اللّاحقين. و معناه: لا خوف عليهم فيمن خلّفوه من ذرّيّتهم، لأنّ الله يتولّاهم. و لا هم يحزنون على ما خلّفوا من أموالهم، لأنّ الله قد أجزل ما عوّضهم.(٤)

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٨٠ ـ ٨٨٣ و ٨٧٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤٣٩.
٣ـ الكافي ١ / ٥٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٨٣.

[۱۷۱] «يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ».

«يستبشرون». يعني الذين قتلوا في سبيل الله. «بنعمة». النعمة ما استحقّوه بطاعتهم. و الفضل ما زادهم به من المضاعفة في الأجر.[۱]

«يستبشرون». كرّر للتوكيد، و ليعلّق به ما هو بيان لقوله: «ألّا خوف». و يجوز أن يكون الأوّل بحال إخوانهم و هذا بحال أنفسهم. «و أنّ الله لايضيع». من جملة المستبشر به. عطف على «فضل». و قرأ الكسائيّ بالكسر على أنّه استئناف معترض دالّ على أنّ ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأنّ من لا إيمان له أعماله محبطة و أجوره مضيّعة.[۲]

«و أنّ الله». قرأ الكسائيّ بكسر الألف.[۳]

[۱۷۲] «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«الذين استجابوا». صفة للمؤمنين. أو نصب على المدح. أو مبتدأ خبره «للّذين أحسنوا». و المقصود من ذكر الوصفين ـ أعني الإحسان و التقوى ـ المدح و التعليل، أي بأنّ لهم أجراً عظيماً للإحسان و التقوى، لا التقييد لأنّ المستجيبين كلّهم محسنون متّقون. روي أنّ أباسفيان و أصحابه لمّا رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء، ندموا و همّوا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله صلی الله علیه و آله فندب أصحابه للخروج في طلبه و قال: لايخرج معنا إلّا من حضر يومنا بالأمس. فخرج رسول الله صلی الله علیه و آله مع جماعة حتّى بلغوا حمراء الأسد؛ و هي على ثمانية أميال من المدينة. و كان بأصحابه القرح، فتحاملوا على أنفسهم حتّى لايفوتهم الأجر. و ألقى الله الرعب في قلوب المشركين [فذهبوا]. فنزلت.[٤]

[۱۷۳] «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَ

۱ـ مجمع البيان ۲ / ۸۸٤ ـ ۸۸٥.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۹۰.
۳ـ مجمع البيان ۲ / ۸۷۹ ـ ۸۸۰.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۱۹۰.

قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ».

«الذين قال لهم الناس»؛ يعني: الركب الذي استقبلهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعيّ. و أطلق عليه الناس لأنّه من جنسهم. «إنّ الناس قد جمعوا لكم». يعني أباسفيان و أصحابه. و روي أنّه نادى عند انصرافه من أحد: يا محمّد، موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت. فقال عليه السلام: إن شاء الله. فلمّا كان القابل، خرج أبوسفيان في أهل مكّة حتّى نزل من الظهران. فأنزل الله الرعب في قلبه و بدا له أن يرجع. فمرّ به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة، فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبّتوا المسلمين. و قيل: لقي نعيم بن مسعود و قد قدم معتمراً فسأله ذلك و التزم له عشراً من الإبل. فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهّزون. فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلّا شريد. أفترون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم؟ ففتروا. فقال صلى الله عليه وآله: و الذي نفسي بيده، لأخرجنّ و لو لم يخرج معي أحد. فخرج في سبعين راكباً و هم يقولون: «حسبنا الله» ـ الآية.[1]

«الذين» ـ الآية. عن الباقر عليه السلام قال: لمّا وجّه النبيّ صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين عليه السلام و عمّار بن ياسر إلى أهل مكّة و فيها صناديد قريش، قال الأعرابيّان: بعث هذا الصبيّ؟ و لو بعث غيره! و الله الكفر أولى بنا ممّا نحن فيه. فساروا بعد أن خوّفوهما بأهل مكّة و غلّظوا عليهما بالأمر. فقال عليّ عليه السلام: «حسبنا لله» ـ الآية. و مضيا. فلمّا دخلا مكّة، أخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بقولهم لعليّ و قول عليّ عليه السلام لهم فأنزل الله قوله: «ألم تر» ـ الآية. ثمّ قال عليه السلام: إنّما نزلت: ألم تر إلى فلان و فلان لقيا عليّاً عليه السلام و عمّاراً و قالا: إنّ أباسفيان و عبدالله بن عامر و أهل مكّة قد جمعوا لكم فاخشوهم ـ الآية.[2]

«فزادهم». الضمير المستكنّ للمقول، أو لمصدر «قال» و المعنى: لم يلتفتوا إليه و لم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله و ازداد إيمانهم فأظهروا حميّة الإسلام و أخلصوا النيّة عنده. و هو دليل على أنّ الإيمان يزيد و ينقص. كما روي أنّه يزيد حتّى يدخل صاحبه الجنّة، و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٦.

ينقص حتّى يدخل صاحبه النار. و هذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان، و كذا إن لم يجعل. فإنّ اليقين يزداد بالإلف و كثرة التأمّل و تناصر الحجج. «حسبنا الله»؛ أي: محسبنا و كافينا.(١)

عن الصادق عليه السلام: عجبت لمن فزع من أربع كيف لايفزع إلى أربع. إلى أن قال: عجبت لمن خاف كيف لايفزع إلى قوله تعالى: «حسبنا الله و نعم الوكيل». فإنّي سمعت الله يقول بعقبها: «فانقلبوا بنعمة من الله و فضل» ـ الآية.(٢)

[١٧٤] «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَ اللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ».

«فانقلبوا»: فرجعوا من بدر. «بنعمة». و هو الثبات على الإيمان.(٣)

«بنعمة من الله». و هي السلامة و حذر العدوّ منهم. «و فضل». و هو الربح في التجارة. «لم يمسسهم سوء»: لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدوّ. «و اتّبعوا رضوان الله» بجرأتهم و خروجهم. «ذو فضل عظيم» قد تفضّل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا. و في ذلك تحسير لمن تخلّف عنهم و إظهار لخطاء رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء. و روي أنّهم قالوا: هل يكون هذا غزواً؟ فأعطاهم الله ثواب الغزو و رضي عنهم.(٤)

«بنعمة» ـ الآية. عن الباقر عليه السلام في حديث قال فيه: و تأهّب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله للخروج إلى بدر للقاء المشركين ـ أبي‌سفيان و أصحابه ـ بعد أن قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل. و كانت بدر موضع سوق في الجاهليّة يجتمعون إليها في كلّ عام ثمانية أيّام. فأقاموا ببدر ينتظرون أباسفيان و قد رجع خوفاً بأصحابه إلى مكّة فسمّاهم أهل مكّة جيش السويق. و لم يلق النبيّ صلى الله عليه و آله و أصحابه أحداً من المشركين ببدر و وافقوا السوق و كانت لهم

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٠.
٢ـ الخصال / ٢١٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩١.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤٤٢.

تجارات فباعوا و أصابوا الدرهم درهمين و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.[١]

[١٧٥] «إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«إنّما ذلكم الشيطان». الشيطان خبر ذلكم. يعني: إنّما ذلكم المثبّط هو الشيطان. و «يخوّف أولياءه» جملة مستأنفة بيان لشيطنته. أو الشيطان صفة لاسم الإشارة و يخوّف الخبر. و المراد بالشيطان نعيم أو أبوسفيان. و يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف. أي: إنّما ذلكم قول الشيطان؛ أي: قول إبليس لعنه الله. «يخوّف أولياءه»: يخوّفكم أولياءه الذين هم أبوسفيان و أصحابه. و قيل: يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ. فإن قلت: فإلام رجع الضمير في «فلاتخافوهم» على هذا التفسير؟ قلت: إلى الناس في قوله: «إنّ الناس قد جمعوا لكم» فلاتخافوهم فتقعدوا عن القتال و تجبنوا، و خافوني فجاهدوا مع رسولي و سارعوا إلى ما يأمركم. «مؤمنين». يعني أنّ الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس.[٢]

[١٧٦] «وَ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«يسارعون»؛ أي: يقعون فيه سريعاً و يرغبون فيه أشدّ رغبة. و هم الذين نافقوا من المتخلّفين. وقيل: هم قوم ارتدّوا عن الإسلام. فإن قلت: فما معنى قوله: «و لايحزنك»؟ و من حقّ الرسول أن يحزن لنفاق من نافق و ارتداد من ارتدّ. قلت: معناه: لايحزنك لخوف أن يضرّوك و يعينوا عليك. ألاترى إلى قوله: «إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً»؟ يعنى أنّهم لايضرّون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم. «يريد الله». بيّن كيف يعود وباله عليهم بقوله:

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٨٨.

٢ـ الكشّاف ١ / ٤٤٣.

«يريد الله». «حظّاً»؛ أي: نصيباً من الثواب. «و لهم» بدل الثواب. [«عذاب عظيم»].(١)

[١٧٧] «إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«إنّ الذين». إمّا أن يكون تكريراً لذكرهم للتأكيد و التسجيل عليهم بما أضاف إليهم، و إمّا أن يكون عامّاً للكفّار. و الأوّل خاصّاً فيمن نافق من المتخلّفين أو ارتدّ عن الإسلام، أو على العكس. و «شيئاً». نصب على المصدر. لأنّ المعنى شيئاً من الضرر و بعض الضرر.(٢)

[١٧٨] «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«و لايحسبنّ». عن يونس رفعه قال: قلت له: زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فلاناً؟ قال: نعم. قلت: فكيف زوّجه الأخرى؟ قال: قد فعل فأنزل الله: «و لايحسبنّ الذين كفروا» ـ الآية.(٣)

«و لايحسبنّ». ابن‌كثير و أبوعمرو بالياء و كسر السين، و حمزة بالتاء و فتح السين. نزلت في مشركي مكّة. و قيل: في بني‌قريظة و النضير.(٤)

«و لاتحسبنّ الذين». خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله أو لكلّ من يحسب. و «الذين» مفعول و «إنّما نملي لهم» بدل منه. و إنّما اقتصر على مفعول واحد، لأنّ التعويل على البدل. يعني أنّ المبدل منه في حكم الساقط و البدل ينوب مناب المفعولين، لأنّه جملة أنّ و معمولها. و أمّا على قراءة الياء، فالّذين فاعل و أنّ مع ما بعده مفعول. و الإملاء: الإمهال و إطالة العمر. و قيل: تخليتهم و شأنهم. من أملى لفرسه، إذا أرخى له الحبل ليرعى كيف يشاء. «إنّما». استئناف بما هو العلّة للحكم قبلها و ما كافّة. و اللّام لام الإرادة، و عند المعتزلة لام العاقبة.(٥)

١ـ الكشّاف ١ / ٤٤٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤٤٤.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٧.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٩٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩١ ـ ١٩٢.

[١٧٩] «مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لٰكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«ماكان الله» ـ الآية. قيل: إنّ المشركين قالوا لأبي‌طالب: إن كان محمّدﷺ صادقاً، فليخبرنا من يؤمن منّا و من يكفر. فإن وجدنا مخبره كما أخبر آمنّا به. فذكر ذلك للنبيّﷺ فأنزل الله هذه الآية. أي: ماكان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه ـ يا أهل الكتاب ـ من الإبهام و اشتباه المخلص بالمنافق كما كان قبل مبعث النبيّ، بل يتعبّدكم «حتّى يميز الخبيث من الطيّب». أي الكافر. و قيل: حتّى يميز المنافق من المخلص يوم أحد.[١]

«ماكان الله» ـ الآية. الخطاب لعامّة المخلصين و المنافقين في عصره. و المعنى: لايترككم مختلطين لايعرف مخلصكم من منافقكم حتّى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيّه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقّة التي لايصبر عليها و لايذعن لها إلّا المخلص منكم ـ كبذل الأموال و الأنفس في سبيل الله ـ ليختبر به بواطنكم و يستدلّ به على عقائدكم. قرأ حمزة و الكسائيّ: «يميّز».[٢]

«يميز الخبيث من الطيّب». عن الصادقؑ: لاتمضي الأيّام و اللّيالي حتّى ينادي مناد من السماء: يا أهل الحقّ اعتزلوا. يا أهل الباطل اعتزلوا. فيعزل هؤلاء عن هؤلاء و يعزل هؤلاء من هؤلاء. قال: قلت له: أصلحك الله؛ يخالط هؤلاء بعد ذلك النداء؟ قال: كلّا! إنّه يقول في الكتاب: «ماكان الله ليذر» ـ الآية.[٣]

«و ماكان الله ليطلعكم»؛ أي: ماكان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطّلع على ما في القلوب من كفر و إيمان ولكنّه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه و يخبره ببعض المغيبات كنفاق بعض و إيمان بعض، أو ينصب له ما يدلّ عليها. «فآمنوا» بصفة الإخلاص، أو بأن

١ـ مجمع البيان ٢ / ٨٩٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٢.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٧.

تعلموه وحده مطّلعاً على الغيب و تعلموا أنّ الرسل عباد مجتبين لايعلمون إلّا ما علّمهم الله و لايقولون إلّا ما أوحى إليهم. روي أنّه ﷺ قال: عرضت عليّ أمّتي و أعلمت من يؤمن بي و من يكفر. فقال المنافقون: إنّه يزعم أنّه يعرف من يؤمن به و من يكفر و نحن معه و لايعرفنا! فنزلت. «و إن تؤمنوا» حقّ الإيمان «و تتّقوا» النفاق.(١)

[١٨٠] «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

روي أنّها نزلت في مانعي الزكاة.(٢)

«و لايحسبنّ الذين». القراءات فيه ما سبق. و من قرأ بالتاء قدّر مضافاً ليتطابق مفعولاه. أي: لاتحسبنّ بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم. و كذا من قرأ بالياء، إن جعل الفاعل ضمير الرسول ﷺ أو من يحسب. و إن جعله الموصول، كان المفعول الأوّل محذوفاً لدلالة يبخلون عليه. أي: لايحسبنّ البخلاء بخلهم هو خيراً لهم. «بل هو»؛ أي: البخل «شرّ لهم» لاستجلاب العقاب عليهم. «سيطوّقون». بيان لكونه شرّاً. و المعنى: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق. و عنه ﷺ: ما من رجل لايؤدّي زكاة ماله، إلّا جعله الله شجاعاً في عنقه يوم القيامة.(٣) و الشجاع ـ: بالضمّ: ذكر الحيّات.

«و لله ميراث السموات و الأرض»؛ أي: و له ما فيهما ممّا يتوارث. فما هؤلاء يبخلون عليه بماله؟ أو: إنّه يرث منهم ما يمسكونه و لاينفقون في سبيله بهلاكهم و تبقى عليهم الحسرة و العقوبة.(٤)

«سيطوّقون ما بخلوا». عن الصادق عليه السلام أنّها نزلت في مانع الزكاة. و ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلّا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار في عنقه ينهش من لحمه حتّى

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٢.

٢ـ جوامع الجامع ١ / ٢٦٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٢.

يفرغ من الحساب. ثمّ قال: هو قول الله: «سيطوّقون ما بخلوا به». يعني من الزكاة.[١]

قرأ ابن‌كثير: «بما يعملون» بالياء.[٢]

[١٨١] «لَـقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْـتُبُ مَا قَالُوا وَ قَـتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

«لقد سمع الله قول الذين قالوا» ـ الآية. لمّا نـزلت: «مـن ذا الذي يـقرض الله قـرضاً حسناً»[٣] قالت اليهود: إنّ الله فقير و نحن أغنياء يستقرض منّا! و قائله حييّ بن أخطب. و قوله: «سمع» معناه: علم. «إنّ الله فقير» لأنّه استقرض. و قد علموا أنّ الله لا يطلب القرض و إنّما ذلك تلطّف في الاستدعاء إلى الإنفاق و إنّما قالوه تلبيساً على عوامّهم. «سنكتب مـا قالوا»: نحفظه، أو نأمر بكتابته في صحائف أعمالهم. و هو أبلغ في الزجر. «و قتلهم الأنبياء». أي: سنكتب قتل أسلافهم الأنبياء و رضا هؤلاء فنجازي كلّاً بفعله. قرأ حمزة: «سيكتب» بضمّ الياء «و قتلهم». قرأ حمزة بالرفع. «و نقول». قرأ حمزة: «و يقول» بالياء. «الحريق» النار المحرقة.[٤]

«لقد سمع الله» ـ الآية. عن الباقر عليه السلام: هم الذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج منهم إلى ما يحملون إليه.[٥]

«ما قالوا». قال: و الله ما رأوا الله فيعلمون أنّه فقير، ولكنّهم رأوا أولياء الله فقراء فقالوا: لو كان الله غنيّاً، لأغنى أولياءه. فافتخروا على الله في الغناء.[٦]

[١٨٢] «ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

«و أنّ الله ليس بظلّام». [عطف] على «ما قدّمت». و سببيّته للعذاب من حيث إنّ نفي

١ـ الكافي ٣ / ٥٠٢.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٩٦.

٣ـ البقرة (٢) / ٢٤٥.

٤ـ مجمع البيان ٢ / ٨٩٧ و ٨٩٩.

٥ـ المناقب ٢ / ٢٠٧.

٦ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٢٧.

الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن و معاقبة المسيء.[١] إلّا أنّه يفعل بالنسبة إلى من يشاء من المؤمنين ما هو أعلى و أرفع من العدل و هو التفضّل.

«ذلك بما قدّمت أيديكم»؛ أي: عملتموه. «بظلّام». إنّما ذكر لفظ ظلّام ـ و هو للتكثير ـ تأكيداً لنفي الظلم عنه.[٢]

[١٨٣] «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«الذين قالوا». محلّه جرّ ردّاً على الذين قالوا إنّ الله فقير، على تقدير: و سمع قول الذين. نزلت في جماعة من اليهود قالوا: يا محمّد، إنّ الله عهد إلينا في التوراة أن لانؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار. فإن زعمت أنّ الله بعثك إلينا، فجئنا به نصدّقك. فأنزل الله هذه الآية.[٣]

«حتّى يأتينا»؛ أي: يأتينا بهذه المعجزة الخاصّة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل؛ و هو أن يقرّب قرباناً فيقوم النبيّ فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله. و هذا من أباطيلهم. لأنّ أكل النار القربان، لم يوجب الإيمان إلّا لكونه معجزة، فهو و سائر المعجزات شرع سواء في ذلك.[٤]

«قل قد جاءكم». عن محمّد بن الأرقط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: تنزل الكوفة؟ قلت: نعم. قال: فترون قتلة الحسين بين أظهركم؟ قلت: جعلت فداك؛ ما بقي منهم أحد. قال: فإذن أنت لاترى القاتل إلّا من قتل أو من ولي القتل. ألم تسمع إلى قول الله: «قل قد جاءكم رسل من قبلي» ـ الآية؟ و كان بين القائلين و القاتلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٣.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٨٩٩.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٩٠٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٣.

برضاهم ما فعلوا.[١]

«قل قدجاءكم رسل». قال السدّيّ: إنّ هذا الشرط جاء في التوراة مع الاستثناء. قال: من جاءكم يزعم أنّه رسول الله فلاتصدّقوه حتّى يأتيكم بقربان تأكله النار إلّا المسيح و محمّد عليهما السلام. و كانت هذه العادة جارية إلى مبعث المسيح ثمّ زالت.[٢]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام [حديث طويل، و فيه قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلّى الله عليه و آله:] كانت الأمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس. فمن قبلت ذلك منه، أرسلت إليه ناراً فأكلته، فرجع مسروراً. و من لم أقبل ذلك منه، رجع مثبوراً. و قد جعلت قربان أمّتك في بطون فقرائها و مساكينها. فمن قبلت ذلك منه، رفعت عنه عقوبات الدنيا. و قد رفعت ذلك عن أمّتك. و هي من الآصار التي كانت على الأمم قبلك.[٣]

[١٨٤] «فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُ بِالْبَيِّـنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِـتَابِ الْمُـنِيرِ».

تسلية للرسول صلّى الله عليه و آله من تكذيب قومه و اليهود. و الزبر: جمع زبـور؛ و هـو الكـتاب المقصور على الحكمة. من زبرت الشيء، إذا حبسته. و الكتاب في عرف القرآن ما يتضمّن الشرائع و الأحكام. و لذلك جاء الكتاب و الحكمة متعاطفين في عامّة القرآن. و قيل: الزبر المواعظ و الزواجر. من زبرته، إذا زجرته. قرأ ابن‌عامر: «و بالزبر» بإعادة الجارّ للـدلالة على أنّها مغايرة للبيّنات بالذات.[٤]

«الزبر»: الصحف. «و الكتاب المنير»: التوراة و الإنجيل و الزبور.[٥]

[١٨٥] «كُلُّ نَـفْسٍ ذَائِـقَةُ الْمَـوْتِ وَ إِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٩.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٤ / ١٥٥.
٣ـ الاحتجاج ١ / ٥٢٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٣ ـ ١٩٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ٤٤٨.

النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَـنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ».

«كلّ نفس ذائقة الموت». وعد و وعيد للمصدّق و المكذّب.[١]

عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أباجعفرعليه السلام عن الرجعة واستخفيت ذلك. قلت: لأسألنّ مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: أخبرني عمّن قتل أ مات؟ قال: لا؛ الموت موت، و القتل قتل. فقلت: ما أحد يقتل إلّا و قد مات؟ فقال: قول الله أصدق من قولك. فرّق بينهما في القرآن فقال: «أفإن مات أو قتل».[٢] و قال: «لئن متّم أو قتلتم»[٣] ليس كما قلت يا زرارة. الموت موت، و القتل قتل. قلت: فإنّ الله يقول: «كلّ نفس ذائقة الموت»؟ قال: من قتل لم يذق الموت. ثمّ قال: لابدّ من أن يرجع حتّى يذوق الموت.[٤]

«و إنّما توفّون»؛ أي: لاتوفّونها بعد الموت و إنّما توفّونها يوم القيامة.[٥]

«أجوركم»: جزاء أعمالكم خيراً كان أو شرّاً تامّاً وافياً. «يوم القيامة»: يوم قيامكم عن القبور. و لفظ التوفية يشعر بأنّه قد يكون قبلها بعض الأجور. و يؤيّده قولهعليه السلام: القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار. «فمن زحزح عن النار»: بعد عنها. «فقد فاز» بالنجاة و نيل المراد. «و ما الحياة الدنيا»: لذّاتها و زخارفها «إلّا متاع الغرور». شبّهها بالمتاع الذي يدلّس به على المشتري و يغرّ حتّى يشتريه. و المدلّس هو الشيطان. و هذا لمن آثرها على الآخرة. فأمّا من طلب بها الآخرة، فهي له متاع بلاغ. و الغرور مصدر أو جمع غارّ.[٦]

«كلّ نفس ذائقة الموت». عن الصادقعليه السلام قال: يموت أهل الأرض حتّى لايبقى أحد إلّا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيلعليهما السلام. فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدي الله. فيقال له: من بقي؟ و هو أعلم. فيقول: ياربّ لم يبق إلّا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل. فيقال له: قل لجبرئيل و ميكائيل، فليموتا. فيقول الملائكة عند ذلك:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.
٢ـ آل عمران (٣) / ١٤٤.
٣ـ آل عمران (٣) / ١٥٧.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٠٢.
٥ـ جوامع الجامع ١ / ٢٦٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.

يا ربّ رسوليك و أمينيك! فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت. ثمّ يجيء ملك الموت. فيقال له: من بقي؟ و هو أعلم. فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت و حملة العرش. فيقول: قل لحملة العرش، فليموتوا. ثمّ يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه. فيقال: من بقي؟ و هو أعلم. فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت. فيقال له: مت يا ملك الموت. فيموت. ثمّ يأخذ الأرض و السموات بيمينه و يقول: أين الذين كانوا يدّعون معي شريكاً؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر؟ (١)

[١٨٦] «لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

«لتبلونّ»؛ أي: والله لتختبرنّ. «في أموالكم» بتكليف الإنفاق و بما يصيبها من الآفات. «و أنفسكم». أي بالجهاد و القتل و الأسر و المخاوف و الأمراض. «و من الذين أشركوا» من هجاء الرسول و الطعن في الدين و إغراء الكفرة على المسلمين. أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليواطنوا أنفسهم على الصبر و الاحتمال و يستعدّوا للقائها حتّى لا يرهقهم نزولها. (٢)

«لتبلونّ» ـ الآية. نزلت في كعب بن الأشرف. و كان يهجو رسول الله ﷺ و المؤمنين و يحرّض المشركين عليهم و يشبّب بنساء المؤمنين. فقال ﷺ: من لي بابن الأشرف؟ فقال محمّد بن سلمة: أنا يا رسول الله. فخرج فقتله غيلة و أتى برأسه إلى النبيّ ﷺ آخر اللّيل. (٣)

«و إن تصبروا» على ذلك «و تتّقوا» مخالفة أمر الله. «فإنّ ذلك»؛ أي: الصبر و التقوى. «من عزم الأمور»: من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها. أو: ممّا عزم الله عليه؛ أي: أمر به و بالغ فيه. و العزم في الأصل: ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه. (٤)

١ـ الكافي ٣ / ٢٥٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.
٣ـ مجمع البيان ٢ / ٩٠٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.

[١٨٧] «وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ».

«الذين أوتوا الكتاب»؛ أي: العلماء. «لتبيّننّه». ابن‌كثير بالياء، لأنّهم غيّب. و اللّام جواب القسم الذي ناب عنه قوله: «أخذ الله ميثاق الذين». و الضمير للكتاب. «فنبذوه»؛ أي: الميثاق «وراء ظهورهم» فلم‌يراعوه و لم‌يلتفتوا إليه. و النبذ وراء الظهر، مثل في ترك الاعتداد و عدم الالتفات. و نقيضه جعله نصب عينيه و إلقاؤه بين عينيه.(١)

«وراء ظهورهم». عن أميرالمؤمنين عليه السلام ـ و قد ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه و آله و هما الأعرابيّان و أتباعهما ـ: و لقد أحضروا الكتاب مشتملاً على التأويل و التنزيل و المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و لم‌يسقط منه حرف ألف و لا لام. فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحقّ و الباطل و أنّ ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه. نحن مستغنون عنه بما عندنا. و لذلك قال: «فنبذوه وراء ظهورهم» ـ الآية. ثمّ دفعهم الاضطرار لما ورد من المسائل عليهم ممّا لايعلمون تأويله إلى جمعه و تأليفه و تضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن، فليأتنا به. و وكّلوا تأليفه و نظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألّفه على اختيارهم. و تركوا منه ما قدّروا أنّه لهم و هو عليهم، و زادوا فيه ما ظهر تناكره و تنافره و انكشف لأهل الاستبصار عوارهم و افتراؤهم.(٢)

«و اشتروا به»: أخذوا بدله «ثمناً قليلاً» من حطام الدنيا و أعراضها. «يشترون»: يختارون لأنفسهم.(٣)

[١٨٨] «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٨٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٤.

روي أنّه ﷺ سأل اليهود عن شيء ممّا في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها و أروه ﷺ أنّهم صدقوه و فرحوا بما فعلوا، فنزلت: «لاتحسبنّ الذين» ـ الآية. و قيل: نزلت في قوم تخلّفوا عن الغزو ثمّ اعتذروا بأنّهم رأوا المصلحة في التخلّف و استحمدوا به. و قيل: نزلت في المنافقين فإنّهم يفرحون بمنافقتهم و يستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة. «لاتحسبنّ». الخطاب للرسول ﷺ و المفعول الأوّل الذين يفرحون، و الثاني بمفازة. و قوله: «فلاتحسبنّهم». تأكيد و المعنى: لاتحسبنّ الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس و كتمان الحقّ و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق و إظهار الحقّ و الإخبار بالصدق. «بمفازة»: بمنجاة من العذاب. أي: فائزين بالنجاة منه. و قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو بالياء و فتح الباء في الأوّل و ضمّها في الثاني على «أنّ الذين» فاعل و مفعولا «لايحسبنّ» محذوفان ـ و هما أنفسهم و مفازة ـ يدلّ عليهما مفعولا مؤكّدة أعني قوله: «لايحسبنّهم» و كأنّه قيل: و لايحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا، فلايحسبنّ أنفسهم بمفازة من العذاب. أو المفعول الأوّل محذوف و قوله: «فلايحسبنّهم» تأكيد للفعل و فاعله و مفعوله الأوّل. «أليم» بكفرهم و تدليسهم.(١)

[١٨٩] «وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«و لله ملك». فهو يملك أمرهم. «قدير» فيقدر على عقابهم. و قيل: هو ردّ لقولهم: «إنّ الله فقير».(٢)

[١٩٠] «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ».

«لآيات»؛ أي: دلائل واضحة على وجود الصانع و وحدته و كمال علمه و قدرته لذوي العقول المجلوّة الخالصة عن شوائب الحسّ و الوهم. و لعلّ الاقتصار على هذه الثلاثة

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٥.

في هذه الآية لأنّ مناط الاستدلال هو التغيّر و هذه متعرّضة لجملة أنواعه. فإنّه إمّا أن يكون في ذات الشيء كتغيّر اللّيل و النهار، أو جزئه كتغيّر العناصر يتبدّل صورها، أو الخارج عنه كتغيّر الأفلاك بتبدّل أوضاعها. و عن النبيّ ﷺ ويل لمن قرأها و لم يتفكّر فيها.[١]

[١٩١] «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

«يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم»؛ أي: يذكرونه دائماً على الحالات كلّها. «قياماً». قيل: معناه أنّهم يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم. «و يتفكّرون» استدلالاً على وجود الصانع و اعتباراً. و هو أفضل العبادات؛ كما قال ﷺ: لا عبادة كالتفكّر. لأنّه المخصوص بالقلب [و المقصود] من الخلق. «ربّنا». على إرادة القول. أي: يتفكّرون قائلين ذلك. و «هذا» إشارة إلى المتفكَّر فيه، أي الخلق، على أنّه أريد به المخلوق من السموات و الأرض، أو إليهما، لأنّهما في معنى المخلوق. و المعنى: ماخلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأً لوجود الإنسان و سبباً لمعاشه و دليلاً يدلّ على معرفتك و يحثّه على طاعتك لينال الحياة الأبديّة.[٢]

«الذين يذكرون الله قياماً» ـ الآية. روى الشيخ بإسناده إلى أبي عبيدة و ابن أبي رافع في كلام يحكيان فيه ذهاب عليّ عليه السلام من مكّة إلى المدينة ملتحقاً بالنبيّ ﷺ و معه الفواطم و المستضعفون من المسلمين، و فيه: ثمّ نزل ضجنان فصلّى ليلته تلك هو و الفواطم و أمّه بنت أسد و كانوا يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم فلم يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر. و هكذا كانوا يصنعون في كلّ المنازل حتّى قدموا المدينة و قد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم. «الذين يذكرون الله» إلى قوله: «من ذكر أو أنثى». الذكر عليّ عليه السلام. و الأنثى فاطمة. «بعضكم من بعض». يقول: عليّ عليه السلام من فاطمة ـ أو قال: الفواطم ـ و هنّ من عليّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٥.

عليه السلام و الصلاة.(١)

«سبحانك»: تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل. و هو اعتراض. «فقنا عذاب النار» للإخلال بالنظر فيه و القيام بما يقتضيه. و فائدة الفاء هي الدلالة على أنّ علمهم بما لأجله خلقت السموات و الأرض حملهم على الاستعاذة.(٢)

[١٩٢] «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ».

«فقد أخزيته»: أي: أهلكته.(٣)

«و ما للظالمين»: أي: المدخَلين ـ بفتح الخاء. و وضع المظهر على موضع المضمر، للدلالة على أنّ ظلمهم سبب لإدخال النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها. و لايلزم من نفي النصرة، نفي الشفاعة. لأنّ النصرة دفع بقهر.(٤)

«من أنصار». عن الباقرعليه السلام: ما لهم من أئمّة يسمّونهم بأسمائهم.(٥)

«فقد أخزيته» غاية الإخزاء. و فيه إشعار بأنّ العذاب الروحانيّ أفظع. لأنّ الخزي ليس إلّا الهوان و الخجل. و يترتّب عليه هنا شماتة الأعداء، أعني أهل الجنّة، لأنّهم مشرفون على النار و أهلها.

[١٩٣] «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ».

«سمعنا منادياً». عن أبي عبداللهعليه السلام: هو أميرالمؤمنين؛ نودي من السماء أن آمن بالرسول، فآمن به.(٦)

«ربّنا إنّنا سمعنا منادياً». عن الصادقعليه السلام أنّه قال: ربّنا إنّنا سمعنا بالنداء و صدّقنا

١ـ أمالي الطوسيّ ٢ / ٨٤ ـ ٨٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦.

٣ـ مجمع البيان ٢ / ٩١٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢١١.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢١١.

المنادي رسول الله ﷺ إذ نادى بنداء عنك الذي أمرته به أن يبلّغ ما أنزلت إليه من ولاية وليّ أمرك.(١)

«منادياً». في تنكير المنادي و إطلاقه ثمّ تقييده، تعظيم لشأنه. و المراد به الرسول ﷺ. و قيل: القرآن. و النداء و الدعاء و نحوهما يعدّى بـإلى و اللّام لتـضمّنها مـعنى الانـتهاء و الاختصاص.(٢)

«أن آمنوا». أن هنا إمّا للتفسير بمعنى أي، أو مصدريّة أي: بأن آمنوا، فامتثلنا.(٣)

«فاغفر لنا ذنوبنا» ابتداء بلا توبة. «و كفّر عنّا» إن تبنا. أو إنّ معناه: اغفر لنا ذنـوبنا بالتوبة وكفّر عنّا سيّئاتنا باجتناب الكبائر [من] السيّئات. لأنّ الغفران قد يكون ابتداء من غير سبب و التكفير لايكون إلّا عند فعل من العبد. و الأوّل أليق بمذهبنا.(٤)

«ذنوبنا»: كبائرنا. فإنّها ذات تبعة. «سيّئاتنا»: صغائرنا. فإنّها مستقبحة ولكن مكفّرة عن مجتنب الكبائر.(٥)

[١٩٤] «رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ».

«ما وعدتنا»؛ أي: وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب. سأل هذا لا مخـافة مـن إخلاف الوعد بل مخافة أن لايكون من الموعودين، لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال. و يجوز أن يكون هذا الدعاء تعبّداً و استكانة. و يجوز أن يتعلّق «على» بمحذوف تـقديره: منزلاً على رسلك أو محمولاً عليهم. و قيل: معناه: على ألسنة رسلك.(٦)

«و لا تخزنا يوم القيامة» بأن تعصمنا عمّا يقتضيه. «لاتخلف الميعاد» بإثابة المـؤمن و إجابة الداعي. و عن ابن‌عبّاس: الميعاد، البعث بعد الموت. و تكرير «ربّـنا» للـمبالغة في

١ـ التهذيب ٣ / ١٤٤، ح ٣١٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦، و مجمع البيان ٢ / ٩١٢.
٤ـ مجمع البيان ٢ / ٩١٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٩١٢، و الكشّاف ١ / ٤٥٥.

الابتهال و الدلالة على استقلال المطالب و علوّ شأنها. و في الأثر ـ و هو المرويّ عن الصادق عليه السلام ـ: من حزنه أمر فقال خمس مرّات: ربّنا، أنجاه الله ممّا يخاف.[١]

[١٩٥] «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ اللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ».

«فاستجاب لهم ربّهم» ـ الآية. النزول: روي أنّ أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فأنزل الله هذه الآية.[٢]

«أنّي لا أضيع»؛ أي: بأنّي. «بعضكم من بعض». لأنّ الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر، أو لأنّهما من أصل واحد، أو لفرط الاتّصال و الاتّحاد، أو للاجتماع و الاتّفاق في الدين. و هي جملة معترضة بيّن بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمّال. «هاجروا»؛ أي: هاجروا الشرك أو الأوطان و العشائر للدين. «و أوذوا» بسبب إيمانهم بالله و من أجله.[٣]

«في سبيلي». يعني أميرالمؤمنين عليه السلام و سلمان و أباذرّ ـ حين أخرج ـ و عمّار الذين أوذوا في الله.[٤] هكذا روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

«و قاتلوا و قتلوا» في الجهاد. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «و قتلوا و قاتلوا». لأنّ الواو لا يوجب ترتيباً و الثاني أفضل. أو لأنّ المراد لمّا قتل منهم قوم قاتل الباقون و لم يضعفوا. و قرأ ابن كثير و ابن عامر: «و قتّلوا» بالتشديد، للتكثير. «لأكفّرنّ»: لأمحونّها.[٥]

«لأكفّرنّ عنهم سيّئاتهم»؛ يعني: لأمحونّها و لأتفضّلنّ عليهم بعفوي و مغفرتي. و هذا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦، و جوامع الجوامع ١ / ٢٦٨.
٢ـ مجمع البيان ٢ / ٩١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦.
٤ـ تفسير عليّ بن إبراهيم ١ / ١٢٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٦ ـ ١٩٧.

يدلّ على أنّ إسقاط العذاب تفضّل من الله تعالى.[١]

«ثواباً من عند الله»؛ أي: أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضّلاً منه. فهو مصدر مؤكّدة. «حسن الثواب» على الطاعات.[٢]

[١٩٦] «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ».

«لا يغرّنّك». الخطاب للنبيّ ﷺ و المراد أمّته أو تثبيته على ما كان عليه، أو لكلّ أحد. و المعنى: لا تنظر إلى ما الكفرة عليه من السعة و الحظّ. و لا تغترر بظاهر ما ترى من تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم. و روي أنّ بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء و لين عيش فيقولون: إنّ أعداء الله فيما نرى من الخير و هلكنا من الجوع و الجهد![٣]

[١٩٧] «مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ».

«متاع قليل». خبر مبتدأ محذوف. أي: ذلك التقلّب متاع قليل لقصر مدّته أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين. قال ﷺ: ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بما يرجع. «المهاد»: ما مهّدوا لأنفسهم.[٤]

[١٩٨] «لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

«نزلاً من عند الله». النزل ـ بالضمّ و السكون ـ: ما يعدّ للنازل من طعام و شراب و صلة. و انتصابه على الحال من «جنّات». و العامل فيها الظرف. و قيل: إنّه مصدر مؤكّد. و التقدير: انزلوها نزلاً. «و ما عند الله» لكثرته و دوامه «خير للأبرار» ممّا يتقلّب فيه الفجّار، لقلّته و سرعة زواله.[٥]

١ـ مجمع البيان ٢ / ٩١٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧.

[١٩٩] «وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«لمن يؤمن بالله»، لا خوفاً من القتل كالمنافقين.

«و إنّ من أهل الكتاب». نزلت في ابن سلام و أصحابه. و قيل: في أربعين من نجران و اثنين و ثلاثين من الحبشة و ثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا. و قيل: في أصحمة ملك الحبشة لمّا نعاه جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فخرج فصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصرانيّ لم يره قطّ! «و ما أنزل إليكم» من القرآن. «و ما أنزل إليهم» من التوراة و الإنجيل. «خاشعين». حال من فاعل يؤمن. و جمعه باعتبار المعنى. «لا يشترون بآيات الله»، كما يفعله المحرّفون من أحبارهم. «لهم أجرهم»: ما خصّ بهم من الأجر و وعده في قوله تعالى: «أولئك يؤتون أجرهم مرّتين»[١].[٢]

أقول: مرّة لأجل إيمانهم بكتابهم، و مرّة لإيمانهم بالقرآن.

«سريع الحساب» لعلمه بالأعمال و ما يستوجبه من الجزاء و استغنائه عن التأمّل و الاحتياط. و المراد أنّ الأجر الموعود سريع الوصول. فإنّ سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء.[٣]

[٢٠٠] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«اصبروا» على مشاقّ الطاعات و ما يصيبكم من الشدائد. «و صابروا»: و غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب، أو أعدى عدوّكم ـ أي النفس ـ في الصبر على مخالفة

١ـ القصص (٢٨) / ٥٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨.

الهوى. و تخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقاً لشدّته. «و رابطوا» أبدانكم و خيولكم في الثغور مترصّدين للغزو، و أنفسكم على الطاعات. كما قال ﷺ: من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة.[١]

عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «اصبروا»: يعني بذلك عن المعاصي. «و صابروا». يعني التقيّة. «و رابطوا». يعني الإقامة مع الإمام.[٢]

و عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «اصبروا» يقول: عن المعاصي. «و صابروا» على الفرائض. «و اتّقوا الله». يقول: أْمروا بالمعروف. و انهوا عن المنكر. ثمّ قال: و أيّ منكر أنكر من ظلم الأمّة لنا و قتلهم إيّانا؟ «و رابطوا». يقول: في سبيل الله. و نحن السبيل فيما بين الله و خلقه. و نحن الرباط الأدنى. فمن جاهد عنّا [فقد] جاهد عن النبيّ ﷺ. «لعلّكم تفلحون». يقول: لعلّ الجنّة توجب لكم إن فعلتم ذلك. [و نظيرها في قول الله تعالى: «و من أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إنّني من المسلمين».[٣]] و لو كانت هذه الآية في المؤذّنين، كما فسّره المفسّرون، لفاز القدريّة و أهل البدع معهم.[٤]

«اصبروا» على طاعة الله و عن معاصيه. و قاتلوا العدوّ. «و صابروا» على قتالهم في الحقّ، كما يصبرون على قتالكم في الباطل. و الرباط يكون بين اثنين أيضاً. يعني [أعدّوا] لهم من الخيل ما يعدّونه لكم.[٥]

«و اتّقوا الله لعلّكم تفلحون»: و اتّقوه بالتبرّي عمّا سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح. أو: و اتّقوا القبائح لعلّكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتّبة التي هي الصبر على مشقّة الطاعات و مصابرة النفس في رفض العادات و مرابطة السرّ على جناب الحقّ لترصّد الواردات المعبّر عنها بالشريعة و الطريقة و الحقيقة.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢١٣.
٣ـ فصّلت (٤١) / ٣٣.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢١٢.
٥ـ مجمع البيان ١ / ٩١٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٩.

٤.
سورة النساء

النساء: عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، فكأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ورث ميراثاً و أعطي من الأجر كمن اشترى محرّراً، و برئ من الشرك و كان في مشيّة الله من الذين [يتجاوز] عنهم.[١]

و عن عليّ عليه السلام: من قرأها في كلّ جمعة، أمن من ضغطة القبر.[٢]

الخواصّ: من دفن شيئاً أو ضاع عنه، فليكتب منها: «إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات»[٣] ـ الآية ـ في إناء جديد و يمحاه بماء المطر و يرشّه في المكان الذي فيه المدفون، يظفر به إن شاء الله.[٤]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً».

«و خلق منها زوجها». عطف على «خلقكم». أي: خلقكم من شخص واحد و خلق منها أمّكم حوّاء من ضلع من أضلاعها.[٥]

عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ حوّاء خلقت من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر.[٦] و هو ممّا

١ـ مصباح الكفعميّ / ٥٨١.

٢ـ مصباح الكفعميّ / ٥٨١، ثواب الأعمال / ١٣٣.

٣ـ النساء (٤) / ٥٨.

٤ـ مصباح الكفعميّ / ٦٠٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٩.

٦ـ علل الشرائع / ٤٧١.

يجمع به بين الأخبار المتعارضة الدالّ بعضها على أنّها من ضلعه و بعضها على أنّها لم تخلق منه. فتأمّل.

«نفس واحدة». يعني آدم عليه السلام.(١)

«و بثّ منهما». بيان لكيفيّة تولّدهم منهما. و المعنى: و نشر من تلك النفس و الزوج المخلوقة منها بنين و بنات كثيرة. و اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها، إذ الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر. و ترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصّة، لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقّها أن تخشى و النعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها. «الذي تسّاءلون به»؛ أي: يسأل بعضكم بعضاً فيقول: أسألك بالله. و أصله: تتساءلون، فأدغمت التاء الثانية في السين. و قرأ عاصم و حمزة و الكسائيّ بطرحها. «و الأرحام». بالنصب عطف على محلّ الجارّ و المجرور أو على الله. أي: اتّقوا الله و اتّقوا الأرحام فصلوها و لاتقطعوها. و قرأ حمزة بالجرّ عطفاً على ضمير المجرور. و هو ضعيف. لأنّه كبعض الكلمة. و قرئ بالرفع على أنّه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: و الأرحام كذلك؛ أي: ممّا يتّقى أو يتساءل [به]. و قد نبّه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أنّ صلتها بمكان منه. «رقيباً»: حافظاً مطّلعاً.(٢)

[٢] «وَ آتُوا الْيَتَامىٰ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً».

«اليتامى». أي إذا بلغوا. «لاتتبدّلوا»: لاتستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، أو الأمر الخبيث ـ و هو اختزال أموالهم ـ بالأمر الطيّب الذي هو حفظها. و قيل: لاتأخذوا الرفيع من أموالهم و تعطوا الخسيس مكانها. و هذا تبديل و ليس بتبدّل. «و لاتأكلوا أموالهم»؛ أي: و لاتأكلوها مضمومة إلى أموالكم. أي: لاتنفقوهما معاً و لاتسوّوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ١٩٩.

بينهما و هذا حلال و ذاك حرام. و هو فيما زاد على قدر الأجرة؛ لقوله تعالى: «فليأكل بالمعروف»[١] .[٢]

«اليتامى». سمّاهم يتامى عند دفع المال مجازاً لقرب عهدهم باليتم.

[٣] «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَلَّا تَعُولُوا».

«و إن خفتم ألّاتقسطوا»؛ أي: إن خفتم ألّاتعدلوا في يتامى النساء إذا تزوّجتم بهنّ، فتزوّجوا ما طاب من غيرهنّ. إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال و جمال فيتزوّجها ضنّاً بها فربّما يجتمع عنده منهنّ عدد و لايقدر على القيام بحقوقهنّ. أو: إن خفتم [أن لاتعدلوا في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً] أن لاتعدلوا بين النساء و انكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقّه. لأنّ المتحرّج من الذنب ينبغي أن يتحرّج من الذنوب كلّها؛ على ما روي: انّه تعالى لمّا عظّم أمر اليتامى، تحرّجوا من ولايتهم، و ماكانوا يتحرّجون من تكثير النساء و إضاعتهنّ، فنزلت. و قيل: كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى و لايتحرّجون من الزنى، فقيل: إن خفتم أن لاتعدلوا في أمر اليتامى، فخافوا الزنى فانكحوا ما حلّ لكم. و إنّما عبّر عنهنّ بما ذهاباً إلى الصفة، أو إجراء لهنّ مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهنّ. «مثنى». معدولة عن أعداد مكرّرة منصوبة على الحال من فاعل طاب. و معناها الإذن لكلّ ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور. «ألّاتعدلوا» بين هذه الأعداد أيضاً، «فواحدة»؛ أي: فانكحوا واحدة. «أو ما ملكت أيمانكم». سوّى بين الواحدة من الأزواج و العدد من السراريّ لخفّة مؤونتهنّ و عدم وجوب القسم بينهنّ. «ذلك»؛ أي: التقليل منهنّ، أو اختيار الواحدة، أو التسرّي «أدنى أن لاتعولوا»: أقرب من أن لاتميلوا. و فسّر بأن

١ـ النساء (٤) / ٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٠.

لاتكثر عيالكم، فعبّر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية و لعلّ المراد بالعيال الأزواج. و إن أريد الأولاد، فلأنّ التسرّي مظنّة قلّة الولد بالإضافة إلى التزوّج لجواز العزل فيه كتزوّج الواحدة بالنسبة إلى تزوّج الأربع.(١)

قال أميرالمؤمنين عليه السلام لبعض الزنادقة: و أمّا ظهورك على تناكر قوله: «و إن خفتم» ـ الآية ـ و ليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، و لا كلّ النساء يتامى، فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن. و بين القول في اليتامى و بين نكاح النساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن. هذا و ما أشبهه ممّا ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر و التأمّل.(٢)

«فواحدة». قرأ أبوجعفر بالرفع.(٣)

[٤] «وَ آتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً».

«صدقاتهنّ»؛ أي: مهورهنّ. «نحلة»؛ أي: عطيّة. يقال: نحله كذا نحلة، إذا أعطاه إيّاه عن طيب نفس بلا توقّع عوض. و نصبها على المصدر، لأنّها في معنى الإيتاء، أو الحال من الواو أو الصدقات. أي: آتوهنّ صدقاتهنّ ناحلين أو منحولة. و قيل: المعنى: نحلة من الله و تفضّلاً منه عليهنّ. فيكون حالاً من الصدقات.(٤)

«عن شيء منه». الضمير للصداق. و المعنى: فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس. و عدّاه بعن لتضمين معنى التجاوز. و قال: «منه» بعثاً لهنّ على تقليل الموهوب. «فكلوه»؛ أي: فأنفقوه حلالاً بلا تبعة. و هو حال من الضمير. و الهنيء: ما يلذّه الإنسان. و المريء: ما تحمد عاقبته. روي أنّ أناساً كانوا يتأثّمون أن يقبل أحدهم من زوجته [شيئاً]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٠.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٧ - ٣٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠١.

ممّا ساق إليها، فنزلت.[١]

لوجع البطن، عن أميرالمؤمنين عليه السلام أن تستوهب من امرأتك شيئاً و تشتري به عسلاً و تسكب عليه ماء السماء و تشربه. لقوله في العسل: «فيه شفاء للناس».[٢] و يقول: «و نزّلنا من السماء ماء مباركاً».[٣] و قال هنا: «هنيئاً مريئاً».[٤]

[٥] «وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً».

«و لاتؤتوا السفهاء». عن الباقر عليه السلام: اليتامى؛ لاتعطوهم أموالهم حتّى تعرفوا منهم الرشد. قلت: فكيف يكون أموالهم أموالنا؟ فقال: إذا كنت أنت الوارث لهم.[٥]

عن الصادق عليه السلام أنّ منهم النساء و شارب الخمر.[٦]

«و لاتؤتوا السفهاء». نهي للأولياء أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها. و إنّما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنّها تحت ولايتهم. و هو الملائم للآيات المتقدّمة و المتأخّرة. و قيل: نهي لكلّ أحد أن يعمد إلى ما خوّله الله من المال فيعطي امرأته و أولاده ثمّ ينظر إلى أيديهم. و سمّاهم سفهاء لنقصان عقولهم.[٧]

«قياماً»؛ أي: تقومون بها و تتعيّشون. أو: بها قوام معاشكم. و على الأوّل يراد بها من جنس ما يقيم الناس به معايشهم؛ كقوله: «و لاتقتلوا أنفسكم».[٨] و هذا هو الأرجح. و في إطلاق القيام على ما به القيام مبالغة. لأنّهم لو ضيّعوها ضاعوا، فكأنّها في نفسها قيامهم. «و ارزقوهم فيها»؛ أي: اجعلوها مكاناً لرزقهم و كسوتهم. و ذلك بأن يتجروا فيها و يحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه في أمر المعاش. و لعلّ الوجه في التعبير بفيها دون منها الإشارة إلى

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠١.
٢ـ النحل (١٦) / ٦٩.
٣ـ ق (٥٠) / ٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٢.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٠.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٠، و قرب الإسناد / ١٣١.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠١.
٨ـ النساء (٤) / ٢٩.

أنّه لاينبغي أن يأكلها الإنفاق. «قولاً معروفاً»؛ أي: عدة جميلة تطيب بها نفوسهم؛ مثل: إن صلحتم و رشدتم، سلّمنا إليكم أموالكم.(١)

«قياماً». نافع و ابن‌عامر: «قيماً» بغير ألف بمعنى قياماً.(٢)

[٦] «وَ ابْتَلُوا الْيَتَامىٰ حَتّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَ بِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَ مَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً».

«و ابتلوا اليتامى» ـ الآية ـ أي: اختبروهم بتتبّع أحوالهم في التهدّي إلى ضبط المال و السلامة من صرفه في غير وجهه بأن يكل إليه ما ينصرف فيه بما يناسب حاله. و لايكفي المرّة الواحدة، بل لابدّ من التكرار بحيث يحصل معها عليه الظنّ برشده. «حتّى إذا بلغوا النكاح»؛ أي: وصلوا حدّ البلوغ. و بلوغ النكاح كناية عنه. لأنّه يصلح للنكاح عنده. و له أسباب؛ منها الإنبات و الاحتلام. و لا خلاف عندنا في البلوغ بهما للذكر و الأنثى. و أمّا السنّ، فهو عندنا في الرجل خمسة عشر سنة و في الأنثى تسع. و سوّى الشافعيّ بينهما في السنّ بأنّه بلوغ خمسة عشر. و بعض أصحابنا على ثبوت البلوغ بأربع عشرة سنة تعويلاً على خبر ضعيف و قابل للتأويل. و في الآية دلالة على أنّ الابتلاء قبل البلوغ لأنّه تعالى سمّاهم يتامى، و لأنّه جعل نهاية اختبارهم البلوغ بلفظ «حتّى» فدلّ على أنّ الاختبار قبله، و لأنّ تأخير الاختبار إلى ما بعد البلوغ يؤدّي إلى الحجر على البالغ الرشيد حتّى يختبر، كما دلّ عليه قوله: «فإن آنستم»؛ أي: أبصرتم «منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم» من غير تأخير. و ذهب بعضهم إلى أنّ الاختبار بعد البلوغ. و قد يستدلّ بالآية على أنّ تصرّفات الصبيّ العاقل المميّز بإذن الوليّ صحيحة، لأنّ الابتلاء المأمور به قبل البلوغ و هو

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٤٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠١، و مجمع البيان ٣ / ١٣.

إنّما يحصل إذا أذن له الوليّ في البيع و الشراء و نحوهما ليحصل الغرض. و اعتبر الشيخ في الرشد هنا العدالة، نظراً إلى أنّ الفاسق موصوف بالغيّ لا بالرشد. قال الله تعالى: «و ما أمر فرعون برشيد»[1]، مع أنّه كان يراعي المصلحة الدنيويّة. و فيه نظر. فإنّ الفاسق يوصف بالغيّ في دينه و الرشد في ماله. «بلغوا النكاح». ذهب أبوحنيفة إلى أنّ بلوغ الرجل بثمانية عشر سنة و المرأة سبعة عشر سنة. «و لاتأكلوها». نهى عن أكل مال اليتيم. «إسرافاً و بداراً». مصدران في موضع الحال عن الفاعل. أي: لاتأكلوها لإسرافكم و مبادرتكم كبرهم تفرطونَ في إنفاقها و تقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينزعوها من أيدينا. و يحتمل أن يراد بالإسراف هنا زيادة على المعروف الذي يجوز أكله بالآية. «فليستعفف» من أكل مال اليتيم. و اختلف أصحابنا في كون الأمر للوجوب فلايجوز له أكل ماله لوجوبه، أو على الاستحباب و يدلّ عليه لفظ الاستضعاف. و على الأوّل فإنّما هو فيمن يكون المال بيده أو صار وصيّاً باختياره، أمّا غيره ـ كمنصوب الحاكم ـ فالظاهر أنّه يجوز له أخذ أجرة المثل و إن كان غنيّاً و يجوز للحاكم أن يجعل له جعلا، فيكون إطلاق الآية مقيّداً بالوصف المتبرّع دون من استأجره الحاكم. و هل [المراد] الغنيّ في العرف أو في الشرع و هو من كان عنده قوت سنته؟ كلّ محتمل. «فليأكل بالمعروف»: قدر كفايته من غير زيادة، أو على قدر عمله الذي هو حفظ الأموال و الأولاد إن كان زائداً عمّا يحتاج إليه من قدر الكفاية و سدّ الخلّة، أو أقلّ الأمرين من أجرة المثل و قدر الكفاية. و هو الأولى فيما لو كان عمله ممّا له أجرة. لأنّه عمل يستحقّ عليه الأجرة و كان لعامله المطالبة بها. و المأمور بالأكل هو الوصيّ عن الميّت أو من جعله الحاكم وصيّاً و قيّماً، فليأكل من غير ردّ على اليتيم بعد الغنى؛ كما هو المشهور. و قيل: يلزمه عوضه. لأنّه استباحه للحاجة فكان قرضاً في ذمّته إن أيسر قضاه، و إن مات و لم‌يقدر على قضائه، فلا شيء في ذمّته، كالمضطرّ إلى طعام غيره. و به رواية، لكنّها مؤوّلة. «فأشهدوا عليهم». فإنّ ذلك أبعد من التهمة و أنفى

١ـ هود (١١) / ٩٧.

للخصومة. و مقتضى الأمر الوجوب. و قيل: إنّه محمول على الاستحباب أو للإرشاد. «حسيباً»؛ أي: محاسباً و شاهداً على دفع المال إلى اليتيم.(١)

«و ابتلوا اليتامى» ـ الآية ـ و في الآية دلالة على ثبوت الحجر بمجرّد حصول السفه من غير حاجة إلى حكم الحاكم؛ كما قاله الأكثر من علمائنا. لكنّهم قيّدوه بما إذا كان السفه متّصلاً بالبلوغ، أمّا إذا بلغ رشيداً ثمّ صار سفيهاً، كان الحجر عليه موقوفاً على حكم الحاكم.

«فليأكل بالمعروف». عن الباقر عليه السلام أنّها منسوخة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: المعروف هو القوت. و عن الباقر عليه السلام: ذلك إذا يحبس نفسه في أموالهم فلايحترث لنفسه، فليأكل من مالهم.(٢)

[٧] «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً».

«للرجال نصيب» ـ الآية ـ يعني: لكلّ من الرجال و النساء حصّة من الميراث. و المراد أنّ ذلك ثابت مع الاستواء في القرابة و الدرجة. «ممّا قلّ». بدل من قوله: «ممّا ترك» بإعادة العامل. «نصيباً مفروضاً». منصوب على أنّه مصدر مؤكّد لمضمون ما تقدّم أو على الاختصاص بتقدير أعني و المعنى أنّ الإرث بالنسب ثابت من الله فرضاً مقطوعاً من غير اختيار للوارث. نزلت لنفي ما كان الجاهليّة عليه من عدم تورّث النساء و الأطفال.(٣)

[٨] «وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً».

«و إذا حضر القسمة» ـ الآية. عن الصادق عليه السلام: نسختها آية الفرائض.(٤)

«و إذا حضر القسمة»؛ أي: قسمة التركة قرابة الميّت ممّن لايرث. «و اليتامى و

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٢٨ ـ ١٣٦.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٢.
٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٦٦.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٢.

المساكين». قيّدهم في مجمع البيان بالأقارب. «فارزقوهم». أمروا بأن يرزقوا المذكورين شيئاً من الإرث تطييباً لقلوبهم و تصدّقاً عليهم. و قد اختلف في هذا الأمر هل هو للوجوب أو الندب. قيل بالأوّل و نسخ بآية المواريث. و نقل الطبرسيّ من أكثر المفسّرين و الفقهاء أنّها غير منسوخة. قال: و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام. و يمكن حملها على الندب، فلا وجه لنسخها حينئذ و لأنّ الظاهر أنّه لا قائل بالوجوب. «قولاً معروفاً» بأن يدعو لهم بالرزق من الله.[1]

[٩] «وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً».

«و ليخش الذين» ـ الآية. أمر للأوصياء بأن يخشوا الله و يتّقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبّون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربّهم أو يخشوا على أولاد المريض و يشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلايتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب و اليتامى و المساكين متصوّرين أنّهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوز حرمانهم، أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلايسرفوا في الوصيّة. و لو بما في حيّزه جعل صلة للّذين على معنى: و ليخش الذين حالهم و صفتهم أنّهم لو شارفوا أن يخلّفوا ذرّيّة ضعافاً خافوا عليهم الضياع. و في ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه و العلّة فيه، و بعث على الترحّم و أن يحبّ لأولاد غيره ما يحبّ لأولاده، و تهديد للمخالف بحال أولاده. «فليتّقوا الله». أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ و المنتهى، إذ لاينفع الأوّل دون الثاني، ثمّ أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة و حسن الأدب، أو للمريض ما يصدّه عن الإسراف في الوصيّة و تضييع

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٨٧ ـ ١٨٨.

الورثة و يذكّره التوبة و كلمة الشهادة، أو أن يقولوا في الوصيّة ما لايؤدّي إلى مجاوزة الثلث و تضييع الورثة، أو أن يقولوا لحاضري القسمة عذراً جميلاً و وعداً حسناً.(١)

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً».

عن الصادق عليه السلام: لمّا نزلت «إنّ الذين» ـ الآية ـ أخرج كلّ من كان عنده يتيم و سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله في إخراجهم، فأنزل الله: «و يسألونك عن اليتامى» ـ الآية.(٢)

عن الصادق عليه السلام: انّ الله عزّوجلّ أوعد في أكل مال اليتيم عقوبتين. أمّا أحدهما فعقوبة الآخرة بالنار. و أمّا عقوبة الدنيا فهو قوله: «و ليخش الذين» ـ الآية. يعني بذلك ليخش أن أخلفه في ذرّيّته كما صنع بهؤلاء اليتامى.(٣)

«ناراً». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء، رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار و تخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.(٤)

«و سيصلون». قرأ ابن‌عامر بضمّ الياء.(٥)

«و سيصلون سعيراً»؛ أي: يلزمون النار و يقاسون حرّها. و هاهنا نكتة؛ و هي: انّه تعالى أوعد مانع الزكاة الكيّ و آكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار. و هذا الوعيد أشدّ. و السبب فيه أنّ الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتّى يملّكه المالك [و اليتيم مالك] لماله، و لأنّ الفقير قادر على التكسّب من وجه آخر و لا هكذا اليتيم؛ فإنّه عاجز وكان ضعفه أظهر.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٧٢.
٣ـ ثواب الأعمال ١ / ٢٧٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٣٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٣.
٦ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٤٠.

[١١] «يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً».

«يوصيكم الله»: يأمركم و يعهد إليكم.(١)

«و واحدة». قرأ نافع بالرفع على أنّ كان تامّة.(٢)

«و لأبويه»؛ أي: أبوي الميّت. «لكلّ واحد». بدل منه بتكرير العامل. و فائدته التنصيص على استحقاق كلّ واحد منهما السدس.(٣)

«إن كان له»؛ أي: للميّت «ولد» ذكراً كان أو أنثى، واحداً و أكثر؛ غير أنّ الولد إن كان ذكراً، كان الباقي له. و كذا لو كانوا ذكوراً أو كانوا إناثاً، فإنّ الباقي لهم بالتسوية. و لو كانوا ذكوراً و إناثاً، فللذكر مثل حظّ الأنثيين. و إن كان بنتاً واحدة، فلها النصف بالتسمية و الباقي يردّ عليها و على الأبوين على نسبة سهامهم أي أخماساً كما اقتضته آية: «أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض».(٤) «فلأمّه الثلث». ترك ذكر حصّة الأب لأنّه ليس بصاحب فرض في هذه الصورة فيكون له الباقي.(٥)

«فلأمّه السدس». قرأ حمزة و الكسائيّ: «فلإمّه» بكسر الهمزة اتّباعاً للكسرة التي قبلها.(٦)

«من بعد وصيّة». متعلّق بما تقدّم من قسمة المواريث كلّها. «لاتدرون»؛ أي: لاتعلمون من أنفع لكم من أصولكم و فروعكم الذين يموتون؛ من أوصى منهم فعرضكم للثواب

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٣.
٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٦٩.
٤ـ الأنفال (٨) / ٧٥.
٥ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٦٩ ـ ١٧٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٤.

بإمضاء الوصيّة، أم من لم يوص فوفّر عليكم المال. و المراد أنّ من عرضكم للثواب أقرب لكم نفعاً ممّن ترك الوصيّة و وفّر عليكم المال. و يكون المعنى: لاتعلمون من أنفع لكم فلاتعمدوا إلى تفضيل بعض و حرمان بعض. «فإن كان لهنّ ولد»؛ أي: ولد ولدت من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها و إن سفل، ذكراً كان أم أنثى، منكم أو من غيركم.[١]

«مثل حظّ الأنثيين». عن الرضا عليه السلام: انّما تعطى النساء النصف لأنّ المرأة إذا تزوّجت أخذت و الرجل يعطي، و لأنّ الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت و عليه أن يعولها و ليس على المرأة أن تعول الرجل إن احتاج ـ و ذلك قوله تعالى: «الرجال قوّامون على النساء»[٢] ـ و لأنّ المرأة ليس عليها جهاد و لا معقلة، و لأنّ لها الصداق، و لأنّ السنبلة التي أكل منها آدم و حوّاء كان عليها ثلاث حبّات فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّة و أطعمت آدم حبّتين.[٣]

«فإن كان له إخوة فلأمّه السدس» لا غير، فهم يردّونها من الثلث إلى السدس و إن كانوا لايرثون شيئاً. و المشهور أنّ ردّهم إيّاها إلى السدس إنّما هو مع وجود الأب. و يدلّ عليه قوله: «و ورثه أبواه». و نقل في مجمع البيان عن بعض أصحابنا أنّ للأمّ السدس مع وجود الإخوة و إن لم يكن هناك أب و به قال جميع الفقهاء.[٤] و أمّا الحجب عندنا بالأخوين، فقد ثبت من الإجماع أو من الجمع المنطقيّ. «فريضة». مصدر مؤكّد أو مصدر «يوصيكم الله» لأنّه في معنى: يأمركم و يفرض عليكم. «حكيماً» فيما قسم من المواريث.[٥]

«فإن كنّ»؛ أي: الأولاد «نساء» خلّصاً ليس معهنّ ذكر. و تأنيث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات. «فوق اثنتين». خبر بعد خبر أو صفة نساء. أي: نساء زائدات على اثنتين. «فلهنّ ثلثا ما ترك» الميّت. هذا بالفرض المعلوم في كتاب الله و يبقى الحكم في

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٧٢ و ١٧٤.
٢ـ النساء (٤) / ٣٣.
٣ـ عيون الأخبار ١ / ٢٤٢.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٤.

الباقي معلوماً من خارج. «و إن كانت» المولودة بنتاً «واحدة فلها النصف» من التركة بالفرض. و بقي حكم اثنتين لم تدلّ عليه الآية صريحاً. و من ثمّ اختلف فيه. و الأكثرون على أنّ حكمهما حكم ما فوقهما في وجوب الثلثين. و قال ابن عبّاس: يجب لهما النصف كالواحدة. و هو بعيد.(١)

[١٢] «وَ لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ».

«أزواجكم». جمع زوج بمعنى زوجة. فإنّه يقع على كلّ من الزوجين. «إن لم يكن لكم ولد» وارث من صلبكم بواسطة أو بلا واسطة على ما تقدّم.(٢)

«وصيّة». قدّمها على الدين في الذكر مع تأخّرها، إشارة إلى تأكّدها.

«فلهنّ الثمن». مقتضى العموم أنّ لها الربع أو الثمن من جميع ما ترك الزوج. و إليه ذهب المخالفون بأجمعهم من غير فرق عندهم بين كون الزوجة ذات ولد منه أم لا. و هو ظاهر ابن الجنيد. أمّا باقيهم فقد اختلف أقوالهم في ذلك لاختلاف الأخبار. و المشهور بينهم ـ خصوصاً المتأخّرين منهم ـ الفرق بين ذات الولد و غيرها حيث عمّموا الإرث في الأولى و خصّصوه في الثانية [بالأرض] عيناً و قيمة [و بالطوب] و الخشب و الآلات من الدور و المنازل عيناً لا قيمة. و هذا الفرق لا تدلّ عليه الأخبار الصحيحة، بل تدلّ على خلافه، فإنّ مقتضاها عدم الفرق بينهما في عدم الإرث و ثبوته. و من ثمّ أطلق المفيد و السيّد و جماعة

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٦٨.

٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٧٥.

الحكم بعدم إرثها من نفس الرباع و المنازل من غير تقييد للزوجة بعدم الولد منها. «السدس»؛ أي: سدس ما ترك من غير مفاضلة الذكر على الأنثى. «فإن كانوا». أي من يرث بالأخوّة. «شركاء» يتساوون «في الثلث» من غير فرق بين الذكر و الأنثى.(١)

«و لهنّ»؛ أي: الزوجات.(٢)

«من بعد وصيّة». كرّر ذلك للاهتمام بشأنهما و حثّ للورثة على عدم مخالفتهما. «و إن كان رجل يورث». أي الميّت.

«يورث». صفة رجل و العائد محذوف. أي: يورث منه. «كلالة». حال من ضميره أو مفعول له. و المراد بالكلالة من ليس بوالد و لا ولد من سائر القرابات. و هي في الأصل مصدر بمعنى الكلال؛ و هو ذهاب القوّة من الإعياء. استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد و الولد، لأنّهما بالإضافة إلى قرابتهما كالّة ضعيفة. و إذا جعلت صفة للموروث أو الوارث، فبمعنى ذي كلالة. «أو امرأة». عطف على رجل. «و له»؛ أي: الرجل. و اكتفى بحكمه عن حكم المرأة لاقتضاء العطف اشتراكهما فيه.(٣)

«يورث كلالة». صفة رجل. أي: يورث منه. «كلالة». خبر كان. أو يورث خبره و كلالة حال من الضمير فيه ـ و هو من لم يخلّف ولداً و لا والداً ـ أو المفعول له. و المراد بها قرابة ليست من جهة الولد و الوالد. «أخ أو أخت». أي من الأمّ. و يدلّ عليه قراءة أبيّ: «و له أخ أو أخت من الأمّ».(٤)

«كلالة». الميّت نفسه كلالة.(٥)

«يوصى». قرأ ابن عامر و ابن كثير بفتح الصاد في الموضعين. و قرأ حفص الأولى بكسر الصاد و الثانية بفتحها، و الباقون بكسرهما.(٦)

«غير مضارّ»؛ أي: غير مضارّ لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارّة بالوصيّة

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٧٥ و ١٧٨.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨.

٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٧٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٩.

٦ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣.

دون القرابة و الإقرار بدين لايلزمه. و هو حال من فاعل يوصي المذكور في هذه القراءة و المدلول عليه بقوله: «يوصىٰ» على البناء للمفعول في قراءة ابن‌كثير و ابن‌عامر. «وصيّة من الله». مصدر مؤكّد أو منصوب بغير مضارّ على المفعول به. أي: لايضارّ وصيّة من الله بالأولاد بأن لايدعهم عالة. «عليم» بالمضارّ. «حليم» لايعاجل عقوبته.[١]

«غير مضارّ». أي كأن يقصد بالوصيّة أو الدين مجرّد حرمانهم و عدم وصول شيء إليهم أو يقرّ بدين مع عدمه قاصداً الإضرار بهم. فإنّ ذلك لا تقدّم بل يكون وجوده كعدمه.[٢]

[١٣ ـ ١٤] «تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«تلك». إشارة إلى الأحكام التي تقدّمت في أمر اليتامى و الوصايا و المواريث. «حدود الله»: شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لايجوز مجاوزتها. و توحيد الضمير في يدخله و جمع خالدين للّفظ و المعنى. و قرأ نافع و ابن‌عامر: «ندخله» بالنون. و خالدين حال مقدّرة. و كذلك خالداً. و ليستا صفتين لجنّات و ناراً، و إلّا لوجب إبراز الضمير، لأنّهما جريا على غير من هما له.[٣]

[١٥] «وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً».

«و اللّاتي» ـ الآية. عن أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن هذه الآية. قال: هذه منسوخة. قال: قلت: كيف كانت؟ قال: كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٥.
٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٨٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٥.

أدخلت بيتاً و لم تحدّث و لم تكلّم و لم تجالس و أوتيت بطعامها و شرابها حتّى تموت. قلت: فقوله: «أو يجعل الله لهنّ سبيلاً»؟ قال: جعل السبيل الجلد و الرجم و الإمساك في البيوت.[١]

«و اللّاتي يأتين الفاحشة» ـ الآية. «يأتين»؛ أي: يفعلنها. و الفاحشة: الزنى، لزيادة فحشها. و نقل في مجمع البيان إجماع المفسّرين على أنّ المراد بها الزنى. «من نسائكم»: من زوجاتكم، أو من الحرائر، أو نسائكم المؤمنات. فاطلبوا ممّن ادّعى إتيانهنّ الفاحشة أربعة من رجال المؤمنين يشهدون عليهنّ. و الخطاب للحكّام و الأئمّة. و ذلك عند عدم الإقرار بالفاحشة. و فيها دلالة على أنّ عدد الشاهد في الزنى أربعة رجال من المسلمين، فلاتسمع شهادة النساء منفردات و لا منضمّات: «فإن شهدوا». يعني الأربعة. «فأمسكوهنّ»: فاحبسوهنّ في البيوت و اجعلوها سجناً عليهنّ حتّى يتوفّاهنّ ملك الموت. و الأكثر من المفسّرين على أنّ الآية منسوخة، لأنّ الفرض أوّل الإسلام كان إذا زنت المرأة أن تحبس في البيوت أبداً حتّى تموت، ثمّ نسخ بالرجم في المحصن و الجلد في البكر. و يحتمل أن يكون المراد منها التوبة بإمساكهنّ بعد أن يجلدن كيلايجري عليهنّ ما جرى بسبب الخروج و التعرّض للرجال. و يكون عدم ذكر الحدّ استغناء عنه بقوله: «الزانية و الزاني» ـ الآية.[٢] و على هذا فلايكون منسوخة. و احتمل بعضهم أن يكون المراد بالفاحشه المساحقة. و يؤيّده عدم ذكر الرجال و تخصيص الحكم بالنساء. و قال الراونديّ: و هذا خلاف ما عليه المفسّرون. لأنّهم متّفقون على أنّ الفاحشة المذكورة في الآية هي الزنى؛ و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. «أو يجعل الله لهنّ سبيلاً» كتعيين الحدّ المخلّص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح. و يؤيّد الأوّل ما رواه عبادة بن الصامت أنّه لمّا نزل قوله تعالى: «الزانية و الزاني فاجلدوا» ـ الآية، قال النبيّ صلّى الله عليه و آله: خذوا عنّي. قد جعل الله لهنّ سبيلاً. البكر بالبكر جلد مائة و تغريب عام. و الثيّب بالثيّب جلد مائة و الرجم. و على هذا لايتمّ النسخ. لأنّ

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٧.
٢ـ النور (٢٤) / ٢.

الحبس حينئذ لم يكن مؤبّداً بل ممتدّاً إلى غاية و ظاهر أنّ بيان الغاية لايكون نسخاً.(١)

[١٦] «وَ الَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً».

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت: قوله: «و اللّذان يأتيانها منكم»؟ قال: يعني البكر إذا أتت الفاحشة التي أتتها هذه الثيّب. « فآذوهما» قال: تحبس.(٢)

«و اللّذان» ـ الآية. يريد الزاني و الزانية. «فآذوهما»: فوبّخوهما و ذمّوهما و قولوا لهما: أما استحييتما؟ أما خفتما الله؟ «فإن تابا و أصلحا» و غيّرا الحال «فأعرضوا عنهما» و اقطعوا التوبيخ و المذمّة. فإنّ التوبة تمنع استحقاق الذمّ و العقاب. و يحتمل أن يكون خطاباً للشهود العاثرين على سرّهما و يراد بالإيذاء ذمّهما و تهديدهما و تعنيفهما بالرفع إلى الإمام و الحدّ. فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام، فأعرضوا عنهما و لاتتعرّضوا [لهما]. و قيل: نزلت الأولى في السحّاقات و هذه في اللّواطين.(٣)

«و اللّذان». ابن كثير بتشديد النون.(٤)

من شدّد النون من «اللّذان» فقد قصد التعويض من الياء المحذوفة.(٥)

قيل: إنّ هذه الآية في البكرين خاصّة دون الثيّبين. و الأولى في الثيّبين دون البكرين. و نسختا آية الجلد و الرجم.(٦)

«و اللّذان يأتيانها». قيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً. و كان عقوبة الزناة الأذى، ثمّ الحبس، ثمّ الجلد. «إنّ الله» ـ الآية. علّة الأمر بالإعراض و ترك المذمّة.(٧)

[١٧] «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٨٩ ـ ١٩٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
٣ـ الكشّاف ١ / ٤٨٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٣.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣٣.
٦ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٩١.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٦.

يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً».

«إنّما التوبة»؛ أي: لا توبة مقبولة عند الله إلّا للّذين يعملون السوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب. و اختلف في معنى قوله: «بجهالة» على وجوه. أحدها: انّ كل معصية يفعلها العبد جهالة، و إن كانت على سبيل العمد. لأنّه يدعو إليها الجهل و يزيّنها للعبد. عن جماعة من المفسّرين. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. فإنّه قال: كلّ ذنب عمله العبد، و إن كان عالماً، فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه. فقد حكى الله قول يوسف: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه إذ أنتم جاهلون».[١] فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله. و ثانيها: انّ معنى قوله: «بجهالة» أنّهم لايعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة. عن الفرّاء. و ثالثها: انّ معناه أنّهم يجهلون أنّها ذنوب و معاص يفعلونها إمّا بتأويل يخطئون فيه و إمّا أن يفرّطوا في الاستدلال على قبحها. و ردّ هذا بأنّه خلاف ما أجمع عليه المفسّرون.[٢]

عن الصادق عليه السلام: إذا بلغت النفس هاهنا ـ و أشار بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة. ثمّ قرأ: «إنّما التوبة» ـ الآية.[٣]

«ثمّ يتوبون من قريب»: من زمان قريب. أي: قبل حضور الموت؛ لقوله تعالى: حتّى «حضر أحدهم الموت». و سمّاه قريباً لأنّ أمد الحياة قريب. أو: قبل أن يشرب في قلوبهم حبّه فيطبع عليها فيتعذّر عليهم الرجوع. و من للتبعيض. أي: يتوبون في أيّ جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزيّن السوء. «فأولئك». وعد بالوفاء بما وعد به. «عليماً»: يعلم بإخلاصهم في التوبة. «حكيماً» فلايعاقب التائب.[٤]

[١٨] «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

١ـ يوسف (١٢) / ٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦.
٣ـ الكافي ١ / ٤٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٦.

«و ليست التوبة» ـ الآية. سوّى بين من سوّف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة و الكفّار و بين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة. فكأنّه قال: و توبة هؤلاء و عدم توبة هؤلاء سواء. و قيل: المراد بالّذين يعملون السوء عصاة المؤمنين، و بالّذين يعملون السيّئات المنافقون لتضاعف كفرهم و سوء أعمالهم، و بالّذين يموتون الكفّار. «أولئك». تأكيد لعدم قبول توبتهم و بيان أنّ العذاب أعدّه لهم. و الاعتداد: التهيئة. من العتاد؛ و هو العدّة. و قيل: أصله: أعددنا، فأبدلت الدال الأولى تاء.[1]

[١٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَ لَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً».

«لايحلّ لكم أن ترثوا النساء». كان الرجل إذا مات و له عصبة، ألقى ثوبه على امرأته و قال: أنا أحقّ بها، ثمّ إن شاء تزوّجها بصداقها الأوّل، و إن شاء زوّجها غيره و أخذ صداقها، و إن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها. فنهوا عن ذلك. و قيل: لايحلّ لكم أن تأخذوهنّ على سبيل الإرث فتزوّجوهنّ كارهات لذلك أو مكروهات عليه. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «كُرْهاً» بالضمّ في مواضعه. و هما لغتان. و قيل: بالضمّ المشقّة. و بالفتح ما يكره عليه.[2]

«لايحلّ لكم» ـ الآية. عن أبي جعفر عليه السلام: انّه كان في الجاهليّة في أوّل الإسلام في قبائل العرب إذا مات حميم الرجل و له امرأة، ألقى الرجل ثوبه عليها و ورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها، يرث نكاحها كما يرث ماله. فلمّا مات رجل اسمه أبوقبيس، ألقى ابنه ثوبه على امرأته كبيئة فورث نكاحها، ثمّ تركها لايدخل بها و لاينفق عليها. فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله و قالت: إنّ ابن زوجي ورثني ـ يعني نكاحي ـ من أبيه فلايدخل و لاينفق

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٦.

عليّ و لايخلّي سبيلي فألحق بأهلي. فقالﷺ: ارجعي إلى بيتك. فإن يحدث الله في شأنك شيئاً أعلمتكيه. فنزل: «و لاتنكحوا ما نكح آباؤكم» ـ الآية ـ فلحقت بأهلها. و كانت نسوة في المدينة قد ورث نكاحهنّ مثلها غير أنّه ورثهنّ غير الأبناء، فأنزل الله: «يا أيّها الذين آمنوا لايحلّ لكم أن ترثوا النساء» ـ الآية.(١)

«النساء». يعني نكاح النساء. «لايحلّ لكم أن ترثوا النساء»؛ أي: ليس لكم أن تحبسوهنّ على كره منهنّ طمعاً في ميراثهنّ. و قيل: ليس لكم أن تسوؤوا صحبتهنّ ليفتدين بما لهنّ أو بما سقتم لهنّ من مهورهنّ، أو ليمتن فترثوهنّ. «و لاتعضلوهنّ»؛ أي: لاتحبسوهنّ. و قيل: لاتمنعوهنّ عن النكاح. «لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ». و اختلف في المعنيّ بهذا النهي. فقيل: إنّه الزوج. أمر الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة و أن لايمسكها إضراراً بها حتّى تفتدي ببعض مالها. و هو المرويّ عن أبي عبداللهعليه السلام. و قيل: الوارث. نهي عن منع المرأة من التزويج كما كان يفعله أهل الجاهليّة. و قيل: إنّه المطلّق. أي لايمنع المطلّقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهليّة ينكح المرأة الشريفة فإذا لم توافقه فارقها على أن لاتتزوّج إلّا بإذنه و يشهد عليها بذلك و يكتب كتاباً فإذا خاطبها خاطب فإن أرضته أذن لها و إن لم تعطه شيئاً عضلها. فنهى الله عن ذلك. و قيل: إنّه الوليّ خوطب بأن لايمنعها عن النكاح. و القول الأوّل أصحّ و أظهر.(٢)

«و لاتعضلوهنّ». عن أبي عبداللهعليه السلام قال: الرجل يكون له المرأة فيضربها حتّى تفتدي منه. فنهى الله عن ذلك.(٣)

«إلّا أن يأتين». فقد عذرتم في طلب الخلع حينئذ.(٤)

«مبيّنة». ابن‌كثير و أبوبكر بفتح الياء. أي: ظاهرة. فيه قولان. أحدهما: يعني: إلّا أن يزنين. و الآخر: انّ الفاحشة النشوز. و الأولى حمل الآية على كلّ معصية. و هو المرويّ عن

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٢٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤٩٠، و جوامع الجامع ١ / ٢٨٥.

أبي جعفر عليه السلام. و أمّا الاستثناء، فقيل: هو من أخذ المال. و هو قول أهل التفسير. و قيل: كان هذا قبل الحدود و كان الأخذ منهنّ على وجه العقوبة لهنّ، ثمّ نسخ. و قيل: هو الحبس و الإمساك، على ما تقدّم في قوله: «فأمسكوهنّ في البيوت». «و عاشروهنّ» في أداء حقوقهنّ و القسمة لهنّ. و قيل: أن يتصنّع لها كما تتصنّع له. «فإن كرهتموهنّ»؛ أي: كرهتم صحبتهنّ. «فعسى أن تكرهوا شيئاً». و هو هنا الإمساك. «يجعل الله فيه خيراً» من ولد يرزقكم، أو عطف لكم عليهنّ بعد الكراهة. و المعنى: إن كرهتموهنّ فلاتعجلوا طلاقهنّ. لعلّ الله يجعل فيهنّ خيراً كثيراً. و في هذا حثّ للأزواج على حسن الصبر فيما يكرهون و ترغيبهم في إمساكهنّ مع كراهة صحبتهنّ إذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال. و قيل: المعنى: و يجعل الله في فراقكم لهنّ خيراً كثيراً؛ كما قال: «و إن يتفرّقا» ـ الآية[1].[2]

«عسى أن تكرهوا». عسى في الأصل علّة الجزاء فأقيم مقامه. و المعنى: فإن كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ.[3]

[٢٠] «وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِيناً».

«استبدال زوج»؛ أي: تطليق امرأة و تزوّج أخرى. «إحداهنّ»؛ أي: إحدى الزوجات. جمع الضمير لأنّه أراد بالزوج الجنس. «منه»؛ أي: من القنطار. «أ تأخذونه». استفهام إنكار و توبيخ. أي: أ تأخذونه باهتين و آثمين. و يحتمل النصب على العلّة؛ كما في قولك: قعدت عن الحرب جبناً. لأنّ الأخذ بسبب بهتانهم و اقترافهم المآثم. قيل: كان الرجل منهم إذا أراد [امرأة] جديدة، بهت التي تحته بفاحشة حتّى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوّج الجديدة. فنهوا عن ذلك. و البهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه. و قد يستعمل في الفعل الباطل. و لذلك فسّر هاهنا بالظلم.[4]

١ـ النساء (٤) / ١٣٠

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠ ـ ٤١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٧.

القنطار: المال العظيم. من قنطرت الشيء، إذا رفعته. و منه: القنطرة، لأنّها بناء مشيّد.(١)

[٢١] «وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضىٰ بَعْضُكُمْ إِلىٰ بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً».

«و قد أفضى بعضكم إلى بعض». كناية عن الجماع. و قيل: المراد به الخلوة الصحيحة و إن لم يجامع. فسمّى الخلوة إفضاء لوصوله بها إلى مكان الوطي. و كلا القولين قد رواه أصحابنا. و عن ابن عبّاس: انّ الإفضاء حصوله معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها. فقد وجب المهر في الحالين. «ميثاقاً غليظاً». هو العهد المأخوذ من الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: المراد به كلمة النكاح التي يستحلّ بها الفروج. و قد قيل في هاتين الآيتين ثلاثة أقوال. أحدهما: انّهما محكمتان غير منسوختين، لكن للزوج أن يأخذ الفدية من المختلعة. لأنّ النشوز حصل من جهتها، فالزوج يكون في حكم المكره لا المختار للاستبدال. فلا نسخ بآية الخلع. و هو قول أكثر المفسّرين. و ثانيها: انّهما محكمتان و ليس للزوج أن يأخذ من المختلعة شيئاً و لا من غيرها لأجل ظاهر الآية. و ثالثها: انّ حكمهما منسوخ بقوله: «فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله، فلا جناح عليهما فيما افتدت به».(٢) (٣)

«ميثاقاً غليظاً»: أي: عهداً وثيقاً. و هو حقّ الصحبة و الممازجة. و وصفه بالغلظة لقوّته و عظمته. فقد قالوا: صحبة عشرين يوماً قرابة. فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتّحاد و الامتزاج؟(٤)

[٢٢] «وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ أَنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ سَاءَ سَبِيلاً».

١ـ الكشّاف ١ / ٤٩١.

٢ـ البقره (٢) / ٢٢٢.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٤٢.

٤ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٤٢.

«و لاتنكحوا»؛ أي: لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم. و إنّما ذكر «ما» دون مَن، لأنّه أريد به الصفة. و قيل: ما مصدريّة على إرادة المفعول من المصدر. «إلّا ما قد سلف». استثناء من المعنى اللّازم للنهي. و كأنّه قيل: تستحقّون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلّا ما قد سلف. أو من اللّفظ للمبالغة في التحريم و التقرير؛ كقوله: «و لا عيب فيهم». و قيل: الاستثناء منقطع و معناه: لكن ما قد سلف فإنّه لا مؤاخذة عليه، لا أنّه مقرّر.(١)

إذا كان من قبيل «و لا عيب فيهم» يكون المعنى: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فانكحوه فلايحلّ لكم غيره. و ذلك غير ممكن و الغرض المبالغة في تحريمه و سدّ الطريق إلى إباحته؛ كما يعلّق بالمحال في قوله: حتّى تبيضّ القار، و حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط.(٢)

«إلّا ما قد سلف». إنّما استثنى ما قد مضى ليعلم أنّه لم يكن مباحاً لهم. «إنّه كان فاحشة»؛ أي: زنًى. «و مقتاً»؛ أي: يورث بغض الله.(٣)

«إنّه». علّة للنهي. أي: إنّ نكاحهنّ كان فاحشة عند الله ما رخّص فيه لأمّة من الأمم، ممقوتاً عند ذوى المروّات. و لذلك سمّي [ولد] الرجل من زوجة أبيه المقتيّ. «ساء سبيلاً». أي سبيل من يراه و يفعله.(٤)

[٢٣] «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً».

«حرّمت عليكم أمّهاتكم» ـ الآية. التحريم في هذه المواضع ينصرف إلى [الغرض الأصليّ المقصود من الذات التي تعلّق بها] التحريم، لأنّه المقصود و هو تحريم نكاحهنّ. و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٧.
٢ـ الكشّاف ١ / ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٤٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٧.

الأمّهات جمع أمّ و الهاء مزيدة. و قد يجيء على أمّات. و قيل: الأمّهات للإنسان و الأمّات لغيره. و المراد تحريم الأمّ و إن علت، كما أنّ المراد بالبنت البنت و إن نزلت. «و أخواتكم». أي بغير واسطة. «و عمّاتكم و خالاتكم». يعني و إن علون. و كذلك «بنات الأخ» و «بنات الأخت». هذا هو التحريم النسبيّ و لا خلاف فيه و يتحقّق في العقد الصحيح و الشبهة. أمّا الزنى كالبنت المخلوقة منه، فأصحابنا أجمع على أنّه كذلك. و ذهب الشافعيّ و مالك إلى جواز نكاحها لأنّها منتفية عنه شرعاً. و هو باطل؛ لأنّها ابنته في اللّغة. «و أمّهاتكم اللّاتي». إشارة إلى المحرّمات بالرضاع. «و أمّهات نسائكم و ربائبكم». إشارة إلى حرمة المصاهرة. و الربيب: ولد المرأة من آخر. سمّي به لأنّه يربّيه في الغالب كما يربّي ولده. فهو فعيل بمعنى مفعول. و إنّما لحقه التاء لأنّه صار اسماً. و التقييد بكونها في حجره نظراً إلى الغالب و لما فيه من تكميل العلّة ـ لأنّهنّ إذا كنّ في الحجور تعظم المشابهة بينهم و بين البنات ـ لا أنّ المراد تقييد الحكم، لإجماعنا على خلافه. و ما رواه العامّة عن عليّ عليه السلام أنّه اشترطه كذب و افتراء. لأنّ الأئمّة عليهم السلام رووا عنه أنّه عليه السلام قال: كنّ في الحجور أم لم يكنّ. «من نسائكم اللّاتي دخلتم بهنّ». قيد في الربائب. و لا يجوز تعلّقه بالأمّهات أيضاً. لأنّ مِنْ إذا تعلّقت بالربائب تكون للابتداء و إذا تعلّقت بالأمّهات تكون لبيان النساء و استعمال المشترك في معنييه مرغوب عنه في الكلام الفصيح. مع أنّ الأخبار و الإجماع دلّا على خصوص التعلّق بالأخير. و المراد بالدخول المعتبر في التحريم الوطي، لأنّه المتبادر منه. و نقل الطبرسيّ قولاً آخر و هو ما يجري مجرى الجماع من المسيس و التجريد، ثمّ قال: و هو مذهبنا. و لعلّه أراد البعض هنا كابن الجنيد؛ فإنّه حكم بتحريم البنت مع القبلة أو الملامسة أو النظر إلى عورة الأمّ. و هو مذهب الشيخ في الخلاف و ادّعى عليه الإجماع و لم يثبت. «و حلائل أبنائكم». جمع حليلة. و المراد هنا زوجة البنين الذين من أصلابكم لا الذين سمّيتموهم أولاداً و يعبّر عنهم بالأدعياء. فإنّه لا يحرم زوجاتهم كما في حكاية زيد. و ليس التقييد لخروج ولد الولد. فإنّه من صلبه قطعاً و إن كان بواسطة. «و أن تجمعوا بين الأختين». عطف على التحريم. و

المراد عندنا التحريم في العقد و الوطي لا الملك، كما ذهب إليه بعضهم نظراً إلى إطلاق لفظ الآية. و حكوا عن عثمان تحليل الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطي ترجيحاً لقوله تعالى: «أو ما ملكت أيمانكم». و هو خلط. «إلّا ما قد سلف». [استثناء عن لازم المعنى،] أو منقطع على معنى: ولكن ما مضى مغفور.

«و بنات الأخت». يتناول القربى و البعدى.[١]

«أرضعنكم». ظاهر اللّفظ اعتبار عدد من الرضعات. فقول أبي‌حنيفة بتحريم ما يفطر الصائم نظراً إلى الإطلاق بعيد. (ع)

«و حلائل أبنائكم». عن الباقر عليه السلام أنّه قال: يا أبا الجارود، ما يقولون لكم في الحسن و الحسين عليهما السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه و آله. فقال عليه السلام: لأعطينّك من كتاب الله أنّهما ابنا رسول الله من صلبه لا يردّه إلّا كافر. قلت: و أين ذلك؟ قال: من قوله تعالى: «و حلائل أبنائكم». فاسألهم: هل كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه و آله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا و فجروا. و إن قالوا: لا، فهما ابناه لصلبه.[٢]

«حلائل». سمّيت الزوجة حليلة لحلّها أو لحلولها مع الزوج.[٣]

[٢٤] «وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً».

«ما ملكت أيمانكم» من اللّاتي سبين و لهنّ أزواج في دار الكفر. فإنّ وطأهنّ جائز.[٤]

«و أحلّ». قرأ أهل الكوفة إلّا أبابكر و أباجعفر بالضمّ و كسر الحاء، و الباقون بفتح

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٨.
٢ـ الكافي ٨ / ٣١٧، ح ٥٠١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٨.
٤ـ الكشّاف ١ / ٤٩٧.

الهمزة و الحاء.[١]

«و المحصنات». قرأ الكسائيّ بكسر الصاد، لأنّهنّ أحصنّ فروجهنّ. «محصنين». الإحصان: العفّة. فإنّها تحصين للنفس عن اللّوم و العقاب. «غير مسافحين». السفاح: الزنى. من السفح؛ و هو صبّ المنيّ. فإنّه الغرض منه. «عليماً» بالمصالح. «حكيماً» فيما شرع من الأحكام.[٢]

«و المحصنات»: ذوات الأزواج، حصنهنّ التزويج. و هو عطف على التحريم. «و أحلّ». بفتح الهمزة، عطف على الفعل المضمر الذي نصب «كتاب الله» سابقاً. أي: كتب الله عليكم تحريم المذكورات و أحلّ لكم. و إن كان بضمّ الهمزة، فهو عطف على حرّمت عليكم. و على التقديرين فهو عامّ خصّ بالمنفصل من الأخبار بل الإجماع الدالّ على تحريم [نكاح] المرأة على عمّتها و خالتها بغير رضاهما و على تحريم الحربيّة و المرتدّة و نحو ذلك. «أن تبتغوا». مفعول له بمعنى أنّه سبحانه يبيّن لكم ما يحلّ ممّا يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم. «بأموالكم» كالمهر المدفوع إليهنّ. «محصنين غير مسافحين». منصوبين على الحال من فاعل تبتغوا و مفعوله مقدّر و هو النساء. و يحتمل أن لايقدّر له مفعول؛ فكأنّه قيل: إرادة أن تصرفوا أموالكم حال كونكم محصنين لا حال كونكم مسافحين، لئلّا تضيّعوا أموالكم فيما لايحلّ لكم. و استدلّ الحنفيّة بظاهر الآية على أنّ المهر لابدّ أن يكون مالاً و لايجوز أن يكون منفعة كتعليم سورة، لأنّ الابتغاء بالمال اسم للأعيان لا المنافع. و يجوز عندنا إصداق المنافع و الآية خرجت مخرج الغالب. مع أنّ الاستدلال إنّما جاء من مفهوم اللّقب و هو غير حجّة. «فما استمتعتم به منهنّ»: فمن تمتّعتم به من النساء المحلّلات لكم. و التعبير بما ذهاباً إلى الوصف. و الاستمتاع و التمتّع بمعنىً واحد. «أجورهنّ». و هو ما يقع عليه العقد. «فريضة». حال من الأجور بمعنى مفروضة. و الأكثر من العلماء على أنّ الآية نزلت في مشروعيّة المتعة؛ و هي النكاح إلى أجل. و على ذلك أصحابنا الإماميّة و ابن‌عبّاس و السدّيّ و سعيد بن

١ـ مجمع البيان ٣ / ٤٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠٩.

جبير و جماعة من الصحابة و التابعين. لأنّ لفظ الاستمتاع، و إن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع و الالتذاذ ـ كما فسّر المنكرون الآية به ـ إلّا أنّه في عرف الشرع صار مخصوصاً بهذا المنقطع. فالمعنى حينئذ: فتى عقدتم عليهنّ هذا العقد المخصوص. و قد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبيّ بن كعب و ابن عبّاس و ابن مسعود أنّهم قرؤوا: «فما استمتعتم به إلى أجل فآتوهنّ أجورهنّ». و هو نصّ على المطلوب. و ممّا يدلّ أيضاً على أنّه لايجوز أن يراد بالاستمتاع التلذّذ و الجماع ـ كما قالوه ـ أنّه لو كان كذلك، لوجب أن لايلزم المهر من لاينتفع من المرأة، و قد علمنا أنّه لو طلّقها قبل الدخول، لزم نصف المهر. و أمّا أخبارنا، فهي مشحونة و متواترة بإرادة المتعة من هذه الآية. و في كثير منها أنّ الآية نزلت: «إلى أجل» و حذفه الزنادقة كغيره. و كلامهم في هذه المسألة في غاية الاضطراب؛ كما يظهر بالتتبّع. «فيما تراضيتم». معناه ـ على ما ذهب إليه الجمهور من أنّ المراد بالاستمتاع و الانتفاع و الجماع ـ أنّه لا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة المهر أو نقصانه أو حطّه أو براءته. و قال السدّيّ ـ و هو الموافق لمذهبنا و دلّت عليه أخبارنا ـ: إنّه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدّة المضروبة في عقد المتعة يزيدها الرجل في الأجر و تزيده المرأة في المدّة.

[٢٥] «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَ لَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«طولاً». الطول: الغنى و الزيادة.[١]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٠.

«أن ينكح المحصنات». أن ينكح في موضع النصب بيستطيع أو بفعل مقدّر صفة له. أي: من لم يستطع نكاح المحصنات، أو لم يستطع غنًى يبلغ به نكاح المحصنات؛ يعني: الحرائر المسلمات، «فمن ما ملكت»؛ أي: فليتزوّج من جنس ما ملكتم «من فتياتكم»؛ أي: إماء الغير المسلمات. يعني يجوز التزويج بهنّ عن عدم استطاعة الطول لنكاح الحرّة. «و الله أعلم بإيمانكم» فيعلم ما بينكم و بين إمائكم من التفاضل فيه. فربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرّة. و من حقّ المؤمن أن يعتبر فضل الإيمان لا فضل النسب. و المراد تأنيسهم بنكاح الإماء و منعهم عن الاستنكاف منه. «بعضكم من بعض»: أنتم و أرقّاؤكم متناسبون، نسبكم من آدم و دينكم الإسلام. فلاتأبوا نكاح الإماء. لأنّ المدار على الجنسيّة و لا تفاضل بينكم في الجنسيّة. نعم؛ تفاضلكم بالإيمان، و هو أمر لايعلمه إلّا الله.[١]

«بعضكم من بعض»؛ يعني: الأب واحد ـ أعني آدم ـ و الدين دين الإسلام. فلاينبغي أن يعيّر بعضكم بعضاً بالهجنة من جهة تزويج الإماء.[٢]

«بالمعروف»؛ أي: بغير مطل و إضرار و إحواج إلى الاقتضاء. «محصنات»: عفائف غير مجاهرات بالسفاح؛ بقرينة قوله: «و لا متّخذات أخدان»: أخلاء في السرّ. أي: مسرّات السفاح. جمع خِدْن؛ و هو الخليل سرّاً. و عن ابن‌عبّاس أنّه كان قوم في الجاهليّة يحرّمون ما ظهر من الزنى و يستحلّون ما خفي منه، فنهى الله عن الزنى سرّاً و جهراً. و هي كلّها أحوال عن المفعول. «فإذا أحصنّ» بالتزويج. أي: إذا زوّجن و أحصنّ من الزنى بالتزويج.[٣]

«محصنات»؛ أي: تزوّجوهنّ عفائف غير زوان. «فإذا أحصنّ». أهل الكوفة بفتح الهمزة.[٤]

«و أن تصبروا»؛ أي: و صبركم عن نكاح الإماء بعد شروطه المستحبّة متعفّفين «خير لكم» من تزويجكم بهنّ، لما فيه من المفاسد. و قد روي عنه ﷺ: الحرائر صلاح البيت و

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٥٥.
٣ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٥٥.

الإماء هلاكه. و هذا كالمؤيّد لجواز نكاح الإماء مطلقاً، لأنّ المراد أنّ ترك التزويج بالإماء خير بدون الشرطين لا معهما. فإنّه مع العنت يجب التزويج حذراً من الوقوع في الزنى أو الضرر. «غفور»؛ أي: غفور لمن لم يصبر. «رحيم» بشرع الرخص في الإماء.[١]

«فإن أتين بفاحشة»؛ أي: زنين.[٢]

«أهلهنّ». مواليهنّ و أربابهنّ. و يدلّ على أنّ نكاح الأمة لا يجوز بدون إذن اربابها سواء كان النكاح دائماً أو منقطعاً، و سواء كان المولى رجلاً أو امرأة. و هو المشهور عندنا. و للشيخ في التبيان قولٌ بجواز العقد المنقطع على مملوكة المرأة من غير إذنها، تعويلاً على رواية سيف بن عميرة. و تحقيقه في كتب الفروع. «و آتوهنّ»: أدّوا إليهنّ مهورهنّ بإذن أهلهنّ. أو المراد: فآتوا مواليهنّ، بحذف المضاف. «ما على المحصنات»؛ أي: الحرائر «من العذاب»؛ أي: الحدّ. و هو في الزنى مائة جلدة نصفها خمسون. و لا رجم لأنّ الرجم... .

[٢٦] «يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«ليبيّن لكم» ما تعبّدكم به من الحلال و الحرام، أو ما خفي عليكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم. و ليبيّن مفعول يريد. و اللّام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللّازم للإرادة. و قيل: المفعول محذوف و ليبيّن مفعول له، أي يريد الحقّ لأجله. «سنن الذين من قبلكم»: مناهج من تقدّمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقتهم. «و يتوب عليكم»؛ أي: يغفر لكم ذنوبكم، أو يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي و يحثّكم على التوبة، أو إلى ما يكون كفّارة لسيّئاتكم. «و الله عليم» بها «حكيم» في وضعها.[٣]

[٢٧] «وَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٠٩ ـ ٢١٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٠ ـ ٢١١.

عَظِيماً».

«و الله يريد». كرّره للتأكيد و المبالغة. «و يريد الذين يتّبعون»؛ يعني: الفجرة. فإنّ اتّباع الشهوات الائتمار لها. و أمّا المتعاطي لما سوّغه الشرع منها دون غيره، فهو متّبع له في الحقيقة لا لها. و قيل: اليهود. فإنّهم يحلّون الأخوات من الأب و بنات الأخ و الأخت. «أن تميلوا» بموافقتهم على اتّباع الشهوات و استحلال المحرّمات.(١)

[٢٨] «يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَـنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً».

«أن يخفّف عنكم». فلذلك شرع لكم الشريعة السـمحة السهـلة و رخّـص لكـم في المضايق كإحلال نكاح الأمة. «ضـعيفاً» لايـصبر عـن الشهـوات و لايـتحمّل مشـقّة الطاعات.(٢)

[٢٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَـيْنَـكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً».

«و لاتقتلوا أنفسكم» بارتكاب المعاصي و الآثام. فإنّ ذلك هو القتل للنفس حقيقة. أو: لاتقتلوا أنفسكم بإلقائها إلى التهلكة ليتّفق قتلها. أو: لاتقتلوها حقيقة كما يـفعله بـعض الجهلة حينما يعرض له غمّ أو خوف شديد. و في الحديث عنه ﷺ أنّه قال: من قتل نفسه، عذّب في النار خالداً فيها. أو: و لايقتل بعضكم بعضكم. فإنّكم بمثابة نفس واحدة. [أو] لأنّكم إذا قتلتم غيركم قُتِلتم به قصاصاً فيكون قد قتلتم أنفسكم. و قيل: إنّ الكلام على ظاهره. فإنّ الله كلّف بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ليكون القتل توبة لهم عن ذنوبهم و رفع ذلك عن أمّة محمّد ﷺ رحمة لهم. كما أشار إليه بقوله: «كان بكم رحيماً». و قيل: إنّ من قتل النفس أن يغتسل في البرد في الذي يسوغ له التيمّم.

«لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»: بما لم يبحه الشرع كالغصب و القمار. «إلّا أن تكون».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١١.

استثناء منقطع. أي: ولكن كون تجارة عن تراض غير منهيّ عنه. أو اقصدوا كون تجارة، و عن تراض صفة تجارة. أي: تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين. و تخصيص التجارة من الوجوه التي يحلّ بها تناول مال الغير لأنّها أغلب و أوفق بذوي المروّات. و يجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً. و قيل: المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لايرضاه الله، و بالتجارة صرفه فيما يرضاه. و قرأ الكوفيّون: «تجارةً» بالنصب، على كان الناقصة و إضمار الاسم. أي: إلّا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة.[1]

«بالباطل»: الربا و القمار و البخس و الظلم. و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام. «تجارة»؛ أي: مبايعة. و قيل في معنى التراضي قولان: أحدهما أنّه إمضاء البيع بالتفرّق أو التخاير بعد العقد. و هو مذهب الإماميّة و الشافعيّة. و ثانيهما أنّه البيع بالعقد فقط. عن مالك و أبي حنيفة.[2]

«و لاتقتلوا أنفسكم». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغارات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف شاء. فنهاهم الله أن يدخلوا عليهم في المغارات.[3]

عن أبي عبدالله عليه السلام: معناه: لاتخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لاتطيقونه.[4]

كان الرجل إذا خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الغزو، يحمل على العدوّ وحده من غير أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله. فنهى الله أن يقتل نفسه من غير أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.[5]

[٣٠] «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَاناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً».

«يفعل ذلك»؛ أي: القتل، أو جميع ما تقدّم من المحرّمات. «نصليه ناراً»: ندخله إيّاها.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١١.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٥٩.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٦٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٣٦.

«على الله يسيراً» لا عسر فيه و لا صارف عنه.(١)

«عدواناً»: إفراطاً في التجاوز عن الحقّ و إتياناً بما لايستحقّ. و قيل: أراد بـالعدوان التعدّي على الغير و بالظلم التعدّي على نفسه بتعريضها للعقاب.(٢)

[٣١] إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُـكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّـئَاتِكُمْ وَ نُـدْخِلْكُمْ مُـدْخَلاً كَرِيماً ».

«نكفّر عنكم سيّئاتكم»: أي: نغفر لكم صغائركم و نمحها عنكم. و اختلف في الكبائر. و الأقرب أنّ الكبيرة كلّ ذنب رتّب الشارع عليه حدّاً أو صرّح بالوعيد فيه. و قيل: ما علم حرمته بقاطع. و عن ابن‌عبّاس: الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع. و قيل: أراد هاهنا أنواع الشرك؛ لقوله: «إنّ الله لايغفرأن يشرك به و يغفر ما دون ذلك». و قيل: صغر الذنوب و كبرها بالإضافة إلى ما فوقها و ما تحتها. فأكبر الكبائر الشرك. و أصغر الصغائر حديث النفس. و ما بينهما وسائط يصدق عليها الأمران. فمن عنّ له أمران منها و دعت نفسه إليهما بحيث لايتمالك فكفّها عن أكبرهما، كفّر عنه ما ارتكبه لما استحقّه من الثواب على اجتناب الأكبر. و لعلّ هذا ممّا يتفاوت باعتبار الأشخاص و الأحوال. ألاترى أنّه تعالى عـاتب نبيّه عليه السلام في كثير من خطراته التي لم‌تعدّ على غيره خطيئة فضلاً عن أن يؤاخـذه عـليها؟ «مدخلاً كريماً»: الجنّة و ما وعده من الثواب. أو: إدخالاً مع كرامة. و قرأ نافع بفتح الميم. و هو أيضاً يحتمل المكان و المصدر.(٣)

قيل: الكبائر سبع: و هو الشرك بالله، و قتل النفس، و قذف المحصنات، و أكل مال اليتيم، و الزنى، و الفرار عن الزحف، و عقوق الوالدين. و قيل: عشرون: السبع المذكور، و اللّواط، و السحر، و الغيبة، و الحلف بالكذب، و الربا، و اليأس من رحمة الله، و الأمن من مكر الله، و ....

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١١ ـ ٢١٢.

٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ٣٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٢.

«إن تجتنبوا كبائر»؛ أي: تتركوا جانباً كبائر ما تنهون عنه. و حكى الطبرسيّ عن علمائنا رحمهم الله أنّ الذنوب كلّها كبائر.(١) و ردّ عليه جماعة من المتأخّرين باشتهار الخلاف فيما بين علمائنا كاشتهار الخلاف بين الجمهور. عن الصادق عليه السلام: الكبائر ما توعّد الله عليه النار.(٢) أقول: سمعت ممّن أثق به من مشايخي أنّه تتبّع الذنوب التي توعّد عليها النار فوجدها ممّا يقرب من السبعين.

[٣٢] «وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً».

«و لاتتمنّوا ما فضّل الله». النزول. قيل: جاءت وافدة النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، أليس الله ربّ الرجال و النساء و أنت رسول الله إليهم جميعاً؟ فما بالنا يذكر الله الرجال و لايذكرنا؟ نخشى أن لايكون فينا خير و لا لله فينا حاجة. فنزلت هذه الآية. و قيل: إنّ أمّ سلمة قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله يغزو الرجال و لاتغزو النساء. و إنّما لنا نصف الميراث. فليتنا رجال فنغزو و نبلغ ما يبلغ الرجال. فنزلت الآية. و قيل: لمّا نزلت آية المواريث قال الرجال: نرجو أن نفضّل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضّلنا عليهنّ في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء. و قالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم. فنزلت الآية. «و لاتتمنّوا»؛ أي: لايقل أحدكم: ليت لي من المال ما لفلان و نحو ذلك. فإنّه حسد. ولكن يقول: اللّهمّ أعطني مثله. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: المعنى: لايجوز للرجل أن يتمنّى أن لو كان المرأة أو العكس. لأنّ الله لايفعل إلّا ما هو الأصلح. «للرجال نصيب» ـ الآية ـ أي: لكلّ حظّ من الثواب على حسب ما كلّفه الله من الطاعات بحسن تدبيره. فلاتتمنّوا خلاف هذا التدبير. أو: انّ لكلّ فريق من الرجال [و النساء] نصيباً ممّا

١ـ مجمع البيان ٣ / ٦٣.

٢ـ الكافي ٢ / ٢٧٦.

اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات و الزراعات و أنواع المكاسب، فينبغي أن يقنع كلّ منهم بما قسم الله له. أو انّ معناه: انّ لكلّ منهما نصيباً من الميراث على حسب ما قسمه الله. فالاكتساب حينئذ بمعنى الإصابة و الإحراز. «و اسألوا الله من فضله»؛ أي: إذا أعجبكم ما للغير، فاطلبوا من الله أن يعطيكم من فضله. ابن‌كثير و الكسائيّ: «و سلوا الله» بغير همز.[١]

«ما فضّل الله» من الأمور الدنيويّة كالجاه و المال. فلعلّ عدمه خير و المقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد و التعادي، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له. و إنّه تشهٍّ لحصول الشيء له من غير طلب. و هو مذموم. لأنّ تمنّي ما لم يقدّر له معارضة لحكمة القدر، و تمنّي ما قدّر بكسب، بطالة و تضييع حظّ، و تمنّي ما قدّر له بغير كسب، ضائع و محال. «عليماً». فهو يعلم ما يستحقّه كلّ إنسان فيفضّل عن علم و تبيان.[٢]

«من فضله». عن الصادق عليه السلام: هو الرزق الحلال. و هو الفضل من الرزق الذي يقسمه الله من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. و أمّا أصل الرزق فهو مقسوم.[٣]

[٣٣] «وَ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً».

«و لكلّ جعلنا»؛ أي: لكلّ واحد من النساء و الرجال جعلنا «موالي»؛ أي: ورثة هم أولى بميراثه «ممّا ترك الوالدان»؛ أي: يرثون أو يعطون ممّا ترك الولدان «و الأقربون» الموروثون «و الذين عقدت أيمانكم»؛ أي: و يرثون ممّا ترك الذين عقدت أيمانكم لهم. فيكون قوله: «و الذين عقدت أيمانكم» عطفاً على قوله: «الوالدان». «فآتوهم»؛ أي: فآتوا كلاًّ نصيبهم من الميراث. و قال أكثر المفسّرين: إنّ قوله: «الذين عاقدت أيمانكم» [مقطوع من الأوّل. فكأنّه قال: و الذين عاقدت أيمانكم] أيضاً فآتوهم نصيبهم. قرأ أهل الكوفة: «عقدت» بغير ألف، و الباقون: «عاقدت» بالألف. قيل: المراد بهم الحلفاء؛ كما قيل: إنّ

١ـ مجمع البيان ٣ / ٦٣ ـ ٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٢.
٣ـ انظر: تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٤٠، ح ١١٩.

الرجل في الجاهليّة كان يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك. و حربي حربك. و تعقل عنّي و أعقل عنك. فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف. ثمّ نسخ ذلك بقوله: «و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض».(١) و قيل: «فآتوهم»: فأعطوهم «نصيبهم» من النصر و العقل و لا ميراث. فلا نسخ. و قيل: إنّ المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين و الأنصار حين قدم المدينة و كانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة، ثمّ نسخ الله ذلك بالفرائض. و قيل: إنّهم الذين يتبنّون أبناء غيرهم في الجاهليّة. و منهم زيد مولى رسول الله ﷺ. فأمروا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بوصيّة. فذلك قوله: «فآتوهم نصيبهم». «شهيداً»: مطّلعاً على كلّ شيء.(٢)

«و الذين عقدت أيمانكم». عن أبي الحسن عليه السلام: إنّما عني بذلك الأئمّة عليهم السلام. بهم عقد الله أيمانكم.(٣)

«عقدت أيمانكم»؛ أي: عقدت عهودهم أيمانكم. فحذف العهود و أقيم الضمير المضاف إليه مقامه [ثمّ حذف] كما حذف في القراءة الأخرى.(٤)

«ممّا ترك الولدان». «ممّا ترك» تبيين لكلّ. أي: و لكلّ شيء ممّا ترك الوالدان و الأقربون من المال جعلنا موالي و ورّاثاً يلونه و يحوزونه. أو: و لكلّ قوم جعلناهم موالي نصيب ممّا ترك الوالدان و الأقربون، على أنّ «جعلنا موالي» صفة لكلّ و الضمير الراجع إلى كلّ محذوف و الكلام مبتدأ و خبر. أو: و لكلّ أحد جعلنا موالي ممّا ترك؛ أي: ورّاثاً ممّا ترك، على أنّ من صلة موالي لأنّهم في معنى الورّاث و في ترك ضمير كلّ. ثمّ فسّر الموالي بقوله: «الولدان و الأقربون». كأنّه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان و الأقربون. «و الذين عاقدت» مبتدأ و ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء.(٥)

١ـ الأنفال (٨) / ٧٠.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٦٦ ـ ٦٧.
٣ـ الكافي ٧ / ٢١٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٣.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٠٤.

[٣٤] «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً».

«الرجال قوّامون». عن النبيّ ﷺ: بالرجال يحيى النساء. لولا الرجال، ماحلقوا النساء. يقول الله: «الرجال قوّامون على النساء». و ذلك أنّ الله خلق آدم من طين و من فضلته و بقيّته خلقت حوّاء.(١)

«الرجال قوّامون»: يأمرونهنّ و ينهونهنّ. «بما فضّل الله». فيه دلالة على أنّ الولاية إنّما تستحقّ بالفضل لا بالتغلّب و الاستطالة و القهر.(٢)

«الرجال قوّامون»: يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرعيّة. و علّل ذلك بأمرين موهبيّ و كسبيّ فقال: «بما فضّل الله». سبّب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل و حسن التدبير و مزيد القوّة في الأعمال و الطاعات و نحو ذلك. «و بما أنفقوا» في نكاحهنّ كالمهر و النفقة. روي: انّ سعد بن الربيع نشزت عليه [امرأته] فلطمها. فانطلق [بها] أبوها إلى رسول الله ﷺ فشكا. فقال ﷺ: لتقتصّ منه. فنزلت. فقال: أردنا أمراً و أراد الله أمراً. و الذي أراد الله خير. «بعضهم»: الرجال. «على بعض»: النساء. «قانتات»: مطيعات لله، قائمات بحقوق الأزواج. «بما حفظ الله»؛ أي: بأمر الله تعالى لهنّ بحفظ غيب الأزواج. أو: بالّذي حفظه الله لهنّ عليهم من المهر و النفقة و نحوهما. «المضاجع». كناية عن عدم الجماع. و قيل: لايبايتوهنّ. «و اضربوهنّ». يعني ضرباً غير مبرح. «عليهنّ سبيلاً» بالتوبيخ و الإيذاء. و المعنى: فأزيلوا عنهنّ التعرّض و اجعلوا ما كان منهنّ كأن لم يكن. فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له. «عليّاً كبيراً». فاحذروه. فإنّه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم. أو: إنّه على علوّ شأنه يتجاوز عن سيّئاتكم و يتوب عليكم. فأنتم أحقّ بالعفو عن

١ـ علل الشرائع / ٥١٢.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٠٥.

أزواجكم. أو: إنّه يتعالى و يتكبّر أن يظلم أحداً أو ينقص حقّه.(١)

«و اهجروهنّ في المضاجع». عن أبي جعفرعليه السلام قال: يحوّل ظهره إليها. «و اضربوهنّ». قال: بالسواك.(٢)

[٣٥] «وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً».

«و إن خفتم»؛ أي: خشيتم. و قيل: علمتم. و الأوّل أصحّ. «شقاق». الشقاق: الخلاف و العداوة. و اشتقاقه من الشقّ. كأنّ كلّاً منهما في شقّ. «فابعثوا حكماً»؛ أي: وجّهوا حكماً من قوم الزوج و حكماً من قوم المرأة لينظرا فيما بينهما. و المخاطب بإنفاذ الحكمين هو السلطان. و قيل: إنّه الزوجان أو أهل الزوجين. و ليس لهما أن يفرّقا إلّا إذا استأمراهما. و قيل: إنّ لهما ذلك و إن لم يستأمرا. و عن الصادقعليه السلام: المخاطب بإنفاذ الحكمين هو السلطان الذي يترافع الزوجان إليه. «إن يريدا إصلاحاً» يعني الحكمين «يوفّق الله بينهما». يعني يحكما بما فيه الإصلاح. و الضمير في بينهما عائد إلى الحكمين. و قيل: إن يرد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين، يوفّق الله بين الزوجين؛ أي: يؤلّف بينهما و يرفع ما بينهما من العداوة و الشقاق. «خبيراً» بما فيه مصالحكم و منافعكم.(٣)

«إن يريدا إصلاحاً». عن الصادقعليه السلام: ليس للحكمين أن يفرّقا حتّى يستأمرا الرجل و المرأة و يشترطا عليهما إن شئنا جمعنا و إن شئنا فرّقنا. فإن جمعا فجائز و إن فرّقا فجائز.(٤)

عن أبي عبداللهعليه السلام: لايكون تفريق إلّا إذا اشترطاه الحكمان. و لايكون إلّا على طهر من المرأة من غير جماع من الرجل. وليس لهما أن يفرّقا إلّا إذا اجتمعا على التفريق.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٣ ـ ٢١٤.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٦٩.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٧٠.

٤ـ الكافي ٦ / ١٤٦، ح ٢.

٥ـ الكافي ١ / ١٤٦، ح ٤.

[٣٦] «وَ اعْبُدُوا اللهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ بِذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبىٰ وَ الْجَارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً».

«و بالوالدين إحساناً»؛ أي: أحسنوا إحساناً. «و بذي القربى»: صاحب القربى. «و الجار ذي القربى»: الذي قرب جواره. و قيل: الذي له مع الجوار قرب و اتّصال بنسب أو دين. و قرئ بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحفظه.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الوالدين و عليّ الآخر. و ذكر أنّها الآية التي في النساء.[٢]

عن الصادق عليه السلام: حدّ الجوار أربعون ذراعاً من كلّ جانب.[٣] و في حديث آخر عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ أربعين داراً جيران من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.[٤]

«و الجار الجنب»: البعيد، أو الذي لا قرابة له. و عنه صلى الله عليه وآله: الجيران ثلاثة. فجار له ثلاثة حقوق؛ حقّ الجوار و حقّ القرابة و حق الإسلام. و جار له حقّان؛ حقّ الجوار و حقّ الإسلام. و جار له حقّ واحد، حقّ الجوار. و هو المشرك من أهل الكتاب.[٥]

«و الصاحب بالجنب»: الرفيق في أمر حسن كتعلّم و تصرّف و صناعة و سفر. فإنّه صحبك و حصل بجنبك. و قيل: المرأة. «و ابن السبيل»: المسافر، أو الضيف. «و ما ملكت»: العبيد و الإماء. «مختالاً»: متكبّراً يأنف عن أقاربه و جيرانه و أصحابه و لايلتفت إليهم. «فخوراً» يتفاخر عليهم.[٦]

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: و أمّا حقّ جوارك، فحفظه غائباً، و إكرامه شاهداً، و نصرته

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٤.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٤١.

٣ـ معاني الأخبار / ١٦٥.

٤ـ الكافي ٢ / ٦٦٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٤، و مجمع البيان ٣ / ٧٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٤.

إذا كان مظلوماً. و لاتتبّع له عورة. و إن علمت عليه بسوء سترته. و إن علمت أنّه يقبل نصيحتك، نصحته فيما بينك و بينه. و لاتسلّمه عند شديدة. و تقيل عثرته. و تغفر ذنوبه. و تعاشره معاشرة كريمة. و أمّا حقّ الصاحب، فأن تصحبه بالمودّة و الإنصاف، و تكرمه كما يكرمك، و لاتدعه يسبقك إلى مكرمة، فإن سبق كافيته، و تودّه كما يودّك، و تزجره عما يهمّ به من معصية. و كن عليه رحمة، و لاتكن عليه عذاباً.[١]

[٣٧] «الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً».

«الذين يبخلون». في محلّ النصب، بدل من مَن في قوله: «من كان». أو في محلّ الرفع، على الاستئناف بالذمّ على الابتداء. و معناه: الذين يبخلون بإظهار ما علموه من صفة النبيّ صلى الله عليه وآله. أو معناه: الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم من الزكاة أو غيرها. «و يأمرون» غيرهم بذلك. و قيل: يأمرون الأنصار بترك الإنفاق على رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه. «و يكتمون»؛ أي: يجحدون ما آتاهم الله من اليسار و الثروة، اعتذاراً لهم في البخل. و قيل: معناه: يكتمون ما عندهم من العلم ببعث النبيّ صلى الله عليه وآله و مبعثه. و الأولى أن تكون الآية عامّة. و في الحديث: انّ الله إذا أنعم على عبده نعمة، أحبّ أن يرى أثرها عليه. «بالبخل». أهل الكوفة غير عاصم بفتح الباء و الخاء، و الباقون بالضمّ. و هما لغتان.[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس البخيل من أدّى الزكاة المفروضة من ماله و أعطى النائبة في قومه. إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزكاة المفروضة من ماله و لم يؤدّ النائبة في قومه.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا لم يكن لله في العبد حاجة، ابتلاه بالبخل.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: ماكان في شيعتنا فلايكون فيهم ثلاثة أشياء: لايكون فيهم من

١ـ الفقيه ٢ / ٣٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٧٣ ـ ٧٤.
٣ـ الفقيه ٢ / ٣٤.
٤ـ الفقيه ٢ / ٣٥.

يسأل بكفّه. و لايكون فيهم من يبخل ـ الحديث.(١)

«و يكتمون ما آتاهم الله». عن النبيّ ﷺ: إذا أنعم الله على عبد نعمة، أحبّ أن يرى نعمته عليه. و بنى عامل للرشيد قصراً حذاء قصره، فنمّ به عنده. فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين، إنّ الكريم يسرّه أن يرى أثر نعمته. فأحببت أن أسرّك بالنظر إلى آثار نعمتك. فأعجبه كلامه.(٢)

«للكافرين»؛ أي: الجاحدين ما أنزل الله عليهم. «مهيناً»؛ أي: يهانون فيه.(٣)

«و أعتدنا للكافرين». وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعاراً بأنّ من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله و من كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهينه.(٤)

[٣٨] «وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً».

«و الذين ينفقون». عطف على الكافرين. أي: أعتدنا للكافرين و للّذين ينفقون. «رئاء». مصدر وضع موضع الحال. أي: ينفقون مرائين. «قريناً». نصب على الحال.(٥)

«و الذين ينفقون». عطف على الذين يبخلون أو الكافرين. شاركهم في الذمّ و الوعيد، لأنّ البخل و السرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي، من حيث إنّهما طرفا إفراط و تفريط، سواء في القبح و استجلاب الذمّ. أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: «و من يكن الشيطان». «و لايؤمنون بالله» ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه و ثوابه. و هم مشركو مكّة. و قيل: المنافقون. «فساء قريناً». تنبيه على أنّ الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك و زينّه لهم. كقوله: «إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين».(٦) و المراد إبليس و أعوانه الداخلة و

١ـ الخصال / ١٣١.

٢ـ الكشّاف ١ / ٥١٠.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٧٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٤.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٧٤.

٦ـ الإسراء (١٧) / ٢٧.

الخارجة. و يجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار.(١)

[٣٩] «وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَ كَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً».

«و ما ذا عليهم»؛ أي: أيّ شيء عليهم «لو آمنوا بالله و اليوم الآخر»؟ قطع الله سبحانه بها عذر الكفّار في العدول عن الإيمان و أبطل قول من قال إنّهم لايقدرون على الإيمان. لأنّه لايحسن أن يقال للعاجز عن الشيء: ماذا عليك لو فعلت كذا؟ و قيل: معناه: ماذا عليهم لو جمعوا إلى إنفاقهم الإيمان بالله لينفعهم الإنفاق؟ «عليماً». فلاينفعهم ما ينفقونه على جهة الرئاء.(٢)

«و ما ذا عليهم لو آمنوا». و إنّما قدّم الإيمان هنا و أخّره في الآية الأخرى، لأنّ القصد بذكره إلى التخصيص هنا و التعليل ثمّ.(٣)

[٤٠] «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً».

«مثقال ذرّة»؛ أي: زنة ذرّة؛ و هي النملة الحمراء الصغيرة التي لاتكاد ترى و هي أصغر النمل. و قيل: جزء من أجزاء الهباء في الكوّة من أثر الشمس. و إنّما لايجوز عليه الظلم لأنّه عالم بقبحه مستغن عنه و عالم بغناه، و من يختار القبيح يختاره إمّا بجهله به أو لحاجته إليه لدفع [ضرر] أو لجرّ نفع، و هو تعالى منزّه عن [جميع] ذلك. و لم يذكر سبحانه الذرّة لقصر الحكم عليها، بل لأنّها أقلّ شيء ممّا يدخل و هم البشر. «يضاعفها»؛ أي: و إن تك زنة الذرّة حسنة يقبلها و يجعلها أضعافاً كثيرة. و قيل: يجعلها ضعفين. و قيل: معناه: يديمها و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٥.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٧٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٥.

لا يقطعها. «حسنة». قرأ ابن‌كثير بالرفع، على معنى: إن تحدث حسنة. فيكون كان تامّة. و قرأ ابن‌كثير و ابن‌عامر: «يضعّفها» بالتشديد. و هما لغتان.(١)

[٤١] «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيداً».

«فكيف إذا جئنا». لمّا وصف حال المتكبّرين قال: كيف يصنع الأمم إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد؟ يعني أنّ الله يستشهد يوم القيامة كلّ نبيّ على أمّته يشهد عليها و يأتي بك ـ يا محمّد ـ شاهداً على أمّتك. و المراد تحذير الناس عن هول ذلك اليوم. لأنّ الشهادة لا تكون إلّا على رؤوس الأشهاد. هذا ما قاله المفسّرون.(٢) و أمّا الوارد في الأخبار عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام فهو: انّ الآية نزلت في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة، في كلّ قرن منهم إمام شاهد عليهم. و محمّد صلى الله عليه وآله شاهد علينا.(٣)

و ورد أيضاً معنًى ثالث رواه شيخنا الطبرسيّ في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام و حاصله: انّ الله يسأل الرسل عن تأدية الرسالات إلى قومهم، فيخبرون أنّهم قد أدّوا إلى أممهم. و تسأل الأمم فيجحدون فيقولون: «ماجاءنا من بشير و لا نذير».(٤) فتستشهد الرسل رسول الله صلى الله عليه وآله فيشهد بصدق الرسل. فهو معنى قوله: «على هؤلاء شهيداً».(٥)

و التي لا تحمل، يكتب قوله تعالى: «فكيف إذا جئنا» إلى: «حديثاً» على قطعة من حلواء في ليلة الجمعة و يأكلها الزوجان فيجامعا، تحمل إن شاء الله.

[٤٢] «يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً».

«لو تسوّى». أهل الكوفة غير عاصم مفتوحة التاء خفيفة السين. و قرأ نافع و ابن‌عامر

١ـ مجمع البيان ٣ / ٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٧٧.
٣ـ الكافي ١ / ١٩٠.
٤ـ المائدة (٥) / ١٩.
٥ـ الاحتجاج ١ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.

بفتح التاء و تشديد السين على أنّ معناه: تتسوّى، فأدغم التاء في السين لقربها منها. و أمّا الأولى فحذف [التاء] فالتاء اعتلّت بالحذف كما اعتلّت بالإدغام. و معناه على قراءة الباقين بضمّ التاء و تخفيف السين: لو يجعلون و الأرض سواء. كقول الكافر: «يا ليتني كنت تراباً».[١] و عن ابن‌عبّاس: معناه أنّهم يودّون أن يمشي عليهم أهل الجمع يطؤونهم بأقدامهم كما يطؤون الأرض. «و لا يكتمون الله حديثاً». عطف على قوله: «لو تسوّى». أي: يودّون أنّهم لم‌يكتموا الله حديثاً. لأنّهم إذا سئلوا قالوا: «و الله ربّنا ماكنّا مشركين»[٢] فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا، فيقولون: يا ليتنا كنّا تراباً! و يا ليتنا لم‌نكتم الله شيئاً! و يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً و المراد أنّهم لايكتمون الله شيئاً من أمور كفرهم.[٣]

«لوتسوّى» قال: يتمنّى الذين غصبوا أميرالمؤمنين عليه السلام أن يكون الأرض ابتلعهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غصبه و لم‌يكتموا ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله فيه.[٤]

[٤٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَ لَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً».

«يا أيّها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة». أي: لاتصلّوا في تلك الحال. و مقتضى النهي بطلان الصلاة لو أتي بها فيجب عليه القضاء بعد شعوره. و النهي متوجّه إلى الثّمل الذي لم‌يزل عقله بعد و هو يعلم ما يقول. أو: لاتقربوا الصلاة في شيء من الحالات إذا علمتم زوال عقولكم بالسكر بعد الدخول فيها. «حتّى تعلموا ما تقولون» في صلاتكم. و قيل: إنّ المراد بذلك سكر النعاس. فإنّ الناعس لايعلم ما يقول. «و لا جنباً». عطف على قوله:

١ـ النبأ (٧٨) / ٤٠.
٢ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٧٦ ـ ٧٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٣٩.

«و أنتم سكارى» لأنّ محلّه النصب على الحال. أي: لاتقربوا الصلاة سكارى و لا جنباً. و الجنب ممّا يستوى فيه الواحد و الجمع و المذكّر و المؤنّث. لأنّه اسم جرى مجرى المصدر أعني الإجناب. «إلّا عابري سبيل». استثناء من عامّة أحوال المخاطبين. و انتصابه على الحال. «حتّى تغتسلوا». غاية النهي عن قربان الصلاة حال الجنابة. أي: لاتقربوا الصلاة جنباً في عامّة الأحوال حتّى تغتسلوا إلّا في السفر، و ذلك إذا لم تجدوا الماء و تيمّموا له. و يحتمل أن يكون «إلّا» صفة لقوله: «جنباً». أي: جنباً غير عابري سبيل. و يحتمل أن يكون المراد من الصلاة في الموضعين مواضعها ـ أعني المساجد ـ من باب تسمية المحلّ باسم الحالّ أو على حذف المضاف. و المعنى: لاتقربوا المساجد حال السكر ـ لأنّ قصدها غالباً إنّما يكون للصلاة ـ و لاتقربوها حال الجنابة إلّا إذا كنتم عابري سبيل؛ أي: مجتازين في المسجد. و قوّى الطبرسيّ هذا القول. و يدلّ عليه رواية زرارة و محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام. و ذكر بعض أصحابنا من فضلاء العربيّة أنّ الصلاة هنا على معناها الحقيقيّ و في قوله: «و لا جنباً إلّا عابري سبيل» على معناها المجازيّ أعني مواضعها. و عدّ ذلك باب الاستخدام و هو معنىً آخر للاستخدام. «أو على سفر»: مسافرين. لأنّ الغالب فيه عدم الماء.(١)

«و إن كنتم»؛ أي: إذا قمتم إلى الصلاة و كنتم مرضى بما يضرّه الماء. (ف)(٢)

«من الغائط»: الحدث الأصغر. (ج)(٣)

«أو لامستم». قرأ أهل الكوفة غير عاصم: «أو لمستم» بغير ألف.(٤)

«أو لامستم النساء». كناية عن الجماع؛ كما وردت به الأخبار. قال ابن‌عبّاس: إنّ الله حييّ كريم يعبّر عن مباشرة النساء بملامستهنّ. و إلى هذا يذهب أبوحنيفة. و قال الشافعيّ: المراد مطلق اللّمس لغير محرم. و خصّه مالك بما كان عن شهوة. و هما بعيدان. «فلم تجدوا». عطف على «و إن كنتم». و حينئذ فيتعلّق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمّم عند عدم الماء

١ـ مسالك الأفهام ١ / ٧٥ ـ ٧٨.

٢ـ لم نعثر عليه في الكشّاف.

٣ـ لم نعثر عليه في المجمع.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٧٩.

بالأحوال الأربعة. و يحتمل كون أو في قوله: «أو جاء» بمعنى الواو. و المعنى: إن كنتم مرضى أو مسافرين و جاء أحدكم من الحدث الأصغر أو الأكبر، فتيمّموا ـ أي: اقصدوا ـ شيئاً من الصعيد طاهراً. و الصعيد هو التراب. قاله في الصحاح. و عن الزجّاج أنّه وجه الأرض تراباً كان أو غيره و إن كان صخراً لا تراب عليه. ومن ثَمَّ ورد الخلاف في جواز التيمّم في مثل هذا الحجر.[١]

«طيّباً»؛ أي: حلالاً، أو طاهراً، أو منبتاً دون السبخة.[٢]

«صعيداً». عن الصادق عليه السلام: الصعيد هو الموضع المرتفع. و الطيّب الموضع الذي ينحدر عنه الماء.[٣]

«و أيديكم». و في سورة المائدة: «منه». و من هناك للتبعيض؛ كما نصّ عليه المفسّرون[٤] و دلّت عليه صحيحة زرارة.[٥] و أمّا على هاهنا، فيجوز أن يراد ذلك المقيّد فيكون المراد مسح الوجوه و الأيدي من ذلك التراب المتيمّم به، و يجوز أن يكون المراد هنا إطلاق الحكم و إجماله فيكون محمولاً على ذلك المقيّد. و يجوز الحمل على الاكتفاء بهذا المطلق و ما وقع في المائدة من المسح بالتراب يكون محمولاً على الاستحباب. و ظاهر الآيتين الاكتفاء بالضربة الواحدة مطلقاً كما هو أحد الأقوال.

«عفوّاً»: كثير الصفح و التجاوز، فلذلك يسّر الأمر عليكم.[٦]

[٤٤] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ».

«ألم تر» ـ الآية. نزلت في رفاعة بن زيد و مالك بن دخشم من اليهود، كان إذا تكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله لوّيا لسانهما و عاباه. أي: ألم ينته علمك إلى الذين أوتوا حظّاً من الكتاب

١ـ مسالك الأفهام ١ / ٦٣ ـ ٦٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٨٢.
٣ـ الصافي ١ / ٤٥٥ عن معاني الأخبار.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥١٥.
٥ـ التهذيب ١ / ١٩، الرقم ١٦٨.
٦ـ مسالك الأفهام ١ / ٨٠.

ـ يعني التوراة ـ يستبدلون الضلالة بالهدى و يكذّبون النبيّ صلى الله عليه وآله بدلاً من التصديق؟ و قيل: كانت اليهود تعطي أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يصفونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم. «و يريدون» اليهود. «السبيل»؛ أي: عن طريق الحقّ و هو الدين و الإسلام.[١]

«ألم تر». من رؤية النظر أو القلب. و عدّي بإلى لتضمين معنى الانتهاء. «نصيباً»: حظّاً يسيراً من علم التوراة. «يشترون الضلالة»: يختارونها على الهدى.[٢]

«يشترون الضلالة». يعني: ضلّوا في أميرالمؤمنين عليه السلام. «و يريدون أن تضلّوا». يعني: أخرجوا الناس من ولاية أميرالمؤمنين و هو الصراط المستقيم.[٣]

[٤٥] «وَ اللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفىٰ بِاللهِ وَلِيّاً وَ كَفىٰ بِاللهِ نَصِيراً».

«أعلم». أي منكم.[٤]

«بأعدائكم» من اليهود.[٥] فاحذروهم.[٦]

«و كفى بالله». الباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتّصال الإسناديّ بالاتّصال الإضافيّ.[٧]

«و كفى بالله نصيراً». معناه: انّ ولاية الله لكم و نصرته إيّاكم يغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود و من جرى مجراهم ممّن تطمعون في نصرته.[٨]

[٤٦] «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ رَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً».

«من الذين هادوا». بيان للّذين أوتوا نصيباً من الكتاب. و قوله: «و الله أعلم» «و كفى

١ـ مجمع البيان ٣ / ٨٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٧.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٣٩.

٤ـ الكشّاف ١ / ٥١٦، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٧.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٨٣.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٧.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٧.

٨ـ مجمع البيان ٣ / ٨٤.

بالله» [«وكفى بالله»] جمل اعترضت بين البيان و المبيّن. أو بيان لأعدائكم. أو صلة لنصيراً. أي: ينصركم من الذين هادوا. كقوله: «و نصرناه من القوم الذين كذّبوا».(١) و يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ على أنّ «يحرّفون» صفة مبتدأ محذوف. تقديره: من الذين هادوا قوم يحرّفون. و معنى قوله: «يحرّفون الكلم عن مواضعه»: يميلون عنها و يزيلونها. لأنّهم إذا وضعوا مكانه كلماً غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها. «غير مسمع». حال من المخاطب. أي: اسمع و أنت غير مسمع. و هو قول ذو وجهين يحتمل الذمّ. أي: اسمع منّا مدعوّاً عليك بلاسمعت. لأنّه لو أجيبت دعوتهم عليه، لم يسمع فكأنّه أصمّ غير مسمع. قالوا ذلك اتّكالاً على أنّ قولهم: لاسمعت، دعوة مستجابة. أو: اسمع غير مجاب. أو: اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعك عنه ناب. و يجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع. أي: اسمع كلاماً غير مسمع إيّاك. لأنّ أذنك لاتعيه نبوّاً عنه. و يحتمل المدح. أي: اسمع غير مسمع مكروهاً. من قولك: أسمع فلان فلاناً، إذا سبّه. و كذلك قولهم: «راعنا» يحتمل: راعنا نكلّمك؛ أي: ارقبنا و انتظرنا. و يحتمل شبه كلمة عبرانيّة أو سريانيّة كانوا يتسابّون بها؛ و هي: راعينا. فكانوا ـ سخريّة بالدين و هزؤاً لرسول الله ﷺ ـ يكلّمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة و الإهانة و يظهرون به التوقير و الإكرام. «ليّاً بألسنتهم»: فتلاً بها و تحريفاً. أي: يفتلون بألسنتهم الحقّ إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا و غير مسمع موضع لاسمعت مكروهاً. فإن قلت: كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرّحوا و قالوا سمعنا و عصينا؟ قلت: جميع الكفّار كانوا يواجهونه بالكفر و العصيان و لايواجهونه بالسبّ و دعاء السوء. و يجوز أن يقولوه فيما بينهم.(٢)

«يحرّفون»؛ أي: يؤوّلونه على ما يشتهونه فيميلونه عمّا أنزل الله فيه. «سمعنا» قولك. «و

١ـ الأنبياء (٢١) / ٧٧. ٢ـ الكشّاف ١ / ٥١٦ ـ ٥١٨.

عصينا» أمرك. «غير مسمع»؛ أي: مدعوّاً عليك بلاسمعت بصمم أو موت. «بألسنتهم»، صرفاً للكلام إلى ما يشبه السبّ. «و طعناً»: سخريّة. «قليلاً». و هو الإيمان ببعض الآيات و الرسل.(١)

«و أقوم»؛ أي: أعدل و أسدّ. «ولكن لعنهم الله»؛ أي: خذلهم بسبب كفرهم و أبعدهم عن ألطافه. «قليلاً»؛ أي: إيماناً قليلاً ضعيفاً لا يعبأ به و هو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره. أو أراد بالقلّة العدم.(٢)

[٤٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً».

«يا أيّها الذين». عن أبي جعفر عليه السلام نزلت هذه الآية هكذا: «يا أيّها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلت في عليّ عليه السلام مصدّقاً لما معكم» ـ الآية. فأمّا قوله: «مصدّق لما معكم» يعني: مصدّقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله.(٣)

و عن الباقر عليه السلام حديث طويل قال فيه: إذا استقرّ المهديّ عليه السلام في المدينة، بعث السفيانيّ جيشاً إليه. فيخرج إلى مكّة. فيبلغ أمير جيش السفيانيّ [أنّ المهديّ قد خرج من المدينة] فيبعث جيشاً على أثره. فلايدركه حتّى يدخل مكّة خائفاً يترقّب على شبه(٤) موسى بن عمران. و ينزل جيش أمير السفيانيّ البيداء. فينادي مناد من السماء: يا بيداء، أبيدي القوم. فيخسف بهم البيداء. فلايفلت منهم إلّا ثلاثة نفر يحوّل الله وجوههم في أقفيتهم و هم من كلب. و فيهم أنزلت: «يا أيّها الذين أوتوا الكتاب» ـ الآية. «على عبدنا». يعني القائم عليه السلام.(٥)

«أن نطمس وجوهاً»؛ أي: نطمسها عن الهدى «فنردّها على أدبارها» في ضلالتها، ذمّاً

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٧ ـ ٢١٨.

٢ـ الكشّاف ١ / ٥١٨.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٤٥.

٤ـ المصدر: سنّة.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

لها بأنّها لاتفلح أبداً. رواه أبوالجارود عن أبي جعفرعليه السلام.[١]

«أن نطمس وجوهاً»؛ أي: نمحو تخطيط صورها من عين و حاجب و أنف و فم. «فنردّها على أدبارها»: فنجعلها على هيئة الأقفاء مطموسة مثلها. و الفاء للتسبيب. و إن جعلتها للتعقيب على أنّهم توعّدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردّها على أدبارها بعد طمسها، فالمعنى: أن نطمس وجوهاً فننكس الوجوه إلى خلف و الأقفاء إلى قدّام. و وجه آخر؛ و هو أن يراد بالطمس القلب و التغيير و بالوجوه رؤوسهم و وجهاؤهم. أي: من قبل أن نغيّر حال وجهائهم فنسلبهم وجاهتهم و نكسوها صغارهم و أدبارهم[٢]، أو نردّهم إلى حيث جاؤوا منه و هي أذرعات الشام. يريد إجلاء بني النضير. [فإن قلت: لمن الراجع في قوله: «أو نلعنهم»؟ قلت: للوجوه][٣] إن أريد الوجهاء. أو لأصحاب الوجوه. أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات. «أو نلعنهم»: نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت. فإن قلت: فأين وقوع الوعيد؟ قلت: هو مشروط بالإيمان و قد آمن منهم [ناس]. و قيل: هو منتظر. و لابدّ من طمس و مسخ لليهود قبل يوم القيامة. و لأنّ الله أوعدهم بأحد الأمرين؛ بطمس وجوه منهم أو بلعنهم. فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام، فقد كان أحد الأمرين. و إن كان غيره، فقد حصل اللّعن. فإنّهم ملعونون بكلّ لسان و الظاهر اللّعن المتعارف دون المسخ.[٤]

«أو نلعنهم» على لسانك كما لعنّاهم على لسان داوود. و الضمير لأصحاب الوجوه. «أمرالله» بإيقاع شيء. «مفعولاً»: نافذاً و كائناً.[٥]

[٤٨] «إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ

١ـ مجمع البيان ٣ / ٨٦.

٢ـ المصدر: «فنسلبهم إقبالهم و وجاهتهم و نكسوهم صغارهم و إدبارهم» بدل العبارة الأخيرة.

٣ـ في النسخة: «أو نلعنهم أي نلعن الوجوه» بدل ما بين المعقوفتين.

٤ـ الكشّاف ١ / ٥١٨ ـ ٥١٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٨.

بِاللهِ فَقَدِ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً».

«إنّ الله لايغفر أن يشرك به». لأنّه بتّ الحكم على خلود عذابه. و لأنّ ذنبه لاينمحي عنه أثره فلايستعدّ للعفو بخلاف غيره. «ما دون ذلك»؛ أي: ما دون الشرك، صغيراً كان أو كبيراً. «لمن يشاء»، تفضّلاً عليه و إحساناً. و أوّل المعتزلة الفعلين على معنى أنّ الله لايغفر الشرك لمن يشاء و هو لمن لم‌يتب و يغفر ما دونه لمن يشاء و هو من تاب. و فيه تقييد بلا دليل. إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه.(١)

«إنّ الله لايغفر» ـ الآية. عن أبي جعفر عليه السلام: يعني أنّه لايغفر لمن يكفر بولاية عليّ عليه السلام. «و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء»؛ يعني: لمن والى عليّاً عليه السلام.(٢)

«فقد افترى». الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل. أي: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام.(٣)

[٤٩] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً».

«يزكّون أنفسهم». اليهود و النصارى؛ قالوا: «نحن أبناء الله و أحبّاؤه».(٤) و قالوا: «لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى».(٥) و في معناهم من زكّى نفسه و أثنى عليها. «يزكّي». تنبيه على أنّ تزكيته هو المعتدّ به دون تزكية غيره. فإنّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان. و قد ذمّهم و زكّى المرتضين من عباده المؤمنين. و أصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً. «و لايظلمون» بالذمّ و العقاب في تزكيتهم أنفسهم بغير حقّ. «فتيلا»؛ أي: أدنى ظلم و أصغره. و الفتيل: الخيط الذي في شقّ النواة. يضرب به المثل في الحقارة.(٦)

«يزكّون أنفسهم». قال: هم الذين سمّوا أنفسهم بالصدّيق و الفاروق و ذي النورين

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٨.
٤ـ المائدة (٥) / ١٨.
٥ـ البقرة (٢) / ١١١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٨ ـ ٢١٩.

يفترون على الله. هم هؤلاء الثلاثة.[١]

[٥٠] «انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ كَفىٰ بِهِ إِثْماً مُبِيناً».

«يفترون» في زعمهم أنّهم أبناء الله و أحبّاؤه و أزكياء عنده. «و كفى به»: بزعمهم هذا أو بالافتراء.[٢]

[٥١] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً».

«ألم تر إلى الذين» ـ الآية. نزلت في يهود؛ كانوا يقولون: إنّ عبادة الأصنام أرضى عندنا ممّا يدعونا إليه محمّد عليه السلام. و قيل: في جماعة من اليهود خرجوا إلى مكّة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا: أنتم أهل الكتاب. و أنتم أقرب إلى محمّد منكم إلينا فلا نأمن لكم. فاسجدوا لآلهتنا حتّى نطمئنّ إليكم. ففعلوا. و الجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله. و الطاغوت يطلق على كلّ باطل من معبود أو غيره.[٣]

«الجبت»: الأصنام و كلّ ما عبد من دون الله. «و الطاغوت»: الشيطان. و إيمان اليهود بهما عبارة من سجودهم لأصنام قريش؛ لأنّهم سجدوا للأصنام و أطاعوا إبليس فيما فعلوا.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام: «يقولون» لأئمّة الضلال و الدعاة إلى النار: «هؤلاء أهدى» من آل محمّد عليهم السلام «سبيلاً».[٥]

«للّذين»: لأجلهم و فيهم. «هؤلاء». إشارة إليهم. «أهدى»: أرشد طريقاً.[٦]

[٥٢ ـ ٥٣] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً * أَمْ لَهُمْ

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٤٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٢١.
٥ـ الكافي ١ / ٢٠٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٩.

نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً».

«نصيراً» يمنع العذاب. «أم لهم». أم منقطعة. و معنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك، و لو كان لهم نصيب من الملك لايؤتون أحداً ما يوازي نقيراً؛ و هو النقرة في ظهر النواة. و هذا هو الإغراق في بيان شحّهم. فإنّهم بخلوا بالنقير و هم ملوك، فما ظنّك بهم إذا كانوا أذلّاء متفاقرين.(١)

«أم لهم نصيب». لمّا [بيّن] حكم اليهود بأنّ المشركين أهدى من النبيّ ﷺ و أصحابه، بيّن الله أنّ الحكم ليس إليهم إذ الملك ليس لهم. و هذا استفهام معناه الإنكار. أي ليس لهم ذلك. و قيل: المراد بالملك هنا النبوّة. أي: ليس لهم نصيب من النبوّة فيلزم الناس اتّباعهم و طاعتهم. و لو أعطوا الدنيا و ملكها، لما أعطوا الناس من الحقوق قليلاً و لا كثيراً.(٢)

[٥٤] «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً».

«أم يحسدون الناس». معناه: بل أيحسدون؟ قيل: المراد به النبيّ ﷺ حسدوه «على ما آتاهم الله من فضله» من النبوّة و إباحة تسع نسوة و ميله إليهنّ. و قالوا: لو كان نبيّاً لشغلته النبوّة عن ذلك، فبيّن الله أنّ النبوّة ليست ببدع في آل إبراهيم. «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة»؛ يعني: النبوّة. و قد آتينا داوود و سليمان الحكمة و كان لداوود تسع و تسعون امرأة و لسليمان مائة امرأة. و قيل: ألف امرأة؛ سبعمائة سريّة، و ثلاثمائة امرأة. فلا معنى لحسدهم محمّداً ﷺ على هذا و هو من أولاد إبراهيم و هم كانوا أكثر تزويجاً و أوسع مملكة. و قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله طاعتنا. لنا الأنفال. و لنا صفو المال. و نحن الراسخون في العلم. و نحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». قال: و المراد بالكتاب النبوّة، و بالحكمة الفهم و القضاء، و بالملك

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٩.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٩٤ ـ ٩٥.

العظيم افتراض الطاعة ـ الحديث. «ملكاً عظيماً». الملك العظيم النبوّة. و قيل: ملك سليمان.[١]

«ملكاً عظيماً». عن أبي جعفرعليه السلام: الطاعة المفترضة.[٢]

[٥٥] «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً».

«فمنهم»؛ أي: من أهل الكتاب «من آمن به»؛ أي: بمحمّدصلى الله عليه وآله. «و منهم» من أعرض عنه.[٣]

«فمنهم من آمن به»؛ يعني: بأميرالمؤمنينعليه السلام. و هم سلمان و أبوذرّ و المقداد و عمّار. «و منهم من صدّ عنه». قال: فيهم نزلت الآية.[٤]

«من آمن به»؛ أي: بما ذكر من حديث آل إبراهيم. «و منهم من صدّ عنه» و أنكره مع علمه بصحّته. أو: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم و منهم من كفر.[٥]

«سعيراً»: ناراً مسعورة يعذّبون بها. أي: إن [لم] يعجلوا بالعقوبة، فقد كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنّم.[٦]

[٥٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً».

«بدّلناهم جلوداً غيرها» بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى. كقولك: بدّلت الخاتم قرطاً. أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب؛ كما قال: «ليذوقوا العذاب»؛ [أي: ليدوم لهم ذوقه. قيل: يخلق لهم مكانه جلد آخر، و العذاب] في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة إدراكها، فلا محذور. «عزيزاً» لايمتنع عليه ما يريده.

١ـ مجمع البيان ٣ / ٩٥.

٢ـ الكافي ١ / ١٨٦، ح ٤.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٩٥.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٤٠ ـ ١٤١.

٥ـ الكشّاف ١ / ٥٢٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢١٩.

«حكيماً» يعاقب على وفق حكمته.(١)

«نصليهم ناراً»: نشويهم بها.(٢)

ابن أبي العوجاء سأل أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «كلّما نضجت جلودهم» ـ الآية ـ: ما ذنب الغير؟ قال: ويحك! هي هي و هي غيرها. قال: فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا. قال: نعم. أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثمّ ردّها في مَلبنها؟ فهي هي و هي غيرها.(٣)

[٥٧] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً».

«مطهّرة». طهرن من الحيض و النفاس و جميع المعايب و الأدناس و الأخلاق الدنيّة و الطبائع الرديّة. «ظلّاً ظليلاً»؛ أي: كنّاً ليس فيه حرّ و لا برد بخلاف ظلّ الدنيا. و قيل: ظلّاً دائماً لاتنسخة الشمس. و قيل: ظلّاً متمكّناً قويّاً. كما يقال: يوم أيوم و ليل أليل.(٤)

[٥٨] «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلىٰ أَهْلِهَا وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً».

«إنّ الله يأمركم» ـ الآية. الخطاب لكلّ احد في كلّ أمانة. و قيل: نزلت في عثمان بن طلحة بن عبدالدار و كان سادن الكعبة. و ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين دخل مكّة يوم الفتح، أغلق عثمان باب الكعبة و صعد السطح و أبى أن يدفع المفتاح إليه و قال: لو علمت أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله لم أمنعه. فلوّى عليّ عليه السلام يده و أخذه منه و فتح و دخل رسول الله صلى الله عليه وآله و صلّى ركعتين. فلمّا خرج، سأله العبّاس أن يعطيه المفتاح و يجمع له السقاية و السدانة. فنزلت. فأمر عليّاً عليه السلام أن يردّه إلى عثمان و يعتذر إليه. فقال عثمان لعليّ عليه السلام: أكرهت و آذيت، ثمّ جئت ترفق! فقال: أنزل الله في شأنك قرآناً. و قرأ عليه الآية. فأسلم عثمان. فأخبر جبرئيل

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٩٦.
٣ـ الاحتجاج ٢ / ١٠٤، و تفسير القمّيّ ١ / ١٤١.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٩٧.

النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّ السدانة في أولاد عثمان أبداً.(١)

عن الكاظم عليه السلام «إنّ الله يأمركم» ـ الآية. قال: هذه مخاطبة لنا خاصّة. أمر الله كلّ إمام منّا أن يؤدّي الإمامة إلى الذي بعده و يوصي إليه. ثمّ هي جارية في سائر الأمانات.(٢)

«أن تؤدّوا الأمانات». نزلت في كلّ من اؤتمن أمانة من الأمانات. و أمانات الله تعالى أوامره و نواهيه. و أمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. «و إذا حكمتم». أمر الولاة و الحكّام أن يحكموا بالعدل.(٣)

«نعمّا». ما، إمّا أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم، و إمّا أن تكون مرفوعة موصولة به. كأنّه قيل: نعم شيئاً يعظكم به. أو: نعم الشيء الذي يعظكم به. و المخصوص بالمدح محذوف. أي: نعمّا يعظكم به ذاك. و هو المأمور به من أداء الأمانات و العدل في الحكم.(٤)

[٥٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً».

«أطيعوا الله و أطيعوا الرسول» ـ الآية. قال الرازيّ في التفسير الكبير: هذه الآية مشتملة على معظم أصول الفقه. لأنّ أصول الشريعه أربعة: الكتاب، و السنّة ـ و أشار إليهما بقوله: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول» ـ و الإجماع، و القياس. و أشير إلى الإجماع بقوله: «و أولي الأمر منكم». لأنّه تعالى أمر بطاعتهم على سبيل الجزم، فوجب أن يكون معصوماً. و لايجوز أن يكون هو الإمام على ما زعمته الشيعة. لأنّنا في هذا الزمان عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم و الاستفادة منه، فلو وجب علينا طاعته على الإطلاق، لزم تكليف ما لايطاق. فتعيّن أن يكون ذلك المعصوم كلّ الأمّة؛ أي أصحاب الحلّ و العقد. و أمّا القياس، فذلك قوله: «فإن تنازعتم في شيء فردّوه». لأنّ الواقعة ربما كانت لاتحتمل الإهمال فيجب

١ـ الكشّاف ١ / ٥٢٣، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٠.
٢ـ معاني الأخبار / ١٠٧ ـ ١٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٩٨ ـ ٩٩.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٢٣.

ردّها إلى الأحكام المنصوص في الوقائع المشابهة لها، و هو معنى القياس.[١] انتهى ملخّصاً.
و من لاحظ أطرافه، ظهر له ما فيه من الاختلال. و ذلك لأنّ الله سبحانه كما أوجب عليك الرجوع إلى الكتاب و السنّة بعد معرفتهما و التدبّر فيهما، أوجب أيضاً الرجوع إلى الإمام بعد معرفته. فلا تفاوت بينهما. و قد فصّلنا الكلام هنا في شرحنا على تهذيب الأحكام.

«فإن تنازعتم»؛ أي: إن اختلفتم أنتم و أولوالأمر منكم في شيء من أمور الدين، فارجعوا فيه إلى الكتاب و السنّة. هكذا في الكشّاف[٢] و من تلاه. و قد ورد ردّ هذا عن السادة الأطهار عليهم السلام: بأنّه كيف يأمر بطاعتهم و يرخص في منازعتهم. إنّما قال ذلك للمأمورين من الذين قيل لهم: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول».

«أطيعوا الله» في الأوامر و النواهي. و كذلك إطاعة الرسول صلى الله عليه و آله لاتّحادهما. و إنّما أفردهما مبالغة في البيان.[٣]

«و أولي الأمر منكم». للمفسّرين فيه قولان: أحدهما أنّهم الأمراء. و الآخر أنّهم العلماء. فأمّا أصحابنا رضوان الله عليهم فإنّهم رووا عن الباقر و الصادق عليهما السلام أنّ أولي الأمر هم الأئمّة عليهم السلام من آل محمّد صلى الله عليه و آله أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته و طاعة رسوله. و لايجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلّا من ثبت عصمته و علم أنّ باطنه كظاهره و أمن منه الغلط و الأمر بالقبيح. و ليس ذلك بحاصل في الأمراء و العلماء سواهم. جلّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول و الفعل. لأنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. «فإن تنازعتم»؛ أي: فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم، فردّوا التنازع فيه إلى كتاب الله و سنّة الرسول صلى الله عليه و آله. و هو قول مجاهد. و نحن نقول: الردّ إلى الأئمّة القائمين مقام الرسول بعد وفاته هو مثل الردّ إلى الرسول في حياته. لأنّهم الحافظون لشريعته و خلفاؤه في أمّته فجروا مجراه فيه.[٤]

١ـ التفسير الكبير ١٠ / ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٦.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٩٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٠.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «و أولي الأمر منكم». فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب و الحسن و الحسين عليهم السلام. فقلت: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً و أهل بيته: في كتابه؟ قال: فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة و لم يسمّ الله لهم ثلاثاً و لا أربعاً حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله فسّر لهم ذلك. و كذلك الحجّ. و نزلت «و أولي الأمر» في عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه، فعليّ مولاه. و قال: أوصيكم بكتاب الله و أهل بيتي. فلو لم يبيّن أهل بيته، لادّعاها آل فلان و آل فلان ـ الحديث.(١)

«إلى الله»؛ أي: إلى الكتاب و السنّة.(٢)

«أحسن»؛ أي: أحمد عاقبة «تأويلاً» من تأويلكم أنتم إيّاه من غير ردّ إلى أصل من كتاب الله.(٣)

«إلى الله». عن الصادق عليه السلام في غير حديث: «و الرسول و أولي الأمر منكم». هكذا نزلت.(٤)

[٦٠] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً».

كان بين رجل من اليهود و رجل من المنافقين خصومة. فقال اليهوديّ: نتحاكم إلى محمّد صلى الله عليه وآله، لعلمه أنّه لايقبل الرشوة. و قال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، لعلمه بأنّه يأخذ الرشوة. فنزلت.(٥)

أقول: كان ذلك الرجل المنافق الخليفة الثالث و نزلت الآية فيه. (حسن)

١ـ الكافي ١ / ٢٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢١.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٠.
٤ـ الكافي ١ / ٢٧٦.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٢.

«إلى الطاغوت». [الطاغوت:] ذو الطغيان على جهة المبالغة في الطغيان. فكلّ من يعبد من دون الله فهو طاغوت. عن الصادق عليه السلام: المعنيّ به كلّ من يتحاكم إليه ممّن يحكم بغير الحقّ. «الطاغوت»: كعب بن الأشرف. «الشيطان» بما زيّن لهم.(١)

[٦١] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً».

«قيل لهم»؛ أي: المنافقين. «ما أنزل الله» في القرآن من الأحكام.(٢)

[٦٢] «فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَ تَوْفِيقاً».

«فكيف»؛ أي: كيف يكون حالهم و كيف يصنعون؟ يعني أنّهم يعجزون عند ذلك. «بما قدّمت أيديهم» من التحاكم إلى غيرك و اتّهامهم لك في الحكم. «ثمّ جاؤوك» حين يصابون فيعتذرون إليك و يحلفون.(٣)

«فكيف». موضع كيف رفع بأنّه خبر مبتدأ محذوف. و التقدير: فكيف صنيعهم إذا أصابتهم مصيبة؟ و يجوز أن يكون موضعها نصباً. أي: كيف تكونون؟ مصرّين أم تائبين؟ «مصيبة»؛ أي: عقوبة من الله. «إن أردنا»؛ أي: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلّا التخفيف عنك. فإنّا نحتشمك برفع الصوت في مجلسك و نقتصر على من يتوسّط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغائن. فقوله: «إلّا إحساناً»؛ أي: إحساناً إلى الخصوم. «و توفيقاً» بينهم بالتماس التوسعة دون الحمل على مرّ الحكم. و أراد بالتوفيق الجمع و التأليف. و قيل: توفيقاً؛ أي: طلباً لما يوافق الحقّ.(٤)

[٦٣] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٠١ ـ ١٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٢.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٣.

أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً».

«يعلم الله». عن الصادق عليه السلام: يعني ـ و الله ـ فلاناً و فلاناً.(١)

«فأعرض عنهم»: لاتعاقبهم. «و عظهم»: و خوّفهم بمكاره تنزل بهم في أنفسهم إن عادوا المثل ما فعلوه.(٢)

«في أنفسهم». فإن قلت: بم تعلّق قوله: «في أنفسهم» ؟ قلت: بقوله: «بليغاً»؛ أي: قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثّراً في قلوبهم يغتمّون به اغتماماً و يستشعرون منه الخوف. و هو التوعّد بالقتل إن نجم منهم النفاق. و أخبرهم أنّ ما [في] نفوسهم من النفاق معلوم عند الله و أنّه لا فارق بينكم و بين المشركين و ما هذا إلّا لإسراركم الكفر. فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم، لم يبق إلّا السيف. أو يتعلّق بقوله: «قل»؛ أي: قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة و قلوبهم المطويّة على النفاق قولاً بليغاً و انّ الله يعلم ما في قلوبكم فلايغني عنكم إبطانه، فأصلحوا أنفسكم و طهّروا قلوبكم من مرض النفاق، و إلّا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه و شرّاً من ذلك. أو: قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مسارّاً لهم بالنصيحة ـ لأنّها في السرّ أنجح و في الإمحاض أدخل ـ قولاً بليغاً يبلغ منهم و يؤثّر فيهم.(٣)

[٦٤] «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً».

«بإذن الله»: بسبب إذن الله في طاعته و بأنّه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه و يتّبعوه لأنّه مؤدٍّ عن الله فطاعته طاعة الله. و يجوز أن يراد: بتيسير الله و توفيقه في طاعته. «إذ ظلموا» بالتحاكم إلى الطاغوت. «جاؤوك» تائبين من النفاق. «فاستغفروا الله» من ذلك بالإخلاص و بالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك بردّ قضائك، حتّى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله و

١ـ الكافي ٨ / ٣٣٥.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٤.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٢٧.

مستغفراً. «لوجدوا الله»؛ أي: لعلموه «توّاباً»؛ أي: لتاب عليهم.(١)

«و لو أنّهم» ـ الآية. ذكر الحسن في هذه الآية: انّ اثنى عشر رجلاً من المنافقين ائتمروا فيما بينهم و اجتمعوا على مكيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله. فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بها. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ قوماً دخلوا يريدون أمراً لاينالونه. فليقوموا و ليستغفروا و ليعترفوا بذلك حتّى أشفع. فليقوموا. قالها مراراً. فلم يقم أحد. فقال صلى الله عليه وآله: قم يا فلان، قم يا فلان؛ حتّى عدّ اثني عشر رجلاً. فقاموا و قالوا: كنّا عزمنا على ما قلت. و نحن نتوب إلى الله من ظلمنا. فاشفع لنا. فقال: الآن؟ اخرجوا عنّي! أنا كنت في أوّل أمركم أطيب نفساً بالشفاعة و كان الله أسرع إلى الإجابة. فخرجوا عنه لم يرهم.(٢)

عن محمّد بن عليّ عليهما السلام قال: أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. فوجد الحسن و الحسين عليهما السلام في طريق خال فاحتملهما على عاتقه و أتى بهما النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنّي مستجير بالله و بهما. فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال للرجل: اذهب. و قال للحسن و الحسين: قد شفّعتكما فيه أي فتيان. فأنزل الله: «و لو أنّهم».(٣)

عن الصادق عليه السلام: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها. ثمّ تأتي قبر النبيّ صلى الله عليه وآله. إلى أن قال: اللّهمّ إنّك قلت: «و لو أنّهم إذ ظلموا» ـ الآية. و إنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً عن ذنوبي. و إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّي و ربّك ليغفر ذنوبي.(٤)

«جاؤوك». عن الصادق عليه السلام: يعني ـ و الله ـ النبيّ و عليّاً عليهما السلام. ممّا صنعوا يعني: لو جاؤوك بها يا عليّ فاستغفروا الله ممّا صنعوا و استغفر لهم الرسول ـ الآية.(٥)

«جاؤوك» يا عليّ «فاستغفروا الله». هكذا نزلت.(٦)

[٦٥] «فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

١ـ الكشّاف ١ / ٥٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٥.
٣ـ مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٤٠٠.
٤ـ الكافي ٤ / ٥٥٠ ـ ٥٥١.
٥ـ الكافي ٨ / ٣٣٥.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٤٢.

حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً».

«فلا و ربّك»؛ أي: فوربّك. و لا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله: «لا يؤمنون». لأنّها تزاد أيضاً في الإثبات. كقوله تعالى: «لا أقسم بهذا البلد». «فيما شجر بينهم»: فيما اختلف بينهم و اختلط. و منه الشجر لتداخل أغصانه. «حرجاً»؛ أي: ضيقاً ممّا حكمت به، أو شكّاً من أجله. فإنّ الشاكّ في ضيق من أمره. «و يسلّموا»: و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم.(١)

«فلا و ربّك». قيل: نزلت في شأن الزبير و حاطب بن أبي بلتعة. فإنّهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شراج من الحرّة كانا يسقيان بها النخل، فقال صلى الله عليه وآله: اسق يا زبير، ثمّ أرسل الماء إلى جارك. فغضب حاطب و قال: ان كان ابن عمّتك! فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: اسق يا زبير، ثمّ أحبس الماء حتّى يرجع إلى الجدر و استوف حقّك، ثمّ أرسله إلى جارك. كان قد أشار إلى الزبير برأي فيه السعة له و لخصمه. فلمّا أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله استوعب للزبير حقّه في صريح الحكم.(٢)

«فيما شجر بينهم». عن أبي جعفر عليه السلام: أي: فيما تعاقدوا عليه لئن أمات الله محمّداً لا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم. «ممّا قضيت» عليهم من القتل و العفو.(٣)

[٦٦] «وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً».

عن أبي عبدالله عليه السلام: «ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم» و سلّموا للإمام تسليماً «أو اخرجوا من دياركم» رضاً له، «ما فعلوه إلّا قليلاً منهم و لو» أنّ أهل الخلاف «فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم و أشدّ تثبيتاً». و في هذه الآية: «ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت» في أمر الوليّ «و يسلّموا» لله الطاعة «تسليماً».(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٢.
٢ـ جوامع الجامع ١ / ٣١٠.
٣ـ الكافي ١ / ٣٩٧، ح ٧.
٤ـ الكافي ٨ / ١٨٤، ح ٢١٠.

قرأ نافع و ابن‌كثير و ابن‌عامر و الكسائيّ: «أن اقتلوا» بضمّ النون «أو اخرجوا» بضمّ الواو. و قرأ عاصم و حمزة بكسرهما. و قرأ أبوعمرو بكسر النون و ضمّ الواو.(١)

«أن اقتلوا»؛ أي: تعرّضوا بها للقتل بالجهاد، أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل. و أن مصدريّة أو مفسّرة لأنّا كتبنا في معنى أمرنا.(٢)

«من دياركم»، كما أوجبنا على قوم موسى لمّا خرجوا إلى التيه. «إلّا قليل». بدل من الواو. أي: ما فعله [هؤلاء] للمشقّة إلّا القليل. قيل: إنّ القليل الذي استثنى الله تعالى هو ثابت بن قيس و عمّار. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ من أمّتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.(٣)

«ما يوعظون» من متابعة الرسول و مطاوعته طوعاً و رغبة. «تثبيتاً» في دينهم. لأنّه أشدّ لتحصيل العلم و نفي الشكّ. و نصبه على التميز.(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام: هكذا نزلت هذه الآية: «و لو أنّهم فعلوا ما يوعظون به في عليّ عليه السلام لكان خيراً لهم».(٥)

[٦٧] «وَ إِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً».

«و إذاً لآتيناهم». جواب لسؤال مقدّر. كأنّه قيل: و ما يكون لهم بعد التثبيت؟ فقال: و إذاً لو ثبتوا لآتيناهم. لأنّ إذاً جواب و جزاء.(٦)

[٦٨] «وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً».

«و لهديناهم صراطاً مستقيماً» يصلون بسلوكه إلى الجنّة.(٧)

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٢.
٥ـ الكافي ١ / ٤٢٤، ح ٦٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٣.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٣.

[٦٩] «وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً».

«و من يطع الله و الرسول» ـ الآية. نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله. كان شديد الحبّ له، قليل الصبر عنه. فأتاه ذات يوم و قد تغيّر لونه و نحل جسمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ثوبان، ما غيّر لونك؟ فقال: ما بي من مرض و لا وجع غير أنّي إذ لم أرك اشتقت إليك حتّى ألقاك، ثمّ ذكرت الآخرة فأخاف أنّي لا أراك هناك. لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيّين، و إنّي إن أدخلت الجنّة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، و إن لم أدخل الجنّة فذاك حتّى لا أراك أبداً. فنزلت الآية. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: و الذي نفسي بيده، لا يؤمننّ عبد حتّى أكون إليه أحبّ من نفسه و أبويه و أهله و ولده و الناس أجمعين. و قيل: إنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: ماينبغي لنا أن نفارقك. فإنّا لانراك إلّا في الدنيا، و أمّا في الآخرة فإنّك ترفع فوقنا بفضلك فلانراك. فنزلت الآية. «و النبيّين»؛ أي: يستمتع برؤية الأنبياء و زيارتهم و الحضور معهم. فلاينبغي أن يتوهّم من أجل أنّهم في أعلى علّيّين أنّه لايراهم. «و الصدّيقين». [قيل في معنى الصدّيق: إنّه] المصدّق بكلّ ما أمر الله به و بأنبيائه. و أمّا الشهداء، فهم المقتولون في سبيل الله. سمّي شهيداً لقيامه بشهادة الحقّ على جهة الإخلاص و إقراره به و دعائه اليه حتّى قتل. «و الصدّيقين». روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: يا أبا محمّد، لقد ذكركم الله في كتابه. ثمّ تلا هذه الآية و قال: النبيّ [رسول الله] صلى الله عليه وآله. و نحن الصدّيقون و الشهداء. و أنتم الصالحون. فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم الله. «و الصالحين»: صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجتهم درجة الأنبياء و الصدّيقين و الشهداء.(١)

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الصدّيقون عليّ عليه السلام. و الشهداء الحسن و الحسين عليهما السلام. و الصالحون الأئمّة عليهم السلام. «و حسن اولئك رفيقاً» القائم عليه السلام.(٢)

عن الحسين عليه السلام قال: كان فيما أوصى به رسول الله عليّاً عليهما السلام أن قال: يا عليّ، من حفظ

١ـ مجمع البيان ٣ / ١١٠ ـ ١١١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٤٢ ـ ١٤٣.

من أمّتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله تعالى، حشره الله مع النبيّين و الصدّيقين و الشهداء. فقال عليّ عليه السلام: ما هذه الأحاديث؟ فقال: أن تؤمن بالله وحده لا شريك له و تعبده و لاتعبد غيره. إلى أن قال بعد تعدادها: فهذه أربعون حديثاً. من استقام عليها و حفظها عنّي، دخل الجنّة. و الصديقون ثلاثة: عليّ بن أبي طالب، و حبيب النجّار، و مؤمن آل فرعون.(١)

[٧٠] «ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَ كَفىٰ بِاللهِ عَلِيماً».

«ذلك»؛ أي: الكون مع الأنبياء و من بعدهم.(٢)

[٧١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً».

«خذوا حذركم»: تيقّظوا و استعدّوا للأعداء. و الحَذَر و الحِذْر كالأثر و الإثر. و قيل: ما يحذر به كالحزم و السلاح.(٣)

عن الباقر عليه السلام: الحذر السلاح. «ثبات». عن أبي جعفر عليه السلام: المراد بالثبات السرايا و بالجميع العسكر.(٤)

«ثبات»؛ أي: جماعات متفرّقة. جمع ثبة. من ثبّيت على فلان تثبية، إذا ذكرت متفرّق محاسنه. و يجمع أيضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه. «جميعاً»؛ أي: مجتمعين جماعة. و الآية و إن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلّها كيفما أمكن قبل الفوات.(٥)

[٧٢ ـ ٧٣] «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً * وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ

١ـ الخصال / ٥٤٣، ح ١٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١١٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٤.

بَيْـنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْـتَنِي كُـنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً».

«و إنّ منكم لمن ليبطّئنّ». الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم و المنافقين. و المبطّئون منافقوهم؛ تثاقلوا و تخلّفوا عن الجهاد. من بطّأ بمعنى أبطأ و هـو لازم. أو ثـبّطوا غيرهم كما ثبّط ابن أبيّ ناساً يوم أحد. من بطأ [منقولاً من بطؤ]. و اللّام الأولى للابتداء دخلت على اسم إنّ للفصل بالخبر، و الثانية جواب قسم محذوف. و القسم بجوابه صلة من. و الراجع إليه ما استكنّ في ليبطّئنّ. و التقدير: و إنّ منكم لمن أقسم بالله ليبطّئنّ. «مصيبة» كقتل و هزيمة. «شهيداً»؛ أي: حاضراً فيصيبني ما أصابهم. «فضل» كفتح و غنيمة. «كأن لم تكن بينكم و بينه مودّة». اعتراض بين الفعل و مفعوله ـ و هو «يا ليتني كنت مـعهم» ـ للتنبيه على ضعف عقيدتهم و أنّ قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه و إنّما يريد أن يكون معكم لمجرّد المال. أو حال من الضمير في ليقولنّ. أو داخل في المقول. أي: يقول المبطّئ لمن يبطّئه من المنافقين و ضعفة المسلمين تضريباً و حسـداً كأن لم تكـن بـينكم و بـين محمّد ﷺ مودّة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز: يا ليتني كنت معهم. و كأن مخفّفة من الثقيلة، و اسمه ضمير الشأن و هو محذوف. قرأ ابن كثير: «تكن» بالتاء لتأنيث لفظ المودّة. و المنادى في يا ليتني محذوف. أي: يا قوم. «فأفوز». نصب على جواب التمنّي. و قرئ بالرفع على تقدير: فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على كنت.[١]

[٧٤] «فَلْيُـقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُـقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْـتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً».

«الذين يشرون» ـ الآية؛ أي: يبيعونها بها. و المعنى: إن أبطأ هؤلاء عن القتال، فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة. أو: الذين يشترونها و يختارونها على الآخرة و هم المبطّئون. و المعنى حثّهم على ترك ما حكي عنهم. «فيقتل». وعد لهم الأجر العظيم غَلب

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٤.

أو غُلب، ترغيباً في القتال و تكذيباً لقولهم: «قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً». و إنّما قال: «فيقتل أو يغلب» تنبيهاً على أنّ المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتّى يعزّ نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر و الغلبة و أن لا يكون قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحقّ و إعزاز الدين.(١)

[٧٥] «وَ مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً».

«و ما لكم». مبتدأ و خبر. و «في سبيل الله» حال. و العامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل. «و المستضعفين». عطف على اسم الله. أي: و في سبيل المستضعفين. و هو تخليصهم من الأسر و صونهم عن العدوّ. و يجوز نصبه على الاختصاص. فإنّ سبيل الله يعمّ أبواب الخير و تخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفّار أعظمها و أخصّها. «من الرجال» ـ الآية. بيان للمستضعفين. و هم المسلمون الذين بقوا بمكّة لصدّ المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلّين ممتحنين. «و الولدان»: الصبيان. و قيل: المراد به العبيد و الإماء. و هو جمع وليد. «الذين يقولون». فاستجاب الله لهم دعاءهم بأن سهّل لبعضهم الخروج إلى المدينة و جعل لمن بقي منهم خير وليّ و ناصر بفتح مكّة على نبيّه ﷺ فتولّاهم و نصرهم ثمّ استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم و نصرهم حتّى صاروا أعزّ أهلها. و «القرية» مكّة. و «الظالم» صفتها. و تذكيره لتذكير ما أسند إليه. فإنّ اسم الفاعل أو المفعول إذا جرى على غير من هو له، كان كالفعل يذكّر و يؤنّث على حسب ما عمل فيه.(٢)

«و المستضعفين»؛ أي: و في الذبّ عن المستضعفين و هم قوم بقوا بمكّة و لم يستطيعوا الهجرة. «الظالم أهلها» بافتتان المؤمنين عن دينهم و منعهم عن الهجرة. «نصيراً» ينصرنا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

على من ظلمنا.[١]

[٧٦] «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً».

«في سبيل الله»: أي: فيما يصلون به إلى الله. «في سبيل الطاغوت»: فيما يبلغ بهم إلى الشيطان. «كان ضعيفاً»: أي: إنّ كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ضعيف لايؤبه به، فلاتخافوا أولياءه. فإنّ اعتمادهم على أضعف شيء و أهونه.[٢]

«كان ضعيفاً». دخلت كان هاهنا مؤكّدة لتدلّ على أنّ الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال و الأوقات ما مضى منها و ما يستقبل.[٣]

[٧٧] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَ لَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً».

«ألم تر إلى الذين». نزلت في عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي‌وقّاص و جماعة. و ذلك أنّهم كانوا يلقون من المشركين أذًى شديداً و هم بمكّة قبل أن يهاجروا إلى المدينة فيشكون إلى رسول الله ﷺ و يقولون: ائذن لنا في قتال هؤلاء. فإنّهم قد آذونا. فلمّا أمروا بالقتال و بالمسير إلى بدر، شقّ على بعضهم.[٤]

«و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم».[٥] روي عن أئمّتنا عليهم السلام أنّها ناسخة لقوله: «كفّوا أيديكم».[٦] «قيل لهم» و هم بمكّة: «كفّوا أيديكم» عن قتال الكفّار. فإنّي لم‌أومر

١ـ مجمع البيان ٣ / ١١٧.
٢ـ تفسير البيضاوي ١ / ٢٢٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١١٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١١٩.
٥ـ البقرة (٢) / ١٩٠.
٦ـ مجمع البيان ٢ / ٥١٠.

بقتالهم.[۱]

«كفّوا أيديكم و أقيموا الصلاة». قال: نزلت في الحسن بن عليّ عليه السلام. [أمره الله بالكفّ. «فلمّا كتب عليهم القتال». قال: نزلت في الحسين بن عليّ] كتب الله عليه و على أهل الأرض أن يقاتلوا معه. و لو قاتل معه أهل الأرض، لقتلوا كلّهم. «قريب» إلى خروج القائم عليه السلام.[۲]

«يخشون الناس»؛ أي: يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله. و قيل: يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله. «أو أشدّ خشية». قيل: أو بمعنى الواو. و قيل: إنّ أو هنا لإيهام الأمر على المخاطب. «لم كتبت علينا القتال». لم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر. و يحتمل أن يكونوا قالوا ذلك استفهاماً لا إنكاراً. و قيل: إنّما قالوا ذلك لأنّهم ركنوا إلى الدنيا و نعيمها. و على الأقوال كلّها، فلو لم يقولوا ذلك لكان خيراً لهم. «لولا أخّرتنا»؛ أي: هلّا أخّرتنا. «إلى أجل قريب»؛ أي: إلى أن نموت بآجالنا. «و لا تظلمون فتيلاً»؛ أي: لا تبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه.[۳]

«كخشية الله». فإن قلت: ما محلّ «كخشية الله» من الإعراب؟ قلت: محلّه النصب على الحال من الضمير في يخشون. أي: يخشون الناس مثل أهل خشية الله؛ أي: مشبهين لأهل خشية الله، «أو أشدّ خشية» من أهل خشية الله. و أشدّ معطوف على الحال. فإن قلت: لم عدلت عن الظاهر و هو كونه صفة للمصدر و لم يقدّر: يخشون مثل خشية الله، بمعنى مثل ما يخشى الله؟ قلت: أبى ذلك قوله: «أو أشدّ خشية». لأنّه و ما عطف عليه في حكم واحد، و لو قلت: يخشون الناس أشدّ خشية، لم يكن إلّا حالاً من ضمير الفريق و لم ينتصب انتصاب المصدر. لأنّك لا تقول: خشي فلان أشدّ خشيةً، فتنصب خشية و أنت تريد المصدر؛ إنّما تقول: أشدّ خشيةٍ فتجرّها. و إذا نصبتها، لم يكن أشدّ خشية إلّا عبارة عن الفاعل حالاً.

۱ـ مجمع البيان ۳ / ۱۱۹.

۲ـ تفسير العيّاشيّ ۱ / ۲۵۸، ح ۱۹۸ و ۱۹۹ و ۱۹۵، و الكافي ۸ / ۳۳۰، ح ۵۰۶.

۳ـ مجمع البيان ۳ / ۱۱۹.

اللّهمّ إلّا أن يجعل الخشية خاشية و ذات خشية، على قولهم: جدّ جدّه، فزعم أنّ معناه: يخشون الناس خشية مثل خشية الله، أو خشية أشدّ خشية من خشية الله. و يجوز على هذا أن يكون محلّ أشدّ مجروراً عطف على خشية الله، يريد: كخشية الله، أو كخشية أشدّ خشية منها.(١)

«متاع الدنيا»؛ أي: منافعها «قليل» لايبقى. «و لاتظلمون». الكوفيّون غير عاصم بالياء. و الفتيل: ما تفتله بيدك من الوسخ ثمّ تلقيه. و قيل: ما في شقّ النواة لأنّه كالخيط المفتول.(٢)

[٧٨] «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً».

«أينما تكونوا» من المواضع و الأماكن، يلحقكم الموت. «و لو كنتم في بروج مشيّدة». قيل: يعني بالبروج القصور. و قيل: بروج السماء. و قيل: الحصون و القلاع. و المشيّدة: المجصّصة. و قيل: المزيّنة. و قيل: المرتفعة. «و إن تصبهم حسنة». هم اليهود. قالوا: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا و مزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل. فمعناه: إن أصابهم خصب و مطر قالوا: هذه من عند الله. و إن أصابهم جدب و قحط قالوا: هذا من شوم محمّد. كما حكى عن قوم موسى: «و إن تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى و من معه».(٣) و قيل: هم المنافقون؛ عبدالله بن أبيّ و أصحابه الذين تخلّفوا عن القتال يوم أحد و قالوا للّذين قتلوا في الجهاد: «لو كانوا عندنا ما ماتوا و ما قتلوا».(٤) فمعناه: إن يصبهم ظفر و غنيمة قالوا: هذه من عند الله. و إن يصبهم مكروه و هزيمة قالوا: هذه من عندك ـ يا محمّد ـ و بسوء تد بيرك. «قل كلّ من

١ـ الكشّاف ١ / ٥٣٥ ـ ٥٣٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١١٩.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٣١.
٤ـ آل عمران (٣) / ١٥٦.

عند الله»؛ أي: جمع ما مضى من الموت و الحياة و الخصب و الجدب بقضاء الله و قدره لايقدر أحد على ردّه و دفعه، ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطيّة و الصبر على البليّة. «فما لهؤلاء»؛ أي: ما شأن هؤلاء المنافقين لايقربون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لأنّهم يبعدون منه بإعراضهم عنه و كفرهم به.(١)

«قل كلّ من عند الله». يبسط الأرزاق و ينقصها على حسب المصلحة. «حديثاً» فيعلمون أنّ الله هو الباسط القابض و كلّ ذلك صادر عن حكمة و صواب.(٢)

[٧٩] «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً».

«ما أصابك من حسنة»؛ أي: من نعمة و إحسان «فمن الله» تفضّلاً منه و امتناناً و امتحاناً. «و ما أصابك من سيّئة»؛ أي: من بليّة و مصيبة، «فمن عندك». لأنّك السبب فيها بما اكتسبت يداك. «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»(٣).(٤)

«ما أصابك». قيل: هذا خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله و المراد به الأمّة. «من حسنة»: من نعمة في الدين و الدنيا. «من سيّئة»؛ أي: من المعاصي. و قيل: عني بالحسنة ما أصابهم يوم بدر من الغنيمة، و بالسيّئة ما أصابهم يوم أحد من الهزيمة. لأنّهم لمّا جدّوا يوم بدر في القتال و أطاعوا الله، آتاهم النصر، و لمّا خالفوا يوم أحد، خلّى بينهم فهزموا.(٥)

«رسولاً». حال قصد بها التأكيد، إن علّق الجارّ بالفعل، و التعميم إن علّق بها، أي: رسولاً للناس جميعاً. كقوله: «و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس».(٦) و يجوز نصبه على المصدر؛ كقوله: «و لا خارجاً من فيّ زور كلام». «شهيداً» على رسالتك بنصب المعجزات.(٧)

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٢٠ – ١٢١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٣٨.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٣٠.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٣٨.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ١٢٢.
٦ـ سبأ (٣٤) / ٢٨.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٦.

[٨٠] «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً».

«فقد أطاع الله». لأنّه في الحقيقة مبلّغ و الآمر هو الله. روي: انّه ﷺ قال: من أحبّني، فقد أحبّ الله. و من أطاعني، فقد أطاع الله. فقال المنافقون: لقد قارف الشرك و هو ينهى عنه! ما يريد إلّا أن نتّخذه ربّاً كما اتّخذت النصارى عيسى ﷺ. «حفيظاً» يحفظ عليهم أعمالهم و يحاسبهم بها. إنّما عليك البلاغ و علينا الحساب. و هو حال من الكاف.[١]

«حفيظاً»؛ أي: حافظاً عن المعاصي.[٢]

[٨١] «وَ يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَ اللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَ كَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً».

«و يقولون» إذا أمرتهم بأمر: «طاعة»؛ أي: أمرنا طاعة. أو: منّا طاعة. و أصلها النصب على المصدريّة، و رفعها للدلالة على الثبات. «فإذا برزوا»؛ أي: خرجوا. «بيّت طائفة»؛ أي: زوّرت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من القبول و ضمان الطاعة. و التبييت إمّا من البيتوتة، لأنّ الأمور تدبّر باللّيل، أو من بيت الشعر أو البيت المبنيّ لأنّه يسوّى و يدبّر. قرأ أبوعمرو و حمزة: «بيّت طائفة» بالإدغام لقرب المخرج. «و الله يكتب»: يثبته في صحائفهم للمجازاة أو في جملة ما يوحى إليك لتطّلع على إسرارهم. «وكيلاً» يكفيك معرّتهم و ينتقم لك منهم.[٣]

[٨٢] «أَ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً».

«أفلايتدبّرون»: يتأمّلون في معانيه و يتبصّرون ما فيه. و أصل التدبّر: النظر في أدبار الشيء. «و لو كان من عند غير الله»؛ أي: لو كان كلام البشر كما زعمه الكفّار. «اختلافاً

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٧.

كثيراً» من تناقض المعنى و تفاوت النظم و كان بعضه فصيحاً و بعضه ركيكاً و بعضه يصعب معارضته و بعضه يسهل و مطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض و موافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دلّ عليه الاستقراء لنقصان القوّة البشريّة. و لعلّ ذكره هاهنا للتنبيه على أنّ اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم و المصالح.(١)

[٨٣] «وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً».

«من الأمن»: ممّا يوجب الخوف أو الأمن. «أذاعوا به»: أفشوه. كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر سرايا رسول الله ﷺ أو أخبرهم الرسول بما أوحي أليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة، أذاعوا به لعدم جزمهم. و كانت إذاعتهم مفسدة. و الباء مزيدة، أو لتضمّن معنى الإذاعة معنى التحدّث. «و لو ردّوه»؛ أي: ذلك الخبر. «إلى الرسول»: إلى رأيه و رأي أكبر أصحابه البصراء بالأمور أو الأمراء. «الذين يستنبطونه»؛ أي: يستخرجون تدابيره بتجاربهم و أنظارهم. و قيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالاً على المسلمين. و لو ردّوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم حتّى يسمعوه منهم و يعرفوا أنّه هل يذاع، لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول و أولي الأمر؛ أي: يستخرجون علمه من جهتهم. و أصل الاستنباط إخراج النبط و هو الماء يخرج من البئر أوّل ما يحفر. «و رحمته» بإرسال الرسول و إنزال الكتب. «لاتّبعتم الشيطان» بالكفر و الضلال. «إلّا قليلاً» منكم تفضّل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحقّ و الصواب و عصمه من متابعة الشيطان.(٢)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٧.

«الذين يستنبطونه». عن الرضاعليه السلام: هم آل محمّدعليهم السلام. و هم الذين يستنبطونه من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام.[١]

[٨٤] «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلاً».

«في سبيل الله» إن تركوك وحدك. «إلّا نفسك»: إلّا فعل نفسك، لايضرّك مخالفتهم و تقاعدهم فتقدِم إلى الجهاد و إن لم يساعدك أحد. فإنّ الله ناصرك لا الجنود. روي أنّهعليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج، فكره بعضهم، فنزلت. و ما خرج معه إلّا سبعون. «و حرّض» على القتال.[٢]

عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: قول الناس لعليّعليه السلام إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال: إنّ الله لم يكلّف بهذا إلّا إنساناً واحداً رسول اللهصلى الله عليه و آله. قال: «فقاتل في سبيل الله» ـ الآية. فليس هذا إلّا للرسول. و قال لغيره: «إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة»[٣] يعينونه على أمره.[٤]

«بأس الذين كفروا». يعني قريشاً. و قد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتّى رجعوا. «أشدّ بأساً» من قريش. «و أشدّ تنكيلاً»: تعذيباً منهم. و هو تقريع و تهديد لمن لايتّبعه.[٥]

[٨٥] «مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ كَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً».

«حسنة» راعى بها حقّ مسلّم و دفع بها عنه ضرراً أو أجلب إليه نفعاً ابتغاء لوجه الله. و منها إصلاح ذات البين و الدعاء لمسلم. قالعليه السلام: من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب،

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٦٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨.
٣ـ الأنفال (٨) / ١٦.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٦١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٨.

استجيب له فقال له الملك: و لك مثل ذلك. «نصيب منها». و هو ثواب الشفاعة و التسبّب إلى الخير الواقع بها. «سيّئة» يريد بها محرّماً. «كفل»: نصيب من وزرها مساو لها في القدر. «مقيتا»؛ أي: مقتدراً. أو: شهيداً حافظاً.[١]

[٨٦] «وَ إِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً».

«و إذا حيّيتم». قال أنس: جاءت جارية للحسن عليه السلام بريحان. فقال لها: أنت حرّة لوجه الله. فقلت له في ذلك. فقال: أدّبنا الله فقال: «و إذا حيّيتم» ـ الآية. و قال: أحسن منها إعتاقها.[٢]

«و إذا حيّيتم بتحيّة» ـ الآية. أمر الله المسلمين بردّ السلام على المسلم بأحسن ممّا سلّم إن كان مؤمناً و إلّا فليقل: و عليكم، لايزيد على ذلك. فقوله: «بأحسن منها» للمسلمين خاصّة، و قوله: «أو ردّوها» لأهل الكتاب. و إذا قال المسلم: السلام عليكم، قلت: و عليكم السلام و رحمة الله. و إذا قال: السلام عليكم و رحمة الله، فقلت بإضافة: و بركاته. فقد حيّيته بأحسن منها. و هذا منتهى السلام. و قيل: قوله: «أو ردّوها» للمسلمين أيضاً. و هذا أقوى، لما روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: إذا سلّم عليك أهل الكتاب فقل: و عليكم. و ذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهما السلام أنّ المراد بالتحيّة في الآية السلام و غيره من البرّ. و روي أنّ رجلاً دخل على النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: السلام عليك. فقال النبيّ: و عليك السلام و رحمة الله. فجاءه آخر فقال: السلام عليك و رحمة الله. فأجابه النبيّ بإضافة: و بركاته. فجاءه آخر فقال: السلام عليك و رحمة الله و بركاته. فأجابه: و عليك. فقيل: إنّك زدت للأوّل و الثاني و لم تزد للثالث؟ فقال صلى الله عليه و آله: إنّه لم يبق لي شيئاً فرددت عليه مثله. و عنه صلى الله عليه و آله: من قال: السلام عليكم، كتبت له عشر حسنات. و من قال بإضافة: و رحمة الله، كتبت له عشرون

١ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٢٢٨.
٢ـ مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ١٨.

حسنة. و من أضاف إليها: و بركاته، كتبت له ثلاثون حسنة.(١) هذا الحديث موجود في الكافي.(٢)

عن الرضا عليه السلام: من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغنيّ، لقي الله يوم القيامة و هو عليه غضبان.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القليل يبدؤون الكثير بالسلام، و الراكب يبدأ الماشي، و أصحاب البغال يبدؤون أصحاب الحمير، و أصحاب الخيل يبدؤون أصحاب البغال.(٤)

و عن الصادق عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يسلّم على النساء و يرددن عليه السلام. و كان أميرالمؤمنين عليه السلام لا يسلّم على الشابّة منهنّ مخافة الفتنة.(٥)

«و إذا حيّيتم». عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: لاتسلّموا على اليهوديّ، و لا على النصارى، و لا على المجوس، و لا على عبدة الأوثان، و لا على موائد شرب الخمر، و لا على صاحب الشطرنج و النرد، و لا على المخنّث، و لا على الشاعر الذي يقذف المحصنات، و لا على المصلّي ـ و ذلك لأنّ المصلّي لايستطيع أن يردّ السلام، لأنّ التسليم من المسلّم تطوّع و الردّ فريضة ـ و لا على آكل الربا، و لا على رجل جالس على غائط، و لا على الذي في الحمّام، و لا على الفاسق المعلن بفسقه.(٦)

[٨٧] «اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً».

«الله لا إله إلّا هو». مبتدأ و خبر. أو الله مبتدأ و الخبر «ليجمعنّكم»؛ أي: ليحشرنّكم من قبوركم إلى يوم القيامة. و القيامة قيام الناس من القبور. «لا ريب فيه»: في اليوم، أو الجمع، فهو حال عن اليوم أو صفة للمصدر. «و من أصدق». إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه.

١ـ مجمع‌البيان ٣ / ١٣٠ ـ ١٣١.
٢ـ الكافي ٢ / ٦٤٥، ح ٩.
٣ـ عيون الأخبار ٢ / ٥٢.
٤ـ الكافي ٢ / ٦٤٦، ح ٢.
٥ـ الكافي ٢ / ٦٤٨، ح ١.
٦ـ الخصال / ٤٨٤، ح ٥٧.

لأنّ الكذب نقص و هو محال عليه.(١)

[٨٨] «فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً».

«فما لكم في المنافقين». قيل: إنّها نزلت في قوم قدموا المدينة من مكّة و أظهروا للمسلمين الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة لأنّهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك، ثمّ سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا، فقال بعضهم: لاتفعلوا؛ فإنّهم مؤمنون. و قال آخرون: أنّهم مشركون. فنزلت. و هو المرويّ عن أبي جعفر‌عليه السلام. و قيل: نزلت في الذين تخلّفوا عن أحد و قالوا: «لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم».(٢) فاختلف أصحاب رسول الله فقال فريق منهم: نقتلهم. و قال آخرون: لانقتلهم. فنزلت. «فئتين»: فرقتين مختلفتين. فمنكم من يكفّرهم و منكم من لايكفّرهم. «و الله أركسهم»؛ أي: ردّهم إلى حكم الكفّار بما أظهروا من الكفر. «أ تريدون أن تهدوا»: أن تحكموا بهداية «من أضلّ الله»؛ أي: حكم الله بضلاله و سمّاه ضالّاً. و قيل: خذله و لم يوفّقه كما وفّق المؤمنين. لأنّهم لمّا عصوا و خالفوا، استحقّوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم. أي: أ تريدون الدفاع عن قتالهم مع أنّ الله حكم بضلالتهم «و من يضلل الله»؛ أي: من نسبه الله إلى الضلال، فلن ينفعه أن يحكم غيره بهدايته. و قيل: معناه: من يجعله الله في حكمه ضالّاً، فلن تجد له في ضلالته حجّة.(٣)

[٨٩] «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
٢ـ آل عمران (٣) / ١٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٣٢ ـ ١٣٣.

«فتكونون سواء»؛ أي: فتكونون معهم سواء في الضلال. و هو عطف على تكفرون. «فلاتتّخذوا»؛ أي: فلاتوالوهم حتّى يؤمنوا أو يحقّقوا إيمانهم بهجرة هي لله و لرسوله لا لأغراض الدنيا. و «سبيل الله»: ما أمر بسلوكه. «فإن تولّوا» عن الإيمان الظاهر بالهجرة، أو عن إظهار الإيمان. «وجدتموهم» كسائر الكفرة. «وليّاً و لا نصيراً»؛ أي: جانبوهم رأساً و لاتقبلوا منهم ولاية و لا نصرة.(١)

[٩٠] «إِلّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً».

«إلّا الذين». استثناء من قوله: «فخذوهم و اقتلوهم». أي: إلّا الذين يتّصلون و ينتهون إلى قوم عاهدوكم و فارقوا محاربتكم. و القوم هم خزاعة. و قيل: الأسلميّون. وادع وقت خروجه إلى مكّة هلال بن عويم(٢) الأسلميّ على أن لايعينه و لايعين عليه و من لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له.(٣)

«إلّا الذين يصلون». قيل: نسخت هذه الآية و التي بعدها و الآيتان في سورة الممتحنة: «لاينهاكم الله» إلى قوله: «الظالمون» ـ الآيات الأربع ـ بقوله: «فإذا انسلخ الأشهر الحرم» ـ الآية. «أو جاؤوكم حصرت صدورهم» ـ الآية. هم بنو أشجع، قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة، فأخرج إليهم النبيّ صلّى الله عليه و آله أحمال التمر ضيافة و قال: نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة. و قال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: تقرب دارنا منك و كرهنا حربك و حرب قومنا ـ يعنون بني ضميرة(٤) الذين بينهم و بينهم عهد ـ لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك. فقبل النبيّ صلّى الله عليه و آله ذلك منهم و أودعهم، فرجعوا إلى بلادهم. فأمر الله المسلمين أن لايتعرّضوا هؤلاء. «فإن اعتزلوكم». يعني هؤلاء الذين أمر بالكفّ عن قتالهم بدخولهم في عهدكم أو

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٩.
٢ـ المصدر: عويمر.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٩.
٤ـ المصدر: بني ضمرة.

بمصيرهم إليكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم.(١)

«حصرت صدورهم». حال بإضمار قد. أو بيان لجاؤوكم. و قيل: صفة محذوف. أي: جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم. و هم بنو مدلج جاؤوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين. و الحصر: الضيق و الانقباض. «أن يقاتلوكم»؛ أي: عن أن. أو: لأن. أو: كراهة أن يقاتلوكم. «لسلّطهم» بأن قوّى قلوبهم و بسط صدورهم و أزال الرعب عنهم. «فلقاتلوكم» و لم يكفّوا عنكم. «فلم يقاتلوكم»: فلم يتعرّضوا لكم. «السلم»: الاستسلام و الانقياد. «فما»؛ أي: فما أذن لكم في أخذهم و قتلهم.(٢)

«إلّا الذين» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت السيرة من رسول الله ﷺ قبل نزول سورة براءة ألّا يقاتل إلّا من قاتله و لا يحارب إلّا من حاربه و أراده. و قد كان في ذلك قد نزل من الله: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم» ـ الآية. و كان رسول الله ﷺ لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه و اعتزله حتّى نزلت سورة براءة عليه و أمر بقتل المشركين من اعتزله و من لم يعتزله.(٣)

[٩١] «سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً».

«ستجدون آخرين». هم أسد و غطفان أتوا المدينة و أظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين، فلمّا رجعوا كفروا. «ردّوا إلى الفتنة»: دعوا إلى الكفر و إلى قتال المسلمين. «أركسوا فيها»: عادوا إليها و قلبوا فيها أقبح قلب.(٤)

«السلم»؛ يعني: و لم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة و يصالحوكم و لم يكفّوا أيديهم عن قتالكم، فأسروهم. «و اقتلوهم حيث ثقفتموهم»؛ أي: وجدتموهم. «فإن لم يعتزلوكم»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٣٦ و ١٣٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٢٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٠.

فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الدين يريدون أن يأمنوكم و يأمنو قومهم. «سلطاناً مبيناً»؛ أي: حجّة ظاهرة. و قيل: عذراً بيّناً في القتال. سمّيت الحجّة سلطاناً لأنّها يتسلّط بها على الخصم كما يتسلّط بالسلطان.[١]

[٩٢] «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَ كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً».

«و ماكان لمؤمن»؛ أي: و ماصحّ له و لا لاق بحاله «أن يقتل مؤمناً» ابتداء من غير قصاص. «إلّا خطأ». نصب على المفعول له. أي: إلّا لعلّة الخطأ. أو على الحاليّة. أي: في حال الخطأ. أو صفة للمصدر. أي: إلّا قتلاً خطأً. و الخطأ هو أن يرمي كافراً فيصيب مسلماً أو يرمي شخصاً على أنّه كافر فإذا هو مسلم. و روي: انّ عيّاش بن أبي‌ربيعة ـ و كان أخا أبي‌جهل لأمّه ـ أسلم و هاجر إلى المدينة خوفاً من قومه. و ذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله. فأقسمت أمّه لاتأكل و لاتشرب حتّى يرجع. فخرج أبوجهل و معه الحارث بن زيد فأتياه و هو في أطم. فقال له أبوجهل: أليس محمّد يحثّك على صلة الرحم؟ انصرف و برّ أمّك و أنت على دينك. حتّى نزل و ذهب معهما. فلمّا بعدا عن المدينة، كتفاه و جلده كلّ واحد مائة جلدة. فقال للحارث: هذا أخي. فمن أنت يا حارث؟ لله عليّ إن وجدتك خالياً أن أقتلك. و قدما به على أمّه. فحلفت لاتحلّ كتافه أو يرتدّ. ففعل. ثمّ هاجر بعد ذلك. و أسلم الحارث و هاجر، فلقيه عيّاش بظهر قباء و لم‌يشعر بإسلامه، فأتى إليه فقتله. ثمّ أخبر بإسلامه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قتلته و لم‌أشعر بإسلامه. فنزلت.[٢]

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٣٦ ـ ١٣٧. ٢ـ الكشّاف ١ / ٥٤٨ ـ ٥٤٩.

أجمع المحقّقون من النحويّين على أنّ قوله: «إلّا خطأً» استثناء منقطع من الأوّل.[١]

الظاهر أنّ صاحب الكشّاف حاول الاستثناء المتّصل. أي: لاينبغي أن يوجد قتل المؤمن إلّا في حال الخطأ. و يمكن توجيهه أيضاً بأن يكون معناه أنّه يحرم على المؤمن قتل المؤمن في حال من الأحوال إلّا في حال الخطأ بأن يظنّ عدم كونه مؤمناً بسبب اختلاطه بالكفّار.[٢]

«فتحرير». التحرير هنا الإعتاق. و المراد بالرقبة الرقّ المملوك مطلقاً، و بالمؤمنة المسلمة و لايشترط الإيمان الخاصّ عند أكثر الأصحاب. و أخذ ابن الجنيد و جماعة بظاهر الآية فاعتبروا الإيمان الخاصّ. و في كثير من الأخبار دلالة عليه. «و دية». عطف على تحرير. أي: دية مؤدّاة إلى ورثته يقتسمونها بينهم كما يقتسمون التركة. و الدية هنا على العاقلة و إن كان ظاهر العطف يقتضي أنّها مثل الكفّارة على القاتل إلّا أنّ الإجماع أخرجه. «إلّا أن يصّدّقوا» ؛أي: إلّا [أن] يتصدّق أهل المقتول بالدية على من تجب عليه من العاقلة و يتركونها لهم. و التعبير عن الإبراء بالتصدّق للتنبيه على فضله. و عنهﷺ: كلّ معروف صدقة. و فيه دلالة على صحّة إبراء ما في الذمّة بلفظ التصدّق، و على أنّ التصدّق لايختصّ بالعين بل يتحقّق في الدين أيضاً. «فإن كان»؛ أي: فإن كان المقتول من جملة قوم هم «عدوّ لكم»؛ أي: كفّار مشركون يناصبونكم الحرب. و ظاهر الشيخ أنّ من بمعنى في. أي: في عداد قوم. لأنّ حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. «فتحرير رقبة مؤمنة». أوجب الله تعالى هنا الكفّارة و لم‌يتعرّض للدية، فلاتكون واجبة. و هو المشهور بين علمائنا. لأنّ وجوب الدية ما ينفّر الغازي عن الجهاد. لأنّه يلزم أن يبحث الغازي عن كلّ شخص من أشخاص دار الحرب هل هو من المسلمين أم لا و ذلك يوجب المشقّة.[٣]

قال ابن إدريس بوجوب الدية في قتل هذا المؤمن لعموم قوله تعالى: «و من يقتل مؤمناً

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٣٨.
٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

خطأً» و ادّعى على وجوب الدية الإجماع و لم يثبت.

«فإن كان» المؤمن المقتول.(١)

«فإن كان»؛ أي: ذلك كان في جملتهم أو منهم و لم يعلم بإيمانه.(٢)

«و إن كان». ظاهر الآية أنّ ضمير كان راجع إلى المؤمن. يعني: إذا كان المؤمن في عداد أهل الذمّة أو المعاهدين فقتل خطأً، وجب على قاتله الدية و الكفّارة، كما لو قتل في دار الإسلام. و على هذا أصحابنا و جماعة من العامّة. و يعطي ديته ورثته المسلمين. فإن عدموا كانت للإمام. و ذهب أكثر العامّة إلى أنّ ضمير كان يعود إلى الذمّيّ أو المعاهد و لزوم الدية على قاتله بسبب العهد. و هو لا يلائم السياق. ثمّ إنّ أباحنيفة لمّا زعم أنّ ضمير كان راجع إلى الذمّيّ أو المعاهد قال: إنّ دية الذمّيّ مثل دية المسلم، لظاهر الآية، و أنكره الشافعيّ و قال: إنّ دية الذمّيّ ثلث دية المسلم و دية المجوسيّ ثلث خمسها. و لا يخفى عليك ضعف قول أبي حنيفة. «متتابعين» أعمّ من الهلاليّ و العدديّ. و يحصل التتابع عندنا بشهر و يوم من الثاني. «توبة من الله». نصب على المصدريّة أو على المفعول له. أي: تاب الله عليكم توبة بالكفّارة؛ أي: قبلها منكم. أو: شرع ذلك للتوبة؛ أي: لقبولها. من تاب، إذا قبل التوبة. و «من الله» صفة توبة. و اعترض بأنّه لا ذنب في القتال خطأً فلاحاجة إلى التوبة. و يمكن أن يقال: الكلام جار على ما ركن في خواطرهم من أنّ قتل المؤمن يوجب الإثم. أي: إن زعمتم أنّ ذلك إثم، فقد تاب عليكم. أو [يكون المراد بالتوبة] انّه لايخلو من ندم و أسف على ما فرط منه. أو يراد بالتوبة هنا التخفيف من الله في النقل من الرقبة إلى الصوم، لأنّ الله جوّز له العدول تخفيفاً.(٣)

[٩٣] «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٠.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٣٩، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٠.

٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٢٩ ـ ٢٣١.

«و من يقتل» ـ الآية. و الحكم بالخلود إمّا لأنّه قتله لإيمانه و دينه فيكون مستحلّاً له و هو يوجب ارتداده و كفره. و في الأخبار دلالة عليه. و ما ذكر في شأن نزول الآية مؤيّد له أيضاً. و إمّا لأنّ الخلود في جهنّم بمعنى المكث الطويل.(١)

«جهنّم خالداً». يعني إذا لم يتب. و ما ورد من أن لا توبة له، فالمراد به التغليظ في شأنه.(٢)

[٩٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً».

«إذا ضربتم»: إذا سافرتم و ذهبتم إلى الغزو. «فتبيّنوا»: فاطلبوا بيان الأمر و ثباته و لاتعجلوا فيه. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «فتثبّتوا». «لمن ألقى إليكم السلام»: [لمن حيّاكم بتحيّة الإسلام]. و قرأ نافع و ابن‌عامر و حمزة بغير الألف أي: الاستسلام و الانقياد. و فسّر به السلام. «لست مؤمناً» و إنّما فعلت ذلك متعوّذاً. و قرئ: «مؤمَناً» بالفتح. أي: مبذولاً له الأمان.(٣)

و قراءة «مؤمَناً» بالفتح مرويّة عن الباقر و الصادق عليهما السلام.(٤)

«عرض الحياة الدنيا»: تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد. و هو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة و ترك التثبّت. «مغانم كثيرة» تغنيكم عن قتل أمثاله لماله. «كذلك كنتم من قبل»؛ أي: أوّل ما دخلتم في الإسلام تفوّهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم و أموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم. «فمنّ الله عليكم» بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدين. «فتبيّنوا»: فافعلوا بالداخلين بالإسلام كما فعل الله بكم و لاتبادروا إلى قتلهم ظنّاً بأنّهم دخلوا فيه اتّقاء و خوفاً. و تكريره تأكيد

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٢ـ الكشّاف ١ / ٥٥٠ـ٥٥١، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣١.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٤٤.

لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم.[١]

«بما تعملون خبيراً»: عالماً به و بالغرض منه. فلاتتهافتوا في القتل و احتاطوا فيه. روي: انّ سريّة لرسول الله ﷺ غزت أهل فدك، فهربوا و بقي مرداس ثقة بإسلامه. فلمّا رأى الخيل، ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل و صعد. فلمّا تلاحقوا [به] و كبّروا، كبّر و نزل و قال: لا إله إلّا الله. محمّد رسول الله ﷺ. السلام عليكم. فقتله أسامة بن زيد و استاق غنمه. فنزلت.[٢]

[٩٥] «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً».

نزلت في كعب بن مالك و مرارة بن الربيع و هلال بن أميّة؛ تخلّفوا عن رسول الله ﷺ يوم تبوك.[٣]

«القاعدون» عن الحرب. «من المؤمنين». حال من القاعدين. «غير أولي الضرر». بالرفع، صفة للقاعدون و لأنّه لم يقصد به قوم بأعيانهم، أو بدل منه. و قرأ نافع و ابن‌عامر و الكسائيّ بالنصب على الحال أو الاستثناء. و قرئ بالجرّ على أنّه صفة للمؤمنين أو بدل منه. و عن زيد بن ثابت: انّها نزلت و لم يكن فيها «غير أولي الضرر». فقال ابن أمّ مكتوم: كيف و أنا أعمى؟ فغشي رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتّى خشيت أن ترضّها. ثمّ سري عنه فقال: اكتب: «لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله»؛ أي: لا مساواة بينهم و بين من قعد عن الجهاد من غير علّه. و فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته و أنفة عن انحطاط منزلته. «فضّل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة». جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه. و درجةً نصب على الحال بمعنى ذي درجة، أو على نزع الخافض، أي: بدرجة،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣١، و الكشّاف ١ / ٥٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٤٧.

أو على المصدر لأنّه تضمّن معنى التفضيل و وقع موقع المرّة منه. «و كلاًّ» من القاعدين و المجاهدين «وعد الله الحسنى»: المثوبة الحسنى، و هي الجنّة، لحسن عقيدتهم و خلوص نيّتهم. و إنّما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب. «أجراً عظيماً». نصب على المصدر، لأنّ فضّل بمعنى أجر، أو المفعول الثاني له لتضمّنه معنى الإعطاء كأنّه قال: و أعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً.(١)

[٩٦] «دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«درجات منه و مغفرة و رحمة». كلّ واحدة منها بدل من «أجراً عظيماً». و يجوز أن ينتصب درجات على المصدر. كقولك: ضربته أسواطاً. كرّر تفضيل المجاهدين و بالغ فيه إجمالاً و تفصيلاً، تعظيماً للجهاد و ترغيباً فيه. و قيل: الأوّل ما خوّلهم في الدنيا من الغنيمة و الظفر و جميل الذكر. و الثاني ما جعل لهم في الآخرة. و قيل: المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله، و بالدرجات منازلهم بالجنّة. و قيل: القاعدون الأوّل هم الأضرّاء. و القاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلّف اكتفاء بغيرهم. و قيل: المجاهدون الأوّلون من جاهد الكفّار. و الآخرون من جاهد نفسه. و عليه قوله عليه السلام: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. «غفوراً» لما عسى أن يفرط منهم. «رحيماً» بما وعد لهم.(٢)

[٩٧ ـ ٩٨] «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً».

«إنّ الذين توفّاهم» ـ الآية. نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام و لم يقاتل معه، فقالت الملائكة عند الموت: «فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض»؛ أي: لم نعلم مع من الحقّ.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٢.

فقال الله: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها»؛ أي: دين الله و كتاب الله واسع فتنظروا فيه. «فأولئك» ـ الآية.[١]

«إنّ الذين» ـ الآية. النزول: بلغنا أنّ المشركين يوم بدر لم يخلّفوا إذ خرجوا أحداً إلّا صبيّاً أو شيخاً كبيراً أو مريضاً. فخرج معهم ناس ممّن تكلّم بالإسلام. فلمّا التقى المشركون و رسول الله ﷺ نظر الذين تكلّموا بالإسلام إلى قلّة المسلمين فارتابوا و أصيبوا فيمن أصيب من المشركين. فنزلت فيهم. و قيل: إنّهم قيس بن فاكه و جماعة. و رواه أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام. و قال ابن عبّاس: كان أبي من المستضعفين من الرجال. و كان أمّي من المستضعفات. و كنت أنا من المستضعفين من الولدان. «إنّ الذين توفّاهم الملائكة»؛ أي: تقبض أرواحهم. الملائكة ملك الموت و أعوانه. «ظالمي أنفسهم»؛ أي: في حال هم فيها ظالمو أنفسهم؛ أي: بخسوها حقّها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر. «قالوا فيم كنتم»؛ أي: في أيّ شيء من دينكم؟ على وجه التقرير لهم و التوبيخ لفعلهم. «قالوا كنّا مستضعفين في الأرض» يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوّتهم و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتّباع رسوله، على جهة الاعتذار. «قالوا»؛ أي: قالت الملائكة لهم. «فتهاجروا فيها»؛ أي: فتخرجوا من أرضكم و دوركم و تفارقوا من يمنعكم من الإيمان بالله و رسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك فتوحّدوه و تعبدوه و تتبّعوا رسوله. «فأولئك مأواهم»؛ أي: مسكنهم. «و ساءت» هي ـ أي جهنّم ـ «مصيراً» لأهلها الذين صاروا إليها، إلّا من استضعفهم المشركون «من الرجال و النساء و الولدان». و هم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم و قلّة حيلتهم. و هو قوله: «لايستطيعون حيلة و لايهتدون سبيلاً» في الخلاص من مكّة.[٢]

«مستضعفين». اعتذروا عن ترك الهجرة أو عن إظهار الدين. نزلت في ناس من مكّة أسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة. «و ساءت مصيراً» لتركهم الواجب و

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٤٩. ٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٥٠ ـ ١٥١.

مساعدتهم الكفّار. «إلّا المستضعفين». استثناء منقطع، لعدم دخولهم في الموصول و ضميره. و ذكر الوالدان ، إن أريد به المماليك فظاهر. و إن أريد به الصبيان، فللمبالغة في الأمر و الإشعار بأنّهم على صدد وجوب الهجرة فلا محيص لهم عنها و أنّ قوّامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال لحمزة بن الطيّار: «إلّا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لايستطيعون حيلة» إلى الكفر «و لايهتدون سبيلاً» إلى الايمان. «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم».(٢)

«و لايهتدون سبيلاً»؛ أي: لايهتدون لطريق المدينة و لايعرفونها.(٣)

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الأرض مسيرة خمسمائة عام؛ الخراب منها مسيرة أربعمائة عام و العمران منها مسيرة مائة عام.(٤)

[٩٩] «فَأُولٰئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً».

«عسى الله»: لعلّ الله «أن يعفو عنهم» و يتفضّل عليهم بتركهم الهجرة من حيث إنّهم لم يتركوها اختياراً.(٥)

[١٠٠] «وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«مراغماً»: متحوّلاً. من الرغام و هو التراب. و قيل: طريق يراغم قومه بسلوكه؛ أي: يفارقهم على رغم أنوفهم. و هو أيضاً من الرغام. «و سعة» في الرزق و إظهار الدين. «فقد

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
٢ـ الكافي ٢ / ٣٨١.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٥١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ١٥١.

وقع أجره». الوقوع و الوجوب متقاربان. و المعنى: ثبت أجره عند الله ثبوت الأمر الواجب. و الآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجّهاً إلى المدينة، فلمّا بلغ التنعيم، أشرف على الموت، فصفق بيمينه على شماله فقال: اللّهمّ هذه لك و هذه لرسول الله ﷺ أبايعك على ما بايع عليه رسولك. فمات حميداً.(١)

[١٠١] «وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً».

«و إذا ضربتم في الأرض». معناه: إذا سافرتم. «فليس عليكم جناح»: حرج و إثم. «أن تقصروا من الصلاة». فيه أقوال. أحدها: انّ معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلّوا الرباعيّات ركعتين. و هو مذهب أهل البيت عليهم السلام. و قيل: تقصر صلاة الخائف من صلاة المسافر و فيهما قصران: قصر [الأمن] من أربع إلى ركعتين، و قصر الخوف من ركعتين إلى ركعة واحدة. و قد رواه أيضاً أصحابنا. و ثانيها: انّ معناه القصر من حدود الصلاة. عن ابن عبّاس. و هو ما رواه أصحابنا في صلاة شدّة الخوف و أنّها تصلّى إيماء. و ثالثها: انّ المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين. و الصحيح الأوّل.(٢)

«فليس عليكم جناح». ظاهره التخيير بين القصر و الإتمام و أنّ الإتمام أفضل. و إلى التخيير ذهب الشافعيّ. و عند أبي‌حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لايجوز غيره. و أمّا قوله: «ليس عليكم جناح» فمعناه أنّهم ألفوا الإتمام فكان مظنّة لأن يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر و يطمئنّوا إليه.(٣)

«إن خفتم». شرط خرج مخرج الغالب في ذلك الوقت. و من ثمّ لم‌يعتبر مفهومه. و قال بعض المفسّرين: إنّ القصر في حال الخوف ثبت بالكتاب، و في حال الأمن ثبت بالسنّة.

«أن يفتنكم». و هو القتال و التعرّض لما يكره.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٣.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٥٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٥٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٣.

[١٠٢] «وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً».

«و إذا كنت فيهم». الخطاب للنبيّ ﷺ و بظاهره تعلّق أبو يوسف فخصّ صلاة الخوف بحضوره ﷺ. و قال المزنيّ: الآية منسوخة، محتجّاً بأنّ النبيّ ﷺ لم يصلّها في الخندق بل أخّرها عن وقتها و قضاها خارجه. و لا يخفى ما فيها. و ذلك أنّ أئمّة الأمّة نوّابه فيندرجون في الخطاب. و أمّا تأخيرها يوم الخندق فلم يثبت. «فلتقم طائفة منهم معك»؛ أي: اجعلهم طائفتين إحداهما معك و الأخرى تجاه العدوّ. «و ليأخذوا أسلحتهم». أي المصلّون. و قيل: الضمير للطائفة الأخرى. «فإذا سجدوا». يعني الطائفة المصلّية. يعني: إذا فرغوا من سجودهم. «فليكونوا» أي غير المصلّين «من ورائكم» يحرسونكم. «لم يصلّوا» لاشتغالهم بالحراسة. «فليصلّوا معك». ظاهر الآية يحمل على أحد الوجهين: الأوّل أنّ الإمام يفرّق أصحابه فرقتين يصلّي بإحداهما الصلاة ركعتين ثمّ يعيدها مع الأخرى، فتكون الثانية نافلة له. و قد حمل الآية على ذلك جماعة من المفسّرين. و هذه صلاة بطن النخل. الثاني أن يفرّقهم يصلّي بكلّ فرقة منهم ركعة. و هي صلاة ذات الرقاع. و الصلاة على هذين الوجهين ثابتة عندنا واردة في أخبارنا. و قيل: إنّ الطائفة الأولى إذا فرغت من ركعة، سلّموا و مضوا إلى وجه العدوّ، و تأتي الطائفة الأخرى و يصلّي بهم ركعة. قال في التبيان: و هو مذهب من يرى أنّ صلاة الخوف ركعة واحدة. و قيل: إنّه إذا صلّى بالطائفة الأولى ركعة، مضوا إلى وجه العدوّ، و تأتي الطائفة الأخرى فيكبّرون و يصلّي بهم الركعة الثانية و يسلّم الإمام و

يعودون على وجه العدوّ. و تأتي الطائفة الأولى فيقضون ركعة بغير قراءة، لأنّهم لاحقون، و يسلّمون و يرجعون على وجه العدوّ. و تأتي الطائفة الثانية و يقضون ركعة بقراءة، لأنّهم مسبوقون فارقوا الإمام بعد فراغه من الصلاة و المسبوق فيما يأتي كالمنفرد في صلاته. و هو مذهب أبي‌حنيفة. و هذان القولان بعيدان عن ظاهر الآية. «حذرهم». جعل الحذر بمثابة الآلة التي يتحصّن به الغازي فجمع بينه و بين الأسلحة. و إنّما أمر هذه الطائفة بأخذ الحذر و الأسلحة جميعاً، لأنّ العدوّ قلّما يتنبّه في أوّل الصلاة بل يظنّونهم قياماً للمحاربة، و أمّا في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم و سجودهم الأوّلين فينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم. «ودّ»؛ أي: تمنّوا. «تغفلون» في صلاتكم. «و أمتعتكم» التي بها بلاغكم في أسفاركم. «ميلة»: فيحملون عليكم حملة واحدة و أنتم متشاغلون في الصلاة. و هو في الحقيقة بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح. «و لا جناح»؛ أي: لا إثم و لا ضيق عليكم. «و أن تضعوا أسلحتكم» إذا ضعفتم عن حملها. و هو كالمؤكّد لوجوب أخذ السلاح عليهم على تقدير عدم الأذى. و على الوجوب أكثر أصحابنا. و من حمل الأمر على الإرشاد في أخذ السلاح لما فيه من الاستظهار، عدل عن ظاهر الأمر من غير موجب صريح.[١]

«إنّ الله» ـ الآية. وعد للمؤمنين بالنصر على الكفّار بعد أن أمرهم بأخذ السلاح لتقوى قلوبهم و ليعلموا أنّ الأمر بأخذ السلاح ليس لضعفهم و غلبة عدوّهم بل لأنّ الواجب أن يحافظوا في الأمور على مراسم التثبّت و التدبّر و يتوكّلوا على الله فيها.[٢]

[١٠٣] «فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً».

«فإذا قضيتم الصلاة»؛ أي: إذا فرغتم منها و أدّيتموها على الوجه المأمور به، «فاذكروا الله»؛ أي: دوموا على ذكر الله في هذه الأحوال و ادعوه فيها لعلّه ينصركم على عدوّكم. و

١ـ مسالك الأفهام ١ / ٢٧٧ ـ ٢٨٢.
٢ـ مسالك الأفهام ١ / ٢٨٢.

قيل: المعنى: إذا أردتم فعل الصلاة و اشتدّ الخوف و لا عليكم الصلاة على الشرائط المعتبرة، فالواجب الصلاة مهما أمكن. و يمكن أن يكون إشارة إلى صلاة القادر و العاجز و يكون حكم شدّة الخوف مستفاداً منه. «قياماً»؛ أي: إذا كنتم أصحّاء قادرين عليه. «و قعوداً» إذا كنتم مرضى لاتقدرون على القيام. «فإذا اطمأننتم»؛ أي: إذا سكنت قلوبكم من الخوف و قدرتم على ما يعتبر فيها من الأمور. و هو مؤيّد لإرادة شدّة الخوف من الكلام السابق. «فأقيموا الصلاة»: فعدّلوا و احفظوا أركانها و أتوا بها تامّة على الوجه المأمور به. أو: إذا استقررتم في أوطانكم و أقمتم في أمصاركم، فأتمّوا الصلاة التي أذن لكم في قصرها.(١)

«فأقيموا الصلاة»؛ أي: فاقضوا ما صلّيتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق و الانزعاج. «إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»: محدوداً بأوقات لايجوز إخراجها عن أوقاتها على أيّ حال كنتم خوف أو أمن. و هذا ظاهر على مذهب الشافعيّ في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة و المشي و الاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأنّ فعليه القضاء. و أمّا عند أبي‌حنيفة، فهو معذور في تركها إلى أن يطمئنّ.(٢)

«و على جنوبكم» إذا لم تقدروا على القعود.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام «كتاباً موقوتاً» قال: موجباً. إنّما يعني بذلك وجوبها على المؤمنين. و لو كانت كما يقولون، لهلك سليمان بن داوود عليه السلام حين أخّر الصلاة حتّى توارت بالحجاب، لأنّه لو صلّاها قبل أن تغيب كان وقتاً و ليس صلاة أطول وقتاً من العصر.(٤)

[١٠٤] «وَ لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً».

«و لاتهنوا»؛ أي: لاتضعفوا في طلب القوم. يعني أباسفيان و أصحابه لمّا رجعوا من أحد. (ح)

١ـ مسالك الأفهام ١ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦٠ ـ ٥٦١.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٥٨.

٤ـ علل الشرائع / ٦٠٥؛ ح ٧٩.

«و لاتهنوا». نزلت في الذهاب إلى بدر الصغرى لموعد أبي‌سفيان يوم أحد. و قيل: نزلت يوم أحد في الذهاب خلف أبي‌سفيان و عسكره إلى حمراء الأسد. «إن تكونوا» أيّها المؤمنون «تألمون» ممّا ينالكم من الجراح، فهم يألمون أيضاً من جراحكم لهم. «و أنتم ترجون» أيّها المؤمنون «من الله» الظفر عاجلاً و الثواب آجلاً. فأنتم أحرى بأن تصبروا. و ذلك أنّ الله أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم و أراد بذلك إرهاب المشركين، فخرجوا إلى حمراء الأسد و بلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتّى دخلوا مكّة.[١]

[١٠٥] «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً».

«إنّا أنزلنا إليك الكتاب» ـ الآية. روي: انّ طعمة بن أبيرق أحد بني‌ظفر سرق درعاً من جار له اسمه قتادة في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، و خبأها عند رجل من اليهود. فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد و حلف ما أخذها و ما له بها علم. فتركوه و اتّبعوا أثر الدقيق حتّى انتهى إلى منزل اليهوديّ فأخذوها. فقال: دفعها إليّ طعمة. و شهد له جماعة من اليهود. فقال بنوظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ. فسألوه أن يجادل عن صاحبهم و قالوا: إن لم تفعل، هلك و افتضح و برئ اليهوديّ. فهمّ أن يفعل و أن يعاقب اليهوديّ و أن يقطع يده، فنزلت الآية. و روي أنّ هذا السارق ـ و هو طعمة ـ هرب إلى مكّة و ارتدّ و نقب حائطاً بمكّة ليسرق أهله، فوقع عليه الحائط فقتله.[٢]

«إنّا أنزلنا» ـ الآية. سبب نزولها أنّ إخوة ثلاثة كانوا منافقين، بشير و مبشّر و بشر، فنقبوا على عمّ قتادة بن نعمان ـ و كان قتادة بدريّاً ـ و أخرجوا طعاماً كان أعدّه لأهله و سيفاً و درعاً. فشكا قتادة ذلك إلى رسول الله ﷺ و قال: إنّ الإخوة الثلاثة من بني‌أبيرق نقبوا على عمّي. فقال بنوأبيرق لقتادة: فعله لبيد بن سهل. و كان مؤمناً. فبلغ ذلك لبيداً

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٥٩ ـ ١٦٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦١ ـ ٥٦٢.

فأخذ سيفه و أتى إليهم و قال لهم: يا أعداء الله، أتتّهموني بالسرق و أنتم أولى به؟ و أنتم تهجون رسول الله ﷺ و تنسبونه إلى قريش! فقالوا له: ارجع ـ رحمك الله ـ فإنّك بريء. فمشى بنوأبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له أسيد بن عروة و كان منطيقاً بليغاً، فمشى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منّا أهل شرف و حسب و نسب فرماهم بالسرق و اتّهمهم بما ليس فيهم. فاغتمّ رسول الله من ذلك. و جاء إليه قتادة. فقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف فرميتهم بالسرقة؟ و عاتبة عتاباً شديداً. فاغتمّ قتادة لذلك و قال: يا ليتني متّ و لم أكلم رسول الله ﷺ فكلّمني بما كرهته. فقال عمّه: الله المستعان. و أنزل الله في ذلك على نبيّه: «إنّا أنزلنا» ـ الآية.(١)

«أراك الله»؛ أي: علّمك و أوحى إليك.(٢)

«خصيماً»؛ أي: تدافع من طالبه عنه.(٣)

[١٠٦] «وَ اسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً».

«و استغفر الله» من المخاصمة عن الخائن. و الخطاب و إن توجّه إلى النبيّ ﷺ إلّا أنّ المراد أمّته.(٤)

[١٠٧] «وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً».

«و لاتجادل». نهى سبحانه عن الدفع عن أهل الخيانة. «يختانون أنفسهم»؛ أي: يخونونها و يظلمونها بالسرقة. لأنّ ضرر خيانتهم راجع إليهم لاحق بهم. «خوّاناً»؛ أي: كثير الخيانة معتادها. و قد يطلق الخوّان على الخائن في شيء واحد إذا عظمت تلك الخيانة.

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٠ ـ ١٥١.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٢، و جوامع الجامع ١ / ٣٣٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٢. و فيه هكذا: نهاه أن يكون لمن خان مسلماً ... خصيماً يدافع من طالبه عنه بحقّه الذي خانه فيه.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٢.

و أثيم: فاعل الإثم، أو من يرمي به على غيره مع أنّه فعله.(١)

[١٠٨] «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً».

«يستخفون» الذين يمشون في الدفع عن ابن أبيرق. أي: يستخفون من الناس بمعاصيهم في أخذ الأموال لئلّا يفتضحوا في الناس و لايستترون من الله و هو مطّلع عليهم. و قيل: معناه: يخفون الخيانة من الناس و يطلبون إخفاءها حياء منهم و لايتركونها حياء من الله. «إذ يبيّتون»؛ أي: يدبّرون باللّيل قولاً لايرضاه الله. و قيل: إنّه قول ابن أبيرق في نفسه باللّيل: أرمي بهذا الدرع في دار اليهوديّ، ثمّ أحلف أنّي بريء منه، فيصدّقني المسلمون لأنّي على دينهم و لايصدّقون اليهوديّ.(٢)

عن أميرالمؤمنين و الباقر و الكاظم عليهم السلام: المراد بهم فلان و فلان و فلان و أبوعبيدة بن الجرّاح بعد فوت الرسول صلى الله عليه وآله كانوا يدبّرون باطلهم.(٣)

«محيطاً»؛ أي: عالماً بأعمالهم.(٤)

[١٠٩] «هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً».

«ها أنتم». الهاء للتنبيه في أنتم و أولاء. و هما مبتدأ و خبر. و «جادلتم» جملة مبيّنة لوقوع أولاء خبراً. كما تقول لبعض الأسخياء: أنت حاتم تجود بمالك. و يجوز أن يكون أولاء اسماً موصولاً بمعنى الذين و جادلتم صلة، و المعنى: هبوا أنّكم خاصمتم عن طعمة و قومه في الدنيا، فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه.(٥)

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٣ ـ ١٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٤.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٦٣.

[١١٠] «وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً».

«و من يعمل سوءاً»: قبيحاً متعدّياً يسوء به غيره، كما فعل طعمة بقتادة و اليهوديّ. «أو يظلم نفسه» بما يختصّ به كالحلف الكاذب. و قيل: من يعمل سوءاً من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك. و هذا بعث لطعمة على الاستغفار و التوبة لتلزمه الحجّة مع العلم بما يكون منه، أو لقومه لما فرط منهم من نصرته و الذبّ عنه.[١]

[١١١] «وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَ كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً».

«فإنّما يكسبه على نفسه»؛ أي: لايتعدّاه ضرره إلى غيره.[٢]

[١١٢] «وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِيناً».

«خطيئة» صغيرة أو [ما] لا عمد فيه. «أو إثماً» كبيرة أو ما كان عن عمد.[٣]

و قيل: الخطيئة الشرك. و الإثم ما دونه.[٤]

«بريئاً». كما رمى طعمة اليهوديّ. «فقد احتمل بهتاناً و إثماً». لأنّه بكسب الإثم آثم و برمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين.[٥]

«فقد احتمل بهتاناً» بسبب رمي البريء و تبرئه النفس الخاطئة. و لذلك سوّى بينهما و إن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر.[٦]

[١١٣] «وَ لَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً».

«و لولا فضل الله»؛ أي: عصمته و ألطافه و ما أوحى إليك من الاطّلاع على سرّهم.

١ـ الكشّاف ١ / ٥٦٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٥.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٦٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٦.

«همّت طائفة منهم»: من بني ظفر. «أن يضلّوك» عن القضاء بالحقّ و توخّي طريق العدل مع علمهم بأنّ الجاني هو صاحبهم. فقد روي أنّ أناساً منهم كانوا يعلمون كنه القصّة. «و مايضلّون إلّا أنفسهم». لأنّ وباله عليهم. «و مايضرّونك من شيء». لأنّك إنّما عملت بظاهر الحال و ماكان يخطر ببالك أنّ الحقيقة على خلاف ذلك.[١]

«همّت طائفة». هم بنوأبيرق. و قد تقدّم قصّتهم.[٢]

«و مايضرّونك». فإنّ الله عصمك و ما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم. و «من شيء» في موضع النصب على المصدر. أي: شيئاً من الضرر.[٣]

«و علّمك ما لم‌تكن تعلم» من خفيّات الأمور و ضمائر القلوب أو من أمور الدين و الشرائع. و يجوز أن يراد بالطائفة بنوظفر و يرجع الضمير في «منهم» إلى الناس. و قيل: الآية في المنافقين.[٤]

«عظيماً». إذ لا فضل أعظم من النبوّة.[٥]

[١١٤] «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً».

«من نجواهم»؛ أي: تناجي الناس. «إلّا من أمر»؛ أي: إلّا نجوى من أمر، على أنّه مجرور بدل من «كثير». كما تقول: لا خير في قيامهم إلّا قيام زيد. و يجوز أن يكون منصوباً على الانقطاع بمعنى: ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير. و قيل: المعروف القرض. و قيل: إغاثة الملهوف. و قيل: هو عامّ في كلّ جميل. و يجوز أن يراد بالصدقة الواجب و بالمعروف ما يتصدّق على سبيل التطوّع. و قوله: «و من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله» إشارة إلى أنّ الأعمال بالنيّات. فإن قلت: كيف قال: «إلّا من أمر» ثم قال: «و من يفعل ذلك»؟ قلت:

١ـ الكشّاف ١ / ٥٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٦.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٦٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.

قد ذكر الأمر بالخير ليدلّ على فاعله. لأنّه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين، كان الفاعل فيهم أدخل. ثمّ قال: «و من يفعل ذلك» فذكر الفاعل و قرن به الوعد بالأجر العظيم. و يجوز أن يراد: و من يأمر بذلك. فعبّر عن الأمر بالفعل كما يعبّر به عن سائر الأفعال.(١)

[١١٥] «وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّىٰ وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيراً».

«يشاقق الرسول»: يخالفه. من الشقّ. كأنّ كلّاً من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر. «تبيّن»: ظهر له الحقّ بالوقوف على المعجزات. «غير سبيل المؤمنين»: غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل. و الآية تدلّ على حرمة مخالفة الإجماع. لأنّه تعالى رتّب الوعيد الشديد على المشاقّة و اتّباع غير سبيل المؤمنين، و إذا كان اتّباع غير سبيلهم محرّماً، كان اتّباع سبيلهم واجباً. لأنّ ترك اتّباع سبيلهم ممّن عرف سبيلهم، اتّباع غير سبيلهم.(٢) و الصحيح أنّها لاتدلّ على ذلك. لأنّ ظاهر الآية يقتضي إيجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهراً و باطناً، و ليس كلّ من أظهر الإيمان مؤمناً. و متى حملوا الآية على بعض الأمّة، حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين و هم الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام.(٣)

«نولّه»: نجعله والياً لما تولّى من الضلال و نخلّ بينه و بين ما اختاره.(٤)

[١١٦] «إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً».

إنّ الله لايغفر أن يشرك به». كرّره للتأكيد أو لقصّة طعمة لمّا ارتدّ و خرج إلى مكّة و مات مشركاً. و قيل: جاء شيخ إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال: إنّي شيخ منهمك في الذنوب إلّا أنّي

١ـ الكشّاف ١ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٦٩ ـ ١٧٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٧.

لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته و آمنت به، و لم أوقع المعاصي جرأة، و ما توهّمت طرفة عين أنّي أعجز الله هرباً، و انّي لنادم تائب. فما ترى حالي عند الله؟ فنزلت.[١]

«و يغفر ما دون ذلك». ذهب صاحب الكشّاف بناء على مذهب المعتزلة إلى أنّ المراد غفرانها بالتوبة[٢]. و لايخفى ما فيه.

[١١٧] «إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً».

«إن يدعون»؛ أي: مايعبدون. «إلّا إناثاً»؛ يعني: اللّات و العزّى و مناة و نحوها. كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه و يسمّونه أنثى بني فلان. و ذلك إمّا لتأنيث أسمائها أو لأنّها كانت جمادات و الجمادات تؤنّث من حيث إنّها ضاهت الإناث لانفعالها. و لعلّه تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيهاً على أنّهم يعبدون ما يسمّونه إناثاً لأنّه ينفعل و لايفعل و من حقّ المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل، ليكون دليلاً على تناهي جهلهم. و قيل: المراد الملائكة؛ لقولهم: الملائكة بنات الله. «و إن يدعون»؛ أي: مايعبدون بعبادتها «إلّا شيطاناً مريداً». لأنّه الذي أمرهم بعبادتها، فكأنّ طاعته في ذلك عبادة له. و المريد و المارد: الذي لايعلق الخير.[٣]

«إلّا إناثاً». قال أبوحمزة الثماليّ: كان في كلّ واحدة من الأصنام شيطانة أنثى تتراءى للسدنة و تكلّمهم. و ذلك من صنع إبليس الذي ذكره الله فقال: «لعنه الله». و قيل: العزّى تأنيث الأعزّ. و اللّات تأنيث لفظ الله. و قال ابن‌عبّاس: كان في كلّ واحد من أصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعو المشركين إلى عبادتها. فلذلك حسن إضافة العبادة إلى الأصنام و إلى الشيطان.[٤]

دخل رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين. فقام على قدميه فقال: مه! هذا اسم لايصلح إلّا لأميرالمؤمنين. به سمّاه الله و لم يسمّ أحداً به غيره. و ما سمّي به أحد فرضي به إلّا كان منكوحاً. و إن لم يكن به، ابتلي به. و هو قول الله في كتابه: «إن

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٧.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٢ ـ ١٧٣.

يدعون» ـ الآية. قلت: فما يدعى به قائمكم؟ قال: يقال له: السلام عليك يا بقيّة الله. السلام عليك يابن رسول الله ﷺ.[١]

[١١٨] «لَعَنَهُ اللهُ وَ قَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً».

«نصيباً مفروضاً». روي أنّ النبيّ ﷺ قال في هذه الآية: من بني آدم تسعة و تسعون في النار و واحدة في الجنّة. و في رواية أخرى: من كلّ ألف واحد لله و سائرهم للنار و لإبليس.[٢]

«مفروضاً»؛ أي: فرضته لنفسي.[٣]

«و قال». عطف على «لعنه». أي: شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله و هذا القول الدالّ على عداوته للناس. «نصيباً مفروضاً». المفروض: المقطوع. أي: نصيباً قدّر لي و فرض. من قولهم: فرض له في العطاء.[٤]

[١١٩] «وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً».

«و لأضلّنّهم» عن الحقّ «و لأمنّينّهم» الأمانيّ الباطلة كطول الحياة و أن لا بعث و لا عقاب.[٥]

عن الصادق عليه السلام: لمّا نزلت قوله تعالى: «و الذين إذا فعلوا فاحشة» ـ الآية ـ[٦] صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية. فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا. قال: لست لها. فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بما ذا؟ قال: أعدهم و أمنّيهم حتّى

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٦٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.
٦ـ آل عمران (٣) / ١٣٥.

يواقعوا الخطيئة. فإذا واقعوا الخطيئة، أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها. فوكله بها إلى يوم القيامة.[١]

«فليبتّكنّ آذان الأنعام». و هو فعلهم بالبحائر، كانوا يشقّون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن و جاء الخامس ذكراً و حرّموا على أنفسهم الانتفاع بها. و تغييرهم خلق الله فقء عين الحامي ـ و هو فحل الضرب ـ و إعفاؤه عن الركوب. و قيل: الخصاء في بني آدم. و قيل: فطرة الله التي هي دين الإسلام.[٢] و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام.[٣] و يؤيّده قوله: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله».[٤] و قيل: إنّه الوشم الذي تفعله النساء بالأمرد.[٥] روي أنّه صلى الله عليه و آله لعن الواشمات و المتوشّمات.[٦] و أدخل فيه بعضهم استعمال الجوارح و القوى فيما لايعود على النفس كمالاً و لايوجب لها من الله زلفى.[٧] و هو غير بعيد.

«و من يتّخذ الشيطان وليّاً» بإيثاره ما يدعو إليه على ما أمره الله تعالى و مجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته. «خسراناً». إذ ضيّع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنّة بمكان من النار.[٨]

[١٢٠] «يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً».

«و يمنّيهم» ما لاينالون. «إلّا غروراً». و هو إظهار النفع فيما فيه الضرر. و هذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه.[٩]

[١٢١] «أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً».

«محيصاً»: معدلاً و مهرباً. من حاص يحيص، إذا عدل. و «عنها» حال منه و ليس صلة،

١ـ أمالي الصدوق / ٣٧٦، ح ٥.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦٦، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٣.
٤ـ الروم (٣٠) / ٣٠.
٥ـ جامع الأخبار / ٤٠٥.
٦ـ جامع الأخبار / ٤٠٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.
٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.

لأنّه اسم مكان، و إن جعل مصدراً فلايعمل أيضاً فيا قبله.[١]

[١٢٢] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً».

«وعد الله حقّاً». مصدران مؤكّدان. الأوّل موكّد لنفسه. و الثاني مؤكّد لغيره. «و من أصدق من الله قيلاً». توكيد ثالث بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة و أمانيّة الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقّون به تنجّز وعد الله على ما يتجرّعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان.[٢]

«قيلاً». منصوب على التميز.[٣]

[١٢٣] «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَ لَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

«ليس بأمانيّكم»؛ أي: ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيّكم أيّها المسلمون «و لا بأمانيّ أهل الكتاب»، و إنّما ينال بالإيمان و العمل الصالح. و قيل: ليس الإيمان بالتمنّي ولكن ما وقر في القلب و صدّقه العمل. روي: انّ المسلمين و أهل الكتاب افتخروا. فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم. و كتابنا قبل كتابكم. و نحن أولى بالله منكم. و قال المسلمون: نحن أولى منكم. نبيّنا خاتم النبيّين. و كتابنا يقضي على الكتب المتقدّمة. فنزلت. و قيل: الخطاب مع المشركين. و يدلّ عليه تقدّم ذكرهم. أي: ليس الأمر بأمانيّ المشركين؛ و هو قولهم: لا جنّة و لا نار، و قولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكوننّ خيراً منهم و أحسن حالاً، و لا أمانيّ أهل الكتاب؛ و هو قولهم: «لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى».[٤] و قالوا:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٤.
٤ـ البقرة (٢) / ١١١.

«لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودة».[١] ثمّ قرّر ذلك و قال: «من يعمل سوءاً يجز به» عاجلاً أو آجلاً، لما روي أنّها لمّا نزلت قيل له: فمن ينجو من هذا يا رسول الله؟ فقال‌ﷺ: أما تحزن؟ أما تمرض؟ أما يصيبك اللّأواء؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: هو ذاك. «و لايجد» لنفسه إذا جاوز موالاة الله و نصرته من يواليه و ينصره في دفع العذاب.[٢]

«من يعمل سوءاً يجز به». لاتصيب منكم مصيبة إلّا كفّر الله بها خطيئة حتّى الشوكة يشاك بها أحدكم في قدمه. روي عنه‌ﷺ. استدلّ بها من منع من جواز العفو عن المعاصي. و أجيب بأنّه على تسليم كون من للعموم، يجوز أن يراد منه البعض ـ على ما قاله ابن‌عبّاس ـ فيكون مخصوصة بمن لم يعف الله عنه. و ذلك لأنّهم اعترفوا بكونها مخصوصة بالتائب و أهل الصغائر.[٣]

[١٢٤] «وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً».

«و من يعمل من الصالحات»: بعضها أو شيئاً منها. فإنّ كلّ أحد لايتمكّن من كلّها. «و هو مؤمن». حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور، تنبيهاً على أنّه لا اعتداد به دونه. «من ذكر». في موضع الحال من المستكنّ في يعمل و من للبيان، أو من الصالحات ـ أي: كائنة من ذكر أو أنثى ـ و من للابتداء. «و لايظلمون نقيراً» بنقص شيء من الثواب. و إذا لم ينقص ثواب المطيع، فبالحريّ أن لايزاد عقاب العاصي. لأنّ المجازي أرحم الراحمين. و لذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب. «يدخلون». قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو بضمّ الياء و فتح الخاء.[٤]

«و لايظلمون»: لايظلم عمّال السوء و عمّال الصالحات.[٥]

١ـ البقرة (٢) / ٨٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٦٨.

[١٢٥] «وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ اتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً».

«و من أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه الله»: أخلص نفسه لله لايعرف ربّاً سواه. و قيل: يذلّ وجهه له في السجود. و في هذا الاستفهام تنبيه على أنّ ذلك منتهى ما تبلغه القوّة البشريّة. «و هو محسن»: آت بالحسنات، تارك للسيّئات. «ملّة إبراهيم» الموافقة لدين الإسلام المتّفق على صحّتها. «حنيفاً»؛ أي: مائلاً عن سائر الأديان. و هو حال [من] المتّبع أو الملّة أو إبراهيم. «و اتّخذ الله إبراهيم خليلاً»: اصطفاه و خصّصه بالكرامة التي تشبه كرامة الخليل عند خليله. «و اتّخذ» جملة استئناف جيء بها للترغيب في اتّباع ملّته و الإيذان بأنّ اتّباعه نهاية في الحسن و غاية كمال البشر.(١)

«خليلاً». عن النبيّ ﷺ: مشتقّ من الخلّة، و معناها الفقر، لأنّه فقير إلى الله.(٢)

الخليل من الخلّة ـ بضمّ الخاء ـ التي هي المحبّة، أو من الخلّة ـ بفتح الخاء ـ [التي هي] الحاجة. و إنّما استعمل بمعنى الصداقة، لأنّ كلّ واحد من المتصادقين يسدّ خلل صاحبه. و قيل: كأنّ كلّ واحد منهما يطلع صاحبه على أسراره فكأنّه في خلل قلبه. و قيل: إنّما سمّي به لأنّه أرسل في عام قحط إلى صديق له بمصر يلتمس منه دقيقاً، فلم يصب عنده. و لمّا رجع ملأ الجواليق من الرمل حياء من أهله. فلمّا قدم غلبت عيناه و أخرجت امرأته من الجواليق دقيقاً و خبزت منه. فلمّا انتبه، قدّمته إليه. فقال: من أين لكم؟ فقالت: من خليلك المصريّ. فقال: من خليلي الله. فسمّاه خليل الله.(٣)

[١٢٦] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً».

ثمّ بيّن سبحانه انّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لطاعته و مسارعته إلى رضاه لا لحاجة منه إلى خلّته فقال: «للّه ما في السموات و ما في الأرض» مُلكاً و مِلكاً فهو مستغن عن جميع

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٩. ٢ـ الاحتجاج ١ / ١٩.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٧ ـ ١٧٩، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٩، و الكشّاف ١ / ٥٦٩.

خلقه و جميع خلقه محتاجون إليه.[١]

«و لله ما في السموات» ـ الآية ـ خلقاً و ملكاً يختار منها من يشاء و ما يشاء. و قيل: هو متّصل بذكر العمّال مقرّر لوجوب طاعته على أهل السماوات و الأرض و كمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال. «محيطاً» إحاطة علم و قدرة و كان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها و شرّها.[٢]

[١٢٧] «وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامىٰ بِالْقِسْطِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً».

«و يستفتونك في النساء»؛ أي: في ميراثهنّ. إذ سبب نزوله أنّ عيينة بن حصين أتى النبيّ عليه السلام فقال: أخبرنا أنّك تعطي الابنة النصف و الأخت النصف. و إنّما كنّا نورث من يشهد القتال و يحوز الغنيمة. فقال عليه السلام: كذلك أمرت. «يفتيكم فيهنّ»: يبيّن لكم حكمه فيهنّ.[٣]

«و إن خفتم ألّاتقسطوا في اليتامى» ـ الآية.[٤] قال: نزلت مع قوله: «و يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ و ما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللّاتي لاتؤتونهنّ ما كتب لهنّ و ترغبون أن تنكحوهنّ». «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع». فنصف الآية في أوّل السورة و نصفها على رأس المائة و عشرين آية. و ذلك أنّهم كانوا لايستحلّون أن يتزوّجوا بيتيمة قد ربّوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه و آله فأنزل الله: «و يستفتونك في النساء» إلى قوله: «مثنى و ثلاث و رباع».[٥]

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٧٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٣٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٠.
٤ـ النساء (٤) / ٣.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٣ و ١٣٠.

«و ما يتلى عليكم». عطف على اسم الله أو ضميره المستكنّ في يفتيكم و ساغ للفصل فيكون الإفتاء مستنداً إلى الله و إلى ما في القرآن من قوله: «يوصيكم الله» و نحوه. و الفعل الواحد ينسب إلى فاعلين باعتبارين مختلفين. و نظيره: أغناني زيد و عطاؤه. أو استئناف معترض لتعظيم المتلوّ عليهم، على أنّ «ما يتلى عليكم» مبتدأ [و] «في الكتاب» خبره. و المراد به اللّوح المحفوظ. و يجوز أن ينصب على معنى: و يبيّن لكم ما يتلى عليكم، أو يخفض على القسم، كأنّه قيل: و أقسم بما يتلى عليكم في الكتاب. «في يتامى النساء». صلة يتلى إن عطف الموصول على ما قبله. أي: يتلى عليكم في شأنهنّ. و إلّا فبدل من فيهنّ أو صلة أخرى ليفتيكم على معنى: الله يفتيكم فيهنّ بسبب يتامى النساء. كما تقول: كلّمتك اليوم في زيد. و الإضافة بمعنى من، لأنّها إضافة الشيء إلى جنسه. «ما كتب لهنّ»؛ أي فرض لهنّ من الميراث. «ترغبون أن تنكحوهنّ»: في أن تنكحوهنّ. أو: عن أن تنكحوهنّ. فإنّ أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إن كنّ جميلات و يأكلون مالهنّ، و إلّا كانوا يعضلونهنّ عن التزويج طمعاً في ميراثهنّ. و الواو يحتمل الحال و العطف. «و المستضعفين من الولدان». عطف على يتامى النساء. و العرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء. «و أن تقوموا». أيضاً عطف عليه. أي: و يفتيكم أو ما يتلى عليكم في أن تقوموا. و هو خطاب للأئمّة في أن ينظروا لهم و يستوفوا حقوقهم أو للقوّام بالنصفة في شأنهم.[١]

«و ما يتلى عليكم»؛ أي: و كتابكم يفتيكم أيضاً.[٢]

«ما كتب لهنّ»؛ أي: ميراثهنّ. لأنّهم ما كانوا يورثون المولود حتّى يكبر و لا يورثون المرأة و لا يورثون إلّا من قاتل، فأنزل الله آية المواريث في أوّل السورة. و هو عن أبي جعفر عليه السلام. أو يكون المراد بما كتب لهنّ النكاح الذي كتب الله لهنّ في قوله: «و أنكحوا الأيامى منكم».[٣] و كان الوليّ يمنعهنّ عن التزويج. و كان جابر بن عبدالله الأنصاريّ له

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٠.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٨٠.
٣ـالنور (٢٤) / ٣٢.

بنت عمّ عمياء دميمة و قد ورثت من أبيها مالاً. فكان جابر يرغب عن نكاحها و لاينكحها مخافة أن يذهب الزوج بمالها. فسأل النبيّ ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية. «و أن تقوموا»؛ أي: يفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالعدل في أنفسهم و في مواريثهم و أموالهم.(١)

«فإنّ الله». وعد لمن آثر الخير في أمر اليتامى.(٢)

[١٢٨] «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً».

«إن امرأة خافت». النزول: كانت بنت محمّد بن سلمة عند رافع بن خديج و كانت قد دخلت في السنّ. و كانت عنده امرأة شابّة سواها. فطلّقها تطليقة. حتّى إذا بقي من أجلها يسير قال: إن شئت راجعتك و صبرت على الإثرة. و إن شئت تركتك. قالت: بل راجعني و أصبر على الإثرة. فراجعها. فذلك الصلح الذي بلغنا أنّ الله أنزل فيه هذه الآية. عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: خشيت سودة بنت زمعة أن يطلّقها رسول الله ﷺ فقالت: لاتطلّقني و أجلسني مع نسائك و لاتقسم لي و اجعل يومي لعائشة. فنزلت. عن ابن عبّاس: لمّا تقدّم حكم نشوز المرأة بيّن سبحانه حكم نشوز الرجل فقال: «و إن امرأة خافت»؛ أي: علمت ـ و قيل: ظنّت ـ «نشوزاً»؛ أي: ارتفاعاً بنفسه عنها إلى غيرها، إمّا لبغضه أو لكراهته منها لعلوّ سنّها أو غير ذلك، «أو إعراضاً»؛ أي: انصرافاً بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه، أو ميله إلى غيرها، فلا إثم على كلّ واحد من الزوج و الزوجة أن يوقعا بينهما صلحاً بأن تترك المرأة له يومها و تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة و كسوة تستعطفه بذلك و تستديم المقام في حباله. «و الصلح خير» من الافتراق. و هذا إذا كان بطيبة من نفسها، و إلّا فالواجب إمّا الإمساك بمعروف أو الطلاق.(٣)

١ـ مجمع البيان ١ / ١٨٠ ـ ١٨١. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٠.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٨٢ ـ ١٨٤.

غير أهل الكوفة: «يصّالحا» بتشديد الصاد و بالألف.(١)

«و أحضرت الأنفس الشحّ». تمهيد للعذر في المماكسة. و معنى إحضار الأنفس الشحّ جعلها حاضرة له مطبوعة عليه. فلاتكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها و التقصير في حقّها و لا الرجل يسمح بأن يمسكها و يقوم بحقّها إذا كرهها.(٢)

[١٢٩] «وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً».

«و لن تستطيعوا» ـ الآية. قيل: معناه: لن تقدروا أن تعدلوا بالتسوية بين النساء في كلّ الأمور و من جميع الوجوه من النفقة و الكسوة و العطيّة و الصحبة و البشر و غير ذلك. و المراد أنّ ذلك يشقّ عليكم لميلكم إلى بعضهنّ. «فلاتميلوا كلّ الميل»: فلاتعدلوا بأهوائكم عمّن لم تملكوا محبّتها منهنّ كلّ العدول حتّى يحملكم ذلكم على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهنّ عليكم من حقّ القسمة و النفقة و الكسوة و العشرة بالمعروف. «فتذروها كالمعلّقة»؛ أي: تذروا التي لاتميلون إليها كالّتي لا زوج لها و لا أيّم. عن ابن عبّاس. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام. و روي عن جعفر الصادق عليه السلام: انّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهنّ و إنّ عليّاً عليه السلام كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لايتوضّأ في بيت الأخرى. «و لن تستطيعوا». لمّا تقدّم ذكر النشوز و الصلح بين الزوجين، عقّبه سبحانه بأنّه لايكلّف من ذلك ما لايستطاع.(٣)

«و إن تصلحوا»: و إن تحسنوا بالإقامة على نسائكم و إن كرهتموهنّ و أحببتم غيرهنّ و تصبروا على ذلك مراعاة لحقّ الصحبة «و تتّقوا» النشوز و الإعراض و نقض حقوقهنّ.(٤)

«و إن تصلحوا» ما كنتم تفسدون من أمورهنّ. «و تتّقوا». أي فيما يستقبل. «فإنّ الله

١ـ مجمع البيان ٣ / ١٨٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٨٥.
٤ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٦٥.

كان غفوراً رحيماً» يغفر لكم ما مضى من ميلكم.(١)

سأل ابن أبي‌العوجاء هشام بن الحكم فقال: أليس الله حكيماً؟ قال: بلى و هو أحكم الحاكمين. قال: فأخبرني عن قوله عزّوجلّ: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فإن خفتم ألّاتعدلوا فواحدة». أليس هذا فرض؟ قال: بلى. قال: فأخبرني عن قوله عزّوجلّ: «و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم فلاتميلوا كلّ الميل»، أيّ حكيم يتكلّم بهذا؟ فلم‌يكن عنده جواب. فرحل إلى المدينة إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال: يا هشام، في غير وقت حجّ و لا عمرة؟ قال: نعم ـ جعلت فداك ـ لأمر أهمّني. إنّ ابن أبي‌العوجاء سألني عن مسألة لم‌يكن عندي فيها شيء. فأخبره القصّة. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أمّا قوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فإن خفتم أن لاتعدلوا فواحدة» يعني في النفقة. و أمّا قوله: «و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء» يعني في المودّة. فلمّا قدم هشام عليه بهذا الجواب، قال: هذا ما حملته من الحجاز.(٢)

[١٣٠] «وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً».

«و إن يتفرّقا»: إذا لم‌يتصالحا. (ف)(٣)

«يغن الله كلّاً» ببدل أو سلوة.(٤)

«و إن يتفرّقا». عاصم بن حميد قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأتاه رجل فشكا إليه الحاجة، فأمره بالتزويج. قال: فاشتدّت به الحاجة، فأتى أبا عبدالله عليه السلام فسأله عن حاله، فقال: اشتدّت بي الحاجة. قال: ففارق. ثمّ أتاه، فسأله عن حاله. قال: أثريت و حسن حالي. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّي أمرتك بأمرين أمر الله بهما. قال الله: «و أنكحوا الأيامى» إلى قوله: «واسع عليم».(٥) و قال: «و إن يتفرّقا» ـ الآية.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٢ـ الكافي ٥ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

٣ـ لم‌نعثر عليه في الكشّاف.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٥ـ النور (٢٤) / ٣٢.

٦ـ الكافي ٥ / ٣٣١، ح ٦.

«حكيماً»: مقتدراً متقناً في أفعاله و أحكامه.(١)

[١٣١] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللهُ غَنِيّاً حَمِيداً».

«و لله ما في السموات». تنبيه على كمال سعته و قدرته.(٢)

«وصّينا». يعني أنّها وصيّة قديمة مازال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين.(٣)

«أوتوا الكتاب». يعني اليهود و النصارى و من قبلهم. و الكتاب للجنس. و «من» متعلّق بوصّينا أو أوتوا. و مساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص. «و إيّاكم». عطف على الذين. «أن اتّقوا الله»: بأن اتّقوا الله. و يجوز [أن تكون] أن مفسّرة. لأنّ التوصية في معنى القول. «و إن تكفروا». على معنى إرادة القول. أي: و قلنا لهم و لكم: إن تكفروا، فإنّ الله مالك الملك لايتضرّر بكفركم و معاصيكم كما لاينتفع بشكركم و تقواكم. و إنّما وصّاكم لرحمته لا لحاجته. ثمّ قرّر ذلك بقوله: «و كان الله غنيّاً» عن الخلق و عبادتهم. «حميداً». أي في ذاته حمد أو لم يحمد.(٤)

«و إن تكفروا فإنّ لله». المعنى: انّ لله الخلق كلّهم و هو مالكهم و المنعم عليهم، فحقّه أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصيّ تتّقون عقابه و ترجون ثوابه.(٥)

[١٣٢] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفىٰ بِاللهِ وَكِيلاً».

«و لله». كرّره ثالثاً للدلالة على كونه غنيّاً حميداً. فإنّ جميع المخلوقات تدلّ على غناه بحاجتها و بما أفاض عليها من الوجود و أنواع الخصائص و الكمالات على كونه حميداً. «و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٣ـ الكشّاف ١ / ٥٧٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٥ـ الكشّاف ١ / ٥٧٤.

كفى بالله وكيلاً». راجع إلى قوله: «يغن الله كلاًّ من سعته». فإنّه توكّل بكفايتهما. و ما بينهما تقرير لذلك.(١)

[١٣٣] «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَدِيراً».

«يذهبكم»؛ أي: يفنكم. و مفعول «يشأ» محذوف دلّ عليه الجواب.(٢)

«يأت بآخرين»؛ أي: يوجد قوماً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين مكان الإنس.(٣)

«بآخرين». يروى أنّه لمّا نزلت هذه الآية، ضرب النبيّ صلى الله عليه وآله على ظهر سلمان و قال: هم قوم هذا. يعني قوم الفرس.(٤)

«على ذلك» من الإعدام و الإيجاد. «قديراً»: بليغ القدرة لايعجزه مراد. و هذا أيضاً تقرير لغناه و قدرته و تهديد لمن كفر به و خالف أمره. و قيل: هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وآله من العرب. و معناه معنى قوله تعالى: «و إن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم»(٥) لما روي أنّهم قوم سلمان.(٦)

[١٣٤] «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً».

«ثواب الدنيا». أي كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة. «فعند الله ثواب الدنيا و الآخرة». فما له يطلب أحدهما دون الآخر و الذي يطلب أخسّهما؟ لأنّ من جاهد لله خالصاً، لم تخطئه الغنيمة و له من ثواب الآخرة الحظّ الأوفر.(٧)

«فعند الله ثواب الدنيا و الآخرة». فما له يطلب أخسّهما؟ فليطلبهما كمن يقول: «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة»(٨) أو ليطلب الأشرف منهما. فإنّ من جاهد لله

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١ / ٣٣٩.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٨٧.

٥ـ محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧) / ٣٨.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢.

٧ـ الكشّاف ١ / ٥٧٤.

٨ـ البقرة (٢) / ٢٠١.

خالصاً، لم تخطئه الغنيمة و له في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء. أو فعند الله ثواب الدنيا و الآخرة فيعطي كلّاً ما يريده. كقوله: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه»[١].[٢]

[١٣٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً».

«يا أيّها الذين آمنوا كونوا» ـ الآية. فإن قلت: الشهادة على الوالدين و الأقربين أن يقول: أشهد لفلان على والدي كذا، أو على أقاربي. فما معنى الشهادة على نفسه؟ قلت: هي الإقرار على نفسه. لأنّه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحقّ لها. و يجوز أن يكون المعنى: و إن كانت الشهادة وبالاً على أنفسكم أو على آبائكم أو أقاربكم. و ذلك أن يشهد على من يتوقّع ضرره من سلطان ظالم أو غيره. «إن يكن» المشهود عليه «غنيّاً» فلايمنع الشهادة عليه لغناه طلباً لرضاه «أو فقيراً» فلايمنعها ترحّماً عليه. «فالله أولى بهما»: بالغنيّ و الفقير؛ أي: بالنظر لهما و إرادة مصلحتهما. و لولا أنّ الشهادة عليهما مصلحة لهما، لما شرعها. لأنّه أنظر لعباده من كلّ ناظر.[٣]

«كونوا قوّامين»: مواظبين على العدل، مجتهدين في إقامته. «شهداء» بالحقّ تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى. و هو خبر ثان أو حال.[٤]

عن أبي الحسن عليه السلام: فأقم الشهادة لله و لو على نفسك أو الوالدين و الأقربين فيما بينك و بينهم. فإن خفت على أخيك ضيماً فلا.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام «إن تلووا أو تعرضوا» فقال: تلووا الأمر أو تعرضوا عمّا أمرتم به.[٦]

١ـ الشورى (٤٢) / ٢٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٢.

٣ـ الكشّاف ١ / ٥٧٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٢.

٥ـ الكافي ٧ / ٣٨١، ح ٣.

٦ـ الكافي ١ / ٤٢١، ح ٤٥.

«أولى بهما»؛ أي: بجنس الغنيّ و الفقير. أو: بالأغنياء و الفقراء. «إن تعدلوا». يحتمل العدل و العدول. كأنّه قيل: فلاتتّبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا عن الحقّ. «و إن تلووا أو تعرضوا»: و إن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحقّ أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم و تمنعوها.(١)

«و إن تلووا». قيل: معناه: «إن تلووا»؛ أي: تبدلوا الشهادة. «أو تعرضوا»؛ أي: تكتموها. عن أبي جعفر عليه السلام. قرأ ابن‌عامر و حمزة: «تلوا» بضمّ اللّام و واو واحدة ساكنة. أي: إن تقبلوا أو تعرضوا، فإنّ الله يجازي المحسن و المسيء.(٢)

[١٣٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً».

«يا أيّها الذين آمنوا آمنوا». خطاب للمسلمين، أو للمنافقين، أو لمؤمني أهل الكتاب؛ إذ روي أنّ ابن سلام و أصحابه قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه و آله إنّا نؤمن بك و بكتابك و بموسى و التوراة و عزيز و نكفر بما سواه، فنزلت. «آمنوا بالله و رسوله»: اثبتوا على الإيمان بذلك و دوموا عليه. أو: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم. أو: آمنوا إيماناً عامّاً يعمّ الكتب و الرسل. فإنّ الإيمان بالبعض كلاإيمان. و الكتاب الأوّل القرآن و الثاني الجنس. «أنزل». نافع و الكوفيّون: «الذي نَزَّل» و «الذي أَنْزَل» بفتح النون و الهمزة و الزاء، و الباقون بضمّ النون و الهمزة و كسر الزاء.(٣)

«نزّل». أتى بصيغة نزّل لأنّ القرآن نزل منجّماً بخلاف باقي الكتب.

«بعيداً» عن المقصد بحيث لايكاد يعود إلى طريقه.(٤)

١ـ الكشّاف ١ / ٥٧٥.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٠ و ١٨٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٢.

[١٣٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً».

«إنّ الذين آمنوا». يعني اليهود؛ آمنوا بموسى عليه السلام «ثمّ كفروا» حين عبدوا العجل «ثمّ آمنوا» بعد عوده إليهم «ثمّ كفروا» بعيسى «ثمّ ازدادوا كفراً» بمحمّد صلّى الله عليه و آله. أو قوماً تكرّر منهم الارتداد ثمّ أصرّوا على الكفر و ازدادوا إثماً في الغيّ. «ليغفر لهم»؛ إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر و يثبتوا على الإيمان ـ فإنّ قلوبهم تعوّدت الكفر و بصائرهم عميت عن الحقّ ـ لا أنّهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم و لم يغفرلهم. و خبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلّق به اللّام، مثل: [لم يكن الله] مريداً ليغفر لهم.(١)

«إنّ الذين آمنوا» ـ الآية. قال: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً لا تصديقاً. «ثمّ كفروا» لمّا كتبوا الكتاب بينهم أن لا يردّوا الأمر في أهل بيته أبداً. فلمّا نزلت الولاية و أخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله الميثاق عليهم لأمير المؤمنين عليه السلام آمنوا إقراراً لا تصديقاً. فلمّا مضى رسول الله صلّى الله عليه و آله كفروا و ازدادوا كفراً. لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم طريقاً إلّا طريق جهنّم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام «إنّ الذين آمنوا» ـ الآية ـ قال: نزلت في فلان و فلان آمنوا بالنبيّ صلّى الله عليه و آله في أوّل الأمر و كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال النبيّ: من كنت مولاه، فعليّ مولاه. ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين. ثمّ كفروا حين مضى رسول الله صلّى الله عليه و آله فلم يقرّوا بالبيعة. ثمّ ازدادوا كفراً بتأخيرهم من بايعهم له. فهؤلاء لم يبق لهم من الإيمان شيء.(٣)

عن جابر قال: قلت لمحمّد بن عليّ عليهما السلام: قول الله في كتابه: «الذين آمنوا ثمّ كفروا» قال: هم الأوّل و الثاني و الثالث و الرابع و عبدالرحمن و طلحة و زبير. كانوا سبعة رجال. قال: لمّا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٣. ٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٦.

٣ـ الكافي ١ / ٤٢٠، ح ٤٢.

توجّه النبيّ عليه السلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و عمّار بن ياسر إلى أهل مكّة قالوا: بعث هـذا إلى صناديد مكّة! و كانوا يسمّون أهل مكّة عليّاً عليه السلام الصبيّ، لأنّه كان اسمه في الكتاب؛ لقوله تعالى[1]: «و من أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله و عمل صالحاً و هو صبيّ». و الله الكفر بنا أولى ممّا نحن فيه! فخوّفوهما بأهل مكّة و غلّظوا عليهما. فقالا: حسبنا الله و نعم الوكيل. و في فلان و فلان نزل: «إنّ الذين آمنوا ثمّ كفروا». فهذا أوّل كفرهم. و الكفر الثاني لمّا قال عليه السلام: سيطّلع عليكم من هذا الشعب رجل مثله كمثل عيسى. فلمّا خرج عليّ قالوا: مابقي إلّا أن يجعله نبيّاً! و الله الرجوع إلى آلهتنا خير ممّا نسمع منه في ابن عمّه! و أمّا ازدياد الكفر، فلمّا نزل قوله: «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة»[2] قال عليه السلام: يا عليّ، أنت خيرالبريّة. فازدادوا كفراً و قالوا: إنّه فضّل ابن عمّه على آدم و نوح و إبراهيم.[3]

عن أبي بصير قال: سمعته يقول: «إنّ الذين آمنوا» ـ الآية. من زعم أنّ الخمر حرام ثمّ شربها. و من زعم أنّ الزنى حرام ثم زنى. و من زعم أنّ الزكاة حقّ و لم يؤدّها.[4]

[١٣٨] «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«بشّر المنافقين». وضع «بشّر» [مكان أخبر] تهكّماً بهم.[5]

[١٣٩] «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً».

«الذين يتّخذون». في هذه الآية دلالة على أنّ الآية المتقدّمة نزلت في شأن المنافقين.[6]

«الذين». نصب على الذمّ. أو رفع بمعنى: أريد الذين، أو هم الذين. «أولياء». كانوا يمايلون الكفرة و يوالونهم و يقول بعضهم لبعض: لايتمّ أمر محمّد، فتولّوا اليهود. «فإنّ العزّة

١ـ فصّلت (٤١) / ٣٣.
٢ـ البيّنة (٩٨) / ٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٧٩، ح ٢٨٦.
٤ـ تفسيرالعيّاشيّ ١ / ٢٨١، ح ٢٨٨.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٧٧.
٦ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٣.

لله»؛ أي: لأولياء الله الذين كتب لهم العزّة و الغلبة على اليهود و غيرهم و قال: «و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين».[١] [٢]

«و الذين يتّخذون» ـ الآية. قال: نزلت في بني أميّة حيث حالفوهم على أن لايردّوا الأمر في بني هاشم. «فإنّ العزّة لله». أي: اتّقوه.[٣]

«الكافرين»: مشركي العرب. و قيل: اليهود. «أ يبتغون» أ يطلبون القوّة و المنعة.[٤]

[١٤٠] «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَ يُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً».

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها. و فرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله فقال في ذلك: «و قد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم» ـ الآية.[٥] و عنه عليه السلام في حديث آخر: انّما عني بهذا الرجل يجحد الحقّ و يكذّب به و يقع في الأئمّة. فقم من عنده و لاتقاعده، كائناً من كان.[٦]

«نزّل». عاصم و يعقوب بالفتح. و الباقون بضمّ النون و كسر الزاء.[٧]

«أن إذا سمعتم». أن هي المخفّفة من المثقّلة. و المعنى: أنّه إذا سمعتم. أي: نزّل عليكم أنّ الشأن كذا. و الشأن ما أفادته الجملة بشرطها و جزائها. و أن مع ما في حيّزها في موضع الرفع بنُزّل، أو في موضع النصب بنَزّل فيمن قرأ به. و المنزّل عليهم في الكتاب هو ما نزّل عليهم بمكّة من قوله: «و إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره».[٨] و ذلك أنّ المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم

١ـ المنافقون (٦٣) / ٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٧٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٦.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٣.
٥ـ الكافي ٢ / ٣٤ ـ ٣٥.
٦ـ الكافي ٢ / ٣٧٧، ح ٨.
٧ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٤.
٨ـ الأنعام (٦) / ٦٨.

فيستهزئون به، فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، و كان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو ما فعل المشركون، فنهوا أن يقعدوا معهم. و كان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون. فقيل لهم: إنّكم إذاً مثل الأحبار في الكفر. «المنافقين و الكافرين». يعني القاعدين و المقعود معهم. «معهم»؛ أي: الكافرين و المستهزئين؛ لدلالة يكفر و يستهزأ عليه.(١)

«حتّى يخوضوا في حديث غيره». فيه دلالة على إباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره. و روي عن الحسن أنّ إباحة القعود مع الكفّار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم، منسوخ بقوله: «فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين».(٢) و في الآية دلالة على تحريم مجالسة الفسّاق و المبتدعين من أيّ جنس كانوا. «في حديث غيره»؛ أي: غير الاستهزاء بالدين. و قيل: يرجعون إلى الإيمان و يتركون الكفر و الاستهزاء. «إذاً مثلهم». لأنّهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين، و الراضي بالكفر كافر. و أمّا المسلمون الذين كانوا يجالسون المشركين في مكّة، فكانوا لاينكرون لعجزهم و هؤلاء كانوا قادرين فكان الترك لرضاهم.(٣)

[١٤١] «**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**».

«يتربّصون بكم». لأنّهم كانوا يقولون: سيهلك محمّد و أصحابه فنستريح منهم و يظهر قومنا و ديننا.(٤)

«الذين يتربّصون». إمّا بدل من الذين [يتّخذون] و إمّا صفة للمنافقين. أو نصب على الذمّ منهم. «يتربّصون بكم»؛ أي: ينتظرون بكم ما يتجدّد لكم من ظفر أو غيره. «ألم نكن

١ـ الكشّاف ١ / ٥٧٨.
٢ـ الانعام (٦) / ٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٤ ـ ١٩٥.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٦.

معكم» مظاهرين؟ فأسهموا لنا في الغنيمة. «ألم نستحوذ عليكم»: ألم نغلبكم و نتمكّن من قتلكم و أسركم فأبقينا عليكم «و نمنعكم من المؤمنين» بأن ثبّتناهم عنكم و خيّلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم و مرضوا في قتالكم و توانينا في مظاهرتهم عليكم؟ فهاتوا لنا نصيباً ممّا أصبتم. «فتح». سمّاه فتحاً لأنّه أمر عظيم يفتح لهم أبواب السماء حتّى ينزل على أوليـائه. «نصيب»: أي: حظّ دنيّ و لمظة من الدنيا يصيبونها.(١)

«قالوا ألم نستحوذ عليكم»: أي: قال المنافقون للكـافرين: ألم نـغلبكم عـلى رأيكـم بالموالاة لكم «و نمنعكم من» الدخول في جملة «المؤمنين»؟ و قيل: معناه: ألم نبيّن لكم أنّا على ما أنتم عليه؟ أي: ألم نضمّكم إلى أنفسنا و نطلعكم على أسرار محمّد صلى الله عليه و آله و أصحابه و نكتب لكم بأخبارهم حتّى غلبتم عليهم؟ فاعرفوا لنا هذا الحقّ عليكم. و قيل: معناه: إنّا دفعنا عنكم صولة المؤمنين بتحديثنا إيّاهم عنكم و كوننا عيوناً لكم حتّى انصرفوا عنكم و غلبتموهم.(٢)

«و لن يجعل الله للكافرين»: أي: لليهود على المؤمنين نصراً و لا ظهوراً. و قيل: لا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالحجّة و إن جاز أن يغلبوهم بالقوّة. على أنّ غلبة الكفّار على المسلمين ليس من الله. لأنّه لا يفعل القبيح. و قيل: لن يجعل لهم في الآخرة سبيلاً على المؤمنين و إن غلبوهم في الدنيا بالقهر و الغلبة.(٣)

عن أبي الصلت الهرويّ قال: قلت للرضا عليه السلام: قوم يزعمون أنّ الحسين عليه السلام لم يقتل و أنّه ألقي شبهه على حنظلة بن أسعد الشاميّ و أنّه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليهما السلام و يحتجّون بهذه الآية: «و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً». فقال: كذبوا! عليهم غضب الله! و الله لقد قتل الحسين عليه السلام و قتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين عليهما السلام. و أمّا قوله: «سبيلاً» فإنّه يقول: لن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجّة.(٤)

١ـ الكشّاف ١ / ٥٧٨ ـ ٥٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٦.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٦ ـ ١٩٧.
٤ـ عيون الأخبار ٢ / ٢٠٣، ح ٥.

[١٤٢] «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً».

«إنّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم». خداع المنافقين إظهارهم الإيمان الذي حقنوا به دماءهم و أموالهم. و قيل: معناه: يخادعون نبيّ الله. كما قال: «إنّما يبايعون الله».[١] و معنى خداع الله إيّاهم أن يجازيهم على خداعهم. و قيل: هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم. و قيل: هو أن يعطيهم الله نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسلمين، ثمّ يسلبهم ذلك النور و يضرب بينهم و بينه بسور. «قاموا كسالى»؛ أي: متثاقلين. «يراؤون الناس». يعني أنّهم لايعملون شيئاً من أعمال العبادات على وجه القربة و إنّما يفعلون ذلك حذراً من القتل و سلب الأموال. إذا رآهم المسلمون صلّوا ليروهم أنّهم يدينون بدينهم، و إذا لم يرهم أحد لم يصلّوا. «إلّا قليلاً»؛ أي: ذكراً قليلاً. و معناه: لايذكرون الله عن نيّة و إخلاص. و لو ذكروه مخلصين لكان كثيراً، و إنّما وصف بالقلّة لأنّه لغير الله. و قيل: لايذكرون الله إلّا ذكراً يسيراً نحو التكبير و الأذكار التي يجهر بها و يتركون التسبيح و ما يخافت به من القراءة و غيرها. و قيل: إنّما وصف الذكر بالقلّة لأنّه تعالى لم يقبله و كلّ ما ردّه الله فهو قليل.[٢]

«قاموا كسالى». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الأشياء لمّا ازدوجت، ازدوج العجز و الكسل فنتجا بينهما الفقر.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من ذكر الله في السرّ، فقد ذكر الله كثيراً. إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية فقال الله: «يراؤون الناس» ـ الآية.[٤]

«إلّا قليلاً». لأنّهم لايصلّون قطّ غائبين عن أعين الناس إلّا ما يجاهرون به، و ما يجاهرون به قليل أيضاً لأنّهم لو وجدوا عنه مندوحة لم يتكلّفوه. أو: لايذكرون الله بالتسبيح و التهليل إلّا ذكراً قليلاً. و يجوز أن يراد بالقلّة العدم. فإن قلت: ما معنى المرءاة و

١ـ الفتح (٤٨) / ١٠.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٨.
٣ـ الكافي ٥ / ٨٦، ح ٨.
٤ـ الكافي ٢ / ٥٠١، ح ٢.

هي مفاعلة من الرؤية؟ قلت: فيها وجهان: أحدهما أنّ المرائي يريهم عمله و هم يرونه استحسانه. و الثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال: راءى الناس، بمعنى رءّاهم.(١)

[١٤٣] «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَا إِلىٰ هٰؤُلَاءِ وَ لَا إِلىٰ هٰؤُلَاءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً».

«مذبذبين». حال من الواو في يراؤون. أو منصوب على الذمّ. أي: ذبذبهم الشيطان و الهوى بين الإيمان و الكفر، فهم متردّدون بين الإيمان و الكفر. و حقيقة المذبذب الذي يذبّ ـ أي: يدفع ـ عن كلا الجانبين؛ أي: كلّما مال إلى جانب ذبّ عنه.(٢)

«مذبذبين»؛ أي: مردّدين بين الكفر و الإيمان. يريد كأنّه فعل بهم ذلك و إن كان الفعل لهم على الحقيقة. و قيل: معنى مذبذبين: مطرودين من هؤلاء و هؤلاء، من الذبّ الذي هو الطرد. وصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم و أنّهم لايرجعون إلى صحّة نيّة، لا مع المؤمنين على بصيرة و لا مع الكافرين على جهالة. قال رسول الله ﷺ: إنّ مثلهم مثل الشاة العايرة بين الغنمين تتحيّر فتنظر إلى هذه و إلى هذه لاتدري أيّهما تتّبع. « لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء»: لا مع هؤلاء في الحقيقة و لا مع هؤلاء؛ يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون، و يضمرون الكفر كما يضمره المشركون.(٣)

«و من يضلل الله»؛ أي: يمنعه الألطاف بسوء الأعمال. أو: يضلّه في الآخرة عن طريق الجنّة.(٤)

[١٤٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً».

١ـ الكشّاف ١ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩.
٤ـ مجمع البيان ١ / ١٦٦ ـ ١٦٧.

«لاتتّخذوا الكافرين». لأنّه صنيع المنافقين و ديدنهم. فلاتتشبّهوا بهم. «سلطاناً مبيناً»: حجّة. فإنّ موالاتهم دليل على النفاق. أو: سلطاناً يسلّط عليكم عقابه.(١)

[١٤٥] «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً».

«في الدَّرَك الأسفل». قرأ الكوفيّون بسكون الراء؛ و هو لغة في الفتح. الدرك: هو الطبقة التي في قعر جهنّم. و إنّما كان كذلك لأنّهم أخبث الكفرة إذ ضمّوا إلى الكفر استهزاء بالإسلام و خداعاً للمسلمين. و أمّا قولهﷺ: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، و إن صام و صلّى: من إذا حدّث كذب، و إذا وعد أخلف، و إذا ائتمن خان.» و نحوه، فهو من باب التشبيه و التغليظ. و إنّما سمّيت طباقها السبع دركات لأنّها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض.(٢)

[١٤٦] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ فَأُولٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً».

«إلّا الذين تابوا» عن النفاق «و أصلحوا» ما أفسدوا من أسرارهم و أحوالهم في النفاق «و اعتصموا»: وثقوا به و تمسّكوا بدينه. «دينهم لله»: لايريدون بطاعتهم إلّا وجهه. «مع المؤمنين»: من عدادهم في الدارين. «عظيماً» فيساهمونهم فيه.(٣)

عن عبدالله بن سنان قال: كنّا جلوساً عند أبي جعفرﷺ إذ قال له رجل من الجلساء: جعلت فداك؛ أخاف أن أكون منافقاً. فقال له: إذا خلوت في بيتك ليلاً و نهاراً أليس تصلّي؟ فقال: بلى. [فقال: فلمن تصلّي؟ فقال: لله عزّ و جلّ.] فقال: و كيف تكون منافقاً و أنت تصلّي لله [عزّوجلّ لا لغيره]؟(٤)

[١٤٧] «مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٥.
٤ـ معاني الأخبار / ١٤٢.

«ما يفعل الله بعذابكم»؟ أيتشفّى غيظاً؟ أو يدفع ضرراً؟ أو يستجلب نفعاً؟ و هو الغنيّ المتعالي عن النفع و الضرّ. و إنّما يعاقب المصرّ بكفره. و إنّما قدّم الشكر لأنّ الناظر يدرك النعمة أوّلاً فيشكر شكراً مبهماً ثمّ يمعن النظر حتّى يعرف المنعم فيؤمن به. «شاكراً»: مثيباً يقبل اليسير و يعطي الجزيل. «عليماً» بحقّ شكركم و إيمانكم.(۱)

[۱۴۸] «لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَ كَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً».

«لايحبّ الله» ـ الآية ـ أي: لايحبّ أن يظهر الرجل الظلم و السوء و يظلم إلّا من ظلم. فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم. و في حديث آخر في تفسير هذا قال: إن جاءك رجل و قال فيك ما ليس فيك من الخير و الثناء و العمل الصالح، فلاتقبله منه و كذّبه. [فقد ظلمك.] كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم.(۲)

و في مجمع البيان: «لايحبّ الله الجهر بالسوء». قيل في معناه أقوال. أحدها: لايحبّ الله الشتم في الانتصار إلّا من ظلم. فلا بأس له أن ينتصر ممّن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه الضيف ينزل بالرجل فلايحسن ضيافته، فلا جناح عليه في أن يذكر بسوء ما فعله. [و ثانيها:] لايحبّ الله الجهر بالدعاء على أحد إلّا أن يظلم إنسان فيدعو على من ظلمه، فلايكره ذلك. أو يكون المراد: لايحبّ أن يذمّ أحد أحداً، أو يشكوه، أو يذكره بالسوء، إلّا أن يظلم، فيجوز له أن يشكو ظالمه و يظهر أمره و يذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس.(۳)

«إلّا من ظلم»: إلّا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم و التظلّم منه. «سميعاً» لكلام المظلوم. «عليماً» بالظالم.(٤)

[۱۴۹] «إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً».

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲٤۵.
۲ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۱۵۷.
۳ـ مجمع البيان ۳ / ۲۰۱ ـ ۲۰۲.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲٤۵.

«خيراً»: طاعة و برّاً. «أو تخفوه»: تفعلوه سرّاً. «عن سوء» لكم المؤاخذة عليه. و هو المقصود و ذكر إبداء الخير و إخفائه تمهيد له. و لذلك رتّب عليه قوله: «فإنّ الله كان عفوّاً قديراً»؛ أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام، فأنتم أولى بذلك. و هو حثّ للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار، حملاً على مكارم الأخلاق.[١]

[١٥٠] «إِنَّ الَّذِينَ يَـكْفُرُونَ بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَـقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَـكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً».

«أن يفرّقوا» بأن يؤمنوا بالله و يكفروا برسله. «نؤمن ببعض» الأنبياء.[٢]

«يريدون» أهل الكتاب. «سبيلاً» يدعون جهّال الناس إليه.[٣]

«و نكفر ببعض». قال: هم الذين أقرّوا برسول الله ﷺ و أنكروا أميرالمـؤمنين عليه السلام.[٤] «سبيلاً» ينالوا خيراً.

«سبيلاً»: طريقاً وسطاً بين الإيمان و الكفر. و لا واسطة؛ إذ الحقّ لا يختلف. فإنّ الإيمان بالله إنّما يتمّ بالإيمان برسله و تصديقهم فيما بلّغوا عنه تفصيلاً و إجمالاً. فالكافر ببعض ذلك، كالكافر بالكلّ في الضلال. كما قال تعالى: «فما ذا بعد الحقّ إلّا الضلال»[٥].[٦]

[١٥١] «أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً».

«هم الكافرون»: الكاملون في الكفر. لا عبرة بإيمانهم. «حقّاً» مصدر مؤكّد لغيره. أو صفة لمصدر الكافرون، بمعنى: هم الذين كفروا كفراً حقّاً؛ أي: يقيناً محقّقاً.[٧]

[١٥٢] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٧.
٥ـ يونس (١٠) / ٣٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٥.

أُجُورَهُمْ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«و الذين آمنوا»: أضدادهم و مقابلوهم. و إنّما دخل «بين أحد» و هو يقتضي متعدّداً لعمومه من حيث إنّه وقع في سياق النفي. «أجورهم» الموعودة لهم. و تصديره بسوف لتأكيد الوعد و الدلالة على أنّه كائن لا محالة. و قرأ حفص عن عاصم بالياء على تلوين الخطاب.(١)

[١٥٣] «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَ آتَيْنَا مُوسىٰ سُلْطَاناً مُبِيناً».

«يسألك» يا محمّد.(٢)

«يسألك أهل الكتاب». نزلت في أحبار اليهود. قالوا: إن كنت صادقاً، فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى. و قيل: كتاباً محرّراً بخطّ سماويّ على ألواح كما كانت التوراة، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنّك رسول الله.(٣)

«فقد سألوا موسى». جواب شرط مقدّر معناه: إن استكبرت ما سألوه منك، فقد سألوا موسى «أكبر من ذلك». و إنّما أسند السؤال إليهم و إن وجد من آبائهم في أيّام موسى و هم النقباء السبعون، لأنّهم كانوا على مذهبهم و راضين بسؤالهم و مضاهين لهم في التعنّت. «جهرة»: عياناً. بمعنى : أرناه نره جهرة. «بظلمهم»: بسبب سؤالهم الرؤية. و لو طلبوا أمراً جائزاً لما سمّوا ظالمين و لما أخذتهم الصاعقة. كما سأل الخليل عليه السلام أن يريه إحياء الموتى و لم يسمّه ظالماً و لا رماه بالصاعقة. فتبّاً للمشبّهة و رمياً بالصواعق.(٤)

«الصاعقة»: نار جاءت من السماء فأهلكتهم. «بظلمهم»: بسبب ظلمهم و تعنّتهم و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

سؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها. و ذلك لايقتضي امتناع الرؤية مطلقاً.[١]

قوله: «في تلك الحالة»؛ يعني: في الدنيا. لأنّ مذهب الأشاعرة وقوع الرؤية في الآخرة و هم قائلون بالتشبيه حيث لايشعرون.

«البيّنات»: المعجزات. و لايجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد.[٢]

«سلطاناً»: تسلّطاً و استيلاء ظاهراً عليهم حين أمرهم أن يقتلوا أنفسهم حتّى يتاب عليهم فأطاعوه و احتبوا بأفنيتهم و السيوف تتساقط عليهم. فيالك من سلطان مبين![٣]

[١٥٤] «وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَ قُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً».

«بميثاقهم» ليخافوا فلاينقضوه. «و قلنا لهم» ـ و الطور مظلّ عليهم ـ: «ادخلوا الباب سجّداً». و لاتعدوا في السبت. و قد أخذ منهم ميثاقهم على ذلك و قولهم سمعنا و أطعنا و معاهدتهم على أن يتمّوا عليه، ثمّ نقضوه بعد.[٤]

«و رفعنا فوقهم الطور»؛ أي: الجبل، لمّا امتنعوا من العمل بما في التوراة و قبول ما جاءهم به موسى. «بميثاقهم»؛ أي: بما أعطوا الله من العهد ليعملنّ بما في التوراة. و قيل: معناه: رفعنا الجبل فوقهم بنقض ميثاقهم الذي أخذ عليهم أن يعملوا بما في التوراة. و قيل: معناه: و إنّما نقضوه لعبادة العجل و غيرها.[٥]

«و قلنا لهم» على لسان موسى و الطور مظلّ عليهم. «و قلنا لهم» على لسان داوود. و يحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلّل عليهم الجبل. فإنّه شرع السبت، ولكن كان الاعتداء فيه و المسخ به في زمن داوود. «ميثاقاً غليظاً». و هو قولهم: سمعنا و أطعنا.[٦]

«لاتعدوا»؛ أي: لاتتجاوزوا في يوم السبت ما أحلّ لكم إلى ما حرّم الله عليكم. لأنّه

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٨٥.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٨٥.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦.

تعالى أمرهم أن لايأكلوا الحيتان يوم السبت و أجاز لهم ما عداه. قرأ أهل المدينة: «لاتَعْدّوا» بتسكين العين و تشديد الدال، و أصله: لا تعتدوا، فأدغم التاء في الدال لتقاربهما.(١) فجمع بين الساكنين كما جمع في نحو: أُصَيْمّ و دُوَيْبّة.(٢)

[١٥٥] «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً».

[«فبما نقضهم»: فبنقضهم. و ما مزيدة للتوكيد.] فإن قلت: بم تعلّقت الباء؟ و ما معنى التوكيد ؟ قلت: [إمّا أن يتعلّق بمحذوف، كأنّه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم، فعلنا بهم ما فعلنا. و] إمّا أن يتعلّق بقوله: «حرّمنا عليهم»(٣) على أنّ قوله: «فبظلم من الذين هادوا» بدل من قوله: «فبما نقضهم». و أمّا التوكيد فمعناه تحقيق أنّ العقاب واقع بهم ، أو تحريم الطيّبات لم يكن إلّا بنقض العهد و ما عطف عليه من الكفر و قتل الأنبياء و غير ذلك.(٤)

«ميثاقهم»: أي: عهدهم أن يعملوا بما في التوراة.(٥)

«بغير حقّ». تأكيد. لأنّ قتلهم لايكون إلّا بغير حقّ. أو إنّه بغير حقّ عندهم.

«غلف»: أوعية للعلوم. أو: في أكنّه ممّا تدعونا إليه. «بل طبع الله عليها» فجعلها محجوبة عن العلم. أو: خذلها و منعها التوفيق للتدبّر في الآيات و التذكّر في المواعظ. «إلّا قليلاً» منهم كابن سلام. أو: إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.(٦)

[١٥٦] «وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً».

«و بكفرهم» بعيسى. و هو معطوف على «بكفرهم» لأنّه من أسباب الطبع. «بهتاناً عظيماً». نسبتها إلى الزنى.(٧)

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٦ و ٢٠٤.
٢ـ جوامع الجامع ١ / ٣٤٦.
٣ـ النساء (٤) / ١٦٠.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٨٥.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٧.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٧.

«بهتاناً عظيماً». عن الصادقعليه السلام في حديث طويل قال فيه: يا علقمة، إنّ رضا الناس لايملك و ألسنتهم لاتضبط. ألم ينسبوا مريم بنت عمران أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف؟[١]

«و بكفرهم». فإن قلت: علام عطف قوله: «و بكفرهم»؟ قلت: الوجه أن يعطف على «فبما نقضهم» و يجعل قوله: «بل طبع الله عليها بكفرهم» كلاماً أتبع قوله: «و قالوا قلوبنا غلف» على وجه الاستطراد. و يجوز عطفه على ما يليه من قوله: «بكفرهم». فإن قلت: ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده و هو قوله: «و كفرهم بآيات الله» و قوله: «بكفرهم»؟ قلت: قد تكرّر منهم الكفر. لأنّهم كفروا بموسى، ثمّ بعيسى، ثمّ بمحمّدصلى الله عليه وآله. فعطف بعض كفرهم على بعض، أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه. كأنّه قيل: فيجمعهم بين نقض الميثاق و الكفر بآيات الله و قتل الأنبياء و قولهم: «قلوبنا غلف» و جمعهم بين كفرهم و بهتهم على مريم و افتخارهم بقتل عيسى، عاقبناهم. أو: بل طبع الله عليها بكفرهم و جمعهم بين كفرهم و كذا و كذا. و البهتان العظيم هو التزنية.[٢]

[١٥٧] «وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَبُوهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِيناً».

«إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله». فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى أعداء له عامدين على قتله يسمّونه الساحر بن الساحرة و الفاعل بن الفاعلة. فكيف قالوا: «إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله»؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء. كقول فرعون: «إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون».[٣] و يجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم

١ـ أمالي الصدوق / ٩١ ـ ٩٢، ح ٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٨٦ ـ ٥٨٧.
٣ـ الشعراء (٢٦) / ٢٧.

القبيح في الحكاية عنهم، رفعاً لعيسى عمّا كانوا يذكرونه و تعظيماً لما أرادوا بمثله. كقوله: «ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهداً»[١].[٢]

«ولكن شبّه». قد اختلفوا في كيفيّة التشبيه. فروي عن ابن‌عبّاس: انّ عيسى مرّ برهط فقالوا: هذا الساحر بن الساحرة و الفاعل بن الفاعلة، فقذفوه بأمّه. فدعا عليهم فمسخوا خنازير. فبلغ الخبر إلى يهوذا ـ و هو رأس اليهود ـ و خاف أن يدعو عليه. فجمع اليهود فاتّفقوا على قتله. فبعث الله جبرئيل يمنعه عنهم. و ذلك قوله: «و أيّدناه بروح القدس».[٣] فساروا إليه أن يقتلوه. فأدخله جبرئيل في خوخة البيت فرفعه جبرئيل إلى السماء. فبعث يهوذا رجلاً من أصحابه اسمه طيطانوس ليقتله، فألقى الله عليه شبه عيسى. فلمّا خرج على أصحابه، قتلوه و صلبوه. و قيل: ألقى عليه شبه وجه عيسى و لم‌يلق عليه شبه جسده. فقال بعض القوم: الوجه وجه عيسى و الجسد جسد طيطانوس! إن كان هذا عيسى، فأين طيطانوس؟ و إن كان طيطانوس، فأين عيسى؟ فاشتبه الأمر عليهم.[٤]

«ولكن شبّه»؛ أي: وقع التشبيه بين عيسى و المقتول. أو: شبّه الأمر عليهم. أو: شبّه المقتول؛ لدلالة «إنّا قتلنا» على أنّ ثمّ قتيلاً.[٥]

«شبّه لهم». عن أبي جعفر عليه السلام: انّ عيسى جمع أصحابه و هم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً و قال لهم: إنّ الله رافعي إليه الساعة و يطهّرني من اليهود. فأيّكم يلقى عليه شبحى فيقتل و يصلب و يكون معي في درجتي؟ فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله. فقال: فأنت هو ذا. فأخذ ذلك الشابّ فقتل و صلب.[٦]

عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: انّ عيسى بن مريم أتى بيت المقدس، فمكث يدعوهم و يرغّبهم فيما عند الله ثلاثاً و ثلاثين سنة، حتّى طلبته اليهود و ادّعت أنّها عذّبته و دفنته في الأرض حيّاً. و ادّعى بعضهم أنّهم قتلوه و صلبوه. و ما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه و إنّما شبّه لهم. و

١ـ الزخرف (٤٣) / ٩ ـ ١٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٨٧.
٣ـ البقرة (٢) / ٨٧ و ٢٥٣.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٧.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٠٣.

ما قدروا على عذابه ولكن رفعه الله بعد أن توفّاه.[١]

«و إنّ الذين اختلفوا فيه»؛ أي: في شأن عيسى. فإنّه لمّا وقعت تلك الواقعة، اختلف الناس. فقال بعض اليهود: إنّه كان كاذباً فقتلناه حقّاً. و تردّد آخرون فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى و البدن بدن صاحبنا. و قال بعضهم: إنّ الله رفعه إلى السماء. و قال قوم: صلب الناسوت و صعد اللّاهوت. «لفي شكّ»: تردّد. و الشكّ كما يطلق على ما لايترجّح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردّد و على ما يقابل العلم. و لذلك أكّده بقوله: «ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظنّ». استثناء منقطع. و يجوز أن يفسّر الشكّ بالجهل و العلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره، فيتّصل الاستثناء.[٢]

[١٥٨] «بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً».

«بل رفعه الله». عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ثمّ صعدنا إلى السماء الثانية، فإذا فيها رجلان متشابهان. فقلت: من هذان يا جبرئيل؟ فقال: ابنا الخالة؛ عيسى و يحيى عليهما السلام. فسلّمت عليهما و سلّما عليّ. و استغفرت لهما و استغفرا لي. و قالا: مرحباً بالأخ الصالح و النبيّ الصالح.[٣]

«عزيزاً» لايغلب. «حكيماً» فيما دبّره في عيسى.[٤]

[١٥٩] «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً».

«ليؤمننّ»؛ أي: بأنّ عيسى عبد الله و رسوله قبل أن يموت و تزهق روحه.[٥]

«إلّا ليؤمننّ به قبل موته». عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج: يا شهر، آية في كتاب الله قد أعيتني. فقلت: أيّها الأمير، أيّة آية هي؟ قال: قوله: «و إن من أهل الكتاب إلّا

١ـ كمال الدين / ٢٢٤، ح ٢٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.

ليؤمننّ به قبل موته». و الله إنّي لآمر باليهوديّ و النصرانيّ تضرب عنقه فأرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد. فقلت: أصلح الله الأمير؛ ليس ما تأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلايبق أهل ملّة يهوديّ أو غيره إلّا آمن به قبل موته. و يصلّي خلف المهديّ. فقال: ويحك! أنّى لك هذا؟ فقلت: حدّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب عليهم السلام. فقال: جئت ـ و الله بها ـ من عين صافية.[١]

«إلّا ليؤمننّ به قبل موته». يجوز أن يكون الضميران للمسيح. أي: يؤمن أهل الكتاب بالمسيح قبل موت المسيح. و ذلك إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهديّ فتصير الملل كلّها ملّة واحدة. و ذلك حين لاينفعهم الإيمان. و يجوز أن يكون الضمير في به يعود إلى المسيح و الضمير في موته يعود إلى الكتابيّ. يعني: إذا تحقّق للكتابيّ الموت، يؤمن بعيسى. و هذا الإيمان أيضاً لاينفع.[٢]

«إلّا ليؤمننّ به»؛ أي: بمحمّد صلّى الله عليه و آله قبل موت اليهوديّ و الكتابيّ. عن عكرمة. و رواه أيضاً أصحابنا. و في هذه الآية دلالة على أنّ كلّ كافر يؤمن عند المعاينة و أنّ إيمانه ذلك غير مقبول كإيمان فرعون. و يقرب من هذا ما رواه الإماميّة أنّ المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله و خلفاءه عليهم السلام عند الوفاة. و يروون في ذلك عن عليّ عليه السلام أنّه قال للحارث الهمدانيّ:

يا حار همدان من يمت يـرني	مـن مـؤمن أو مـنافق قـبلا
يـعرفني طـرفه و أعـرفه	بـعينه و اسـمه و مـا فـعلا[٣]

«شهيداً». فيشهد على اليهود بالتكذيب و على النصارى بأنّهم دعوه ابن الله.[٤]

[١٦٠] «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً».

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢١١ ـ ٢١٢.
٣ـ نور الثقلين ١ / ٥٧١، و مجمع البيان ٣ / ٢١٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.

«فبظلم» أي: ظلم عظيم. أو هو ما تقدّم. «حرّمنا عليهم طيّبات» [يعني ما ذكره] بقوله: «و على الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر» ـ الآية.[1] «كثيراً»: أناساً كثيراً. أو: صدّاً كثيراً.[2]

«حرّمنا». عن الصادق عليه السلام: لحوم البقر و الإبل و الغنم.[3]

[١٦١] «وَ أَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«و أخذهم الربا و قد نهوا عنه». كما هو محرّم علينا. فيه دلالة على أنّ النهي للتحريم. «بالباطل»: بالرشوة و سائر الوجوه المحرّمة. «للكافرين منهم» دون من تاب و آمن.[4]

[١٦٢] «لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً».

«الراسخون». كعبدالله بن سلام و أصحابه. «و المؤمنون». أي منهم، أو من المهاجرين و الأنصار. «و المقيمين». نصب على المدح إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك، أو عطف على «ما أنزل إليك». و المراد بهم الأنبياء. أي: يؤمنون بالكتب و الأنبياء.[5]

«و المقيمين». نصب على المدح لبيان فضل الصلاة. و هو باب واسع. [و] قد كسره سيبويه على أمثلة و شواهد. و لايلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خطّ المصحف. و ربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب و لم يعرف مذاهب العرب و ما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان و غبي عليه أنّ السابقين الأوّلين أبعد همّة في الغيرة على الإسلام و

١ـ الأنعام (٦) / ١٤٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.
٣ـ الكافي ٥ / ٣٠٦، ح ٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨.

ذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا في كتابه ثلمة.[١]

و أمّا ما روي عن عائشة أنّها قالت: «إنّ هذان»[٢] و قوله: «و الصابئون»[٣] و قوله: «و المقيمين الصلاة» إنّه من عمل الكتّاب أخطؤوا في الكتاب، و ما روي عن بعضهم أنّ في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها، فممّا لايلتفت إليه. لأنّه لو كان كذلك، لبيّنه الصحابة للناس. و قيل: إنّما استثنى الله من وصفهم ممّن هداه الله لدينه من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله: «يسألك أهل الكتاب» إلى هنا فقال: لكنّهم لايسألونك ما يسأل هؤلاء الجهّال من إنزال كتاب من السماء لأنّهم علموا مصداق قولك بما قرؤوا من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك معجزة أخرى و لا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ في قلوبهم.[٤]

«و المؤمنون بالله». قدّم عليه الإيمان بالأنبياء و الكتب و ما يصدّقه من أتباع الشرائع لأنّه المقصود بالآية. «سنؤتيهم». قرأ حمزة: «سيؤتيهم» بالياء. «أجراً عظيماً» على جمعهم بين الإيمان الصحيح و العمل الصالح.[٥]

[١٦٣] «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً».

«إنّا أوحينا إليك». اتّصالها بما قبلها من قوله: «يسألك أهل الكتاب» يدلّ على أنّهم قد سألوه ما يدلّ على نبوّته فأخبر أنّه سبحانه أرسله كما أرسل من تقدّم من الأنبياء و أظهر على يده المعجزات كما أظهرها على أيديهم. و قيل: إنّ اليهود لمّا تلا النبيّ صلّى الله عليه و آله تلك الآيات قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى. فكذّبهم الله بهذه الآيات، اذ أخبر أنّه قد

١ـ الكشّاف ١ / ٥٩٠.
٢ـ طه (٢٠) / ٦٣، على قراءة.
٣ـ المائدة (٥) / ٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢١٤ ـ ٢١٥.
٥ـ تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٨.

أنزل على من بعد موسى من الذين سمّاهم و من لم يسمّهم. عن ابن عبّاس.[١]

«كما أوحينا إلى نوح و النبيّين من بعده». فجمع له كلّ وحي. عن أبي جعفر عليه السلام.[٢]

«و أوحينا إلى إبراهيم» ـ الآية. خصّهم بالذكر مع اشتمال النبيّين عليهم تعظيماً لهم. فإنّ إبراهيم أوّل أولي العزم و عيسى آخرهم و الباقون أشرف الأنبياء و مشاهيرهم. «زبوراً». حمزة بضمّ الزاء؛ و هو جمع زبر بمعنى مزبور.[٣]

«و الأسباط». و هم أولاد يعقوب. و قيل: إنّ الأسباط في أولاد إسحاق كالقبائل في أولاد إسماعيل. و قد بعث منهم عدّة رسل كيوسف و داوود و سليمان و موسى و عيسى عليهم السلام. فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم. و لم يصحّ أنّ الأسباط الذين هم إخوة يوسف كانوا أنبياء. «و عيسى و أيّوب و يونس و هارون». قدّم عيسى على الأنبياء الذين كانوا قبله لشدّة العناية بأمره لغلوّ اليهود في الطعن فيه. و الواو لا يوجب الترتيب.[٤]

«زبوراً». زبرت الكتاب؛ أي: كتبته. فغلب ... كتاب داوود. (ج)

[١٦٤] «وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً».

«قد قصصناهم»؛ أي: سمّيناهم.[٥]

«من قبل»؛ أي: من قبل هذه السورة أو اليوم.[٦]

«و كلّم الله». عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة و أربعة و عشرين ألف كلمة في ثلاثة أيّام و لياليهنّ ما طعم فيها موسى و لا شرب فيها. انصرف إلى بني إسرائيل و سمع كلامهم، مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢١٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٥٨، ح ٣٠٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢١٦ ـ ٢١٧.
٥ـ كمال الدين ١ / ٢١٥، ح ٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٩.

الله عزّوجلّ.[١]

«تكليماً». و هو منتهى مراتب الوحي، خصّ به موسى من بينهم. و قد فضّل الله محمّداً صلى الله عليه و آله أن أعطاه مثل ما أعطى كلّ واحد منهم.[٢]

[١٦٥] «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً».

«رسلاً». نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا، أو على الحال و يكون رسلاً موطّئاً لما بعده. كقولك: مررت بزيد رجلاً صالحاً. «حجّة» فيقولون: لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبّهنا و يعلّمنا ما لم نكن نعلم؟ و اللّام متعلّقة بأرسلنا أو بقوله: «مبشّرين» و حجّة اسم كان و خبره للناس أو «على الله» و الآخر حال. و لا يجوز تعلّقه بحجّة لأنّه مصدر. و بعد ظرف لها أو صفة. «عزيزاً» لا يغلب. «حكيماً» فيما دبّر من أمر النبوّة و خصّ كلّ نبيّ بنوع من الوحي.[٣]

[١٦٦] «لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً».

«لكن الله» ـ الآية. النزول: قيل: إنّ جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لهم النبيّ: إنّي أعلم أنّكم تعلمون أنّي رسول الله. فقالوا: مانعلم ذلك و لانشهد به. فنزلت هذه الآية. يعني: إن لم يشهد لك هؤلاء بالنبوّة، فإنّ الله يشهد لك بذلك.[٤]

«لكن الله». عن الصادق عليه السلام: إنّما نزلت: «لكن الله يشهد لك بما أنزل إليك في عليّ عليه السلام أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون».[٥]

١ـ الخصال / ٦٤١ ـ ٦٤٢، ح ٢٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢١٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٩.

«لكن الله يشهد». فإن قلت: الاستدراك لابدّ من مستدرك. فما هو في قوله: «لكن الله»؟ قلت: لمّا سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء و تعنّتوا بذلك و احتجّ عليهم بقوله: «إنّا أوحينا» ـ الآية ـ قال: لكن الله يشهد، بمعنى أنّهم لايشهدون لكن الله يشهد. و قيل: لمّا نزل: «إنّا أوحينا إليك» قالوا: مانشهد لك بهذا. فنزل: «لكن الله يشهد». و معنى شهادة الله بما أنزل إليه، إثباته لصحّته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوي بالبيّنات. و شهادة الملائكة شهادتهم بأنّه حقّ و صدق. «بعلمه»؛ أي: متلبّساً بعلمه الخاصّ الذي لايعلمه غيره و هو تأليفه على نظم و أسلوب يعجز عنه كلّ بليغ و صاحب بيان. و موقعه ممّا قبله موقع الجملة المفسّرة لأنّه بيان للشهادة و أنّ شهادته بصحّته أنّه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة. و قيل: أنزله و هو عالم بأنّك أهل لإنزاله و أنّك مبلّغه. و قيل: أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملاً عليه. و يحتمل: انّه أنزله و هو عالم به، رقيب عليه، حافظ له من الشيطان برصد من الملائكة و الملائكة يشهدون بذلك. «شهيداً» إن لم يشهد غيره.(١)

[١٦٧] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً».

«كفروا» بأنفسهم. «و صدّوا» غيرهم عن الدين الذي بعثك به إلى خلقه.(٢)

«ضلّوا ضلالاً بعيداً»؛ أي: زالوا عن الدين و بعدوا عنه بعداً كثيراً. (ع)

[١٦٨ ـ ١٦٩] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً».

«كفروا و ظلموا»: جمعوا بين الكفر و المعاصي. أو كان بعضهم كافرين و بعضهم ظالمين أصحاب الكبائر. لأنّه لا فرق بين الفريقين في أنّه لايغفر لهما إلّا بالتوبة.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: «إنّ الذين ظلموا

١ـ الكشّاف ١ / ٥٩٢. ٢ـ مجمع البيان ١ / ٢١٩.

٣ـ الكشّاف ١ / ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

آل محمّد عليهم السلام حقّهم لم يكن الله» ـ الآية. ثمّ قال: «أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم في ولاية عليّ عليه السلام فآمنوا خيراً لكم و لاتكفروا بولايته فإنّ لله» ـ الآية.[1]

«و لا ليهديهم»: لايلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنّم أو لايهديهم يوم القيامة إلّا طريقها. «يسيراً»؛ أي: لا صارف له عنه.[2]

[١٧٠] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً».

«الرسول». يعني محمّداً صلى الله عليه وآله. «فآمنوا»؛ أي: صدّقوه فيما جاء به. «بالحقّ»؛ أي: الدين الذي ارتضاه الله لعباده. و قيل: بولاية من أمر الله بولايته. عن أبي جعفر عليه السلام. «خيراً لكم» من التكذيب.[3]

«خيراً لكم». انتصابه بمضمر. و ذلك أنّه لمّا بعثهم على الإيمان، علم أنّه يحملهم على أمر فقال: «خيراً لكم»؛ أي: اقصدوا ـ أو ائتوا ـ أمراً خيراً ممّا أنتم فيه من الكفر.[4]

«فآمنوا خيراً لكم»؛ أي: إيماناً خيراً لكم. و قيل: تقديره: يكن الإيمان خيراً لكم. و منعه البصريّون. لأنّ كان لاتحذف مع اسمها إلّا فيما لابدّ منه، و لأنّه يؤدّي إلى حذف الشرط و جزائه.[5]

«فإنّ لله»؛ أي: إنّ ضرر ذلك يعود عليكم دون الله عزّ اسمه. فإنّه يملك ما في السموات و الأرض لاينقص كفركم فيما كذّبتم به نبيّه صلى الله عليه وآله شيئاً من ملكه و سلطانه. «و كان الله عليماً» بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته في أمره و نهيه «حكيماً» في تدبيره فيكم و في غيركم.[6]

١ـ الكافي ١ / ٤٢٤، ح ٥٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢١.
٤ـ الكشّاف ١ / ٥٩٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٠.
٦ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢١.

[١٧١] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً».

«يا أهل الكتاب». خطاب لليهود و النصارى. و قيل: للنصارى خاصّة؛ فإنّه أوفق بقوله: «و لاتقولوا على الله» ـ الآية.(١)

«لاتغلوا». غلت اليهود في حطّ المسيح عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشدة. و غلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلهاً. «إلّا الحقّ». و هو تنزيهه عن الشريك و الولد.(٢)

«إنّما المسيح». أصل المسيح الممسوح. سمّاه بذلك لتطهيره [إيّاه] من الذنوب و الأدناس.(٣)

«إنّما المسيح». سمّي بذلك لأنّه كان يمسح الأرض مشياً. «ابن مريم» لا ابن الله كما تزعمه النصارى، و لا ابن أب كما تزعمه اليهود. «و كلمته»؛ أي: إنّه حصل بكلمته التي هي قوله: «كن». و قيل: معناه: إنّه يهدى به إلى الحقّ كما اهتدوا بكلام الله. و قيل: معناه بشارة [الله] التي قد بشّر بها مريم على لسان الملائكة؛ كما قال: «و إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك» ـ الآية.(٤) و هو المراد بقوله: «ألقاها إلى مريم». كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة؛ أي: قلت. و قيل: معنى «ألقاها إلى مريم»: خلقها في رحمها. «و روح منه». سمّاه روحاً لأنّه حدث عن نفخة جبرئيل في درع مريم بأمر الله. و نسبه إليه لأنّه كان بأمره. و قيل: معناه: روح من الله خلقها فصوّرها ثمّ أرسلها إلى مريم فدخلت في فيها فصيّرها الله عيسى. و قيل: إنّ معنى الروح هنا جبرئيل فيكون عطفاً على ما في ألقاها من ضمير ذكر الله. تقديره: ألقاها

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٢.
٤ـ آل عمران (٣) / ٤٥.

الله إلى مريم و روح من الله ـ أي جبرئيل ـ ألقاها أيضاً إليها.(١)

«و كلمته». لأنّه وجد بكلمته و أمره من غير واسطة أب و لا نطفة و قيل له روح الله لذلك. لأنّه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحيّ و إنّما اخترع اختراعاً. «ألقاها»: أوصلها إليها و حصلها فيها.(٢)

«و روح منه». عن الصادق عليه السلام: روح مخلوقة خلقها الله في آدم و عيسى.(٣)

«ثلاثة». خبر مبتدأ محذوف. فإن صحّت الحكاية عنهم أنّهم يقولون: هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم؛ أقنوم الأب أقنوم الابن و أقنوم روح القدس، و أنّهم يريدون بأقنوم [الأب] الذات، و بأقنوم الابن العلم، و بأقنوم روح القدس الحياة، فتقديره: الله ثلاثة. و إلّا فتقديره: الآلهة ثلاثة. و الذي يدلّ عليه القرآن التصريح منهم بأنّ الله و المسيح و مريم ثلاثة آلهة و أنّ المسيح و لد الله من مريم. ألاترى إلى قوله: «أأنت قلت للناس اتّخذوني و أمّي إلهين من دون الله»(٤) «و قالت النصارى المسيح ابن الله»؟(٥) و المشهور المستفيض عنهم أنّهم يقولون في المسيح لاهوتيّة و ناسوتيّة من جهة الأب و الأمّ. و يدلّ عليه: «إنّما المسيح عيسى بن مريم». فإنّه أثبت أنّه ولد لمريم اتّصل بها اتّصال الأولاد بأمّهاتهم و أنّ اتّصاله بالله عزّوجلّ من حيث إنّه رسوله و موجود بأمره و ابتداعه جسداً حيّاً من غير أب، فنفى أن يتّصل به اتّصال الأبناء بالآباء.(٦)

و قد شبّهوا قولهم انّه سبحانه جوهر واحد مركّب من ثلاثة أقانيم بقولنا: سراج واحد، و هو مركّب من ثلاثة أشياء: دهن و قطن و نار. و هذا غلط. لأنّ الوحدة في السراج اعتباريّة مثل عشرة واحدة لا حقيقة بسيطة.

«و قالت النصارى المسيح ابن الله». و لعلّ القولين مرجعهما إلى واحد. لأنّهم إذا جوّزوا على الصفات التي هي الأقانيم الانتقال في عيسى أو في مريم، فقد جعلوها مستقلّة و لهذا

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
٢ـ الكشّاف ١ / ٥٩٣.
٣ـ الكافي ١ / ١٣٣، ح ٢.
٤ـ المائدة (٥) / ١١٦.
٥ـ التوبة (٩) / ٣٠.
٦ـ الكشّاف ١ / ٥٩٣ ـ ٥٩٤.

ألزموا الكفر و الشرك. و إلّا فمجرّد إثبات الصفات لله تعالى لايوجب الشرك. و الأشاعرة أثبتوا لله ثمان صفات قدماء. «انتهوا» عن التثليث و اقصدوا «خيراً لكم إنّما الله إله واحد».(١)

«واحد»؛ أي: واحد بالذات لا تعدّد فيه بوجه ما.(٢)

«سبحانه»؛ أي: أسبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد. «له ما في السموات و ما في الأرض». بيان لتنزّهه عمّا نسب إليه. يعني: انّ كلّ ما فيهما خلقه و ملكه. فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه؟ على أنّ الجزء إنّما يصحّ في الأجسام و هو متعال عن صفات الأجسام و الأعراض.(٣)

«له ما في السموات و ما في الأرض»، لايماثله شيء من ذلك فيتّخذه ولداً. «و كفى بالله وكيلاً». تنبيه على غناه عن الولد. فإنّ الحاجة إليه ليكون [وكيلاً لأبيه و الله سبحانه و تعالى قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك] مستغن عمّن يخلقه و يعينه.(٤)

«وكيلاً» يكل إليه الخلق كلّهم أمورهم. فهو الغنيّ عنهم و هم الفقراء.(٥)

[١٧٢] «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَ لاَ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً».

«لن يستنكف». أي: فلاتستنكفوا أنتم له. فلو كان موضع استنكاف، لكان هو أولى أن يستنكف لنفسه.(٦)

«لن يستنكف»؛ أي: لن يأنف. من نكفت الدمع، إذا نحّيته [بأصبعك] عن عينك لئلّا يرى أثره عليك. «أن يكون عبداً لله»: من أن يكون عبداً له. فإنّ عبوديّته شرف يتباهى به و إنّما المذلّة و الاستنكاف في عبوديّة غيره. روي: انّ وفد نجران قالوا

١ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٣٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٠.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٩٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٠.
٥ـ الكشّاف ١ / ٥٩٤.
٦ـ الكشّاف ١ / ٥٩٧.

لرسول الله صلى الله عليه وآله: لم تعيب صاحبنا؟ قال: و من صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: و أيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول إنّه عبد الله. قال: إنّه ليس بعار أن يكون عبداً لله؟ قالوا: بلى. فنزلت: «و لا الملائكة المقرّبون». عطف على المسيح. أي: و لا يستنكف الملائكة المقرّبون أن يكونوا عبيداً لله. و احتجّ به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء و قالوا: مساقه لردّ النصارى في رفع المسيح عن مقام العبوديّة. و ذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه، حتّى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه. و جوابه: انّ الآية للردّ على عبدة المسيح و الملائكة، فلايتّجه ذلك. و إن سلّم اختصاصها بالنصارى، فلعلّه أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير. كقولك: أصبح الأمير لايخالفه رئيس و لا مرؤوس. و إن أراد به التكبير، فغايته تفضيل المقرّبين من الملائكة ـ و هم الكرّوبين الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة ـ على المسيح من الأنبياء. و ذلك لايستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً، و النزاع فيه.[١]

هذا الكلام مع صاحب الكشّاف حيث فضّل الملائكة بهذه الآية.

«و لا الملائكة المقرّبون». عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل و فيه: يا رسول الله، أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: و هل شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّد و عليّ و قبولها لولايتهما؟ إنّه لا أحد من محبّي عليّ نظّف قلبه من الدغل و الغلّ و نجاسة الذنوب إلّا كان أطهر و أفضل من الملائكة.[٢]

«و لا الملائكة المقرّبون». أي أن يكون كلّ واحد منهم عبداً، أو أن يكون عباداً لله، فحذف لدلالة «عبداً لله».[٣]

عن سلمان الفارسيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، تختّم باليمين، تكن من المقرّبين. قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله و ما المقرّبون؟ قال: جبرئيل رسول الله و ميكائيل عليهما السلام.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٦٢.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٩٧.
٤ـ علل الشرائع ١ / ١٥٨، ح ٣.

عن النبيّ ﷺ حاكياً عن جبرئيل: أقرب [الخلق] إلى الله أنا و إسرافيل.[١]

«و يستكبر»: يترفّع عنها. و الاستكبار دون الاستنكاف و لذلك عطف عليه. و إنّما يستعمل حيث لا استحقاق، بخلاف التكبّر؛ فإنّه قد يكون بالاستحقاق. «فسيحشرهم» فيجازيهم.[٢]

[١٧٣] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

«فأمّا الذين آمنوا». تفصيل للمجازاة العامّة المدلول عليها من فحوى الكلام. كأنّه قال: فسيحشرهم يوم يحشر العباد للمجازاة. أو تفصيل لمجازاتهم. فإنّ إثابة مقابليهم و الإحسان إليهم تعذيب بالغمّ و الحسرة.[٣]

«فأمّا الذين». حذف عن المفصّل ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه و لأنّ ذكر أحدهما يدلّ على ذكر الثاني. كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا: «فأمّا الذين آمنوا بالله» ـ الآية.[٤]

لو جعل الضمير في «سيحشرهم» راجعاً إلى الناس حكماً، لم يحتج إلى هذه التكلّفات و يحصل الربط بسبب العموم. و مثله غير عزيز في القرآن. ثمّ عاد إلى تعميم الخطاب بقوله: «يا أيّها الناس».[٥]

أراد بالتكلّفات ما نقلناه عن الكشّاف و البيضاويّ.

«و يزيدهم»؛ أي: يزيدهم على ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الحسنة و الثواب عليها من الفضل و الزيادة ما لم يعرّفهم مبلغه. لأنّه وعد على الحسنة عشر أمثالها من

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥١.

٤ـ الكشّاف ١ / ٥٩٧ ـ ٥٩٨.

٥ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٣٤.

الثواب إلى سبعين ضعفاً و إلى سبعمائة و إلى الأضعاف الكثيرة و الزيادة على المثل تفضّل من الله.(١)

[١٧٤] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً».

«برهان». عنى بالبرهان المعجزات، و بالنور القرآن. أي: جاءكم دلائل العقل و شواهد النقل و لم يبق لكم عذر و لا علّة. و قيل: البرهان الدين أو رسول الله ﷺ أو القرآن.(٢)

البرهان و النور المبين القرآن. أو أراد بالبرهان دين الحقّ أو رسول الله ﷺ و بالنور المبين ما يبيّنه و يصدّقه من الكتاب المعجز.(٣)

«برهان». عن الصادق عليه السلام: البرهان رسول الله ﷺ. و النور عليّ عليه السلام.(٤)

[١٧٥] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً».

«الذين آمنوا». هم الذين تمسّكوا بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.(٥)

«في رحمة منه و فضل»؛ أي: في ثواب مستحقّ و تفضّل.(٦)

«في رحمة»؛ أي: في الجنة.(٧)

«في رحمة»؛ أي: ثواب قدره بإزاء إيمانهم و عملهم رحمة منه لا قضاء حقّ واجب عليه.(٨)

«رحمة منه و فضل». عن ابن عبّاس: الرحمة الجنّة. و الفضل ما يتفضّل عليهم ممّا لا عين رأت و لا أذن سمعت. «و يهديهم إليه» إلى عبادته. «صراطاً مستقيماً». هو الدين الحنيفيّ. و التقدير: مستقيماً إليه. و يحتمل أن يراد بالرحمة و الفضل اللّذّات الحسّيّة الباقية، و بالهدى

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥١.
٣ـ الكشّاف ١ / ٥٩٨.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٨٥، ح ٣٠٨.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٥٩.
٦ـ الكشّاف ١ / ٥٩٨.
٧ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٧.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥١.

اللّذّات الروحانيّة.[١]

«صراطاً». مفعول ليهديهم. فإنّه على معنى: يعرّفهم صراطاً. و يجوز أن يكون حالاً من الهاء في إليه بمعنى: و يهديهم إلى الحقّ صراطاً.[٢]

[١٧٦] «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَ نِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«يستفتونك». روي عن جابر بن عبدالله قال: اشتكيت و عندي تسع أخوات لي فدخل عليّ النبيّ صلى الله عليه وآله فنفخ في وجهي. فأفقت فقلت: يا رسول الله، ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر؟ قال: أحسن. ثمّ خرج و تركني، و رجع إليّ فقال: يا جابر، إنّي لا أراك ميّتاً من وجعك هذا. و إنّ الله قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل بهنّ الثلثين. و كان جابر يقول: فيّ أنزلت هذه الآية. و عن قتادة أنّ الصحابة كان همّهم شأن الكلالة، فأنزل الله فيها هذه الآية. و تسمّى هذه الآية آية الصيف. و ذلك أنّ الله أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء، و هي التي في أوّل هذه السورة، و الأخرى في الصيف و هي هذه الآية. «قل الله يفتيكم»؛ أي: يبيّن لكم الحكم «في الكلالة». و هو اسم للإخوة و الأخوات. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. و قيل: هي ما سوى الوالد و الولد. عن جماعة من المفسّرين. «و إن لم يكن لها ولد » و لا أبوان.[٣]

«في الكلالة»؛ أي: في ميراثها. في الكلالة. أعمل الفعل الثاني و هو يفتيكم. و عليه جاء القرآن. «هلك»؛ أي: هلك امرؤ هلك.[٤]

١ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٣٥ ـ ٣٦.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٦.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٩.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨. و حيث إنّ العبارة في هذه الفقرة قاصرة عن المراد، ننقل تفصيل الكلام من المصدر: ☜

«ليس له ولد» ذكر أو أنثى بواسطة أم لا.[١]

«و له أخ أو أخت». أي من الأبوين أو الأب وحده. لأنّ حكم الأخت من الأمّ قد مضى. و الواو يحتمل الحاليّة و العطف. «نصف ما ترك». هذا ظاهر على مذهبنا من أنّ الأخت لاترث مع البنت شيئاً. و استشكل العامّة لقولهم بالتعصيب. فحمل في الكشّاف الولد المنفيّ على الابن نظراً إلى أنّ الابن يسقط الأخت و لاتسقطها البنت. «فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممّا ترك» الأخ أو الأخت. و ضمير كانتا يرجع إلى من يرث بالأخوّة و تثنيته من حيث المعنى. «و إن كانوا إخوة». أصله: إخوة أو اخوات. فالمراد بالإخوة ما يشمل الأخوات تغليباً للذكور.[٢]

«أن تضلّوا»؛ أي: أن لاتضلّوا. أضمر حرف النفي و تلخيصه: لئلّا تضلّوا. عن الكسائيّ. و قال البصريّون: كراهة أن تضلّوا. فهي في موضع نصب بأنّه مفعول له. و قال الأخفش: أن مع الفعل بتأويل المصدر و موضع أن نصب بيبيّن. و تقديره: يبيّن الله لكم الضلال لتجتنبوه.[٣]

«يسأل عن أيّ الفعلين أعمل في الكلالة. و الجواب أنّ العمل [الصحيح: المعمل] الثاني و هو يفتيكم. و التقدير: يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم في الكلالة ... . و إعمال الفعل الثاني هو الأجود و جاء عليه القرآن نحو قوله : ... . و قوله: «إن امرؤ هلك» ارتفع امرؤ بإضمار فعل يفسّره ما بعده. و تقديره: إن هلك امرؤ هلك. و لايجوز إظهاره لأنّ الثاني يعبّر عنه.»

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٨١ ـ ١٨٢.

٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٨١ ـ ١٨٢.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

٥.

سورة المائدة

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة المائدة في كلّ يوم خميس، لم يلبس إيمانه بظلم و لم يشرك به أبداً.[١]

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة المائدة، أعطي من الأجر بعدد كلّ يهوديّ و نصرانيّ يتنفّس في دار الدنيا عشر حسنات و محي عنه عشر سيّئات و رفع له عشر درجات.[٢]

و عن عليّ عليه السلام: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً و إنّما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأخذه. و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء. و لقد نزلت عليه و هو على بغلة شهباء و ثقل عليها الوحي حتّى وقفت و تدلّى بطنها حتّى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض، و أغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وضع يده على ذؤابة منبّه[٣] الجمحيّ. ثمّ رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله [فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله] و عملنا.[٤]

و عن الصادق عليه السلام: نزلت المائدة و معها سبعون ألف ألف ملك.[٥]

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في كتاب طويل: سبق الكتاب الخفّين. نزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين.[٦]

من كتبها و جعلها في منزله أو صندوقه، لم يسرق منه شيء.[٧]

١ـ ثواب الاعمال / ١٣١.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣١.

٣ـ المصدر: شيبة.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٨٨، ح ٢.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣١، عن العيّاشيّ.

٦ـ تهذيب الأحكام ١ / ٣٦١.

٧ـ مصباح الكفعميّ / ٦٠٥.

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ».

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لعليّ عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن. ثمّ أنزل الله: «يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» التي عقدت عليكم لأميرالمؤمنين عليه السلام.(١)

«أوفوا بالعقود». قيل: المراد بها العهود التي كان أهل الجاهليّة عاهد بعضهم بعضاً فيها على النصرة و المؤازرة و المظاهرة على من حاول ظلمهم. و قيل: إنّها العهود التي أخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان و طاعته فيما أحلّ لهم أو حرّم عليهم. عن ابن‌عبّاس. و قيل: المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الأيمان و عقد النكاح و عقد البيع. و قيل: إنّ ذلك أمر من الله لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ [به] ميثاقهم من العمل بما في التوراة و الإنجيل في تصديق نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله. و أقوى هذه الأقوال قول ابن‌عبّاس. «بهيمة الأنعام». قيل: المراد به الأنعام و إنّما ذكر البهيمة للتأكيد. فمعناه: أحلّت لكم الأنعام. و قيل: المراد وحشيّ الأنعام كالظباء و بقر الوحش و حمير الوحش. و قيل: المراد أجنّة الأنعام إذا أشعرت. «إلّا ما يتلى». و هو قوله: «حرّمت عليكم الميتة و الدم» ـ الآية.(٢) «غير محلّي الصيد». نصب على الحال من أوفوا. «و أنتم حرم»؛ أي: محرمون.(٣)

«بهيمة الأنعام». عن الصادق عليه السلام: الجنين في بطن أمّه إذا أشعر أو أوبر، فذكاته ذكاة أمّه. فذلك الذي عنى الله عزّوجلّ.(٤)

«غير محلّي». نصب على الحال من الضمير في «لكم». أي: أحلّت لكم هذه الأشياء لا محلّين الصيد. «و أنتم حرم». حال من محلّي الصيد. كأنّه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد و أنتم محرمون لئلّا يحرج عليكم.(٥)

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٠.
٢ـ المائدة (٥) / ٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.
٤ـ الكافي ٦ / ٢٣٤، ح ١.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٠١.

[٢] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَ لاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لاَ الْهَدْيَ وَ لاَ الْقَلَائِدَ وَ لاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَاناً وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. قال الباقرعليه السلام: نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم. و هو أنّه أقبل حتّى أتى النبيّ صلى الله عليه و آله و خلّف خيله خارج المدينة فقال: إلى ما تدعو؟ و قد قال النبيّ صلى الله عليه و آله لأصحابه: يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلّم بلسان شيطان. فلمّا أجابه النبيّ صلى الله عليه و آله قال: أنظرني لعلّي أسلم. و لي من أشاوره. و خرج من عنده. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: لقد دخل بوجه كافر و خرج بعقب غادر. فمرّ بسرح من سروح المدينة فساقه و انطلق به. ثمّ أقبل من عام قابل حاجّاً قد قلّد هدياً. فأراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يبعث إليه، فنزلت هذه الآية: «و لا آمّين البيت الحرام». و اختلف في هذا. فقيل: هو منسوخ بقوله: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».[١] عن أكثر المفسّرين. و قيل: لم ينسخ من هذه السورة شيء لأنّه لايجوز أن يبتدأ المشركون في الأشهر الحرم بالقتال إلّا إذا قاتلوا. و هو المرويّ عن أبي جعفرعليه السلام.[٢]

«شعائر الله». جمع شعيرة أو شعارة، اسم ما أشعر؛ أي: جعل شعاراً. سمّي به مواقف الحجّ و المطاف و المشعر و نحوها لأنّها علامات الحجّ و أعلام النسك. و قيل: أراد دين الله؛ لقوله: «و من يعظّم شعائر الله».[٣] و قيل: فرائضه التي حدّها لعباده. و معنى إحلالها التهاون بحرمتها و تركه على وجه الحلّيّة. و على إرادة العموم فالمعنى: لاتجعلوا محرّمات الله حلالاً و مباحاً، و لا العكس. أي: لاتعتدوا حدوده. «و لا الشهر الحرام». أي بالقتال فيه أو السبي. و

١ـ التوبة (٩) / ٥.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ و ٢٣٩.
٣ـ الحجّ (٢٢) / ٣٢.

هو اسم جنس. نهاهم الله عن استحلالها بالقتال فيها. «و لا الهدي»: ما أهدي إلى الكعبة. أي: لاتغصبوه أهله و لاتحولوا بينه و بين أن يبلغ محلّه من الحرم. «و لا القلائد»؛ أي: ذوات القلائد من الهدي المقلّد بنعل أو نحوه عطفها على الهدي لزيادة الشرف. أو المراد القلائد أنفسها. أي: لاتحلّوا قلائدها فضلاً أن تحلّوها. «و لا آمّين البيت الحرام»: قاصدين زيارته. «و رضواناً». أي يرضى عنهم. فيكون المراد المسلمين، فتكون الآية غير منسوخة. و الجملة في موضع الحال من المستكنّ في آمّين. و قيل: معناه: يبتغون من الله أرباحاً في تجاراتهم و رضواناً منه بزعمهم. فإنّ المشركين كانوا يظنّون أنّهم على سداد من دينهم. فيكون المراد النهي عن منعهم حجّ البيت و إن كانوا مشركين. و يؤيّده نزولها في رجل من بني ربيعة. و على هذا فالآية منسوخة بقوله: «لايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا»(١) و بقوله: «فاقتلوا المشركين».(٢) قيل: إنّه لم ينسخ من المائدة سواها. «و إذا حللتم» من إحرامكم «فاصطادوا». أمر للإباحة. «و لايجرمنّكم»؛ أي: لايحملنّكم. أو: لايكسبنّكم. «شنآن قوم»: بغضهم و عداوتهم. مصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول. «أنّ صدّوكم»: لأجل أنّهم صدّوكم عن المسجد الحرام عام الحديبيّة. و من قرأ بكسر «ان» فهو شرط معترض أغنى عن جوابه لايجرمنّكم، و المعنى: لايكسبنّكم بغضهم و عداوتهم الانتقام منهم.(٣)

«أن صدّوكم». أبوعمرو و ابن‌كثير بكسر الهمزة على إن الشرطيّة. «شنآن قوم». ابن‌عامر بسكون النون. و هو مصدر أيضاً.(٤)

«و تعاونوا على البرّ». استئناف كلام. «على البرّ»: ما أمر الله به. «و التقوى»؛ أي: اتّقاء ما نهاهم الله عنه. «العدوان»: مجاوزة ما حدّ الله لهم في دينهم. و هو كالمؤكّد للأمر السابق.(٥)

[٣] «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ

١ـ التوبة (٩) / ٢٨.
٢ـ التوبة (٩) / ٥.
٣ـ مسالك الأفهام ٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٣٥.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٤٠.

المَوْقُوذَةُ وَ المُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«حرّمت». التحريم المضاف إلى العين ينصرف إلى المنافع كلّها إلّا ما أخرجه الدليل. و ذلك يقتضي تحريم التصرّف فيها بأيّ وجه كان من إسراج شحمه أو إدهان حيوان به أو أكله و نحو ذلك ممّا اقتضاه العموم. و قيل: إنّ التحريم ينصرف عرفاً إلى الأكل. فتحريم غيره من الانتفاعات يعلم من خارج. «و الدم». أطلقه هنا و قيّده في غيرها بالمسفوح؛ أي: المصبوب. و قد استثنى الأصحاب المتخلّف في اللّحم ممّا لايقذفه المذبوح. فإنّه عندهم حلال طيّب. و دليلهم الإجماع و الخبر. «و لحم الخنزير». خصّ اللّحم لأنّه معظم ما يؤكل من الحيوان و سائر اجزائه كالتابع له. «و ما أهلّ لغير الله به»؛ أي: ما رفع به الصوت عند الذبح ذاكرين غير الله سواء كان صنماً أو غيره. و سبب التحريم عدم ذكر الله على الذبيحة. و مقتضاه اشتراط الحلّيّة بذكر اسمه. «و لاتأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه»[١].[٢]

«و المنخنقة». هي التي ماتت بالخنق. ذكرها منفردة للتنصيص على تحريمها ردّاً على الجاهليّة. «و الموقوذة». هي التي أثخنوها ضرباً شديداً. «و المتردّية»: التي تردّت من علوّ أو في بئر فماتت. «و النطحية»: التي نطحتها أخرى فماتت. فعيل بمعنى مفعول. يستوي فيه المذكّر و المؤنّث. و التاء فيه للنقل من الوصفيّة إلى الاسميّة. «و ما أكل السبع» منه و بقي بعضه فمات بذلك. «إلّا ما ذكّيتم»؛ أي: أدركتم ذكاته من هذه الأشياء و فيه حياة مسقرّة. و قيل: إنّ الاستثناء منقطع بما أكل السبع. و قيل: إنّه استثناء منقطع من المحرّمات. كأنّه قيل: لكن ما ذكّيتم من غير هذا فهو حلال. «و ما ذبح على النصب». هو واحد الأنصاب؛ و هي الأحجار التي كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظّمونها بذلك و يتقرّبون بها إليها. و هي

١ـ الأنعام (٦) / ١٢١.

٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٥٠ ـ ١٥٢.

ثلاثمائة و ستّون حجراً. و قيل: هي الأصنام. و على بمعنى اللّام، أو على أصلها بتقدير: ما ذبح مسمًّى عليها. «و أن تستقسموا بالأزلام»؛ أي: حرّم عليكم الاستقسام بالسهام، و ذلك أنّهم إذا قصدوا فعلاً، ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها: أمرني ربّي، و على الأخرى: نهاني ربّي، و الثالث غفل لا كتابة عليه. فإن خرج الآمر أو الناهي، فعلوا ما يقتضيه. و إن خرج الغفل، أجالوها ثانياً. فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما تسم لهم من الخير و الشرّ دون ما لايقسم لهم بالأزلام. و قيل: المراد به الميسر و قسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة. واحدها زلم ـ كَجَمَل و صُرَد. «بالأزلام». قيل: هي كعاب فارس و الروم التي كانوا يتقامرون بها. «ذلكم»؛ أي: الاستقسام بالأزلام. أو: جميع ما تقدّم من المحرّمات.(١)

«و الموقوذة». التي مرضت حتّى لم يكن بها حركة.(٢)

و إنّما كان هذا الاستقسام للمسافر و غيره فسقاً. لأنّه دخول في علم الغيب و اعتقاد أنّ إليه طريقاً، مع أنّ ربّي أمرني و نهاني ربّي افتراء على الله. و قيل: إنّهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فالأمر ظاهر.(٣)

«و المنخنقة». وكان المجوس يخنقون البقر و الغنم فإذا ماتت أكلوها. عن أبي جعفر عليه السلام.(٤)

«بالأزلام». عن الصادقين عليهما السلام أنّ المراد به القمار بالأزلام العشرة التي لسبعة منها أنصباء و ثلاثة لا أنصباء لها و كانوا يجولون السهام على قسمة الجزور و يكون ثمنها على أهل الأنصباء الثلاثة.(٥)

«يئس الذين كفروا» أن يغلبوا دينكم. لأنّ الله وعد بإظهاره على الأديان. «اليوم يئس الذين». لم يرد يوماً بعينه، و إنّما أراد الزمان الحاضر و ما يتّصل به من الأزمنة الماضية و

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٣٨ ـ ١٣٩.
٢ـ الفقيه ٣ / ٢١٦.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٠٤.
٤ـ الخصال / ٤٥١، ح ٥٧.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦١.

الآتية. كقولك: كنت بالأمس شابّاً و أنت اليوم أشيب. و قيل: أريد يوم نزولها، و كان يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجّة الوداع. يئسوا من دينكم أن يبطلوه و أن ترجعوا محلّلين لهذه الخبائث بعد ما حرّمت عليكم.(١)

عن الباقر عليه السلام: يوم يقوم القائم عليه السلام ييأس بنو أميّة من آل محمّد عليهم السلام.(٢)

«فلاتخشوهم» في أن يظهروا على دين الإسلام و يردّوهم عن دينهم.(٣)

«و اخشون»؛ أي: خافوا من عقوبتي و لاتخالفوا أمري. (ع)

«اليوم أكملت». روي: انّه لمّا نزلت: «اليوم اكملت» فرح الصحابة و أظهروا السرور إلّا أكابرهم كأبي بكر الصدّيق و غيره، فإنّهم حزنوا و قالوا: ليس بعد الإكمال إلّا النقص و الزوال. و كان كما ظنّوا. فإنّه عليه السلام لم يعمر بعدها إلّا إحدى و ثمانين يوماً و لم يحصل في الشريعة بعدها زيادة و لا نقصان. قال العلماء: كان ذلك جار مجرى إخبار النبيّ عليه السلام عن قرب وفاته. و ذلك إخبار بالغيب، فيكون معجزاً.(٤)

أقول: ما نقله هذا الفاضل عن حزن أبي بكر و أمثاله لا لما قاله، بل له وجه آخر لايخفى على اللّبيب.

أقول: لنزولها في الوصاية، و حزنه لوصاية أميرالمؤمنين عليه السلام. (ح)

«اليوم». بالطرق المستفيضة الصحيحة عن الباقر عليه السلام قال: كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، و كانت الولاية آخر الفرائض. فأنزل الله: «اليوم» ـ الآية. يقول الله: لاأنزل بعدها فريضة.(٥)

أقول: أطبق أهل البيت عليهم السلام و علماء مذهبهم و جمهور مخالفيهم على نزول هذه الآية في حكاية غدير خمّ لمّا أمر الله نبيّه صلّى الله عليه و آله أن ينصب أميرالمؤمنين عليه السلام علماً للناس و خليفة من بعده. و حكى السيّد بن طاووس أنّهم ـ أي الجمهور ـ رووا حديث غدير خمّ و تفاصيله

١ـ الكشّاف ١ / ٦٠٤ ـ ٦٠٥.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٩٢، ح ١٩.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٤٥.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٥٥.
٥ـ الكافي ١ / ٢٨٩، ح ٤.

ممّا يقرب من خمسمائة طريق إلّا أنّهم طوّلوا عليه لسان التأويل. «و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».(١)

«اليوم». فيه أقوال. أحدها: أكملت لكم فرائضكم و حلالي و حرامي، فلا زيادة و لا نقصان بالنسخ. و كان يوم عرفة عام حجّة الوداع. عن ابن عبّاس و جماعة. و مات بعد الآية بإحدي و ثمانين ليلة. و أمّا وصف الدين بالكمال، مع أنّه لا نقصان فيه أبداً، فهو أنّه كان قبل ذلك معرضاً للنسخ و الزيادة فيه و نزول الوحي بالتحريم و التحليل، فوصفه بالكمال من قبيل وصف العشرة بأنّها كاملة و إن كانت المائة أكمل منها. و ثانيها: أكملت لكم حجّكم و أفردتكم بالبلد الحرام تحجّونه دون المشركين. و اختاره الطبرسيّ لأنّ الله أنزل بعده: «يستفتونك» ـ الآية. قال الفرّاء، و هي آخر آية نزلت. و ثالثها: ما روي عن الإمامين أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام أنّها نزلت في غدير خمّ بعد منصرفه من حجّة الوداع لمّا نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة فقال: من كنت مولاه، فعليّ مولاه.(٢)

«و أتممت» بالهداية و التوفيق أو بفتح مكّة و هدم منار الجاهليّة. «و رضيت»: اخترته لكم من بين الأديان. «فمن اضطرّ». متّصل بذكر المحرّمات و ما بينهما اعتراض بما يوجب التجنّب عنها و هو أنّ تناولها فسوق و حرمتها من جملة الدين الكامل و النعمة التامّة و الإسلام المرضيّ. فمن اضطرّ إلى تناول شيء من هذه المحرّمات «في مخمصة»: مجاعة «غير متجانف لإثم»: غير مائل له و منحرف إليه بأن يأكلها تلذّذاً أو مجاوزاً حدّ الرخصة، «فإنّ الله غفور» لا يؤاخذه بأكله.(٣)

[٤] «يَسْئَلُونَكَ مَا ذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

١ـ الشعراء (٢٦) / ٢٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٥.

«ماذا أحلّ لهم» من المآكل بعد ما بيّن لهم المحرّمات لما حصل لهم من الشبهة في موضع يحتمل التحريم و لم يكتفوا بالبراءة الأصليّة. «لكم الطيّبات»: ما لم تستخبثه الطبائع السليمة و لم تنفر عنه ممّا لم يدلّ على تحريمه دليل من عقل أو نقل. فيكون مؤيّداً للحكم العقليّ بالإباحة. «و ما علّمتم من الجوارح». عطف على الطيّبات، إن كانت ما موصولة على تقدير مضاف. أي: و صيد ما علّمتم. و جملة شرطيّة جوابها «فكلوا» إن كانت شرطيّة. و الجوارح هنا الكلاب فقط بقرينة قوله: «مكلّبين». فإنّه مشتقّ من الكلب. أي: حال كونهم صاحبي كلاب أو معلّمي كلاب.[١] من قولهم: جرح لأهله؛ أي: كسب لهم خيراً. سمّيت به الجوارح لأنّها تكسب لأهلها خيراً.[٢]

«تعلّمونهنّ». انعقد إجماعنا على أنّه لايجوز الاصطياد بشيء من الجوارح بمعنى أنّه لايحلّ مقتولها إلّا مقتول الكلب المعلّم فإنّه حلال. و قال جماعة من الجمهور: المراد بها مطلق الجوارح من السباع و الطيور. و إطلاق المكلّبين باعتبار كون المعلّم في الأغلب كلباً و لأنّ كلّ سبع يسمّى كلباً. و فيه نظر. إذ هو خلاف ظاهر الآية و إطلاق الكلب على غيره من السباع تجوّز بلا خلاف و لايكون داخلاً تحته مع الإطلاق. «تعلّمونهنّ». حال ثانية أو استئناف. «ممّا علّمكم الله» من اتّباع كلب الصيد بإرسال صاحبه و انزجاره بزجره. «ممّا أمسكن». من زائدة. و الإمساك على صاحبه ألّا يأكل من الصيد. فلو أكل منه، كان قد أمسك على نفسه. هذا إذا كان معتاداً للأكل، أمّا النادر، فلا اعتبار به. «و اذكروا اسم الله عليه»؛ أي: على ما علّمتم. و المعنى: سمّوا عند إرسال الكلب المعلّم. و يحتمل أن يعود على ما أمسكن. أي: سمّوا عليه إذا أدركتم ذكاته. لأنّه لو أدرك ذكاته لم يحلّ. نعم؛ يظهر من الشيخ في النهاية أنّه إذا أدركه كذلك و لم يكن معه ما يذكّيه، فليتركه حتّى يقتله الكلب. و هو بعيد. «و اتّقوا الله» في محرّماته. «سريع الحساب» فيؤاخذكم بما جلّ و دقّ.[٣]

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٤٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٤٧.
٣ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٤٦ ـ ١٤٩.

«ممّا علّمكم الله» من علم التكليب. لأنّه إلهام من الله و مكتسب بالعقل أو ممّا عرّفكم الله أن تعلّموه من اتّباع الصيد بإرسال صاحبه و انزجاره بزجره و أن لا يأكل منه.[١]

أقول: من تدبّر في معنى هذه الآية، يظهر له سرّ غريب؛ و هو أنّ الله عزّ شأنه لم يرض للكلب إلّا بتعليم العلم الإلهيّ الذي أوحاه إلى أنبيائه، فكيف رضي الحكماء و الطبيعيّون أن يعلّموا الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات العلم الذي اخترعوه بأوهامهم من غير وحي و لا تعلّم نبيّ و الإمام من أئمّة الدين؟ ما هذا إلّا إلحاد في الدين.

[٥] «الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«و طعام الذين أوتوا الكتاب». اختلف في الطعام هنا. فقيل: المراد به ذبائح أهل الكتاب. و إليه ذهب أكثر المفسّرين و الفقهاء و جماعة من أصحابنا. و يؤيّده أنّ ما قبل الآية في بيان الصيد و الذبائح. و قيل: المراد به ذبائحهم و غيرها من الأطعمة. و قيل: إنّه مختصّ بالحبوب و ما لا يحتاج إلى التذكية. و رواه الكلينيّ[٢] في الحسن عن الصادق عليه السلام. و عليه أكثر أصحابنا. و يدلّ عليه ـ مضافاً إلى الأخبار ـ النهي عمّا لم يذكر اسم الله عليه و ما أهلّ به لغير الله، و الكتابيّ لا يذكر اسم الله و ما يذكره من المسيح و العزير ابنهما ليس هو الله.[٣] و الطعام في العرف هو الحبوب، فلا يراد غيره.

«و طعامكم حلّ لهم». فيجوز لنا أن نطعمهم إيّاه و أن نبيعه عليهم بعوض و غيره.[٤]

١ـ الكشّاف ١ / ٦٠٦.   ٢ـ الكافي ٢ / ١٥٠.

٣ـ العبارة كما ترى. و في مسالك الأفهام ٤ / ١٥٠: ظاهر أنّ ما يذكره الكتابيّ من اسم الله ليس باسم الله تعالى حقيقة. فإنّ اليهوديّ إنّما يقصد الله الذي عزير ابنه و النصرانيّ يقصد الله الذي المسيح ابنه.

٤ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٥٠.

«و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب». ذهب أكثر علمائنا ـ بل ادّعى عليه المرتضى الإجماع ـ أنّه لايجوز نكاح الكتابيّة مطلقاً. و أجابوا عن هذه الآية تارة بأنّ المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب اللّاتي أسلمن منهنّ، و بالمحصنات من المؤمنات من ولدن على الإسلام، لأنّهم كانوا يتحرّجون من العقد على من أسلمت؛ و أخرى بأنّ المراد ملك اليمين؛ و ثالثاً و هو الأولى و دلّت عليه الأخبار من أنّها منسوخة بقوله: «و لاتنكحوا المشركات»[1] «و لاتمسكوا بعصم الكوافر».[2] و ذهب ابن أبي عقيل إلى جوازه متعة و دواماً، تعويلاً على هذه الآية و أنّ غيرها منسوخ بها، لأنّ سورة المائدة آخر ما نزل. و بعضهم جوّزه في المنقطع دون الدائم. و ما هو المشهور هو الأقوى من حيث دلالة الأحاديث عليه.

«و المحصنات من المؤمنات»؛ أي: و أحلّ لكم المحصنات؛ أي: العفائف من المؤمنات. و قيل: الحرائر. «من الذين أوتوا الكتاب»؛ أي: العفائف من اليهود و النصارى. «أجورهنّ»: مهورهنّ.[3]

«اليوم أحلّ». أكّد تحليلها و لم يرد يوماً بعينه و إنّما أراد الزمان الحاضر و ما يتّصل [به من الأزمنة المستقبلة].[4]

«محصنين غير مسافحين»: أعفّاء غير زانين. منصوب على الحال.[5]

«أخدان» مسرّين بالزنى. و الخدن: الصديق. يقع على الذكر و الأنثى. «بالإيمان». يريد بالإيمان شرائع الإسلام، و بالكفر به إنكاره و الامتناع عنه.[6]

«حبط». عن الصادق عليه السلام: منه الذي يدع الصلاة متعمّداً، لا من شغل و لا من سكر يعني النوم.[7]

١ـ البقرة (٢) / ٢٢١.
٢ـ الممتحنة (٦٠) / ١٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٥١.
٤ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٤٩.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٥٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٦.
٧ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٩٧، ح ٤٣.

و عن الباقر عليه السلام: تفسيرها في بطن القرآن من يكفر بولاية عليّ عليه السلام. و هو الإيمان.[١]

«حبط»؛ أي: بطل. صريح في الإحباط. و من أنكره ذهب إلى [أنّ] معناه أنّه قد بان بالكفر أنّ ذلك العمل [كان] لايعتدّ به.[٢]

[٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة»؛ أي: أردتم القيام إليها. «فاغسلوا وجوهكم» بإجراء الماء عليها حتّى يسيل سواء كان بالصبّ أو الغمس. أمّا وجوب الدلك فغير ظاهر، و أوجبه بغض علمائنا و مالك. و ظاهر الآية، و إن كان يقتضي وجوب الوضوء على كلّ قائم إلى الصلاة، إلّا أنّ الإجماع و السنّة خصّها بالمحدث. و قول بعض المفسّرين بأنّ المراد أمر الاستحباب أو أنّه كان واجباً ثمّ نسخ، غير معتمد عليه، لما تقدّم من حال سورة المائدة. و كذلك قول بعضهم أنّ الأمر هنا يشمل الوجوب و الاستحباب. لأنّه كما قيل من باب الإلغاز و التعمية. وقد استفاد بعض علمائنا وجوب النيّة نظراً إلى أنّ المراد الغسل لأجل الصلاة أي لأجل استباحتها و الدخول فيها، و هو معنى النيّة. و أجيب بأنّ المراد: لاتقوموا إلى الصلاة إلّا متطهّرين. و لعلّ الأوّل هو الأقوى. و دلالة «إنّما الأعمال بالنيّات» و إجماع العلماء حجّة قاطعة، فلايعبأ بما ذهب إليه الكوفيّ من أنّها غير شرط في الوضوء لعدم دلالة القرآن عليها. و أمّا استدلال الشافعيّ على وجوبها بأنّ الوضوء مأمور به و كلّ مأمور به يجب أن يكون منويّاً، لقوله تعالى: «و ما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»[٣] و

١ـ بصائر الدرجات ٢ / ٧٧، ح ٥.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٦٤.

٣ـ البيّنة (٩٨) / ٥.

الإخلاص النيّة الخالصة، فهو غير تامّ كما لايخفى.

«و أيديكم إلى المرافق». جمع مرفق بكسر أوّله و فتح ثالثه أو العكس، مجمع عظمي العضد و الذراع. سمّي به لأنّه يرتفق به في الاتّكاء و نحوه. و لا دلالة في الآية على إدخاله إلّا بأن يقال إنّ إلى بمعنى مع. و من ثمّ اختلف الجمهور في إدخالها. و مذهب علمائنا استناداً إلى أخبارهم دخولها. و قوله: «إلى المرافق» ممّا استدلّ به جماعة من الجمهور على وجوب الابتداء من الأصابع، و لم يعلموا أنّه تحديد للمغسول لا للغسل. كقولهم: اخضب يدك إلى الزند. و بعض أصحابنا وافقهم لكن على الجواز. و معظم الأخبار و الأقوال على الابتداء من الأعلى.

«و امسحوا برؤوسكم». و هو أن يبلّ المحلّ من غير سيلان. و الباء هنا للتبعيض؛ كما نصّ عليه أهل العربيّة و روي في الصحيح عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.[١] و ذهب مالك إلى أنّ الباء زائدة فأوجب استيعاب الرأس مسحاً. و قد اختلف العلماء في ذلك البعض. فمذهبنا وجوب ما صدق عليه الاسم. و هو قول الشافعيّ إلّا أنّ أصحابنا يخصّونه بالمقدّم و الكوفيّ أوجب مسح ربع الرأس و دليله غير معلوم.[٢] و ظاهر الآية وجوب المسح على البشرة. و بعض علماء المخالفين جوّزه على العمامة.

«و أرجلكم إلى الكعبين». و هذه هي المعركة العظمى بين الفريقين. و قد قرأ حمزة و جماعة بالجرّ و نافع و طائفة بالنصب. و قد اختلف الأمّة في حكمها. فأصحابنا و جماعة منهم على أنّ حكمها المسح كما هو الظاهر. أمّا على تقدير الجرّ، فظاهر. و أمّا على النصب، فالعطف على محلّ الرؤوس و هو مقطوع بجوازه. و صاحب الكشّاف مع تبحّره في العربيّة، ذهب إلى أنّها على النصب معطوفة على الوجوه. و لايخفى ما فيه من اختلال نظم القرآن و إلحاقه بالإلغاز و التعمية. و حمل الجرّ على المجاورة مع أنّ له شروطاً لاتوجد هاهنا. منها أن لايلزم

١ـ التهذيب ١ / ١٩، و الاستبصار ١ / ٦٢.

٢ـ و الصحيح: «و دليله رواية غير معلوم الصحّة» كما يظهر من مسالك الأفهام ١ / ٤٥.

منه التباس على السامع. و منها أن يكون فيه حرف في العطف. كقولهم: جحر ضبّ خرب. و كذلك ما ذكره في توجيهها أيضاً بأنّ المراد غسلها حقيقة و عطفها على الرؤوس لا لتمسح بل لتغسل غسلاً شبيهاً بالمسح. و لا يعلم من أين استفاده.

و اعلم أنّ الآية دالّة على عدم جواز التولية في الوضوء. و جوّزه الجمهور و هو قول خطأ. و أمّا استفادة الترتيب بين الأعضاء، فلايتمّ من الآية إلّا بمعونة الأخبار. و من ثمّ ذهب علماء الجمهور إلى عدم وجوبه و رقّوا صور الوضوء إلى ما يزيد على خمسمائة صورة.

«و إن كنتم جنباً فاطّهّروا». يجوز عطفه على جملة الشرط فلايندرج تحت القيام إلى الصلاة، فيكون جملة مستقلّة دالّة على وجوب الغسل لنفسه. و يؤيّده مثل ما روي عنهم عليهم السلام: إذا التقى الختانان، وجب الغسل.[1] يجوز عطفه على جزاء الشرط الأوّل، فيكون الغسل مثل الوضوء في وجوبه لغيره. و إلى كلّ من القولين ذهب طائفة من أصحابنا و جعلوا ثمرة الخلاف نيّة الوجوب مع خلوّ الذمّة عن مشروط بالطهارة. و المستفاد من تتبّع الأحاديث القول الثاني كما حقّقناه في شرحنا على تهذيب الأحكام. على أنّ من اقتصر على القربة في النيّات ـ كما هو الأصوب ـ فهو باستراحة في هذا الخلاف.

«و إن كنتم مرضى»؛ أي: إذا قمتم إلى الصلاة و كنتم مرضى لايمكنكم استعمال الماء. «أو على سفر»؛ أي: مسافرين. لأنّ الغالب عدم الماء فيه. «من الغائط». كناية عن الحدث الأصغر. إذ الغائط المطمئنّ من الأرض و كانوا يقصدونه لقضاء حوائجهم. «أو لامستم». كناية عن الجماع. و قال الشافعيّ: المراد مطلق اللّمس لغير محرم. و خصّه مالك بما كان عن شهوة. و هما بعيدان. «فلم تجدوا ماء». عطف على «و إن كنتم»، فيتعلّق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمّم بالأحوال الأربعة. و المراد من عدم وجدان المريض الماء عدم تمكّنه من استعماله. فيستفاد منه حينئذ عدم وجوب إهراق الإناءين إذا كان أحدهما نجساً كما ذهب إليه بعض أصحابنا. «فلم تجدوا». جوّز الكوفيّ الوضوء بنبيذ التمر إذا فقد الماء. و هو غلط.

١ـ الوسائل باب ٦ من أبواب الجنابة ٨٩.

«فتيمّموا»؛ أي: فاقصدوا شيئاً من الصعيد طاهراً. قال في الصحاح: الصعيد التراب. و في القاموس عن الزجّاج أنّه وجه الأرض و إن لم يكن تراباً. و من ثمّ اختلف في جوازه على الحجر. فأكثر علمائنا على الجواز، لصدق الصعيد عليه، مع تأييد قوله تعالى: «صعيداً زلقاً». و المراد الصخرة الأملس. و عليه أبوحنيفة و أصحابه. و آخرون على عدم الجواز و أيّدوه بقوله: «فامسحوا بوجوهكم و أيديكم منه»؛ أي: من بعضه، كما هو مقتضى مِن التبعيضيّة، و هو لايتأتّى في الصخر الذي لا تراب عليه. و قولهم انّ من هنا للابتداء، مردود بصحيح زرارة عن الباقر عليه السلام. فإنّه صريح في إرادة التبعيض. و ادّعى الزمخشريّ أنّه لايفهم منها إلّا التبعيض و حاصلها أنّه يشترط علوق شيء من التراب ليمسح به. فقول الفاضل رحمه الله أنّ الآية خالية من اشتراط العلوق لاشتراك لفظة مِن بين التبعيض و الابتداء، لايخفى ما فيه.

«مايريد الله»؛ أي: مايريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمّم تضييقاً عليكم. «ليطهّركم»؛ أي: لينظّفكم. أو: ليطهّركم من الذنوب. فإنّ الوضوء يكفّر الذنوب. أو: ليطهّركم بالتراب عند عدم الماء و ليتمّ بشرعه ما هو مطهّرة لأبدانكم و مكفّرة لذنوبكم. «تشكرون» نعمته.[١]

[٧] «وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«عليكم» بالإسلام، ليذكّركم المنعم و يرغّبكم في شكره.[٢]

«و ميثاقه». قيل: المراد من الميثاق ما أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم و خاطبهم: «ألست بربّكم»[٣].[٤]

«و ميثاقه». يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه و آله على

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٧.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٧٢.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٠.

السمع و الطاعة في العسر أو اليسر، أو ميثاق ليلة العقبة، أو بيعة الرضوان.(١)

«الذي واثقكم». عن الباقرعليه السلام: ما بيّن لهم في حجّة الوداع من تحريم المحرّمات و كيفيّة الطهارة و فرض الولاية. «بذات الصدور»؛ أي: بما تضمرونه في صدوركم من المعاني. و المراد بالصدور هنا القلوب.(٢)

[٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«قوّامين»؛ أي: من عادتكم القيام بالعمل الصالح في أنفسكم و بالأمر بالمعروف في غيركم لأجل ابتغاء مرضاة الله تعالى. «شهداء بالقسط»؛ أي: العدل. و قيل: معناه: كونوا دعاة إلى الله مبيّنين عن دين الله بالعدل و الحجّ. لأنّ الشاهد يبيّن ما يشهد عليه. أو: كونوا من أهل العدالة الذين يكونون شهداء على الناس يوم القيامة. «و لايجرمنّكم»؛ أي: لايدخلنّكم في الجرم. قال الزجّاج: من حرّك النون من شنآن، أراد بغض قوم؛ و من سكّن، أراد بغيض قوم. أي: لايحملنّكم بغضكم لهم «على أن لاتعدلوا» في حكمكم فيهم فتجوروا عليهم. «اعدلوا» في أوليائكم و أعدائكم. «و اتّقوا الله» بفعل الطاعات.(٣)

«على أن لاتعدلوا». عدّاه بعلى لتضمّنه معنى الحمل. أي: لايحملنّكم شدّة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم و تعتدوا عليهم بارتكاب ما لايحلّ كمثلة و قذف و قتل نساء و صبية و نقض عهد تشفّياً ممّا في قلوبكم. «هو أقرب للتقوى». فإذا كان هذا مع الكفّار، فكيف مع المؤمنين؟ و تكرّر هذا الحكم إمّا لاختلاف السبب ـ كما قيل: إنّ الأولى نزلت في المشركين و هذه في اليهود ـ أو لمزيد الاهتمام بالعدل و المبالغة في إطفاء نائرة الغيظ.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٧.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٠.

٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٨.

[٩] «وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«وعد الله الذين آمنوا». إنّما حذف ثاني مفعولي وعد، استغناء بقوله: «لهم مغفرة». فإنّه استئناف يبيّنه. و قيل: الجملة في موضع المفعول. فإنّ الوعد ضرب من القول. فكأنّه قال: وعدهم هذا القول.(١)

«و عملوا الصالحات» من الواجبات و المندوبات.(٢)

[١٠] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

«و كذّبوا بآياتنا». دلائل الله و براهينه. «أصحاب الجحيم»؛ أي: خالدون فيها. لأنّ المصاحبة تقتضي الملازمة.(٣)

[١١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا اذكروا». قيل: إنّها لم تنزل في واقعة خاصّة، ولكنّ المراد أنّ الكفّار يريدون إيقاع البلاء و النهب و القتل بالمسلمين، فأعزّ الله المسلمين و فلّ شوكة الكفّار و أظهر دين الإسلام على جميع الأديان.(٤)

«إذ همّ قوم»؛ أي: قصدوا. قيل: هم اليهود، همّوا بأن يفتكوا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله. و هم بنو النضير. دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله مع جماعة من أصحابه عليهم ـ و كانوا قد عاهدوه على ترك القتال و على أن يعينوه في الديات ـ فقال: رجل من أصحابي قتل رجلين معهما أمان منّي فلزمني ديتهما. فأريد أن تعينوني. فقالوا: نعم؛ اجلس حتّى نطعمكم و نعطيك الذي تسألنا. و همّوا بالفتك بهم. فآذن الله به نبيّه صلّى الله عليه وآله فأطلع أصحابه على ذلك و انصرفوا.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٢.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٢.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٨٧.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

«إذ همّ قوم». روي: انّ المشركين رأوا رسول الله ﷺ و أصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر. فلمّا صلّوا، ندموا ألّا كانوا أكبّوا عليهم و همّوا أن يواقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر. فردّ الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف. و قيل: نزل رسول الله ﷺ منزلاً و علّق سلاحه بشجرة و تفرّق الناس. فجاءه أعرابيّ فسلّ سيفه فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: الله. فأسقطه جبرئيل عليه السلام من يده و أخذه الرسول و قال: من يمنعك؟ فقال: لا أحد. أشهد أن لا إله إلّا الله. و أشهد أنّ محمّداً رسول الله ﷺ. فنزلت. «أن يبسطوا إليكم أيديهم» بالقتل و الإهلاك. يقال: بسط إليه يده، إذا بطش به. «فكفّ»: ردّ مضرّتها عنكم.[1]

«فليتوكّل» بنصرهم. (ج)

[۱۲] «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

«و لقد أخذ». لمّا بيّن الله سبحانه خيانة اليهود و همّهم بقتله و أنّه دفع عنه شرّهم، عقّبه بذكر أحوالهم و خبث سرائرهم و قبح عادتهم في خيانة الرسل تسلية للنبيّ ﷺ فيما همّوا به. «ميثاق بني إسرائيل»؛ أي: عهدهم باليمين بإخلاص العبادة له و الإيمان برسله. «و بعثنا منهم»؛ أي: أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثني عشر [اثني عشر] رجلاً كالطلائع يتجسّسون و يأتون بني إسرائيل بأخبار الشام و أهلها الجبّارين. فاختار كلّ سبط رجلاً يكون لهم نقيباً؛ أي: أميناً كفيلاً. فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدّة بأسهم و عظم خلقهم إلّا رجلين منهم كالب بن يوفنا و يوشع بن نون. «إنّي معكم». أي قال لهم. قيل: إنّه خطاب للنقباء. و قيل: لبني إسرائيل الذين أخذ منهم الميثاق. «إنّي معكم» بالنصر على

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۵۸.

عدوّي و عدوّكم الذين أمرتكم بقتالهم.[١]

النقيب كالكفيل، ينقب عن الأسرار و مكنون الإضمار.[٢]

«نقيباً»: شاهداً من كلّ سبط ينقب عن أحوال قومه و يفتّش عنها. أو: كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به. روي: انّ بني إسرائيل لمّا فرغوا من فرعون و استقرّوا بمصر، أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء من أرض الشام ـ و كان يسكنها الجبابرة الكنعانيّون ـ و قال: إنّي كتبتها لكم داراً و قراراً. فاخرجوا إليها و جاهدوا من فيها. فإنّي ناصركم. و أمر موسى أن يأخذ من كلّ سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أمروا به. فأخذ عليهم الميثاق و اختار منهم النقباء و سار بهم. فلمّا دنا من أرض كنعان، بعث النقباء يتجسّسون أخبارهم، و نهاهم أن يحدّثوا قومهم. فرأوا أجراماً عظيمة، فهابوا و رجعوا و حدّثوا قومهم. فنكثوا الميثاق إلّا كالب و يوشع.[٣]

«لئن أقمتم». ابتداء كلام منه سبحانه.[٤]

«لئن». إن شرطيّة مقدّمها مركّبة من خمسة أمور و جزاؤها قوله: «لأكفّرنّ».[٥]

«عزّرتموهم»: نصرتموهم.[٦]

«و أقرضتم الله». الصدقات المندوبة.[٧]

«و أقرضتم الله» بالإنفاق في سبيل الخير. و «قرضاً» يحتمل المصدر و المفعول.[٨]

و معنى قوله: «حسناً»: عفواً عن طيبة نفس و أن لايتبعه منّ و لا أذًى. و قيل: معناه: حلالاً.[٩]

«لأكفّرنّ». جواب القسم المدلول عليه باللّام في «لئن» سادّ مسدّ جواب الشرط. «بعد

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٥.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٩٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٧ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٩٥.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٩ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٥.

ذلك»: بعد ذلك الشرط المؤكّد المعلّق به الوعد العظيم. «سواء السبيل»: ضلالاً لا شبهة فيه و لا عذر معه، بخلاف من كفر [قبل ذلك] إذ قد يمكن أن يكون له شبهة و يتوهّم له معذرة.[۱]

«بعد ذلك»؛ أي: بعث النقباء و أخذ الميثاق.[۲]

[۱۳] «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

«فبما نقضهم ميثاقهم» لأنّهم كذّبوا الرسل و قتلوا الأنبياء و نبذوا الكتاب و ضيّعوا حدوده و فرائضه و كتموا صفة النبيّ ﷺ. «و جعلنا قلوبهم قاسية» عن قبول الحقّ. و معناه: سلبناهم التوفيق و اللّطف الذي تنشرح به صدورهم حتّى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. «يحرّفون الكلم»؛ أي: يفسّرونه على غير ما أنزل و يغيّرون صفة النبيّ ﷺ فيكون التحريف بأمرين.[۳]

«فبما نقضهم ميثاقهم». يعني نقض عهد أميرالمؤمنين عليه السلام. قال: من نحّى أميرالمؤمنين عليه السلام عن موضعه. و الدليل على أنّ الكلمة أميرالمؤمنين قوله: «و جعلها كلمة باقية في عقبه».[٤] يعني بها الولاية. «فاعف عنهم و اصفح». منسوخة بقوله تعالى: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».[۵][٦]

«لعنّاهم»: طردناهم من رحمتنا. أو: مسخناهم و ضربنا عليهم الجزية. «قاسية» لاتنفعل عن الآيات و النذر. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «قسيّة». و هي إمّا مبالغة قاسية أو بمعنى رديّة، من قولهم: درهم قسيّ، إذا كان مغشوشاً. و هو أيضاً من القسوة. فإنّ المغشوش

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۵۹.
۲ـ مجمع البيان ۳ / ۲۶۵.
۳ـ مجمع البيان ۳ / ۲۶۷.
٤ـ الزخرف (٤۳) / ۲۸.
۵ـ التوبة (۹) / ۵.
٦ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۱۶۳ ـ ۱۶٤.

فيه يبس و صلابة. «يحرّفون الكلم». استئناف لبيان قسوة قلوبهم. فإنّه لا قسوة أشدّ من [تغيير] كلام الله و الافتراء عليه. و يجوز أن يكون حالاً من مفعول لعنّاهم لا من القلوب، إذ لا ضمير له فيه. «و نسوا حظّاً»: و تركوا نصيباً. «ممّا ذكّروا به» من التوراة، أو من اتّباع محمّد صلى الله عليه وآله. و المعنى: انّهم حرّفوا التوراة و تركوا حظّهم ممّا أنزل عليهم فلم ينالوه. و قيل: معناه: انّهم حرّفوها فزلّت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم؛ لما روى ابن مسعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية. و تلا هذه الآية.(١)

«و جعلنا قلوبهم قاسية». [قالت] المعتزلة: معنى الجعل هاهنا أنّه أخبر عنها بأنّها صارت قاسية. كما يقال: جعل فلان فلاناً فاسقاً أو عادلاً. «و نسوا حظّاً». يريد أنّ تركهم التوراة و إعراضهم عن العمل بها إغفال حظّ عظيم.(٢)

«خائنة منهم»؛ أي: فرقة خائنة. أو: خائن منهم. و الهاء للمبالغة. و المعنى أنّ الخيانة و الغدر من عادتهم و عادة أسلافهم. «إلّا قليلاً منهم» لم يخونوا. و هم الذين آمنوا منهم. و قيل: الاستثناء من قوله: «و جعلنا قلوبهم قاسية». «فاعف عنهم و اصفح» إن آمنوا و عاهدوا و التزموا الجزية. و قيل: مطلق نسخ بآية السيف. «يحبّ المحسنين». تعليل للأمر بالصفح و حثّ عليه و تنبيه على أنّ العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلاً عن العفو عن غيره.(٣)

[١٤] «وَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لأبي الربيع الشاميّ: لاتشتر من السودان أحداً. فإن كان و لابدّ فمن النوبة. فإنّهم من الذين قال الله عزّوجلّ: «و من الذين قالوا إنّا نصارى» ـ الآية. أما إنّهم سيذكرون ذلك الحظّ و سيخرج مع القائم منّا عصابة [منهم]. و لاتنكحوا من الأكراد أحداً. فإنّهم جنس من الجنّ كشف الله عنهم الغطاء.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ٩٥ ـ ٩٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٤ـ الكافي ٥ / ٣٥٢، ح ٢.

«أخذنا»؛ أي: و أخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممّن قبلهم. و قيل: تقديره: و من الذين قالوا: إنّا نصارى، قوم أخذنا. و إنّما قال: «قالوا إنّا نصارى» ليدلّ على أنّهم سمّوا أنفسهم بذلك ادّعاء لنصرة الله تعالى.[١] و هم في الحقيقة أنصار للشياطين.[٢]

«فأغرينا»: فألزمنا. من غري بالشيء، إذا لصق به. «بينهم»: بين فرق النصارى، و هم نسطوريّة و يعقوبيّة و ملكائيّة. أو: بينهم و بين اليهود.[٣]

و الملكائيّة هم الروم قالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة؛ [الله] و عيسى و مريم عليهما السلام.[٤]

«بينهم العداوة و البغضاء» بالأهواء المختلفة في الدين. و ذلك أنّ النسطوريّة قالت: إنّ عيسى ابن الله، و اليعقوبيّة قالت: إنّ الله هو المسيح ابن مريم. «ميثاقهم» بالتوحيد و الإقرار بالأنبياء. «يصنعون» عند المحاسبة بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق و يعاقبهم على ذلك.[٥]

[١٥] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ».

«يا أهل الكتاب». اليهود و النصارى. و وحّد الكتاب لأنّه للجنس.[٦]

«يبيّن لكم». قال: يبيّن النبيّ صلّى الله عليه و آله كثيراً ممّا أخفيتم ممّا في التوراة من أخباره و يدع كثيراً لايبيّنه. «نور و كتاب». يعني بالنور أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٧]

«تخفون» كنعت محمّد صلّى الله عليه و آله و آية الرجم في التوراة و بشارة عيسى بأحمد في الإنجيل.[٨]

«كثيراً» ممّا تخفونه لايخبر به إذا لم يضطرّ إليه أمر دينيّ. أو: عن كثير منهم فلايؤاخذه بجرمه. «نور» يعني القرآن. فإنّه الكاشف لظلمات الشكّ و الضلال و الكتاب الواضح

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦١٦ ـ ٦١٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٥٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٩.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.
٧ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٤.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.

الإعجاز. و قيل: يريد بالنور محمّداً صلى الله عليه وآله.[١]

[١٦] «يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«يهدي به الله». وحّد الضمير لأنّ المراد بهما واحد، أو لأنّهما في الحكم كواحد. «رضوانه»؛ أي: رضاه بالإيمان. «سبل السلام»: طرق السلامة من العذاب، أو سبل الله. «من الظلمات»: من أنواع الكفر إلى الإسلام. «بإذنه»: بإرادته أو توفيقه. «مستقيم»: طريق هو أقرب الطرق إلى الله.[٢]

[١٧] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«قل فمن يملك من الله»؛ أي: فمن يمنع من قدرته و إرادته شيئاً. «هو المسيح». هم الذين قالوا بالاتّحاد منهم. و قيل: لم يصرّح به أحد منهم، ولكن لمّا زعموا أنّ فيه لاهوتاً بالإحياء و الإماتة و تدبير العالم و قالوا: لا إله إلّا الله وحده، لزمهم أن يكون هو المسيح، فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم و تفضيحاً لمعتقدهم. «أن يهلك». احتجّ بذلك على فساد قولهم. و تقريره: انّ المسيح مقدّر مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات. و من كان كذلك، فهو بمعزل عن الإلهيّة.[٣]

و قيل: معناه: انّ من قدر على هذا، لم يجز أن يكون معه إله و لا أن يشبهه شيء.[٤]

«و من في الأرض». و أراد بعطف من في الأرض على المسيح و أمّه أنّهما من جنسهم

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٢.

لا تفاوت بينهما و بينهم في البشريّة.[١]

«يخلق ما يشاء». إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره. و المعنى: انّه تعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات و الأرض و من أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم و كثير من المخلوقات و من أصل يجانسه إمّا من ذكر وحده كحوّاء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس.[٢]

[١٨] «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

«نحن أبناء الله». سمّوا أنفسهم أبناء الله لأنّهم تأوّلوا ما في الإنجيل من قول المسيح: أذهب إلى أبي و أبيكم.[٣]

«أبناء الله»؛ أي: أشياع ابنيه عزير و المسيح. أو: مقرّبون عنده قرب الأولاد من والدهم.[٤]

«فلم يعذّبكم»؟ لأنّ الوالد يشفق على ولده و الحبيب على حبيبه فلايعذّبه، و هم يقرّون بأنّهم يعذّبون أربعين يوماً عدد الأيّام التي عبدوا فيها العجل. و قيل: معناه الماضي. أي: فلم عذّبكم عند عبادة العجل و عذّبكم بأن جعل منكم القردة و الخنازير و خلّى بينكم و بين بخت نصّر حتّى فعل بكم ما فعل؟ و الحبيب لايعذّب حبيبه.[٥]

«ممّن خلق»: خلقه الله. «لمن يشاء». و هم من آمن به و برسله. «و يعذّب من يشاء». و هم من كفر. و المعنى: انّه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزيّة لكم عليه. «و لله ملك السموات و الأرض و ما بينهما»، كلّها [سواء] في كونها خلقاً و ملكاً [له]. «و إليه

١ـ الكشّاف ١ / ٦١٧ ـ ٦١٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٣.

المصير». فيجازي المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته.(١)

[١٩] «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَ لَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«يبيّن». أي الدين، و حذف لظهوره. أو ما كتمتم، و حذف لتقدّم ذكره. و يجوز أن لايقدّر مفعول على معنى: يبذل لكم البيان، و الجملة في موضع الحال. أي: جاءكم رسولنا مبيّناً. «على فترة». متعلّق بجاءكم. أي: جاءكم على حين فتور من الإرسال و انقطاع من الوحي. أو يبيّن حال من الضمير فيه.(٢)

عن الصادق عليه السلام: بين عيسى و محمّد عليهما السلام خمسمائة سنة.(٣)

«أن تقولوا»: لأن لاتقولوا.(٤)

«أن تقولوا ما جاءنا»: كراهة أن تقولوا ذلك و تعتذروا به. «فقد جاءكم بشير». متعلّق بمحذوف. أي: لاتعتذروا. فقد جاءكم.(٥)

«فقد جاءكم بشير و نذير». يعني محمّداً. فإنّه بشير و نذير.(٦)

«قدير». فيقدر على الإرسال تترى، كما فعل بين موسى و عيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف و سبعمائة سنة و ألف نبيّ، و على الإرسال على فترة، كما فعل بين عيسى و محمّد عليهما السلام إذ كان بينهما ستّمائة أو خمسمائة سنة و تسع و ستّون سنة و أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل و واحد من العرب خالد بن سنان العبسيّ. و في الآية امتنان عليهم بأن بعث الله إليهم حين انطمست آثار الوحي و كانوا أحوج ما يكون إليه.(٧)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.
٦ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٤.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.

[۲۰] «وَ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ».

«أنبياء» فأرشدكم و شرّفكم بهم. و لم يبعث في أمّة مثل ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء. «ملوكاً». أي جعل فيكم أو منكم. و قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتّى قتلوا يحيى و همّوا بقتل عيسى. و قيل: لمّا كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله و جعلهم مالكين لأنفسهم و أمورهم، سمّاهم ملوكاً.(۱)

«ملوكاً». قيل: الملك من كان له مسكن واسع فيه ماء جار. و قيل: من له مال لا يحتاج معه إلى تكلّف الأعمال و تحمّل المشاقّ.(۲)

«ما لم يؤت». من فلق البحر و تظليل الغمام و إنزال المنّ و السلوى و نحوهما ممّا آتاهم الله. و قيل: المراد بالعالمين عالمي زمانهم.(۳)

[۲۱] «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ لَا تَرْتَدُّوا عَلىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ».

«يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة»: أرض بيت المقدس. سمّيت بذلك لأنّها كانت قرار الأنبياء و مسكن المؤمنين. و قيل: الطور و ما حوله. و قيل: دمشق و فلسطين و بعض الأردنّ. و قيل: الشام.(٤)

روي أنّ إبراهيم عليه السلام لمّا صعد جبل لبنان، قال الله له: انظر. فما أدرك بصرك، فهو مقدّس و ميراث لذرّيّتك.(۵)

«يا قوم ادخلوا». كانوا ستّمائة ألف رجل.

«التي كتب الله لكم». عن الصادق عليه السلام: كتبها لهم، ثمّ محاها، ثمّ كتبها لأبناء أبنائهم

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۶۱.
۲ـ الكشّاف ۱ / ۶۲۰.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۶۱.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۶۱.
۵ـ تفسير النيسابوريّ ۶ / ۱۰۵.

فدخلوها. و الله يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب.[١]

«كتب الله لكم»: قسمها لكم. أو: كتب في اللّوح أنّها تكون مسكناً ولكن إن آمنتم و أطعتم. لقوله لهم بعد ما عصوا: «فإنّها محرّمة عليهم».[٢] «و لاترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين»: و لاترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة. قيل: لمّا سمعوا حال الجبابرة من النقباء بكوا و قالوا: ليتنا متنا بمصر! تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر. أو: لاترتدّوا عن دينكم بالعصيان و عدم الوثوق على الله. «خاسرين» ثواب الدارين. و يجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف و النصب على الجواب.[٣]

[٢٢] «قَالُوا يَا مُوسىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ».

«جبّارين»؛ أي: متغلّبين لايتأتّى مقاومتهم. و الجبّار: الذي يجبر الناس على ما يريده.[٤]

«جبّارين». قال ابن‌عبّاس: بلغ من جبروت هؤلاء القوم أنّه لمّا بعث موسى عليه السلام من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً ليخبروه خبرهم، رآهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عناق فأخذهم في كمّه مع فاكهة كان يحملها من بستانه، و أتى بهم الملك فنثرهم بين يديه و قال للملك: ألاتعجب من هؤلاء يريدون قتالنا؟ فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا. و كان فاكهتهم لايقدر على حمل عنقود منها إلّا خمسة رجال بالخشب و يدخل في قشر رمّانة خمسة رجال. و إنّ موسى كان طوله عشرة أذرع و له عصاً طولها عشرة أذرع و نزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله.[٥]

«فإنّا داخلون». إذ لا طاقة لنا بهم.[٦]

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٠٦، ح ٧٢.
٢ـ المائدة (٥) / ٢٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦١.

[٢٣] «قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَ عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«قال رجلان»: كالب و يوشع. «يخافون»؛ أي: يخافون الله و يتّقونه. و قيل: كانا رجلين من الجبابرة أسلما و سارا إلى موسى عليه السلام. فعلى هذا الواو لبني إسرائيل و الراجع إلى الموصول محذوف. أي: من الذين يخافهم بنو إسرائيل. و يشهد له أنّه قرئ: «الذين يُخافون» بالضمّ، أي: المخوفين. و على المعنى الأوّل يكون هذا ـ أي قراءة الضمّ ـ من الإخافة. أي: من الذين يخافون من الله بالتذكير أو يخوّفهم الوعيد. «أنعم الله عليهما» بالإيمان و التثبيت. و هو صفة ثانية لرجلين. «الباب»: قريتهم. أي: فاجئوهم و ضاغطوهم في المضيق و امنعوهم من الإصحار. «غالبون» لتعسّر الكرّ عليهم في المضايق من عظم أجسامهم و لأنّهم أجسام لا قلوب فيها. و يجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسى و قوله: «كتب الله لكم» أو علما من عادته تعالى في نصرة رسله و ما عهدا من صنعه لموسى عليه السلام في قهر أعدائه.(١)

كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام، و بئس القوم أهلها. و بئس البلاد مصر. أما إنّها سجن من سخط الله عليه. و لم يكن دخول بني إسرائيل إليها إلّا معصية منهم لله. لأنّ الله قال: «ادخلوا الأرض المقدّسة» يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر و فيافيها، ثمّ دخلوها بعد أربعين سنة. و لم يكن خروجهم من مصر و دخولهم الشام إلّا بعد توبتهم.(٢)

عن الباقر عليه السلام: فعصى أربعون ألفاً. و سلم هارون و ابناه و يوشع و كالب. فسمّاهم الله فاسقين.(٣)

«مؤمنين»: مصدّقين بوعده.(٤)

[٢٤] «قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٢.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٠٥، ح ٧٥.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٠٣، ح ٦٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٢.

إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ».

«ما داموا». بدل من «أبداً» بدل البعض. «فاذهب أنت». قالوا ذلك استهانة بالله و رسوله و عدم مبالاة بهما. و قيل: اذهب أنت و ربّك يعينك.(١)

[٢٥] «قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ».

«قال ربّ إنّي لا أملك». قاله شكوى [بثّه] و حزنه إلى الله لمّا خالفه قومه و أيس منهم و لم يبق معه موافق يثق به غير هارون. و الرجلان المذكوران، و إن كانا يوافقانه، لم يثق عليهما لما كابد من تلوّن قومه. و يجوز أن يراد بأخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه. و يحتمل نصبه عطفاً على نفسي أو على اسم إنّ، و رفعه عطفاً على الضمير في لا أملك أو على [محلّ] إنّ و اسمها، و جرّه عند الكوفيّين عطفاً على الضمير في نفسي. «فافرق بيننا» بأن تحكم لنا ما نستحقّه و تحكم عليهم بما يستحقّون، أو بالتبعيد بيننا و بينهم و تخليصنا من صحبتهم.(٢)

[٢٦] «قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ».

«قال فإنّها»؛ أي: الأرض المقدّسة «محرّمة عليهم» لا يدخلونها و لا يملكونها بسبب عصيانهم. «أربعين سنة». عامل الظرف إمّا محرّمة فيكون التحريم موقّتاً غير مؤبّد فلا يخالف ظاهر قوله: «التي كتب الله لكم». و يؤيّد ذلك ما روي أنّ موسى عليه السلام سار بعد أربعين سنة بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحاء و أقام فيها ما شاء الله ثمّ قبض. و قيل: إنّه قبض في التيه و لمّا احتضر أخبرهم بأنّ يوشع بعده نبيّ و أنّ الله أمره بقتال الجبابرة، فسار بهم يوشع و قتل الجبابرة و صار الشام كلّه لبني إسرائيل. و إمّا «يتيهون». أي: يسيرون فيها متحيّرين لا يرون فيها طريقاً. فيكون التحريم مطلقاً. و قد قيل: لم يدخل الأرض المقدّسة أحد ممّن

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٢.

قال: «إنّا لن ندخلها» بل هلكوا في التيه و إنّما قاتل الجبابرة أولادهم. روي أنّهم لبثوا أربعين سنة في فراسخ ستّة يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه. و كان الغمام يظلّهم من الشمس و عمود من نور يطلع باللّيل فيضيء لهم. و كان طعامهم المنّ و السلوى و ماؤهم من الحجر الذي يحملونه. و الأكثر على أنّ موسى و هارون كانا معهم في التيه إلّا أنّ ذلك ـ أي التيه ـ كان روحاً لهما و إن كان عذاباً لغيرهم، و أنّهما ماتا فيه. مات هارون، و بعده موسى بسنة، ثمّ دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر و مات النقباء فيه.(١)

«يتيهون في الأرض». فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا. فكان حذو النعل بالنعل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قبض لم يكن على أمر الله إلّا عليّ و الحسن و الحسين عليهما السلام و سلمان و المقداد و أبوذرّ. فمكثوا أربعين حتّى قام عليّ عليه السلام فقاتل من خالفه.(٢)

«فلاتأس». خاطب به موسى لمّا ندم على الدعاء عليهم و بيّن أنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم.(٣)

[٢٧] «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

«إذ قرّبا قرباناً». ظرف لنبأ أو حال منه. «بالحقّ». صفة مصدر محذوف. أي: تلاوة متلبّسة بالحقّ.(٤)

«و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ إذ قرّبا قرباناً» ـ الآية. قالوا: إنّ حوّاء امرأة آدم كانت تلد في كلّ بطن غلاماً و جارية. فولدت في أوّل بطن قابيل و أخته اقليميا، و البطن الثاني هابيل و توأمه لبوذا. فلمّا أدركوا، أمر الله سبحانه أن ينكح قابيل أخت هابيل و بالعكس. فأبى قابيل لأنّ أخته كانت أحسن و قال: ما أمر الله بهذا. و هذا من رأيك. فأمرهما أن يقرّبا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٠٣، ح ٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.

قرباناً. فرضيا بذلك. فعمد هابيل ـ وكان صاحب ماشية ـ إلى كبش. وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه. ثمّ صعدا فوضعا القربان على الجبل. فأتت النار فأكلت قربان هابيل. فقال قابيل: لاعشت يا هابيل في الدنيا! و قد تقبّل قربانك و لم يتقبّل قرباني. و تريد أن تأخذ منّي الحسناء و آخذ أختك القبيحة. فقال له هابيل ما حكاه الله فشدخه بحجر فقتله. روي ذلك عن الباقر عليه السلام. و عليه إجماع المفسّرين من الجمهور.(١) و الوارد في معظم أخبارنا غير هذا:

روى الثقة العيّاشيّ و غيره عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يزعم الناس أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه. فقال عليه السلام: و قد قال الناس في ذلك، ولكن يا ـ سليمان ـ أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو علمت أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه، لزوجت زينب من القاسم و ماكنت لأرغب عن دين آدم. فقلت: إنّهم يزعمون أنّ قابيل إنّما قتل هابيل لأجل أخته. فقال: ما تستحيي أن تروي هذا على نبيّ الله؟ فقلت: ففيم قتل قابيل هابيل؟ فقال: في الوصيّة. إنّ الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة و الاسم الأعظم إلى هابيل. وكان قابيل أكبر منه، فغضب و قال: أنا أولى بالكرامة و الوصيّة. فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي الله إليه. فقبل الله قربان هابيل. فحسده فقتله.(٢)

و روى الصدوق في إكمال الدين عن الباقر عليه السلام: إنّ قابيل عمد فبنى بيوت النيران و قال: لأعبدنّ هذه النار حتّى تتقبّل قرباني. وكان عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه قد تقبّل قربان هابيل. فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك. فقتله. فأتى آدم و سأله عن هابيل. فقال: ما تركتني راعياً له. فانطلق فوجده مقتولاً فبكى عليه أربعين ليلة و دعا الله أن يهب له ولداً. فوهبه الله فأحبّه. فلمّا انقضت أيّام آدم، أوحى الله إليه أن اجعل ميراث النبوّة و الوصيّة في هبة الله. فغضب قابيل، فلمّا مات آدم قال له: إن أظهرت العلم، قتلتك كما قتلت

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣١٢، ح ٨٣.

أخاك. فلبث هبة الله و عقبه مستخفين بالعلم حتّى بعث نوح.[١]

و الأخبار الواردة بهذا المعنى مستفيضة. فيكون ما ورد في الأخبار من موافقة أقاويل العامّة محمولاً على التقيّة من غير شكّ و لا ريب.

«من المتّقين»: أي: إنّما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي. فلم تقتلني؟ و فيه إشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره و يجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظّه. فإنّ ذلك ممّا يضرّه و لاينفعه.[٢]

[٢٨] «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

«لئن بسطت». قيل: كان هابيل أقوى منه، ولكن تحرّج عن قتله و استسلم له خوفاً من الله ـ لأنّ الدفع لم يبح بعد ـ أو تحرّياً لما هو الأفضل. قال عليه السلام: كن عبد الله المقتول و لاتكن عبد الله القاتل. و إنّما قال: «ما أنا بباسط» باسم الفاعل في جواب «لئن بسطت» بلفظ الفعل للتبرّي عن هذا الفعل الشنيع رأساً و التحرّز من أن يوصف به و يطلق عليه. و لذلك أكّد النفي بالباء.[٣]

[٢٩] «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ».

عن الباقر عليه السلام: من قتل مؤمناً متعمّداً، أثبت الله على قاتله جميع الذنوب و برئ المقتول منها. و ذلك قول الله: «إنّي أريد أن تبوأ بإثمي». ـ الآية.[٤]

«إنّي أريد أن تبوأ بإثمي و إثمك». تعليل ثان للامتناع عن المعارضة و المقاومة. و المعنى: إنّما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي و إثمك ببسطك يدك إليّ. و نحوه

١ـ كمال الدين ١ / ٢١٣، ح ٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.
٤ـ ثواب الأعمال / ٣٢٨، ح ٩.

قوله عليه السلام: المستبّان ما قالا فعلى البادي ما لم يتعدّ المظلوم. و قيل: معنى بإثمي: بإثم قتلي و بإثمك الذي لم يتقبّل من أجله قربانك. و كلاهما في موضع الحال. أي: ترجع متلبّساً بالإثمين حاملاً لهما. و لعلّه لم يرد معصية أخيه و شقاوته بل قصده إلى أنّ ذلك إن كان لا محالة واقعاً فأريد أن يكون لك لا لي. المراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه. و يجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته. و إرادة عقوبة العاصي جائزة.(١)

«بإثمى»: بإثم قتلي. «و إثمك» الذي هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل.(٢)

[٣٠] «**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**».

«فطوّعت له»؛ أي: وسّعته و سهّلته.(٣)

«قتل أخيه». قتله و هو ابن عشرين سنة. و كان قتله عند عقبة حراء جبل بمكّة. و قيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.(٤)

«فقتله». عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: لم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين الحجرين ثمّ اشرجه. فلمّا قتله، لم يدر ما يصنع به. فجاء غرابان فاقتتلا حتّى قتل أحدهما صاحبه، ثمّ حفر الذي بقي الأرض بمخالبه و دفن فيها صاحبه. فقال قابيل: يا ويلتا! [... فحفر له حفيرة و دفنه فيها ...] فأتى آدم إلى موضع قتله و هو محلّ القربان. فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل. و لذلك لا تشرب الأرض الدم.(٥)

و عن ابن عبّاس قال: لمّا قتل قابيل هابيل، شاك الشجر و تغيّرت الأطعمة و حمضت الفواكه و أمرّ الماء و اغبرّت الأرض. فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث. فأتى هند، فإذا قابيل قد قتل هابيل. فأنشأ يقول: شعر:

تغيّرت البلاد و من عليها ... و وجه الأرض مغبرّ قبيح

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٣.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٤.
٤ـ الكشّاف ١ / ٦٢٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

تــغيّر كــلّ ذي لون و طــعم و زال بشاشة الوجه المليح[١]

و روى الصدوق هذين البيتين مع أبيات جواب إبليس له في كتاب عيون الأخبار عن مولانا الرضا عليه السلام.[٢] فقول صاحب الكشّاف: «روي أنّ آدم رثاه بشعر. و هو كذب بحت. و ما الشعر إلّا مهجون ملحون. و قد صحّ أنّ الأنبياء معصومون من الشعر.»[٣] لا يلتفت إليه. و للبحث معه مقام آخر.

[٣١] «فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَـبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ».

«غراباً». قيل: كان ملكاً في صورة الغراب.[٤]

«ليريه». أي الله أو الغراب. «كيف». حال من الضمير في يواري. و الجملة ثاني مفعولي يري. «سوأة أخيه». لأنّ بدن الميّت يستقبح أن يرى. «يا ويلتا». كلمة جزع و تحسّر. و الألف فيها بدل من ياء المتكّم. و المعنى: يا ويلتي احضري، فهذا أوانك. و الويل و الويلة: الهلكة. «مثل هذا الغراب» لا أهتدي إلى ما يهتدي إليه. «فأواري». عطف على أكون. «من النادمين» لما كابد فيه من التحيّر في أمر دفنه و حمله على رقبته سنة أو أكثر حتّى أروح و عكفت عليه السباع و تلمّذه و للغراب و اسوداد لونه و تبرّي أبويه منه ـ إذ روي: انّه لمّا قتله، اسودّ جسده. فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً. فقال: بل قتلته. و لذلك اسودّ جسدك. و تبرّأ عنه. و مكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك ـ و عدم الظفر بما فـعله لأجله.[٥]

«من النادمين» على قتله. لكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة ـ كمن يندم على الشرب لأنّه يصدعه ـ فلذلك لم يقبل ندمه. و قيل: من النادمين على حمله لا على قتله. و

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٧.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ٢٤٢.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٤.

قيل: من النادمين على قتل أخيه لا على ارتكاب الذنب.(١)

«من النادمين». عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ قابيل ابن آدم معلّق بقرونه في عين الشمس تدور به حيث دارت في زمهريرها و حميمها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة، صيّره الله إلى النار.(٢)

«النادمين». لكن لم يندم ندم التائبين.(٣)

[٣٢] «مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ».

«على بني إسرائيل». و الحكم جار في غيرهم. (التفاسير)

«من أجل ذلك كتبنا»: بسببه قضينا عليهم. و من ابتدائيّة متعلّقة بكتبنا. أي: ابتداء الكتابة و نشوء من أجل ذلك. «بغير نفس»؛ أي: بغير قتل نفس يوجب القصاص. «أو فساد»؛ أي: بغير فساد فيها كالشرك و قطع الطريق. «فكأنّما قتل الناس». من حيث إنّه هتك حرمة الدماء و سنّ القتل و جرّأ الناس عليه. أو من حيث إنّ قتل الواحد و الجميع سواء في استجلاب غضب الله و العذاب العظيم.(٤)

«فكأنّما قتل الناس جميعاً». يعني في القصاص. فإنّه لو قتل الناس كلّهم قتل و لو قتل واحداً من الناس قتل أيضاً، و من عفا عن دمها و قد وجب القود عليها، كان كما عفا عن الناس جميعاً.(٥)

«قتل الناس جميعاً» ـ الآية. فيه أقوال. أحدها: انّ الناس كلّهم خصماؤه في قتل ذلك الإنسان و قد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعاً فأوصل إليهم من المكروه ما يشبه القتل

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٦.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣١١، ح ٨٠.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٢٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٤.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٩.

الذي أوصله إلى المقتول، فكأنّه قتلهم كلّهم. و من استنقذها من غرق أو ضلال، فأجره على الله أجر من أحياهم أجمعين. لأنّه أحيا أخاهم المؤمن فقد أسدى إليهم معروفاً. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و ثانيها: من قتل نبيّاً أو إمام عدل، فيعذّب عليه كما لو قتل الناس جميعاً. و من شدّ على عضد نبيّ أو إمام، كان في الثواب كمن أحيا الناس جميعاً.(١)

«فكأنّما قتل الناس جميعاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: من أخرجها من ضلال إلى هدًى، فكأنّما أحياها. و من أخرجها من هدًى إلى ضلال، فقد قتلها.(٢)

«جميعاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو واد في جهنّم لو قتل الناس جميعاً كان فيه و لو قتل نفساً واحدة كان فيه. و لو قتل آخر يضاعف عليه.(٣)

«و من أحياها»؛ أي: تسبّب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة، كأنّما فعل بالناس جميعاً ذلك. و المقصود منه تعظيم قتل النفس و إحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرّض و ترغيباً في المحاماة عليها. «بعد ذلك»؛ أي: بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية و أرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيداً للأمر و تجديداً للعهد كي يتحاموا عنها، كثير منهم يسرفون في الأرض بالقتل و لايبالون به. و بهذا اتّصلت القصّة بما قبلها. و الإسراف: التباعد عن حدّ الاعتدال في الأمر.(٤)

[٣٣] «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

قيل: نزلت في أهل الشرك. و قيل: في قطّاع الطريق. و عليه أكثر المفسّرين و الفقهاء.(٥)

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٨٩.
٢ـ الكافي ٢ / ٢١٠، ح ١.
٣ـ الفقيه ٤ / ٩٤، و الكافي ٧ / ٢٧١، ح ١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٤.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٢٩١.

«إنّما جزاء» ـ الآية. عن أبي جعفر عليه السلام: انّ للحرب حكمين. إذا كانت الحرب قائمة لم تضع أوزارها و لم يثخن أهلها، فكلّ أسير أخذ في تلك الحال، فإنّ الإمام فيه بالخيار. و هو قوله: «إنّما جزاء الذين» ـ الآية. و قوله: «أو ينفوا من الأرض». يعني أن يطلبه الخيل حتّى يهرب، فإن أخذته الخيل، حكم عليه ببعض الأحكام.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّه قدم قوم من بني ضبّة على رسول الله صلى الله عليه وآله مرضى. فقال لهم: أقيموا عندنا. فإذا برأتم بعثتكم. فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون ألبانها. فلمّا برؤوا، قتلوا ثلاثة من الرعاة. فبعث رسول الله عليّاً عليه السلام في طلبهم، فأسرهم من أرض اليمن و جاء بهم إلى رسول الله. فنزلت الآية، فاختار القطع من خلاف.[٢]

و في حديث آخر عنه عليه السلام في قوله: «أو ينفوا»، قال: نفي المحاربة غير هذا النفي؛ و هو أن يحمل في البحر ثمّ يقذف به. لو كان نفيه من بلد إلى بلد، كيف يكون عديل القتل و الصلب؟[٣]

«إنّما جزاء الذين يحاربون الله» ـ الآية ـ أي: يحاربون أولياءهما و هم المسلمون. جعل محاربتهم محاربتهما، تعظيماً لشأنهم. و يحتمل أن يكون المراد محاربتهما أنفسهما باعتبار عدم سماع النهي عن المحاربة فكأنّهم حاربوا الناهي عن ذلك. و المراد بهم هنا كلّ من شهر السلاح في البرّ أو البحر ليلاً أو نهاراً في المصر أو خارجها لإخافة الناس. و لا يكفي مطلق الإخافة بل الإخافة من القتل بقصد أخذ المال غلبة و قهراً. و هل يعتبر كونه من أهل الريبة؟ قيل: نعم. و اختاره الشيخان. و الأكثر على العدم لعموم النصّ. و الحكم شامل للنساء على المشهور. و ابن الجنيد و ابن إدريس خصّا الحكم بالرجال، نظراً إلى أنّ الآية خطاب للذكران. و الجواب عنه: انّ مبنى آيات القرآن على تغليب الذكور. مع أنّ في بعض الروايات تصريحاً بالعموم.[٤] و المراد بالسلاح ما يشمل مثل العصا ممّا يحصل به الأخذ

١ـ الكافي ٥ / ٣٢، ح ١.

٢ـ الكافي ٧ / ٢٤٥، ح ١.

٣ـ الكافي ٧ / ٢٤٧.

٤ـ الكافي ٢ / ٣٠٧، و التهذيب ١٠ / ١٣٢.

بالقوّة؛ لعموم الآية. و أمّا اعتبار كونه خارج المصر، فهو قول الكوفيّ و أصحابه، و الآية تدفعه. «و يسعون في الأرض فساداً»؛ أي: مفسدين. منصوب على الحاليّة. و يجوز نصبه على العلّيّة أو على المصدريّة. لأنّ سعيهم كان فساداً. فكأنّه قيل: و يفسدون في الأرض فساداً. «أن يقتّلوا». خبر جزاء. أي: يقتّلون قصاصاً أو حدّاً، على تقدير العفو من غير صلب إن اقتصروا على القتل. «أو يصلّبوا». أي مع القتل، إن أضافوا إلى القتل أخذ المال. و اختلف في كون الصلب حيّاً أو مقتولاً. فجماعة على الأوّل، و آخرون على الثاني. و ظاهر الآية يعطي الأوّل. لأنّه جعل الصلب غير القتل. أو دالّة على التخيير فاقتضى أن يكون قتله بالصلب. و في بعض الأخبار دلالة على الثاني. «أو تقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف»، إن أخذوا المال و لم يقتلوا. و قطع الخلاف أن تقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى و يتركوا حتّى يموتوا. و الظاهر أنّ القطع فيه محال على يد السارق. «أو ينفوا من الأرض»، إن اقتصروا على الإخافة من غير أن يأخذوا مالاً و يقتلوا. و المراد نفيهم من بلد إلى بلد بحيث لايتمكّنون من القرار في موضع و لايطعمونهم و لايمكّنونهم من الدخول في بلاد الشرك. و قال الكوفيّ و أصحابه: النفي هو الحبس. لأنّ المحبوس لاينتفع بشيء من طيّبات الدنيا فكأنّه خارج عنها. و بالجملة فأو في الآية لاختلاف الأحكام بالنسبة إلى الجنايات على ما قلناه من التفصيل. و إليه ذهب طائفة من الأصحاب تعويلاً على بعض الأخبار؛ لكنّها لاتخلو من ضعف في سند أو اختلاف في متن. و ذهب آخرون إلى أنّ الآية محمولة على التخيير؛ بمعنى أنّ الإمام مخيّر بين المذكورات في كلّ محارب. و هو الظاهر من لفظ أو الواقعة في الآية. و صحيح حريز دالّ عليه أيضاً. نعم؛ هو ثابت إذا لم يقتل، و لو قتل تحتّم قتله و لم يكتف بغيره من الحدود سواء عفا عنه الوليّ أم لا. و قد صرّح به القائلون بالتخيير. «ذلك»؛ أي: ما أوجبناه من الجزاء. «خزي»: فضيحة «في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم» لعظم ذنبهم. و استفيد من الآية أنّ إقامة الحدود لاتوجب تكفير المعاصي في الآخرة. و المراد أنّهم يستحقّون العذاب لا أنّ ذلك واجب عليهم لمكان الفضل و التفضّل، خلافاً للمعتزلة. فإنّهم

لايجوّزون التفضيل بل أوجبوا كلّ ما توعّد الله به مع عدم التوبة.

[٣٤] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إلّا الذين تابوا». استثناء ممّا تقدّم. أي: تابوا قبل أن يظفر بهم. «غفور رحيم» يقبل توبتهم و يدخلهم الجنّة. و منطوق الآية أنّ التوبة قبل القدرة تسقط الحدّ. و مقتضى المفهوم أنّ توبتهم بعد القدرة و وصولهم إلى الإمام لاتسقطها. و هو ممّا لا خلاف فيه. نعم؛ الساقط بالتوبة قبل القدرة إنّما هو حقّ الله، فأمّا حقوق الآدميّين كالقصاص في النفس أو الطرف أو الجرح أو أخذ المال، فإنّه لايسقط. و خالف فيه أكثر العامّة فلم يوجبوا الضمان كما في السارق. و لو تاب بعد الظفر، فالظاهر قبول توبته بالنسبة إلى عقاب الآخرة و إن لم يسقط عنه القتل و نحوه، كما قالوه في توبة من ارتدّ عن فطرة.

فيه دلالة على تبعّض التوبة كما هو أحد القولين.

[٣٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«و ابتغوا إليه»؛ أي: اطلبوا إليه القربة بالطاعات.(١)

«الوسيلة». قال: تقرّبوا إليه بالإمام.(٢)

«الوسيلة»؛ أي: ما تتوسّلون به إلى ثوابه و الزلفى منه من فعل الطاعات و ترك المعاصي. من وسل إلى كذا، إذا تقرّب إليه. و في الحديث: الوسيلة منزلة في الجنّة.(٣)

«الوسيلة». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الله وعد نبيّه الوسيلة؛ و هي أعلى درج الجنّة و نهاية غاية الأمنيّة. لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام، [و هو] ما بين مرقاة درّة إلى مرقاة جوهرة إلى مرقاة زبرجدة إلى مرقاة لؤلؤة إلى مرقاة

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٩٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٥.

زمرّدة إلى مرقاة كافور إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضّة ـ الحديث.[١]

[٣٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«لو أنّ لهم» ـ الآية. هذا تمثيل للزوم العذاب لهم و أنّه لا سبيل لهم إلى النجاة بوجه.[٢]

«ما في الأرض» من صنوف الأموال. «ليفتدوا به» ليجعلوه فدية لأنفسهم. و اللّام متعلّقة بمحذوف تستدعيه لو. إذ التقدير: لو ثبت لهم أنّ لهم ما في الأرض. و توحيد الضمير في به. و المذكور شيئان، إمّا لاجرائه مجرى اسم الإشارة ـ كأنّه قيل: ليفتدوا بذلك ـ نحو قوله: «عوان بين ذلك»[٣]، أو لأنّ الواو في «و مثله» بمعنى مع.[٤]

و عنه ﷺ أنّه يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال: قد سئلت أيسر من ذلك.[٥]

«ما تقبّل منهم». جواب لو. و لو و ما في حيّزه خبر إنّ. و الجملة تمثيل للزوم العذاب لهم و أنّه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه. «و لهم عذاب أليم». تصريح بالقصود منه.[٦]

[٣٧] «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

«يريدون»؛ أي: يتمنّون أن يخرجوا. و قيل: معناه الإرادة على الحقيقة. أي: كلّما دفعتهم النار بلهبها، رجوا أن يخرجوا منها. و هو كقوله: «كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها».[٧] و قيل: معناه: يكادون يخرجون منها إذا دفعتهم بلهبها. فإن قيل: كيف يجوز أن يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنّهم لايخرجون منها؟ فالجواب: انّ العلم بأنّ الشيء لايكون، لايصرف عن إرادته. و إنّما الداعي إلى الإرادة حسنها و الحاجة إليها.[٨]

١ـ الكافي ٨ / ٢٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٢٩.
٣ـ البقرة (٢) / ٦٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٥.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٢٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٥.
٧ـ الحجّ (٢٢) / ٢٢.
٨ـ مجمع البيان ٣ / ٢٩٤.

[٣٨] «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و السارق و السارقة». مرفوعان على الابتداء. «فاقطعوا أيديهما». خبره بتأويل مقول في حقّهما ذلك. و صحّ دخول الفاء على الخبر لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. لأنّ معناه: الذي سرق و التي سرقت. و تقديم السارق على السارقة عكس الزانية على الزاني لأنّ أغلب السرقة من الرجال كما أنّ أغلب الزنى من النساء. و المراد بأيديهما أيمانهما إجماعاً. و قد ذهب جماعة من العامّة ـ نظراً إلى إطلاق الآية ـ إلى القطع [في] كلّ قليل أو كثير. و هو بعيد. لأنّ السنّة خصّصته. أمّا عندنا فربع دينار أو قيمته. و عليه الشافعيّة. و ذهب الكوفيّ و أصحابه إلى أنّه عشرة دراهم، تعويلاً على ما روي عنه ﷺ أنّه لا قطع إلّا في ثمن المجنّ[1] و في الدلالة ما ترى. و لا يقطع إلّا من الحرز و إن اختلف علماؤنا ﷺ في تحقيق معناه. و ذهب داوود منهم إلى عدم اعتباره مطلقاً. و أمّا المقطوع من اليد عندنا، فهو من أصول الأصابع و يترك له الراحة و الإبهام. و جمهور العامّة على أنّه من الرسغ بين الكفّ و الساعد. و يحكى عن الخوارج أنّه من المنكب أخذاً بظاهر اليد. «جزاء بما كسبا». نصب على أنّه مفعول له. و كذا قوله: «نكالاً من الله». «و الله عزيز حكيم» قادر على الانتقام، فيعاقب بحكمته في الدنيا بشرع الحدّ و في الآخرة بعذاب النار. و احتجّت الحنفيّة بظاهر الآية على أنّ الحدّ و الغرم لا يجتمعان، لأنّه تعالى قال: «جزاء بما كسبا» فيكون القطع كافياً في جناية السرقة. و الجواب: إنّ الإجماع قائم على وجوب ردّ المسروقة. و قد اجتمع في السرقة أمران، و حق الله لا يضيع حقّ العباد.

«أيديهما» عن الرضا ﷺ: أيمانهما. لأنّه أكثر ما يباشر السرقة بيمينه. و لا يزال العبد يسرق حتّى إذا استوفى [ثمن] يده، أظهره الله عليه.[2]

١ـ فتح الباري ١٥ / ١٠٧ ـ ١١٢.

٢ـ عيون الأخبار ٢ / ٩٤ ـ ٩٥.

[٣٩] «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«فمن تاب من بعد ظلمه»؛ أي: ندم على فعل السرقة «و أصلح» أمره بالتخلّص من حقوق العباد بردّ المسروق إلى أهله، أو فعل العمل الصالح بعد التوبة، «فإنّ الله» يقبل توبته تفضّلاً منه فلايعذّبه في الآخرة. أمّا في الدنيا، فظاهره سقوط القطع أيضاً إذا تاب قبل ثبوته عند الإمام. و لا خلاف في ذلك عند أصحابنا. أمّا لو كانت بعد قيام البيّنة، فليس للإمام العفو إلّا أن يكون ثبوت السرقة بالإقرار. فالإمام حينئذ مخيّر بين العفو و استيفاء الحدّ، كما ورد تفصيله في أخبارنا.

[٤٠] «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«ألم تعلم». خطاب للنبيّ أو لكلّ أحد. «يعذّب من يشاء و يغفر لمن يشاء». قدّم التعذيب على المغفرة، إمّا على ترتيب ما سبق، أو لأنّ استحقاق التعذيب مقدّم، أو لأنّ المراد القطع و هو في الدنيا.[١]

[٤١] «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«يا أيّها الرسول لايحزنك» ـ الآية. كان سبب نزولها: انّه كان بالمدينة بطنان من اليهود و هم النضير و قريظة. و كانت قريظة سبعمائة و النضير ألفاً. و كانت النضير أكثر مالاً و أحسن حالاً من قريظة. و كان إذا وقع بينهما قتيل و كان القتيل من بني النضير، قالوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٦.

لبني قريظة: لايكون قتيلنا مثل قتيلكم. فكتبوا بينهم كتاباً على أنّ أيّ رجل من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يقعد على جمل مستدبرة و يلطخ وجهه بالحماة و يدفع نصف الدية، و أيّما رجل من قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن يدفع إليه الدية كاملة و يقتل به. فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، ضعف أمر اليهود و أراد بنوالنضير منهم في الدم ما كان أوّلاً. فقال قريظة: ليس هذا حكم التوراة. و هذا محمّد، هلمّوا نتحاكم إليه. فأتى معهم عبدالله بن أبيّ و كان حليفاً للنضير فقال: يا رسول الله، إنّ هؤلاء القوم كتبوا بينهم كتاباً. و النضير لهم القوّة و السلام. فلاتنقض كتابهم. فاغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك. فنزل جبرئيل بهذه الآيات.[1]

«يا أيّها الرسول» ـ الآية. قال الباقر عليه السلام و جماعة من المفسّرين: إنّ امرأة من خيبر ذات شرف زنت مع رجل من أشرافهم و هما محصنان. فكرهوا رجمهما. فكتبوا إلى يهود المدينة أن يسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة. فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن الزاني و الزانية إذا أحصنا ما حدّهما؟ فنزل جبرئيل بآية الرجم. فأبوا أن يأخذوا به. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هل تعرفون رجلاً منكم يقال له ابن صوريا من سكّان فدك؟ فقالوا: نعم؛ هو أعلم يهوديّ على وجه الأرض. قال: فأرسلوا إليه. ففعلوا. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن صوريا: نعم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فماذا كان أوّل ما ترخّصتم به أمر الله؟ قال: كنّا إذا زنى الشريف تركناه و إذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحدّ. فكثر الزنى في أشرافنا فقالوا: تعالوا فلنضع شيئاً دون الرجم على الشريف و الوضيع. ففرضنا الجلد و التحميم؛ و هو أن يجلدا أربعين، ثمّ يسوّد وجوههما، ثمّ يحملان على حمارين و يجعل وجوههما من قبل دبر الحمار. فجعلوا مكان الرجم هذا. فقالت اليهود: يابن صوريا، ما أسرع ما أخبرته به! فقال: إنّه أنشدني بالتوراة. فأمر بهما النبيّ صلى الله عليه وآله فرجما عند باب المسجد. فأنزل الله: «يا أهل الكتاب

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٨ ـ ١٦٩.

قد جاءكم رسولنا» ـ الآية[١][٢]

«يا أيّها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر»؛ أي: صنيع الذين يقعون في الكفر سريعاً؛ أي: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة. «من الذين قالوا»؛ أي: من المنافقين. «بأفواههم». الباء متعلّقة بقالوا لا بآمنّا. و الواو يحتمل العطف و الحال. «و من الذين هادوا». عطف على الذين قالوا. «سمّاعون للكذب». خبر مبتدأ محذوف. أي: هم سمّاعون. و الضمير للفريقين أو للّذين يسارعون. و يجوز أن يكون مبتدأ و من الذين خبره. أي: و من اليهود قوم سمّاعون. و اللّام في للكذب إمّا زائدة للتأكيد، أو لتضمين السماع معنى القبول ـ أي: قابلون لما يفتريه الأحبار ـ أو للعلّة و المفعول محذوف. أي: سمّاعون كلامك ليكذبوا فيها. «سمّاعون لقوم آخرين»؛ أي: لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك و تجافوا عنك تكبّراً أو إفراطاً في البغضاء. و المعنى على الوجهين ـ أي التضمين أو العلّة ـ أي: مصغون لهم قابلون كلامهم. أو: سمّاعون منك لأجلهم و الانتهاء إليهم. و يجوز أن يتعلّق [اللّام] بالكذب. لأنّ سمّاعون الثاني مكرّر للتأكيد. أي: سمّاعون ليكذبوا لقوم آخرين. «يحرّفون»؛ أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، إمّا لفظاً بإهماله أو تغيير وضعه، و إمّا معنىً بحمله على غير المراد. و الجملة صفة أخرى لقوم، أو صفة لسمّاعون، أو حال من الضمير فيه، أو استئناف لا موضع له، أو خبر لمحذوف. أي: هم يحرّفون كذلك. «أوتيتم» هذا المحرّف. «فخذوه»: فاقبلوه و اعملوا به.[٣]

«إن أوتيتم هذا فخذوه»؛ أي: إن أفتاكم محمّد ﷺ بجلد المحصن فخذوه. و إن أفتاكم في الرجم فلاتقبلوه. لأنّهم كانوا قدحرّفوا حكم الرجم الذي في التوراة.[٤]

«يحرّفون». ابن أبيّ و بنوالنضير.[٥]

«فتنته»؛ أي: خذلانه. «فلن تملك»: فلن تستطيع له من لطف الله شيئاً. «اولئك الذين

١ـ المائدة (٥) / ١٥.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٦.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٢.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٦٩.

لم يرد الله» أن يمنحهم من ألطافه ما يطهّر به قلوبهم لأنّهم ليسوا من أهلها لعلمه أنّها لا ينفع فيهم.[1]

«في الدنيا خزي»: هوان بالجزية و الخوف من المؤمنين. «عذاب عظيم»: الخلود في النار. و الضمير للّذين.[2]

[٤٢] «سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

«سمّاعون للكذب». كرّره للتأكيد.[3]

«للسحت»؛ أي: يكثرون الأكل للسحت؛ و هو الحرام و الرشوة.[4]

و قرأ ابن كثير و أبوعمرو: «للسُّحُت» بضمّتين.[5]

«للسحت». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثمّ يقبل هديّته.[6]

عن الباقر عليه السلام: السحت أنواع كثيرة. منها أجور الفواجر، و ثمن المسكرات، و الربا بعد البيّنة. فأمّا الرشا في الحكم، فإنّ ذلك الكفر بالله العظيم.[7]

و في حديث آخر: و منه كسب الحجّام إذا شارط.[8]

سئل أبوعبدالله عليه السلام عن قاض بين قريتين يأخذ من السلطان على القضاء الرزق. قال: ذلك سحت.[9]

«فإن جاؤوك» ـ الآية. الظاهر من أكثر التفاسير أنّ الآية نزلت في اليهود الذين تحاكموا

١ـ الكشّاف ١ / ٦٣٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.

٦ـ عيون الأخبار ٢ / ٢٨، ح ١٦.

٧ـ الكافي ٥ / ١٢٦، ح ١.

٨ـ الكافي ٥ / ١٢٧، ح ٣.

٩ـ الفقيه ٣ / ٤، ح ١.

إلى النبيّ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ. و قيل: إنّها في بني‌قريظة و بني‌النضير لمّا تحاكموا إليه. و مقتضى الآية تخيير النبيّ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ و من يقوم مقامه من الأئمّة عَلَيْهِمُ‌السَّلَامُ حتّى العلماء إذا تحاكموا إليهم أهل الكتاب بين أن يحكموا بينهم بالعدل الذي هو مقتضى شرع الإسلام و بين أن يعرضوا عنهم و يحيلونهم على شرعهم إن كان في شرعهم حكم. و على هذا أصحابنا الإماميّة و وافقهم الشافعيّة. و أوجب الحنفيّة أنّهم إذا تحاكموا حكمنا عليهم بحكم الإسلام. و ذهب بعضهم إلى أنّ آية التخيير منسوخة بقوله: «و أن احكم بينهم بما أنزل الله».[١] و فيه نظر. لأنّ تلك الآية لاتنافي التخيير. لأنّه على تقدير اختيار الحكم، يجب أن يكون بما أنزل الله، كما قال: «فاحكم بينهم بالقسط»؛ أي: العدل الذي أمر الله به. على أنّا نقول: التخيير بين الحكم و الإعراض، حكم بما أنزل الله.[٢]

«أو أعرض». الظاهر في الروايات أنّ هذا التخيير ثابت في الشرع للأئمّة و الحكّام.[٣]

«المقسطين» فيحفظهم و يعظّم شأنهم.[٤]

[٤٣] «وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ».

«و كيف يحكّمونك»؛ أي: كيف يحكّمك ـ يا محمّد صَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ ـ هؤلاء اليهود فيهم فيرضوا بك حكماً «و عندهم التوراة» التي يقرّون أنّها كتابي و أنّ ما فيها من حكمي لاينكرونه؟ «فيها حكم الله»؛ أي: أحكامه التي لم‌ينسخ. و قيل: عنى به الحكم بالرجم. «ثمّ يتولّون من بعد ذلك»؛ أي: يتركون الحكم به جرأة عليّ. و في هذا تعجّب للنبيّ صَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ و تقريع لليهود الذين نزلت الآية فيهم. فكأنّه قال: كيف تقرّون ـ أيّها ـ اليهود بحكم نبيّي محمّد صَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ مع إنكاركم نبوّته و تكذيبكم إيّاه و أنتم تتركون حكمي الذي تعترفون بأنّه من عندي؟ «من بعد ذلك». إشارة إلى حكم الله في التوراة. و قيل: من بعد تحكيمك أو حكمك بالرجم. لأنّهم

١ـ المائدة (٥) / ٤٩.
٢ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.

ليسوا منه على ثقة و إنّما طلبوا به الرخصة. «و ما أولئك بالمؤمنين» بحكمك أنّه من عند الله مع جحدهم نبوّتك. و قيل: إنّ هذا إخبار من الله عن أولئك اليهود أنّهم لايؤمنون بالنبيّ و بحكمه.[١]

«فيها حكم الله». حال من التوراة إن رفعتها بالظرف. «ثمّ يتولّون»؛ أي: يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم. و هو عطف على يحكّمونك، داخل في حكم التعجّب.[٢]

[٤٤] «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ».

«إنّا أنزلنا التوراة» ـ الآية. لمّا بيّن سبحانه أنّ اليهود نزلوا عن أحكام التوراة، وصف التوراة و ما فيها. «هدًى»؛ أي: بيان للحقّ. «و نور»؛ أي: ضياء لكلّ ما تشابه عليهم. و قيل: معناه: «فيها هدًى»: بيان الحكم الذي جاؤوا يستفتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيه «و نور»؛ أي: بيان أنّ أمر النبيّ حقّ. «يحكم بها النبيّون الذين أسلموا»؛ أي: يحكم بالتوراة النبيّون الذين أذعنوا بحكم الله تعالى و أقرّوا به، و نبيّنا داخل فيهم. و قال أكثرهم: هو المعنيّ بذلك لمّا حكم في رجم المحصن. و هذا لايدلّ على أنّه كان متعبّداً بشرع موسى. لأنّ الله أنزل عليه هذا الحكم و نحوه كما أنزله على موسى. و قيل: أراد بالنبيّين الذين كانوا بعد موسى. و ذلك أنّه كان في بني إسرائيل ألوف من الأنبياء بعثهم الله لإقامة التوراة. أي: يقضي بها النبيّون الذين أسلموا من وقت موسى إلى زمان عيسى. وصفهم بالإسلام، لأنّ الإسلام دين الله، فكلّ نبيّ مسلم. «للّذين هادوا»؛ أي: تابوا من الكفر. و قيل: لليهود. و اللّام فيه متعلّق بيحكم. أي: يحكمون

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.

بالتوراة لهم و فيما بينهم. قال الزجّاج: و جائز أن يكون المعنى على التأخير. و تقديره: إنّا أنزلنا التوراة فيها هدًى و نور للّذين هادوا، يحكم بها النبيّون الذين أسلموا. «و الربّانيّون»: الذين علت درجتهم في العلم. و قيل: الذين يعملون بما يعلمون.[١]

«الذين أسلموا». صفة أجريت على النبيّين مدحاً لهم و تنويهاً بشأن المسلمين و تعريضاً باليهود، فإنّهم بمعزل عن دين الأنبياء. «الربّانيّون»: زهّادهم.[٢]

«و الربّانيّون و الأحبار»: الزهّاد و العلماء من ولد هارون الذين لزموا طريقة النبيّين و جانبوا دين اليهود. «بما استحفظوا من كتاب الله»: بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة. أي: بسبب سؤال أنبيائهم إيّاهم أن يحفظوه من التغيير و التبديل. و من في «من كتاب الله» للبيان. «و كانوا عليه شهداء»: رقباء لئلّا يبدّل. و المعنى: يحكم بأحكام التوراة النبيّون بين موسى و عيسى ـ وكان بينهما ألف نبيّ ـ للّذين هادوا، يحملونهم على أحكام التوراة، كما فعل رسول الله ﷺ من حملهم على حكم الرجم. و كذلك حكم الربّانيّون و الأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله و القضاء بأحكامه و بسبب كونهم عليه شهداء. و يجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء و الربّانيّين و الأحبار جميعاً و يكون الاستحفاظ من الله. أي: كلّفهم الله حفظه و أن يكونوا عليه شهداء.[٣]

«و كانوا عليه»؛ أي: كانوا على حكم النبيّ ﷺ [في الرجم] أنّه ثابت في التوراة شهداء. «فلاتخشوا الناس» ـ أي يا علماء اليهود ـ في إظهار صفة محمّد ﷺ و الأمر بالرجم و اخشوني في كتمان ذلك.[٤]

«فلاتخشوا الناس». نهي للحكّام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم كخشية سلطان ظالم أو أذيّة أحد من القرباء و الأصدقاء.[٥]

«و اخشون». أبوجعفر و أهل البصرة بياء في الوصل. و الباقون بغير ياء وقفاً و

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٥ـ٣٠٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٧.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٦.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٣٧.

وصلاً.[١]

«و لاتشتروا»؛ أي: لاتستبدلوا. «ثمناً قليلاً». و هو الرشوة و ابتغاء الجاه و رضا الناس، كما حرّف اليهود كتاب الله رغبة في الدنيا. «الكافرون» و «الظالمون» و «الفاسقون». وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة و تمرّدوا بأن حكموا بغيرها. و عن ابن‌عبّاس: انّ الكافرين و الظالمين و الفاسقين أهل الكتاب. من جحد حكم الله، كفر. و من لم‌يحكم به و هو مقرّ، فهو ظالم و فاسق. و قيل: هذه في الإسلام. و الظالمون في اليهود. و الفاسقون في النصارى.[٢]

[٤٥] «وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

«و كتبنا عليهم»؛ أي: أوجبنا على اليهود في التوراة. «أنّ النفس بالنفس». أي يقتل بها إذا قتلها بغير حقّ. «و العين بالعين». أي تفقأ بها. «و الأنف بالأنف». أي يجذم[٣] به. «و الأذن بالأذن». أي تقطع بها. «و السنّ بالسنّ». أي يقلع به. «و الجروح قصاص». أي كلّ جرح يمكن القصاص به غير المذكورات كالشفتين و اليدين و الرجلين و كذا في الجراحات الواضحة بالواضحة و الهاشمة بالهاشمة و المنقلة بالمنقلة إلّا المأمومة و الجائفة، لعدم إمكان القصاص فيهما، لبلوغ الأولى أمّ الرأس و الثانية الجوف و استلزام القصاص فيهما التعزير بالنفس، فيجب فيهما الدية المقرّرة لهما، و كذا ما لايمكن القصاص فيه من رضّ اللّحم أو جراحة يخاف منها التلف. فهذا مخصوص من العموم. «فمن تصدّق به»؛ أي: بالقصاص الذي وجب له. و تصدّقه به عبارة عن العفو عنه و إسقاطه من ذمّة الجاني. «فهو كفّارة له»؛ أي: للمتصدّق الذي هو المجروح أو وليّ الدم يكفّر الله ذنوبه به. «فأولئك هم الظالمون»، حيث

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٥.

٢ـ الكشّاف ١ / ٦٣٧ ـ ٦٣٨.

٣ـ المصدر: «يجدع». و هو الأظهر.

ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي الموجبة للعقاب. و هذا الحكم، و إن كان مكتوباً في التوراة، لكنّه ثابت في شرعنا بالأخبار و الإجماع.(١)

«و الأذن». نافع بسكون الذال في جميع القرآن.(٢)

«و الجروح». ابن كثير برفع الجروح، على أنّه إجمال للحكم بعد التفصيل.(٣)

«كفّارة له». قيل: إنّ الضمير راجع إلى الجاني. يعني أنّ عفو المجنيّ عليه أو الوليّ عنه، رافع لعقابه في الآخرة لإسقاط الحقّ الواجب عليه بالعفو.(٤)

[٤٦] «وَ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آ ثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ آتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ».

«و قفّينا»؛ أي: أتبعنا. «آثارهم»: آثار النبيّين الذين أسلموا. «لما بين يديه»؛ أي: لما مضى. «و آتيناه»؛ أي: و أعطيناه الكتاب المسمّى بالإنجيل. «هدًى»؛ أي: بيان و حجّة و دلالة على الأحكام. «و نور». لأنّه يهتدى به كما يهتدى بالنور. «من التوراة». لأنّ فيه أنّ التوراة حقّ. «هدًى»: دلالة و إرشاداً. «موعظة»؛ أي: واعظاً. «للمتّقين»، يزجرهم عن المعاصي. خصّ المتّقين لأنّهم المنتفعون به.(٥)

[٤٧] «وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«و ليحكم». قرأ حمزة: «و ليحكم» بكسر اللّام و نصب الميم. و حجّته أنّه جعل اللّام متعلّقة بقوله: «و آتيناه الإنجيل» ـ فإنّ معناه: و أنزلنا عليه الإنجيل ـ فصار بمنزلة: و أنزلنا

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ٢٣١ ـ ٢٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٠٩.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٠ ـ ٣١١.

عليه الكتاب ليحكم. و حجّة من قرأ بالجزم أنّه بمنزلة قوله: «و أن احكم بينهم بما أنزل الله». فكما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك، فكذلك أمروا به بالإنجيل. قيل: إنّ مَن هنا بمعنى الذي. و هو خبر عن قوم معروفين هم اليهود و الذين تقدّم ذكرهم. و قيل: إنّ من للجزاء. أي: من لم يحكم من المكلّفين بما أنزل الله، فهو فاسق. لأنّ هذا الإطلاق يدلّ على أنّ المراد: من ذهب إلى أنّ الحكم في خلاف ما أمر الله به. و كذا قال فيما قبل: «فأولئك هم الكافرون». فيكون معنى الفاسقين: الخارجين عن الدين. و جعلوا الكفر و الظلم و الفسق صفة لموصوف واحد. و قيل: إنّ الأوّل في الجاحد و الثاني و الثالث في المقرّ التارك.[1]

[٤٨] «وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

«الكتاب»: أي: القرآن. و اللّام للعهد. «من الكتاب»: من جنس الكتب المنزلة. و اللّام للجنس. «و مهيمناً»: رقيباً على سائر الكتب يحفظها عن التغيير و يشهد له بالصحّة و الثبات. «بما أنزل الله»: أي: بما أنزل الله إليك. «و لاتتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ» بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه. فمن صلة لاتتّبع لتضمّنه معنى لاتنحرف، أو حال من فاعله، أي: لاتتّبع أهواءهم مائلاً عمّا جاءك.[2]

«منكم». الخطاب للأمم الثلاث؛ أمّة موسى و أمّة عيسى و أمّة محمّد صلوات الله عليهم.[3]

«شرعة»: شريعة؛ و هي الطريق إلى الماء. شبّه بها الدين لأنّه طريق إلى ما هو سبب

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٠ـ ٣١١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٤.

الحياة الأبديّة. «و منهاجاً»: طريقاً واضحاً في الدين. و استدلّ به على أنّا غير متعبّدين بالشرائع المتقدّمة. «أمّة واحدة»: جماعة متّفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ و تحويل. و مفعول «لو شاء» محذوف دلّ عليه الجواب. و قيل: المعنى: لو شاء الله اجتماعكم لأجبركم عليه. «ليبلوكم فيما آتاكم» من الشرائع المختلفة المتناسبة لكلّ عصر و قرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أنّ اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهيّة أم تزيغون عن الحقّ و تفرّطون في العمل.(١)

«لجعلكم»؛ أي: لجمعكم على الحقّ بالقدرة. «واحدة». قيل: لو شاء الله لم يبعث إليكم نبيّاً فتكونون متعبّدين بالعقل و تكونون أمّة واحدة، ولكن ليختبركم [فيما كلّفكم] من العبادات و هو عالم بما يؤول إليه أمركم. «فاستبقوا»: سابقوا الأمم إلى الطاعات.(٢)

«فاستبقوا الخيرات»: فابتدروها انتهازاً للفرصة و حيازة لفضل السبق و التقدّم. «إلى الله». استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق و وعد و وعيد للمبادرين و المقصّرين.(٣)

[٤٩] «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ».

«و أن احكم». عطف على الكتاب، أي: أنزلنا إليك الكتاب و الحكم، أو على الحقّ، أي: أنزلناه بالحقّ و بأن احكم. و يجوز أن يكون جملة بتقدير: و أمرنا أن احكم.(٤)

«بما أنزل الله». إنّما كرّر سبحانه الأمر بالحكم بينهم، لأنّهم احتكموا إليه في زنى المحصن ثمّ احتكموا إليه في قتيل كان بينهم. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.(٥)

«أن يفتنوك»؛ أي: يصرفوك عنه. و أن بصلته بدل من «هم» بدل الاشتمال، أي احذروا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦.

فتنتهم، أو مفعول له، أي: احذرهم مخافة أن يفتنوك. روي أنّ أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمّد لعلّنا نفتنه عن دينه. فقالوا: يا محمّد، قد عرفت أنّا أحبار اليهود و أنّا [إن] اتّبعناك اتّبعنا اليهود كلّهم. و إنّ بيننا و بين قومنا خصومة، فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم و نحن نؤمن بك و نصدّقك. فأبى ذلك رسول الله ﷺ. فنزلت. «فإن تولّوا» عن الحكم المنزل و أرادوا غيره.(١)

«أن يصيبهم». قيل: المراد بذلك إجلاء بني‌النضير. لأنّ علماءهم [لمّا] كفروا و كتموا الحقّ، عوقبوا بالجلاء. و قيل: المراد بنوقريظة لمّا نقضوا العهد يوم الأحزاب، عوقبوا بالقتل.(٢)

«ببعض ذنوبهم»؛ يعني: ذنب التولّي عن حكم الله. فعبّر عنه بذلك تنبيهاً على أنّ لهم ذنوباً كثيرة. و هذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها. و فيه دلالة على التعظيم.

«لفاسقون»: لمتمرّدون في الكفر.(٣)

[٥٠] «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

«أفحكم الجاهليّة» الذي هو الميل و المداهنة في الحكم. و المراد بالجاهليّة التي هي متابعة الهوى. و قيل: نزلت في بني‌قريظة و بني‌النضير، طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بما يحكم به أهل الجاهليّة من التفاضل بين القتلى. و قرأ ابن‌عامر: «تبغون» بالتاء، على: قل لهم: أفحكم الجاهليّة تبغون؟(٤)

«يبغون». المراد بهم اليهود. لأنّهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إيّاه و إذا وجب على أقويائهم و أشرافهم لم يؤاخذوهم به. فقيل لهم: أفحكم الجاهليّة ـ أي عبدة الأوثان ـ تطلبون و أنتم أهل الكتاب؟(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٠.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٦.

«لقوم»: أي: عندهم. و اللّام للبيان. أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون. فإنّهم هم الذين يتدبّرون القرآن و يتحقّقون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله.[١]

[٥١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. النزول: روي أنّه لمّا كانت وقعة أحد، اشتدّت على طائفة من الناس. فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهوديّ و آخذ منه أماناً. و قال آخر: أنا ألحق بفلان النصرانيّ ببعض أرض الشام و آخذ منه أماناً. فنزلت الآية.[٢]

«أولياء». فلاتعتمدوا عليهم و لاتعاشروهم معاشرة الأحباب. «بعضهم». إيماء إلى علّة النهي. أي: فإنّهم متّفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضاً لاتّحادهم في الدين و إجماعهم على مضادّتكم. «منهم»؛ أي: من جملتهم. و هذا للتشديد في وجوب مجانبتهم ـ كما قال عليه السلام: لاتتراءى ناراهما ـ أو لأنّ الموالي لهم كانوا منافقين. «الظالمين»؛ أي: الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفّار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم.[٣]

[٥٢] «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ».

«فترى الذين»: ابن أبيّ و أضرابه. «يسارعون فيهم»؛ أي في موالاتهم. «يقولون»؛ أي: يتعذّرون بأنّهم يخافون أن يصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر و يكون الدولة للكفّار. روي أنّ عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ لي موالي من اليهود كثيراً

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٠.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٠.

عددهم. و إنّي أبرأ إلى الله و رسوله من ولايتهم و أوالي الله و رسوله. فقال ابن أبيّ: إنّي رجل أخاف الدوائر. لا أبرأ من ولاية مواليّ. فنزلت. «بالفتح» لرسول الله عليه السلام على أعدائه و إظهار المسلمين.(١)

«مرض»: شكّ و نفاق. «بالفتح»: فتح مكّة.(٢)

«بالفتح ». عن الصادق عليه السلام قال: أذن في هلاك بني أميّة بعد قتل زيد بسبعة أيّام.(٣)

«أو أمر» يقطع به أصل اليهود من القتل و الإجلاء. أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين. «في أنفسهم»: أي: فيصبح هؤلاء المنافقون نادمين على ما استبطنوه من الكفر و الشكّ في أمر الرسول فضلاً عمّا أظهروه.(٤)

[٥٣] «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ».

«و يقول الذين آمنوا». بالرفع قراءة عاصم و حمزة و الكسائيّ، على أنّه كلام مبتدأ. و يؤيّده قراءة ابن‌كثير: «يقول» بغير واو، على أنّه جواب قائل يقول: فما ذا يقول المؤمنون حينئذ؟ و بالنصب قراءة أبي عمرو و يعقوب، عطفاً على «أن يأتي» باعتبار المعنى. كأنّه قال: عسى أن يأتي الله بالفتح و يقول الذين آمنوا. أو يجعله بدلاً من اسم الله داخلاً في اسم عسى مغنياً عن الخبر بما تضمّنه من الحدث. أو على الفتح بمعنى: عسى الله أن يأتي بالفتح و بقول المؤمنين. فإنّ الإتيان بما يوجبه كالإتيان به. «أ هولاء». يقوله المؤمنون بعضهم لبعض، تعجّباً من حال المنافقين و تبجّحاً بما منّ الله عليهم من الإخلاص. أو يقولون لليهود. فإنّ المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة؛ كما حكى الله عنهم: «و إن قوتلتم لننصرنّكم».(٥) و جهد الأيمان: أغلظها. و هو في الأصل مصدر و نصب على الحال، على تقدير: و أقسموا بالله

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٠.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣١٩.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٢٥، ح ١٣٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٠.

٥ـ الحشر (٥٩) / ١١.

يجهدون جهد أيمانهم. فحذف الفعل و أقيم المصدر مقامه. أو على المصدر لأنّه بمعنى أقسموا. «حبطت». إمّا من جملة المقول، أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم. و فيه معنى التعجّب. كأنّه قيل: ما أحبط أعمالهم و ما أخسرهم.(١)

«حبطت أعمالهم». لأنّهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به. «خاسرين» في الدنيا و الآخرة.(٢)

[٥٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«يا أيّها الذين آمنوا». مخاطبة لأصحاب رسول الله الذين غصبوا آل محمّد حقّهم و ارتدّوا عن دين الله. «يحبّهم و يحبّونه». في القائم و أصحابه.(٣)

«يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. هو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها. و قيل: كان أهل الردّة إحدى عشرة فرقة؛ ثلاث في عهد رسول الله: بنومدلج، و رئيسهم ذوالخمار و هو الأسود العنسيّ. و كان كاهناً تنبّأ باليمن و استولى على بلاده و أخرج عمّال رسول الله. فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل و إلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلميّ. و بنوحنيفة قوم مسيلمة الكذّاب. و كتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله. أمّا بعد؛ فإنّ الأرض نصفها لي و نصفها لك. فأجاب: من محمّد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب. أمّا بعد؛ فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. و العاقبة للمتّقين. فحاربه أبوبكر بجنود المسلمين، و قتل على يدي وحشيّ قاتل حمزة، و كان يقول: قتلت خير الناس في الجاهليّة و شرّ الناس في الإسلام. و بنوأسد. و سبع فرق في عهد أبي بكر. و فرقة واحدة في عهد عمر. «بقوم يحبّهم». قيل: سئل رسول الله ﷺ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧١.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٢٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧٠.

عنهم، فضرب على عاتق سلمان و قال: هذا و ذووه. ثمّ قال: لو كان الإيمان بالثريّا، لناله رجال من أبناء فارس. «يحبّهم و يحبّونه». محبّة العباد لربّهم طاعته و ابتغاء مرضاته و أن لايفعلوا ما يوجب سخطه. و محبّة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم و يعظّمهم و يثني عليهم.(١)

«يرتدّ». قرأ على الأصل نافع و ابن‌عامر، و الباقون بالإدغام. «بقوم يحبّهم». قيل: هم أهل اليمن؛ لما روي أنّه أشار إلى أبي موسى [و قال: هم قوم هذا]. و قيل: الذين جاهدوا يوم القادسيّة من النخع و كندة و بجيلة و ثلاثة آلاف من أعراض الناس. و الراجع إلى «من» محذوف. تقديره: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم.(٢)

«بقوم يحبّهم». هم أميرالمؤمنين و أصحابه حين قاتل من قاتل من الناكثين و القاسطين و المارقين. و روي ذلك عن عمّار و حذيفة و ابن‌عبّاس. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و يؤيّده أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية. قال فيه ــ و قد ندبه لفتح خيبر بعد أن ردّ عنها حامل الراية مرّة بعد أخرى و هو يجبّن الناس ــ: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، كرّاراً غير فرّار. ثمّ أعطاها إيّاه.(٣)

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: انّ الله أمرني بحبّ أربعة من أصحابي و أخبرني أنّه يحبّهم: عليّ و سلمان و أبوذرّ و المقداد.(٤)

«أذلّة»؛ أي: عاطفين عليهم متذلّلين لهم. جمع ذليل. و استعماله مع على إمّا لتضمين معنى العطف و الحنوّ، أو للتنبيه على أنّهم مع علوّ طبقتهم و فضلهم على المؤمنين خاضعون لهم، أو للمقابلة. «أعزّة على الكافرين»: شداد متغلّبين عليهم. من عزّه، إذا غلبه. «يجاهدون». صفة أخرى لقوم. «و لايخافون». عطف على يجاهدون، بمعنى أنّهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلّب في دينه. أو حال بمعنى أنّهم يجاهدون و حالهم خلاف حال المنافقين،

١ـ الكشّاف ١ / ٦٤٤ ـ ٦٤٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧١.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٢١.
٤ـ الخصال ١ / ٢٥٣، ح ١٢٦.

فإنّهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلايعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم. و اللّومة: المرّة من اللّوم. وفيها و في تنكير لائم مبالغتان. «يؤتيه»: يوفّق له.[١]

[٥٥] «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

«إنّما وليّكم الله» ـ الآية. لمّا نهى عن موالاة الكفرة، ذكر عقيبه من هو حقيق بها. و إنّما قال: «وليّكم الله» و لم يقل أولياؤكم، للتنبيه على أنّ الولاية لله على الأصالة و لرسوله و للمؤمنين على التبع.[٢]

«إنّما وليّكم». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: لو ذكر اسمه في الكتاب، لأسقط مع ما أسقط.[٣]

«إنّما وليّكم الله». عن الصادق عليه السلام قال: إنّما يعني أولى بكم؛ أي: أحقّ بكم و بأموركم من أنفسكم و أموالكم الله و رسوله و الذين آمنوا. يعني عليّاً و أولاده الأئمّة عليهم السلام إلى يوم القيامة. [ثمّ] وصفهم الله فقال: «الذين يقيمون الصلاة». و كان أميرالمؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر و قد صلّى ركعتين و هو راكع و عليه حلّة قيمتها ألف دينار و كان النبيّ أعطاها إيّاه و كان النجاشيّ أهداها له. فجاءه سائل فقال: السلام عليك يا وليّ الله و أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فطرح الحلّة إليه. فأنزل الله فيه هذه الآية. و كلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة، يكون بهذه النعمة مثله فيتصدّقون و هم راكعون. و السائل الذي سأل أميرالمؤمنين، كان من الملائكة. و كذلك من الأئمّة عليهم السلام.[٤]

عن الباقر عليه السلام: إنّ رهطاً من اليهود أسلموا فقالوا: يا نبيّ الله، من وصيّك و من وليّنا بعدك؟ فنزلت: «إنّما وليّكم الله» ـ الآية. فقال رسول الله: قوموا فأتوا إلى المسجد. فإذا سائل خارج المسجد. فقال: يا سائل، أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم؛ هذا الخاتم أعطانيه ذلك

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

٣ـ الاحتجاج ١ / ١٣٧.

٤ـ الكافي ١ / ٢٨٩، ح ٣.

الرجل و هو راكع. فكبّر النبيّ و كبّر أهل المسجد. فقال النبيّ: عليّ بن أبي‌طالب وليّكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربّاً و بالإسلام ديناً و بمحمّد نبيّاً و بعليّ بن أبي‌طالب وليّاً. فأنزل الله: «و من يتولّ الله» ـ الآية. و روي عن عمر بن الخطّاب قال: و الله لقد تصدّقت بأربعين خاتماً و أنا راكع لينزل فيّ ما نزل في عليّ بن أبي‌طالب، فلم ينزل.[١]

أقول: كذب. نزل فيه: «فلا صدّق و لا صلّى» ـ الآية.[٢] (حسن)

«الزكاة». يدلّ على أنّ صدقة التطوّع تسمّى زكاة. «راكعون»: يخشعون في صلاتهم و زكاتهم. و قيل: هو حال مخصوصة بيؤتون. أي: يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة. و إنّها نزلت في عليّ عليه السلام حين سأله سائل و هو راكع في صلاته فطرح له خاتمه. و به استدلّ الشيعة على إمامته زاعمين أنّ المراد بالوليّ المتولّي للأمور المتصرّف فيها. «الذين يقيمون الصلاة». صفة للّذين آمنوا. فإنّه جرى مجرى الاسم. أو بدل منه.[٣]

اتّفق المفسّرون من العامّة و الخاصّة و المحدّثون و سائر فرق الإسلام على أنّ هذه الآية نزلت في أميرالمؤمنين. حتّى أنّه قال ابن الجوزيّ ـ لمّا سئل: كيف شعر عليّ بالسائل و هو مستغرق في جوار ربّه منقطع عن هذا العالم الدنيّ ـ:

يسقي و يشرب لا تلهيه سكرته ... عن النديم و لا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره حتّى تمكّن من ... فعل الصحاة فهذا أعظم الناس

و الوليّ كما قاله اللّغويّون المتولّي للأمور. فالآية نصّ في إمامته بعده صلى الله عليه و آله.

[٥٦] «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

«هم الغالبون»؛ أي: فإنّهم هم الغالبون. وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه. فكأنّه قال: و من يتولّ هؤلاء، فهم حزب الله الغالبون. و أصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم.[٤]

١ـ أمالي الصدوق / ١٠٧ ـ ١٠٨، ح ٤.

٢ـ القيامة (٧٥) / ٣٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

[٥٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«يا أيها الذين آمنوا» ـ الآية. روي أنّ رفاعة و سويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثمّ نافقا و كان رجال من المسلمين يوادّونهما، فنزلت. يعني أنّ اتّخاذهم دينكم هزواً و لعباً لايصحّ أن يقابل باتّخاذكم إيّاهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء. و فصّل المستهزئين بأهل الكتاب و الكفّار، و إن كان أهل الكتاب من الكفّار، إطلاقاً للكفّار على المشركين خاصّة.(١)

«هزواً». لأنّهم أظهروا الإسلام و استبطنوا الكفر، فهو الملاعبة بالدين. «أوتوا الكتاب». فيكون الهزو من الكتابيّ و المشرك و المنافق. أمّا المشرك فقوله: «إنّا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر».(٢) و استهزاء المنافق في قوله: «و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون».(٣) «و الكفّار» قرأ أهل البصرة و الكسائيّ: «و الكفّار» بالجرّ.(٤)

«و الكفّار». عطف على الذين.(٥)

«و اتّقوا الله» في موالاة الكفّار و غيرها.(٦)

[٥٨] «وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَ لَعِباً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

«اتّخذوها». الضمير للصلاة أو للمناداة. و قيل: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذّن يقول: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، قال: حرّق الكاذب. فدخلت خادمه بنار ذات ليلة و هو نائم، فتطايرت شرارة في البيت، فاحترق البيت و احترق هو و أهله. و قيل: فيه دليل

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

٢ـ الحجر (١٥) / ٩٥ ـ ٩٦.

٣ـ البقرة (٢) / ١٤.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٢٨ و ٣٢٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٢.

٦ـ الكشّاف ١ / ٦٥٠.

على ثبوت الأذان بنصّ الكتاب لا بالمنام وحده.[١]

[٥٩] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ».

«هل تنقمون»؛ أي: هل تعيبون منّا و تنكرون إلّا الإيمان بالكتب المنزلة كلّها. «و أنّ أكثركم فاسقون». في عطفه وجوه. منها أن يعطف على آمنّا بمعنى: و ماتنقمون منّا إلّا الجمع بين إيماننا و تمرّدكم و خروجكم عن الإيمان. كأنّه قيل: و ماتنكرون منّا إلّا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام و أنتم خارجون منه. و يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف. أي: و اعتقاد أنّكم فاسقون. و منها أن يعطف على المجرور. أي: و ماتنقمون منّا إلّا الإيمان بالله وما أنزل و بأنّ أكثركم فاسقون. و يجوز أن يكون الواو بمعنى مع. أي: و ماتنقمون منّا إلّا الإيمان مع أنّكم فاسقون. و روي أنّه أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل، فقال: أومن «بالله و ما أنزل إلينا» ـ إلى قوله: «و نحن له مسلمون». فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام: مانعلم أهل [دين] أقلّ حظّاً في الدنيا و الآخرة منكم و لا ديناً شرّاً من دينكم. فنزلت.[٢]

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ».

«قل هل أنبّئكم». أي: إن كان ذلك المنقوم عندكم شرّاً، فأنا أخبركم بشرّ منه عاقبة. و إنّما قال: «بشرّ من ذلك» و إن لم يكن في المؤمنين شرّ، على الإنصاف في المخاطبة و المظاهرة في الحجاج. كقوله: «و إنّا أو إيّاكم لعلى هدًى أو في ضلال مبين».[٣] «من لعنه الله»؛ أي: أبعده

١ـ الكشّاف ١ / ٦٥٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٥٠ ـ ٦٥١.
٣ـ سبأ (٣٤) / ٢٤.

من رحمته. «و غضب عليه»: أراد به العقوبة و الاستخفاف به. و قيل: غضبه أن ضرب عليهم الذلّة و المسكنة و الجزية أينما كانوا من الأرض. و لا تعلّق في هذه الآية للمجبّرة. لأنّ أكثر ما تضمّنته الأخبار بأنّه خلق من يعبد الطاغوت ـ على قراءة حمزة ـ و لا شبهة في أنّه خلق الكافر و لايوجب أن يكون خلق كفره. و ليس لهم أن يقيسوه على قوله: «و جعل منهم القردة و الخنازير». لأنّ هذا الجعل لايجوز أن يكون إلّا من الله بخلاف جعل الكفر. فإنّ الدليل قائم على نفيه.(١)

«من ذلك»؛ أي: من ذلك المنقوم. «مثوبة»؛ أي: جزاء كائناً عند الله. و المثوبة مختصّة بالخير كالعقوبة بالشرّ، فوضعت هنا موضعها على طريقة التهكّم. و نصبها على التميز عن بشرّ. «من لعنه الله و غضب عليه». بدل من بشرّ على حذف المضاف. أي: بشرّ من أهل ذلك من لعنه الله. و هم اليهود أبعدهم الله من رحمته و سخط عليهم بكفرهم و انهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات و مسخ بعضهم قردة و هم أصحاب السبت و بعضهم خنازير و هم كفّار أهل مائدة عيسى عليه السلام. و قيل: كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبّانهم قردة و مشايخهم خنازير.(٢)

فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم اليهود. فلم شورك بينهم في العقوبة؟ قلت: كان اليهود ـ لعنوا ـ يزعمون أنّ المسلمين ضالّون مستوجبون للعقاب. فقيل لهم: من لعنه [الله] شرّ عقوبة في الحقيقة و اليقين من أهل الإسلام في زعمكم و دعواكم.(٣)

«و عبد». عطف على صلة من. «الطاغوت»؛ أي: العجل. و قيل: الكهنة. و كلّ من أطاعوه في معصية الله. «اولئك»؛ أي : الملعونون.(٤)

و عبد الطاغوت». حمزة بضمّ الباء و نصب الدال و جرّ الطاغوت. و الوجه فيه أنّ العَبُد بمعنى العبد إلّا أنّه بناء مبالغة؛ كقولهم: رجل حَذُر و فَطُن. و قيل: هما لغتان مثل سَبُع و سَبَع.

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٣.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٥٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٣.

و قيل: إنّ العبد جمعه عباد. و العباد جمعه عُبُد ـ كثِمار و ثُمُر ـ إلّا أنّهم استثقلوا الضمّتين فأبدلت الأولى فتحة. و قيل: أرادوا أعبُد الطاغوت ـ مثل فلس و أفلس ـ إلّا أنّه حذف الألف و ضمّ الباء لئلّا يشبه الفعل. و به احتجّت الأشاعرة على أنّ الكفر بجعل الله. و قالت المعتزلة: معنى الجعل الحكم عليهم بذلك و وصفهم به ـ كقوله: «و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً»[١] ـ أو أنّه خذلهم حتّى عبدوها.[٢]

«شرّ مكاناً». جعل مكانهم شرّاً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم. و قيل: مكاناً منصرفاً. «و أضلّ عن سواء السبيل»: قصد الطريق المتوسّط بين غلوّ النصارى في عيسى و قدح اليهود فيه. و المراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشرارة و الضلال.[٣]

«و أضلّ». أي من المؤمنين بزعمهم أنّ المؤمنين ضالّون.

[٦١] «وَ إِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ».

«و إذا جاؤوكم». نزلت في عامّة المنافقين.[٤]

«و إذا جاؤوكم». نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبره الله بشأنهم و أنّهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلّق بهم شيء ممّا سمعوا من تذكيرك بآيات الله و مواعظك. و قوله: «بالكفر» و «به» حالان. أي: دخلوا كافرين و خرجوا كافرين. و تقديره: متلبّسين بالكفر. و كذلك قوله: «و قد دخلوا» و «هم قد خرجوا». و لذلك دخلت قد تقريباً للماضي من الحال و لمعنًى آخر و هو أنّ أمارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله ﷺ متوقّعاً لإظهار الله ما كتموه، فدخل

١ـ الزخرف (٤٣) / ١٩.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٦ / ١٨٠ ـ ١٨١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٤.

حرف التوقّع. و هو متعلّق بقوله: «قالوا آمنّا»؛ أي: قالوا ذلك و هذه حالهم.(١)

«يكتمون». أي من الكفر. و فيه وعيد لهم.(٢)

[٦٢] «وَ تَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«منهم»؛ أي: من اليهود و المنافقين. «في الإثم»؛ أي: الحرام. و قيل: الكذب؛ لقوله: «عن قولهم الإثم». «و العدوان»: الظلم. أو مجاوزة الحدّ في المعاصي. و قيل: الإثم ما يختصّ بهم. و العدوان ما يتعدّى إلى غيرهم. «و السحت»؛ أي: الحرام. خصّه بالذكر للمبالغة. «لبئس ما كانوا»: لبئس شيئاً عملوه.(٣)

[٦٣] «لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ».

«لولا ينهاهم». تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك. فإنّ لولا إذا دخل الماضي أفاد التوبيخ، و إذا دخل المستقبل أفاد التحضيض.(٤)

«الربّانيّون»: العلماء بالدين الذين من قبل الربّ على وجه تغيير الاسم.(٥)

«ما كانوا يصنعون». كأنّهم جعلوا آثم ـ أي أشدّ إثماً ـ من مرتكبي الكبائر. لأنّ كلّ عامل لا يسمّى صانعاً؛ و لا كلّ عمل يسمّى صناعة حتّى يتمكّن فيه و يتدرّب و ينسب إليه. و كأنّ المعني في ذلك أنّ مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها و تحمله على إرتكابها و أمّا الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرّط في الإنكار، كان أشدّ حالاً من المواقع. و هذه الآية ممّا ينعى على العلماء توانيهم. و عن ابن‌عبّاس: هي أشدّ آية في القرآن.(٦)

١ـ الكشّاف ١ / ٦٥٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٤.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣٣٥.

٦ـ الكشّاف ١ / ٦٥٤.

[٦٤] «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَ كُفْراً وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَ اللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ».

«يد الله مغلولة». غلّ اليد و بسطها مجاز عن البخل و الجود. و منه قوله تعالى: «و لاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لاتبسطها كلّ البسط»[١] و لايقصد من يتكلّم به إثبات يد و لا غلّ و لا بسط. فإن قلت: قد صحّ أنّ قولهم: «يد الله مغلولة» عبارة عن البخل. فما تصنع بقوله: «غلّت أيديهم»؟ و من حقّه أن يطابق ما تقدّمه و ألّا تنافر الكلام؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل، و من ثمّ كانوا أبخل خلق الله. و يجوز أن يكون دعاء عليهم بغلّ الأيدي حقيقة يغلّلون في الدنيا أسارى و في الآخرة معذّبين بأغلال جهنّم، و الطباق من حيث اللّفظ و ملاحظة أصل المجاز. فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما قبح و هو البخل و النكد؟ قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلاً إلى بخلهم، أو بما هو مسبّب عن البخل من لصوق العار بهم. و إنّما ثنّيت اليد في «بل يداه مبسوطتان» و هي مفردة في «يد الله مغلولة» ليكون ردّ قولهم و إنكاره أبلغ و أدلّ على إثبات غاية السخاء له و نفي البخل عنه. و ذلك أنّ غاية ما يبذله السخيّ بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً، فبنى المجاز على ذلك. «ينفق كيف يشاء». تأكيد للوصف بالسخاء و دلالة على أنّه لايتّفق إلّا على مقتضى الحكمة و المصلحة. روي: انّ الله كان قد بسط على اليهود حتّى كانوا من أكثر الناس مالاً. فلمّا عصوا الله في محمّد ﷺ و كذّبوه، كفّ الله ما بسط عليهم من السعة. فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة. و رضي بقوله الآخرون.[٢]

«بل يداه مبسوطتان»: أي: نعم الدنيا و نعم الآخرة. أو: نعمه الظاهرة و نعمه الباطنة.

١ـ الإسراء (١٧) / ٢٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٥٤ ـ ٦٥٧.

أو: ما يعطي للإكرام.[١]

عن الصادق عليه السلام: انّ الله خلقنا فأحسن خلقنا. و جعلنا عينه في عباده و لسانه الناطق في خلقه و يده المبسوطة على عباده بالرأفة و الرحمة.[٢]

عن الصادق عليه السلام «و قالت اليهود يدالله مغلولة»: لم يعنوا أنّه هكذا، ولكنّهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلايزيد و لاينقص. فكذّبهم الله بقوله: «بل يداه مبسوطتان». ألم تسمع الله يقول: «يمحو الله مايشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب»[٣].[٤]

«ما أنزل إليك». أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تمادياً في الجحود و كفراً بآيات الله.[٥]

«بينهم العداوة». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: تفرّقت أمّة موسى على إحدى و سبعين ملّة سبعون منها في النار.[٦]

«و ألقينا بينهم العداوة»، فكلمهم أبداً مختلف و قلوبهم شتّى لايقع بينهم اتّفاق و لا تعاضد، كلّما أرادوا محاربة أحد غلبوا و قهروا و لم يقم لهم من الله نصر على أحد قطّ، و قد أتاهم الإسلام و هم في ملك المجوس. و قيل: خالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بخت نصّر. ثمّ أفسدوا، فسلّط عليهم فطرس الروميّ. ثمّ أفسدوا، فسلّط عليهم المجوس. ثمّ أفسدوا فسلّط عليهم المسلمين. و قيل: كلّما حاربوا رسول الله صلى الله عليه و آله نصر عليهم. و عن قتادة: لاتلق اليهود ببلدة إلّا وجدتهم من أذلّ الناس. «و يسعون»: و يجتهدون في الكيد للإسلام و محو ذكر رسول الله صلى الله عليه و آله من كتبهم.[٧]

«ناراً للحرب». عن الباقر عليه السلام: معناه: كلّما أراد جبّار من الجبابرة هلاك آل محمّد صلى الله عليه و آله

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٤٠، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٤.

٢ـ التوحيد / ١٥١، ح ٨.

٣ـ الرعد (١٣) / ٣٩.

٤ـ التوحيد / ١٦٧، ح ١.

٥ـ الكشّاف ١ / ٦٥٧.

٦ـ تفسيرالعيّاشيّ ١ / ٣٣١، ح ١٥١.

٧ـ الكشّاف ١ / ٦٥٧.

قصمه الله.(١)

«فساداً»؛ أي: للفساد. و هو اجتهادهم في الكيد و إثارة الحروب و الفتن.(٢)

[٦٥] «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

«و لو أنّ أهل الكتاب». أي مع ما عددنا من سيّئاتهم. «آمنوا» برسول الله ﷺ و قرنوا إيمانهم بالتقوى الذي هو شرط الإيمان، لكفّرنا عنهم تلك السيّئات و لأدخلناهم الجنّة. و فيه إعلام بعظم معاصي اليهود و النصارى و سعة رحمة الله.(٣)

[٦٦] «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ».

«أقاموا التوراة»؛ أي: أقاموا أحكامها و ما فيها من نعت رسول الله.(٤)

«و ما أنزل». عن الباقر عليه السلام «ما أنزل عليهم» قال: الولاية.(٥)

«و ما أنزل إليهم»: سائر كتب الله. لأنّهم مكلّفون بالإيمان بجميعها فكأنّها أنزلت إليهم. و قيل: هو القرآن. «لأكلوا»: لوسّع الله عليهم. و كانوا قد قحطوا. و قوله: «لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم» كناية عن التوسعة. و فيه ثلاثة أوجه؛ أن يفيض عليهم بركات السماء و بركات الأرض، و أن يكثر الأشجار المثمرة و الزروع المغلّة، و أن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل عنها من رؤوس الشجر و يلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم.(٦)

«مقتصدة»؛ أي: عادلة غير غالية و لا مقصّرة. و هم الذين آمنوا بمحمّد ﷺ. و قيل:

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٣٠، ح ١٤٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٥٧.
٤ـ الكشّاف ١ / ٦٥٨.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٣٠، ح ١٤٩.
٦ـ الكشّاف ١ / ٦٥٨.

«مقتصدة»: متوسّطة في عداوته.[١]

«مقتصدة». قال: قوم من اليهود دخلوا في الإسلام فسمّاهم الله مقتصدة.[٢]

«ساء ما يعملون»؛ أي: بئس ما يعملونه. و فيه معنى التعجّب. أي: ما أسوأ عملهم و هو المعاندة و تحريف الحقّ و الإعراض عنه أو الإفراط في العداوة.[٣]

[٦٧] «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

«يا أيّها الرسول». روى الثعلبيّ في تفسيره أنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام.[٤]

«بلّغ» غير خائف مكروهاً.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا رجع صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، نزل جبرئيل عليه السلام فقال: «يا أيّها الرسول بلّغ» ـ الآية. فنادى الناس و اجتمعوا. و أمر بسمرات فقمّ شوكهنّ. ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، من وليّكم و أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله و رسوله. فقال: من كنت مولاه، فعليّ مولاه. اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه. ثلاث مرّات. فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم و قالوا: ما أنزل الله جلّ ذكره هذا على محمّد. و ما يريد إلّا أن يرفع بضبع ابن عمّه.[٦] كذا في الكافي.

و في عيون الأخبار أنّه قال رجل للرضا عليه السلام: يابن رسول الله، إنّه يروى عن عمر بن الزبير أنّه قال: توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله و هو في تقيّة. فقال: أمّا بعد قول الله: «يا أيّها الرسول بلّغ» ـ الآية ـ فإنّه أزال كلّ تقيّة بضمان الله. ولكن قريش فعلت ما اشتهت بعد. و أمّا قبل نزول الآية، فلعلّه.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٥.
٤ـ تفسير الثعلبيّ ٤ / ٩٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٥.
٦ـ الكافي ١ / ٢٩٥.
٧ـ عيون الأخبار ٢ / ١٣٠، ح ٧١٠.

و في كتاب الاحتجاج عن الباقر عليه السلام أنّ الآية هكذا نزلت: «يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك في عليّ عليه السلام و إن لم تفعل» ـ الآية.[١]

و في تفسير عليّ بن إبراهيم أنّه لمّا نصب عليّاً علماً للناس بغدير خمّ، قال أصحابه الذين ارتدّوا بعده: إن رجع النبيّ إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له. فاجتمع أربعة عشر نفراً و تآمروا على قتل رسول الله. و قعدوا في العقبة ـ و هي عقبة الهرشيّ ـ بين الجحفة و الأبواء. فقعدوا سبعة عن يمين العقبة و سبعة عن يسارها، لينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا جنّ اللّيل، تقدّم رسول الله العسكر، فأقبل ينعس على ناقته ولم يكن معه إلّا حذيفة بن اليمان. فأخبره جبرئيل عن الرجال و أسمائهم. فلمّا دنا من العقبة، ناداهم بأسمائهم فانهزموا و دخلوا في غمار الناس. و عاتبهم من الغد، فحلفوا أنّهم ماهمّوا بشيء من ذلك و هم كاذبون.[٢]

و فيه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بنصب أميرالمؤمنين عليه السلام للناس في قوله: «يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل» ـ الآية ـ جاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر و حثوا التراب على رؤوسهم. فقال إبليس: ما لكم؟ فقالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لايحلّها شيء إلى يوم القيامة. فقال لهم إبليس: كلّا إنّ الذين حوله وعدوني فيه عدة لن يخلفوني. فأنزل الله على نبيّه: «و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه» ـ الآية[٣].[٤]

أقول: الأخبار الواردة في شأن نزول هذه الآية كما تقدّم متواتره. و يا ليتهم لمّا نقلوا أخبار الغدير و أوّلوها، نقلوا هذه الأخبار مثلها. «و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

«و إن لم تفعل»: إن لم تبلّغ جميعه كما أمرتك، فما أدّيت شيئاً منها. لأنّ كتمان بعضها يضيع ما أدّي منها؛ كترك بعض أركان الصلاة. فإنّ غرض الدعوة ينتقض به. أو: فكأنّك ما بلّغت

١ـ الاحتجاج ١ / ٦٦ ـ ٨٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧١ ـ ١٧٥.
٣ـ سبأ (٣٤) / ٢٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠١.

شيئاً منها ـ كقوله: «فكأنّما قتل الناس جميعاً»[١] ـ من حيث إنّ كتمان البعض و الكلّ سواء في الشناعة و استجلاب العقاب. «و الله يعصمك». إزاحة لمعاذيره. «و الله لايهدي القوم الكافرين»؛ أي: لايمكّنهم ممّا يريدون. و عن النبيّ ﷺ: بعثني الله برسالته، فضقت بها ذرعاً. فأوحى إليّ: إن لم تبلّغ رسالاتي، عذّبتك. و ضمن لي العصمة، فقويت.[٢]

«إنّ الله لايهدي». روي أنّه عليه السلام كان يحرس حتّى نزلت، فأخرج رأسه من قبة أدم و قال: انصرفوا يا أيّها الناس. فقد عصمني ربّي.[٣]

«رسالته». نافع و ابن عامر: «رسالاته» بالجمع و كسر التاء.[٤]

[٦٨] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَ كُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

«قل يا أهل الكتاب» ـ الآية. النزول: قال ابن عبّاس: جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ألست تقول: التوراة من عند الله؟ قال: بلى. قالوا: فإنّا نؤمن بها و لانؤمن بما عداها. فنزلت.[٥]

«حتّى تقيموا التوراة». و من إقامتها الإيمان بمحمّد ﷺ و الإذعان بحكمه. و المراد إقامة أصولها و ما لم ينسخ من فروعها.[٦]

«ما أنزل إليك». عن أبي جعفر عليه السلام: هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.[٧]

«فلا تأس»؛ أي: لاتحزن عليهم لزيادة طغيانهم و كفرهم بما تبلّغه إليهم. فإنّ ضرر ذلك لاحق بهم.[٨]

١ـ المائدة (٥) / ٣٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٦٠.
٤ـ تفسير البيضاوي ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٩.
٥ـ مجمع البيان ٣ / ٣٤٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٦.
٧ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٣٤، ح ١٥٦.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٦.

[٦٩] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصَارىٰ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«الصابئون». سمّوا به لأنّهم صبؤوا عن الأديان كلّها؛ أي: خرجوا. «الصابئون». قراءة النصب لابن‌كثير.[١]

«الصابئون». قرئ: «و الصابئين» و هو الظاهر. «و الصابئون». رفع على الابتداء. و خبره محذوف و النيّة به التأخير عمّا في حيّز إنّ. و التقدير: إنّ الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى، حكمهم كذا، و الصابئون كذلك. كقوله: «فإنّي و قيّار بها لغريبُ». و هو كاعتراض دلّ على أنّه لمّا كان الصابئون مع ظهور ضلالهم و ميلهم عن الأديان كلّها يتاب عليهم إن صحّ منهم الإيمان و العمل الصالح، كان غيرهم أولى بذلك. و يجوز أن يكون النصارى معطوفاً عليه و «من آمن» خبرهما و خبر إنّ مقدّر دلّ عليه ما بعده. كقوله:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف

و لايجوز عطفه على محلّ إنّ و اسمها، فإنّه مشروط بالفراغ من الخبر ـ إذ لو عطف عليه قبله، كان الخبر خبر المبتدأ و خبر إنّ معاً فيجتمع عليه عاملان ـ و لا على الضمير في هادوا، لعدم التأكيد و الفصل. و قيل: إنّ بمعنى نعم و ما بعده في موضع الرفع بالابتداء. و قيل: الصابئون منصوب بالفتحة. و ذلك كما جوّزوا بالياء جوّزوا بالواو. «من آمن». في محلّ الرفع بالابتداء و خبره «فلا خوف عليهم». و الجملة خبر إنّ أو خبر المبتدأ كما مرّ. و الراجع محذوف. أي: منهم. أو النصب على البدل من اسم إنّ و ما عطف عليه. و «الصابئون». من صبوت، لأنّهم صبوا إلى اتّباع الشهوات و لم يتّبعوا شرعاً و لا عقلاً.[٢]

«من آمن». فإن قلت: كيف قيل: «إنّ الذين آمنوا» ثمّ قيل: «من آمن بالله»؟ قلت: فيه وجهان. أحدهما أن يراد بالّذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم ـ و هم المنافقون ـ و أن يراد بمن

١ـ الكشّاف ١ / ٦٦١ ـ ٦٦٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

آمن من ثبت على الإيمان و استقام و لم يخالجه ريبة فيه.[١]

[٧٠] «لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ».

«ميثاق»؛ أي: ميثاقهم بالتوحيد.[٢]

«أرسلنا إليهم رسلاً» يذكّروهم و يبيّنوا لهم أمر دينهم.[٣]

«كلّما جاءهم رسول». جملة شرطيّة. و قوله: «فريقاً كذّبوا» لايجوز أن يكون الجواب. لأنّ الرسول الواحد لايكون فريقين. فيكون الجواب محذوفاً و قوله: «فريقاً كذّبوا» دالّ عليه. فكأنّه قيل: كلّما جاءهم رسول منهم ناصبوه، و قوله: «فريقاً كذّبوا» جواب مستأنف لقائل يقول: كيف فعلوا برسلهم؟[٤]

«بما لاتهوى»؛ أي: بما لايوافق هواهم من الشرائع و مشاقّ التكاليف. «فريقاً كذّبوا». جواب الشرط. و الجملة صفة رسلاً. و الراجع محذوف. أي: رسول منهم.[٥]

«يقتلون». و إنّما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية، استحضاراً لها و استفظاعاً للقتل و تنبيهاً على أنّ ذلك ديدنهم ماضياً و مستقبلاً و محافظة على رؤوس الآي.[٦]

[٧١] «وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ».

«و حسبوا» ـ الآية. قرأ أبوعمرو و حمزة و الكسائيّ: «أن لاتكونُ» بالرفع، و الباقون بالنصب. و لم يختلفوا في رفع «فتنة». فمن قرأ بالرفع، جعل أن مخفّفة من المثقّلة و أضمر الهاء،

١ـ الكشّاف ١ / ٦٦١.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٦٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٧.
٤ـ الكشّاف ١ / ٦٦٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٧.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٧.

و جعل حسبوا بمعنى علموا. و على هذا الوجه تثبت النون في الخطّ. و أمّا النصب، فعلى أنّه جعل أن الناصبة للفعل و لم يجعل حسبوا بمعنى العلم. و على هذا الوجه يسقط النون من الخطّ.[١]

فإن قلت: كيف دخل فعل الحسبان بمعنى الظنّ على «أن» التي هي للتحقيق يعني على قراءة الرفع. قلت: نزل حسبانهم لقوّته في صدورهم منزلة العلم و أن و صلتها سادّان مسدّ مفعولي حسب. و المعنى: و حسب بنو إسرائيل أنّه لا يصيبهم من الله فتنة؛ أي: بلاء و عذاب في الدنيا و الآخرة. «فعموا» عن الدين «و صمّوا» حين عبدوا العجل. ثمّ تابوا عن عبادة العجل، «فتاب الله عليهم ثمّ عموا و صمّوا» كرّة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله و هو الرؤية. «كثير منهم». بدل من الضمير. أو على قولهم: أكلوني البراغيث. أو هو خبر مبتدأ محذوف. أي: أولئك كثير منهم.[٢]

«ألّا تكون». هي هنا تامّة بالإجماع.

«ثمّ عموا و صمّوا»؛ أي: عادوا إلى ما كانوا عليه. فلمّا انقضت تلك القرون و نشأت قرون أخر، تخلّقوا بأخلاق آبائهم فعموا عن الحقّ و صمّوا عن استماعه. و قيل: أراد بكثير منهم من كان في عصر نبيّنا صلّى الله عليه و آله.[٣]

[٧٢] «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْوَاهُ النَّارُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ».

«إنّ الله هو المسيح». و هذا مذهب اليعقوبيّة منهم. لأنّهم قالوا إنّه تعالى اتّحد بالمسيح اتّحاد الذات فصارا شيئاً واحداً فصار الناسوت لاهوتاً.[٤]

«قالوا إنّ الله هو المسيح». عن أبي جعفر عليه السلام: قاله طائفة منهم. و طائفة منهم قالوا: «إنّ

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٤٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٦٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٠.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٢.

الله ثالث ثلاثة»[١].[٢]

«اعبدوا الله ربّي و ربّكم»؛ أي: أنا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي و خالقكم. «من يشرك بالله» في عبادته أو فيما يخصّ به من الصفات و الأفعال. «فقد حرّم الله عليه الجنّة». يمنع من دخولها كما يمنع المحرّم عليه من المحرّم. فإنّها دار الموحّدين. «و ما للظالمين»؛ أي: و ما لهم أحد ينصرهم من النار. فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على أنّهم ظلموا بالإشراك و عدلوا عن طريق الحقّ. و هو يحتمل أن يكون تمام كلام عيسى و أن يكون من كلام الله نبّه به على أنّهم قالوا ذلك تعظيماً لعيسى و تقرّباً إليه و هو معاديهم بذلك و هو مخاصمهم فيه، فما ظنّك بغيره.[٣]

[٧٣] «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«ثالث ثلاثة»؛ أي: أحد ثلاثة. و هي حكاية عمّا قاله النسطوريّة القائلون بالأقانيم الثلاثة. و ما سبق قول اليعقوبيّة القائلين بالاتّحاد. «و ما من إله»؛ أي: ما في الوجود ذات واجب مستحقّ للعبادة من حيث إنّه مبدأ جميع الموجودات إلّا إله موصوف بالوحدانيّة متعال عن قبول الشركة. و من مزيدة للاستغراق. «ليمسّنّ» الذين بقوا منهم على الكفر. أو: ليمسّنّ الذين كفروا من النصارى. وضعه موضع ليمسّنّهم تكريراً للشهادة على كفرهم و تنبيهاً على أنّ العذاب على من دام على الكفر و لم يقلع عنه. «عمّا يقولون» و لم يوحّدوا.[٤]

«إنّ الله ثالث ثلاثة». قاله الجمهور من النصارى. لأنّهم يقولون [ثلاثة] أقانيم جوهر واحد أب و ابن و روح القدس إله واحد، و لا يقولون ثلاثة آلهة و يمنعون من هذه العبارة. و إن كان يلزمهم أن يقولوا إنّهم ثلاثة آلهة، فيصحّ أن يحكى عنهم بالعبارة اللّازمة. «عمّا

١ـ المائدة (٥) / ٧٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

يقولون» من التثليث.[١]

[٧٤] أَ فَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«أفلايتوبون»؛ أي: أفلايتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد و الأقوال الزائغة و يستغفرون بالتوحيد و التنزيه عن الاتّحاد و الحلول بعد هذا التهديد؟ «غفور» يمنحهم من فضله إن تابوا. و في هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم.[٢]

[٧٥] «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

«الرسل »؛ أي: ما هو إلّا رسول كالرسل قبله خصّه الله بآيات كما خصّهم بها. فإن أحيا الموتى على يده، فقد أحيا العصا و جعلها حيّة تسعى على يد موسى و هو أعجب. و إن خلقه من غير أب، فقد خلق آدم من غير أب و أمّ و هو أغرب. «صدّيقة»؛ أي: كسائر النساء اللّاتي يلازمن الصدق أو يصدّقن الأنبياء. «يأكلان الطعام»: يأكلانه و يفتقران إليه افتقار الحيوانات.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: يعني أنّ من أكل الطعام كان له ثقل، و من كان له ثقل، فهو بعيد عمّا ادّعته النصارى لابن مريم.[٤]

«يؤفكون»: كيف يصرفون عن استماع الحقّ و تأمّله؟ و ثمّ لتفاوت ما بين العجبين. أي: إنّ بياننا [للآيات] عجيب و إعراضهم عنها أعجب.[٥]

[٧٦] «قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً وَ اللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.

٤ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٠.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.

«ما لايملك». يعني عيسى. و هو إن ملك ذلك بتمليك الله إيّاه، لايملكه من ذاته و لايملك مثل ما يضرّ الله به من البلايا و المصائب و ما ينفع به من الصحّة و السعة. و إنّما قال: «ما» نظراً إلى ما هو عليه في ذاته، توطئة لنفي القدرة عنه رأساً و تنبيهاً على أنّه من هذا الجنس و من كان في الحقيقة يقبل المجانسة و المشاركة، فبمعزل عن الألوهيّة. و انّما قدّم الضرّ لأنّ التحرّز عنه أهمّ من تحرّي النفع. «السميع» بالأقوال. «العليم» بالعقائد.(١)

«و الله هو السميع». متعلّق بأتعبدون. أي: أتشركون بالله و لاتخشونه؟ و هو الذي يسمع ما تقولون و يعلم ما تعتقدون. أو: أ تعبدون العاجز؟ و الله هو السميع العليم الذي يصحّ منه أن يسمع كلّ مسموع و يعلم كلّ معلوم و لن يكون كذلك إلّا و هو حيّ قادر.(٢)

[٧٧] «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ».

«في دينكم» فترفعوا عيسى إلى أن تدّعوا [له] الإلهيّة أو تضعوه فتدّعوا أنّه لغير رشدة. و قيل: الخطاب للنصارى خاصّة.(٣)

«غير الحقّ». صفة للمصدر. أي: غلوّاً باطلاً. لأنّ الغلوّ في الدين غلوّان: حقّ، و هو أن يفحص عن حقائقه و يفتّش عن أباعد معانيه و يجتهد في تحصيل حججه، كما يفعله المتكلّمون من أهل العدل و التوحيد؛ و غلوّ باطل، و هو أن يتجاوز الحقّ و يتخطّاه بالإعراض عن الأدلّة و اتّباع الشبه، كما يفعله أهل الأهواء و البدع. «و لاتتّبعوا أهواء قوم». هم أئمّتهم في النصرانيّة كانوا على الضلال قبل مبعث رسول الله. «و أضلّوا كثيراً» ممّن شايعهم على التثليث. «و ضلّوا» لمّا بعث رسول الله ﷺ «عن سواء السبيل» حين كذّبوه و حسدوه.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.
٤ـ الكشّاف ١ / ٦٦٦.

«قد ضلّوا». قيل: الضلال الأوّل مقتضى العقل و الثاني عن الشرع.[١]

[٧٨] «لُعِنَ الَّذِينَ كَـفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَـا عَصَوْا وَ كَانُوا يَـعْتَدُونَ».

«لعن الذين». عن ابن‌عبّاس: كانوا بنو إسرائيل ثلاث فرق؛ فرقة اعتدوا في السبت، و فرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم و لامؤاكلتهم، و فرقة لمّا رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم. و بقيت الفرقتان فلعنوا جميعاً.[٢]

«لعن الذين كفروا»؛ أي: لعنهم الله في الزبور و الإنجيل على لسانهما. و قيل: أهل أيلة، لمّا اعتدوا في السبت، لعنهم داوود فمسخهم الله قردة؛ و أصحاب المائدة، لمّا كفروا، دعا عليهم عيسى و لعنهم فأصبحوا خنازير و كانوا خمسة آلاف رجل. «ذلك بما عـصوا»؛ أي: ذلك اللّعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم و اعتدائهم ما حرّم الله عليهم.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سأله رجل عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان و يعملون لهم و يحبّونهم و يوالونهم. قال: ليس هم من الشيعة ولكنّهم مـن أولئك. ثمّ قـرأ أبوعبدالله عليه السلام هذه الآية: «لعن الذين كفروا» ـ الآية. قال: الخنازير على لسـان داوود، و قردة على لسان عيسى.[٤]

و عنه عليه السلام: لمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام أمر معاوية و أنّه في مائة ألف قال: من أيّ القـوم؟ قالوا: من أهل الشام. قال: لاتقولوا من أهل الشام، ولكن قولوا من أهل الشوم من أبـناء مصر لعنوا على لسان داوود فجعل الله منهم القردة و الخنازير.[٥]

عن الصادق عليه السلام: أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم و لايجلسون مجالسهم، ولكـن كانوا إذا لقوهم أنسوا بهم.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٨.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٣٥، ح ١٦١.

[٧٩] «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ».

«كانوا لايتناهون»: أي لاينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله و تهيّؤوا له و لاينتهون عنه. من قولهم: تناهى عن الأمر و انتهى عنه، إذا امتنع. «لبئس ما كانوا». تعجّب من سوء فعلهم مؤكّد بالقسم.(١)

[٨٠] «تَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ».

ثمّ احتجّ الله على المؤمنين الموالين للكفّار فقال: «ترى» ـ الآية.(٢)

«ترى كثيراً منهم». نزلت في اليهود. و عن ابن‌عبّاس أنّها نزلت في المنافقين.(٣)

«ترى كثيراً منهم». يعني من أظهر الإيمان منهم.(٤)

«منهم»: أي: من أهل الكتاب الذين يوالون المشركين بغضاً لرسول الله و المؤمنين. «لبئس ما قدّمت»: أي: لبئس شيئاً قدّموه ليردوا عليه يوم القيامة. «أن سخط». هو المخصوص بالذمّ. و المعنى: موجب سخط الله و الخلود في العذاب. أو علّة الذمّ و المخصوص محذوف. أي: لبئس شيئاً ذلك، لأنّه كسبهم السخط و الخلود.(٥)

[٨١] «وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

«و ما أنزل إليه». أي: لو كانوا يصدّقون بمحمّد و ما أنزل إليه من القرآن و يعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه. «ما اتّخذوهم» يعني الكافرين «أولياء». و قيل: المراد بالنبيّ موسى و بما أنزل إليه التوراة. فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٩.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧٦.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٩.

التوالى للمشركين. فيكون معنى الموالاة التناصر و المعاونة على حرب رسول الله ﷺ و معاداته. «فاسقون»؛ أي: خارجون عن دين الله. أو: متمرّدون في الكفر.[١]

[٨٢] «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْبَاناً وَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

«لتجدنّ» ـ الآيات. روي أنّ هذه الآيات نزلت في النجاشي و أصحابه؛ بعث إليه رسول الله ﷺ بكتابه، فقرأه ثمّ دعا جعفر بن أبي‌طالب و المهاجرين معه و أحضر الرهبان و القسّيسين فأمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ سورة مريم، فبكوا و آمنوا بالقرآن.[٢]

«لتجدنّ» ـ الآيات. نزلت في النجاشي و أصحابه. لأنّ قريشاً ائتمرت أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت كلّ طائفة على من فيها فافتتن من افتتن و عصم الله من عصم. فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما نزل بأصحابه و لم يكن يؤمر بالجهاد، أمرهم بالخروج إلى أرض حبشة و قال: إنّ بها ملكاً صالحاً لايظلم و لايظلم عنده أحد. و أراد به النجاشي. فخرج إليها سرّاً أحد عشر رجلاً و أربع نسوة منهم عثمان بن عفان و امرأته رقيّة و الزبير بن العوّام و عبدالله بن مسعود و ابن عوف. و ذلك في السنة الخامسة من مبعث رسول الله. و هذه هي الهجرة الأولى. ثمّ خرج جعفر بن أبي‌طالب في جماعة من المسلمين. و كان جميع من هاجر إلى الحبشة اثنين و ثمانين رجلاً سوى النسوان و الصبيان. فلمّا علمت قريش بذلك، وجّهوا عمرو بن العاص و صاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي و أصحابه ليردّوهم إليهم. فقال له ابن العاص: إنّ هؤلاء خالفونا في ديننا و سبّوا آلهتنا و صاروا إليكم. فردّهم إلينا. فبعث النجاشي إلى جعفر. فقال له: أيّها الملك، بعث الله فينا نبيّاً أمرنا بخلع الأنداد و أمرنا بالصلاة و الزكاة و نحو ذلك. فقال النجاشي: بهذا بعث عيسى بن مريم. فقرأ عليه سورة

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٥٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٠.

مريم. فلمّا بلغ قوله: «و هزّى إليك بجذع النخلة» ـ الآية ـ[١] قال: هذا ـ و الله ـ هو الحقّ. فقال ابن العاص: إنّه مخالف لنا. فردّه إلينا. فضربه النجاشي و ردّ عليه هديّته. فرجع ابن العاص. و بقي المسلمون إلى أن هاجر رسول الله ﷺ و علا أمره و هادن قريشاً و فتح خيبر، فوافى جعفر بجميع من كان معه من المسلمين مع اثنين و ستّين من الحبشة و ثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها. فبكوا حين سمعوا القرآن و آمنوا و قالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى.[٢]

«اليهود و الذين أشركوا»، لتضاعف كفرهما و انهماكهما في اتّباع الهوى و ركونهما إلى التقليد و بعدهم عن التحقيق و تمرّنهم على تكذيب الأنبياء و معاداتهم. «إنّا نصارى»، للين جانبهم و رقّة قلوبهم و قلّة حرصهم على الدنيا و كثرة اهتمامهم بالعلم و العمل. و إليه أشار بقوله: «ذلك بأنّ منهم قسّيسين و رهباناً و أنّهم لايستكبرون» عن قبول الحقّ إذا فهموه. أو: يتواضعون و لايتكبّرون كاليهود. و فيه دليل على أنّ التواضع والإقبال على العلم و العمل و الإعراض عن الشهوات محمودة و إن كانت في كافر.[٣]

«لتجدنّ» ـ الآية. و ذلك أنّ اليهود ظاهروا المشركين على المسلمين مع أنّ المسلمين آمنوا بنبوّة موسى و التوراة التي أنزلها فكان ينبغي أن يكونوا إلى من وافقهم في الإيمان بنبيّهم و كتابهم أقرب و إنّما فعلوا ذلك حسداً للنبيّ ﷺ.[٤]

«قسّيسين»: علماء. «رهباناً»: عبّاداً.[٥]

[٨٣] «وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

«و إذا سمعوا». عطف على يستكبرون. و هو بيان لرقّة قلوبهم و شدّة حبّهم و

١ـ مريم (١٩) / ٢٥.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٠ـ ٣٦١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٢.

٥ـ الكشّاف ١ / ٦٦٨.

مسارعتهم إلى قبول الحقّ و عدم تأبّيهم عنه. و الفيض: أنصباب عن امتلاء، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة. أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنّها تفيض بأنفسها. «مع الشاهدين»: من الذين شهدوا بأنّه حقّ، أو بنبوّته. أو: من أمّته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة.[١]

[٨٤] «وَ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ».

«و ما لنا». استفهام إنكار لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي و هو الطمع في الانخراط مع الصالحين و الدخول مداخلهم. أو جواب سائل قال: لم آمنتم؟ و «لانؤمن» حال من الضمير. و العامل ما في اللّام من معنى الفعل. أي: أيّ شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله؟ أي بوحدانيّته ـ فإنّهم كانوا مثلّثين ـ أو بكتابه و رسوله. فإنّ الإيمان بهما إيمان به حقيقة و ذكره توطئة و تعظيماً. «و نطمع». عطف على «نؤمن». أو خبر محذوف و الواو للحال. أي: و نحن نطمع. و العامل فيها عامل الأولى مقيّداً بها أو نؤمن.[٢]

«و ما لنا»؛ أي: لأيّ عذر لانؤمن؟ و هذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفاً لهم: لم آمنتم؟ عن الزجّاج. و قيل: إنّهم قدّروا في أنفسهم كأنّ سائلاً سألهم عنه فأجابوه بذلك. «من الحقّ»؛ أي: القرآن و الإسلام.[٣]

[٨٥] «فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ».

«بما قالوا». أي من التوحيد. و قد سبق ما يدلّ على إخلاصهم فيما قالوه من قوله: «ممّا عرفوا من الحقّ» و البكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص. و القول إذا اقترن به المعرفة و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٢.

الإخلاص، فهو الإيمان الحقيقيّ. و قيل: المراد بما قالوا ما سألوا. يعني قوله: «فاكتبنا مع الشاهدين».[١]

«بما قالوا». أي عن اعتقاد. من قولك: هذا قول فلان؛ أي: معتقده. «المحسنين»: الذين أحسنوا النظر و العمل. أو: الذين اعتادوا الإحسان في الأمور.[٢]

[٨٦] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

«و كذّبوا». عطف التكذيب بآيات الله على الكفر و هو ضرب منه، لأنّ القصد إلى بيان حال المكذّبين. و ذكرهم في معرض المصدّقين بها، جمعاً بين الترغيب و الترهيب.[٣]

[٨٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». قال المفسّرون: جلس رسول الله ﷺ يوماً فوصف القيامة، فرقّ الناس و بكوا. و اجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون ـ منهم عليّ عليه السلام و أبوذرّ الغفاريّ و المقداد و سلمان و معقل بن مقرن ـ و اتّفقوا على صيام النهار و قيام اللّيل و [أن] لاينامو على الفرش و لا يأكلوا اللّحم و لا يقربوا النساء و يسيحوا في الأرض و همّ بعضهم أنّ يجبّ مذاكيره. فبلغ ذلك رسول الله، فطلبهم و قال: ما بال أقوام حرّموا على أنفسهم شهوات الدنيا؟ ما أمرتكم بذلك. إنّ سياحة أمّتي الصيام و رهبانيّتهم الجهاد. و إنّما هلك من قبلكم بالتشديد؛ شدّدوا على أنفسهم، فشدّد الله عليهم.[٤]

«يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. عن الصادق عليه السلام: أنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام و بلال و عثمان بن مظعون. فأمّا أميرالمؤمنين، فحلف أن لاينام باللّيل أبداً. و أمّا بلال، فإنّه حلف أن لايفطر بالنهار. و أمّا عثمان، فإنّه حلف أن لاينكح أبداً. فدخلت امرأته على عائشة

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٠.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٤.

ـ و كانت امرأة جميلة ـ فقالت عائشة: ما لي أراك معطّلة؟ فقالت: و لمن أتـزيّن؟ فـو الله ما قربني زوجي منذ كـذا. فـإنّه ذهب و لبس المسـوح و تـزهّد في الدنـيا. فـلمّا دخـل رسول الله ﷺ أخبرته عائشة بذلك. فخرج فنادى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس. فصعد المنبر و أثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطيّبات؟ ألا إنّي أنام اللّيل و أنكح و أفطر بالنهار. فمن رغب عن سنّتي، فليس منّي. فقام هؤلاء فقالوا: يا رسـول الله، قد حلفنا على ذلك. فأنزل الله: «لايؤاخذكم الله» ـ الآية.[١]

«لاتحرّموا»؛ أي: لاتعتقدوا تحريمها. أو: لاتظهروا تحريمها. أو: لاتحرّموها على غـيركم بالفتوى. أو: لاتجروها مجرى المحرّمات في شدّة الاجتناب. أو: لاتلتزموا تحريمها بنذر أو عهد أو يمين. و الطيّبات: ما تشتهيه الأنفس. «و لاتعتدوا» في حدود الله و أحكامه و لاتجـبّوا أنفسكم.[٢]

«طيّبات»؛ أي: ما طاب و لذّ منه. كأنّه لمّا تضمّن ما قبله مدح النصارى على ترهّبهم و الحثّ على كسر النفس و رفض الشهوات، عقّبه بالنهي عن الإفراط في ذلك و الاعتداء عمّا حدّ الله بجعل الحلال حراماً فقال: «و لاتعتدوا» ـ الآية.[٣]

[٨٨] «وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ».

«حلالاً طيّباً»؛ أي: مباحاً لذيذاً. و قوله: «حلالاً» على وجه التأكيد. لأنّ الرزق كلّه حلال.[٤]

[٨٩] «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٠.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٥.

كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«لا يؤاخذكم الله باللّغو». هو ما يبدو من المرء بلا قصد و لا عقد من القلب عليه؛ كقول الرجل: لا و الله، و بلى و الله، من غير قصد، و إنّما المراد به تأكيد الكلام و لا يخطر ببالهم الحلف. و في الكافي عن الصادقعليه السلام: اللّغو في اليمين قول الرجل: لا و الله، و بلى و الله، و لا يعقد على شيء. و «في أيمانكم» صلة يؤاخذكم أو اللّغو لأنّه مصدر. و المراد نفي المؤاخذة في الدنيا بعدم الكفّارة و في الآخرة بعدم العقاب. «بما عقّدتم الأيمان»؛ أي: بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد. أي يؤاخذكم إذا حنثتم. أو المراد: بنكث ما عقدتم، فحذف المضاف.[1]

ابن عامر: «عاقدتم» بمعنى عقّدتم. و أهل الكوفة: «عقدتم» بالتخفيف، و الباقون بالتشديد. و المعنى واحد.(ع)

«فكفّارته»؛ أي: كفّارة حنثه. أو: كفّارة نكثه. «عشرة مساكين». فيه دلالة على عدم إجزاء الأقلّ و إن كان إطعام ما يكفي لعشرة. و هو قول الأكثر. و أبوحنيفة جوّز إعطاء مقدار طعام العشرة لواحد. و هو مع مخالفته للنصّ مخالف للحكمة المطلوبة منه أعني حصول مستجاب الدعوة فيما بينهم. نعم؛ إذا فقدوا جاز إعطاء الواحد. و العشرة، و إن كانت ظاهرة في الذكور، إلّا أنّ ذلك محمول على التغليب عندنا. و إطلاق الآية يقتضي جواز كونهم صغاراً، إلّا أنّ أصحابنا قالوا: إن كان كلّهم صغاراً، احتسب كلّ اثنين منهم بواحد. و لو اجتمع الصغار و الكبار، دفع إليهم ما يدفع إلى العشرة. و في الأخبار دلالة على ذلك. «أو كسوتهم» . عطف على «إطعام» لكن مقدّراً، فصحّ عطفه على المصدر. و إطلاق الكسوة ظاهر في الاكتفاء بما يصدق عليه الكسوة لغة و هو الثوب الساتر للعورة كالقميص. أمّا الرداء الكبير، فيمكن الاكتفاء به. و يحتمل أن يراد من الكسوة الثياب التي يحتاج إليها الإنسان عرفاً. كما يقال: يجب كسوة الزوجة على الزوج، و المراد جميع ما تحتاج إليه. فيجب حينئذ ثوبان كالقميص و العمامة. و عليه جماعة من الأصحاب، و اكتفوا بالواحد في حال

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٥٥ ـ ١٥٦.

العجز. و في الأخبار دلالة على الأمرين معاً.[١]

«مساكين». المراد بالمسكين من لايقدر على قوت السنة له و لعياله فعلاً أو قوّة بالكسب. «من أوسط ما تطعمون»؛ أي: من أقصده في النوع كالحنطة المتوسّطة بين أفرادها. و يمكن اعتبار القدر أيضاً. فإنّ فيهم من يسرف في إطعام أهله و منهم من يقتر عليهم، فاعتبر الأوسط. و المشهور أنّه مدّ واحد لكلّ مسكين. و قيل: مدّان؛ لوروده في بعض الأخبار المحمولة على الفضل و الاستحباب. «من أوسط». منصوب [على أنّه] صفة مفعول محذوف. أي: طعاماً من أوسط.[٢]

«أو تحرير رقبة». اعتبر الأكثر أن تكون مؤمنة. و أخذ الشيخ بالإطلاق فجوّز الكافرة.[٣]

«و احفظوا أيمانكم» من الحنث. و المراد الأيمان التي الحنث فيها معصية. و قيل: معناه: صونوها و لاتبذلوا لكلّ أمر. و هو بعيد. وفي الآية دلالة على تحريم الحنث و مخالفة اليمين و إن كفّر. و الشافعيّ جوّزه بعد الكفّارة. «تشكرون» نعمة التعليم، أو مطلق النعمة.[٤]

«من أوسط ما تطعمون»: الخلّ و الزيتون. و أرفعه اللّحم و الخبز. عنه عليه السلام.[٥]

«أهليكم». قرأ الصادق عليه السلام: «أهاليكم».[٦]

«ثلاثة أيّام» متتابعات. كما قاله الأصحاب. و جماعة من العامّة على جواز تفريقها نظراً إلى الإطلاق. (ع)

«كذلك»؛ أي: مثل ذلك البيان.[٧]

[٩٠] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٥٦ ـ ١٥٨.
٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٥٧ ـ ١٥٨.
٣ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٦٠.
٤ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٦٣.
٥ـ الكافي ٧ / ٤٥٢، ح ٥، عن الصادق عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٦.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨١.

عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر و الميسر». المراد بالخمر كلّ شراب مسكر. و الميسر مصدر ـ كالمرجع ـ و فسّر بالقمار. سمّي ميسراً لاشتماله على أخذ مال الناس بيسر من غير مشقّة و تعب. «و الأنصاب»: الأصنام التي كانوا يعبدونها لأنّها كانت تنصب للعبادة. «و الأزلام»: القداح التي كانوا يجيلونها للقمار، و هي العشرة المعروفة بينهم. أو: القداح الثلاثة التي كانوا يجيلونها إذا قصدوا فعلاً مكتوب على أحدها: أمرني ربّي، و على الآخر: نهاني ربّي، و الثالث غفل. «رجس»: قذر تعاف عنه العقول. و هو في اللّغة اسم لكلّ ما استقذر؛ أي: قبح. و هو خبر عن الخمر وحده، فلذا أفرد، و خبر المعطوف عليه محذوف. أو إنّه خبر عن المضاف المحذوف. أي: إنّما تعاطي الخمر و الميسر. «من عمل الشيطان». لأنّه مسبّب عن تسويله و تزيينه. «فاجتنبوه». الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطي. «لعلّكم تفلحون» بالاجتناب عمّا نهيتم عنه. و استدلّ الشيخ بهذه الآية على نجاسة الخمر من وجهين. أحدهما كون الرجس بمعنى النجس. و ادّعى الإجماع على ذلك. و الظاهر أنّ مراده أنّه في الآية كذلك كما في اللّغة. و ثانيهما من قوله: «فاجتنبوه»، فإنّه يوجب التباعد عنه في جميع الحالات. و أورد عليه أنّ الرجس بمعنى القذر و أنّه خبر عن المجموع لا عن الخمر وحده. نعم؛ قال المرتضى: لا خلاف بين المسلمين في نجاسته إلّا ما يحكى عن شذاذ لا اعتبار بقولهم.(١)

«الأنصاب و الأزلام». عن الرضا عليه السلام: الأنصاب و الأزلام أئمّة الضلال.(٢)

[٩١] «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ».

«البغضاء». قيل: كان الرجل يقامر في ماله و أهله فيقمر و يبقى حزيناً سليباً فيكسبه

١ـ مسالك الأفهام ١ / ١٠٤ ـ ١٠٧.

٢ـ عيون الأخبار ٢ / ١٢٦، ح ٧.

ذلك العداوة و البغضاء.[١]

«في الخمر و الميسر». إنّما خصّهما بإعادة الذكر و شرح ما فيهما من الوبال، تنبيهاً على أنّهما المقصود بالبيان و ذكر الأنصاب و الأزلام للدلالة على أنّهما مثلهما في الحرمة و الشرارة؛ لقوله صلى الله عليه و آله: شارب الخمر كعابد الوثن. و خصّ الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم و الإشعار بأنّ الصادّ عنها كالصادّ عن الإيمان من حيث إنّها عماده. «فهل أنتم». أعاد الحثّ على الانتهاء بصيغة الاستفهام إيذاناً بأنّ الأمر في المنع و التحذير بلغ الغاية و أنّ الأعذار قد انقطعت.[٢]

[٩٢] «وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول» فيما أمرا به. «و احذروا» ما نهيا عنه. «فاعلموا»؛ أي: اعلموا أنّكم لم تضرّوا الرسول بتولّيكم ـ فإنّما عليه البلاغ و قد أدّى ـ و إنّما ضررتم به أنفسكم.[٣]

[٩٣] «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

«ليس على الذين». قيل: إنّها نزلت في القوم الذين حرّموا على نفوسهم اللّحوم و سلكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون و غيره، فبيّن الله أنّه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرّمات. قوله: «جناح»؛ أي: إثم. «فيما طعموا» من الخمر و الميسر قبل نزول التحريم. و في تفسير أهل البيت عليهم السلام: «فيما طعموا» من الحلال «إذا ما اتّقوا» شربها بعد التحريم «و عملوا الصالحات»؛ أي: الطاعات، «ثمّ اتّقوا»؛ أي: داموا على الاتّقاء «و آمنوا»؛

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٧١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٢.

أي: داموا على الإيمان، «ثمّ اتّقوا» بفعل الفرائض «و أحسنوا» بفعل النوافل. فعلى هذا يكون الاتّقاء الأوّل اتّقاء الشرب بعد التحريم، و الاتّقاء الثاني الدوام على ذلك، و الثالث اتّقاء جميع المعاصي و ضمّ الإحسان إليه.[١]

«فيما طعموا» ممّا لم يحرّم عليهم «إذا ما اتّقوا» المحرّم و ثبتوا على الإيمان و ثبتوا على الأعمال الصالحة، «ثمّ اتّقوا» ما حرّم عليهم بعد كالخمر «و آمنوا» بتحريمه، ثمّ استمرّوا و ثبتوا على اتّقاء المعاصي «و أحسنوا»: و تحرّوا الأعمال الجميلة و اشتغلوا بها. روي أنّه لمّا نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف بإخواننا الذين ماتوا و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر؟ فنزلت. و يحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة؛ أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى و الإيمان بينه و بين نفسه و بينه و بين الناس و بينه و بين الله، و لذلك بدّل الإيمان بالإحسان في الكرّة الثالثة إشارة إلى ما قاله ﷺ في تفسيره؛ أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ و الوسط و المنتهى؛ أو باعتبار ما يتّقى، فإنّه ينبغي أن يترك المحرّمات توقّياً من العقاب، و الشبهات تحرّزاً عن الوقوع في الحرام، و بعض المباحات تحفّظا للنفس عن الخسّة و تهذيباً لها عن دنس الطبيعة. «يحبّ المحسنين» فلايؤاخذهم بشيء.[٢]

[٩٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«أيديكم». نزلت عام الحديبيّة. ابتلاهم بالصيد و كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكّنون من صيدها أخذاً بأيديهم و طعناً برماحهم و هم محرمون. و التحقير في «بشيء» للتنبيه على أنّه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس و الأموال، فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشدّ منه. «بالغيب» ليتميّز الخائف من

١ـ مجمع البيان ٣ / ٢٧٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٢.

عقابه و هو غائب منتظر لقوّة إيمانه ممّن لايخافه لضعف قلبه و قلّة إيمانه. فذكر العلم و أراد وقوع المعلوم و ظهوره أو تعلّق العلم. «بعد ذلك»؛ أي: الابتلاء بالصيد. «عذاب أليم» لأنّه إذا لم يراع حكم الله فيه، كيف يراعيه فيما تميل إليه النفس.[١]

[٩٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَ اللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ».

«لاتقتلوا الصيد». امتحن الله أصحاب محمّد ﷺ بصيد البرّ كما امتحن أمّة موسى بصيد البحر.[٢]

«لاتقتلوا الصيد و أنتم حرم»؛ أي: محرمون. أو: دخلتم في الحرم. أو هما معاً. و في الأخبار دلالة على تحريم ما هو أعمّ من القتل كالدلالة و الإشارة و الإمساك و نحوها. و الصيد كلّ ما كان برّيّاً وحشيّاً أكل أو لم يؤكل. و هو المشهور عندنا و إن خرجت بعض الأفراد بالنصوص. «و من قتله منكم متعمّداً»: ذاكراً الإحرام عالماً بأنّه يحرم عليه قتل ما يقتله. و الأكثر من العلماء و افقونا على أنّ ذكر العمد ليس لتقييد وجوب الجزاء، فإنّ إتلاف العامد و المخطئ واحد في إيجاب الجزاء، فيكون التقييد تمهيداً لقوله: «و من عاد فينتقم الله منه» فنبّه على تغليظ الحرمة فيه. أو لأنّ الآية نزلت فيمن تعمّد. فقد روي أنّه عنّ لهم عام الحديبيّة حمار وحش فطعنه أحدهم برمحه فقتله، فنزلت. و أخذ بعض العامّة بظاهر القيد فلم يوجب في الخطأ شيئاً. و عن بعضهم: نزل الكتاب بالعمد و وردت السنّة بالخطأ.

«فجزاء مثل ما قتل من النعم». قرأ الكوفيّون و يعقوب برفع جزاء و المثل معاً. أي: فعليه جزاء يماثل ما قتل من النعم. و الجارّ و المجرور صفة ثانية للجزاء. و قرأ الباقون بإضافة

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٧٧.

المصدر إلى المفعول أو إقحام مثل. أي: فعليه أن يجزى مثل ما قتل. و هذه المماثلة عندنا باعتبار الخلقة و الهيئة. و وافقنا عليه الشافعيّة و المالكيّة حيث أوجبوا في النعامة بدنة و في حمار الوحش بقرة و في الظبي و الأرنب شاة إلى غير ذلك. و يوضحه قوله: «من النعم». لأنّه بيان للمثل. و قال أبوحنيفة: المراد المماثلة في القيمة، فحكم بأنّ المثل الواجب هو القيمة قياساً على ما لا مثل له و أوجب تقويم الصيد و هو مخيّر بين أن يشتري به هدياً أو طعاماً يعطي كلّ مسكين نصف صاع.

«ذوا عدل». قراءة أهل البيت عليهم السلام: «ذو عدل» بغير ألف. و هو الإمام عليه السلام؛ كما جاء في الروايات. «ذوا عدل منكم». أي يحكم بالمماثلة. و ذلك لأنّ الأنواع قد تشتبه و تتشابه كثيراً فيحتاج التميز إلى حكم العدل. و لأنّه قد يقتل صيداً و لايعلم مثله لعدم العلم به فيحتاج إلى حكم العدل ليحصل العلم به. و قوله: «ذوا عدل» المراد منه الشاهدان لا الحاكم؛ إذ لا تعدّد فيه. و في أخبارنا أنّ المراد بذوا عدل رسول الله و الأئمّة عليهم السلام. لو اختار الطعام، فضّ قيمة البدنة على البرّ و أطعم ستّين مسكيناً بحيث لو نقص عن الستّين لايجب الإكمال و لو زاد لم يطعم. و كذا الكلام في غير النعامة من أفراد الصيد على ما علم بيانه من الأخبار و إطلاق الآية منزل عليه. «أو عدل ذلك صياماً»؛ أي: ما ساواه من الصوم. فيصوم عن كلّ مسكين يوماً. و مقتضى الآية التخيير بين الأبدال الثلاثة. و هو قول أكثر الأصحاب لظهور أو في ذلك. و ذهب الشيخ في النهاية و جماعة إلى الترتيب؛ بمعنى أنّ الواجب أوّلاً الجزاء المماثل من النعم، ومع العجز عنه الإطعام بقدره، ثمّ الصيام بقدر المساكين. و في ظاهر بعض الأخبار دلالة عليه.

«هدياً». حال من الهاء في به أو من جزاء لتخصيصه بالصفة. أو بدل عن مثل باعتبار محلّه. «بالغ الكعبة». صفة هدياً. لأنّ الإضافة لفظيّة. و معنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم. إن كان في إحرام العمرة، ذبحه بمكّة قبالة الكعبة. و إن كان في إحرام الحجّ، ذبحه بمنى. فالمراد بالكعبة الحرم. و يتصدّق به في الحرم. و أبوحنيفة، و إن أوجب ذبحه في الحرم، لكنّه يتصدّق

به حيث يشاء. «أو كفّارة». عطف على جزاء المرفوع. «طعام مساكين». عطف بيان، أو بدل منه. و المعنى: أو يكفّر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي. و على هذا أصحابنا و الشافعيّة. و حينئذ فيفضّ القيمة على غالب القوت كالبرّ و يعطي لكلّ مسكين مدّاً.(١)

«ليذوق». متعلّق بالمحذوف. أي: فعليه الجزاء ليذوق ثقل فعله و سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام. أو: ليذوق الثقل الشديد على مخالفة أمر الله. لأنّ اثنين منها نقص في المال و الثالث نقص في البدن. «فينتقم الله». و قد استدلّ به جماعة من الأصحاب على عدم وجوب الكفّارة بالمعاودة إلى قتل الصيد عمداً، و العلّامة و جماعة على الوجوب لعدم المنافاة بين وجوب الجزاء و الانتقام.

«وبال»: المكروه و الضرر. «عمّا سلف»: عمّا وقع في الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله. أو: عمّا سلف لكم في الجاهليّة. لأنّهم كانوا متعبّدين بشرائع من قبلهم و كان الصيد فيها محرّماً.(٢)

[٩٦] «أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«أحلّ لكم» أيّها المحرمون «صيد البحر». هو ما لايعيش إلّا في الماء كالسمك لا البطّ. و المراد المأكول لا أنّ كلّ صيده حلال الأكل كما قاله بعضهم.

«و طعامه»: السمك اليابس. لأنّه يدّخر ليطعم منه فصار كالمقتات من الأغذية. «متاعاً لكم»؛ أي: لأجل تمتّع حاضريكم. «و للسيّارة»: مسافريكم يتزوّدون بقديده كما يأكلون جديده. و قد تزوّد موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر. «صيد البرّ»؛ أي: ما صيد فيه. و المعنى المصدريّ. «ما دمتم» محرمين.(٣)

١ـ مسالك الأفهام ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٧٩.
٣ـ مسالك الأفهام ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

[٩٧] «جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلَائِدَ ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«جعل الله الكعبة»؛ أي: صيّرها. و إنّما سمّي البيت الكعبة لتكعّبها. «البيت الحرام». عطف بيان على جهة المدح، أو المفعول الثاني. «قياماً للناس»؛ أي: انتعاشاً لهم. أي: سبب انتعاشهم في أمر معاشهم و معادهم، يلوذ به الخائف و يأمن فيه الضعيف و يربح فيه التجّار و يتوجّه إليه الحجّاج و العمّار. أو: ما يقوم به أمر دينهم و دنياهم. و قرأ ابن‌عامر: «قيماً» على أنّه مصدر على فِعَل ـ كالشبع ـ أعلّ عينه كما أعلّت في فعله ، و نصبه على المصدر أو الحال.(١)

عن النبيّ ﷺ حين سأله نفر من اليهود: لأيّ شيء سمّيت الكعبة كعبة؟ قال: لأنّها مربّعة. فقيل له: و لم صارت مربّعة؟ قال: لأنّها بحذاء البيت المعمور و هو مربّع. و صار البيت المعمور مربّعاً لأنّه بحذاء العرش و هو مربّع. و صار العرش مربّعاً لأنّ الكلمات التي بني عليها أربع؛ و هي: سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلّا الله، و الله أكبر. و سمّي البيت الحرام لأنّه حرام على المشركين أن يدخلوه.(٢)

«و الشهر الحرام»: الذي يؤدّى فيه الحجّ. و هو ذو الحجّة لأنّه المناسب لقرنائه. و قيل: الجنس.(٣)

«قياماً للناس». لأنّهم كانوا يجتمعون فيه لتجاراتهم.(٤)

«القلائد»: المقلّد منه خصوصاً؛ و هو البدن. لأنّ الثواب فيه أكثر و بهاء الحجّ معه أظهر. «ذلك». إشارة إلى جعل الكعبة قياماً للناس، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد و غيره. «لتعلموا أنّ الله يعلم» كلّ شيء و هو عالم بما يصلحكم ممّا أمركم به و كلّفكم.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٤.
٢ـ علل الشرائع / ٣٩٨، ح ١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٨٢.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٨١ ـ ٦٨٢.

[٩٨] «اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«شديد العقاب» لمن انتهك محارمه. «غفور» لمن حافظ على محارمه.[١]

[٩٩] «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ».

«ما على الرسول». تشديد في إيجاب القيام بما أمر به و أنّ الرسول قد فرغ ممّا وجب عليه من التبليغ و قامت عليكم الحجّة و لزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط.[٢]

[١٠٠] «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«لايستوي الخبيث»: البون بين الخبيث و الطيّب بعيد عند الله و إن كان قريباً عندكم. فلاتعجبوا بكثرة الخبيث حتّى تؤثروه على الطيّب القليل. فإنّ ما تتوهّمونه في الكثرة من الفضل لايوازي النقصان في الخبيث و فوات الطيّب. و هو عامّ في حلال المال و حرامه و صالح العمل و طالحه و صحيح المذاهب و فاسدها و جيّد الناس و رديّهم. «فاتّقوا الله» و آثروا الطيّب، و إن قلّ، على الخبيث، و إن كثر. و من حقّ هذه الآية أن يكفح بها وجوه المجبّرة إذا افتخروا بالكثرة. و قيل: نزلت في حجّاج اليمامة لمّا أراد المسلمون أن يواقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع و إن كانوا مشركين.[٣]

[١٠١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَ اللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ».

«يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. ذكر المفسّرون أنّهم ألحّوا عليه ﷺ في المسائل من غير نفع، فقام خطيباً مبغضاً فقال: سلوني. فلاتسألوني عن شيء إلّا نبّأتكم به. فسألوه عن

١ـ الكشّاف ١ / ٦٨٢.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٨٢.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٨٢ ـ ٦٨٣.

أنسابهم، فأجابهم بما يقتضي انتسابهم لغير آبائهم. و سألوه عن آبائهم أهم في الجنّة أم في النار، فأجابهم بما يسوؤهم و يدخل الحزن عليهم. ثمّ قال: و الذي نفسي بيده، لقد صوّرت لي الجنّة و النار في عرض هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير و الشرّ.[١]

و عن الباقر عليه السلام: إنّ عمر بن الخطّاب قال لصفيّة بنت عبدالمطّلب: لاتنفعك قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله نادى بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس، و قال: ما بال قوم يزعمون أنّ قرابتي لاتنفع؟ لو قمت المقام، لشفعت في جاركم.[٢] لايسألني اليوم أحد من أبوه إلّا أخبرته. فقام إليه ناس فسألوه، فأخبرهم بما مرّ ذكره. ثمّ قال: ما بال الذي يزعم أنّ قرابتي لاتنفع لايسألني عن أبيه؟ فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله ـ يا رسول الله ـ من غضب الله و غضب رسول الله. فأنزل الله الآية.[٣]

أقول: لو أنّ عمر بقي حتّى يبيّن له النسب الواضح المعروف بين المورّخين و المحدّثين، لرأى ما يفضي إلى العجب العجاب. و قد ذكرنا نبذة منه في مطاوي شرحنا على تهذيب الحديث.

قيل: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله استهزاء مرّة و امتحاناً مرّة فيقول له بعضهم: من أبي؟ و يقول الآخر: أين أبي؟ و إذا ضلّت ناقة أحدهم: أين ناقتي؟ فنزلت.[٤]

و عن ابن عبّاس: انّه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألونه عنه ممّا لايعنيهم فقال: لاأسأل عن شيء إلّا أجبت. فقال رجل: أين أبي؟ قال: في النار. و قال آخر: من أبي. قال: حذافة. و كان يدعى لغيره. فنزلت.[٥]

«يا أيّها الذين آمنوا». متّصل بقوله: «و ما تكتمون» و متّصل بقوله: «تفلحون». لأنّ من الفلاح ترك السؤال عمّا لايحتاج إليه.[٦]

الجملة الشرطيّة و المعطوفة عليها ـ أعني «إن تبد لكم» إلى قوله: «و إن تسألوا عنها»

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٦٨.
٢ـ المصدر: أحوجكم.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٨٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٣٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٥.
٦ـ مجمع البيان ٣ / ٣٨٧.

إلى: «تبد لكم» ـ صفة للأشياء. و المعنى: لاتكثروا مسألة رسول الله ﷺ حين تسألوه عن تكاليف شاقّة عليكم إن أفتاكم بها و كلّفكم إيّاها تغمّكم و تشقّ عليكم و تندموا على السؤال. و ذلك نحو ما روي أنّ سراقة بن مالك قال: يا رسول الله، الحجّ علينا كلّ عام؟ فأعرض عنه رسول الله حتّى أعاد مسألته ثلاثاً، فقال ﷺ: ويحك! و ما يؤمنك أن أقول نعم؟ و الله لو قلت: نعم، لوجبت. و لو وجبت، ما استطعتم. و لو تركتم، لكفرتم. فاتركوني ما تركتكم. فإنّما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم. و إذا أمرتكم بأمر، فخذوا منه ما استطعتم. و إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه. «و إن تسألوا عنها حين ينزّل القرآن»؛ أي: إن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي ـ و هو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه ـ «تبد لكم» تلك التكاليف التي تسوؤكم و تؤمروا بتحمّلها فتعرّضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها. «عفا الله» عمّا سلف من مسألتكم، فلاتعودوا إلى مثلها. «غفور حليم» لايعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته.(١)

«عفا الله». صفة أخرى. أي: عن أشياء عفا الله عنها و لم يكلّف بها.(٢)

[١٠٢] «قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ».

«قد سألها». الضمير للمسألة التي دلّ عليها تسألوا. أي: سأل هذه المسألة قوم من الأوّلين، ثمّ أصبحوا بسببها كافرين. و ذلك أنّ بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها.(٣)

«قد سألها». الضمير للمسألة التي دلّ عليها تسألوا ـ و لذلك لم يعد بعن ـ أو لأشياء بحذف الجارّ.(٤)

«ثمّ أصبحوا بها». قيل: المراد بهم قوم عيسى سألوه إنزال مائدة ثمّ كفروا بها. و قيل: قوم صالح، سألوه الناقة ثمّ عقروها. أو إنّهم سألوا النبيّ ﷺ من مثل هذه الأشياء ـ يعني من

١ـ الكشّاف ١ / ٦٨٣ ـ ٦٨٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٥.
٣ـ الكشّاف ١ / ٦٨٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٥.

أبي و نحوه ـ فلمّا أخبرهم قالوا: ليس الأمر كذلك، فكفروا. ثمّ اعلم أنّ الذي يجوز أن يسأل عنه هو ما يجوز العمل عليه في الأمور الدينيّة و الدنيويّة.(١)

[١٠٣] «مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لَا سَائِبَةٍ وَ لَا وَصِيلَةٍ وَ لَا حَامٍ وَ لٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

«من بحيرة». كان أهل الجاهليّة إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنها ـ أي: شقّوها ـ و حرّموا ركوبها و لاتطرد عن ماء و لا مرعًى و إذا لقيها المعيي [لم يركبها] و اسمها البحيرة.(٢)

«و لا سائبة». و هي ما كانوا يسيّبونه. فإنّ الرجل كان ينذر إذا قدم من سفر أو برئ من علّة و ما أشبه ذلك، قال: ناقتي سائبة. فكانت كالبحيرة لاينتفع بها. و قيل: هي التي تسيّب للأصنام؛ أي: تعتق لها. و كان الرجل يسيّب من ماله ما شاء فيجيء به إلى السدنة ـ و هم خدم آلهتهم ـ فيطعمون من لبنها أبناء السبيل. «و لا وصيلة». هي في الغنم. كانت الشاة إذا ولدت أنثى، فهي لهم، و إن ولدت ذكراً، جعلوه لآلهتهم. و إذا ولدت ذكراً و أنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم. «و لا حام». هو الذكر من الإبل. كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فلايحمل عليه و لايمنع من ماء و لا من مرعًى. و قيل: إنّه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل: حمى ظهره. عن الفرّاء. و قد أخبر الله أنّه لم يحرّم من هذه الأشياء شيئاً. «يفترون» بادّعائهم أنّ هذه الأشياء من فعل الله. «لايعقلون» ما حرّم عليهم و حلّل.(٣)

[١٠٤] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَ وَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ».

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

«لهم»؛ أي: للّذين حرّموا البحيرة و غيرها. «إلى ما أنزل الله» من القرآن و ما فيه «و إلى الرسول» و تصديقه و الاقتداء بأفعاله. «قالوا حسبنا»: كفانا «ما وجدنا عليه آباءنا» من المذاهب. فأنكر عليهم بقوله: «أو لو كان آباؤهم» ـ الآية.[1]

[١٠٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«عليكم»؛ أي: احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي. «من ضلّ» من آبائكم و غيرهم. يقال: هذه الآية تدلّ على جواز ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. و جوابه: انّ الآية إنّما تدلّ على أنّ المطيع لربّه لايؤاخذ بذنوب العاصي. و إنّ الاقتصار على الاهتداء، إنّما يجوز في حال التقيّة أو حال لايجوّز تأثير إنكاره فيها أو يتعلّق بإنكاره مفسدة. أو يكون المراد: «عليكم أنفسكم»؛ يعني: عليكم أهل دينكم. ففيها دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. «مرجعكم جميعاً»؛ أي: مصيركم و مصير من خالفكم.[2]

[١٠٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ لَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». سبب نزولها: انّ ثلاثة نفر خرجوا تجّاراً من المدينة إلى الشام: تميم الداريّ، و أخوه عديّ و هما نصرانيّان و ابن مارية و كان مسلماً. حتّى إذا كانوا ببعض الطريق، مرض ابن مارية. فكتب وصيّته و دسّها في متاعه و أوصى إليهما و دفع المال إليهما و قال: أبلغا هذا أهلي. فلمّا مات، فتحا المتاع و أخذا ما أعجبهما منه. ثمّ رجعا بالمال إلى الورثة. فلمّا فتّشوا المال، فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم و نظروا إلى الوصيّة فوجدوا

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٩١.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

المال فيها تامّاً. فكلّموا تميماً و صاحبه فقالا: لا علم لنا به. فرفعوا أمرهم إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فنزلت الآية. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.[1]

«شهادة بينكم»: أي: الإشهاد الذي يقام به الحقوق فيما بينكم عند الحكّام و أمرتم به. و إضافتها إلى الظرف على الاتّساع. «إذا حضر أحدكم الموت»: إذا شارفه و ظهرت أماراته عنده. و هو ظرف للشهادة. «حين الوصيّة». بدل منه. و في الآية تنبيه على أنّ الوصيّة ممّا ينبغي أن لايتهاون بها المسلم عند ظهور أمارات الموت فكأنّ وقتيهما واحد. «اثنان». خبر شهادة بينكم، أو فاعل فعل محذوف. أى: شهادة بينكم أن يشهد اثنان. «ذوا عدل»: صاحبا عدالة يسكن إلى قولهما. «منكم»: أي: من المسلمين. و هما صفتان لاثنان. «أو آخران من غيركم»: أي: من أهل الذمّة ظاهري العدالة عند أهل ملّتهم. و حينئذ فتجوز شهادة الذمّيّ في الوصيّة مع حصول الشرائط المذكورة؛ كما قاله أصحابنا و جماعة من العامّة. و الأكثر منهم على أنّ المراد بقوله: «منكم» من أقاربكم و «من غيركم» من الأجانب، و منعوا شهادة الذمّيّ مطلقاً. «إن أنتم ضربتم في الأرض»: سافرتم فيها. «فأصابتكم مصيبة الموت»: قاربتم الأجل. و هو شرط الانتقال من شهادة المسلمين إلى شهادة أهل الذمّة. فكأنّه قال: شهادة غيرهما تسمع إن سافرتم و لا شاهد من المسلمين معكم؛ يعني عند الضرورة و فقد عدول المسلمين. «تحبسونهما»: تمنعونهما و تصبّرونهما. و هو صفة آخران. و يجوز أن يكون للاستئناف. كأنّه قيل: كيف نعمل إن ارتبنا؟ فقال: «تحبسونهما من بعد الصلاة»؛ أي: صلاة العصر؛ للرواية، و لأنّ الناس بالحجاز كانوا يحلفون بعدها، و لأنّه وقت اجتماع الناس و تكاثرهم و تصادم ملائكة اللّيل و ملائكة النهار، و لأنّها هي صلاة أهل الذمّة و هم يعظّمونها. و قيل: مطلق الصلاة. «إن ارتبتم»: إن ارتاب الوارث منكم في شأنهما. و يجوز كون الخطاب للحكّام. و الشرط اعتراض بين القسم و المقسم عليه و هو: «لانشتري به»؛ أي: بالله. أو: بالقسم به. أو: بالشهادة. فإنّها في معنى

١ـ مجمع البيان ٣ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

الإشهاد. و لعلّ فائدة الشرط التنبيه على أنّ القسم هو مع الارتياب لا مطلقاً. «ثمناً»؛ أي: عرضاً قليلاً من الدنيا. أي: لانحلف بالله كاذبين لطمع الدنيا. «و لو كان» المشهود له «ذا قربى». و جوابه محذوف. أي: لانشتري. «و لانكتم شهادة الله»؛ أي: الشهادة التي أمرنا بإقامتها. و هو عطف على المحلوف عليه. «لمن الآثمين» إن كتمناها. و الظاهر أنّهم يذكرون في قسمهم جميع ما ذكر. والإحلاف بعد العصر للتغليظ في الوقت.(١)

[١٠٧] «فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَ مَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ».

«فإن عثر». هذه الآية مع الآية التي قبلها من أعوص آيات القرآن إعراباً و حكماً و معنًى.(٢)

«فإن عثر»؛ أي: اطّلع لأمارة أوجبت الظنّ «على أنّهما»؛ أي: الآخران من الغير اللّذين شهدا «استحقّا إثماً»: استوجباه بسبب تحريفهما في الشهادة أو حلفهما كذباً. «فآخران»: فشاهدان آخران «يقومان مقامهما» بعد ردّ شهادتهما «من الذين استحقّ عليهم»؛ أي: جني عليهم. و هم الورثة الذين استحقّ عليهم الوصيّة بسبب شهادة الذمّيّين الكاذبين. «الأوليان»؛ أي: الأحقّان بالشهادة، لقرابتهما و معرفتهما. و هو بدل من ضمير يقومان، أو خبر مبتدأ محذوف. «أحقّ من شهادتهما»: أصدق و أولى من شهادة الغير اللّذين اطّلع على كذبهما. «و ما اعتدينا»؛ أي: ماتجاوزنا الحقّ. «لمن الظالمين» لأنفسنا، أو مطلقاً، لوضعنا الباطل موضع الحقّ. و قد بقي في الآية أمور. أوّلها: مقتضى الآية جواز إشهاد أهل الذمّة في الوصيّة عند الضرورة و فقد عدول المسلمين [؛ لظهور أنّ الخطاب في منكم عائد إلى المؤمنين فيلزم أن يكون غيرهم كافرين. و على هذا أصحابنا أجمع] و أخبارنا متظافرة

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١١٧ ـ ١١٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠١.

بذلك. و بأنّهما لو كانا مسلمين لم يكن الإشهاد بهما مشروطاً بالسفر. و بأنّه تعالى أوجب الحلف عليهما و الشاهد المسلم لا يجب تحليفه مطلقاً. و بأنّ الشاهدين في سبب النزول كانا نصرانيّين. و العامّة لم تجوّزوا شهادة الذمّيّ مطلقاً و اختلفوا في حمل الآية. فقيل: المراد بها ذلك لكنّه نسخ بقوله: «و استشهدوا شهيدين منكم». و قد عرفت أنّ النسخ لا يجري في سورة المائدة. و قيل: المراد بقوله: «منكم» من أقاربكم و «آخران من غيركم» من الأجانب و إن كان الجميع مسلمين. و هذا هو الراجح عند صاحب الكشّاف.(١) و هذا مع كونه خلاف الظاهر يأباه سبب النزول. و ثانيها: اشتراط السفر في شهادة الذمّيّين. و به قال ابن الجنيد و أبو الصلاح و جماعة؛ للآية و رواية حمران. و الأكثر منّا لم يشترط السفر و حملوا التقييد في الآية و الأخبار على أنّه الغالب و رواية ضريس دالّة عليه أيضاً. و ثالثها: جواز إحلاف الشاهدين من أهل الذمّة لمكان التهمة. فقول الرازيّ: إن كان الاثنان شاهدين، فالحكم منسوخ، لأنّه لا يحلف الشاهد، باطل. لأنّ إحلافهما للدليل جائز. و حكوا عن عليّ عليه السلام أنّه كان يحلف الشاهد و الراوي إذا اتّهمهما. و قد اختلف أصحابنا في وجوب إحلافهما بعد العصر. فقال به العلّامة، و غيره حمله على الإرشاد.(٢)

«استحقّ». قرأ حفص: «استحقّ» على البناء للفاعل و هو الأوليان.(٣)

«الأوليان». قرأ حمزة و يعقوب و أبوبكر عن عاصم: «الأوليين» على أنّه صفة الذين أو مبدل منه.(٤)

و ما معنى «استحقّ» على البناء للفاعل؟ قلت: معناه: من الورثة الذين استحقّ عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجرّدوهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين.(٥)

[١٠٨] «ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ

١ـ الكشّاف ١ / ٦٨٧.
٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ١١٩ ـ ١٢٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٧.
٤ـ مسالك الأفهام ٣ / ١١٩.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٨٩.

أَيْمَانِهِمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اسْمَعُوا وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

«ذلك أدنى»؛ أي: الحكم الذي تقدّم أو إحلاف الشاهدين أدنى؛ أي: أقرب أن يأتوا بالشهادة على الوجه الذي حملوها من غير تحريف و خيانة. «أو يخافوا» عطف على أن يأتوا. أي: أو أن يخافوا «أن تردّ أيمان» إلى أولياء الميّت فيحلفوا و يفتضحوا بخيانتهم و يغرموا بمال يحلفون إذا كانوا كاذبين و يتحفّظون في الشهادة مخافة ردّ اليمين إلى المستحقّ عليهم. «و اتّقوا الله» أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا «و اسمعوا» ما توصون به سمع إجابة. «لايهدي» إلى طريق ثوابه و جنّته. بمعنى أنّه يتركهم و أنفسهم حتّى لايختاروا تلك الهداية فيصير مأواهم النار.(١)

[١٠٩] «يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَا ذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

«يوم يجمع»؛ أي: اتّقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل.(٢)

«ماذا أجبتم». عن أبي جعفر عليه السلام: ماذا أجبتم [في] أوصيائكم الذين خلّفتموهم على أممكم؟ قال: فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا.(٣)

«يوم يجمع». ظرف لقوله: «لايهدي». و قيل: بدل من مفعول و اتّقوا بدل الاشتمال. أو مفعول و اسمعوا على حذف المضاف. أي: و اسمعوا خبر يوم جمعه. أو منصوب بإضمار اذكر. «ماذا أجبتم»: أيّ إجابة أجبتم؟ على أنّ [ماذا] في موضع المصدر. أو: بأيّ شيء أجبتم؟ فحذف الجارّ. و هذا السؤال لتوبيخ قومهم. «لا علم لنا» بما لست تعلمه. «علّام الغيوب»، فتعلم ما نعلمه ممّا أجابونا و أظهروا و ما لانعلم ممّا أضمروا في قلوبهم. و فيه التشكّي عنهم و ردّ الأمور إلى علمه بما كابدوا منهم. و قيل: المعنى: لا علم لنا إلى جنب علمك. أو: لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا. و إنّما الحكم للخاتمة.(٤)

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٢.
٣ـ الكافي ٨ / ٣٣٨، ح ٥٣٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

[١١٠] «إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتىٰ بِإِذْنِي وَ إِذْكَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«إذ قال الله»؛ أي: إذ يقول الله في الآخرة.(١)

«إذ قال الله». بدل من «يوم يجمع». و المعنى أنّه يوبّخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم و بتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذّبوهم و سمّوهم سحرة أو جاوزوا حدّ التصديق إلى أن اتّخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى من الآيات: «هذا سحر مبين» و اتّخذه بعضهم و أمّه إلهين.(٢)

«اذكر»؛ أي: اذكر ما أنعمت به عليك و على أمّك و اشكره. أفرد النعمة في اللّفظ و يريد به الجمع. كما قال: «و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»(٣) ثمّ فسّر نعمته بأن قال: «إذ أيّدتك».(٤)

«نعمتي عليك». كان يلبس الشعر و يأكل الشجر و لايدّخر لغد شيئاً، يقول: مع [كلّ] يوم رزقه. لم يكن له بيت فيخرب و لا ولد فيموت. أينما أمسي بات.(٥)

«إذ أيّدتك»: قوّيتك. و هو ظرف لنعمتي.(٦)

«بروح القدس»: جبرئيل عليه السلام.(٧)

«تكلّم الناس»؛ أي: تكلّمهم في الطفوليّة و الكهولة على سواء. و المعنى إلحاق حاله في الطفوليّة بحال الكهوليّة في كمال العقل و التكلّم. و به استدلّ على أنّه سينزل. فإنّه رفع قبل أن

١ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٤.
٢ـ الكشّاف ١ / ٦٩٠ ـ ٦٩١.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٣٤.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٤.
٥ـ الكشّاف ١ / ٦٩١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.
٧ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٤.

يكتهل.[١]

«في المهد و كهلاً»؛ أي: في حال ما كنت صبيّاً في المهد و في حال ما كنت كهلاً. و قيل: مهده حجر أمّه. «و إذ علّمتك الكتاب». قيل: يعني الكتابة؛ أي: الخطّ. «و الحكمة». يعني العلم و الشريعة. و قيل: أراد الكتب، فيكون الكتاب اسم جنس، ثمّ فصّله بذكر التوراة و الإنجيل. «وإذ تخلق»؛ أي: و اذكر ذلك أيضاً إذ تصوّر الطين كهيئة الطير الذي تريد؛ أي: كخلقته و صورته. و سمّاه خلقاً لأنّه كان يقدّره. و قوله: «بإذنى»؛ أي: بأمري. «فتنفخ فيها» الروح بأمر الله، «فيكون طيراً» بأمر الله. لأنّ المسيح إذا نفخ فيها الروح، قلّبها الله لحماً و دماً و يخلق فيها الحياة فصارت طيراً بإرادة الله لا بإرادة المسيح.[٢]

«بإذني»: بتسهيلي.[٣]

«طيراً». نافع و يعقوب: «طائراً».[٤]

«الأكمه»: الذي ولد أعمى. أي: إنّك تدعوني حتّى أبرئ الأكمه و الأبرص. «و إذ تخرج الموتى»؛ أي: تدعوني فأخرج بدعائك الموتى من القبور.[٥]

قيل: إنّه أخرج سام بن نوح و رجلين و امرأة و جارية. «بني إسرائيل». يعني اليهود حين همّوا بقتله.[٦]

«إذ جئتهم». ظرف لكففت.[٧]

«إذ جئتهم بالبيّنات»؛ أي: حين جئتهم بالآيات و المعجزات.[٨]

«إن هذا»؛ أي: ما هذا. «إلّا سحر». قرأ حمزة و الكسائيّ: «إلّا ساحر» فالإشارة إلى عيسى.[٩]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

٣ـ الكشّاف ١ / ٦٩١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

٥ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٥.

٦ـ الكشّاف ١ / ٦٩١.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

٨ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٥.

٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

[١١١] «وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ».

«و إذ أوحيت»: أمرتهم على ألسنة رسلي.(١)

«إلى الحواريّين». عن أبي جعفر: ألهمتهم.(٢)

«أن آمنوا». يجوز أن يكون مفسّرة و أن يكون مصدريّة.(٣)

[١١٢] «إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«إذ قال الحواريّون». مفعول أوحيت أو اذكر.(٤)

«يا عيسى بن مريم». في محلّ النصب على إتباع حركته حركة الابن. كقولك: يا زيد بن عمرو. و هي اللّغة الفاشية. و يجوز أن يكون مضموماً. كقولك: يا زيد بن عمرو.(٥)

«هل يستطيع ربّك». فيه أقوال. أوّلها: هل يفعل ذلك ربّك بمسألتك إيّاه ليكون علماً على صدقك؟ و لايجوز أن يكونوا شكّوا في قدرة الله على ذلك. لأنّهم كانوا عارفين مؤمنين. و كأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه و صحّة أمره من حيث لايعترض عليهم فيه إشكال و لا شبهة و من ثمّ قالوا: «و تطمئنّ قلوبنا». كما قال إبراهيم عليه السلام: «و لكن ليطمئنّ قلبي».(٦) و ثانيها: انّ هذا كان في ابتداء أمرهم قبل أن يستحكم معرفتهم بالله تعالى. و لذلك أنكر عليهم عيسى فقال: «اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين». لأنّه لم يستكمل إيمانهم في ذلك الوقت. و ثالثها: انّ معناه: هل يستجيب لك ربّك؛ أي: هل يعطيك إن سألته؟ فيكون استطاع بمعنى أطاع، كما يكون استجاب بمعنى أجاب.(٧)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٠، ح ٢٢١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

٤ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٧.

٥ـ الكشّاف ١ / ٦٩٢.

٦ـ البقرة (٢) / ٢٦٠.

٧ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٧.

عن يحيى الحلبيّ في قوله: «هل يستطيع ربّك» قال: قراءتها: «هل تستطيع أن تـدعو ربّك».(١)

فإن قلت: كيف قالوا: «هل يستطيع ربّك» بعد إيمانهم و إخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان و الإخلاص و إنّما حكى ادّعاءهم لهما، ثمّ أتبعه قـوله: «إذ قـال». فـإذن إنّ دعواهم كانت باطلة و إنّهم كانوا شاكّين. و قولهم: «هل يستطيع ربّك» كلام لايرد مثله عن مؤمنين معظّمين لربّهم. و كذلك قول عيسى عليه السلام معناه: اتّقوا الله و لاتشكّوا في اقـتداره و استطاعته. و لاتتحكّموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عـصيتموه بـعدها. المـائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام. من ماده، إذا أعطاه. كأنّها تميد من تقدّم إليها و يكون عليها.(٢)

و في تفسير أهل البيت عليهم السلام: كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها و يأكلون منها ثمّ يرفع. فقال كبراؤهم: لاندع سفلتنا يأكلون منها معنا. فرفع الله المائدة ببغيهم و مسخوا قردة و خنازير. «و إذ قال الحواريّون». القصّة: اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا. فقيل: إنّها لم تنزل. فإنّ القوم لمّا سمعوا الشرط، استعفوا عن نزولها. و الصحيح أنّها نـزلت للوعد بقوله: «إنّي منزّلها» و الأخبار مستفيضة بنزولها. روي عن عمّار عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزلت المائدة خبزاً و لحماً. لأنّهم سألوا عيسى طعاماً لاينفد. قال: فإنّها مقيمة لكـم مـا لم تخونوا و تخبؤوا و ترفعوا. فإن فعلتم ذلك عذّبتكم. فما مضى يومهم حتّى فعلوا الثلاثة. و قال ابن‌عبّاس: إنّ عيسى قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ اسألوا الله مـا شـئتم يعطكموه. فصاموا ثلاثين يوماً. فلمّا فرغوا قالوا: يا عيسى، لو عملنا لأحد فقضينا عمله، لأطعمنا طعاماً. و إنّا صمنا و جعنا. فادع الله أن ينزّل علينا مـائدة مـن السماء. فأقـبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة و سبعة أحوات فوضعتها بين أيديهم. و أكل منها آخر الناس كما أكل أوّلهم. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و روي عن سلمان الفارسيّ قال: لمّا سأله الحواريّون المائدة، لبس صوفاً و بكى و قال: «اللّهمّ ربّنا أنزل علينا مـائدة مـن

١ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٠، ح ٢٢٢. ٢ـ الكشّاف ١ / ٦٩٣.

السماء» فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين و هم ينظرون إليها و هي تهوي منقضّة حتّى سقطت بين أيديهم. فبكى عيسى و قال: اللّهمّ اجعلني من الشاكرين. اللّهمّ اجعلها رحمة و لاتجعلها عقوبة. فكشف المنديل عنها، فإذا هو سمكة مشويّة تسيل سيلاً من الدسم ليس عليها قشرها، و عند رأسها ملح، و عند ذنبها خلّ، و حولها ما عدا الكرّاث من أنواع البقول. و إذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، و على الثاني عسل، و على الثالث سمن، و على الرابع جبن، و على الخامس قديد. و ليست من طعام الجنّة بل كانت شيء افتعله الله بقدرته. فقال الحواريّون: لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى. فقال: يا سمكة، احيي بإذن الله. فاضطربت السمكة و عاد عليها فلوسها و شوكها، ففزعوا منها. فقال عيسى: يا سمكة، عودي كما كنت بإذن الله. فعادت السمكة مشويّة. فقالوا: يا روح الله، كن أوّل من يأكل منها، ثمّ نأكل نحن. قال: يأكل منها من سألها. فخافوا أن يأكلوا منها. فدعا لها عيسى أهل الفاقة و الزمنى و المرضى فقال: كلوا منها. و لكم المهنّا و لغيركم البلاء. فأكل منها ألف و ثلاثمائة رجل و امرأة من فقير و مريض و مبتلًى فكلّهم شبعوا و السمكة بحالها. ثمّ طارت المائدة صعداً و هم ينظرون إليها حتّى توارت عنهم. فلم يأكل منها يومئذ زمن إلّا صحّ و لا فقير إلّا استغنى. و ندم الحواريّون و من لم يأكل منها. و كانت إذا نزلت، اجتمعت الأغنياء و الفقراء و الصغار و الكبار يتزاحمون عليها. فلمّا رأى ذلك عيسى، جعلها نوبة بينهم. فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحًى فلاتزال منصوبة يؤكل منها حتّى إذا فاء الفيء طارت. و كانت تنزل غبّاً يوماً و يوماً لا. فأوحى الله إلى عيسى: اجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء. فعظم ذلك على الأغنياء فشكّكوا الناس فيها. فقال سبحانه: إنّي شرطت على من كفر بها بعد نزولها العذاب. فمسخ منهم ثلاثمائة و ثلاثون رجلاً خنازير فهلكوا بعد ثلاثة أيّام.[١]

«قال اتّقوا الله» من أمثال هذا السؤال. «إن كنتم مؤمنين» بكمال قدرته و صحّة نبوّتي، أو صدقتم في ادّعاء الإيمان.[٢]

١ـ مجمع البيان ٣ / ٤١٠ ـ ٤١٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٨.

[١١٣] «قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَ نَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ».

«نريد». تمهيد عذر و بيان لما دعاهم إلى السؤال و هو أن يتمتّعوا بالأكل منها. «و تطمئنّ قلوبنا» بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته. «أن قد صدقتنا» في ادّعاء النبوّة أو أنّ الله يجيب دعوتنا. «من الشاهدين» إذا استشهدتنا. أو: من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر.[١]

«و تطمئنّ قلوبنا»؛ أي: نزداد يقيناً. لأنّ الدلائل كلّما كثرت، تمكّنت المعرفة في النفس. «الشاهدين». أي بتوحيد الله و لك بالنبوّة. و قيل: من الشاهدين لك إذا رجعنا إلى بني إسرائيل.[٢]

[١١٤] «قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارْزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

«قال عيسى بن مريم» لمّا رأى أنّ لهم غرضاً صحيحاً في ذلك أو أنّهم لايقلعون عنه و أراد إلزامهم الحجّة بكمالها. «لنا عيداً»؛ أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظّمه. و قيل: العيد: السرور العائد. و لذلك سمّي العيد عيداً. «لأوّلنا و آخرنا». بدل من لنا بإعادة العامل. أي: عيداً لمتقدّمينا و متأخّرينا. روي أنّها نزلت يوم الأحد فلذلك اتّخذه النصارى عيداً. و قيل: أن يأكل منها أوّلنا و آخرنا. و «آية» عطف على عيداً و «منك» صفة لها. أي: آية كائنة منك [دالّة] على كمال قدرتك و صحّة نبوّتي. «و ارزقنا» المائدة و الشكر عليها. «خير الرازقين»؛ أي: خير من يرزق. لأنّه خالق الرزق و معطيه بلا عوض.[٣]

«آخرنا»: من يجيء بعدنا.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٩.

[١١٥] «قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ».

«قال الله إنّي منزّلها». إجابة لسؤالك.(١)

«منزّلها». نافع و عاصم و ابن‌عامر بالتشديد. و الباقون مخفّفاً. «عذاباً»؛ أي: تعذيباً. و يجوز أن يجعل مفعولاً به على السعة. «لا أعذّبه». الضمير للمصدر، أو للعذاب إن أريد ما يعذّب به على حذف حرف الجرّ. «من العالمين»؛ أي: من عالمي زمانهم مطلقاً. فإنّهم مسخوا قردة و خنازير و لم يعذّب بمثل ذلك غيرهم.(٢)

«أعذّبه عذاباً»: عذاب الاستئصال.(٣)

عن الرضا عليه السلام أنّ الجرّيث و الضبّ قوم من بني إسرائيل كفروا بالمائدة التي نزلت على عيسى فتاهوا، فوقعت فرقة في البحر و فرقة في البرّ.(٤)

[١١٦] «وَ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

«و إذ قال الله يا عيسى بن مريم». عطف على ما تقدّم من أمر المسيح. و المعنى: إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى: «أ أنت قلت». و هذا، و إن خرج مخرج الاستفهام، لكنّه تهديد لمن ادّعى ذلك من النصارى. و قيل: أراد الله تعالى إخبار عيسى بأنّ قوماً اعتقدوا فيه و في أمّه أنّهما إلهان لأنّه يمكن أنّه لم يعرف ذلك. قيل: و الأوّل هو الأصحّ. و حكى الشيخ أبوجعفر أنّ في النصارى المريميّة يعتقدون في مريم أنّها إلهة. و قوله: «سبحانك» [معناه:] تنزيهاً لك من أن تبعث رسولاً يدّعي الإلهيّة لنفسه و يكفر بنعمتك. «ما ليس لي بحقّ» لأنّي عبد مثلهم.

١ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠٩، و تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٨٩.
٣ـ مجمع البيان ٣ / ٤١٠.
٤ـ تهذيب الأحكام ٩ / ٣٩، ح ١٦٦.

«إن كنت قلته». يريد: انّي لم أقله. لأنّي لو قلته، لم يخف عليك. لأنّك علّام الغيوب.[١]

«من دون الله». و معنى دون إمّا المغايرة لأنّ من عبد غيره كأنّه لم يعبده، أو المعنى: متوصّلين بعبادتها إلى عبادة الله. «تعلم ما في نفسي»؛ أي: تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه و لا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. و قوله: «ما في نفسك» للمشاكلة. و قيل: المراد بالنفس الذات.[٢]

«تعلم ما في نفسي». عن أبي جعفرعليه السلام: انّ الاسم الأكبر ثلاثة و سبعون حرفاً. فاحتجب الربّ تبارك و تعالى بحرف. فمن ثمّ لا يعلم أحد ما في نفسه عزّوجلّ. و أعطى آدم عليه السلام اثنين و سبعين حرفاً، فتوارثتها الأنبياء حتّى صارت إلى عيسى. فذلك قول الله عن عيسى: «تعلم ما في نفسي»؛ يعني: اثنين و سبعين حرفاً من الاسم الأكبر فأنت تعلمها. «و لا أعلم ما في نفسك». لأنّك احتجبت من خلقك بذلك الحرف، فلا يعلم أحد ما في نفسك.[٣]

«إنّك أنت علّام الغيوب». تقرير للجملتين باعتبار منطوقه و مفهومه.[٤]

[١١٧] «مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

«ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به». تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدلّ عليه. «أن اعبدوا الله». عطف بيان للضمير في به، أو بدل منه. و ليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقاً ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع. «شهيداً»؛ أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك و يعتقدوه. أو: شاهداً لأحوالهم من كفر و إيمان. «فلمّا توفّيتني» بالرفع إلى السماء. لقوله: «إنّي متوفّيك و رافعك».[٥]

١ـ مجمع البيان ٣ / ٤١٤ ـ ٤١٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥١، ح ٢٣٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٠.
٥ـ آل عمران (٣) / ٥٥.

و التوفّي أخذ الشيء وافياً. و الموت نوع منه. قال الله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» ـ الآية.[١] «الرقيب»: المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت [عصمته] من القول به بالإرشاد إلى الدلائل و التنبيه عليها بإرسال الرسل و إنزال الآيات. «شهيد»: مطّلع عليه مراقب له.[٢]

[١١٨] «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«إن تعذّبهم فإنّهم عبادك». فيه تنبيه على أنّهم استحقّوا ذلك لأنّهم عبادك و قد عبدوا غيرك.[٣]

«عبادك» الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذّبين لأنبيائك. «فإنّك أنت العزيز»: القويّ القادر على الثواب و العقاب. «الحكيم»: الذي لايثيب و لايعاقب إلّا عن حكمة و صواب. فإن قلت: المغفرة لاتكون للكفّار. فكيف قال: «و إن تغفر لهم»؟ قلت: ما قال إنّك تغفر لهم، ولكنّه بنى الكلام على إن فقال: إن عذّبتهم عدلت، لأنّهم أحقّاء بالعذاب. و إن غفرت لهم مع كفرهم، لم تعدم في المغفرة وجه حكمة. لأنّ المغفرة حسنة لكلّ مجرم في العقول، بل متى كان المجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.[٤]

[١١٩] «قَالَ اللهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«يوم» قرأ نافع بالنصب، على أنّه ظرف لقال و خبر هذا محذوف أو ظرف مستقرّ وقع خبراً. و المعنى: هذا الذي مرّ من كلام عيسى، واقع يوم ينفع. و قيل: إنّه خبر ولكنّه بني على الفتح لإضافته إلى الفعل. و ليس بصحيح. لأنّ المضاف إليه معرب. و المراد بالصدق الصدق

١ـ الزمر (٣٩) / ٤٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٠.
٣ـ تفسير البيضاوىّ ١ / ٢٩٠.
٤ـ الكشّاف ١ / ٦٩٦ ـ ٦٩٧.

في الدنيا. فإنّ النافع ما كان حال التكليف. «لهم» بيان للنفع.[١]

«ينفع الصادقين صدقهم». قيل: إنّه الصدق في الآخرة و إنّه ينفعهم لقيامهم فيه بحقّ الله تعالى. فيكون المراد صدقهم في الشهادة للأنبياء بالتبليغ.[٢]

أقول: و يدلّ عليه ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله سبحانه يستنطق في القيامة القلم عمّا كتب و اللّوح عمّا كتب فيه، و الملائكة على ما بلّغت إلى الأنبياء، و الأنبياء على ما بلّغته إلى الأمم، و الأوصياء على التبليغ بعد الأنبياء، فينطق الكلّ بالصدق و الصواب، فيقبل الله عذرهم. و ذلك قوله تعالى: «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم».[٣]

«ذلك الفوز». قال المفسّرون: «ذلك»؛ أي: الثواب و الجنّة. و الأولى رجوعه إلى مصدر رضي عنهم و رضوا. كما قال: «و رضوان من الله اكبر».[٤]

[١٢٠] «لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«لله ملك السموات و الأرض». تنبيه على كذب النصارى و فساد دعواهم في المسيح و أمّه. و إنّما لم يقل: و من فيهنّ ـ تغليباً للعقلاء ـ و قال: «و ما فيهنّ» إتباعاً لهم غير أولي العقل، [إعلاماً بأنّهم] في غاية القصور عن معنى الربوبيّة و النزول عن رتبة العبوديّة و إهانة لهم، و تنبيهاً على المجانسة المنافية للألوهيّة. و لأنّ ما يطلق متناولاً للأجناس كلّها، فهو أولى بإرادة العموم.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩١.
٢ـ مجمع البيان ٣ / ٤١٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩١ ـ ١٩٣.
٤ـ التوبة (٩) / ٧٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٠١.